

مجموعه شاکر

التبلیح الاسلامی

التبلیح المعاصر

القارة الهندية

جنوب شرقی آسیا
مالیزیا و انڈونیشیا

المكتب الإسلامي

التبلیح الاسلامی

www.alkottob.com

التبليغ الإسلامي

- ١٩ -

التبليغ المعاصر

القارة الهندية



www.alkottob.com

الْبَيْتُ الْإِسْلَامِيُّ

- ١٩ -

الْبَيْتُ الْمَعَاصِرُ

القَارَةُ الْهِنْدِيَّةُ

١٣٤٢ - ١٤١١ هـ

١٩٢٤ - ١٩٩١ م

محمود شاكر

الكتب الاسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين محمد بن عبدالله، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دبره إلى يوم الدين أما بعد :

فإن أرض الهند تلك الأرض الواسعة المحصورة بين خليج البنغال في الشرق، وبحر العرب في الغرب، والمحيط الهندي في الجنوب، وجبال هيمالايا في الشمال، والمرتفعات الجبلية في الشمال الشرقي، وجبال سليمان وامتداداتها في الشمال الغربي. هذا إضافة إلى ما يتبعها من جزر، وهي: جزر لكاديف، والمالديف في الغرب، واندمان، ونيكوبار في الشرق، وجزيرة سرنديب «سيلان» في الجنوب.

ولاتساع هذه البلاد فإنه يُطلق عليها اسم «شبه القارة الهندية» إذ تزيد مساحتها على أربعة ملايين وثلاثمائة وستين ألف كيلومتر مربع. وهي شبه جزيرة، إذ يلقها اليم من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية. هذه هي الهند بالاصطلاح الجغرافي، وبالمفهوم العلمي، وبالمعنى الذي عرفه المسلمون عندما كانوا يتحدثون عنها، وعندما انطلقوا لفتحها. وهذا هو الاسم الشائع حتى قبل تقسيمها ٢٨ ومضان ١٣٦٦ هـ (١٥) آب ١٩٤٧ م. أما بعد هذا التاريخ فإن كلمة «الهند» أصبحت تدلُّ على دولةٍ سياسيةٍ بقيت تحمل الاسم الذي كان يُطلق على البلاد كلها قبل التقسيم.

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكتب الإسلامي

بيروت - ص.ب. (٢٧٧/١) هاتف: ٤٥٢٢٨٠

دمشق - ص.ب. ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٣٣٧

عُمان - ص.ب. ١٨٢٦٥ - هاتف: ٦٥٩٦٥

ورغم أن التقسيم قد تم، وانفصلت المناطق ذات الأثرية المسلمة، وشكلت دولة باكستان، ثم تجزأت باكستان إلى بنغالدش وباكستان، كما استقلت جزر المالديف وسكانها جميعاً من المسلمين، ومع هذا فقد أبقينا «الهند» عنواناً لهذا الكتاب وذلك لـ:

١- «إذ كانت الدول الإسلامية قد انفصلت عن الهند سياسياً إلا أنها بقيت جغرافياً ضمن هذا الاسم. فالتقسيم السياسي لم يخرج هذه الدول عن الدائرة الجغرافية والموقع الفلكي.

٢- «أن الدول الإسلامية الواقعة ضمن هذه التسمية لم تنفصل بعضها عن بعض إلا بعد مرور أكثر من ثلاث وعشرين سنة من المرحلة التي نُورِّح لها... أي بقيت تحت اسم الهند من ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ حتى ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ حتى ١٥ آب ١٩٤٧ م).

٣- «أن كثيراً من العلماء لم يرضوا عن هذا التقسيم، ورواوا فيه صبراً كبيراً على المسلمين وعلى مستقبل الدعوة.

٤- «أن عدداً كبيراً من المسلمين قد بقي ضمن الجزء الذي حمل اسم «الهند» وتصل نسبتهم إلى ١٢٪ من مجموع السكان، فيزيدون في هذا اليوم على الثمانين مليوناً وستدرس الأقليات التي بقيت خارج حدود الدول الإسلامية التي نشأت عن تجزئة شبه القارة الهندية في الجزء الثاني والعشرين من هذا الكتاب - إن شاء الله -.

إن عنوان هذا الكتاب إذن عنوان جغرافي مدة ثلاث وعشرين سنة من هذه المرحلة، وعنوان سياسي باقي المدة التي تشمل الزمن الذي استمر من التقسيم حتى ساعة تدوين هذا الكتاب.

لم تكن بعد التقسيم سوى دولة إسلامية واحدة هي باكستان، إذ لم تكن سيلان ترتبط بالهند سياسياً رغم أنها ضمن الإطار الهندي الجغرافي الذي تحدثنا عنه، وكانت جزر المالديف ترتبط سياسياً مع سيلان، ولم يجر

تقسيم الهند حتى تبعه استقلال جزر المالديف عن سيلان فعدت دولتان إسلاميتان مستقلتان ضمن إطار جغرافية الهند.

وبعد مؤامرة دولية كانت دولة الهند رأس الحربة فيه تجزأت باكستان فتنفصل القسم الشرقي فيها عن القسم الغربي، وحمل اسم «بنغالدش» على حين بقي القسم الغربي يحمل اسم «باكستان»، وهكذا أصبحت دول ثلاث مسلمة ضمن إطار جغرافية الهند، وهي: باكستان، وبنغالدش، وجزر المالديف. وعلى هذا ستكون دراستنا على النحو الآتي:

الباب الأول: الهند: ١٣٤٢ - ١٣٦٦ هـ (١٩٢٤ - ١٩٤٧ م).

الباب الثاني: ولاية كشمير.

الباب الثالث: باكستان الكبرى: ١٣٦٦ - ١٣٩١ هـ (١٩٤٧ -

١٩٧٢ م).

الباب الرابع: باكستان: ١٣٩١ - ١٤١٢ هـ (١٩٧٢ - ١٩٩٢ م).

الباب الخامس: بنغالدش: ١٣٩١ - ١٤١٢ هـ (١٩٧٢ - ١٩٩٢ م).

الباب السادس: جزر المالديف: ١٣٤٢ - ١٤١٢ هـ (١٩٢٤ -

١٩٩٢ م).

فترجو من الله أن توفقني في إعطاء صورة صحيحة عن تاريخ هذه المنطقة من خلال مفهوم إسلامي سليم، يعيد كل البعد عن التفسيرات المعرّضة التي تروجها وسائل الإعلام الأجنبية لإنتاج مخططاتها التي منها قتل الروح المعنوية الإسلامية، وإعادة الناس عن عقيدتهم، وعن مفهوم الأخوة بين أبناء الأمة الواحدة. والله نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لمحة عن الهند قبل إلغاء الخلافة

كان العرب في الجاهلية على صلةٍ مع الهنود، وكانت العلاقة بينهما علاقةً تجاريةً بحثاً لا تتعداها، ومع معرفة العرب للنظام الاجتماعي في الهند^(١)، وما فيه من فروقٍ واضحةٍ وثباينٍ غريبٍ إلا أن هذا لم يكن ليهتمهم، أو لثباتهم به، إذ هم على جاهليةٍ، ولكل شأنه في هذه الحياة.

فلما أكرم الله العرب بالإسلام، ووصل إلى الجهات التي كانوا يتعاملون فيها مع الهند، رأوا من واجهم التوجه إليهم لإتقانهم مما هم عليه من الظلم والظلمات فهذه مهمّة المسلمين في الحياة، وهكذا فرض عليهم الإسلام، فكروا بهذا ولم تنته بعد الحروب مع فارس والروم، ولم

(١) يقول أبو الحسن عليّ الحسني الندوي في كتابه «وماذا خسّر العالم بت انحطاط المسلمين»: أما نظام الطبقات فلم يُعرف في تاريخ أمةٍ من الأمم نظام طبقي أشدّ قسوةً وأعظمّ فصلاً بين طبقةٍ وطبقةٍ وأشدّ استهانةً بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وحضعت له الآفا من السنين ولا تزال، وقد بدت طلائع التفاوت الطبقي في آخر العهد اليندي بتأثير الحرف والصنائع وتوارثها، وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الآرية المنحطة ونجاتها، وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرونٍ ازدهرت في الهند الحضارة البرهمنية، ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وألف فيه قانون مدني وسياسي ألقت عليه البلاد، وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها، وهو المعروف الآن بـ«موشاسترة».

يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقاتٍ ممتازةٍ وهي: (١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين. (٢) شترى: رجال الحرب. (٣) وشن: رجال الزراعة =

والتجارة، (٤) شوبر: رجال الخدمة. ويقول (ص) مؤلف هذا القانون: (إن القانون المطلق قد خلق لمصلحة العالم، البراهمة من فقهه، وشترتي من سواعده، ووش من أفعاله، وشوبر من أرجله، وورج لهم فرائض وواجبات لمصلحة العالم. فعلى البراهمة تعليم (ويد)، أو تقديم الشور للألهة، وتعاظم الصدقات، وعلى الشترتي حراسة الناس، والتصدق، وتقديم الشور، ودراسة (ويد) والمزوف عن الشهوات، وعلى وش رعي السائمة والقيام بخدمتها وثلاثة (ويد) والتجارة والزراعة، وليس لشوبر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث.

امتيازات طبقة البراهمة: وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً كحقيقتهم بالألهة فقد قال: إن البراهمة هم صفوة الله، وهم مولوك العلق، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل للعلائق وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبدهم شوبر - من غير جريئة - ما شاؤوا، لأن العبد لا يملك شيئاً وكل مال له سيده. وإن البرهمن الذي يحفظ ركه ويد (الكتاب المقدس) هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاث بلذونه وأصله، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطراب والفاقة أن يبيعي من البراهمة جارية أو يأخذ منهم إنكوة، ولا يصح لبرهمن في بلاده أن يموت جوعاً، وإن استحق برهمن القتل لم يجز للحاكم إلا أن يخلق رأسه، أما غيره فيقتل.

أما الشترتي فإن كانوا فوق الطبقتين ووش وشوبر، ولكنهم دون البراهمة بكثير، فيقولون (متوه): إن البرهمن الذي هو في العاشرة من عدده يفوق الشترتي الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده.

المتوفون الأشقياء: أما شوبر «المتوفون» فكثروا في المجتمع الهندي - بعض هذا القانون المدني الديني - أسط من الهائم وأذل من الكلاب، فيُصرح القانون بأن «من معانة شوبر أن يلوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك» وليس لهم أن يقتلوا مالا أو يذبحوا كثيراً فإن ذلك يُؤذي البراهمة، وإذا مذ أحد من المتوفين إلى برهمن بدأ أو عصاً ليضرب به قطعت يده، وإذا رفعه في غضب قُدمت رجليه، وإذا حم أحد من المتوفين أن يجالس برهمنياً فعلى الملك أن يكرهه إسته ويغلبه من البلاد، وأما إذا مته يبد أو مته فيقتل لسانه، وإذا أذم أنه يعلمه سُقى زبناً قاتراً، وكفارة قتل الكلب والقطعة والصدقة والسورج والغراب والبومة ودجل من الطبقة المتوفية سواء.

مركز المرأة في المجتمع الهندي: وقد نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإمام، وكان الرجل قد يخسر امرأته في الفسار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج، فإذا مات زوجها صارت كالمتوفية لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، =

وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وعلم الأحماء، وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تلعياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا، وكان ذلك تقليداً مستحزماً ناشئاً في الطبقات الشريفة، والمحنعات الأسترقاطية يعرف - «متي» وكان قابلاً على وفاة الزوجة للزوج وشرفها، وقد قلَّ عدده المنتحرات بتأثير الحكومات الإسلامية، وتدخل الحكام المسلمين، كما صرح بذلك الرحالة الفرنسي الدكتور «بربير»، حتى جاء الإنكليز في العهد الأخير إلغائه تماماً.

ويقول أبو الحسن علي الحسيني الشدي في رسالته «منهج الفصل في الإصلاح للدعاة والعلماء»: إذا سافرتم في الفطار ترون صديقين من غير المسلمين يتحدثان ويتلاطفان، فإذا حضر الطعام صرف هذا وجهه إلى الغرب، وهذا وجهه إلى الشرق، بدأ يأكل هذا، وبدأ يأكل ذلك، كأنه لا لقاء بينهما.

ويقول أيضاً أبو الحسن علي الحسيني الشدي في كتابه «مناظر حسر العالم بالحفاظ المسلمين» عن شذوذهة الهند القديمة تحت عنوان «الشهوة الجنسية الجامحة»: وأما الشهوة فقد امتازت بها ديانة الهند ومجتمعها منذ العهد القديم، فعملت المواد الجنسية والمهيجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة بلذم مثل ما دخلت في صميم الديانة في البلاد الهندية، وقد تناقلت الكتب الهندية، وتحدثت الأوساط الدينية عن ظهور صفات الإله، وعن وقوع الحوادث العظيمة، وعن تحليل الأكوام روایات واقصيص عن اختلاط الجنين من الآلهة، وغارة بعضها على البيوتات الشريفة تستك منها المسامع ويتشكى لها الحين حياء، وتأثر هذه الحكايات في عقول المتعجبين المحتلصين المرتدين لهذه الحكايات في إيماناً وحماسة دينية وفعلها في عواطفهم وأفعالهم واضح، زد إلى ذلك عبادتهم لآلة التناسل لإلههم الأكبر «مهانبوه»، وتصويرها في صورة بشعة، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين من أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعدون النساء الغاربات والنساء يعدن الرجال العراء، وكان كهنة المعابد العونة والفساق كانوا يبرؤون الرعايات والزائرات في أمر ما تدعن، وقد أصبح كثير من المعابد مواخير يترصد فيها الفاسق لظلمته، وينال فيها الفاجر بقرته، وإذا كان هذا شأن البيوت التي رقت للعبادة والدين فما ظن القاريه ببلاد الملوك وقصور الأقياده؟ فقد شنفس فيها رجالها في إثبات كل منكم ويكوب كمثل فاحشة، وكان فيها مجالس مختلفة من سافه وسيدات، فإذا لعبت الخمر برؤوسهم خلعوا طباط الحياء والشرف وطرحوا الحشمة، فتوارى الأدب وتبرقع الحياء، وهكذا أخذت البلاد موجة من الشهوات الجنسية والحلاصة، وأسفت أخلاق الجنسين إسفاً كبيراً.

تساقط هاتان الدولتان، ويأتي الخوف على المسلمين منهما، إذ أنهما أقوى دولتين في العالم يومذاك، ولطالما عملنا ضد المسلمين فحرضنا المرتدّين، وجيوشنا الجيوش لمواجهة المجاهدين إذ كانت تخشى زوال سلطانيهما، وذهب اعتماد حكامهما وسدنة معايد ديانتها للعباد، وخشية على الحدّ من إزواء غرائز المتسلّطين عليهما.

وإذا كان الخليفة ورجال الشورى وقادة الفتح متصرفين بكل طاقاتهم وإمكاناتهم لحرب الظلم والاستبداد في الدولتين الكبيرتين فارس والروم، والعمل على تسهيل نشر الدعوة ومع الوقوف في وجه الدعوة فإن ولاية المناطق التي كانت تتعامل مع الهند لم يمنعهم مانع من العمل على نشر الإسلام في الهند ورفع الظلم عن أهلها. وكانوا يتوقعون أن هذا لا يكلفهم كثيراً، ولا يُشكّل على الدولة عبثاً يُعرقل عليها القيام بمهمتها في نشر الدعوة، ومحاربة المستبدين الذين يحولون دون ذلك، وكانوا يتصورون أنه ما أن تصل إلى مسامع الهنود آباء الدين الجديد، وما فيه من خير للبشر، ومن مساواة حتى يُهرع إليه أبناء الطبقات كلها دون التواضع الذين قد يقاومون الإسلام حرصاً على نفوذهم ومصالحهم.

أيام الراشدين:

تولّى عثمان بن أبي العاص الثقفي عام ١٥ للهجرة أيام الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمر البحرين وعمان، فوجّه أخاه الحكم إلى البحرين، وسار هو إلى عمان، ولم يلبث أن وجّه أخاه الحكم في جيش إلى (تانه) شمال مدينة بومباي.

وأعاد عثمان بن أبي العاص الثقفي أخاه الحكم مرة ثانية بجيش إلى (بروص) في مقاطعة (كوجرات) شمال (سورت)، فلفي الحكم العدو، وانتصر عليه. و(بروص) ميناء قديم فقد أعمته مع الزمن.

ووجّه عثمان بن أبي العاص الثقفي أخاه الآخر (المغيرة) إلى (الدليل) على مقربة من مدينة كراتشي اليوم.

وسار كذلك الحكم بن عمرو الثقفي بجيش إلى (مكران) من بلاد فارس ففتحها، وفر أهلها حتى وصل بعضهم إلى وادي نهر السند، وكان في هذا الجيش عبدالله بن عبدالله بن عثمان الأنصاري، وسهيل بن عدي بن مالك الأنصاري، وشهاب بن المغارق. وبعث الحكم بن أبي العاص الثقفي بشارة الفتح إلى الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبعث إليه بالأحساس مع صحاب العدي.

وفي عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعث والي العراق عبدالله بن عامر بن كرز إلى الهند حكيم بن جبلة العدي ففقره، وكانت دولة فارس قد انهارت وانتهت، ودولة الروم قد هُزمت، وقبعت ترتقب. فلما رجع حكيم بن جبلة العدي من الغزو أرسله والي العراق عبدالله بن عامر بن كرز إلى الخليفة، فلما وصل إليه طلب منه أن يصف له الهند، فقال: ماؤها وشل"، وثمارها دقل"، ولصها يطل، إن قُل فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا و... فطلب الخليفة من ولاته على المشرق عدم غزو الهند بعدها.

وأرسل الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى بلاد السند (تاغرين دهر) عام ٣٨ هـ فوصل إلى بلاد الفيقان، وبعث، رضي الله عنه، في إثره الحارث بن مرة العدي فظفر وأصاب مغمماً، وذلك في أواسط عام ٣٨ هـ وأوائل العام الذي تلاه، ولكنه قُتل فيما بعد وأكثر من معه عام ٤٢ هـ أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

أيام الدولة الأموية:

استعمل والي العراق عبدالله بن عامر أيام معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، على ثغر الهند عبدالله بن سوار العدي ففتح بلاد

(١) وشل: قليل.

(٢) دقل: رديء.

القبائل، وعاد بعد أن استخلف على الشعر كرازين أبي كرز العبيدي.

وتولى أمر الشعر راشد بن عمرو فاستشهد عام ٤٢ هـ، فعاد إلى الولاية عنداه بن سوار العبيدي فاستشهد عام ٤٧ هـ، بعث والي العراق زياد بن أبيه مكانه سنان بن سلمة الهذلي للمرة الثانية ثم تولى الشعر المنذر بن الجارود العبيدي.

ومن ناحية ثانية وصل إلى الهند عباد بن زياد بن أبيه والي سجستان، وأحرز نصراً. وكذلك أرسل والي خراسان الحكم بن عمرو الغفاري إلى الهند عام ٤٤ هـ المهلب بن أبي صفرة فمال شيئاً من النجاح، وشكل عام فإن هذه الغزوات كانت على نطاق ضيق نتيجة الظروف التي كانت تعيشها الخلافة الإسلامية في دمشق.

واستقرت أوضاع الدولة في الشام وتولى الخلافة عبد الملك بن مروان، فأرسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الحملة تلو الحملة إلى الهند غير أنها فشلت في بداية الأمر، ثم تكثرت أخباراً بالنجاح. لقد بعث في البداية سعيد بن أسلم بن زوعة عاملاً له على شعر السند، غير أنه قُتل، وفرّ قاتلاه وهما: معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي بعد أن غلبا على المنطقة والنجا إلى ملك السند داهر. ثم أرسل مجاعة بن صعير التميمي فغلب على الشعر، وفتح بعض المناطق، ووفاه الأجل قبل مرور عام، وخلفه محمد بن هارون بن ذؤانق النعري، وفي هذه الأثناء احتفظ القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجاج بن يوسف من ملك السند داهر تسليم هذه النساء، فأجاب: أن ينده لا تصل إلى القراصنة، فأرسل الحجاج بعض المقاتلين وعلى رأسهم عبد الله بن نهبان فقتل، فأرسل آخر، وهو: بُدَيْل بن طهفة الجلي، ولكن الموت وافته، فرغب الحجاج والي العراق إرسال جيش بزمرة أبي الأسود، فألح محمد بن القاسم الثقفي على الحجاج أن يتولى هو هذه القيادة، فوافق الحجاج، وعقد له، فسار على رأس ستة آلاف، ففتح الديبل (على مقربة من

كراتشي اليوم) عام ٨٩ هـ بعد أن وصل الأسطول الإسلامي وشارك في حصار المدينة، وحطم محمد بن القاسم الأصنام التي كانت قائمة يُدرك أهلها أنها لا تُضر ولا تنفع، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها، ثم توجه إلى بيرون (حيدر آباد السند اليوم)، فدخلها، وسار إلى (المستان) عاصمة الإقليم، ففتحها وقتل الملك داهر عام ٩٦ هـ. ولكن (صينا) ابنة الملك داهر أرادت الثأر لأبيها، فأدعت ابن محمد بن القاسم فد اغتصبها، فغزل حتى يجري التحفيق معه، وتولى أمر السند يزيد بن أبي كبشة، ولكنه لم يلبث في الإمرة سوى ثمانية عشر يوماً. ونقل محمد بن القاسم إلى واسط، حيث سُجن هناك، وقتل على يد أحد أعمداه الحجاج وهو صالح بن عبدالرحمن الذي اتصل به (صينا) حيث كانت في دمشق في دار الشيخ صفوان منذ أن أرسلها محمد بن القاسم أسيرة. وأخيراً ألب (صينا) ضميرها فاعتزت للخليفة سليمان بن عبد الملك أنها افتوت على محمد بن القاسم، وأن ما سبق أن ادعته لم يكن إلا كذباً، فأمر بقتلها لأنها كانت سبب قتل القائد محمد بن القاسم.

اضطرب جبل الأمن في السند منذ أن تركها محمد بن القاسم، وتوفي يزيد بن أبي كبشة، واستعاد أبناء الملك داهر بعض المدن من أيدي المسلمين.

وفي أيام الخليفة عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، تولى أمر السند عمرو بن مسلم الباهلي، أخو قتيبة فاتح بلاد ما وراء النهر، فقوي أمر المسلمين، ودعا الخليفة أمراء الهند إلى الإسلام، ووعدهم بأن يبقوا في مراكزهم، فأسلموا، ومنهم أبناء الملك داهر.

كان ملوك الهند وحكام المقاطعات يخافون على مراكزهم، وكان البراهمة يخشون على امتيازاتهم لذا كان هؤلاء وأولئك يدفعون الطبقات الأخرى القائمة في مجتمعهم، والموجودة حسب قوانينهم وتعاليمهم الدينية لقتال المسلمين مُطلقين الشائعات ضد المجاهدين والدعاة، وفي الوقت

نفسه كانوا يحولون دون إطلاع أفراد الشعب من مختلف الطبقات على الإسلام وتعاليمه خوفاً من التوجه نحوه، والدخول فيه، وخاصةً إذا عرفوا المساواة والحرية والتعاون والأخوة التي هي من تعاليم الإسلام ومبادئها. وهذا ما أخر انتشار الإسلام، هذا بالإضافة إلى الظروف التي كانت تعترضها الدولة الإسلامية.

أيام الدولة العباسية:

انتشرت في السند بعض الأفكار الهدامة أيام الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، حتى كان والي عمرو بن حفص أحمد حملة هذه الأفكار، لذا فقد حُزِلَ ووُلِّيَ مكانه هشام بن عمرو التغلبي، ففتح الملتان وكشمير.

وفي أيام المهدي انتشرت العصية القليلة أو انتقلت إلى السند من مركز الدولة فاختلقت القبائل العربية بعضها مع بعض، فضعف شأن المسلمين هناك، واستغل الهنود هذا الضعف فاحتلوا بعض الأجزاء، وتفككت الولاية، وظهرت الإمارات المستقلة، شأنها في ذلك شأن الخلافة التي تحزرت إلى دويلات، وكان من هذه الإمارات في السند: إمارة المنصورة، وإمارة الملتان. ثم قامت إمارة (إسماعيلية)، وبقيت حتى قضى عليها محمود الغزنوي وطارد حاكمها أبا الفتح داود القرمطي في القرن الخامس الهجري، وحكمت عدة دول إسلامية في الهند، وهي:

الدولة الغزنوية:

لما أن الدولة العباسية قد تحزرت، وقامت عدة دول رغم بقاء الخلافة في بغداد، وكانت هذه الدول أو الإمارات تعدّ نفسها تابعة اسمياً للدولة العباسية، ومن هذه الدول: الدولة السامانية التي ورثتها الدولة الغزنوية في غزنة التي أعطت الدولة اسمها.

أسس الدولة الغزنوية سنكتين، وخلفه ابنه الأصغر إسماعيل، غير أن ابنه الأكبر محمود قد استزع الحكم من أخيه عام ٣٨٨ هـ، ونظر نفسه

للجهاد في سبيل الله. فدخل الهند عن طريق ممر حيدر، وفتح (قنوج) و (كوجرات)، وهدم معبد (سومناث) بعد فتحها، وكان الهنود يمشون هذا المعبد مكان تناسخ الأرواح، وأن مدّ البحر وجزره صلاة له. ويعود الفضل في انتشار الإسلام في تلك الأصفاع بعد الله إلى محمود الغزنوي.

خلف محموداً ابنه مسعود ففتح مدينة (بنارس) على نهر الغانج، وبعده ساد الاختلاف، واستمر حكم الغزنويين حتى عام ٥٥٥ هـ.

الدولة الغورية:

خلقت الغزنوية، ووصلت إلى البنغال، ولم يحكم من ملوكها سوى شهاب الدين محمد الغوري، ودخل مملوكه قطب الدين أيك مدينة دهلي، وجعلها مقر حكمه، وعين نائباً له على ما وراء نهر الغانج محمد بن بختيار الخلجي فأخذ بيهار، واتخذ مدينة درانيوره قاعدة له، ثم استولى على البنغال.

اعتز شهاب الدين محمد الغوري مملوكه قطب الدين أيك. ومات الغوري عام ٦٠٢ هـ، فورثه قطب الدين أيك إذ لم يكن للغوري وريث.

دولة قطب الدين أيك:

اتخذ أيك مدينة لاهور قاعدة لمملكته، ولم يلبث أن توفي عام ٦٠٧ هـ فخلقه ابنه أرام شاه، غير أن ولاته قد استقلوا بما تحت أيديهم.

دولة إيلتمش:

كان شمس الدين إيلتمش مملوكاً لقطب الدين أيك، فلما تولى حكم لاهور أرام بن قطب الدين أيك استقل إيلتمش في مدينة دهلي، وأسس أسرة حاكمة استمرت في حكمها في مدينة دهلي حتى عام ٦٦٤ هـ، وكان الخليليون قد استقلوا في البنغال، ولكن إيلتمش اتزعمها منهم.

في العهد المملوكي:

سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ بيد هولاكو قائد المغول، وفر أحد أبناء العباسيين إلى مصر حيث التجأ إلى المماليك الذين نصبوه خليفة اسماً، وحكموا من خلفه بأسماء سلاطين. وقد عُرف ذلك العصر بالمعهد المملوكي، وقد استمر حتى عام ٩٢٣ هـ عندما دخل العثمانيون مصره وأخذوا الخلافة لأنفسهم من الخليفة العباسي الذي لم يكن له سوى الاسم.

لقد قامت في الهند في هذا العهد دول ضعيفة، وممالك متعددة في أرجاء الهند ومنها:

١- في دهلي حكمت:

أ- أسرة بلبن (٦٦٤ - ٦٨٩ هـ): قامت بعد أسرة إيلتش التي استمرت مدة سبع وخمسين سنة، وكان آخرها ناصر الدين محمود إيلتش (٦٤٤ - ٦٦٤ هـ)، وبعد وفاته خلفه نائبه غياث الدين بلبن، ودام حكمه اثنتين وعشرين سنة، ولكن لم يحكم حفيده أكثر من ستين حيث خلع طاعته نائبه جلال الدين فيروز الخلجي.

ب- الخلجيون (٦٨٩ - ٧٢٠ هـ): وحكموا مدة إحدى وثلاثين سنة، وبدأ ملكهم بجلال الدين فيروز الذي قتله ابن أخيه وزوج ابنته علاء الدين محمد شاه، وتولى السلطة، وكانت له وقائع مع المغول، ودخل كوجرات، والدكن، وكيرالا في أقصى جنوبي الهند.

وبعد وفاة علاء الدين تولى دهلي ولده شهاب الدين، وكان صغيراً فاستأثر بالسلطة نائب أبيه علي دهلي الذي سجن أولاد سيده أبا بكر، وشادياً وسمل عيونهما، كما سجن أخوهما الثالث مباركاً ثم لم يلبث أن قُتل النائب، وتسلم الحكم مبارك باسم قطب الدين مبارك شاه الخلجي، وسجن أخاه شهاب الدين الملك السابق مع بقية إخوته، وأرسل جيوشه إلى غربي الدكن عام ٧١٨ هـ، وإلى كيرالا، وضواحي الهند، واتفق الأمراء

على خلع قطب الدين وتولية ابن أخيه خضر، وكان غلاماً لم يتجاوز العاشرة من عمره، فأسرع قطب الدين وقتل الغلام، كما قتل إخوته ومنهم أبو الغلام.

خاف كبير أمراء قطب الدين وهو ناصر الدين خسروخان على نفسه فأسرع وقتل سيده قطب الدين، وتسلم السلطة، ولكن المسلمين كرهوه لأنه كان يميل إلى الهندوك، وتمنوا الخلاص منه. ولما بايعه القادة، رفض غياث الدين تغلق في السند الطاعة، وسار إلى دهلي ودخلها مع أمير العثاق، واستلم الحكم، وهرب ناصر الدين خسروخان.

ج - آل تغلق: (٧٢٠ - ٨١٥ هـ): وحكموا خمسة وتسعين عاماً، وتوالى على السلطة منهم ثمانية ملوك بدءاً بغياث الدين، وابنه محمد الذي عُرف بابي مُجاهد، وكان يقتل تارك الصلاة، وقد فتح كيرالا. وأرسل قوة إلى بلاد الصين فهلك أفرادها في جبال هيمالايا.

وجاء بعده ابن عمه فيروز شاه الذي كان من خيار السلاطين، فبنى المساجد، والمدارس، والحصون، وخلفه حفيده تغلق شاه ولقب نفسه غياث الدين.

اختلفت الأسرة بعد ذلك على الحكم، وتباينت أهواء القادة حتى دخل تيمورلنك دهلي عام ٨٠١ هـ، وبقي خمسة عشر يوماً فيها ثم رجع إليها آخر ملوك آل تغلق حتى توفي عام ٨١٥ هـ.

د - آل خضر (٨١٥ - ٨٥٥ هـ): كان خضر من رجال تيمورلنك في دهلي أثناء مدة وجوده فيها، وهي خمسة عشر يوماً، وقويت شوكته في العاصمة حتى بعد خروج تيمورلنك، وأراد محمود شاه آخر ملوك آل تغلق أن يقضي عليه فلم يستطع لضغفه، فلما مات محمود شاه تزعم خضر على سدة الحكم، وبقي حتى عام ٨٢٤ هـ.

وخلفه ابنه مبارك شاه، وكان صالحاً، وقُتل بيد أحد الكفرة عام ٨٣٧ هـ، فتسلم السلطة بعده ابن أخيه محمد شاه من فريد الذي توفي عام

٨٤٧هـ، وخلفه ابنه علاء الدين الذي خرج عليه أحد كبار القادة، وهو جاكم (فيالبور) بهلول اللودي، فلما استعد علاء الدين، وخرج من دهلي إلى (بدايون) لملاقاته دخل بهلول اللودي دهلي، وتسلم السلطة، وبقي علاء الدين في بدايون حتى توفي عام ٨٥٥هـ.

٥- اللوديون (٨٥٥ - ٩٣٢هـ): وحكم منهم ثلاثة ملوك أولهم بهلول اللودي، وكان صالحاً محباً للخير، حكم ثماناً وثلاثين سنة، وخلفه ابنه نظام خان، وكان كأيه خيراً، وتوفي عام ٩٢٣هـ، وخلفه ابنه إبراهيم وتغيرت نفسه بعد أن آل إليه الأمر، فالتصل القادة والأمراء ببابر شاه التيموري فدخل البلاد، وتسلم زمام الأمر عام ٩٣٢هـ، وكان العهد المملوكي قد انتهى في ٩٢٣هـ.

٦- في كشمير:

أسس شمس الدين شاه مرزا أسرة حكمت كشمير مدة قرنين وربع ٧٤٤ - ٩٧٠هـ، وأصله من خراسان، جاء وخدم ملك كشمير اللودي، وأصبح وزير ابن الملك عندما آل إليه الحكم، وزوج امرأة الملك الذي توفي، وأرادت المرأة أن تغدر به فسجنها واستلم السلطة.

٣- في الهند:

تبع الولاة في الهند مركز الخلافة الإسلامية في دمشق، ثم في بغداد حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ثم تمكنت أسرة (سومرة) من السيطرة على الهند مدة قرن من الزمن، ثم جاءت بعدها أسرة (سمة) التي كان حكامها يخضعون لمولك دهلي، وقد يستقلون عنهم أحياناً.

ثم حكمت الهند أسرة (مستكان) التي بقيت في الملك حتى عام ٩٢٧هـ وجاءت بعدها أسرة (شاه بيك القندهاري حتى عام ٩٩٥هـ).

٤- في الملتان:

كانت البنجاب تتبع ملوك دهلي، فلما ضعف الحكم في دهلي بعد فيروز شاه من آل تغلق، بدأت حملات التار على البنجاب، فولى السكان

عليهم الشيخ يوسف عام ٨٤٧هـ، غير أن كبير الجند رفض هذا، وبقصر على الشيخ يوسف وسجنه، واستلم الأمر، ولقب نفسه (قطب الدين لنگاه) وحكم أبناؤه من بعده حتى دخل بابر شاه التيموري الهند فضم الملتان إلى بلاد الهند.

٥- في كوجرات:

كانت كوجرات تتبع ملوك دهلي، ثم استقل حكامها في أواخر حكم آل تغلق عام ٨١٠هـ. وكان أول حكامها المستقلين ظفر خان بن وجيه الدهلوي، وخلفه ابنه أحمد الذي أسس مدينة أحمد آباد كبرى مدن كوجرات اليوم، وتوارث الأبناء الملك، واصطدموا مع المستعمرين البرتغاليين، وقتل أحدهم عام ٩٤٣هـ، واستمرت السلطة بأيديهم حتى عام ٩٩٥هـ.

٦- في جاتبور:

كانت جاتبور تتبع دهلي، ثم استقل فيها خواجه جهان سرور عام ٧٩٦هـ في أيام محمود شاه آخر ملوك آل تغلق، وكان استقلاله ذاتياً، وتوفي عام ٨٠٢هـ، وخلفه مولاه (فرنقل) بناءً على عهد من خواجه جهان سرور، ولقب فرنقل نفسه مبارك شاه، وقطع الخطة عن آل تغلق، وتوفي ٨٠٤هـ، وخلفه أخوه إبراهيم، وكان صاحب دين وخلق، واصطدم مع حكام دهلي، وتوفي عام ٨٤٤هـ، وورثه أبناؤه، وانتهى حكم الأسرة عام ٨٨١هـ.

٧- في البنغال:

فتحت البنغال عام ٥٩٩هـ، وحكمها الخلفيون، واستقلوا فيها، ولكن وقع الخلاف بينهم وبين ملوك دهلي، فعادت تتبع دهلي عام ٦٢٤هـ.

وجاء التار إلى البنغال عن طريق التبت عام ٦٤٦هـ، فأخرجهم منها حكام دهلي. وعادت البنغال في تبعيتها إلى دهلي حتى عام ٦٦٤هـ حيث

خلع حاكمها طغرل طاعة ملك دهلي غياث الدين بلبن، وتوالى عليها الحكام، وأخيراً تجزأت، وحكمها حسين بن أشرف الحسيني وأبناؤه من بعده حتى عام ٩٤٥ هـ، ثم شيرشاه السوري.

وعادت إلى الوحدة على يد الحاج إلياس الذي تلقب باسم شمس الدين، واصطدم مع ملوك دهلي، وورثه أبناؤه من بعده حتى عام ٧٨٥ هـ، إذ كان آخرهم شمس الدين أيضاً ضعيفاً فغلب عليه أحد أمراءه من الوثنيين مدة سنتين، وتولى بعده ابنه الذي أعلن إسلامه وتسمى باسم جلال الدين. وتعدّد الملوك على البنغال، وكل من أصل يختلف عن أصل سابقه وعن أسرته.

٨ - في الدكن:

الدكن حوض وسط الهند تشغل أكثره، وولّى الأمراء الذين وصلوا إلى المنطقة عليهم إسماعيل الفتح الأفغاني، وجرت حروب بينهم وبين محمد شاه تغلق، فانتصروا عليه، وقادهم في تلك الحرب علاء الدين بهمنى الذي كان قد أقطعه محمد شاه تغلق بعض القرى في الدكن.

استولى علاء الدين على كل ما فتحه المسلمون في الدكن، وقاتل كيولا، وبعد أول من استعمل الوثنيين في الأمور العالية، وتوارث أبناؤه الحكم من بعده حتى ٩٣٤ هـ. وكان في الدكن عدة ممالك، ومنها:

أ - ملوك خانديس: استقل أحمد بن محمد العمري عن دهلي، وكان قد حصل على بعض الإقطاعات من فيروز شاه من آل تغلق ملك دهلي وذلك عام ٧٨٤ هـ، وأسس أسرة حكمت المنطقة حتى عام ١٠٠٩ هـ.

ب - ملوك مالوه: كان إقليم (مالوه) يتبع دهلي حتى عام ٧٩٦ هـ، إقام محمد شاه بن فيروز آل تغلق، حيث أعطى هذا الإقليم إلى حسين الغوري، ولقبه دولارخان، فلما ضعف الحكم في دهلي استقلّ فولارخان

في إقليم (مالوه)، وأسس أسرة حكمت الإقليم مدة خمس وثلاثين سنة من ٨٠٤ - ٨٣٩ هـ، وتوالى عليها ثلاثة ملوك.

وكان آخر ملوك أسرة حسين الغوري هو محمد شاه، وقد جعل الأمر لمحمود بن المغيث الخلجي، وانصرف هو إلى اللوه، فقتل الغوري، وتسلم الأمر الخلجي، وتوارث أبناؤه الحكم حتى تبع الإقليم إلى كوجرات عام ٩٢١ هـ.

ج - ملوك بيجابور: استقلّ عادل شاه عن الدكن عام ٨٩٥ هـ، ويقال إنه من بني عثمان الذين يحكمون الأناضول ونشر المذهب الشيعي، وبليت أسرتة تحكم الإقليم حتى عام ١٠٩٧ هـ، ولكن أحد ملوكها وهو إبراهيم بن إسماعيل، قد ترك الشيعة ورجع إلى الإسلام.

د - ملوك أحمد نكر: أسلم أحد البراهميين، وحسن إسلامه، فأطلق عليه الملك اسم نظام الملك، وأقطع ابنه أحمد الإقطاعات، وقُتل نظام الملك، واستقل ابنه أحمد بما تحت يده، وأسس مدينة نكر، وجعلها قاعدة حكمه عام ٩٠٠ هـ، واعتنق ابنه يرهان الشيعة، واستمرت هذه المملكة حتى عام ١٠٤٢ هـ.

هـ - ملوك كلكتة وحيدر آباد: ولّى ملك الدكن محمد شاه بهمنى (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) أحد شلمانه التركي الأصل منطقة (تلنكانه)، ولقبه قطب الدين. فقاتل البراهميين، وفتح المناطق، وأحسن صنعاً، ثم استقلّ بما تحت يده، وجعل (كلكتة) مقر حكمه عام ٩١٨ هـ، وأسس حفيده حيدرآباد، ونقل مقرّه إليها عام ٩٨٩ هـ، وبليت هذه الأسرة حتى عام ١٠٩٦ هـ.

و - ملوك برار: استقلّ في برار (عند الملك) عام ٨٩٢ هـ، وتوالى أبناؤها في حكمها حتى نهاية القرن العاشر.

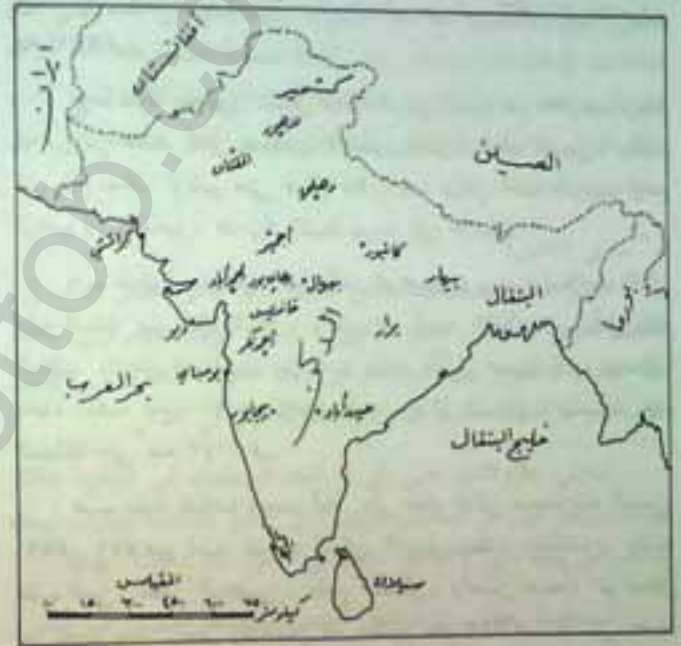
في العهد العثماني:

تُعرف التاريخ الإسلامي بالعهد العثماني منذ أن فتح السلطان العثماني مصر، وتنازل له الخليفة العباسي فيها عن الخلافة عام ٩٢٣ هـ، وحتى إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٣٤٢ هـ. وفي هذا العهد أربح نقاط بارزة في تاريخ الهند، وهي: ١- دخول الأسرة التيمورية واستلامها الأمر. ٢- الاستعمار. ٣- الثورة الإسلامية. ٤- الصراع بين المسلمين والهنداك.

١- الأسرة التيمورية:

كان أحد أحفاد تيمورلنك وهو محمد بابر شاه يحكم غزنة في بلاد الأفغان، بينما كانت الأسرة اللودية تحكم دهللي، وكان أفراد منها بعضهم على خلاف مع بعض، وتمكّن أحدهم وهو إبراهيم أن يتصر على منافسيه، فأظهره له الطاعة، واتصلوا مع محمد بابر شاه (ظهير الدين)، وطلبوا منه السير إلى الهند، فلبى الطلب، ودخل لاهور عام ٩٣٠ هـ، واشتبك مع قوات إبراهيم اللودي التي يقودها بنفسه في معركة طاحنة قُتل إبراهيم فيها، وتقدّم ظهير الدين، وجعل مقرّ حكمه مدينة (الغره) وذلك عام ٩٣٢ هـ.

وقف في وجه ظهير الدين محمد بابر شاه الراجبوت وأمره اللوديين، وأعلن محمود خان أخو إبراهيم نفسه سلطاناً، وشكّلوا حلفاً ضدّ ظهير الدين، فأعلن الجهاد ضد الكفرة من براهميين وغيرهم ومن يتعاون معهم، وبدأ بنفسه فأعلن التوبة من المعاصي، فأطاعه الناس، وحارب خصومه وانتصر عليهم، وبعدها أعلن التسامح الديني كي يتمكن من فرض السيطرة، وتوالى أبنائه في الحكم من بعده، وأخذ حفيده محمود جلال الدين (أكبر شاه) السلطة وحاول أن يوجد ديناً جديداً مزيجاً من الإسلام والبراهمية والبوذية والزراداشية ليتمكن من حكم الهند، ورأى أن يكون الدين كالملة التي انتشرت أيام المغول، وهي لغة الأردو، التي هي مزيج من التركية، والفارسية، والعربية، وبعض الكلمات الأجنبية، وذلك عام ٩٨٦ هـ، بل



الإنكليز منافسين لهم، وأسسوا شركة تجارية تتعامل مع الهند مباشرة، وحملت أسماء متعددة في البداية، ثم عُرفت باسم شركة الهند الشرقية، وتعلّب الإنكليز على منافسهم البرتغاليين والهولنديين الذين كانوا يصنعونهم من اللؤلؤ إلى الداخل، فلما انتصروا نزلوا في مدينة (مدراس) وتوغّلوا إلى داخل الهند.

وجاء بعد ذلك الفرنسيون، وساروا على منوال من سبقهم من الصليبيين، وأسسوا شركة تجارية فرنسية، وعملت الشركات الاستعمارية كلها على شراء الأراضي وبناء الحصون إذ كانت المنافسة بينها قوية، وأخيراً تمكّن الإنكليز من الغلبة والسيطرة على الهند، ولكن بقي للهنالك مملكتان مستقلتان في الشمال، في سفوح جبال هيمالايا، هما: نيبال، وبوتان.

وبقيت ثلاثة مراكز للبرتغاليين على الساحل الغربي هي: دامان شمال بومباي، وجزيرة ديو، وغوا، ومساحتها كلها ١٨٠٠ كيلومتر مربع.

وبقيت للفرنسيين أربعة مراكز، وهي: بونديشيري، (وغندونكر) قرب كلكتا، ونيوان، وكاريكال قرب الرأس الجنوبي.

أما المسلمون فلم يبق لهم سلطة الاسمية حيث يوجد لهم عدد من الممالك والإمارات، وأبرزها المملكة المغولية في دلهي، وممالك كوجرات، والدكن، والبنغال.

٣ - السياسة الاستعمارية:

أخذت شركة الهند الشرقية تغلّب البضائع من الهند إلى أوروبا، فلما تمّ الانقلاب الصناعي، في أوروبا صارت تغلّب الصناعات من أوروبا إلى الهند، وهذا ما دعاها إلى فتح أسواق جديدة لها في الداخل، وفي الوقت نفسه كانت تفرض سيطرتها على السواحل وتتفانى على سفن غيرها ضرائب معينة، وانقلبت التجارة إلى استعمار. وتبدّلت ملكية الشركة من أفراد إلى الدولة البريطانية، وتبعث الهند إلى الحكومة مباشرة.

وظنّ البرتغاليون التصاري أنه بإمكانهم تحويله إلى الديانة النصرانية، غير أنهم لم يستطيعوا ذلك، وكان قد وضع معلماً منهم لولده سليم. وقد أمر بمنع ذبح الأبقار، والسماح بالزواج من البراهميات وزواج البراهميين من المسلمين. ولما تولّى السلطة (محيي الدين محمد أورتكيز عالمكين) عام ١٠٦٩ هـ عمل على تدوين الفقه، وأبطل ما ابتدعه (أكبر شاه)، ووضع ملكه، وكان صالحاً، غير أن ابنه من بعده (قطب الدين محمد معظم بهادور شاه) قد اتخذ الشيعة مذهباً له، وعظمت قوة السيخ والهندوك في عهده، وأخذت الدولة تميل نحو الضعف، ثم أخذت تستقل المقاطعات، إذ استقلت الدكن، وسيطر السيخ على البنجاب، وغلب المهراتتا على كوجرات، واستقلت (أوده) بين بهار وقنوج، وانفصلت البنغال.

وكان آخر ملوك الأسرة التيمورية (بهادور شاه) ويكسى أباً ظفر، وفي أيامه حدثت الثورة عام ١٢٧٣ هـ.

٢ - الاستعمار:

في الوقت الذي كانت الدولة التيمورية تُسيطر على الهند كان المستعمرون الصليبيون يصلون إلى السواحل الهندية. لقد وصل البرتغاليون إلى سواحل الهند الغربية، وأقاموا بعض المراكز فيها، وانتصروا على الأمراء المسلمين وعلى حلفائهم من المماليك الذين استجدوا بهم، ولكن أمراء المسلمين عانوا فاستجدوا بالعثمانيين الذين حلّوا محلّ المماليك في حكم مصر، وسواحل البحر الأحمر، وانتصر العثمانيون على البرتغاليين غير أن أمراء المسلمين في الهند كانوا على خلاف بعضهم مع بعض، فاستعان جانب منهم بالبرتغاليين ضدّ الجانب الآخر، كما ظنّ بعض أولئك الأمراء سوءاً بالعثمانيين، ومنعوا عنهم المؤن فاضطروا إلى المغادرة، وسيطر البرتغاليون على بعض المراكز، ثم فرضوا سيطرتهم على المحيط كله، وأصبحت التجارة بأيديهم.

وجاء الهولنديون أيضاً إلى المنطقة ورفعوا أسعار التوابل، وتبعهم

الإدارية، ولتقوى بهم على المسلمين، أو ليفرضوا المسلمين بهم، واستولوا على أحسن أراضي المسلمين بشئ الوسائل فانتشر الفقر بين المسلمين بعدها، وعنت الإرساليات التبشيرية في سبيل تعليم الهندوس، وتصيرهم، ليكون التصاري الجدد وسيلة حكم المستعمرين، والأداة لتنفيذ المخططات الصليبية.

ونتيجة انتشار الجهل والفقر فقد انخرط أعداد من المسلمين في صفوف القوات الإنكليزية، وكانوا ضباطهم من البريطانيين يهينونهم، ويذلونهم، وسخرون منهم.

وأحسن المسلمون بما يُدبر لهم فقاموا بالثورة عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م).

٤ - الثورة:

رفض بعض الجنود تنفيذ أوامر الضباط باستخدام الشحم المأخوذ من الخنزير لصيانة البنادق حيث أشاع الإنكليز أن هذا من باب التحدي، فأخذوا إلى السجن قتال إخوانهم، وعملوا على فككتهم، وهجموا على الضباط الإنكليز، وقتلوا أحدهم، وفرّوا باتجاه دهلي إلى دار الملك المغولي سراج الدين أبي قفر بهادور شاه، وكان قد تجاوز الثعنين من العمر، وعدوه ملك البلاد الحقيقي، وانتقلت أخبار هذه الحادثة إلى البلاد كلها، فاشتعلت الثورة، وأشعلها في شمال دهلي (إمداد الله)، فطلب الإنكليز النجدة فجاءتهم، وسارت الجيوش إلى دهلي، وحاصرتها عدة أشهر ثم دخلتها، وقبضت على آخر ملك مغولي، وهو سراج الدين أبو ظفر بها دورشاه، وعلى أسرته، وقتلت أبناءه أمانه، وعملت له وجبات طعام من لحمهم إعلاناً عن الشفقي والحنق الصليبي. وحملت إلى عاصمة بورما (رانغون) حيث بقي هناك حتى توفي عام ١٢٧٨ هـ، وألغيت الدولة المغولية.

انتهت الثورة عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م)، وأعلنت إنكلترا انتهاء

وجدت إنكلترا أن المسلمين هم حكام الهند ولعمالكهم قوة، وإماراتهم جيوش وحتى يمكنها السيطرة التامة على الهند فلا بد من محاربة الحكام، أو لا بد لهم من محاربتها إذا أخذت تتصرف دون الاهتمام بهم، لذا أعلنت تعامل مع البراهميين وتقرّبهم إليها وتقرّب منهم، وتدعمهم، وترفع من الروح المعنوية لديهم، وخاصة أن هناك عامل لقاء بين الإنكليز والبراهميين فكلاهما يحقد على المسلمين، الإنكليز يحقدون حقداً صليبياً، ويريدون انتزاع حكم الهند منهم، والبراهميون يحقدون حقداً دينياً ويريدون أخذ السلطة منهم.

أخذ الإنكليز بما لديهم من قوة عسكرية، ومن قوة مادية يصفطون على المسلمين، وشعر المسلمون بالخطر وأرادوا الوقوف في وجه هذه السياسة، وحصل القتال بين الطرفين في جهات كثيرة، ووجد الإنكليز الهناك ضمن قواتهم، وقع قتال بين حاكم البنغال سراج الدولة وبين القوات الإنكليزية، فانتصر في بداية الأمر سراج الدولة، ودعمه الفرنسيون منافسة للإنكليز الذين لجأوا إلى الحيلة وشراء النفوس فانتصروا أخيراً مع أن ملك دهلي قد سدد سراج الدولة، وتمت سيطرة الإنكليز على البنغال، وأوريسا، وبيهار.

وجرى قتال بين السلطان تيبو (تيسو) ملك (ميسور)، وبين القوات الإنكليزية، فهزم تيبو وخسر كثيراً من أملاكه، وأعاد الكرة فانتصر، ولجأ الإنكليز إلى الحيلة فانتصروا. وهناك ثورة أحمد عرفان الشهيد في البنجاب عام ١٢٤٢ هـ واستمرت حتى استشهد عام ١٢٤٦ هـ.

وأخذ الإنكليز السواحل الشرقية (كروماندل) بالدعاء والشراء، وسيطروا على الهند جزءاً بعد آخر بوسيلة من الوسائل. ولما تمت سيطرتهم أخذوا يتعوم سياسة خاصة إذا استولوا على أوقاف المسلمين التي كانت المصدر الوحيد لتمويل الكتائب، فتعمّلت الكتائب، فانتشر الجهل، وفي الوقت نفسه صنع الإنكليز في تعليم الهندوس ليسلّوا بهم بعض المراكز

حكمت شركة الهند الشرقية، وهذت بلاد الهند من أملاك التاج البريطاني، بتصرف بها كيف يشاء. وعد الإنكليز المسلمين سبب الثورة والمخطفين لها لذا فقد صبوا غضبهم عليهم، فصادروا أملاكهم، وهدموا مساجدهم، أو جعلوها مكاتب للحجش، وشردوا الناس، ورحب الهندوس بهذه الجرائم بل شاركوا فيها، وعدوها ثأراً من المسلمين، وتسلموا الوظائف، واشتروا الأراضي، وحصلوا على الثروة، وكان السياسة البريطانية بالأصل تعمل على تقريب الهندوس وإبعاد المسلمين، وقد جاء الآن صراحة بعد أن كان ضمناً بعد الثورة:

أصبحت الهند كلها تحت السيطرة الإنكليزية ومع ذلك فقد بقيت بعض الإمارات تحت سلطان المسلمين أو الهندوس، ولم يكن الأمير سوى مفوض يدير الشؤون الداخلية، أما شؤون الدفاع، والمالية، والشؤون العامة، ومناهج التعليم، والفضايا الخارجية فكلها بيد السلطات الإنكليزية. وبقي بعض هذه الإمارات على هذه الصورة حتى تم التخصيم عام ١٣٦٦ هـ. ومن هذه الإمارات وحيدر أباد، في السند، ودهووال، في السند أيضاً، وجوناكدا، في كوجرات.

وقام بعض المسلمين يريدون سد الثغرة التي حصلت وأدت إلى تأخر المسلمين فدعوا إلى التعليم، وحاول بعضهم تقليد الغرب والتقرب من الإنكليز لينالوا عندهم الحظوة مثل أحمد خان الذي أنشأ جامعة (عليكوه) وأنس جريدة (تهذيب الأخلاق)، وعمل آخرون بمقتضى الإسلام، دون تأثر بالظروف التي يحيونها، وقد تأسست ندوة العلماء، ودار العلوم التابعة لها عام ١٣١١ هـ في مدينة (لكنو).

وقامت بعض الحركات التي رفعت لواء الإسلام مثل ثورة جعفر ويحيى عام ١٢٨٠ هـ، وثورة شيخ الهند محمود الحسن عام ١٣٣٨ هـ، وقد دعا إلى مقاطعة جامعة عليكوه، ومقاطعة الإنكليز. وقد عمل الإنكليز لتهديم الإسلام في اتجاهاين:

الأول: نشر الفكرة القومية المخالفة للإسلام وذلك كي يفسح المسلمون بين الهند. وقد حمل هذه الفكرة متفاعد إنكليزي مقيم في الهند يدعى (آلن هيوم) حيث دعا إلى إنشاء جمعية وطنية يحمل أبنائها مطالب الهند إلى الحكومة البريطانية ليحشاها، وتبني هذا الموضوع نائب الملك في الهند (دوفرين)، وعمل على إخراجها لتكون في يد الحكومة وذلك أفضل من أن تتيق من خلال الشعب، وبدأت أول اجتماع لها في مدينة بومباي عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، وحرص الإنكليز أن يكون فيها بعض قادة المسلمين. وتأسس حزب المؤتمر الوطني الهندي، ودخله الهنود، كما دخله المسلمون بل إن بعض الهيئات الإسلامية قد اندمجت فيه مثل جمعية العلماء، ومؤتمر المؤتمين الهنود، ومؤتمر الشيعة، وأبدى الحزب في أول الأمر احترام شعور المسلمين، ولكنه أظهر فيما بعد عكس ذلك حيث أخذ ينادي بإخراج الغريباء من الهند، ويعد المسلمين غريباء كالإنكليز، ولم تكن المتناداة بإخراج الإنكليز إلا لإظهار الوطنية كي يلقى التأييد الشعبي، وإبراز التحرر من الوصاية الإنكليزية.

ولما رأى الهندوس أن المسلمين ضعفاء بسبب السياسة الإنكليزية بدأ التطرف عندهم حتى أخذ قلاتهم يدعون إلى قتل كل من يظهر ميلاً نحو المسلمين أو يحاول مسايرتهم من الهندوس. وهذا ما جعل المسلمين يتكشون عن الهندوس ويلتفت بعضهم حول بعض، وظهر تجمع خاص لهم، أو هكذا رأت إنكلترا أن يكون تنظيمان في البلاد بنافسان، وتستفيد هي من كلا التيارين، إذ ينقسم المسلمون فيما بينهم فبعضهم يفي داخل حزب المؤتمر الهندي، وآخر يخالفه ويستند أشد الانتقاد، وترى الدولة المستعمرة من ناحية أن المسلمين لا بد من أن يتجمعوا فالأفضل أن يلتقوا تحت قيادة غير ملتزمة إسلامياً، وإنما تكفي بالمحافظة وحرصاً على المصلحة والقيادة من أن تجتمع حول علماء يدعون إلى الترية، ويعلمون الجهاد، ويقاتلون المستعمرين بضراوة، ويؤثرون على الهندوس فيشؤونهم

نحو الإسلام، وعلى هذا عملت إنكلترا، وأخذت تجرّ المسلمين نحو هذا الخط، وتعمل على إبراز غير المعتادين منهم.

قَسَمَت إنكلترا مقاطعة البنغال إلى قسمين شرقي وشرقي عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) على أساس ديني.

وعارض الهندوس هذا التقسيم إذ فقدوا حسب رأيهم السيطرة على ولاية مهمة، وعمّ الحزن دورهم، وتعاهدوا بعدم الطبخ في منازلهم دلالة على غضبهم، واجتمع خمسون ألفاً منهم عند صحن (كالي) إله التدمير - حسب عقليتهم - وتعاهدوا على مقاطعة البضائع الإنكليزية.

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) طالب المسلمون بإجراء انتخابات منفصلة، وترك الانتخابات المشتركة، وذهب وفد منهم لمقابلة نائب الملك في مقرة الصفي في (سيملا). وقد سُرّ المسلمون بتقسيم البنغال.

وفي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) أُلْمِي تقسيم البنغال على لسان الملك جورج في حفلة تويجه امبراطوراً في مدينة دلهي. فعبد الهندوس.

عقد المسلمون اجتماعاً في مدينة (دكا) في البنغال الشرقية عام ١٣٢٤ هـ برئاسة (النواب فخار الملك) ونتيجة هذا الاجتماع تشكل حزب والرابطة الإسلامية، وبدأ الخلاف بين الحزبين، حزب المؤتمر الوطني الهندي، وحزب الرابطة الإسلامية. واختلف المسلمون بعضهم مع بعض إذ أصدرت جامعة (عليكوه) فتاوى بحرمه الانضمام إلى حزب المؤتمر، وأصدر (عبدالقادر اللدهياتوي) فتوى بعدم حرمه الانساب إلى حزب المؤتمر، ووقع على هذه الفتوى بعض العلماء. وبقي بعض أعيان المسلمين في حزب المؤتمر أمثال محيي الدين أحمد (أبو الكلام آزاد)، وأنشأ مجلتي الهلال، والبلاغ، وذاكر حسين، كما كان فيه محمد علي جناح.

الثاني: العمل على إنشاء فرق ضالة تدمي الإسلام في سبيل تهديم العقيدة. لقد شجعت إنكلترا مرزا غلام أحمد القادياني على إحياء ما دعا

إليه الملك المغولي (أكبر شاه)، فأنشأ القاديانية، وكتب البراهين الأحمدية. وأدعى عام ١٣٢٢ هـ أنه المهدي المنتظر. وأعلن أن الإنكليز هم أولو الأمر فيجب طاعتهم، ولا يصح الخروج عليهم، كما لا يصح الجهاد ضدّهم، وعمل على التوفيق بين الأديان، فأدعى أنه يتفحص روح السيد المسيح عليه السلام، وروح الإله (كوشنا) رب الخير عند الهندوس، وتوفي مرزا غلام أحمد عام ١٣٢٦ هـ، وانقسمت جماعته من بعده إلى قسمين:

١ - الأحمدية: وتدعي أنه كان رجلاً مصلحاً.

٢ - القاديانية وتقول بنبوته، وكلاهما كاذب، ودعوه الإنكليز بكل إمكاناتهم، ولا يزالون يدعمون أتباعه في كل مكان.



الباب الأول

الهند

من إلغاء الخلافة حتى التقسيم

١٣٤٢ - ١٣٦٦ هـ

١٩٤٧ - ١٩٤٤ م

لعل المشكلة الرئيسية فيما أصاب المسلمين في الهند في الماضي وما يصيبهم في الحاضر إنما يرجع إلى نقطة رئيسية وجوهريّة ألا وهي عدم تطبيق الإسلام.

يقضي الإسلام ألا يترك أتباعه في البلدان التي يحكمونها من الناس مُشركين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى، ويندرج تحت اسم مشركين: الوثنيون جميعاً الذين يعبدون المخلوقات من البشر أو الحيوان أو الجماد، ومن هؤلاء لا شكّ الهندوس الذين يعبدون براهما، والبوذيون الذين يعبدون بوذا، وما تفرّع من هاتين الديانتين وما شابههما، أي لا يسمح بالإقامة في دار الإسلام إلا للمسلمين وأهل الكتاب وما يتبعهم من مجوس، وهذا من تجده في جميع البلدان التي فتحوها، ودانت لهم في الحكم في الفتوحات الأولى التي تمت في صدر الإسلام أيام الخلفاء الراشدين، وفي عهد بني أمية. أما بعد ذلك فقد ضعفت الدولة الإسلامية، ومع ضعفها ضعف تطبيق الشريعة، وتساهل الناس في الأحكام، وعملوا على تسيير شؤون الدولة حسيماً تقتضي مصالحهم. ونلاحظ ما حدث في الهند:

١- لم يستقر العرب في الهند أيام الغزوات الأولى، ويوم فُتحت السند على يد محمد بن القاسم الثقفي، كما لم يستقر أولئك الذين فهموا الإسلام فهماً جيداً، وإنما حكموا الهند، وضاع أولئك الذين أقاموا هناك مؤقتاً لمصلحة رعاية شؤون الدولة، وكانوا قلّة أمام الأعداد الكبيرة من

الهند سكان السند، فضاخوا بينهم، غير أن استمرار الغزو، وقدوم الكثير من المسلمين إلى الشرق، ومجاورة الأجزاء التي يحكمها المسلمون قد جعل انتشار الإسلام بعمّ معظم السند والبنجاب، أو ما يعرف اليوم باسم باكستان.

٢- أن معظم المسلمين الذين استقروا في الهند كانوا من حديبي العهد بالإسلام، فلم يعرفوا دينهم حقّ المعرفة، ولم يعملوا على تطبيقه، بل لم يكن الأمر بأيديهم.

٣- أن الهنود الذين دخلوا في الإسلام لم يُربوا تربيةً إسلاميةً صحيحةً من قبل الأشخاص الذين يعرفون الإسلام جيداً، فبقوا على كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية.

٤- أن الحكومات الإسلامية التي حكمت الهند لم تكن تستند على الشريعة، ولا لتحكم بما أنزل الله، وإنما همّها الحكم والسيطرة، ولما كانت أكثرية الرعية من الهندوس لذا فإن أكثر الحكام كانوا يعملون على إرضائهم ومسايرتهم، بل نلاحظ أن بعضهم قد عمل على إيجاد دين مختلط من الإسلام والهندوسية، فحرّم ذبح البقرة وسمح للمسلمين بالزواج من الهندوسيات، وللهندوس بالزواج من المسلمات، كما أباح الخمر. كل ذلك في سبيل إرضاء أكثرية الرعية التي هي من الهندوس وذلك كي يستقر له الوضع، ويبقى له السيطرة، وذلك كما فعل الحاكم المغولي (أكبر شاه) وغيره من حكام المقاطعات، بل إن ديانات وجدت من هذا النوع كالسيخ في منطقة البنجاب، والقاديانية، التي قامت تحت تأثير الحكام الإنكليز، وبإشرافهم وغيرها ولا تزال هذه الديانات قائمة إلى اليوم، ولا يزال الإنكليز يراعون أتباع القاديانية داخل الهند وخارجها.

٥- أن كثيراً من العلماء الذين جاؤوا إلى الهند من علماء ومشايخ بلاد ما وراء النهر وبلدان شرقي الخلافة كانوا مولعين بفلسفة اليونان وعلومهم أكثر من اهتمامهم بدراسة القرآن وعلومه، والسنة.

٦- أن الذين دخلوا الهند من المتصوفة الذين يقولون بالحلول ووحدة الوجود كانوا كثيرين، وهم على شيء من متصوفة الهندوس الذين يقولون بالحلول، وهذا ما دعا قبول هذه الفكرة لدى الهندوس والإقبال عليها فدخلوا بالإسلام وتسمّوا مسلمين على هذا النوع من الإسلام الاسمى، والكفر الحقيقي، وهذا قد ساعد على انتشار الفرق الضالة أيضاً كالإسماعيلية والرافضة، بل إن بعض الحكام قد اعتنق الرفض وسعى على نشره، فكثرت نسبة أتباعه.

٧- جهل أكثر الناس اللغة العربية بسبب أصولهم غير العربية من ترك، ومغول، وفرنس، وأهم من ذلك عدم تمسّكهم بالإسلام الذي يحثهم على تعلّم العربية التي هي لغة القرآن والسنة. وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في الهند، فكانت ألفاظ القرآن تترجم، والترجمة لا تعطي في كثير من الأحيان الغاية المرجوة، ولا تُؤتِي الهدف المقصود.

٨- بلغ من اشتغال الحكام بالحروب أنهم لم يستطيعوا في الغالب أن يحفلوا بالعمل لنشر الدعوة وتطبيق الإسلام، وإنما كان جلّ تفكيرهم يتصرف إلى فرض الضرائب، وإرضاء الرعية، وعدم إثارة مشاعرها الدينية الهندوسية.

٩- كان المسلمون يفتحون المناطق، ويتركون الشعب حرّاً في معتقده دون تبيان الحقيقة، وإظهار مقاصد الشريعة، والمساواة. ولم يعمل المسؤولون على نشر الإسلام.

١٠- دخول الناس بالإسلام كان يتمّ وراء منفعه أو بالإكراه، كما كان يحدث في بعض الأوقات على أيدي بعض الحكام، وتعل السلطان ديبو هو أحد الحكام المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مهمّة تحويل الناس إلى الإسلام بالقوة، وهؤلاء الحكام قلّة، وهو أحدهم. ففي سنة ١٢٠٣ هـ أذاع السلطان ديبو المنشور التالي على أهالي (مليان): وبعد انقضاء أربع وعشرين سنة على غزو بلادكم، لا تزالون على عصيانكم

وتعزدهم، ولا زالت مصدر الفلق والاضطراب، وفي الحروب التي نشبت في خلال فصلكم المعطر، كنتم أنتم السب في استشهاد كثير من جنودنا، ولكن هذا، فإن ما فات مات، وإني مستعد لأن أتأسى الماضي، وقد جان الوقت الذي يجب أن تعدلوا عن خطئكم، وتلزموا السكينة والهدوء، وتؤدوا ما عليكم من غرائب كما يفعل الرعايا الأحرار، وما دامت المرأة فيكم لا تفتح برجل واحد، بل تعاشر عشرة رجال، وما دعمت تدرون أمهاتكم وأخوانكم ينغمس في حماة الرذيلة، فإن جميع الناس يولدون من سفاح، وما دعمت في علاقاتكم أكثر قحة من الوحوش الفطرية لذلك لرى لزاماً علي أن أنهاكم عن هذه العادات الأثيمة، وأنصح لكم أن تكونوا كسائر البشر. وإذا عصيتم أمرى، وعالفتن عن نصحي، فقد أمنت قسماً حقاً غير حاث فيه ولا أتم أن أحملكم على الصراط المستقيم وأن أهلكم شرف الإسلام أجمعين، وأن أسوق جميع عظماكم كيركم وصغركم.

وقد أشعل هذا المنشور نار الثورة في (مليان). ففي مستهل عام ١٢٠٤ هـ أعد دثيو جيشاً جراراً يتألف من عشرين ألف مقاتل لتضيد هذا المنشور بالقوة. وأصدر أوامر عامة: بأن كل شخص في هذه المقاطعة يجب أن يشرف بالدخول في الإسلام من غير تمييز، وأن دور الذين يقرؤن تخلصاً من هذا الشرف يجب أن يحرقوا وأن يفتى أسرهم حتى يصلوا إلى مكانهم، يجب أن تستعمل وأن تستخدم كافة وسائل الصدق والشفاق، والقوة أو الخداع في حملهم جميعاً على تغيير دينهم، وعلى أثر ذلك امتحن آلاف الهندوكيين، وحملوا على أن يأكلوا لحم البقر. على أن الجيوش الإنكليزية لم تلبث أن قضت على ما بقي من قوة للسلطان وتيبوه عام ١٢٠٥ هـ، واستشهد هذا الحاكم في مستهل عام ١٢١٤ هـ على أيدي الإنكليز الذين تمكنوا من السيطرة على البلاد بعد ذلك. وأنكر معظم البراعة والثار الدين الإسلامي ورفضوه، وعادوا إلى دينهم القديم^(١).

(١) الدعوة إلى الإسلام - الترجمة - الطبعة الثالثة عن ٢٩٣ - ٢٩٤.

ومن المعلوم عدم قاندة تحويل الناس إلى الإسلام عن طريق الإكراه إذ لا يلبث الناس أن يعودوا إلى دينهم القديم بعد زوال السب كما رأينا أيام السلطان تيبو، ولعل هذا السلطان قد اتخذ هذه السبيل عندما وجد المستعمرين الصليبيين يتدخلون في شؤون البلاد، ويتخذون من الهندوس غبطة لعدال المسلمين، فأراد أن يقطع الطريق عليهم، ويقضي على كل من يحتمل أن يكون عميلاً لهم.

١١ - لا يعني هذا أبداً أنه لم يكن هناك علماء أجلاء، ورجال بررة، ومربون صادقون، ودعاة مخلصون من الهند المسلمين وغيرهم... لقد كان هناك كثيرون عملوا في الدعوة ونشر الإسلام، وخدموا العلم بما قدموا من بحوث ودراسة، ونصحوا الحكام. وكان هناك كثيرون عملوا في الدعوة ونشر الإسلام، وخدموا العلم بما قدموا وبذلوا جهودهم، وأخلصوا له غير أن القلة تضيق في ذلك الموج الزاخر من السكان... ومن المعلوم أن عدد الهند اليوم يزيد أكثر من أربع مرات ونصف المرة على عدد العرب جميعاً... لذا فإن المسلمين كانوا قلّة وسط ذلك المحيط الهندي.

كان على المسلمين أن يفتحوا منطقة إثر منطقة، فإذا هيأوا أمورهم في الأولى، وطبقوا الإسلام حتى لم يبق من سكانها إلا من يجب أن يبقى - كما ذكرنا - من مسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والمجوس - إن وجدوا - وكان المسلمون أخوة، وكتلة واحدة، واعين للإسلام، عارفين لمهتهم في الحياة انطلقوا إلى منطقة ثانية حتى يتتوها من الهند، فلو فعلوا ذلك لعم الإسلام الهند من ذلك اليوم، ولاختفت تلك الديانات الوثنية الدينية التي يَصُور بعض مظاهرها منشور السلطان دثيو لو حدث ذلك لما عانى المسلمون اليوم ما يعانون من أصحاب تلك الديانات.

وهذا شأن كل البلدان التي دخلها المسلمون وقت الضعفاء، في ماليزيا، وأندونيسيا، والفلبين، وبلدان إفريقية غير العربية، حيث دخلوا قلّة، أو انتشر الإسلام تدريجياً، ولم يكن الحكم بالإسلام، ولم تكن

الصراع في الهند

لما أحتسّ الهنودوس بضعف المسلمين بعد أن زالت سلطتهم، وأصبحت القوة بيد المستعمرين الصليبيين من الإنكليز الذين يحقدون على المسلمين، ويعملون على إضعافهم، ويقرّبون الهنودوس في سبيل هذه الغاية عندها أعلن الهنودوس حربهم على المسلمين، فقد قام حزب سياسي إسلامي في مدينة (لكننو) عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) فقاومه الهنود فاتتهن، وتمثّلت هذه العداوة وخطوطها الرئيسية فيما نشره أحد الثوريين الهنودوس المدعو (هارديال) في جريدة (بارتاب) التي كانت تصدر في لاهور أيام الحكم البريطاني، وقال (هارديال): إن مستقبل الجنس الهندي وهندستان ويتجلب يقوم على أربع دعائم وهي:

- ١ - سانكاثان: أي الوحدة.
 - ٢ - الراجا: أي الإله الهندي ورام وراجاه ومعناه وحدة العقيدة وإجبار السكان كلهم عليها.
 - ٣ - شوندي: أي إرجاع المسلمين الهنود إلى عقيدة الهنودوس.
 - ٤ - دخول أفغانستان ومناطق الحدود ورة أهلها عن الإسلام.
- وتابع (هارديال) يقول: وما لم يتم الهنودوس بتحقيق هذه الاعتبارات الأربعة فسبجاه لولادنا وأحفادنا خطراً دائماً، ولن تكون سلامة الجنس الهندي مضمونة.
- وأخذ جماعة الهنودوس يثيرون أبناء عقيدتهم على المسلمين، غير أن

لتطبيق أحكامه، ولو تمّ الحكم باسم الإسلام لما أمكن تطبيقه لضعف السلطة، وعدم التطبيق في أي مصر حتى تعرف روح الإسلام، وصلاحيته بصورة صحيحة واقعية. فالمسلمون في هذه المناطق يعيشون بين وثنيات كثيرة، وتجد أنواعاً من الشرك غريبة، حتى ليتأثر أحياناً المسلمون ببعض هذه المظاهر ويرونها عادية، بل غذا بعضهم يُفْسرون الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ تفسيراً بعيداً عن معناها، ويبرزون من هذا المعنى وجود هذه الوثنيات، والواقع أن هذا لم يكن لو لم يكن الضعف قائماً، حيث لا نجد مثل هذه الوثنيات في البلدان التي دخلها المسلمون في عصر الفتوحات الأولى أيام الخلفاء الراشدين ونبي أمة، أما عندها ضعفت الدولة الإسلامية، ودخل المسلمون في تلك الأيام منطقتاً لم يستطيعوا إلزام أهلها على ترك وثنيتهم وشركهم نتيجة الضعف، وعدم وجود سند لهم قوي، فالخلافة الإسلامية إن كانوا يرتبطون بها ضعيفة، وإن لم يكونوا على ارتباط بها فحكومتهم أكثر ضعفاً وأقلّ حنذاً. وهنا نرجع إلى قول حكيم بن حيلة العبدي الذي قال لعثمان بن عفان، رضي الله عنه، عندما طلب منه وصف الهند إن قلّ فيها الجيش ضاعوا وإن كثروا جاهاوا...

أما الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ فهي محصورة في المسلمين وديانات أهل الكتاب وما يشعهم من الممجوس، أي في طريقة عبادة الله الواحد الأحد، واتباع أحد أنبياء الله. هذا مع إقرارنا وإيماننا بأن ديانات أهل الكتاب قد حُرّفت ودخلها الكثير من الوثنيات والضلالات. أما لا إكراه في اتباع الشرك والضلالات فهذا غير وارد أبداً، ولو ورد على الذهن لم تكن هناك من مُهمّة للمسلمين في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولما فُرض الجهاد، ولما أُجذبت الدعوة، وإنما ترك الأمر كيفما يسريد الطغاة والكفار. وهذا ينافي الفكر الإسلامي.

بعض قادتهم ومنهم غاندي^(١) كانوا يخشون من المسلمين لما يعرفونه عنهم من قوة وشجاعة ونفسية لارتفاع معتوياتهم وإيمانهم العميق بالإسلام، وأن قتل الفرد منهم نصر وحيارة على أمر عظيم وهو الشهادة في سبيل الله، وهي أول عوامل دخول الحق، وهي الفوز الحقيقي، لذا كان غاندي يظهر بالمظهر المعتدل، ويؤيد أنه مؤيد لبعض مطالب المسلمين ليكسب بعض عناصرهم، وليحصل على تأييدهم، ويكون مركزه على شيء من القوة، وعمل الإنكليز على إعلاء مكانته بالدعاية له، ورفع مركزه، ونتيجة هذا وبعض مواقفه الظاهرية إلى جانب المسلمين، فقد صدق بعض المسلمين المغفلين ما يقال عنه، وانطلقوا يرددون ذلك جهلاً وغفلة، هذا إضافة إلى موقف العلمانيين بين المسلمين الذين يريدون كسب موقف لهم بأن الدين ليس له من قيمة كبيرة - حسب زعمهم - فهذا غاندي يقف إلى جانب المسلمين أنه هندوسي، والهندوس في صراع مع المسلمين. ولهذا حدث

(١) غاندي: موهانداس كارامشاند غاندي ولد في ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٨٦ هـ - ٢٦ تشرين الأول ١٨٦٩ م) ببلدة (بورهندار) كان أبوه من رجال الإدارة، أوفده إلى إنكلترا حيث درس القانون بجامعة لندن، ورجع إلى الهند عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) وبعد عامين انتقل إلى جنوب إفريقيا، واشتغل بالمحاماة في مدينة جوهانسبرغ، ثم عمل عضد الفرقة العنصرية، وأثناء حرب البوير نظم فرقة من الهنود هناك للعمل مع الصليب الأحمر، وفي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) نظم مظاهرة ضد القوانين العنصرية، وسافر إلى لندن عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، حيث نظم وحشد إسماع هندية. ولكن رجع إلى الهند ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م)، وبعد الحرب قام بحركة عدم التعاون وسبب المظاهرات، ثم مقاطعة الضائع وإحراقها في بومبي، ثم تنظيم العصيان المدني، وحكم عليه ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) بالسجن في أحمد آباد مدة ست سنوات، وفي عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) قاد مظاهرة كبرى إلى البحر لمعارضة قانون احتكار الملح، فسجن عنفاً في (بونا)، وخرج ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، ثم قاد العصيان المدني فسجن مدة سنتين، ثم أخذ بوجه سياسة حزب المؤتمر واختاره أحد فلاة الهندوس في ملهى في ١٩ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨ م).

لغاندي مكانة دولية لا يستحقها أبداً إذ كان مُعالياً في هندوسيته، متمسكاً بها أشد التمسك، حاقداً على الإسلام عكس ما أشيع عنه.

ونتيجة ما أشيع عن غاندي فقد أمكن إيجاد تقاعس أحياناً بين الطرفين، وقد حاول محمد علي جناح^(٢) التوفيق بين حزبي الرابطة

(١) محمد علي جناح: ولد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) في مدينة كراتشي من أسرة هندوسية اعتنقت مذهب الإسماعيلية، وتزوج بمجموسية، ودرس الفاسون في إنكلترا، انتسب إلى حزب الرابطة الإسلامية بعد تأسيسها بسبع سنوات، رأس البعثة الهندية التي قصدت لندن لشرح القضية الهندية عام ١٣٣٣ هـ، كما رأس اللجنة التي شكلتها الرابطة بالاشتراك مع حزب المؤتمر للمطالبة بالحكم الذاتي للهند عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م)، وشارك في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، وتولى رئاسة حزب الرابطة الإسلامية ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) حتى تولى رئاسة دولة باكستان، وتوفي في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول ١٩٤٨ م) كان أبوه تاجراً في مدينة كراتشي، وأصل أسرته من مدينة (كشيوان) في ولاية كوجرات.

آتم الدراسة الثانوية عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م).

تلقى أبوه، وتوفيت أمه، وتوفيت زوجته.

عمل سنة واحدة في المحاماة في مدينة كراتشي.

انتقل إلى بومبي، وعمل في المحاماة، ورفض منصب قاضي.

ذهب إلى لندن، وعمل في المحاماة، وأصبح محامياً مشهوراً، ورجع عام

١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م).

كان من أعضاء حزب المؤتمر البارزين، وذهب عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) متدوياً

عن المؤتمر إلى لندن للدفاع عن فكرة الحكم الذاتي.

صار أمين سر حزب المؤتمر (دانا بهائي ناروجي) عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م).

أصبح نائباً في المجلس التشريعي الإمبراطوري عن مدينة بومبي عام ١٣٢٨ هـ

(١٩١٠ م).

عينه نائب الملك عضواً في المجلس التشريعي لمدة ثلاث سنوات ١٣٣١ هـ

(١٩١٣ م).

أصبح عضواً في الرابطة.

كان عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) عضواً في حزب المؤتمر ورئيساً للرابطة الإسلامية.

افصل عن حزب المؤتمر عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).

الإسلامية والمؤتمر الوطني الهندي، إذ دعا إلى عقد مؤتمر الرابطة السنوي عام ١٣٣٥ هـ في مدينة «كنور» حيث عُقد حزب المؤتمر الوطني الهندي مؤتمره السنوي.

كان محمد علي جناح في حزب المؤتمر، وبقي فيه مدةً بعد تأسيس حزب الرابطة ثم اقتضت المصلحة انتقاله وتغيير موقعه، فبذل وترك حزب المؤتمر وانضم إلى الرابطة، وتولى زعامتها، ولم يكن ملتزماً بالإسلام، وإن كان يفتي إليه، وهنا تكمن المصلحة إذ من الضرورة إمكان عقد الإنكليز أن يتولى أمر الرابطة مسلم غير ملتزم خوفاً من أن تسير في طريق صحیح فتدب الحياة من جديد في المسلمين وترفع راية الجهاد، وعندها لا سب للإنكليز من أن يشدوا رحالهم للفرار ومغادرة البلاد إلا إذا رغبوا في دفع جنودهم هناك وجعل الهند مقبرة لهم، كما أن إنكلترا ترغب في إسلام محمد علي لرئاسة الرابطة لتبقى حيوط اللمعة كلها في أيديها.

أخذت الدعايات توجه لصالح محمد علي حتى أصبح على مستوى قريب من غاندي أو يتناسب مع النسبة العددية من السكان التي يمثلها، فكانت وسائل الإعلام تتسميه سفير الوحدة الهندية، وتكرّر أن حزب المؤتمر عرض عليه أن يختاره رئيساً دائماً للمؤتمر فأجاب: (إنهم إن قبلوا أراءه التي يخالفونه فيها ويخالفهم، فهو سعيد بأن يبقى عضواً كبيره من مئات الأعضاء). وتذكر: أنه مرّ في طريق مرة فهدف له الناس بصفة سيد باكستان، فأوقف سيارته، ووثق الغائلين له بهذا اللقب، وقال لهم: (إن غير ما يروجوه أن يكون خادم باكستان لا سيدها). هذه الدعاية جعلته أهلاً لأن يكون رئيساً لحزب الرابطة الإسلامية، وقد استمرت هذه الدعاية بعد نجاح الرابطة، وانقسام الهند، وظهور دولة باكستان، فتردّد وسائل الإعلام أنهم عرضوا عليه أن يولّوه رئاسة دولة باكستان مدى الحياة فأكره هذا المبدأ، وقال: (بأنها ستكون قاعدة لمن يليه).

وإذا كان الهندوس أكثر عدداً من المسلمين إلا أن خوفهم من

المسلمين شديد لصالحهم بالعالم الإسلامي الذي يؤيدهم، إذ كان التعاطف بين المسلمين كثيراً رغم سيادة الجهل والفقير بينهم. وكانت أصوات المسلمين من أي مكانٍ يسمع صداها في الهند، وترددها المسلمون الهنود، وهذا الذي كانت تخشاه إنكلترا والهندوس ويمكن ملاحظة بعض النقاط.

١ - إن المسلمين الهنود يعنون العرب عنواً لهم، ويحاولون تقليدهم في كل أمورهم.

٢ - كان للدعوات التي قامت في البلدان العربية أثرها في الهند بغض النظر عن سلامتها أو غير ذلك. فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية، ودعوة المهدي في السودان كان لهما الأثر في الهند، وسار على نهجهما كثير من المسلمين.

٣ - كلما نازلة في الأمصار الإسلامية بات الهنود المسلمون يعيشون معها ويتفقون أخبارها، فعندما تقى الإنكليز أحمد عرابي من مصر إلى جزيرة سردينيا (ميلان) هرع المسلمون الهنود إلى منفاه يسألونه عن مصر وأوضاعها، وعن المهدي وأوضاع السودان.

٤ - قام المسلمون بمظاهرات عنيفة عام ١٣٣٠ هـ بتدوون بموقف إيطاليا، واحتلالها لليبيا، وجمعوا الشريعات رغم فقرهم، وأرسلوا البعثات الطبية، وبدأت دعوة التطوع للذهاب إلى ليبيا لمجاهدة الطليان.

٥ - اتخذ حزب الرابطة الإسلامية قراراً يُعلن فيه استياء المسلمين من موقف بريطانيا ضدّ الدولة العثمانية في حرب البلقان.

٦ - احتج حزب الرابطة الإسلامية والمسلمون الهنود عامةً على معاملة هولندا الوحشية للمسلمين في أندونيسيا.

٧ - أعلن حزب الرابطة الإسلامية باسم المسلمين الهنود للحاكم الإنكليزي في الهند أن معاونة المسلمين متوقفة على ضمان فلسطين من

بلاد الشام ضمن إطارها العام العربي والإسلامي، ورفض فكرة الوطن اليهودي، والسماح لليهود بالانتقال إليها.

٨ - قامت مظاهرات في أرجاء الهند كلها احتجاجاً على تقصير بريطانيا لعهودها التي قطعتها للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى.

٩ - وقامت مظاهرات أشدّ عنفاً عندما ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، ومن الذين قادوا تلك الحركات محمد إقبال الشاعر المعروف^(١)، وأبو الكلام آزاد^(٢)، ومحمد علي جناح. وتشكل حزب الخلافة الذي عمل على إقناع الأتراك بالإبقاء على الخلافة، وحث الإنكليز للتوقف عن دعم اليونان الذين كانوا قد استولوا على مدينة أزمير وما حولها، وعدم تقسيم تركيا، وإقناظ المسلمين، وتوقف الحرب والغاء الخلافة.

(١) محمد إقبال شاعر وفيلسوف ولد عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ م)، والتحق بحماسة للإسلام في الحرب العالمية الأولى، وقد عرض على لجنة نهرو فكرة دمج الشعب، وإقليم الحدود الشمالية الغربية، وبالوستان، والسند في إقليم واحد، ولكن فكرته رفضت، والتشرك في مؤتمر المصالحة المستفيدة عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) في لندن، وعرضت عليه منصب نائب الملك في حوض إرليقة فرفض ذلك، لأن حرم نائب الملك سلطنة، وسقط الفيض، وأجاب بما دام هذا شرطاً فلا قبله لأنه إهانة للشعب، وصارمة للكرامة، وتوفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).

(٢) أبو الكلام آزاد: حر الدين أسعد، ولد عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) في أسرة قاومت الاستعمار البريطاني، والتشرك أبوه في ثورة ١٣٧٣ هـ (١٨٥٧ م)، وبعد فشلها هرب إلى الصين، وتزوج من سيدة عربية، وهناك ولد محمد إقبال الذي انتقل إلى القاهرة، ودرس في الأزهر، ورجع عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) إلى الهند، والتشرك في حزب المؤتمر الهندي، وكان يحث بالاستقلال التام للهند المستقلة عن بريطانيا، وقد أشأ منصباً بالهند، والتشرك في تأسيس كلية ديوبند الإسلامية، وتولى منصب وزارة المعارف، وانتخب نائباً لرئيس حزب المؤتمر رئيساً، وتوفي في ذلك المنصب حتى توفي في ٣ شعبان ١٣٧٧ هـ (٢٢ شباط ١٩٥٨ م). وانتخب كذلك رئيساً للاجتماع التاسع لحركة المؤتمر.

كانت هذه المظاهرات وهذه الأحداث تزيد الهتوس تساكاً، وفي الوقت نفسه تزيدهم كرهماً للمسلمين الهنود، بل إن هذا الكره لتسع دائره حتى تشمل المسلمين جميعاً إذ يحس الهتوس أن المسلمين في كل أرجاء الأرض يدعمون المسلمين الهنود، ويؤذونهم على الهتوس، ولذلك على هذا تفاعل المسلمين الهنود مع إخوانهم المسلمين في كل مكان، حيث يرقون لهم جميلهم.

وكذلك فإن هذه المظاهرات وهذه الأحداث كانت نشأ من عصبه المسلمين، وتوثيقهم، وتجعلهم يشعرون أنهم جزء من الأمة الإسلامية ذات المجد والحضارة، وأن أمم الأرض اليوم تنكأب عليها، وأن ما يصيهم اليوم لا يتعدى أنهم جزء من هذه الأمة. غير أن المسلمين مع هذا كله لم يكونوا قلباً واحداً حيث كانوا فرقاً، وإن كانوا يصفون تحت اسم عام هو مسلمون غير أن بعضهم يميلون عن ذلك إذ إضافة إلى المسلمين (السنة) كان هناك الشيعة الرافضة، وكان هناك الإسماعيليون من الصرق الباطنية الضالة، وهناك الفاديانية الدينية الجديدة العبد كالمعبد عن الإسلام، وفوق هذه الفرق المتباينة كانت هناك الخلافات في التوجهات السياسية حيث وجد:

٦ - المسلمون الذين يرون الدعوة إلى الوحدة الوطنية والتوفيق في وجه المستعمرين الذخلاء من الإنكليز، وتأسيس دولة واحدة تضم الهتوس والمسلمين، وقد رأى هؤلاء أنه من المصلحة الانضمام إلى حزب المؤتمر الوطني لتوحيد الجهود وبسبب التساهل لبيل الاستقلال والخصاص من المستعمرين، وأن المنظرين الهنودس فله يجب ألا يأبأ بهم، ولا يتنظر إليهم، ومن أشهر هؤلاء جمعية العلماء، ومؤتمر الشيعة، ومؤتمر المؤمنين الهنود، ومن الرعاهه حسين ذاكراً^(١) التي تسلّم فيما بعد رئاسة الجمهورية،

(١) حسين ذاكراً: ولد في حيدر أباد الثاني عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م). وتخرج من الكلية الإسلامية في (ملير)، وتابع دراسته في بولن حيث حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م). وتولى حاكماً لولاية (بهار) عام ١٣٧٧ هـ =

وأبو الكلام أزداد الذي تسلّم حقبة وزارة المعارف بعد الاستقلال مباشرة. وغفل هؤلاء عن دور إنكلترا في تقوية الهندوس على المسلمين، وأن عاملاً مشتركاً يجمع بين الإنكليز والهندوس ضد المسلمين وهو الحقد الصليبي والوثني.

٢ - المسلمون الذين يرون ضرورة الانفصال عن الهندوس، وتأسيس دولة واحدة من المقاطعات التي يشكل فيها المسلمون أكثرية، وعرفت هذه الدولة باسم «باكستان»، وأول من دعا إلى ذلك الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، وتنادى بها الطلاب المسلمون الذين يدرسون في إنكلترا.

والتقسيم أصحاب هذا الرأي إلى اتجاهين:

أ - أحدهما يرى الاستقلال ضمن باكستان والارتباط مع العالم الإسلامي، على اعتبار أن باكستان جزء من الأمة الإسلامية. وذلك في ظل الخلافة الإسلامية، ويمثل هذا جناح محمد إقبال.
ب - ثانيهما ويرى الاستقلال ضمن باكستان، والدعوة إلى إسلامية باكستانية محلية، وقد قوي هذا الاتجاه بعد أن أقدم مصطفى كمال أتاتورك - قبحه الله - على إلغاء الخلافة الإسلامية.

وقد خفت ضغط الإنكليز عن المسلمين عندما بدأوا يتأدون بالعصبية الإسلامية المحلية، ويتعدون عن قضية الخلافة والوحدة الإسلامية، ولعل من أبرز من يمثل هذا الجناح محمد علي جناح.

(١٩٥٧ م)، ثم نائباً لرئيس جمهورية الهند (داد كريشنا)، ثم خلفه في الرئاسة بعد وفاته في ٣٠ المحرم ١٣٨٧ هـ (٩ أيار ١٩٦٧ م)، وتوفي حسين فاكر في ١٦ صفر ١٣٨٩ هـ (٣ أيار ١٩٦٩ م).

(١) باكستان: يقال إن «باك» تعني الأطنار، وتدل «ستان» على بلاد، فأصبح المقصود من الكلمة بلاد الأطنار. ويقال: إن باكستان قد اشتقت من الأحرف الأولى من المقاطعات التي تقسم أكثرية مسلمة وهي: بنغال، بنجاب، بلوچستان، كشمير، كوجرات، السند، مقاطعات الحدود.

٣ - المسلمون الذين يرون بقاء المسلمين والهندوس ضمن دولة واحدة مع ضرورة تشكيل جمعية إسلامية قوية تعمل على نشر الإسلام بين الهندوس، كما تعمل للحكم حسب الشريعة الإسلامية، وقد كان الخوف على مستقبل المسلمين في الهند، وعلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، ولعل من أبرز أصحاب هذا الرأي أبا الأعلى المودودي الذي وقف أمام نقاط وتساؤلات:

أ - إذا لم تنجح الرابطة قُبِعتي المسلمون بالقتل.

ب - إذا نجحت الرابطة، هل سيطر زعمائها الإسلام؟

ج - كيف يكون وضع المسلمين الذين سيقيمون داخل الهند بعد التقسيم أمام حقد الهندوس؟

د - ألا ينتهم الهندوس المسلمين في الهند بعد التقسيم أنهم أنصار إخوانهم في باكستان فيضطهدونهم ويزيد الحقد حقداً؟

هـ - هل يمكن أن تقوم دعوة لنشر الإسلام بعد التقسيم، والحرب الإعلامية الدائمة، والحرب الباردة بين القسمين؟

و - ألا يمكن أن تنشب حرب بين القسمين، ويشعل نارها الصليبيون الإنكليز، ويدعمون الهندوس، ويحصد المسلمون شرّاً عظيماً؟

(١) ولد أبو الأعلى المودودي في بلدة (أورتغ آباد) في حيدر آباد الدكن عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)، وهو من أسرة تقول أنها تنسب إلى مودود أحد رواة الحديث النبوي، ويقال: إنه جاء إلى الهند مع جيش محمد بن القاسم الثقفي.

عمل المودودي صحفياً في (جبل بور) و(تلهي) و(حيدر آباد)، وفي شهر ذي القعدة ١٣٥٦ هـ (كانون الثاني ١٩٣٨ م) انتقل إلى البنجاب بدعوة من محمد إقبال، واستقر في منطقة (جورداسبور)، ثم انتقل بعد ذلك إلى (لاهور)، وفي رجب ١٣٦٠ هـ (أب ١٩٤١ م) احتضن خمسة وسبعون شخصاً من مختلف الاختصاصات، وشكلوا الجماعة الإسلامية، وانتخبوا أبا الأعلى المودودي كأول أمير لها.

ووضع عدداً من الكتب ذات الفكر الإسلامي، أثرى بها المكتبة، وكان له أثر كبير في فكر الشباب وأهل العلم، وتوفي في الأول من ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (٢٢ أيلول ١٩٧٩ م).

التحكّم بهم، وإذلالهم واستعبادهم، وكان يُخالف أستاذه «غاندي» في
معاملة المسلمين أحياناً، وعارضه في موقفه من تأييد حركة الخلافة مع أن
ذلك الموقف لم يكن سوى التقيّة بإظهار غير ما يُعْن.

وطالب المنيذون بالاستقلال، وعدادهم مائة مليون، وهدّوا باعتناق
الإسلام، فأغرامهم غاندي، وطلب منهم السكوت في هذه الظروف، وإن
لهم ما يريدون في المستقبل.

وشكّل الهندوس سبع وزارات فأساموا للمسلمين كثيراً.

طالب المسلمون أن تكون لهم السيادة في المقاطعات ذات الأكثرية
المسلمة فرفض حزب المؤتمر ذلك رفضاً بشعاً، وتكلم غاندي وأتباعه
كلاماً غير مقبول، وأصدر حزب المؤتمر قراراً يقضي بترك لغة «الأوردو»
التي هي لغة المسلمين، واللغة الرسمية في البلاد، وجعل اللغة الهندوسية
لغة رسمية على حين أن أكثرية السكان لا يفهمونها، بل إن الهندوس الذين
أخذوا يُهاجمون لغة «الأوردو» لم يكن لديهم من لغة يُهاجمونها بها،
وأسلحوا يُشهبونها في وجهها إلا لغة «الأوردو» ذاتها، ولم يكن اتخاذ ذلك
القرار إلا عداوة للمسلمين.

ولما رأى المسلمون حرب الهندوس لهم صراحةً، ويعرفون كذلك
حقدهم، وما تخفي نفوسهم أكبر عندها قرّروا العودة إلى فكرة باكستان
وتقسيم بلاد الهند. وطالبوا الحكومة الإنكليزية بالبقاء في الهند حتى يتم
التقسيم كي لا يتأثر الهندوس بالحكم، ويُطبقوا ما يريدون. والغريب أن
المسلمين كأنهم قد غفلوا عن موقف الإنكليز منهم، ووقوفهم إلى جانب
الهندوس علناً. وهذا ما ظهر أثناء التقسيم بكل وضوح.

وكان من أشدّ الناس محاربة لفكرة التقسيم «نهرود»^(١) تلميذ غاندي،
والمتعصب لهندوسيته، ويريد إبقاء المسلمين تحت نفوذ الهندوس لإمكانية

(١) نهرود: جواهر لال نهرود، ابن حوتى لال نهرود، الزعيم السياسي، اشترك مع
غاندي، أسس صحيفة (أندبندنت) أي المستقل، انتخب رئيساً لحزب المؤتمر
الهندي عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، اشترك مع (ناس) في تأسيس حزب (سواراج)
أي الاستقلال ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) وتوفي ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م)، ولد ابنه جواهر
لال نهرود في مدينة (الله آباد) عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، ودرس في إنكلترا وحصل
على الحقوق، ورجع إلى الهند عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) واشتغل بالمحاماة،
وانضم إلى حزب المؤتمر عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م)، وسجن سبع مرات، تولّى
رئاسة حزب المؤتمر ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وتسلم وزارة الخارجية في الحكومة
الموقفة بعد الحرب العالمية الثانية، وتولّى رئاسة الوزارة بعد الاستقلال، وبقي في
هذا المنصب حتى هلك ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م). وله عدة مؤلفات.

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨ هـ (الأول من أيلول ١٩٣٩ م) ودخلت حكومة الهند الحرب دون أخذ رأي وزارة حزب المؤتمر التي تحكم الهند محلياً، وهذا ما دعا إلى أن تستقبل وزارة الحزب. وأخذ الوضع يزداد حرجاً في الهند نتيجة أحداث الحرب، وخاصةً عندما دخلت اليابان الحرب، واحتلت أندونيسيا، والهند الصينية، وبورما، واقتربت من حدود الهند، فأعلنت انكسرت أنها ستعطي الهند الاستقلال بعد الحرب مباشرةً، ورُحِبَ حزب المؤتمر بهذا الإعلان، وطالب باستلام الحكم.

فطلع المسلمون كل أمل بإمكانية الاتحاد مع الهندوس في دولةٍ واحدةٍ، وأنه لا ضمان لهم على لغتهم، وثقافتهم، ودينهم، بل وحتى على حقوقهم الأولية إن بقي الحكم بيد الهندوس، وأن الإنكليز لن يصفحهم أبداً، بل سيكونون ضدّهم وسيلقون بجانب الهنوس لذا لا بدّ من الانفصال عنهم، وكان هذا رأي حزب الرابطة الإسلامية، وكثير من أعيان الهند وعاتمهم، على حين رأى بعض العلماء ضرورة البقاء مع الهندوس في إطارٍ واحدٍ لمصلحة الدعوة، والأقلية المسلمة التي ستبقى تحت حكم الهندوس، وذلك كما مرّ معنا.

وقد كثرت الاقتراحات حول مستقبل المسلمين في الهند، وكثرت المشروعات المتقدمة، ويكاد لا يوجد زعيم مسلم لم يُقدّم اقتراحاً، ولا

منظمة أو مؤسسة علمية إلا وأبدت رأياً، محمد إقبال، ومحمد علي جناح، وتشودري رحمة علي، وعبدالله هارون، وتشودري خليل الرحمن وعبدالرحمن صديقي، واسكندر حیات خان، كلهم قدّموا مشروعات، وجامعة عليكرة، واتحاد الطلاب المسلمين في النجاب قدّموا مشروعات، وأبدي أبو الأعلى السودوي اقتراحات، وكلها تدور حول الاتحاد أو الانفصال التام، ويكاد يكون عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) هو عام هذه الاقتراحات والمشروعات، وإدعاء الأراء وخاصة النصف الثاني من بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية^(١). وكان بعض هذه المشروعات والاقتراحات يقتصر على انفصال المقاطعات التي يتألف سكانها من أكثرية مسلمة على حين أن بعضها الآخر يضيف إليها شريطاً على نهر الغانج ليتصل بحري الهند بالبنغال في الشرق.

مؤتمر لاهور:

كان محمد إقبال قد دعا إلى تشكيل دولة باكستان والانفصال عن الهندوس، وذلك في رسالته إلى محمد علي جناح والمؤرخة في ١٨ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ (٢٨ أيار ١٩٣٧ م)، وتوفي محمد إقبال في ٢١ صفر ١٣٥٧ هـ (٢١ نيسان ١٩٣٨ م)، وعُقد مؤتمر السند الإقليمي للرابطة الإسلامية في كراتشي برئاسة محمد علي جناح وقُرّر في ١٦ شعبان ١٣٥٧ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٣٨ م) القرار الآتي:

«إن مؤتمر السند الإقليمي للرابطة الإسلامية يعتبر أن من الضروري كتابةً من أجل سلام دائم في القارة الهندية الشاسعة، ومن أجل تطوّر ثقافي ليس له ما يعوقه، ومن أجل الرقي الاقتصادي والاجتماعي وتقرير المعيار السياسي للأمتين المعروفتين باسمي الهندوس والمسلمين، أن تُنقَسَم

(١) انظر هذه المشروعات والاقتراحات في «نشأة باكستان» شريف الدين بيرزاد، ترجمة عادل الصلاحي.

الهند إلى التحدين، على أن يكون ثمة اتحاد للدول الإسلامية، واتحاد للدول غير الإسلامية.

وعلى هذا فإن المؤتمر يتقدم بتوصية إلى الرابطة الإسلامية لعموم الهند أن تعدّ مشروع دستور يمكن بموجبه للأقاليم ذات الأغلبية الإسلامية، وللدول الإسلامية الوطنية، والمناطق التي تغطيها أغلبية إسلامية، أن تحصل على الاستقلال الكامل في صورة اتحادٍ قاصرٍ عليها مع إمكانيّة انضمام أية دولة إسلامية خارج حدود الهند إلى هذا الاتحاد. وأن يكفل الدستور ضمانات للأقليات غير المسلمة معاملة للضمانات التي يُعْرَبها للأقليات الإسلامية في الاتحاد الهندي غير الإسلامي^(١).

دعا حزب الرابطة إلى عقد مؤتمر في مدينة لاهور، وقد عُقد المؤتمر، ولقد أقرّت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند في اجتماعها الذي عقده في ٥ صفر ١٣٥٨ هـ (٢٦ آذار ١٩٣٩ م) في قلعة مصطفي، في ميروت القرار الآتي:

«بما أن الرابطة الإسلامية لعموم الهند تُعارض مشروع الاتحاد الذي تضمنه قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م)، ونظراً لأن الجزء الإقليمي من الدستور قد أوجد مخاوف كبيرة لدى المسلمين والأقليات الأخرى فيما يتعلق بمستقبلهم، حيث أن المشروع الإقليمي قد قصر كفاية عن ضمان أدنى الحقوق المبدئية للأقليات الإسلامية في الأقاليم المختلفة، وبما أن رئيس الرابطة الإسلامية لعموم الهند قد قرّض بقرار التحذير في دورة «باتان» في (كانون الأول ١٩٣٨ م) باتخاذ الإجراءات الضرورية من أجل تمحيص إمكانيّة إيجاد بديل مناسب يحفظ مصالح المسلمين والأقليات الأخرى فإن رئيس الرابطة يُعين بالاتفاق مع اللجنة العاملة لجنة مؤلفة من السادة الواردة أسماؤهم أدناه للنظر في المشروعات المختلفة التي عرضها أشخاص ذوي

(١) نشأه باكستان. شريف الدين بيرزاه.

معرفة كاملة بالتطورات الدستورية في الهند والبلاد الأخرى، والمشروعات التي يمكن أن تُقدّم للرئيس فيها، ثم تُقدّم تقريراً للجنة العاملة عن نتائج عملها في وقت مبكر:

- ١ - محمد علي جناح رئيساً
- ٢ - اسكندر حیات خان
- ٣ - نواب محمد إسماعيل خان صاحب
- ٤ - عبدالعزيز صاحب
- ٥ - عبدالله هارون
- ٦ - خ. نظيم الدين
- ٧ - عبدالمتين تشودري صاحب
- ٨ - أورالغزيب صاحب
- ٩ - نواب زاده ليلقات علي خان صاحب

وتأكد ذلك في الاجتماع الذي عقده مجلس الرابطة الإسلامية لعموم الهند في دهلبي الجديدة في ١٨ صفر ١٣٥٨ هـ (٨ نيسان ١٩٣٩ م) وكذلك في اجتماع المجلس الذي عقد في ١٢ رجب ١٣٥٨ هـ (٢٧ آب ١٩٣٩ م) واجتماع اللجنة العاملة الذي عُقد في ٣، ٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (١٧، ١٨ أيلول ١٩٣٩ م) وفي ٩ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩ م) مع إعلان صارم بأن الهند المسلمة: «تعارض معارضة مطلقة لا يمكن الرجوع عنها أي «هدف التحدي» يُؤدّي بالضرورة إلى حكم طائفة الأغلبية تحت قناع من الديمقراطية، ونظام حكم نيابي. فمثل هذا الدستور لا يناسب إطلاقاً سجية شعوب هذه البلاد التي تتألف من قوميات متعددة، ولا تُشكّل دولة قومية».

وعقدت اجتماعات في مطلع عام ١٣٥٩ هـ (شباط ١٩٤٠ م) للجنة العاملة وللمجلس الرابطة لعموم الهند في دهلبي وجررت دراسة جادة لمسألة تخصيص موطن منفصل للمسلمين، وتقرر اقتراح ذلك رسمياً في الدورة المفتوحة المقرر عقدها في صفر ١٣٥٩ هـ (آذار ١٩٤٠ م).

تم في الاجتماع الذي عقده اللجنة العاملة في ١٢ صفر ١٣٥٩ هـ (٢١ آذار ١٩٤٠ م) تعيين لجنة خاصة لصياغة مشروع القرار الشهير بقرار لاهور، وكان من أعضائها محمد علي جناح، واسكندر حیات خان.

وأعدت اللجنة مشروع قرار حول المستقبل الدستوري في الهند لتطبيقه إلى لجنة الموضوعات وبعد مناقشات وبحوث طويلة تبنت لجنة الموضوعات مشروع القرار، وقد أعلن محمد علي جناح المسوّغات له في خطابه، وما جاء فيه:

أ - وإن مشكلة الهند ليست مشكلة جاليات وطوائف، ولكن من الواضح أنها مشكلة أمة ومن الواجب معالجتها على هذا الأساس.

ب - وإن الهندوس والمسلمين قرومان يتسبانان إلى فلسفتين دينيتين مختلفتين، وإن لهما أدب وعادات اجتماعية متباينة. وإن ربط مثل هاتين الأمتين معاً في دولة واحدة حيث تكون إحداهما من حيث العدد أقلية، وتكون الأخرى غالبية سيؤدي حتماً إلى سحق متزايد، ويؤدي في النهاية إلى تحطيم أية صورية تبنى على هذه الشاكلة لحكومة هذه الدولة.

ج - وإن المسلمين ليسوا أقلية بالمعنى الشائع لهذه الكلمة أو الذي يفهم منها عامة.

د - وإن المسلمين أمة وحدهم حسب أي تعريف للأمة، ولا بد من أن يكون لهم موطنهم، وأراضيهم ودولتهم.

وفي ١٤ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٠ م) طرح القرار التالي في الدورة المفتوحة للرابطة الإسلامية لعموم الهند:

وتصديقاً وتأكيدياً لما اتخذته كل من مجلس الرابطة الإسلامية لعموم الهند ولجنتها العاملة من إجراءات موضحة في قراراتها المؤرخة في ١٢ رجب ١٣٥٨ هـ (٢٧ آب ١٩٣٩ م) وفي ٣، ٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (١٧، ١٨ أيلول ١٩٣٩ م) وفي ٩ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩ م) وفي ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٨ هـ (٣ شباط ١٩٤٠ م) حول قضية الدستور، فإن هذه الدورة للرابطة الإسلامية لعموم الهند تعود فتؤكد تأكيدياً جازماً أن مشروع الاتحاد الذي تضمنه قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م) لا يتفق

إطلاقاً مع أوضاع الهند الخاصة، ولا يمكن تطبيقه فيها، وهو غير مقبول قط لدى الهند المسلمة.

وهي تُسجّل رأيها القاطع كذلك بأنه على الرغم من أن التصريح الذي أعلنه نائب الملك بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة في ٥ رمضان ١٣٥٨ هـ (١٨ تشرين الأول ١٩٣٩ م) مطمئن لكونه يعلن أنه سيعد النظر في السياسة والخطة التي بنى عليها قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م)، وذلك بالتشاور مع الأحزاب والمصالح المختلفة في الهند، فإن الهند المسلمة لن ترضى إلا بإعادة النظر من جديد في الخطة الدستورية كلها، وأن المسلمين لن يقبلوا أية خطة مُعدّلة إلا إذا تمّ وضعها بموافقتهم وإقرارهم ابتداءً.

تقرر أن الرأي العام لهذه الدورة للرابطة الإسلامية لعموم الهند هو أنه ما من خطة دستورية يمكن أن تُطبّق في هذه البلاد أو يمكن للمسلمين أن يقبلوها إلا إذا أعدت وفق المبادئ الجوهرية التالية: إن الوحدات المتصلة جغرافياً يجب أن تحدد ضمن أقاليم تشكل بعد إدخال التعديلات الضرورية في حدودها بحيث تجمع المناطق ذات الأغلبية العددية الإسلامية كأقاليم شمال غربي وشرقي الهند لتكون دولاً مستقلةً تمتنع الوحدات المكونة لها بحكم ذاتي وسيادة.

يجب أن يتضمن الدستور ضمانات كافية وفعالة ومفوض بها، وذلك من أجل الأقليات الموجودة في هذه الوحدات والأقاليم، ولحماية حقوقها ومصالحها الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية وما إليها، وذلك بالتشاور مع هذه الأقليات. أما في بقية مناطق الهند حيث يكون المسلمون أقليةً فيجب أن تُحدّد في الدستور ضمانات كافية وفعالة ومفوض بها، وذلك من أجل المسلمين والأقليات الأخرى، ولحماية حقوقهم ومصالحهم الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية وما إليها، وذلك بالتشاور معهم.

إن هذه الدورة تُفوض اللجنة العاملة كذلك بصياغة مشروع دستور

وقد هذه المبادئ الجوهرية، يقضي بأن يتسلم كل إقليم في النهاية جميع السلطات كاللديعة والحارحية والمواصلات والجمارك وبقية الأمور الضرورية الأخرى^(١).

وهذا القرار يُعرف بـ «قرار لاهور» أو «قرار باكستان»، ولمّا طرحه في ٢٣ آذار لهذا يُعدّ هذا اليوم العيد الوطني في باكستان، ويحتفل به كل عام.

مقترحات كريس^(٢):

دخل الهنسيون وبنغاليون في ٢٩ محرم ١٣٦١ هـ (١٥ شباط ١٩٤٢ م)، وأخذوا بالتقدم في جنوب شرقي آسيا نحو العرب، فتناقصت أمانهم البلدان بسرعة إذ احتلوا «رانغون» عاصمة بورما في (٩ صفر ١٣٦١ هـ (٧ آذار ١٩٤٢ م)، فذعر البريطانيون، وأعلن تشرشل في ٤ ربيع الأول ١٣٦١ هـ (٢١ آذار ١٩٤٢ م) أن كريس سيسافر فوراً إلى الهند، ووصل فعلاً إلى دعلي بعد يومين أي في (٢٣ آذار) في الذكرى الثانية لقرار لاهور، فصرح:

إن حكومة صاحب الجلالة تتقدم بالتصريحات الآتية:

١ - تتخذ مجرد أن تتوقف الحرب، الخطوات اللازمة لكي تقام في الهند، على النمط المشروح فيما بعد، حيث متخبة تُكَلّف بمهمة صياغة دستور جديد للهند.

(١) قرارات الرابطة الإسلامية ص ٤٧.

(٢) كريس: هو رينشارد ستانفورد كريس: قسيس سياسي لعب دوراً كبيراً في تشكيل حركة العمال الأسترالية البريطانية. شغل منصب سفير بريطانيا في موسكو، وتسلم منصب وزير المالية في وزارة الحرب التي كانت برئاسة تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية، وزار الهند والتقى بمحمد علي جناح، وغاندي، وأصبح بعدها حامل الأوسام الملكية، ورئيس مجلس العموم.

ب - تتخذ - حسب ما هو مشروح أدناه - الخطوات اللازمة لاسترداد الدول الهندية في الهيئة واضحة الدستور.

ج - تتعهد حكومة صاحب الجلالة بقبول وتنفيذ الدستور الموضوع بهذه الطريقة فوراً، واضحة الشروط الآتية فحسب:

١ - " يحق لكل إقليم من أقاليم الهند البريطانية غير مستعد لقبول الدستور الجديد بالاحتفاظ بوضعه الدستوري الحالي، على أن يتّص على إمكانية التحاقه بالاتحاد فيما بعد، إن أراد ذلك.

في حالة وجود أقاليم لا تنضمّ للاتحاد فإن حكومة صاحب الجلالة مستعدة للموافقة على دستور جديد يعطيها الوضعية الكاملة نفسها التي للاتحاد الهندي، وينوّل إلى وضعه بطريقة مماثلة للطريقة الواردة هنا، هذا في حالة إيداء هذه الأقاليم رغبتها في هذا الأمر.

٢ - " توقيع معاهدة تفويض بشأنها حكومة صاحب الجلالة مع الهيئة المكلفة بوضع الدستور، على أن تُغطّي هذه المعاهدة كافة الأمور الضرورية التي تنجم عن النقل الكامل للمسؤولية من يد بريطانيا إلى أيدي هندية. وسوف تُعصّ هذه المعاهدة على حماية الأقليات الدينية والعنصرية حسب التعهدات التي قطعتها حكومة صاحب الجلالة، إلا أنها لن تفرض أية قيود على حق الاتحاد الهندي في أن يقرر في المستقبل نوع العلاقة التي تربطه بالدول الأخرى الأعضاء في رابطة الشعوب البريطانية.

٣ - " سواء أقررت أية من الدول الهندية أن تلتزم بالدستور أم لا فإنها من الضرورة المتفاوضة من أجل إعادة النظر في ترتيبات معاهدتها بالدرجة التي يقتضيها الوضع الجديد.

د - تشكل الهيئة التي تضع الدستور على الشكل التالي إلا إذا ما اتفق قادة الرأي الهندي في الحاليات والطوائف الرئيسية على طريقة أخرى قبل انتهاء الحرب.

فكرة آرسى^(١):

رفض في البداية قرار لاهور في تقسيم الهند، وقال عنه: وإن هذا القرار يقسم الوليد إلى نصفين، ثم عاد وأبداه، وألقى كلمة في دورة لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند، وألح على الاعتراف بحق المسلمين بالانفصال، وطرح رأيه على التصويت في ١٦ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ (٢ أيار ١٩٤٢ م) فرفض المؤتمر القرار بأغلبية ١٢٠ صوتاً ضد ١٥ صوتاً. وقام (جائحات نارايان لال) بطرح قرار مناقض تم إقراره بأغلبية ٩٢ صوتاً ضد ١٧ صوتاً، ويعلم هذا القرار: «أن أي اقتراح يهدف إلى تجزئة الهند بطريقة إعطاء الحرية للدول أو الوحدات الإقليمية التي تشكلها بالانفصال عن الاتحاد الهندي يشكل خطراً كبيراً على خير مصالح الشعب في الدول والأقاليم المختلفة، وفي البلاد عامة، ولذلك فإن حزب المؤتمر لا يمكن أن يوافق على مثل هذا الاقتراح».

استقال آرسى من حزب المؤتمر، وتبعه سبعة من زملائه وذلك في اجتماع أفراد الهيئة التشريعية الإقليمية من أعضاء حزب المؤتمر الذي عقد في ٢ رجب ١٣٦١ هـ (١٥ تموز ١٩٤٢ م) وذلك ليواصل مساهمته في التقسيم، واتصل آرسى بغاندي، وهو في السجن، وحصل منه على الموافقة على هذه الفكرة وفيما يلي نص هذه الفكرة:

«أساساً لقواعد التسوية بين حزب المؤتمر الهندي، والرابطة الإسلامية لعموم الهند، يوافق عليها كل من غاندي، ومحمد علي جناح، ويسعيان للحصول على موافقة كل من المؤتمر والرابطة عليها».

١ - تؤيد الرابطة الإسلامية المطلب الهندي في الاستقلال بعد

مجرد إعلان نتائج الانتخابات التالية التي يجب أن تجري عند نهاية الحرب، فإن جميع أعضاء المجالس الدنيا للهيئات التشريعية الإقليمية تستقل بوصفها هيئة انتخابية واحدة لانتخاب الهيئة التي تفسح الدستور بطريقة التمثيل النسبي، وسوف تعادل هذه الهيئة من حيث العدد عشر عدد أعضاء الهيئة الانتخابية.

تدعى الدول الهندية لتعيين ممثلها بنسبة عدد سكانها على أن تكون هذه النسبة مثل نسبة ممثلي الهند البريطانية عامة، ويكون لممثلي الدول الهندية الصلاحيات نفسها التي للأعضاء الممثلين للهند البريطانية.

هـ - في المرحلة الحرجة التي تواجه الهند الآن وإلى أن يمكن وضع الدستور الجديد فإنه من الحتمي على حكومة صاحب الجلالة أن تتحمل مسؤولية إدارة وتوجيه الدفاع الهندي، وتحفظ بها كجزء من جهودها في الحرب العالمية، إلا أن مسؤولية تنظيم ثروات الهند العسكرية والمدنية والأدبية تنظيمياً كاملاً تقع على عاتق حكومة الهند متعاوناً في ذلك مع الشعوب الهندية، إن حكومة صاحب الجلالة تدعو زعماء القطاعات الرئيسية من الشعب الهندي سواء في مجالس بلادهم أو في رابطة الشعوب البريطانية، أو الأمم المتحدة للمشاركة فورية وفعالة، وبذلك يستطيعون أن يقدموا معونة إيجابية وبناءة في أداء واجب حيوي وضروري من أجل حرية الهند في المستقبل وفي اليوم التالي شرح كريس هذه المقترحات بالإذاعة.

أعلنت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند بقرارها الذي اتخذته في ٢٥ ربيع الأول ١٣٦١ هـ (١١ نيسان ١٩٤٢ م)، أن الرابطة لا تقبل هذه المقترحات بالصورة التي وردت بها، ولكنها في الوقت نفسه عبرت عن «امتثالها للاعتراف بإمكانية قيام باكستان ضمناً وذلك بالنص على إمكانية قيام اتحادين أو أكثر في الهند».

(١) آرسى: لقب لـ (تشارلز أغارني واجاجو بلاشاري) عضو اللجنة العاملة لعموم الهند في حزب المؤتمر، له علاقة وثيقة بغاندي، وابته زوج ابن غاندي، أحد قادة حزب المؤتمر، رئيس وزراء مدراس، وحاكم عام الهند بعد لورد مانتشن.

ضمان الشروط الواردة أثناء والمتعلقة بدستور الهند الحرة، وتتعاون مع حزب المؤتمر في تشكيل حكومة موقفة للمرحلة الانتقالية.

٢ - " تعين بعد نهاية الحرب لجنة من أجل تخطيط المناطق المتجاورة في شمال غربي الهند وفي شرقها، والتي يُشكل المواطنون المسلمون أغلبية مطلقة، ثم يجري في المناطق التي تخطط بهذا الشكل استفتاء للمواطنين على أساس تصويت البالغين أو أي امتياز عملي آخر تقرر بموجبه قضية الانفصال عن هندستان. وإذا ما صوتت الأغلبية إلى جانب إقامة دولة ذات سيادة منفصلة عن هندستان، فإن هذا القرار سيُلحق من دون إجحاف بحق المناطق الواقعة على الحدود في الاختيار بالانضمام إلى أي من الدولتين.

٣ - " يعطى جميع الفرقاء الحق بالدفاع عن وجهات نظرهم قبل إجراء الاستفتاء.

٤ - " في حالة الانفصال تعقد التفاوض مبادلة من أجل ضمان الدفاع والتجارة والمواصلات والأغراض الضرورية الأخرى.

٥ - " إن أي تبادل في السكان يجب أن يتم على أساس واحد فقط وهو الاختيار الشخصي البحت.

٦ - " لا يلتزم بهذه الشروط إلا في حالة نقل بريطانيا كافة السلطات والمسؤوليات لحكم الهند إلى أهلها.

فكرة غاندي:

كان غاندي ضد فكرة التقسيم، ورجيته أن يبقى المسلمون تحت سيطرة الهندوس، ولكن عندما اشتدت حماسة المسلمين بالمطالبة بالانفصال عن الهندوس والاستقلال أظهر غاندي شيئاً من اللين لعله يركب العوجة ثم يتحرف بركاب السفينة.

جرت لقاءات بين محمد علي جناح وغاندي استمرت ثمانية عشر

يوماً من ١٢ رمضان ١٣٦٣ - ٣٠ رمضان ١٣٦٣ هـ (٩ أيلول ١٩٤٤ - ٢٧ أيلول ١٩٤٤ م)، وقد تمّ خلال هذه المدة أربعة عشر لقاءً، وقد افتتح غاندي يوم ٢٧ رمضان ما يأتي:

«تقوم بتخطيط هذه المناطق لجنة يوافق عليها كل من حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية، ويجب التحقق من رغبات مواطني هذه المناطق المخططة بواسطة تصويت البالغين من أهلها أو بوسيلة معادلة.

إذا كان التصويت بجانب الانفصال، فيتم الاتفاق على أن تشكل هذه المناطق دولة منفصلة في أقرب وقتٍ ممكن بعد أن تصح الهند حرة من الحكم الأجنبي، ويصبح من الممكن على هذا أن تقسم إلى دولتين مستقلتين ذاتي سيادة.

تعقد معاهدة انفصال تضمن على قيام إدارةٍ نشطة وواقفة لشؤون الخارجية، والدفاع، والمواصلات الداخلية، والجمارك، والتجارة، وما إليها من أمورٍ ستظلّ حتماً ذات مصلحة عامة للفرقتين المتعاهدين، وتتضمن المعاهدة كذلك تصوراً من أجل حماية حقوق الأقليات في كلتا الدولتين.

تتفق الرابطة والمؤتمر مجرد قبولهما هذه الاتفاقية على خطة عمل مشتركة لتحقيق استقلال الهند.

يظلّ من حقّ الرابطة - على أية حال - أن تبقى بعيدة عن أي عمل مباشر يلجأ إليه المؤتمر، ولا يكون للرابطة رغبة في المشاركة فيه^(٩).

ولكن غاندي لم يكن موافقاً على التقسيم ورجيته بالسيطرة ماثلة أمام عينيه، وعندما قابلته أبو الكلام آزاد في ٩ جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٣١ آذار ١٩٤٧ م) وسأله عن رأيه في التقسيم، أجاب، وهو يعلم أن أبا الكلام أراد ضد التقسيم: لأن أراد حزب المؤتمر أن يقبل بالتقسيم فإن قبوله لن يكون إلا على حثي، وإني لن أقبل بتقسيم الهند ما دمت حياً، وإني لم

(٩) محادثات جناح - غاندي ص ٨٧.

أصبح المؤتمر يقول ما وجدت إلى ذلك سبيلاً^(١). وفي المجلس العام لحزب المؤتمر لعموم الهند الذي عقد في رجب ١٣٦٦ هـ وقرّر تقسيم الهند آبد فاشي ذلك بحماسة.

البعثة الوزارية:

أخفق كريس في مقترحاته عام ١٣٦١ هـ (١٩٤١ م)، وفشل محمد علي جناح وغاندي في محادثتهما ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وقابل نائب الملك اللورد والميل زعماء الهند فلم ينجح في مهمته، فاستدعي إلى لندن فسافر إليها في ٩ ربيع الثاني ١٣٦٤ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٥ م)، وأعلن وزير الدولة لشؤون الهند في مجلس العموم البريطاني أن الغرض من مقترحات كريس ما زال قائماً. وجرت مراسلات بين نائب الملك وزعماء الهند، ثم عقد مؤتمر الزعماء في (سبيللا) في رجب ١٣٦٤ هـ (حزيران ١٩٤٥ م) حضره واحد وعشرون عضواً، ولم يتخلف سوى غاندي. وأعلن في ٤ شعبان ١٣٦٤ هـ (١٤ تموز ١٩٤٥ م) فشل المؤتمر رسمياً، إذ رفض حزب المؤتمر الاشتراك في وزارة ائتلافية، ووافقت الرابطة، فشكل نائب الملك حكومة من الموظفين.

أعلن نائب الملك اللورد واغيل في ١٣ رمضان ١٣٦٤ هـ (٢١ آب ١٩٤٥ م) أنه قرر إجواء انتخابات عامة للجمعيات الوطنية الإقليمية والمركزية في أقرب وقت ممكن، وذلك بعد مشاورات أجراها مع حكومة صاحب الجلالة ومع الحكومات الإقليمية. كما أعلن بنفسه عن سفره إلى لندن لمقابلة الحكومة العمالية الجديدة بناءً على رغبتها. وسافر، ورجع في ١٢ شوال ١٣٦٤ هـ (١٩ أيلول ١٩٤٥ م) وصدق موضوع الانتخابات، وأنه سينشاور مع الممثلين الجمعيات الوطنية.

جرت الانتخابات العامة وأعلنت نتائجها في ٢٨ محرم ١٣٦٥ هـ (الأول

من كانون الثاني ١٩٤٦ م) وقد فازت الرابطة فوزاً ساحقاً في المناطق الإسلامية إذ حصلت على ٥٠٢ مقعد من أصل ٥٦٠ مقعداً، وهي المقاعد المخصصة للمسلمين، ومعنى ذلك أن المسلمين يصوّرون على إقامة دولة باكستان.

وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ (١٩ شباط ١٩٤٦ م) أعلن عن تشكيل لجنة وزارية تتألف من:

- ١ - بشك لورنس: وزير الدولة لشؤون الهند.
- ٢ - ستافورد كريس: رئيس مجلس التجارة.
- ٣ - ألبرت ألكستندر: القائد الأعلى للبحرية.

ومهمة هذه اللجنة السفر إلى الهند وإجراء مباحثات مع الزعماء الهنود.

وصلت اللجنة إلى «كراتشي» في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٦ م)، وقد أجرت محادثات استطلاعية مع نائب الملك، ومع أعضاء المجلس التنفيذي، ومع الزعماء الهنود.

رأت اللجنة ضرورة وضع دستور الهند المقبل، وإقامة حكومة مؤقتة لتقوم على إدارة الهند حتى يقرّ الدستور، وادعت أن الشعب باستثناء الرابطة الإسلامية يرغب في وحدة الهند، وقالت: إن خوف المسلمين من ضياعهم في الأكتوية جعلنا نبحث موضوع استقلال باكستان، وأنها مشتمل منطقتين: إحداهما في الشمال الغربي، وتتألف من أقاليم البنجاب، والسند، والحدود الشمالية الغربية، وبالوستان، والثانية في الشمال الشرقي وتتألف من إقليم البنغال وأسام. وأيدت نظرها في إمكانية تعديل الحدود ونشرت اللجنة نسبة المسلمين في الأقاليم الستة، وجاءت كما يلي:

(١) الهند لموز بحرهما من ١٨٦.

الإقليم	عدد السكان	عدد المسلمين	عدد غير المسلمين	نسبة المسلمين (%)
البنجاب	28,118,819	19,217,242	12,201,977	67.06
السند	1,838,008	3,208,326	1,322,683	70.74
الشمالية الغربية	3,038,067	2,588,997	249,270	91.79
بالوشتان	801,631	138,930	66,701	87.80
المجموع	37,193,626	22,603,291	13,811,231	62.07
البنغال	6,306,626	33,000,131	27,301,091	84.72
آسام	10,201,933	3,112,179	6,762,261	33.73
المجموع	70,811,268	36,112,912	31,063,216	61.59

وتضم مدينة كلكتا حيث لا تزيد نسبة المسلمين فيها على 23.6% من مجموع السكان. وقطاعي (أمبالا) و(جولوندر) في البنجاب، وهذا الأمر لا توافق عليه الرابطة الإسلامية.

هذا إضافة إلى وجود اعتبارات إدارية واقتصادية وعسكرية لها وزنها. مع ملاحظة وجود مسافة بين جزئي باكستان تزيد على سبعمائة ميل، وقد أوصت اللجنة بأن يتخذ الدستور الصورة الأساسية الآتية:

أولاً: يجب أن يُقام اتحاد هندي يضم الهند البريطانية والدول كذلك، ويضطلع بالموضوعات الآتية: الشؤون الخارجية، الدفاع، المواصلات، وتكون له الصلاحيات الضرورية لجمع الموارد المالية التي تتطلبها هذه الموضوعات.

ثانياً: يكون للاتحاد هيئة تنفيذية وأخرى تشريعية تتألف من ممثلين للهند البريطانية والدول كذلك. وإن أية مسألة تثير قضية طائفة كبيرة في الهيئة التشريعية تتطلب لاتخاذ قرار بشأنها أغلبية الممثلين الحاضرين، وتصوت كلا الجانبين الرئيسيين على هذه، كما تتطلب أغلبية الأعضاء الحاضرين والمصوتين.

ثالثاً: تبقى جميع الموضوعات غير موضوعات الاتحاد، وجميع السلطات والصلاحيات المتبقية عنه في أيدي الأقاليم.

رابعاً: تحتفظ الدول بالموضوعات والسلطات والصلاحيات كافة غير تلك التي تتخلى عنها للاتحاد.

خامساً: تبقى الأقاليم حرة في تكوين مجموعات ذات هيئات تنفيذية وتشريعية، وتستطيع كل مجموعة أن تحدد الموضوعات الإقليمية التي مشترك فيها معاً.

سادساً: يجب أن ينص دستور الاتحاد ودساتير المجموعات على أن من حق كل إقليم باتفاق أغلبية أعضائه جمعياته الوطنية التشريعية أن يدعو

أما بقية الأقليات المسلمة في بقية أنحاء الهند البريطانية فيعدون حوالي عشرين مليوناً متفرقين بين بقية المواطنين الذين يبلغ عددهم الكلي 188 مليوناً.

إن هذه تبين أن إقامة دولة باكستان منفصلة وذات سيادة على الأساس التي تطالب بها الرابطة الإسلامية لن تحل مشكلة الأقليات. ولنا نرى ثمة ما يبرر أن تضم دولة باكستان ذات السيادة على تلك المناطق من البنجاب والبنغال وآسام حيث تكون أغلبية السكان من غير المسلمين. إن أية حجة يمكن استخدامها من أجل قيام باكستان يمكن - في رأينا - أن تستخدم كذلك، وبالغوة نفسها، من أجل فصل المناطق غير الإسلامية عن باكستان. وإن هذه النقطة تؤثر بشكل خاص على وضع السيخ.

لهذا بحث اللجنة إمكانية قيام باكستان على نطاق أصغر، حيث يخرج منها: إقليم آسام كله باستثناء منطقة (سيلهت)، والبنغال الغربية

(1) يزيد عدد المسلمين على هذا الرقم حيث كان الرقم قريباً من 25 مليوناً، حيث أن نسبتهم تزيد على 12% بينما حسب هذا الإحصاء تبلغ 10.62%.

إلى إعادة النظر في نصوص الدستور وذلك بعد مدة مبدئية قدرها عشر سنوات، وبعد كل عشر سنوات تالية.

وذكرت اللجنة أن ليس من هدفها إقامة دستور وإنما إقامة الجهاز الذي يضع دستوراً جديداً يلوم بوضعه الهنود من أجل الهند...

والمجموعتان الرئيسيتان لا يمكن أن تشتركا في جهاز لوضع الدستور، والدستور يجب وضعه بسرعة، والانتخابات هي الوسيلة الصحيحة لوضع دستور مقبول، والانتخابات تحتاج إلى مدة، والطريقة العملية هي الدعوة إلى الجمعيات الوطنية التي انتخبت حديثاً، ولكنها لم تمثل تمثيلاً صحيحاً وأعطت اللجنة أمثلة لذلك أن عدد أعضاء الجمعية الوطنية لإقليم (أسام) هو ١٠٨ أعضاء وأن سكان هذا الإقليم هو عشرة ملايين، على حين أن عدد سكان البنغال هو ستة أضعاف سكان (أسام) أي ستين مليوناً بينما عدد أعضاء جمعيتها الوطنية هو ٢٥٠ عضواً أي ضعفين وثلاث عدد أعضاء جمعية أسام. وكذلك الوزن الذي أعطيت للأقليات، وهو يختلف بين جهة وأخرى حسباً أعطيت الطائفة فقد أعطيت المسلمون مثلاً ٤٨٪ من الجمعية الوطنية البنغالية على حين يُشكلون ٥٥٪ من مجموع سكان الإقليم، ولذلك اقترحت اللجنة ما يأتي:

أ - يعطى كل إقليم عدداً كلياً من المقاعد يتناسب مع عدد سكانه، نسبة مئوية قدرها مقعد واحد لكل مليون مواطن، كتأقرب بديل للتمثيل بطريقة تصويت البالغين.

ب - تقسم هذا العدد من المقاعد المخصصة للأقاليم بين الجاليات الرئيسية فيه نسبة عدد أبنائها.

ج - النص على أن يتخبط ممثلو كل جالية في الإقليم من أعضاء تلك الجالية في الجمعية الوطنية التشريعية وحدهم.

وردت كذلك أن يكتفى بثلاث طوائف رئيسية في الهند، وهي:

الهندوس (العامة)، والمسلمون، والسيخ، على أن تشمل الطائفة العامة كل من كان غير مسلم، وغير سيخ. وتمثل الأقليات الصغيرة في المسائل ذات الأهمية الخاصة للأقليات.

أولاً: اقترحت اللجنة أن تقوم كل جمعية وطنية تشريعية إقليمية بانتخاب العدد الوارد أدناه من الممثلين، على أن يتخبط كل قسم من الجمعية الوطنية (العام - المسلم - السيخ) ممثلته الخاصين بطريقة التمثيل النسبي، على أساس صوت واحد قابل للتحويل.

القسم (أ)	الإقليم	العام	المسلمون	السيخ	المجموع
القسم (ب)	مدراس	٤٥	٤	-	٤٩
	بومباي	١٩	٢	-	٢١
	الأقاليم المتحدة	٤٧	٨	-	٥٥
	بيهار	٣١	٥	-	٣٦
	الأقاليم المركزية	١٦	١	-	١٧
	أوريسا	٩	-	-	٩
القسم (ج)	البنجاب	٨	١٦	٤	٢٨
	الشمال الغربي	-	٣	-	٣
	السند	١	٣	-	٤
القسم (ج)	البنغال	٢٧	٣٣	-	٦٠
	أسام	٧	٣	-	١٠
		٢١٠	٧٨	٤	٢٩٢
ثانياً:	ممثلو الدول الهندية				٩٣
					٣٨٥

ملاحظة: من أجل تمثيل الأقاليم التابعة للمفوض العام يضاف إلى:

١	القسم (أ) العضو الممثل لدلهي في الجمعية الوطنية التشريعية
١	العضو الممثل لأجمر - مروارا
١	العضو الممثل لكورج
١	القسم (ب) العضو الممثل عن بالوستان
٣٨٩	

ثالثاً: يجتمع الممثلون المختارون بهذه الطريقة في دلهي الجديدة في أول فرصة ممكنة.

رابعاً: ويعقد اجتماع تمهيدى يتقرر فيه النظام العام لسير العمل، ويتخب فيه رئيس المجلس وبقية موقفيه، كما يتم تشكيل لجنة استشارية خاصة بحقوق المواطنين والأقلييات والمناطق القبلية والمناطق المستتابة وبعد هذا ينقسم الممثلون الإقليميون إلى الأقسام الثلاثة الميئة سابقاً

خامساً: تقوم هذه الأقسام بتقرير الدساتير الإقليمية التي ينص عليها كل قسم، وتقرر كذلك ما إذا كان سوضع دستور جماعي لمجموعة هذه الأقاليم، كما تقرر في حالة وضع مثل هذا الدستور الموضوعات التي ستكون من اختصاص المجموعة، ويجب أن تتمتع الأقاليم بحق الانفصال عن المجموعة وذلك بمقتضى النصوص الواردة في الثامنة أذناه.

سادساً: يجتمع ممثلو الأقسام الثلاثة بعد ذلك ومعهم ممثلو الدول الهندية من أجل وضع دستور الاتحاد.

سابعاً: أي قرار يرد في المجلس التأسيسي الاتحادي، من شأنه أن يلغى المطالب الرئيسية أو يشير أية قضية طائفية كبيرة يتطلب موافقة أغلب النواب الحاضرين، وتصويت الجاليتين الرئيسيتين كلاً على حدة.

يتّ رئيس المجلس التأسيسي في أي من القرارات يشير قضية طائفية كبيرة، كما يقوم بناءً على طلب من أغلبية نواب أي من الجاليتين الرئيسيتين باستشارة المحكمة الاتحادية قبل أن يتّ برأيه في الموضوع.

ثامناً: بعد أن توضع الترتيبات الدستورية الجديدة موضع التنفيذ يصبح من حق كل إقليم أن يقرر الخروج من المجموعة التي وضع فيها. ويمكن اتخاذ هذا القرار بواسطة الجمعية التشريعية الخاصة بالإقليم بعد إجراء الانتخابات العامة الأولى في ظل الدستور الجديد.

يقوم سعادة نائب الملك بالطلب من الهيئات التشريعية الإقليمية أن تباشر بانتخاب ممثلها، كما يطلب من الدول أن تعين اللجنة المفاوضة.

ومن الضروري المفاوضة لإقرار معاهدة بين المجلس التأسيسي الاتحادي والمملكة المتحدة وذلك لتقرير بعض الأمور التي تنشأ من تحويل السلطة.

وفي المرحلة التي يجري فيها وضع الدستور لا بد من أن تستمر إدارة البلاد، ولذلك فإننا نعلّق أكبر درجة من الأهمية على أن تُشكّل مباشرة حكومة موقفة تتمتع بتأييد الأحزاب السياسية الرئيسية.

لكن حزب الرابطة الإسلامية قد أصدر بياناً في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ (٢٢ أيار ١٩٤٦ م) وانتقد فيه خطة البعثة الوزارية، وكذلك أصدرت اللجنة العاملة لحزب المؤتمر قراراً في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ (٢٤ أيار ١٩٤٦ م) اعترضت فيه على خطة البعثة الوزارية.

فأصدرت البعثة الوزارية في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ (٢٥ أيار ١٩٤٦ م) بياناً إضافياً ردّت فيه على بيان الرابطة، وعلى قرار حزب المؤتمر.

ولكن في هذه الأثناء كان المسلمون يمشون في طريقهم، يؤقّدون إصرارهم على الانفصال، وتأسيس دولة باكستان إذ أنهم لا يستطيعون البقاء مع الهندوس في دولة واحدة لأنهم لا يمكنهم أن يلبوا بالذات، ولا أن يسلموا اعتناقهم للهندوس يتصرفون بهم كما يتصرفون بهم كما يشاؤون بصفتهم أكثرية.

لقد كان قرار لاهور الحجر الاساسي في تأسيس دولة باكستان بعد أن
يش المسلمون من إيجاد حلٍ معقولٍ للتعايش مع الهندوس.

وبعد الحرب العالمية الثانية اجتمع المسلمون في دهلي في جلسةٍ
تشريعيةٍ وأبأوا فيه أسباب دعوتهم لاستقلالهم عن الهندوس، ورغم المساهي
التي بلدها زعماء الهندوس ليعدل المسلمون عن مطالبهم، وكان المؤتمر
في دهلي قد عقد في ٧ جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ (٨ نيسان ١٩٤٦ م)،
وكان قرار هذا المؤتمر مبنياً على مؤتمر لاهور السابق الذي عُقد قبل ست
سنوات. وقد جاء نص القرار كالآتي:

بما أنه يوجد في شبه القارة الهندية الواحدة مائتا مليون مسلم يتنون
إلى عقيدةٍ تُنظّم كل ناحيةٍ من نواحي حياتهم (الثقافية والاجتماعية
والاقتصادية والسياسية) ولا تنفك عند حدود الأمور الروحية والعقديّة
والمناك مما يختلف اختلافاً كلياً وجلبياً مع تعاليم الديانة الهندوسية
وفلسفتها التي ما زالت منذ آلاف السنين تُعَلِّي وتدعم نظاماً طبقياً قاسياً
أُتقن إلى إزاله سنين مليون إنسان إلى منزلة المنبوذين، وجعل حواجز غير
طبيعيةٍ بين إنسانٍ وآخر، وامتيازات اجتماعية واقتصادية، كما أتى إلى
حرمان فريقي كبير من أبناء هذه البلاد من العدالة، وهو يُهدد المسلمين
والنصارى وغيرهم من الأقليات بتريّ اجتماعي واقتصادي لا يمكن النهوض
منه.

ولما كان نظام الطبقة الهندوسية يتنافى صراحةً مع الوطنية والعدالة
والديمقراطية ومع جميع المثل النبيلة التي يقوم عليها الإسلام.

وبما أن الماضي التاريخي لكل من الفريقين: المسلمين والهندوس،
وما لكل منهما من عادات وتقاليد ونظم اجتماعية واقتصادية، قد جعل من
الاستحليل دمجها في وحدةٍ وطنيةٍ مستوحاةٍ من آمالٍ ومثلٍ مشتركةٍ.

وبما أنهما ما زالوا بعد مرور قرونٍ على وجودهما معاً شعبين
مختلفين.

وبما أنه بعد أن أدخل البريطانيون إلى الهند نظام الأكثرية السياسي
على غرار الديمقراطية، الغربية القائمة على حكم الأكثرية بمعنى أن
الأكثرية في قوم ما، أو في جماعةٍ ما تستطيع أن تفرض إرادتها على أكثريةٍ
من قوم آخر أو جماعةٍ أخرى على الرغم من معارضة هذه الفئة، كما
حدث خلال سنتين ونصف من حكم حكومات المؤتمر الهنديكي التي
تشكلت في العهد البريطاني في الولايات التي أكثرية أهلها هندوسية، حيث
خضع المسلمون فيها إلى ما لا يوصف من مضايقاتٍ وضغوط، مما أتى
إلى قناعة المسلمين بطلان هذا النظام وعدم جدوى ما سُمي بالحماية
الدمستورية، وما جاء في التعليمات المعطاة إلى الحكام، وانتهى بهم الأمر
إلى النتيجة الحتمية، وهي أنه إذ أقيم اتحاد (فيدوالي) في الهند فإن
المسلمين، حتى ولو كانوا أكثريةً في بعض الولايات، لن يكونوا أحسن
حظاً مع الهندوس، وأن حقوقهم لن تصان قط مع وجود أكثرية هندوكيةٍ
دائمةٍ في الحكومة المركزية.

وبما أن المسلمين مقتنعون بأن إنفاذ مسلمي الهند من السيطرة
الهندوكية وإعطاءهم الإمكانية الكاملة لتطوير أنفسهم على قدر عقولهم لا
تتم إلا بإنشاء دولةٍ مستقلةٍ ذات سيادة تضمّ البنغال وأسام في الشمال
الشرقي، وتضمّ البنجاب وولاية الحدود الشمالية والسند وبلوچستان في
الشمال الغربي. لهذا بصّح المؤتمر الإسلامي لجميع الهند، مركزاً
وملحقاً، في جلسته التشريعية، بعد أن أخذ بعين الاعتبار كل الأمور،
بأن الأمة الإسلامية لن تخضع قط لأي دستور يقضي بوحدةٍ هنديةٍ، ولن
تشارك بأية هيئةٍ دستوريةٍ ترمي إلى هذه الغاية، وأن أي حلٍ تعرضه
الحكومة البريطانية لتحويل السلطة من الإدارة البريطانية إلى الشعب الهندي
لا يتفق مع المبادئ التالية العادلة المدروسة لحفظ السلام الداخلي وهدوء
البلاد لن يساهم في حلّ القضية الهندية. والحلّ هو:

١- أن تتشكل في المناطق المشتملة على البنغال وأسام في الشمال الشرقي ومن البنجاب ومنطقة الحدود الشمالية الغربية وولايات الهند وبلوچستان في الشمال الغربي من الهند (أي مناطق باكستان) حيث يشكل المسلمون الأثرية الساحقة، دولة مستقلة ذات سيادة وأن تتخذ التدابير الحاسمة لإقامة هذه الدولة دون تأخير.

٢- أن يسن كل من شعبي باكستان وبنغال ديموكراتياً لنفسه مفصلاً عن الآخر يتفق مع مبادئه.

٣- أن تتمتع الأقليات في باكستان وبنغال بالحمائية التي نص عليها قرار المؤتمر الإسلامي لجميع الهند الصادر في ٢٣ آذار ١٩٤٠ م (١٤ صفر ١٣٥٩ هـ) في لاهور.

٤- إن قبول طلب المؤتمر الإسلامي بإقامة باكستان من غير تأخير هو شرط أساسي لتعاون المؤتمر في تشكيل الحكومة الانتقالية المركزية واشترائه بها.

إن هذا القرار يعني بصراحة أن أية محاولة لفرض دستور لهندي موحد أو اللجوء إلى أية تسوية مؤقتة، في المركز، خلافاً لطلب المؤتمر الإسلامي يجعل المسلمين أمام أمر واحد وهو المقاومة لمثل هذا الغرض بكل الوسائل الممكنة لضمان بقائهم العضوي.

وفي نهاية المؤتمر ردّد الجميع هذا الإعلان:

«إني أعلن بصراحة، في هذا المقام، عن اعتقادي الجازم بأن أمن وسلامة ومستقبل المسلمين في شبه القارة الهندية منوط بقيام باكستان، وهو الحلّ الوحيد العادل للقضية الدستورية، وهو الذي يجلب السلام والحرية والرخاء لجميع الشعوب والمجتمعات الموجودة في شبه القارة الهندية العظيمة.

وأرى من وحيي أن أؤكد بصراحة أنني سأنتقل بطيئة خاطرة ودون تلوّظ

كل التوجيهات والتعليمات التي تصدر عن المؤتمر الإسلامي لعموم الهند لتحقيق أية حركة يتبناها بلوغ الهدف الوطني العزيز لباكستان.

وبما أنني أؤمن بعدالة قضيتي وصدقها فإنني أتعهد بأن أواجه أي خطر، وإن أقدم أية تضحية يُطلب مني تقديمها»^(١).

ردّة مقترحات البعثة الوزارية:

اجتمع مجلس الرابطة في ٦ و ٧ رجب ١٣٦٥ هـ (٥ و ٦ حزيران ١٩٤٦ م) وبحث على الانتقادات التي وردت في بيان البعثة الوزارية لفكرة باكستان، وأكد أن دولة باكستان ذات السيادة هو هدف الرابطة الإسلامية الذي لا يمكن تغييره بحال من الأحوال.

ورفض غاندي الاقتراح، ورفض التوسيم وذلك في ١١ شعبان ١٣٦٥ هـ (١٠ تموز ١٩٤٦ م) إذ رأى أن السخّ أعداء المسلمين الذين يكترون في شرقي البنغال سيكونون أقلية في القسم (ب) الذي يضم أكثرية مسلمة، فلا يمكن أن يُستفاد من عداوتهم للمسلمين. وصرّح غاندي قائلاً: إن حزب المؤتمر يودّ أن يكون مُطلق الحرية والتصرف فيما يُقرره، ولنا لن نتنازل عن أي أمر من أمورنا لأحد.

(١) يلاحظ أن البارزين في المؤتمر كانوا أصحاب عواطف إسلامية، وأهل مصالح وديانة، ركّبوا الموجة، وبرروا، ولم يكونوا أصحاب فكر وعقيدة، وهذا أصلاً خط القائلين على حزب الرابطة الإسلامية، وأما العامة فتشجع أيضاً بالعاملة، لذا لم يرد ذكر تطبيق الشريعة الإسلامية في دستور باكستان الذي سوسّع، ولم يبحث هذا الموضوع. كما يلاحظ أنه لم يرد اسم ولاية كشمير التي تضم أكثرية مسلمة، فهل لأن حاكمها غير مسلم؟ وإذا كان كذلك فلماذا لم يرد ذكر الولايات التي يحكمها مسلمون مثل حيدرآباد وجوناكاد. كما يلاحظ أن ولاية أسام، والبنجاب الشرقية، والبنغال الغربية لم تدخل فيما بعد في الولايات التي شكلت باكستان، أخذاً باقتراحات البعثة الوزارية.

أكد نائب الملك وبعثة الحكومة في ١٧ رجب ١٣٦٥ هـ (١٦ حزيران ١٩٤٦ م) في بيان لهم ضرورة تشكيل حكومة هندية مُمثّلة للشعب بأقل تأخير ممكن. وفي الوقت نفسه وجه نائب الملك دعوة إلى أربعة عشر رجلاً من الأعيان للاشتراك في الحكومة المقترحة، وأنها ستضم خمسة من المسلمين ومثلهم من الهندوس وواحداً من النصارى، وواحداً من السيخ، وواحداً من المجوس (البارسي) وآخر من المتبذئين. وقد وافقت الرابطة على الاشتراك في هذه الحكومة على حين رفض حزب المؤتمر.

دعا نائب الملك نهرو لتشكيل حكومة مؤقتة قبل نهرو الذي رفض شروط الرابطة للاشتراك بالحكومة، فامتنع محمد علي جناح من المشاركة بالحكومة.

احتجت الرابطة الإسلامية، واحتج المسلمون في ١٩ رمضان ١٣٦٥ هـ (١٦ آب ١٩٤٦ م) وقامت مظاهرات في مدينة (كلكتا)، واصطدموا مع الهندوس، ووقع مائة قتيل من الطرفين. وسمع المسلمون في مدينة (بومباي) فخرجوا بمظاهرات، وخشي نائب الملك مغية ذلك، فطلب مشاركة الرابطة، وتوسط أمير بهوبال، وفشلت الوساطة.

تدخل نائب الملك، وطلب من محمد علي جناح ترشيح خمسة أسماء. ثم اختلفوا على توزيع الوزارات، فأراد حزب المؤتمر الهندي وزارات الداخلية، والخارجية، والمالية، والتجارة، ولكن تدخل نائب الملك، وأعطى حزب الرابطة وزارتي المالية والتجارة، وقدم محمد علي جناح لهاتين الوزارتين (أصف علي) وزوجته هندوسية، وأحد المشوقين.

وامتدت الفتنة إلى الهند كلها، وخاصة ولاية (بيهار) حيث اشتد القتال، فعمل الهندوس على قتل كل من يتسب إلى حزب المؤتمر من المسلمين، فنكب أكثر من خمسة ملايين مسلم. كما أخذ الهندوس يفتكون

بالتجار القادمين من دلهي للبيع في مناطق أحياء الهندوس، ولم يستمع أحد لتداعيات الهدوء.

دعا رئيس الوزراء البريطانية إلى لندن محمد علي جناح ولياقت علي خان عن المسلمين، ونهرو وبيل عن الهندوس، وبالهدف منع زعيم السيخ، للمشاورة.

رفض نائب الملك والبعثة تشكيل الحكومة وعادت البعثة في ٣٠ رجب ١٣٦٥ هـ (٢٩ حزيران ١٩٤٦ م) إلى أوروبا.

وكانت قد عقدت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية ومجلسها اجتماعاً في مدينة بومباي في الأول من رمضان ١٣٦٥ هـ (٢٩ تموز ١٩٤٦ م) حيث سحب المجلس موافقته السابقة على مقترحات بعثة الحكومة، وتنادى في بيان آخر أصدره أيضاً بالحكومة البريطانية وحزب المؤتمر، وأعلن أن الوقت قد حان للعمل المباشر لتحقيق هدف إنشاء باكستان.

وفي ١٥ رمضان ١٣٦٥ هـ (١٢ آب ١٩٤٦ م) دعا نائب الملك الزعيم الهندي بانديت نهرو ليبحث معه تشكيل حكومة مؤقتة فوراً، وتألقت الحكومة مباشرة برئاسة نهرو، وضمت اثني عشر عضواً بينهم ثلاثة من المسلمين، وأقسمت البعثة الدستورية في ٥ شوال ١٣٦٥ هـ (الأول من أيلول ١٩٤٦ م)، ونتيجة موقف حزب المؤتمر فقد اندلعت الاضطرابات وسودات العنف في أنحاء الهند جميعها.

وفي ٢ محرم ١٣٦٦ هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٦ م) طلبت حكومة صاحب الجلالة من نائب الملك أن يسافر إلى لندن بالطائرة مع ممثلين عن حزب الرابطة، والمؤتمر، وطائفة السيخ للمشاورة. فسافر بعد أربعة أيام ومعه محمد علي جناح، ولياقت علي خان، ونهرو، وبالهدف منع. وجرت المناقشات حول مقاطعة الرابطة الإسلامية للمجلس التأسيسي.

استمر التراجع بين الرابطة وحزب المؤتمر، ووجدت بريطانيا أنه لا

فأثمة من استمرار المفاوضات مع المسلمين والهندوس فأعلن رئيس الوزارة البريطانية (كلميت أنلي) في ٢٩ ربيع الأول ١٣٦٦ هـ (٢٠ شباط ١٩٤٧ م) أن الحكومة البريطانية قررت تسليم السلطة إلى الهند في تاريخ لا يتجاوز (شهر حزيران من عام ١٩٤٨ م) شعبان ١٣٦٧ هـ.

استدعي نائب الملك اللورد (ويغل) وعيّن مكانه اللورد (مونتباتن)، وقد غادر (ويغل) الهند في الأول من جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٧ م).

جاء (مونتباتن) إلى الهند للإشراف على تنفيذ هذه القضية ومعه التعليمات الكافية لإنشاء حكومة موحدة. وعندما وصل إلى الهند أعلن أنه من أنصار فكرة وحدة الهند، وحاول إقناع زعماء الهندوس بطريقة فلم ينجح، وحصل على عكس رغبته، ثم ذهب إلى لندن في ١٠ رجب ١٣٦٦ هـ (٣٠ أيار ١٩٤٧ م). ليحت خطة جديدة بديلة.

الخطة الجديدة: أعلن رئيس وزراء بريطانيا في (١٤ رجب ١٣٦٦ هـ - ٣ حزيران ١٩٤٧ م)، أكد فيها أنه ليس للحكومة البريطانية أي نية لوضع دستور نهائي للهند، فهذا أمر من شأن الهند أنفسهم، كما أنه ليس في الخطة شيء يحول دون إجراء مفاوضات بين الجانبين من أجل توحيد الهند. كما أنه ليس في نية الحكومة قطع أعمال المجلس التأسيسي.

ومن المعلوم أن الرابطة الإسلامية لم تشارك في أعمال المجلس التأسيسي، وترى الحكومة البريطانية أن هذه الخطة قد تدفعها للمساهمة وإرسال مبعوثيها.

وفي الخطة تقسيم البنغال، وأخذ إقليم سيلهت من أسام وضمه إلى البنغال الشرقية، وكذلك تقسيم البنجاب.

وترى الخطة السرعة ونقل السلطة فوراً، على أساس أن الموعد المشروط غداً قريباً وهو شعبان ١٣٦٧ هـ (حزيران ١٩٤٨ م).

اجتمع مجلس الرابطة الإسلامية في مدينة دلهي في ٢١ رجب ١٣٦٦ هـ (١٠ حزيران ١٩٤٧ م)، وأعرب عن ارتياحه لإيقاف العمل بخطة البعثة الوزارية، ولكنه لم يستطع أن يقر تقسيم البنجاب، والبنغال كما جاء في الخطة الجديدة، غير أنه أعطى الصلاحيات لمحمد علي جناح بالتصرف وقبول المبادئ الجوهرية الواردة في الخطة.

اجتمعت لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند في ٢٥ رجب ١٣٦٦ هـ (١٤ حزيران ١٩٤٧ م) وقررت الموافقة على هذه الخطة.

وصوتت كل من البنغال الشرقية، والبنجاب الغربية، والسند، وبلوشستان، وإقليم الحدود الشمالية الغربية إلى جانب باكستان.

وفي ٢٥ شعبان ١٣٦٦ هـ (١٤ تموز ١٩٤٧ م) قُدّم إلى المجلس النهائي البريطاني قرار استقلال الهند مؤلفاً من عشرين مادة وثلاثة جداول. وقد أقر مجلس العموم القرار في اليوم التالي، وأقره مجلس اللوردات بعد يوم أيضاً، وحاز القرار على التصديق الملكي في ٢٩ شعبان ١٣٦٦ هـ (١٨ تموز ١٩٤٧ م)، وقد جاء فيه: «نشأ اعتباراً من ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) دولتان مستقلتان من طراز (الدومينيونات)»^(١)

في الهند، تعرف إحداهما بـ (الهند) وتانيتهما (باكستان)، وسيكون في كل دولة حاكم عام يدير الدومينيون يتم تعيينه من قبل صاحب الجلالة. أما المقاطعات الأخرى والإمارات فلم يكن للهند رأي واحد، وإنما عدة آراء حسبما تقتضي مصلحتها، ترى في بعض المقاطعات أن ينظر إلى رأي السكان وذلك حينما يكون الحاكم غير هندي، أو عندما تكون أغلبية

(١) الدومينيونات: مستعمرات لها نظام حكم ذاتي، حيث يكون للمستعمرة استقلالها الداخلي، وحكومتها الخاصة، ومجلسها النهائي مع بقاء ارتباطها بالناح البريطاني، وخضوعها للإشراف الحاكم العام الذي تنبئه بريطانيا، وهذا النظام أوجدته إنكلترا، وهو خاص بمستعمراتها.

السكان من الهندوس، على حين ترى في مقاطعات ثابته أن ينظر إلى رأي الحاكم وذلك عندما يكون الحاكم هندوسياً متعاطفاً مع أبناء عقيدته أو عندما لا تكون الأكثرية للهندوس. أما نائب الملك (مونتباتن) فكان يرى أن تتلحق هذه المقاطعات بالإمارات بإحدى الدولتين، كما يمكنها أن تبقى مستقلة. وقد نشأ خلاف حول وضع بعض المقاطعات، وهي:

١ - جوناكاد:

وهي مقاطعة ساحلية في غربي الهند، في شبه جزيرة كوجرات، تبلغ مساحتها حوالي ثمانية آلاف كيلو متر مربع، يحكمها أحد المسلمين، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٪ من مجموع سكان المقاطعة البالغ عددهم ثلاثة ملايين.

وقد رأى الحاكم أن ينضم إلى باكستان، غير أن الهند عارضت ذلك، فاقترح إجراء استفتاء، فعارضت الهند ذلك أيضاً، وأرسلت إلى المقاطعة قوة كبيرة اكتسحت أرضها، وضمتها إليها، وطردت الحاكم المسلم، ورضيت إنكلترا بهذا، وسكت عنه ثم باركة.

٢ - حيدر أباد:

وتقع في هضبة الدكن، وسط الهند، تبلغ مساحتها ثلاثمائة وخمسين ألف كيلو متر مربع، أي أكبر من مساحة بلاد الشام، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة عشر مليوناً، يحكمها رجل مسلم. وقد رأى في بداية الأمر أن يتلحق بباكستان، ثم قدر بعد بلاده عنها، فرأى أن يبقى مستقلاً، ولكن الهند رفضت هذا الرأي، فاقترح الاستفتاء مع أن نسبة المسلمين في حيدر أباد لا تزيد على ١٠٪ من مجموع سكان المقاطعة فرفضت أيضاً هذا الرأي، ورفضت استفتاء تقسيم به الأمم المتحدة، وأدعت الهند حججاً وأهية، ثم قامت بهجوم كاسح على مقاطعة حيدر أباد في ١٢ شوال ١٣٦٧ هـ، واحتلتها بعد مقاومة ضئيلة، بعد وفاة محمد علي جناح

بيومين. ورضيت إنكلترا، وسكت الأمم المتحدة، وهل كان بالإمكان أن يحدث هذا فيما لو احتلت باكستان إحدى هاتين المقاطعتين أو إحداهما؟

٣ - كشمير:

ستفرد لها الفصل التالي - إن شاء الله - لما لها من أهمية، ولاستمرارها مشكلة قائمة، وتقع الخلافات والصراعات بل والحروب بين هند وباكستان بسببها.

٤ - نيال، وبوتان، وسيلان، وسكيم:

هذه مقاطعات لم تدخل ضمن التقسيم، وإنما شكلت دولاً مستقلة، وتضم نسبة من المسلمين، ويمكن الرجوع إليها في الجزء [٢٢] من هذا الكتاب، وهو الجزء المخصص للأقليات المسلمة في العالم، ولكن انضمت «سكيم» إلى الهند عام ١٣٩٦ هـ.

٥ - غوا:

احتفظ البرتغاليون بهذا الميناء على الساحل الغربي، وهو من المستعمرات الأولى التي أنشأها المستعمرون الصليبيون البرتغاليون.

٦ - بونديشيري:

احتفظ الفرنسيون بهذا الميناء الواقع على ساحل الهند الشرقي، وهو من المراكز الرئيسية التي أسسها الفرنسيون في بلاد الهند.

ويمكن أن توضح بعض الجداول آثار التقسيم الذي تم:

مساحة الهند قبل التقسيم	٤.٣٦٠.٠٠٠ كيلو متر مربع
عدد سكان الهند قبل التقسيم	٤٤٠.٠٠٠.٠٠٠ مليون نسمة

وقد قسمت على الشكل الآتي:

الجيتيون ^(١)	٢,٠٠٠,٠٠٠	٪٠,٦
الراجبوت ^(٢)	٣,٢٤٠,٠٠٠	٪٠,٨
البيوفيون ^(٣)	٢١٠,٨٠٠	
البارسيون ^(٤)	١٢٦,٠٠٠	
اليهود	٤٤	
	٣٥٦,٠٠٠,٠٠٠	٪١٠٠

"٢ - في باكستان:

المسلمون ^(٥)	٧٣,١٢٣,٠٠٠	٪٨٨,١
الهندوس ^(٦)	٨,٩٦٤,٠٠٠	٪١٠,٨

لهم (راحيث سلخ) دولة في السحاب عام ١٢٢٤ هـ، وترأست العائلة بينهم وبين الإنكليز، واشتركوا معهم في الحرب ضد الأفغان، وانتهت هذه الدولة بموت مؤسسها (راحيث سلخ) عام ١٢٥٥ هـ.

(١) الجيتيون: يعثون أصغر الحضارات وأقربها وكل ما في الطبيعة من ذي الروح إلى فيه صفة الألوهة لذا لهم مقدسونه ومعنونه من الأذى.

(٢) الراجبوت: ويعشون في المنطقة المسماة باسمهم، ويعتقدون أنهم منحدرين من النار، وربما ادعى بعضهم أنه مسلم، وأدى آخره بوتي.

(٣) البيوفيون: وهم قلة يعيشون في شمالي البلاد، في سفوح جبال هيمالايا، يحرمون القتل، غير أنهم يأكلون اللحم.

(٤) البارسيون: أو الفرس، وهم من أتباع زرادشت، ويعرفون بالمجوس، وهم من عبدة النار ويقم معظمهم في مدينة (بومبي) وما حولها.

(٥) تختلف نسبة المسلمين بين حاضي باكستان إذ تبلغ ٨٠٪ في الجناح الشرقي بينما هي ٢٩٧,٢٪ في الجناح الغربي، ولكن تسجل بينهم - مع الأسف - طائفة الإسماعيلية التي تتركز في مدينة كراتشي، وهي بالأصل ليست من المسلمين، وكذا فرقة القاديانية التي تتركز في مدينة لاهور، وهي جماعة كاذبة لا تمت إلى الإسلام بصلة، ومعظم الشيعة يتركزون في الجناح الغربي.

(٦) الهندوس: ويتجمعون في الجناح الشرقي من باكستان، وتصل نسبتهم هناك إلى

الدولة	المساحة	السكان
جمهورية هندستان	٣,٢٦٢,٠٠٠	٣٥٦,٠٠٠,٠٠٠
جمهورية باكستان	٩٤٣,٠٠٠	٨٠,٣٠٠,٠٠٠
ولاية كشمير	١٥٥,٠٠٠	٣,٧٠٠,٠٠٠
	٤,٣٦٠,٠٠٠	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد بقيت أقليات في كلتا الدولتين اللتين نشأنا عن هذا التقسيم وهي أقليات ذات نسبة عددية بحسب لها حساب.

"١ - في هندستان: كانت المجموعات العرقية في جمهورية هندستان إثر التقسيم كما يأتي:

الهندوس	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٪٨٤
المسلمون	٤٢,٧٣١,٩٩٦	٪١٢
التصاري ^(١)	٥,٥٩٢,٤١٩	٪١,٥
السيخ ^(٢)	٤,١١٤,٧٤٦	٪١,١

(١) تنتشر التصارية بشكل خاص على السواحل، وفي دعلي، وتقيم أكثر أتباعها في ولاية (ترافكور) في جنوبي الهند، حيث يُشكلون ثلث السكان، ثم في مدراس، وقد نشطت الإرساليات التصارية أثناء الاستعمار الهندي.

(٢) أسس عقيدة هذه الفرقة الفلاسفة (غورو) أي المعلم متأزراً بالهندوسية والإسلام، في أواخر القرن العاشر الهجري، وقد منحه السلطان (أكبر) عام ٩٨٦ هـ (١٥٧٧ م) قطعة من الأرض بنيت عليها مدينة (أمريتسار)، وهي مكان مقدس عند السيخ، ويزيد عددهم على عشرة ملايين، ويحرمون قتل البشر وخاصة الشارب واللحم. وقد مؤسس هذه العقيدة بالقرب من مدينة (لاهور)، ويُدعى أتباعه أنه ذهب إلى مكة حاجاً، وقرأ القرآن، وهناك عرف أنه إله، وتقام

٠.٨%	٦٦٤,٠٠٠	النصاري (١)
٠.٢٩٩%	٢٤٩,٠٠٠	اليونانيون (٢)
٠.٠٠٦%	٥١,٠٠٠	المجوس (٣)
١٠٠%	٨٣,٠٠٥,٠٠٠	

لم يتمّ التّقسيم بسهولة فقد عمل الهنالك على تفرّيق شحنات من حقدّهم في الوقت قبل أن يفلت المسلمون من أيديهم، وتقام الحدود كحواجز تمنعهم من الوصول إلى أهدافهم. فقد وقعت صدامات أشد من المذابح التي وقعت قبل التّقسيم حيث أحرق الهندوس والسيخ القطارات التي تنقل المسلمين من المناطق التي مستخضع للحكومة الهندية إلى المناطق التي ستحمل اسم باكستان. وقامت الفتن في البنجاب الشرقية التي معظم سكانها من الهندوس والسيخ، وقد فصلت عن باقي البنجاب التي عُرفت باسم البنجاب الغربية والتي أصبحت ضمن دولة باكستان، واستمرّت الفتن حتى خرج المسلمون جميعاً من هذه المقاطعة «بنجاب الشرقية» وتعرّض المسلمون أثناء ذلك للقتل والحرق وسي النساء في المدن والقرى ومحطات السكك الحديدية، وربما يصعب تفصيل هذه الأحداث لكنّتها ولما فيها من مأسى نشعر لها الأبدان، ويندى لها جبين الإنسانية، وعمّت هذه الحوادث أكثر المناطق، وخاصة دهللي، وفي بنجاب الشرقية حيث قتل مائتا ألف مسلم خلال يومي ١٤ و١٥ شوال ١٣٦٦ هـ في مدينة أمرتسار.

- ١٨.٤% من مجموع سكان تلك الجناح، بينما يشكلون ١.٦% في الجناح الغربي.
- (١) النصاري: ويتركزون في باكستان الغربية لم أعلوا بالأزدياء في باكستان الشرقية.
- (٢) اليونانيون: ويضمّون في الجناح الشرقي.
- (٣) المجوس: وجنّهم في الغربية في مدينة كرانشي.

الباب الثاني

ولاية كشمير

كشمير

تعريف:

إن لكشمير أهمية خاصة في هذه الظروف فهي بالإضافة إلى كونها منطقة نزاع بين دولتين من كيريات دول آسيا، وهما باكستان والهند، ويمكن أن يتفجر الصراع بينهما في كل وقت، وتقع الحرب بسبب كشمير بصورة مفاجئة كما حدث عام ١٣٨٥ هـ. فهي تقع أيضاً في منطقة تناخم دولاً من أكبر دول العالم وهي: الإمبراطورية الروسية، والصين، ولكلٍ منهما رأي في النزاع الباكستاني - الهندي ومصالح تقتضي بأن يساعد كل منهما طرفاً دون الآخر، وربما جرّ هذا الوضع هذه الدول إلى حرب عالمية. هذا بالإضافة إلى المذابح التي تحدث فيها بين العدة والأخرى، والتي تهزّ العالم بوحشيتها، ويتطلّع الناس لمعرفة أسبابها وأبعادها.

كشمير منطقة جبلية تقع بين الصين شرقاً، وباكستان غرباً، وبين باكستان والهند جنوباً، والصين وأفغانستان شمالاً، تنتصب في شرقها جبال (قره قورم) التي ترتفع قممها إلى أكثر من ثمانية آلاف متر، كما ترتفع جبال (لداخ) و(زسكار) في الجنوب الشرقي إلى ستة آلاف متر، وجبال (هيمالايا) التي ترتفع في هذه المنطقة إلى خمسة آلاف متر، وتمتدّ في الشمال الغربي جبال (هندكوش)، وفي الغرب يوجد وادي (كشمير) في الشمال، ووادي (جمو) في الجنوب، وبينهما جبال (بانجال)، وبعدّ هذان الواديان تمتدّ سهول باكستان.

والمناخ بارد جداً في فصل الشتاء لطبيعة البلاد الجبلية، إذ تغطي الثلوج الجبال أكثر أيام العام، أما الصيف ف معتدل في الجبال حار في الأودية. وتجري الأنهار في هذه المنطقة، وإن كانت الأمطار غير ثابتة الغزارة. فقد نهطل بكثرة وتفيض الأنهار، أو تنسحب في سنوات أخرى، وينخفض منسوب المياه، وأشهر هذه الأنهار نهر (السنڌ) الذي يخترق منطقة (الداخ) و(زسكار)، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرقده نهر (جلحت) ثم يدخل باكستان، ويتجه نحو الجنوب الغربي. ونهر (جهلم) الذي يمر في وادي (كشمير)، ويدخل باكستان، ويرقد نهر (السنڌ). ونهر (شباب) الذي يمر في وادي (جمو)، ويدخل باكستان، ويرقد نهر (السنڌ) أيضاً.

تعدّ بلاد كشمير زراعية بالدرجة الأولى حيث تقوم المزارعات في الأودية، وعلى سفوح الجبال. ومن الزراعات ما هو مروّي، ومنها ما يعتمد على ماء المطر، وأشهر المزارعات: (الرز وهو الغذاء الرئيسي للسكان، وتعدّ كشمير، والبنغال، والسنڌ أهم مناطق زراعة الرز في شبه القارة الهندية، ثم هناك القمح، والشعير، والذرة، والقطن، والتوت الذي تربى عليه جودة القز لإنتاج الحرير، والزعفران، والشع، وتقوم زراعة مختلف أنواع الفاكهة التي تحتاج إلى منطقة باردة كالنخاع، والدراق، والخوخ، وتعدّ باكستان سوقاً لفاكهة كشمير.

وتغطي الغابات مساحات لا بأس بها من البلاد، وتقدّم ٢١٪ من مجموع واردات كشمير، إذ تصدّر ٩٠٪ من أخشابها، وتستهلك ١٠٪ فقط، وترسل الفائض بواسطة الأنهار إلى غربي البنجاب.

وتقوم في البلاد الصناعة اليدوية، وأشهرها الحياكة، والنقش على الخشب، وصناعة الفضة، ولها في ذلك شهرة عالمية. ونسج الحرير، ويوجد في العاصمة (سرينغر) معمل للحرير من أكبر مصانع العالم. ويتكلم السكان لغةً جبليةً خاصةً، تشبه لغة البنجاب إلى حدّ ما، وهي من أصل سنسكريتي، وترى فيها أثراً واضحاً من اللغة الفارسية.

يلبس الرجال عمائم حمراء، وسراويل خفيفة على الأرجل، أما النساء فيساعدن الرجال في أعمال الزراعة، ويلبسن جلابيب فضفاضة، ويضعن على رؤوسهن قلمسوة، تُسَمَّى «قُضَابَة»، وملاحة تربط بالفلنسة. أما حديثاً فأصبح الرجال والنساء يلبسون الأزياء العصرية، أو يلبس الرجال «الشيرتات» أي زي مسلمي باكستان، أما النساء فيلبسن الزي الهندي للنساء المعروف بـ«الساري».

ويحمل السكان في الشتاء معهم المدافئ، من شدّة البرد، وتستهعمل هذه المدافئ في البيوت، وتصنع من الطوب، ويحاط بها كساء خشبي من الخارج.

ولون بشرة السكان الأبيض، وهم أذكياهم بالفطرة، ضخام الأجسام، وأشهر قبائلهم: الشيخ، السيد، المغول، الباتان، وهذه قبائل إسلامية، أما قبائل الهنالك فأشهرها: البانديت، وريشي، وقبائل البانديت متعصبون جداً للبراهمية.



وصل المسلمون إلى شمالي بلاد الهند منذ القرن الثاني للهجرة، وفتحوا أكثر المناطق الشمالية باستثناء كشمير لمناعتها الجبلية، واستمر الهنالك يحكمونها، وتنتشر فيها البوذية تارةً، وينسحب أفرادها نحو الصين تارةً أخرى حتى أيام التتار، وفي هذه الأثناء حاول محمود الغزنوي فتحها، فلم يُقدّر له. وفي أواخر القرن الثامن الهجري اعتنق ملكها البوذي (ريغن شا) الإسلام على يد الداعية (بليل شاه)، وسَمَّن نفسه (صدرالدين)، وكان هو الحاكم المسلم الأول على كشمير، وأسلم معه عدد غير قليل من الرجال الكبار في مجالات الحياة المختلفة، كما أسلم عدد كبير من سكان الولاية، وابتدأ الإسلام ينتشر في تلك الأرجاء، وابتدأ معه تاريخ كشمير يدخل مرحلة جديدة، حيث تحلّص السكان من اضطهاد الهنالك، واستمرّ الحكم الإسلامي فيها حتى عام ١٢٣٤ هـ حيث استولى عليها الشيخ

عندما دخل تيمور الهند عام ٨٠١ هـ كان يحكم كشمير الملك (إسكندر) منذ عام ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) فلم يغزها تيمور، وإنما أرسل إلى حاكمها الملك إسكندر فلبين هديةً منه لما سمعه من حسن معاملته لرعيته. ولما حكم الملك (أكبر) الهند (٩٦٣ - ١٠١٤ هـ) بسط نفوذه على كشمير عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٧ م)، وأصبحت مدينة اسرنترة عاصمة كشمير مقرّاً لنائب الملك، واستمرّ حكم المغول لكشمير حتى عام ١١٦٤ هـ (١٧٥٢ م)، وشهدت البلاد خلال هذه المرحلة أفضل أيام تاريخها.

وجاء الأفغان بعد أن ضعف الحكم المغولي، وسيطروا على كشمير، واستمرّ حكمهم لها مدة تسع وستين سنة (١١٦٤ - ١٢٣٤ هـ) حيث ضعف حكمهم للتدخل الإنكليزي في شؤون الأفغان، وتمكّنت مجموعة السخ من فرض سيطرتها على كشمير.

حكم الشيخ كشمير مدة ثمان وعشرين سنة (١٢٣٤ - ١٢٦٢ هـ)،

وكان عهداً أسود على البلاد حيث انتشر الظلم وسوء المعاملة، وكان التعصّب قوياً ضد المسلمين، فأهقرت الدماء ظملاً، وأهقرت المساجد، واستعمل بعضها اصطبلًا للخيل، وقام المسلمون بعدة ثورات ضدّ السخ، ثم جاء الإنكليز وأخذوا كشمير من السخ عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م).

باع الإنكليز كشمير بمبلغ سبعة ملايين ونصف المليون روبية إلى أسرة (الدوغرا)^(١) لمدة مائة سنة ميلادية (١٨٤٦ - ١٩٤٦ م) بموجب اتفاقية عرفت باسم (اتفاقية أمريتسار) إذ وقعت الاتفاقية في مدينة أمر يتسار قاعدة السخ. وكان من الطبيعي أن يدبّ الفزع في قلوب الشعب الكشميري الذي يُشكّل المسلمون معظمه، لذا وجد الإنكليز أنه من الضروري - مكرراً وخذاعاً - أن يحصلوا على تعهد من (الدوغرا) بأن يحكموا رعيتهم المسلمة بالعدل، وكان كل حاكم من هذه الأسرة يتولّى الأمر يأخذ على نفسه هذا التعهد، غير أنه لم يكن سوى كلام مكتوب على الورق، على حين كان الظلم هو السائد.

وظلّ المسلمون طيلة قرن كامل مكبلين بأغلال العبودية في بلاد استحوذ عليها حكامها من أسرة (الدوغرا) عن طريق الشراء، وعدّوها ضيعةً خاصةً، ولم يكن وجود الحكومة إلا خدمة لأغراض (المهراجا)^(٢) وأطماعه، ومن أجل ذلك فرّضت الضرائب الفادحة على أبناء الشعب، واستنزفت ثمار كدّهم، وأقوات يومهم، ولم يكن يستثنى من ذلك أي شخص مهما كان فقيراً أو معدماً أو ضعيفاً بالأسأ. فإن أسرة (الدوغرا) دفعت الثمن لتحصيل على أضغاله دون أية نظرية إنسانية، ولتستبدّ بالسكان دون أية عاطفة أو رحمة، ومن غير النظر إلى أية قيمة من القيم الأخلاقية أو الإنسانية إذ كان

(١) الدوغرا: فرع من قبيلة الراجبوت، كانوا يلقنون مقاطعة (جمو)، وتتوسل أحد رجالهم إلى حكمها، ويميل أكثر أفرادها بالجنسية ارتزاقاً.
(٢) المهراجا: لقب هندوكي يُطلق على الحاكم.

الحكام يتصرفون بالناس كأنهم عبيد عندهم، ووجدوا لخدمتهم وتحقيق رغباتهم وشهواتهم.

ولقي المسلمون أشد أنواع الاضطهاد والتنكيل، فهم ليسوا على عقيدة (المهراجا) ولا من جنسه، لذلك حُرِّموا من الوظائف الإدارية كبيرةا وصغيرةا. وبينما كان الهنالك أحراراً في حمل السلاح كان على المسلم أن يواجه عراقيل كثيرة ومصاعب جمّة للحصول على رخصة حمل سلاح. وإذا ما أسلم الهنودكي فقد أملاك آباءه، وإذا ما ارتدّ المسلم أتاحت له فرص المعيشة على أحسن وجه، وكان هناك قيود مفروضة على كثير من شعائر دينه فمثلاً كان ذبح البقرة لأكلها أو لتقديمها أضحية في العيد الأصغر يُعدّ جريمة كبرى يُحكم على مرتكبها بالإعدام، وبقي هذا الحكم حتى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) حيث خفف إلى السجن عشر سنوات من الأشغال الشاقة. وهكذا عاش ٨٠٪ من الشعب الذي يحكمه (المهراجا) في بؤس وشقاء وفقر مذق، وساد الولاية الإرهاب والظلم^(١)، وأربقت الدعوى والدعاء مداراً، واضطر آلاف السكان إلى الهجرة من مواطنهم إلى ولاية البنجاب حيث وجدوا الأزدهار والتعميم بالنسبة إلى ما كانوا عليه. وكان (المهراجا) يمنع صدور الصحف، ويُعطل بعضها. وأهانت حكومة (المهراجا) شعور المسلمين، وأجبرت بعضهم على السجود للأصنام قسراً، فقامت ثورة عام ١٣٥٠ هـ، وجاء المتطوعون إلى كشمير، ولم تهدأ الثورة إلا بتزول الجيش الإنكليزي الذي نزل ليُساعد الظلم ويحميه، ويثني على جهوده، ويعمل على إخماس المظلوم ومنعه من طلب الإنصاف، ويقول له: إن المسلم لا حق له في هذه الحياة فإن أرادها فهو ليس سوى عبد ما بقي على عقيدته.

(١) حوالي ثمانية وعشرون رئيس ووزارة على كشمير خلال قرن من الزمن هو مدة حكم أسرة (الدولت) لم يكن بينهم مسلم واحد. وأن الجيش كان مؤلفاً من ثلاثة عشر فوجاً، ولا يلبس سوى فوج ونصف من المسلمين رغم أن نسبتهم ٨٠٪ من مجموع سكان الولاية.

وعندما أسس محمد علي جمعية الخلافة نشأت لها فروع في ولايات الهند كلها، وكان (ميرواظ يوسف شاه) من أشهر علماء كشمير من بين الذين ساهموا في ظهور تلك الجمعية، وهذا ما ساعد على نموشيء من الوعي السياسي، إضافة إلى ما وقع من أحداث متلاحقة، إذ هُدم الهنالك مسجداً في بلدة (رياسي)، ومنعوا جمعاً من المسلمين في بلدة (كوتلي) من إقامة الصلاة، وفي (جمو) دُنس ضابط أمن هنودكي المصحف الشريف، واعتقل في مدينة (سرينغر) مسلم يُدعى عبدالقدير لانتقاده السياسة الدينية غير المنصفة، كل ذلك أثار حمة المسلمين فعدوا عدة اجتماعات لبحث مشكلاتهم.

بعد إلغاء الخلافة:

نشأ من اجتماعات المسلمين تشكيل المؤتمر الوطني الإسلامي برئاسة الشيخ محمد عبدالله، ورغم هذا العنوان الإسلامي الواضح إلا أنه ضمَّ عدداً من الهناتك، وحضر الجلسة الأولى التي كانت عام ١٣٥١ هـ لربعمائة ألف رجل، وهذا إن دنا على شيء وإنما بدأ على نفقة الشعب على (المهراجا) وسياسة وحكومة. ولكن بعد مدة اتته المسلمون إلى أن مؤتمرهم كانه فرع من حزب المؤتمر الهندي، وأن الشيخ محمد عبدالله ليس سوى متقلد لتعليمات الزعيم الهندي (جواهر لال نهرو) لذا رجعوا إلى أنفسهم وشكّلوا المؤتمر الإسلامي الكشميري الذي ابتثت عنه (جهة تحرير جمو وكشمير) أو أنها كانت الحناج العسكري له، واختير (شودري غلام عباس) رئيساً للمؤتمر الإسلامي، والذي دعا من أول يوم إلى إنقاذ هذه الولاية من براثن الملك الهندي (هري سنغ)، وانضمامها إلى دولة باكستان التي قدم فكرة إنشائها الشاعر محمد إقبال في مؤتمر الرابطة الإسلامية في مدينة (إك آباد) عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)، وأعلن رئيس المؤتمر الإسلامي أن هذا هو هدف حركته. ومع أن الحركة كانت إسلامية واضحة في عنوانها وأهدافها إلا أن رعايتها كانت تشمل جميع أبناء الشعب الكشميري إذ كانت تُقدّم المساعدات للطلبة الكشميريين المستحقين من المسلمين ومن غير المسلمين على حدٍ سواء.

ولما رأى الهندوس النجاح الكبير الذي حققه المؤتمر الإسلامي، والتجاوب السكاني الواسع معه عملوا على تأسيس فرع لحزب المؤتمر الهندي في كشمير، وذلك بالتعاون بين الحاكم الهندي (هري سنغ) وحزب المؤتمر الهندي المركزي الذي كان برئاسة (جواهر لال نهرو)، وكان ذلك عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م). وكان هدف هذا الحزب الهندي ضمَّ ولاية كشمير إلى الهند منذ الآن، والسعي لتكون إلى جانب هندستان فيما إذا انفصلت باكستان واستقلت. والواقع أن هذا الحزب الجديد لم يكن سوى المؤتمر الوطني برئاسة الشيخ محمد عبدالله يبرز صراحةً بأهدافه، وجعل شعاره وأحرجوا من كشمير، ويقتصد بها أسرة (الدوفا) على غرار شعار حزب المؤتمر الهندي وأحرجوا من الهند، وبني الإنكليز.

وكان في عام ١٣٦٣ هـ حزبان رئيسيان في ولاية كشمير.

- ١ - حزب المؤتمر الإسلامي برئاسة (شودري غلام عباس)، وهو على صلة مع حزب الرابطة الإسلامية.
- ٢ - حزب المؤتمر الوطني برئاسة الشيخ (محمد عبدالله) ويأتمر بأوامر حزب المؤتمر الهندي، أو هو فرع منه.

وفي عام ١٣٦٣ هـ زار محمد علي جناح كشمير، والتقى بأعضاء الحزبين، وحاول التوفيق بينهما، والعمل على ضمَّ حزب المؤتمر الوطني إلى حزب المؤتمر الإسلامي فرفض الشيخ محمد عبدالله ذلك.

وفي عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٤ م) قامت الثورة، وقاطع الحزبان المهراجا، وحكم على الشيخ محمد عبدالله بالسجن مدة ثلاث سنوات، وأرسل (نهرو) محامياً من حزب المؤتمر الهندي هو (أصف علي) ليدافع عن الشيخ محمد عبدالله.

وكان في كشمير عالمان هما: (مير واعظ محمد يوسف شاه) الذي أسس جمعية (نصرة الإسلام)، وهي أكبر جمعية تعليمية، وكان هذا العالم معروفاً بكرامته لفرقة القاديانية الضالة، والمتعاونة سياسياً مع المستعمرين

الصليين الإنكليز. أما العالم الثاني فهو (مير واعظ همداني)، فهو وإن كان على علم غير أنه مغل، واستغل المستغلون غفلته، وأعطوه معلومات خاطئة عن القادريّة، فكان يعطف على أتباعها، وكانوا على صلة حسنة به، وكان الشيخ محمد عبدالله رئيس حزب المؤتمر الوطني يُؤمّد واعظ همداني، ويستغل غفلته، ويقدمه أحياناً فيستطيع أن يخدع بعض الناس بوجود عالم إلى جانبه، وسيره إلى جانب أهل العلم، وهذا ما يقع - مع الأسف - في كثير من الجهات، حيث تستغل غفلة العلماء أو جهلهم، فيُسَيرون في كل اتجاه.

الاحتلال الهندوسي:

عندما تفرّز تقسيم الهند، وتمّ الاتفاق على ذلك، وافق الهندوس ظاهراً على هذه الاتفاقية، ولم يرضوا عنها ضمناً، وانتظروا الظروف والأحداث لتقضها، والتحكّم بالمسلمين - حسب قناعتهم - وقد صرح بهذا (جواهر لال نهرو) سياسي بريطاني في حديث معه عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) حيث قال: استنوم بالموافقة على مطالبة محمد علي جناح لإقامة دولة باكستان المستقلة، ولكن سقوم فيما بعد بإيجاد السبل التي ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ويطلبون بالانضمام إلى الهند^(١).

وفي تلك الأيام قرّر المؤتمر الإسلامي الذي كان يُمثّل الشعب في ولاية كشمير في الأول من رمضان ١٣٦٦ هـ (١٩ تموز ١٩٤٧ م) انضمام الولاية إلى باكستان. وكذلك قرّر الشبان المسلمون في الولاية أن يقوموا بالجهاد لتحرير الولاية وضئها إلى باكستان.

وجاء وقت الاستقلال والانفصال ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) فأسرع ملك الولاية الهندي من باب الخديعة والمكر وعقد

(١) كشمير المسلمة تتايكم فهل من محببة لوف الدين الترابي - الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير

اتفاقية مع باكستان بأن يبقى الوضع على ما هو عليه من التعاون بين الولاية (كشمير) والدولة الناشئة (باكستان)، وبذلك أصبحت باكستان مسؤولة عن الدفاع عن كشمير. وعن شؤونها الخارجية، وعن المواصلات وذلك لأن ولاية كشمير كانت قبل التقسيم تتبع السلطات المحلية الموجودة في مدينة لاهور، وهي مدينة بقيت ضمن الأراضي الباكستانية بعد التقسيم، وكان من المفروض أن تكون هذه الاتفاقية توطئة للانضمام التام.



أخرج (المهراجا) من السجن الشيخ محمد عبدالله إظهاراً لحسن النية وخديعة، وهو ليس عنه يبعيد، ولكنه في الوقت نفسه أُلّف عصابات قتالية من الهنّادك الكشميريين، ومن الذين جاءوا من الهند لهذا الغرض، وهاجمت هذه العصابات المسلمين، وقتلت منهم مائتين وسبعة وثلاثين

الفأ، وقامت مظاهرة من المسلمين كرد فعل قادعا (جوهرى حميد الله خان) في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ (٥ ايلول ١٩٤٧ م) فأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بانضمام كشمير إلى باكستان، وقضت على أعداد منهم فألقوا في غياب السجون. وفي غرة ذي القعدة ١٣٦٦ هـ (١٦ ايلول ١٩٤٧ م) طالب مؤتمر الفلاحين في كشمير بانضمام الولاية إلى باكستان، لكن (المهراجا) رفض هذا الطلب. وقام بتوزيع الأسلحة على الهنالك، فقامت الثورة، وتدفع المجاهدون لمساعدة المسلمين في كشمير. ولما رأى الشيخ عبدالله محمد ذلك خشي أن يفلت الأمر من يده، فأعلن وقوفه بجانب (المهراجا)، وتسلم رئاسة حكومته، وقتل يومها من المسلمين اثنين وستين ألف مسلم^(١)، ثم قر (المهراجا) هري سنغ إلى دهلي.

استطاع المجاهدون في كشمير تحرير جزء من الولاية، وتشكلت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) في ٩ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٤٧ م).

عقد (المهراجا) هري سنغ في دهلي حيث يُقيم بعد أن قر من عاصمته في كشمير اتفاقية مع الحكومة الهندية تتضمن ضم الولاية إلى الهند وذلك في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م)، غير أن هذه الاتفاقية غير صحيحة قانونياً لـ:

أولاً: كانت هذه الاتفاقية تتنافى مع قرار تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين: الهند وباكستان، وهذا القرار وافقت عليه الدولتان.
ثانياً: كانت هذه الاتفاقية تتعارض مع رغبات أغلبية سكان الولاية أي

(١) لا يريد الشيخ محمد عبدالله أن تلوب كشمير ضمن الاتحاد الهندي، كما لا يريد التحالف مع الهند وإنما يريد إعادة كشمير واستقلالها عن غيرها، فلو اتفق مع باكستان لضاعف زعامته لكثرة المسلمين، والصلة كبيرة مع باكستان، والحدود طويلة، على حين أن هذه الحدود بين كشمير والهند لا تزيد على ستين كيلومتراً.

المسلمين الذين التحقوا بقرار انضمام الولاية إلى باكستان، وكانوا يجتهدون لأجل ذلك.

ثالثاً: إن الملك الهنديوسي (هري سنغ) الذي وقّع هذه الاتفاقية لم يكن حاكماً شرعياً للولاية، وذلك لأن اتفاقية (١٨٤٦ م) التي قد أصبحت أساساً للسيطرة الغاشمة لهذه العائلة على الولاية لم تكن اتفاقية شرعية على الإطلاق^(١).

رابعاً: وقبل هذه الاتفاقية قد وقّع الملك نفسه اتفاقية لإبقاء الوضع كما كان مع دولة باكستان، فلهذا لم يكن له أن يُوقّع أية اتفاقية مع أية دولة أخرى في هذه الصدد قبل إعلان إلغاء تلك الاتفاقية. هذا من ناحية ومن الناحية الثانية قد وقّع الملك هذه الاتفاقية بعد أن كان قد فقد السلطة على الولاية لفراره من العاصمة الكشميرية فلذا لم تكن لديه أية صلاحية شرعية لتوقيع هذه الاتفاقية.

فقطراً لهذه الوجوه والأوضاع يمكننا أن نقول بكل صراحة أن هذه الاتفاقية بشأن انضمام ولاية جمو وكشمير المسلمة إلى الاستعمار الهنديوسي لم تكن لها أية قيمة من النواحي الدستورية والقانونية والخلقية، وحتى الاستعمار الهنديوسي نفسه أيضاً كان يعرف هذه الحقيقة جيداً، لهذا نراه قد وعد الشعب الكشميري المسلم بأنه سيقوم بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الولاية، وإليك نص ما كتبه الحاكم العام للهند إلى الملك الهنديوسي للولاية حين توقيع اتفاقية ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م): وفقاً لباكستان إذ أصبحت مسألة انضمام ولاية ما من المسائل الخلافية يرجع فيها إلى رأي الشعب، فإن حكومتنا بشأن انضمام ولاية جمو وكشمير إلى إحدى الدولتين تريد أن تحل بالرجوع إلى الرأي العام فور إعادة الأمن والاستقرار إلى الولاية.

(١) كما أن اتفاقية (أمرستان) عام ١٨٤٦ م قد انتهت العمل بها بانتهاء مدتها عام ١٩٤٦ م إذ كانت لمدة مائة سنة.

ثم أكد جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند ذلك الوعد في برقيته التي بعث بها إلى رئيس وزراء باكستان ليأقت علي خان في ١٦ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٤٧ م) قائلاً: «إننا نعهدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور، وأن نترك مواطنيها ليحارسوا حقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم، وهذا العهد لا نعلمه أمام حكومتكم فحسب بل نعلمه أمام أعالي كشمير وأمام العالم كله»^(١).

ومع الأسف الشديد فإن هذه الاتفاقية المأكرة قد اتخذها الاستعمار الهندوسي الغاشم وسيلة لإرسال جيشه للسيطرة على الولاية، والتحق هذا الجيش مع جيش الملك الهندوسي في الولاية ليشارك معه في مهمة قتل المسلمين وهناك أعراضهم. كما أعلنت الحكومة الهندوسية بأن الذين يرغبون بالهجرة إلى باكستان ستقوم الحكومة بمساعدتهم لتسهيل سفرهم إلى باكستان وتزويدهم بالسيارات الحكومية، فلهاذا عليهم أن يجتمعوا في مكان واحد. ولكنهم عندما اجتمعوا في المكان المحدد أطلقت عليهم النار فاستشهد حوالي نصف مليون من المسلمين، كما أن الذين تمكنوا من الوصول إلى باكستان يصل عددهم إلى حوالي نصف مليون أيضاً. وتجدير بالذكر أنه قبل بداية إطلاق النار تم القبض على الآلاف من النساء المسلمات الشابات لهتك أعراضهن، وكان من ضمن هؤلاء الشابات المسلمات ابنة القائد المؤسس لحركة تحرير كشمير (شودري غلام عباس)^(٢).

في اليوم الذي أعلن فيه الملك الهندوسي (هري سنغ) اتفاقية ضم ولاية كشمير إلى الهند مع الحكومة الهندية في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ

(١) لقد كثر جواهر لال نهرو مثل البرقيات، وصرح مرات تزيد على العشرين بالمعنى ولكن كان كل ذلك خداعاً وزوراً.
(٢) كشمير المسلمة تتأنيكم فهل من محبب؟ الهدف الذين الترابي - الجماعة الإسلامية بولاية جمو وكشمير الحرة.

(٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م) أعلنت الإذاعة في دهلي عن إرسال قوة لحماية كشمير من الاعتداء، ولم تكن هناك طريق سير عليه القوة فهبطت جواً ذلك أن البنجاب كانت لا تزال ولاية واحدة، وكانت في التقسيم ضمن دولة باكستان، وتفصل هذه الولاية بين الهند وكشمير، ولكن الهند بعدها رشت بمبالغ طائلة «روكف» رئيس اللجنة المكلفة بالتقسيم فعمل على تقسيم ولاية البنجاب إلى جزأين: البنجاب الغربية وتتبع باكستان، والبنجاب الشرقية وتتبع الهند على أساس أن نسبة الهندوس فيها كبيرة إضافة إلى نسبة السيخ إذ تعدّ هذه المنطقة مركزهم الرئيسي.

ومع وصول القوة الهندية وانضمامها إلى قوات الملك الهندوسي ابتداءً القتل والإبادة، وفي ٢١ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ م) دقّ الطبل في (جمو)، وأعلن عن وجوب خروج المسلمين إلى باكستان التي تطالبهم، فاجتمع المسلمون فكانوا يركبون في السيارات، فإذا وصلت بهم إلى عازج القرى والمدن تعرّضت لها القوات الهندوسية، وأخذت الفتيات الشابات من المسلمين وقتلت الباقي، واستمرّ القتل والوحشية بأبشع الصور مدة طويلة، ولتأخذ أمثلة من قتل بعض القوافل المتجهة إلى باكستان:

خرج من منطقة (بنديور) ألفان من المسلمين، ولم يصل منهم إلى باكستان سوى مائة وخمسين رجلاً.

وخرجت قافلة من بلدة (جهني روديان)، وكان عند أفرادها سبعة آلاف، وصل منهم إلى باكستان خمسمائة رجل، بينهم ثلاثمائة من الجرحى.

وخرجت مجموعة من بلدة (كوهت) عندها خمسمائة مسلم، قتلوا جميعهم عدا الفتيات الشابات فقد اختطفن.

وخرج من بلدة (بدهي وتالاب موله) ثلاثة آلاف مسلم، وصل منهم إلى باكستان سبعة أفراد فقط.

تكون الهند في وضعٍ تستطيع معه أن تُهدد باكستان وجنابها، وأن تغزو باكستان متى عزمت، فلا مندوحة من وقف زحف الجيش الهندي عند خط معين، فأرسلت باكستان ولأول مرة في شهر رجب ١٣٦٧ هـ (أيار ١٩٤٨ م) عدداً محدوداً من جيشها إلى كشمير لاتخاذ مواقف دفاعية.

وخرج من بلدة (تجري ورتب وجهه) ستة آلاف مسلم لم يصل منهم إلى مائتهم سوى ثلاثة رجال.

وخرج ثمانية آلاف مسلم من منطقة (سلي وهرانجو وجاندي) بعد أن وعدوا بالمساعدة على الهجرة فجردوا من أمتعتهم وكل ما يملكون، ولم يصل منهم إلى باكستان سوى ألفين أكثرهم جرحى.

وخرج من منطقة (راج پوره، وكجودال) ألفان من المسلمين لم ينج منهم سوى مائة إنسان.

واجتمع في منطقة (السانية) حوالي عشرة آلاف مسلم من كل أنحاءها، ولم يبق منهم سوى خمسة وثلاثين فرداً، ورأى هؤلاء بأعينهم كيف اختطفت فتيات القافلة، واعتدي عليهم، ثم قتل أسرهم أطفالاً وشباباً وشيوخاً بعد أن رأوا ما حلّ ببناتهم.

وكان المسلمون قد نظموا المناطق التي تمكن المجاهدون من بسط نفوذهم عليها، وألف محمد إبراهيم حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) في ١٩ ذي القعدة ١٣٦٦ هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٧ م)، وتآلف الجيش الكشميري، وما أن وصلت القوات الهندية حتى انضمت إلى قوات الملك الهندوسي وبدأ القتال، ومع أن المجاهدين كانوا يحملون أسلحة عادية أو كانوا من غير سلاح غير أنهم استطاعوا - بإذن الله - من المحافظة على أرض حكومة كشمير الحرة في حين كان الهندوس مزودين بالأسلحة الآلية، وبقي قسم من الولاية تحت سيطرة الهند.

إن الهند منذ أن أعلنت عن إرسال قوة لحماية كشمير بدأت بحشد قواتها في الولاية عن طريق الجو، وعند الانتهاء من الاستعداد قامت بهجوم واسع النطاق مما عرض باكستان نفسها للخطر فتقدم القائد العام للجيش الباكستاني حيثئذ بتعليق للحكومة الباكستانية مقاده أن باكستان إذا رغبت أن تتجنب مواجهة سيل آخر ضخم من اللاجئين، وإذا أرادت ألا

سياسة الاستعمار الهندوسي في كشمير

بعد القتال الذي نشب في كشمير بين المسلمين من جهة، ومُعتلهم الجيش الكشميري الذي يتبع حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير)، والمجاهدون، والجيش الباكستاني الذي هبَّ عندما أحسَّ بالخطر يحدق بالمسلمين ويتدفَّق المشردِّين من مسلمي كشمير، وباقترب النار المشتعلة من باكستان، وبين الهندوس ومُعتلهم جيش الملك الهندوسي، وقوات الهند الغازية، ولم تستطع قوة من إحرار النصر، وضمَّ كشمير إلى إحدى الدولتين.

ولما كانت الهند تتوقَّع أن تكون الحرب التي تخوضها قواتها في كشمير وبمساعدة جيش الملك الهندوسي سهلة، ولا تزيد على جولةٍ غير أنها صُدعت بقوات المجاهدين، ولم تستطع التقدُّم فعرضت الأمر على الأمم المتحدة، وتوقَّعت أن تلقف الأمم المتحدة بجانيها ما دامت ضدَّ المسلمين، وقد عُرفت الأمم المتحدة دائماً بمثل هذه المواقف إذ تحركها الصليبية، ولكن الأمر هنا مكشوف ومفصوح، ولا تريد أن تدنِّس نفسها، ثم إن الهند لم تستطع حسم الموقف، وضمَّ كشمير بالقوة، ولو تمكَّنت لدعمها الأمم المتحدة وطوت الملفَّ بسرعة، كما حدث في ضم (جوناكاد) و(حيدرآباد)، فلو حسمت الهند الموقف لسوّت الأمم المتحدة الموضوع، غير أن القتال دائر، والحرب سجال، والانعياز بالأمر لا يؤثري إلى نتيجة. رُفعت القضية الكشميرية إلى الأمم المتحدة في ١٨ صفر

١٣٦٧ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٤٧ م) وفي اليوم التالي أبدت الهند وجهة نظرها، وادعت أن باكستان هي المسؤولة عن قيام الاضطرابات في الولاية، وطلبت إلى مجلس الأمن أن يُوعز إلى باكستان بسحب رجال القبائل الذين دخلوا الولاية (المجاهدون) غير أن مجلس الأمن لم يقبل هذا الطلب، واكتفى بالسكوت كتعويض من الرضا عما ينال المسلمين من إهانة وأذى. وبعد مناقشاتٍ طويلةٍ وإضاعةٍ للوقت في سبيل إعطاء الفرصة للهند كي تحسم الموقف بما تملك من قوة، وإيهاب السكان بما تقوم به من جرائم وحشية، وبعد أن طال الزمن دون نتيجة صدرت قرارات لجنة الأمم المتحدة في ١٢ صفر ١٣٦٨ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٤٩ م) وتنص على:

- ١ - وقف القتال وتحديد خط وقف النار.
- ٢ - تجريد ولاية جمو وكشمير من القوات العسكرية.
- ٣ - إجراء استفتاءٍ محايدٍ تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير مسألة انضمام كشمير إلى الهند أو باكستان.

أبدت الهند موافقتها على هذه القرارات كلامياً، ولكن بقيت مُشيشةً في المنطقة التي دخلتها من كشمير.

وأعدت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار نفسه في ٦ ربيع الثاني هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٥٢ م)، وأعدت الهند موافقتها على القرار، وأكدت ذلك، ولكن نظرياً أيضاً، وبقيت في مواقعها، ورجع (نهر) في ١٢ شوال ١٣٧١ هـ (٤ تموز ١٩٥٢ م) ليؤكد التزام بلاده بقرار الأمم المتحدة، حيث قال: (مهما يكن من الأمر، فإن حكومة الهند قررت منذ البداية التزامها بالمبدأ الذي يفيد بأن القرار النهائي ضمن أن انضمام ولاية جمو وكشمير إلى إحدى الدولتين لن يتمَّ أبداً إلا حسب الرأي العام لشعب الولاية، وهذا العهد لن تنفذه مهما كانت الأوضاع، ونقرأ لهذه الحقيقة فإن حكومة الهند قد وافقت على انضمام الولاية بصورةٍ مؤقتةٍ عام

١٩٤٧ م. وإن القرار النهائي لمصير الولاية سيتم حسب رغبة الرأي العام للشعب الكشميري).

وبقيت الهند تؤكد التزامها بقرارات الأمم المتحدة ما يقرب من عشر سنوات تأكيداً كلامياً دون إظهار أية بوادر للتنفيذ، ولكنها منذ عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) أخذت تتلمص تدريجياً من التطبيق، وأخيراً رفضت وجود قضية اسمها كشمير.

كانت الهند قد سيطرت على أكثر أقاليم (جمو) و(بونج) و(كشمير)، ولم يبق تحت نفوذ حكومة كشمير الحرة سوى مناطق ضيقة تُسائر الحدود الباكستانية، كما سيطرت الهند على إقليم (لداخ) كله، وأما حكومة آزاد الحرة فتبعتها مناطق (ولاية الحدود) و(جلجت و(استور). وكان سكان الولاية يتوزعون على أقاليمها عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) على النحو الآتي:

الإقليم	مجموع السكان	المسلمون	نسبة المسلمين	غير المسلمين
جمو	١,٩٨١,٤٣٣	١,٢١٥,٦٧٦	٪٦١,٣	٧٦٥,٧٥٧
بونج	٤٢١,٨١٨	٣٨٢,٧٢٢	٪٩٠,٧	٣٩,١٠٦
كشمير	٧٢٨,٧٠٥	٦١٥,٤٧٨	٪٨٣,٤	١١٣,٢٢٧
مناطق الحدود	٣١١,٤٧٨	٢٧٠,٠٩٣	٪٨٨,٩	٤١,٣٨٥
لداخ	١٩٥,٤٣١	١٥٤,٤٩٢	٪٧٩,٠	٤٠,٩٣٩
جلجت و(استور)	١١٦,٠٤٧	١١٥,٦٠١	٪٩٩,٦	٤٤٦
	٣,٧٥٤,٩٢٢	٢,٧٥٤,٠٦٢	٪٧٣,٤	١,٠٠٠,٨٦٠



أما الروابط بين باكستان وكشمير فتتبع إلى جوانب الحياة جميعها. العقيدة: تدعى أكثرية سكان باكستان وكشمير بالإسلام، والعقيدة أهم جوانب الحياة، ومنها تتبع مختلف الروابط، وعلى أساسها قام تقسيم شبه القارة الهندية.

الأصل: يعود سكان باكستان وكشمير إلى أصل واحد، وهو العرق الأبيض.

الجغرافية: تُعدّ أودية جمو وكشمير ثمّةً للسهول الباكستانية، وإن أنهار (السنند) و(جهلم) و(شباب) و(رافي) تنبع من ولاية كشمير، وهي الأنهار الرئيسية في باكستان.

الاقتصاد: ينقل الكشميريون أخشابهم بواسطة الأنهار لتُباع في أسواق في بلدتي (جهلم) و(وزير آباد) فالأنهار (وسيلة النقل) باكستانية، والأسواق باكستانية، وتُشكل الأخشاب ٢١٪ من صادرات ولاية كشمير. وكذلك تُباع

الفاكهة الكشميرية في مدن باكستان الرئيسية (راولپنڊي) و(كراتشي)، وهي سلعة هامة من الصادرات.

والطرق في كشمير تُسارِ مجاري الأنهار، وتصل إلى باكستان، وليس هناك من أية طريقٍ تصلها بالهند، سوى طريقٍ جديدٍ فتحت لأغراضٍ عسكرية فتحها الجيش الهندي.

وكل واردات كشمير من الملح، والقمح، والصوف، والزيوت إنما تستورده من باكستان، هذا بالإضافة إلى النفط الذي يصل إليها من حقول نغف (أنوك) الباكستانية.

وتعدّ (كراتشي) الميناء الباكستاني أقرب الموانئ إلى ولاية كشمير، وعن طريقه يمكن الاتصال مع الخارج وأخيراً يجد العمال الكشميريون مجال عملهم في فصل الشتاء البرد في باكستان الغربية.



كل هذه الروابط تجعل من حقّ كشمير ومن مصلحتها الانضمام إلى باكستان، وكذلك من حقّ باكستان أن تطالب بكشمير، وتدافع عن هذا الحق بكل إمكاناتها، وإلا عدت مقصرة بحق شعبها، ومقرّبة بالأساس والفكرة التي قامت عليها.

الجهاد:

لما اشتدّ الضغط الهندي على السكان، وارتكب الهندوس أبشع الجرائم وأقذر الأعمال وجد المسلمون أنه لا بدّ من الجهاد ضدّ الظلم الواقع عليهم، وقاموا بسطولاتٍ رائعة وأعمالٍ فدايية، فاعتزّ وضع المستعمرين وكاد الأمر يفلت من أيديهم فسُتت الهند حرباً واسعة النطاق على باكستان، واستمرت تلك الحرب مدة أسبوعين فقط، وانتصرت باكستان، فجلّت الهند إلى الأمم المتحدة لتحفظ لها ماء وجهها، ورفعت القضية إليها، وعرضت الامبراطورية الروسية الوساطة، وتمّ عقد مؤتمر طاشقند الذي لم يكن في صالح باكستان.

وبعد وقف إطلاق النار قام الهندوس باعتداءات وحشية غدرًا وحقداً فقتلوا الأسرياء، وهدكوا أعراس الحرائر، وقتلوا الأطفال أمام الأمهات والأبياء، وقطّعوا أنداء النساء أمام ذويهم، وارتكبوا كل أعمال الحنة والدناءة.

الغزو الفكري:

أدركت الهند أنها لا تستطيع السيطرة على ما تحت أيديها من كشمير بالقوة والإرهاب باستخدام الوحشية والإبادة والتشيل بالأحياء والفقارة وهناك الأعراس فقط حيث كانت هذه الأعمال تُثير المسلمين، وتؤخذ صفوفهم، وتثير عواطفهم، وروح الجهاد عندهم، لذا قرّرت الهند اتباع وسائل أخرى مع استمرار القيام بالأعمال السابقة، فقد أرسلوا أحد رجال المخابرات إلى إسبانيا ليتنصّب ما فعله الإسبان ضدّ مسلمي الأندلس للخلاص منهم، وقد رجع رجل المخابرات وفي جعبته أفكار يحملها، ثم أرسلته حكومته سفيراً

لها في موسكو لتابع مهمته في الوسائل التي اتخذها الروس ضد المسلمين، ونتيجة ما حصل عليه من معلومات من هنا من موسكو ومن هناك من مدريد، وبعد دراسة النتائج قررت الحكومة اتخاذ ما يأتي:

١- تغيير مناهج التعليم في ولاية كشمير، حيث يُعتمد المنهج التعليمي الهندوسي الذي يشتمل على المعتقدات الوثنية الهندوسية، والأساطير والخرافات، وقلسفة وحدة الأديان.

٢- جعل التعليم مختلطاً، ومحاولة نشر الفساد بتعليم الرقص والغناء في المدارس.

٣- تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس لمخالفة العقيدة الإسلامية، ومحاولة التأثير عن طريق العائلة.

٤- محاولة تغيير اللغة لفصل الحاضر عن الماضي.

٥- إباحة الخمر وتوزيعه مجاناً على حساب الدولة.

٦- إثارة الخلافات القبلية والإقليمية والطائفية.

٧- بث فكرة القومية الهندية، واستخدام وسائل الإعلام لنشر الإباحية والفاحشة.

٨- الدعاية لفكرة تحديد النسل بين المسلمين بغرض وقف زيادة المسلمين.

٩- تشويه التاريخ الإسلامي.

١٠- الحرص على إيجاد قيادة كشميرية مسلمة عميلة تتأمر بأوامر الحكومة الهندية وتنفذ التوجيهات منها.

وقامت الحركة الإسلامية برذ فعل لإبطال مفعول سياسة الاستعمار الهندوسي الفكرية ولجأت إلى بعض الأساليب الفعالة ومنها:

١- إنشاء مدارس إسلامية أهلية لا علاقة للحكومة بها.

٢- تأسيس قرى إسلامية أنموذجية.

٣- القيام بنشر الدعوة والتوعية والعمل على توحيد المسلمين حيث تأسست الجبهة الإسلامية التي ضمت أكثر من عشرة أحزاب سياسية

وجمعيات دينية.

٤- المناداة بإجراء استفتاء عام لتقرير المصير.

ونتيجة السياسة التي لجأت إليها الحركة الإسلامية نشأ جيل مسلم واع، تخرجوا من المدارس الإسلامية في الوقت الذي انطلق الجهاد في بلاد الأفغان، واشتد عوده مع هزائم الجيوش الروسية على أرض الأفغان حتى اضطرت موسكو على الموافقة لسحب جيوشها لتحفظ ماء وجهها قبل أن ينسكب. وقامت أكثر من خمس عشرة منظمة جهاد ضمت أكثر من خمسين ألف مجاهد، واتحدت أخيراً باسم «الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير» كما اتحدت عشر منظمات سياسية باسم «حركة تحرير كشمير» وترأسها علي الجبلاتي.

وبدأت حركة الجهاد، واستهدفت مراكز الجيش الهندوسي، ومحطات الخمر، وأماكن الفاحشة، وقرّر أصحاب بعضها إغلاقها، وأعلنت بعض وسائل الإعلام قطع علاقتها بحزب المؤتمر الهندي، والحكومة الهندية، وكذلك قرّرت النساء المسلمات الالتزام باللباس الإسلامي، وذلك كله ولم يتصف عام ١٤١٠ هـ (قبل نهاية عام ١٩٨٩ م)، وازدثت أصوات المطالبة بتطبيق قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى إجراء استفتاء في الولاية لتقرير المصير.

وقام الاستعمار الهندوسي برذ فعل غاشم إذ أعلن منع التجول في أكثر من عشرين مدينة، وزاد من وحشيته في الإيذاء، والقتل، والسجن، وهتك الأعراس، وحرقت الناس أحياء، وخلال أربعة أشهر (جمادى الآخرة وحتى نهاية رمضان ١٤١٠ هـ) (الأول من كانون الثاني وحتى نيسان ١٩٩٠ م) ارتكب الهندوس الأعمال الوحشية الآتية.

١- قتل ٢١,٤٩٠ شهيداً.

٢- جرح ٢٠,٠٠٠ إنساناً.

٣- إحراق ٦١٨ إنساناً وهم أحياء.

٤- تشريد ٢٠,٠٠٠ إنسان لجؤوا إلى كشمير الحرة.

٥ - قتل ٣٥٧ امرأة بعد هتك أعراضهن والتعليل بهن.

٦ - إلغاء القبض على ٥٠,٠٠٠ إنسان وإيداعهم السجن.

٧ - هتك أعراض عشرات الآلاف من النساء، ولم يفتضح أمرهن، في سبيل المحافظة على الشرف.

٨ - عزل الآلاف من الوظائف الحكومية.

هذا بالإضافة إلى تعبير آلاف المحلات وإتلاف المزارع، وإحراق البيوت، وهدم المدارس والمستشفيات، وأعمال النهب، وقتل الحيوانات.

ووقف العالم يتفجّع على ما يجري دون حركة، وصكت الأمم المتحدة، وارتاحت الصليبية، وسرّ أتباعها، ولم يتحرك أولئك الذين يعدّون أنفسهم أوصياء على العالم، وعلى الحرية والسلام العالمي... ما دامت القضية تنال المسلمين، أما المسلمون فهم وراء الذين يسرون في فلكتهم، أو في غفلتهم سادرون، ووراء قضايانهم يلهثون، أو لا يدرون ماذا يجري لجهلهم، وسداجة علمائهم، أما قيادات العمل الإسلامي فين سجين، ومضطهد، وشريد، وربما لقت التيارات بعضهم.

وأما الهند فمستفزة في بطشها وغلبها تدعي أن قضية كشمير قضية داخلية، ولا يحق لأحد أن يتدخل في شؤونها، فالولاية جزء لا يتجزأ من الهند، وقد انضمت إليها منذ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وأنها لا توافق على الاستفتاء لأن معنى ذلك السماح بتجزئة الهند، وأنها دولة علمانية، يعيش فيها من مائة مليون مسلم. وأن ما يحدث الآن في داخل كشمير لم يكن ليحدث لولا التدخل الخارجي من بعض أمصار العالم الإسلامي، وما إلى ذلك من مغالطات، فالواقع أن كشمير ليست ولاية هندية، والقضية ليست داخلية، وإنما لا تزال في الأمم المتحدة لم يبت بها، وأن تقسيم شبه القارة الهندية كان على أساس ديني، ومعنى ذلك أن كشمير بأكثريتها المسلمة يجب أن تكون ضمن الأرض الباكستانية، وأن الهند ليست دولة علمانية، وإنما التعصب الهندي هو البارز، وما ينال المسلمين من

اضطهاد بين الأونة والأخرى لا كبر دليل على التعصب للهندوسية. وأنه ليس هناك من تدخل خارجي، ولكن الضغنة بسبب الثورة والظلم يُثير الناس، والحق على الإسلام يُجبر الناس على الدعوة إلى الجهاد.

ونتيجة لتفاسم هذه الأحداث دعت الجماعات الإسلامية والسياسية في كشمير الحرة، وفي باكستان إلى عقد مؤتمر إسلامي لبحث ما يستجد على الساحة الكشميرية، وعقد المؤتمر في مدينة (مظفر آباد) عاصمة كشمير الحرة في ٢٢ شوال عام ١٤١٠ هـ (١٧ أيار ١٩٩٠ م) وحضره ممثلون عن كل من الدول الإسلامية: المملكة العربية السعودية - الكويت - الإمارات العربية المتحدة - مصر - تركيا - بنغالديش إضافة إلى مثلي الجماعات الإسلامية والسياسية في باكستان، وكشمير الحرة، وكشمير المحتلة. وقد صدر بيان في نهاية المؤتمر استكر في الأعمال الوحشية التي يقوم بها الهندوس، ودعا الحكومة الهندية إلى إجراء استفتاء في الولاية لتقرير مصيرها، وهو ما وعدت به كثيراً، وذكرها بتلك الوعود، وأعلن التضامن التام مع الحركات الجهادية في كشمير وبقية المناطق الإسلامية مثل: فلسطين، وأفغانستان، وأريسرما، والفلبين... انتهى المؤتمر بهذا الاستكثار والكلام - كالعادة -.

ومن المؤسف أن بعض الحكومات الإسلامية تعلن دائماً عن صداقتها مع الحكومة الهندوسية وتأييدها. وإن كانت هذه الحكومات من التي تدور في أفلاك الدول الكبرى، وتتبع مناهجها رداً لجميل تثبيت مراكزها، واعتمادها، ودعمها، بغض النظر عن الإسلام، والرحمة الإنسانية.

وأصبح عدد السكان عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) أربعة ملايين
وخمسمائة وثلاثة وستون ألفاً، ويتوزعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٠٠٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٦٥,٧٣
الهندوس	١,٤٠٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٣٠,٧٠
السيخ	١٠٥,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٢,٣٠
البوذيون	٥٨,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪١,٢٧
	٤,٥٦٣,٠٠٠		٪١٠٠,٠٠٠

ويلاحظ أن عدد المسلمين قد تناقص بسبب القتل، والهجرة،
والهجرة، وانخفضت نسبتهم من ٧٧٪ إلى ٦٥,٧٣٪ نتيجة ذلك، أما
الهندوس فقد زاد عددهم بنسبة ٧٥٪، فأصبحوا ١,٤٠٠,٠٠٠ بعد أن كانوا
٨٠٠,٠٠٠، وزادت نسبتهم العددية بين السكان من ٢٠٪ إلى ٣٠,٧٪
وذلك بسبب انتقال أعداد من الهندوس، ليحلوا محل المسلمين الهارين
من القتل، ولترتفع النسبة العامة كي يستطيعوا مقاومة المسلمين، وليكونوا
مخابرات الهند، كما أن أعداداً منهم كانوا من أفراد الجيش الهندي، وربما
كان بعضهم جيشاً سرياً. أما السيخ والبوذيون فقد تزايدوا بشكل طبيعي،
وارتفعت نسبة كل فريق على نسبة العامة بالنسبة إلى مجموع عدد سكان
ولاية كشمير كلها نسبة بسيطة.

ويُقدَّر عدد سكان كشمير عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بخمسة ملايين،
ويتوزعون على النحو الآتي:

الفصل الثالث

الصراع الداخلي

تبلغ مساحة ولاية كشمير ٢٢٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، تشرف حكومة
كشمير الحرة (أزاد كشمير) على أكثر من ثلاثة أرباع هذه المساحة
(١٧٨,٠٠٠ كم^٢)، ولكن هذه المساحة قليلة السكان لأن أكثرها جبلية،
وتشمل هذه المنطقة جزءاً من إقليم (جمو) وآخر من إقليم (كشمير) وجزءاً من
إقليم (بونج)، وإقليم (جلجت وانشور) كاملاً، وإقليم مناطق الحدود
بحدوده جميعها، وتحل الهند القسم الأعظم من أقاليم (جمو) و(كشمير)
و(بونج) ومنطقة (لداخ) كلها، وتبلغ مساحة هذه الأجزاء ٤٤,٠٠٠ كيلومتر
مربع فقط، ولكن هذه المساحة هي المهمة، وتجمع فيها أكثر السكان.

كان عدد سكان كشمير عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) أربعة ملايين،
ويتوزعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٠٧٥,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٧٧
الهندوس	٨٠٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٢٠
السيخ	٨٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٢
البوذيون	٤٥,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪١
	٤,٠٠٠,٠٠٠		٪١٠٠

المسلمون	٣.٢٧٠.٠٠٠	وُسْكَلون	%٦٦.٠٠
الهندوس	١.٥٥٢.٠٠٠	وُسْكَلون	%٣٠.٤٠
السيخ	١١٥.٠٠٠	وُسْكَلون	%٢.٣٣
البوذيون	٦٣.٠٠٠	وُسْكَلون	%١.٢٧
	٥.٠٠٠.٠٠٠		%١٠٠.٠٠

لم تكن هذه الزيادة العظيمة في نسبة المسلمين، وانخفاضها النسبي بين الهندوس لتدلّ على تحسّن الوضع، وإنما يعود ذلك إلى زيادة الولادات لدى المسلمين بالنسبة إلى غيرهم.

الصراع الدولي:

حكومة كشمير الحرة (أزادكشمير) ضعيفة الإمكانيات لذا فهي تتبع إلى إشراف حكومة باكستان، وتعمل على ضمّ ولاية كشمير إلى باكستان بعد إخراج الهند من الأجزاء التي تحتلّها.

وباكستان أصلاً تعمل على ضمّ كشمير إليها، وتدعّها جزءاً منها، وترى أن تقسيم الهند إنما كان على أساس عقدي، وولاية كشمير أكثر سكانها من المسلمين لذا يجب أن تتبع باكستان، كما أن أهلها يرغبون هذا، ويعملون لذلك، وتتمنى باكستان إجراء استفتاء للسكان لمعرفة رغبتهم في تقرير مصيرهم، وتطالب الأمم المتحدة بذلك، وتذّكر أن الهند طالما وافقت على ذلك، ولكنها لم تنفّذ، وعندما تطالب بذلك تتمتع، وتتهرب، ثم أصبحت ترفض الفكرة.

وأما الهند فإن احتلت ما احتلته من كشمير، ثم وافقت على إجراء استفتاء دعابة، وكوّرت ذلك، وأخيراً أعلنت أن كشمير جزء منها، وأن ما يخضع لحكومة كشمير الحرة، إنما هو خضوع لباكستان، فباكستان هي المعنوية، وجرّت حروب بين الدولتين، ولا تزال القضية مُعلّقة، والانتهاكات قائمة.

الصراع العقائدي:

إن المسلمين كلهم تربطهم العقيدة مع باكستان، وهم يرغبون الانضمام إليها، ويزيد على ذلك أن مصالحهم تقتضي الالتحاق بباكستان، وهم يسعون إلى ذلك. ولكن لما كانوا يُسْكَلون أكثرية السكان فهم ليسوا كتلة واحدة، ويضاف إلى الجهل الذي يبعد بعضهم عن بعض، ويسير كل في طريق، ويزيد على ذلك أصحاب المصالح الذين يرغبون في كسب تأييد غير المسلمين لهم، من هندوس، وبوذيين، وسيخ فيظهرون الرغبة في العصبة الوطنية، ووحدة الصف، وهذه الكلمات التي وضعت لتحلّ محلّ الرابطة العقائدية، وربما وجد أصحاب المصالح القوة إلى جانب الهند، فأظهروا موافقتهم لها، والسير بجانبها، أو رأوا أن الكلمة المسموعة لإنكلترا اقترّبوا من أعوانها القادبايين، وبدا تتوزع كلمة المسلمين، وتفرّق صفهم.

ويقف بالمقابل المسلمون المعتزّون الذين يعرفون واقعهم، ويدركون أمر دينهم، فلا يذاهنون أحداً، ولا يسبّرون إلا وفق ما تأمرهم به عقيدتهم، فيقفون في وجه المسلمين من أصحاب المصالح، وبقيّة الفئات من غير المسلمين، في الوقت الذي يريدون لهم فيه الخير، فيعملون على دعوتهم وهدايتهم، ويطلبون لهم الصلاح.

أما الهندوس فيرتبطون بالهند كلياً، من باب العقيدة، ويعلمون ذلك ولا يخفون، ويعترفون أنها حاميتهم، وإذا ما حدثت حادثة استجدوا بها مباشرة، ولذلك فهم في صراع مع المسلمين المعتزّين، يتهمونهم أنهم أنصار لباكستان، وأنهم متعصّبون للإسلام في الوقت الذي ترك فيه الناس الدين، وأنهم متطرفون، وإرهابيون، وأخيراً أخذوا يظلمون عليهم هذه الأوصاف التي حملها الصليبيون، (الأصوليون) و(الإرهابيون).

وأما البوذيون والسيخ فهم أعداء للهند وأعداء لباكستان، وإن كانوا أقرب إلى الهند، أو أن حقدهم عليها أقل، لذلك فهم يعملون على إثارة

الفتن، ويعملون لإشعال نار الحرب بين الفريقين، وإذا سنحت لهم الفرصة عملوا على قتل من يستطيعون من المسلمين سراً وفي الخفاء.

الصراع الحزبي:

حاول المسلمون تنظيم أنفسهم، وقد انضم بعضهم إلى جمعية الخلافة وكان (مير واعظ يوسف شاه) أحد الذين ساهموا في إنشاء تلك الجمعية.

وشكّل المسلمون المؤتمر الوطني الإسلامي برئاسة الشيخ محمد عبده، وانضم إليه عدد من الهندوس، ثم ظهر أن رئيسه يظفي التعليمات من حزب المؤتمر، وأن هذا التجنّع الإسلامي كانه فرع لحزب المؤتمر.

شكّل المسلمون نتيجة ما حدث المؤتمر الإسلامي الكشميري برئاسة (شودري غلام عباس)، ووجد له جناح عسكري، هو جبهة تحرير جمو وكشمير، وكان يطالب بالانضمام إلى باكستان.

وفي عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) افتتح فرع لحزب المؤتمر الهندي.

وفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٢ م) زار محمد علي جناح كشمير، وحاول التوفيق بين المؤتمر الإسلامي والمؤتمر الوطني فلم يقبل الشيخ محمد عبده، وأصرّ على رعايته الوحيدة.

وعندما اندلعت الثورة في كشمير ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وحكم على الشيخ محمد عبده بالسجن ثلاث سنوات، أرسل (نهر) محامياً، هو (أصف علي) ليدافع عنه، وعندما خرج من السجن تسلّم رئاسة حكومة كشمير التي تخضع للهند، ووقف بجانب المهراجا.

وهكذا وجد صراع حزبي بين المؤتمر الإسلامي الكشميري الذي يعمل للانضمام إلى باكستان وبين حزب المؤتمر الوطني الذي يسعى رئيسه وراء مصالحه.

ووجد صراع آخر بين العلماء إذ كان (مير واعظ يوسف شاه) قد أسس

جمعية نصر الإسلام التعليمية، ويعمل على مخاربة القاديانية الفرقة الضالة التي تدعي الإسلام، وذلك غشياً من إضلال الناس، وبالمقابل وجد (مير واعظ همداني) الذي كان يعطف على القاديانية غفلةً، ومصلحةً، ويُؤيِّده في ذلك الشيخ محمد عبده، رئيس المؤتمر الوطني الإسلامي، وكان صراع بين الفريقين.

فالصراع الحزبي في كشمير يقوم على أسس عقيدية، فحزب المؤتمر الهندي يهضم الهندوس، ويضع سياسة الحكومة الهندية، ويدافع عنها، ويهاجم خصومها. والقاديانيون يؤيدون ذلك ضمناً.

والجماعة الإسلامية تدعو إلى الإسلام، وتريد الخير للجميع لذا تعمل على هدايتهم، وتريد أن يكونوا مثلها، ومن يرعى لغيره ما يرتضيه لنفسه فقد بلغ ذروة الإخلاص والصدق، والمجبة للآخرين.

ولما كان المسلمون هم الغالية لذا فهم حسب إيمانهم وحسب مصالحهم. فأصحاب المصالح انضموا إلى حزب المؤتمر الوطني الذي يرأسه الشيخ محمد عبده، وتؤمن لهم الهند مصالحهم.

والمخلصون والذين عندهم وعي سياسي انضموا إلى حزب المؤتمر الإسلامي الكشميري، ويرون الجهاد، والعمل للانضمام إلى باكستان، وشكّل الذين يحبون الزعامة أحزاباً وجمعياتٍ سياسية كثيرة، ولكنها جميعها تنفق في نغظتين الوقوف في وجه الهند، والرغبة بالانضمام إلى باكستان، ومن هؤلاء تشكلت الجبهة الإسلامية والتي ضمت عشرة أحزاب وجمعيات دينية، وتشكل الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير وضمت خمس عشرة منظمة، كما قرأ علي الجيلاني حركة تحرير كشمير التي شملت على عشر منظمات سياسية. ومن هؤلاء أيضاً تشكلت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) برئاسة محمد إبراهيم. وكلها لا تخرج عن النغظتين الأساسيتين اللتين تجمع بين المسلمين - كما ذكرنا - وهما: الوقوف في وجه الهند، والعمل على الانضمام لباكستان لأنه حسب عقيدتهم، وفيه مصلحة لهم.

الباب الثالث

باكستان الكبرى

باكستان إحدى دول الديمقراطيين

ظهرت دولة باكستان كدولة شبه مستقلة ذات سيادة في ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ - ١٤ آب ١٩٤٧ م) ظهرت كإحدى دول الديمقراطيين، وهي دول كانت تحت الاستعمار البريطاني، أعطيت شبه استقلال، وبقيت مرتبطة ببريطانيا، ويجمعها رابط واحد، ويجمع حكامها الذين تعينهم بريطانيا كل مدة، ويكون لقاؤهم برئاسة رئيس الوزراء البريطاني.

عينت إنكلترا علي باكستان محمد علي جناح حاكماً عاماً، علي حين سُمِّ ليقت علي خان رئاسة الوزراء. وتوالى علي باكستان في هذا العهد الذي امتدّ تسع سنواتٍ ثلاثة حكام، وكذلك تعاقب ثلاثة رؤساء للوزارة.

١ - محمد علي جناح:

وامتدّ حكمه من ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٥ آب ١٩٤٧ م) حتى توفي في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول ١٩٤٨ م)، وقد عانت الحكومة الباكستانية الأولى معاناةً كبيرةً وذلك لـ:

أ - الوضع الجغرافي:

تألّفت دولة باكستان يوم تأسست من جناحين: الجناح الغربي ويشمل ولايات السند، والتبجاب الغربية، وبلوستان، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية، ويعرف هذا الجناح باسم «باكستان الغربية»، أما الجناح الشرقي فيضمّ البنغال الشرقية، ومقاطعة سيهلت، ويعرف باسم «باكستان الشرقية».

الهند، إذ نرى أيضاً أن باكستان تنتج ٨٠٪ من الجوت في العالم إلا أن مصاعمه كلها كانت من نصيب الهند، وكذلك مناجس القطن ومغزله حيث أخذت الهند ٣٨٠ معملاً بينما لم تظفر باكستان بأكثر من ١٤ معملاً حيث تركزت الصناعة القطنية في مدن (بومباي) و (كلكتا) و (مدراي).

وكان نصيب الهند من السكك الحديدية ٨٣٪ وباكستان ١٧٪ فقط.

وكان في شبه القارة الهندية ٨٧ مدرسة لنية قبل التقسيم، فلما تم الاستقلال، وحري التقسيم كان في المقاطعات الإسلامية ست مدارس فقط وأسائدها من الهندوس، بينما كانت واحدة وثمانون مدرسة في المناطق الهندوسية.

وأعطي للموظفين من مدنيين وعسكريين حرية العمل في أية دولة من دول شبه القارة الهندية.

كما نجد أن الأثاث الحكومي لم تُعط منه باكستان شيئاً، وكان أكثره موجوداً في (دلهي) و (كلكتا) و (بومباي)، وهذا لا شك يُكلف الكثير.

ويضاف إلى هذا أن الهندوس الذين كانوا يخرجون من باكستان يخرجون بأموالهم وأثاثهم، بينما المسلمون الذين يخرجون من الهند نحو باكستان يفرون فراراً بأيديهم مذعورين من غير أموال ودون أثاث، وأحياناً حفاة، يقطعون الطرق الطويلة مشياً عائفين، وكثيراً ما كانوا يضلّون الدروب حيث يهربون من الطرق الرئيسية خشية القتل، ومن يسافر بالسيارات أو القطارات فلا يصل أغلبهم، حيث تتعرض السيارات والقطارات لهجوم السيخ والهندوس، وتصل وسائل النقل هذه إلى باكستان فارغة أو ملأى بالجثث.

وكان العسكريون من أصحاب الرتب الكبيرة قليلين في باكستان نتيجة السياسة الاستعمارية البريطانية التي كانت تقوم على تقريب الهندوس، والعمل على إذلال المسلمين والحقد عليهم فبعدهم عن الكليسات العسكرية.

وبين الجناحين مسافات بعيدة تزيد على ألف وخمسمائة كيلومتر، تشغلها دولة الهند، التي كانت وستبقى خصم دولة باكستان الأول، أعلن ذلك أم لم يعلن، فلا يمكن الاتصال بين الجناحين إلا عن طريق الجو، ومما يزيد الأمر صعوبة أن الجناحين مختلفين في طبيعتهما الجغرافية التي ينشأ اختلاف في الإنتاج، وكل جناح يحتاج ماسة إلى الجناح الآخر لتصرف بضالعه فيه، واستيراد ما يحتاج إليه منه، وعلى الحكومة أن تتخطى هذه العقبة الكاداء وتجد لها حلاً لإمكانيته السبر، غير أن طاقات الدولة محدودة جداً لما تُعاني من مُشكلات أخرى.

ب- المهاجرون:

كان على الحكومة مواجهة مشكلة تسعة ملايين مسلم مهاجرين من الهند إلى باكستان أو فارين من الظلم الهندوسي من غير ماوى إضافة إلى مُعالجة أسر مليون آخرين قتلوا أثناء سيرهم إلى باكستان، ثم مواجهة مشكلة كشمير واللاجئين منها ويزيدون على المليون، والمهم توجد مشكلة تأمين الماوى والطعام لخمسة عشر مليوناً زيادة على معاناتهم وما ينجم عنها من مشكلات.

ج- الاقتصاد:

لم يكن التقسيم عادلاً بالنسبة إلى الموارد الاقتصادية، إذ تم على الشكل الآتي: كان نصيب الهند من الأراضي الزراعية ٦٨٪ من أراضي شبه القارة الهندية على حين كان نصيب باكستان ٣٢٪ فقط، وإن كانت لراضي باكستان أكثر خصوبة وأوفر ماء.

أما منابع القدرة فإن معظمها كان من نصيب الهند، إذ أنتجت الهند بعد التقسيم مباشرة ثلاثين مليون طن من الفحم الحجري، بينما لم تنتج باكستان أكثر من ثلاثمائة ألف طن لهذا كانت تشوهد سنوياً من ٢ - ٣ مليون طن لسد حاجات السكك الحديدية.

أما بالنسبة إلى الصناعة فنلاحظ أن أكثر المعامل كان من نصيب

ولم تدفع الهند لباكستان نصيبها من المعدات حتى تستطيع أن تقول:
إن إزاحة باكستان كانت في هذه المرحلة مؤلفةً من مجموعة حيايم.

وبالنتيجة كان على باكستان أن تقوم بالتصنيع بنفسها دون أن تهمل
القطاع الزراعي الذي يعيش منه معظم السكان، ويتوقف على دوام ازدهاره
نجاحها في تأسيس ما يلزمه من معامل، وقد حالفها التوفيق في المحافظة
على التوازن بين هذين القطاعين من النشاط البشري، وأصبح لديها عدد
كبير من المصانع الحديثة.

د- المال:

رفضت الهند أن تدفع لباكستان نصيبها من المال المضروب، وهو
خمسة وخمسون مليون روبية والمقرر دفعه، والمفقد من ذلك الرخص
أن تعجز باكستان عن دفع رواتب موظفيها فتعم الفوضى، ولا تستطيع
باكستان الاستمرار في البقاء، وتعود إلى الهند، ويرجع المسلمون تحت
سيطرة الهندوس فيتحكمون بهم.

هـ- العقيدة:

وهو أهم الجوانب التي عانى منها المسلمون في باكستان من أول
الأمر. لقد قامت باكستان على أساس الإسلام، وانفصلت عن الهند،
ورغبة السكان المسلمين أن تعمل حكومتهم بمقتضى المنهج الإسلامي
فقطبت الشريعة على مختلف جوانب الحياة.

غير أن زعماء باكستان الذين تولوا أمرهم لم يكن هذا تفكيرهم أبداً
بل لم يخطر على بالهم المنهج الإسلامي، إذ كانت غالبيتهم تنتمي إلى
الإسلام المتساهل، وليس له أي نسبة في سلوكهم، أو في منهج حياتهم، بل
إن عدداً منهم كان من الفرق الضالة التي تحارب الإسلام وأهله، ولم يكن
ليجمع شملهم، وسيرهم في الدعوة إلى وحدة المسلمين وانفصالهم عن
الهندوس سوى ارتفاع زعامة المسلمين، وتحطيق مصالحهم، بل هذا ما
عملت له السياسة الإنكليزية إذ رغبت أن يتولى قيادة المسلمين العلمانيون

منهم، ورجال الفرق الضالة من قاديانيين وإسماعيليين وهم الذين تستطيع
أن تتفاهم معهم ما داموا يلتفون معها على محاربة الإسلام. وخوفاً من أن
يقود المسلمين العلماء والقيادة المخلصون فيعملون بمنهج الإسلام،
ويخلصون في إعزاز أهله، ورفع مكانتهم، والأخذ بأيديهم نحو الرقي،
وإعلاء راية الجهاد فيكونون سداً في وجه المستعمرين الصليبيين يحاولون
دون تنفيذ مخططاتهم، ويمعنونهم من استغلال الآخرين، ومن استعمار
أراضيهم، وهذا ما يؤثر على حياة الصليبيين جميعاً، وعلى مكانتهم التي
وصلوا إليها بتسخير الناس واستعبادهم، أما العلمانيون فهم كالهندوس
تهتمهم مصالحهم ويمكن أن يعملوا من أجلها كل ما يرضي المستعمرين
الصليبيين.

اندفع المسلمون في الهند وراء الزعماء الذين تسلّموا القيادة من
السياسة البريطانية التي أبرزتهم، وعملت على رفع مكانتهم، ونتيجة جهل
المسلمين وساطنتهم ساروا وراء هؤلاء الزعماء، وهم يظنون أنهم يعملون
لمصالحهم وللدعوة إلى الإسلام، فتأثروا بالانفصال كما يريد القادة، ودعوا
إلى تأسيس باكستان، واجتماع المسلمين بها، كما يرغب الزعماء، فلما
ظهرت باكستان على أساس الإسلام شعر المسلمون بخيبة الأمل إذ لم يتغير
عليهم شيء. حيث بقيت القوانين الوضعية هي السائدة، والعمل بغير ما
أنزل الله هو الشائع، إذن ما القائلة التي جناها المسلمون من تضحياتهم
التي قدموها؟ صحيح أنه قد وقف تسلط الهندوس على المسلمين في
المقاطعات الإسلامية حيث كانوا هم أصحاب السلطة رغم أن المسلمين
يشكلون أكثرية سكان تلك المقاطعات ولكنه في الوقت نفسه.

١- "بقي المسلمون في بقية المقاطعات التي أصبحت ضمن دولة
الهند تحت تسلط الهندوس الذين زاد حقدهم، بل أصبحوا يمتدنون
المسلمين في كل أرجاء الهند أعداء لهم، أسدقاء لباكستان بل عملاء لها،
أي خونة لوطنهم لذا كانت تحل بهم التكتيات بين الملة والأخرى تحت هذا
العنوان، وربما من غير عنوان، ودون سب، وتوضيح الدراسات

والمخططات للخلاص من المسلمين بإبادتهم، أو إجبارهم على وقت
السل بالعق الصاعى و...

٢- قتل من المسلمين بسبب التقسيم عدة ملايين، وشُرِّه
أضغاثهم، وحلّ بكشمير ما حلّ، وأصبح المسلمون كالمسيحيين في الهند.

٣- أخلت الفرق الضالة في باكستان تسلط وتتحكم بالمسلمين
باسم حزب الرابطة الإسلامية، وباسم الانتماء للإسلام دون أن يكون أي
مدلول أو مؤشر لهذا الإسلام.

أخذ المسلمون يصحون من رقبتهم ويشعرون أنهم لم يفعلوا شيئاً،
ولم يتقدموا خطوة واحدة نحو الإسلام بل بقوا في مكاتهم في بُعدهم عن
الدين، لذا أخذوا يُطالبون بتطبيق الإسلام ما قامت باكستان قد قامت على
هذا الأساس، وأخذ العلماء يُطالبون أيضاً، ويشطون بالدعوة. وبدأت
الجماعة الإسلامية تُطالب بإعلان إسلام الدولة. وأعلن أبو الأعلى المودودي
في كلية الحقوق في لاهور في شهر ربيع الأول ١٣٦٧ هـ - شباط ١٩٤٨ م
ولأول مرة:

- ١- أن الحاكمية في باكستان لله العلي الأحد، وما لحكومة باكستان من
الأمر من شيء غير إنجاز أمر مالكها الحقيقي في أرضه.
- ٢- أن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي لباكستان.
- ٣- أن كل ما يُعارض الشريعة الإسلامية من قوانين البلاد الجارية يُلغى
ويُحطل، وأنه لا يُتخذ بعد ذلك قانون يُخالف الشريعة.
- ٤- أن حكومة باكستان لا تصرّف في شؤون الملك إلا ضمن الحدود
التي رسمتها الشريعة.

٢- الخوجا نظام الدين^(١):

توفي محمد علي جناح في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول

(١) الخوجا نظام الدين: ولد عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، درس القانون، اشترك في =

١٩٤٨ م) فتعين الخوجا نظام الدين ١١ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٤ أيلول
١٩٤٨ م) حاكماً عاماً لباكستان، وبقي لياقت علي خان^(١) رئيساً للوزارة.

استمر أبو الأعلى المودودي بدعوته لتطبيق الشريعة في باكستان،
فقبض عليه مع بعض إخوانه، ومنم طفيل محمد، وحسن إصلاحي وأودعوا
السجن في الأول من ذي الحجة ١٣٦٧ هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٨ م)
وشطلت جرائد ومجلات الجماعة الإسلامية، ولكن بقيت المطالبة بإسلام
الدولة لأن ذلك من مطالب المسلمين جميعاً وليس الجماعة الإسلامية
وحدها، لتعدّ ذلك دعوة أو مطلباً حزبياً، واضطرت الدولة أن تُعلن إسلام
الدولة في ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ (١٣ آذار ١٩٤٩ م).

أخذت الأمور تسير بشكل طبيعي في باكستان، وبدأت الأوضاع
تتحسن، وصارت الدولة تشارك في الأحداث الدولية، وفي اللقاءات
الإسلامية فعقد المؤتمر الإسلامي في مدينة كراتشي في باكستان، وافتمحه
رئيس الوزراء لياقت علي خان في جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ (شباط
١٩٥١ م).

المحركة الوطنية، انقسم إلى حزب الرابطة الإسلامية، تولى رئاسة حكومة البنغال
قبل التقسيم. تزعم عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) مجلس المستشارين للرابطة، وهو
جهة معارضة داخل الحزب، وتوفي في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ (٢٢ تشرين
الأول ١٩٦٤ م).

(١) لياقت علي خان: ولد في ١٢ ربيع الثاني ١٣١٣ هـ (الأول من تشرين أول
١٨٩٥ م)، وتعلم بجامعة عليكرة بالهند، ثم درس الحقوق بجامعة أكسفورد، وبعد
عودته إلى الهند اشتغل بالمحاماة، وانضم إلى حزب الرابطة الإسلامية، واللجنة
المركزية للحزب، ومنذ ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) تولى أمانة سر الحزب، وانتخب عام
١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) عضواً في المجلس التشريعي المركزي للهند، كما تمّين بعد
الحرب العالمية الثانية وزيراً للمالية في الوزارة الائتلافية، واشترك في لجنة تقسيم
الهند، وتولى أول رئاسة وزارة في باكستان، واغتيل في ١٦ محرم ١٣٧١ هـ (١٦
تشرين الأول ١٩٥١ م) بيد أحد الأفغان.

اختير رئيس الوزراء لياقت علي خان في ١٦ محرم ١٣٧١ هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٥١ م) فتمن غلام محمد حاكماً عاماً على باكستان، وكان من قبل يشغل منصب وزير المالية، وكلف الحاكم السابق الخوجا نظام الدين برئاسة الوزارة.

وبدأ الخلاف بين الحاكم العام الذي هو من إقليم البنجاب من جناح باكستان الغربي وبين رئيس وزرائه الخوجا نظام الدين الذي هو من البنغال، وأخذ هذا الصراع شكلاً بين جناحي باكستان. فالبنغاليون يشعرون أن الجناح الغربي قد سيطر على الجيش، وخاصة أهل البنجاب منهم، كما سيطر هذا الجناح أيضاً على المؤسسات المدنية، ولم يحصل البنغاليون على التمثيل النسبي الصحيح في المؤسسات الإدارية على الرغم من أنهم كانوا يشكلون ٥٣٪ من مجموع السكان.

أخذ رئيس الوزراء بحمل فكرة أهل البنغال بالمطالبة بأن تكون اللغة البنغالية إحدى اللغتين الرسميتين في البلاد، بينما يرى أهل باكستان الغربية بأن تكون لغة رسمية واحدة للبلاد هي لغة (الأردو) التي يعرفها أكثرية السكان في الجناحين إضافة إلى سكان الهند، وذلك خوفاً من تعدد اللغة، وإعادة الشقة بين جناحي البلاد.

بدأت مشكلات اللغة، كما برز الخلاف الديني في الجناح الغربي أثناء إعداد مسودة الدستور.

وفي ٣ شعبان ١٣٧٢ هـ (١٧ نيسان ١٩٥٣ م) أقيمت الخوجا نظام الدين من رئاسة الوزارة، واختير مكانه محمد علي بوغراء، وهو من الجناح الشرقي أيضاً.

وفي ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) أجريت الانتخابات العامة، وتألقت جمعية تأسيسية لوضع الدستور، وكان أهم عمل لها أن وحدت باكستان الغربية بعد أن كانت عدداً من المقاطعات.

كان غلام محمد يُعاني شللاً أفقده القدرة على العمل فترك منصبه في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م) وقبض على السلطة الجنرال إسكندر مرزا بيد من حديد.

الاستقلال

بعد أن ترك غلام محمد المنصب في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م) تسلّم السلطة الجنرال إسكندر مرزا^(١)، وشدّد قبضته عليها. وجرى في عهده الانتخابات، ووضع الدستور، وجرى انتخابات الرئاسة، وانتخب في ٢٣ رجب ١٣٧٥ هـ (٥ آذار ١٩٥٦ م) إسكندر مرزا رئيساً للجمهورية.

وفي ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) أعلن الدستور، وقام النظام الجمهوري، وانتهى نظام الدومينيون، وشكّل شوغري محمد علي^(٢) الوزارة، وأصبح اسم البلاد حتماً نصّ الدستور الأول «جمهورية باكستان الإسلامية». كما نصّ الدستور على أن تكون الدولة جمهورية اتحادية تكون

(١) إسكندر مرزا: وُلِدَ عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) كان أبوه من أصحاب الاملاك الزراعية، تخرّج من جامعة بومبي، وأكمل دراسته العسكرية في كلية (سانلهرست) البريطانية، وتدرّج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة لواء، انتخب عضواً في الجمعية التأسيسية عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م)، وهو أول رئيس لجمهورية باكستان.

(٢) شوغري محمد علي: وُلِدَ في البنجاب عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) من أسرة فلاحية تنسب إلى قبيلة «شوغري»، درس الكيمياء، وتخرّج عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م)، ثم انصرف إلى الشؤون المالية والاقتصادية، اشترك في لجنة تقسيم الهند، وتولّى وزارة المالية في باكستان، وأشرف على خطة التصنيع، ثم شكّل الوزارة حتى استقال في ٦ ربيع الأول ١٣٧٦ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٥٦ م).

فيها الوحدات مستقلة في حدودها ضمن السلطات المخولة لها، وكذلك نصّ على أن الدولة ترمي إلى توطيد المبادئ الإسلامية، وخاصة العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الجميع، ويجب مراعاة تعاليم الإسلام.

وتوالى على هذا العهد ثلاثة رؤساء للجمهورية وهم:

١ - إسكندر مرزا:

تسلّم السلطة بعد أن تنحى غلام محمد في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م).

انتخب رئيساً للجمهورية في ٢٣ رجب ١٣٧٥ هـ (٥ آذار ١٩٥٦ م).

تسلم رئاسة الجمهورية في ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م).

وقد اضطرت الأمور، واختلت الأوضاع الاقتصادية، فاتجه الشعب نحو البلدان العربية.

وفي ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ (٧ تشرين الأول ١٩٥٨ م) ألغى الرئيس إسكندر مرزا الدستور، وحلّ المجلس النيابي، وفرض الأحكام العرفية، وحلّ الحكومة المركزية، والحكومات الإقليمية، والأحزاب كافة، وعيّن أيوب خان القائد العام للجيش والقوات المسلحة حاكماً عاماً في الرابع من ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩٥٨ م). وبعد عشرة أيام غادر الرئيس إسكندر مرزا البلاد، وتسلّم أيوب خان السلطة مكانه. ولا شك أن الدول الأجنبية التي لها مصالح في باكستان كانت ترغب في أن يكون الحكم عسكرياً فلا يرتفع صوت يعارض السياسة، ولا يطالب دافع بالوقوف في وجه المصالح الاستعمارية.

٢ - أيوب خان:

! ربيع الثاني ١٣٧٨ - ٧ محرم ١٣٨٩ هـ (١٧ تشرين الأول

١٩٥٨ - ٢٥ آذار ١٩٦٩ م).

بعد ثلاثة أيام من استلام أيوب خان منصب الحاكم العام صدر مرسوم في ٧ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ يتضمن تغيير اسم البلاد من «جمهورية باكستان الإسلامية» إلى «الجمهورية الباكستانية» وإن لم يُنقَد حتى صدر الدستور الجديد في ٦ محرم ١٣٨٢ هـ (٨ حزيران ١٩٦٢ م).

أكد أيوب خان سلطانه في استفتاء جرى في شعبان ١٣٧٩ هـ (شباط ١٩٦٠ م)، وحصل على (٧٥,٢٨٣) صوتاً من (٧٨,٧٢٠) صوتاً من أصحاب الحق في التصويت طبقاً للأسس التي وضعت آنذاك.

أعلن أيوب خان تحديداً الملكية، ونقل العاصمة الاتحادية من «كراتشي» إلى «روالپنڊي» بحجة أن العاصمة يجب أن تكون قريبة من منطقة العمليات المتوقعة في «كشمير».

وجرت اتفاقية بين باكستان والهند حول مياه نهر السند في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (١٩ أيلول ١٩٦٠ م) حيث أخذت باكستان مياه أنهار: السند، وجيھلم، وشناب، على حين أخذت الهند مياه أنهار: ستلج، وياس، ورافلي. وكان الخلاف يحدث كثيراً بين الدولتين على مياه الأنهار، إذ أن معظمها يأتي من المناطق التي تسيطر عليها الهند في كشمير، وتجري نحو باكستان، ففي الوقت الذي تقطع فيه المياه عن باكستان تعيش تلك المناطق ظمأً. وقد قطعت الهند المياه عن مدينة «لاهور» عدة أسابيع في جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ (نيسان ١٩٤٨ م).

وصدر دستور جديد للبلاد في ٦ محرم ١٣٨٢ هـ (٨ حزيران ١٩٦٢ م). وقسمت كل من باكستان الغربية والشرقية إلى أربعين ألف دائرة انتخابية، وكل دائرة تضم حوالي ألف ناخب، وتنتخب ممثلًا عنها. ومُثل هؤلاء المنتخبون (الثمانون ألفاً) هيئة الناخبين. وتلصم كل عشر دوائر انتخابية وتشكل المجلس الاتحادي. وتُشكل رؤساء المجالس الاتحادية ولجان المدن مجلساً ثانياً.

واشترط الدستور أن يكون الرئيس مسلماً، ويُختار لمدة خمس

سنوات، ويجوز إعادة انتخابه، وإذا استمر في منصبه فلا يحق له إعادة ترشيح نفسه، ما لم توافق على ترشيحه أغلبية الجمعية الوطنية، والجمعيتين النيابيتين، والرئيس هو القائد الأعلى للدفاع، وفيه تتركز السلطة التنفيذية العليا.

ويختار أعضاء مجلس الوزراء من خارج الجمعية الوطنية. ويصدر ما يراه ضرورياً من المراسيم في حالة غياب الجمعية الوطنية. وله أن يحل الجمعية الوطنية قبل أن تنتهي مدتها، وهو في هذه الحالة يعد مستقلاً وعليه أن يعد ترشيح نفسه.

ولا تكون القوانين نافذة المفعول إلا إذا حصلت على موافقة ثلثي أعضاء الجمعية الوطنية.

ويحق لثلثي أعضاء الجمعية الوطنية الطلب من رئيس الجمعية إعفاء الرئيس من منصبه في حالة اقتناعهم بحدوث مخالفة دستورية ارتكبتها الرئيس، فإذا وافق على هذا الطلب ثلاثة أرباع أعضاء الجمعية يُعفى الرئيس، فإذا وافق النصف فقط يعد هذا النصف قد فقد مقعده في الجمعية الوطنية. ويمارس السلطة التنفيذية في كل إقليم حاكم ذلك الإقليم.

وتتألف الجمعية الوطنية من مائة وخمسين عضواً في كل إقليم إضافة إلى ست مقاعد خصصت للنساء.

وفي عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) جرى اتفاق مع الصين بشأن الحدود المشتركة بين الدولتين في «كشمير الحرة» ورسمت تلك الحدود.

وفي شهر رمضان من عام ١٣٨٤ هـ (كانون الثاني ١٩٦٤ م) صدرت أوامر بحل الجماعة الإسلامية، ومصادرة أموالها، وكانت الحكومة من قبل شهر قد صادرت مجلة «ترجمان القرآن» التي كان يصدرها أبو الأعلى المودودي، وزجّت به مع أعضاء جماعته البارزين في السجن. وتوقع المرابطون السياسيون قرب نشوب حرب تشترك فيها باكستان، حيث

لم يسبق أن وقعت حرب بين دولة إسلامية وبعض أعدائها، وكانت في تلك الدولة حركة إسلامية نشطة، إلا وسق هذه الحرب اعتقال أعضاء هذه الحركة الإسلامية واضطهاد أفرادها.

وأكد الرئيس أيوب خان سلطته مرة أخرى باستفتاء جرى على رئاسة الجمهورية في رمضان ١٣٨٤ هـ (كانون الثاني ١٩٦٥ م)، وقد حصل على (٤٩.٦٤٧) صوتاً ضدّ (٢٨.٣٤٣) صوتاً حصلت عليها منافسته فاطمة جناح شقيقة محمد علي جناح.

وفي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) وقعت الحرب بين باكستان والهند بشأن كشمير، إذ رأينا حركة الجهاد الكشميرية قد نشطت، وأحرزت انتصارات كثيرة على حكومة الهند المسيطرة على كشمير بالقوة، فرأت الهند أن توسع نطاق الحرب على باكستان لتكون حرباً نظامية، فتحفظ ماء وجهها بهزيمتها أمام المجاهدين الكشميريين، وكان الجيش الهندي متدفعاً نحو الحرب في باكستان، ليتزع عن نفسه المهانة التي مُني بها في قتاله مع الجيش الصيني عام (١٣٨٢ هـ)، وفي ظن قادته أنهم سيحرزون نصراً حاسماً على باكستان.

اخترق الجيش الهندي خط وقف إطلاق النار في كشمير، واحتل أربعة مراكز في دولة كشمير الحرة، وأعلن وزير الدفاع الهندي النيا أمام المجلس النيابي، فصق له التواب والقفين، وأحسّت دلهي بشيوة الظفر. وأعلنت الهند أنها ردت على تحركات من أسنمتهم بالمتسللين الباكستانيين إلى كشمير، وتوقع بعض المراقبين السياسيين بأن العملية الهندية لن تتعدى أن تكون أكثر من مناوشات على الحدود. كما تفعل عادة.. ولم يكن لباكستان أن تسكت، فإن سكنت فستمدى الهند كثيراً، وإن سكوت باكستان أول مرة سيثجع الهند على التصادي في الإغارة والهجوم، وستضعف معنويات الجيش الباكستاني، كما أن هذا سينعكس على

المسلمين الذين يعيشون داخل الهند حيث مستجراً عليهم الهندوس، إضافة إلى أن قضية كشمير مستضج.

قامت باكستان مباشرة برّد فعل مقلحيه بجنوبي كشمير التي تحتلها الهند، فانهارت المقاومة الهندية، وساد الذعر الشديد في صفوف الجيش الهندي لشدة الضربة وعنصر المفاجأة، وأشاع الهود من شدة الخوف أن باكستان تريد القيام بحركة التفاني واسعة بقصد السيطرة على إقليم (جمو) الكشميري.

قامت الهند بهجوم على الحدود الباكستانية في منطقة (لاهور) من ثلاث نقاط على جبهة واسعة بطول مائة كيلومتر بالإضافة إلى قصف المدن الباكستانية بالقنابل عن طريق الجو، وكان الهجوم الهندي بكل إمكاناتها ليكون رادعاً لباكستان، ولتنهار مقاومتها، ولترجع على ركشيتها. حسب ظنّ الهند. وهكذا انتقلت الحرب من كشمير إلى الأرض الباكستانية.

كانت خطوط الدفاع الباكستانية قوية، والروح المعنوية لدى جنودها مرتفعة فصمدت وردّت الهجوم الهندي، وهذا ما غيّب أمل الحكومة الهندية في إمكانية إحراز النصر بسهولة حسبما كانت تُفكّر.

وفتحت الهند جبهة رابعة في جنوبي باكستان على محور كراتشي التي تُعدّ مكشوفة نسبياً لبغدها عن ساحة العمليات، وتظنّ الهند أن القوات الباكستانية سشرع إلى الجنوب للدفاع عن كراتشي ميناء باكستان الأول، وخوفاً من عزلها في الداخل فيما إذا تمكّنت الهند من دخول كراتشي، واختراق خطوط الدفاع الباكستانية والسيطرة بالتالي على الساحل. ولكن خاب ظنّ الهند على هذا المحور أيضاً، وردّ الباكستانيون ذلك الهجوم. وظهر تماسكهم في القتال على حين كان الهود لا يصدون، وربما لو استمرت الحرب لانتصرت باكستان ولانتهت قضية كشمير غير أن مجلس الأمن قد أصدر قرار وقف إطلاق النار في ٢٩ شعبان ١٣٨٥ هـ (٢٢ كانون الأول ١٩٦٥ م) فتوقفت الحرب. ولتنظر إلى قوات الطرفين:

والقضاء عليها، وإعادتها تحت سيطرة الهند، وإعادة سكانها كذلك إلى الوثنية الهندوسية، وليس باكستان فقط بل وأفغانستان، وهذا ما مرّ معنا في نداءات غلاة الهندوس.

كانت القوات البرية الهندية موزعة على الشكل التالي ٨ فرق مشاة، و ٥ ألوية مشاة أيضاً مع الفرقة المدرعة على حدود باكستان الغربية، ومعدّة ضمن فيلقين أحدهما يربط في النجاف والأخر في كشمير.

أما القوات الجوية فإن ٧٥٪ منها موجه إلى باكستان الغربية، وسلاح الجو يُشكّل ثلاثة عشر سرباً، سبعة منها في الغربية، وأربعة في الشرقية، واثان في الوسطى.

أما القوات الباكستانية البرية فكلها في الغربية باستثناء الفرقة ١٤ مشاة فهي في الشرقية.

والأسلحة الهندية متنوعة منها الأمريكي، ومنها البريطاني، ومنها الروسي، وحتى سلاح الطيران كذلك، حيث كان يضمّ بعض الطائرات الروسية (ميج ٢١)، على حين أن الأسلحة الباكستانية تكاد تكون كلها من النوع الأمريكي.

ظهر في هذه الحرب أن الجيش الباكستاني كان أكثر تدريباً، وأكثر السجماً، وروحاً المعنوية أكثر ارتفاعاً، ولا غرابة في ذلك فنظام الطبقات في الديانة الهندوسية تجعل الجيش مُفككاً، على حين أن الإسلام يجعل من مقاتليه كتلة واحدة. كما أن نظام الطبقات يجعل الجنود لا يبالون بالنصر كثيراً، لذا تكون الحماسة عندهم ضعيفةً والاندفاع قليلاً، والتضحية معدومة، بينما المسلمون يسعون وراء النصر ويطلبون الشهادة في سبيل الله، لذا فالحماسة قوية، والروح المعنوية عالية، والتضحية واجبة، والاندفاع عظيم، وقد أبدى الباكستانيون فعلاً في هذه الحرب أنواعاً من الفداء والتضحية كبيرة. وكذلك كان الهنود يستهينون بالباكستانيين لقناعتهم النسبية، ويحسون أن النصر آتٍ لا محالة لذلك لم يبذلوا الجهد المطلوب، ولم

باكستان	الهند	
٣٠٠,٠٠٠ جندي وضابط	٦٦٠,٠٠٠ جندي وضابط	القوات البرية
٦	١٩	فرقة مشاة
٢	١	فرقة مدرعة
-	٨	لواء مشاة
-	٢	جماعة مشاة
-	١	لواء مدرع
-	١	لواء مظلي
-	-	المدفعية:
٧٠٠ مدفع	٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ مدفع	القوات الجوية
٣٠ طائرة مقاتلة	٥٠٠ - ٦٠٠ طائرة مقاتلة	٦ أسراب هليكوبتر
٣٠ طائرة هليكوبتر	-	-
سرب استطلاع	-	القوات البحرية:
٣ طائرات نقل	-	وحدة
-	٤١	طراد
١	٢	حاملة طائرات
-	١	مدمرة
١١	٦	كاسحة
٨	٦	غواصة
١	-	فرقاطة
-	٨	سفن مراقبة
١٠	٩	سفن معاونة
٥	-	

كانت القوات الهندية موزعةً باتجاه باكستان فقط، وكان المناطق الهندية لا تحتاج إلى حماية، أو أن الفكرة قائمة مسبقاً لقتال باكستان

يستعدوا الاستعداد الكافي، ولم يهتموا بخصوصهم، وبالمقابل كان الباكستانيون يحسبون حساباً كبيراً للهند لمعرفةهم بأعدادهم الكبيرة، ولعلمهم بأحقادهم الدفينة، وانتظارهم الفرصة لإعمال سلاحهم بالمسلمين لذا فقد استعدوا، واندفعوا، وشجّع بعضهم بعضاً وكان لهم النصر - بإذن الله - .

وإضافة إلى ذلك يجب ألا ننسى أن السلاح الباكستاني موحد، وكفه أمريكي، على حين أن السلاح الهندي متروك من الأمريكي، والروسي، والبريطاني، ولهذا دوره في التخطيط وفي القتال.

مؤتمر طاشقند:

لم يكن يتوقع أحد أن يُسمح للروس بالتدخل في شبه القارة الهندية التي كانت إنكلترا تعدّها أمن دوة في التاج البريطاني لذا يجب حمايتها، والحفاظ عليها، وعدم السماح لأحد بالاقتراب منها، ولكن ماذا حدث الآن؟ وكيف يسمح للروس بالولوج إلى داخلها، والوساطة بين أبنائها، والروس هم الذين يُخشى منهم قبل غيرهم، والإنكليز والأمريكان يتفرّجون؟ إنها السياسة واللعبة الدولية، ولتنظر إلى بعض مطلقات اللعبة القاهرة:

١ - " إن باكستان والهند معاً تدوران في فلك السياسة الغربية، ولا يريد سدة هذه السياسة أن ينحازوا لطرف دون الآخر فيدفعوا من تخلّوا عنه للتحرك نحو المعسكر الآخر، لذا أرادوا أن يظهروا على الحياد، والارتباط بالطرفين، ويُعطوا زمام المبادرة لغيرهم، فدفعوها للروس.

٢ - " إن كفة باكستان أخذت بالرجحان، وظهر التفوق الباكستاني على الهند، ولهذا أسرع مجلس الأمن وأعلن وقف إطلاق النار قبل أن تحلّ الهزيمة بالهند.

٣ - " إن الغرب يميل ضمناً إلى الهند فهي دولة هندوسية وثنية لا منيح لها بخيف، ولا نظام يُخشى بأسه وإنما تأخذ المنهج والنظام الغربي دون معارضة ما دامت لا تملك شيئاً. أما باكستان فهي دولة مسلمة،

والحركة الإسلامية فيها نشيطة، والإسلام له منهجه الخاص، ونظامه الخاص، وكلاهما يختلف ويتعارض مع النظام الرأسمالي بل والشيوعي وكل الأنظمة الوضعية، كما أن للمسلمين شخصيتهم المتميزة، ولهم تطلّعاتهم المستقبلية في الدعوة ونشر الإسلام، ومخاربه الظلم، والوقوف في وجه الاستبداد واستغلال الآخرين التي منها الاستعمار. وإذا كان حكام باكستان اليوم يسبّرون في فلك السياسة الغربية لكن هذا غير مضمون في المستقبل وخاصة إذا ما نصح الإسلاميون وآلت إليهم الأمور، وعندئذ سيقولون كل دخيل ومستغل خارج الحدود، ومن هنا كان تفضيل الغربيين للهند، ورغبتهم بأن تكون الحرب لصالحها.

٤ - " إن الروس يميلون إلى الهند أيضاً، فإضافة إلى ما ذكرنا في الفقرة السابقة فإن الهند على خلاف مع الصين، وقد جرى بينهما قتال قبل ثلاثة أعوام أي في عام ١٣٨٢ هـ، والندحرت الهند، ولا تزال تحقد على الصين، والروس على خلاف مع الصين من حيث الفكر الشيوعي والتطبيق الماركسي، وعدوّ عدوك صديقك، فالروس أصدقاء للهند، ويريدون لها النصر، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الروس يخشون انتصار باكستان الذي قد يثير المسلمين الذين يسيطر الروس على بلادهم، كما أن انتصار باكستان قد يجعلها قوية، وتوجه نحو أفغانستان، وتندمج معها، وخاصة أن قبائل الشمال الغربي الباكستاني (الباتان) لهم تنمّة في أفغانستان ويُشكّلون ٦٠٪ من سكانها. فإذا ما اندمجت باكستان مع أفغانستان كانت دولة قوية على حدود الامبراطورية الروسية. ومن هنا تكون روسيا قد أصيبت بتكيتين: أولاهما وجود دولة قوية معادية لها وسياستها، وفكرها، ومنهجها، ومعنى ذلك أنها ستكون في صراع دائم معها، وثانيتهما: أن الدولة الجديدة (باكستان + أفغانستان) دولة مسلمة، وروسيا تسيطر على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي بل إن بعض الجمهوريات الإسلامية في تركستان والتي يسيطر عليها الروس، وتُسمّى بأسماء القبائل الرئيسية فيها (طاجيكستان، أوزبكستان، تركمانستان) تمتدّ هذه القبائل إلى داخل أراضي الدولة

الجديدة، ومعنى هذا أن المسلمين سيستقون على الروس، وسيجدون الدعم، وستفكك الإمبراطورية الروسية.

٥ - إن أفغانستان قد تركها العرب ضمن دائرة النفوذ الروسي عندما جرى التسام مناطق النفوذ فيما بينهما، أو توزيع الغنائم، لذا تريد روسيا أن لا يمس أحد أفغانستان، وألا تكون دولة قوية على حدودها، وخاصةً باكستان التي تشترك مع أفغانستان بالعقيدة ووحدة القبيلة. ومن هنا كانت روسيا لا تريد لبكستان القوة، ولا تريد لها النصر بل تريد ذلك للهند وتقف إلى جانبها.

٦ - إن العلاقات توطدت بين باكستان والصين، وخاصةً في الأونة الأخيرة بعد القتال الذي جرى بين الصين والهند، ولما كانت الصين على خلاف مع روسيا لذا فإن باكستان تقف ضد روسيا وفي الخندق الذي تقف فيه الصين.

ومن هنا كانت روسيا تتلقى مع الغرب في الرغبة في انتصار الهند على باكستان، ولذا فإن الغرب قد أراح نفسه من هذه التبعة حيث لا يريد الانحياز إلى أحد طرفي النزاع فكلاهما من أعيانه الذين يسرون في فلكه، وألقى المهمة على روسيا، ويعرف أنها ستصل بالموضوع إلى الهدف نفسه الذي يريد، ومن ناحية أخرى لا يخشى على الهند من روسيا لبعدها عنها، ولتركيز وضعه في الهند، كما يرغب أن يقع الشقاق بين باكستان وروسيا على نطاق أوسع مما هو عليه، حيث لروسيا أطماع في باكستان إذ تكون طريقها إلى المحيط الهندي بعد السيطرة المرتقبة على أفغانستان، ولها علاقات معها قبلية، كما أن الحدود ستكون طويلة، وفيها مشكلة، وهي الحدود القائمة الآن بين باكستان وأفغانستان.

دعا الرئيس الروسي ألكسي كوسيجين رئيسي طرفي النزاع إلى عقد مؤتمر قمة في مدينة طاشقند قاعدة جمهورية أوزبكستان الإسلامية التي تخضع للسيطرة الروسية كنوع من الإغراء لبكستان، والرئيس الروسي

مسرور بهذه المهمة إذ لأول مرة يتوسط روسي في قضية تتعلق بالهند، وبريطانيا بل والغرب يتفرج.

عقد المؤتمر في ١٤ رمضان ١٣٨٥ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م)، وقد حضره لال بهادور شاستري رئيس وزراء الهند ممثلًا لحكومته، ورئيس جمهورية باكستان أيوب خان، وكان الرئيس الروسي مدة المؤتمر كلها موجوداً في طاشقند للتسوية بين الطرفين فيما إذا حدث اختلاف في وجهات النظر. وصدر إعلان طاشقند، وجاء فيه: يتضمن التزام الدولتين بالمبادئ الآتية:

- تصميم البلدين على إعادة العلاقات السلمية بينهما، وتدعيم العلاقات الودية بين الشعبين.
- التزام ميثاق الأمم المتحدة، وحلّ الخلافات بالطرق السلمية لذلك نوقشت مشكلة كشمير وتبادل الطرفان وجهات النظر بخصوصها.
- يلتزم البلدان بسحب قواتهما المسلحة في موعد لا يتجاوز (٢٥) شباط ١٩٦٦ م) إلى المواقع التي كانت عليها قبل الخامس من آب عام ١٩٦٥ م، ويراقب كل من الطرفين وقف إطلاق النار.
- تقوم العلاقات على أساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- يلتزم كل من البلدين بوقف الدعاية المعادية للأخر، وتشجيع الدعاية التي تدعم العلاقات الودية بينهما.
- عودة العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية بين البلدين، وتبادل الأسرى، وبحث المشكلات الخاصة بالأجانب، وإعادة الممتلكات والودائع التي استولى عليها كل جانب أثناء القتال.
- استمرار عقد الاجتماعات على مستوى القمة وعلى المستويات الأخرى في الأمور المشتركة، وإنشاء أجهزة هندية-باكستانية تخبر حكوماتها بالخطوات التي يجب اتخاذها مستقبلاً.

وفي ١ شوال ١٣٨٥ هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٦٦ م) اجتمع في دلهي كل من رئيسي القوات الهندية والباكستانية. وبدأت في ٤ شوال

١٣٨٥ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م) عمليات السحب القوات، وتبادل الأسرى، وتحليق الطائرات الباكستانية فوق الهند في طريقها بين شطري باكستان. كما عادت علاقات التجارة والاقتصاد، والغل، والتبادل الثقافي، وتشكلت في دلهي رابطة الصداقة الهندية - الباكستانية.

وهكذا ضاع انتصار باكستان وجهودها بل انقلب إلى شبه هزيمة، إذ لم يعد لها الحق أن تتدخل في شؤون كشمير ما دامت الهند تعدها جزءاً منها، والبحث في قضايا المسلمين فيها إنما هو تدخل في شؤون الهند الداخلية. وعدت الهند هذه الاتفاقية نصراً كبيراً، ولقيت تأييداً كبيراً، أما في باكستان فقد لقيت هذه الاتفاقية معارضة قوية، وعُدت فشلاً سياسياً إذ ذهب هدراً جهد الجيش الباكستاني.

ولكن نستطيع أن نقول: إن الهند التي عرفت قوة باكستان على الساحة وإمكانية جيشها لا بد لها من أن تعمل على إضعاف باكستان، ولعل أول ما يلفت النظر في وسيلة إضعافها هو تحزبها بفصل شطريها بعضهما عن بعض، وقد بدأ العمل والتخطيط لذلك.

انفراد أيوب خان بالسلطة:

وضع أيوب خان دستوراً جديداً قام على أساس النظام الرئاسي، وعُرف بدستور (١٩٦٢ م) ١٣٨٢ هـ. على حين أن دستور ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) كان يقوم على أساس النظام النيابي، إذ كانت الانتخابات تتم في الدستور السابق على مرحلتين، تختار في المرحلة الأولى «هيئة الناخبين» التي تتألف من ثمانين ألف عضو، تختار بالتساوي من إقليميّ باكستان: الإقليم الشرقي، والإقليم الغربي، لمدة خمس سنوات، وهي التي تنتخب الجمعية الوطنية ورئيس الجمهورية، وتتألف الجمعية الوطنية من ثلاثمائة وعشرة أعضاء، ورئيس الجمهورية يجب أن يكون مسلماً، ويجوز انتخابه مرتين، وإذا تجاوز حكمه الثمان سنوات لا يستطيع أن يُرْفَع نفسه مرة أخرى.

أما الدستور الذي وضعه أيوب خان عام ١٣٨٢ هـ فقد حظّر نشاط الأحزاب السياسية، وجعل رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للدفاع، وهو الذي يختار الوزراء من خارج الجمعية الوطنية، كما يحق له أن يحلّ الجمعية الوطنية، ويمكنه أن يُصدر المراسيم في حال غياب الجمعية الوطنية، ولا يصدر أي مشروع حتى يُوافق عليه الرئيس، وربما يُوافق على مشروع إذا أجازته ثلثا أعضاء الجمعية الوطنية، وقد يُقرّه بعد إجراء استفتاء عليه. وجعل هذا الدستور الجمعية الوطنية ١٥٦ عضواً مناصفةً بين إقليميّ باكستان، ويتم انتخاب مائة وخمسين عضواً منهم والست الباقية فقد خصصت للنساء بحيث يكون ثلاث نسوة من كل إقليم. أما الهيئة النهائية فتألف من مائة وخمسين عضواً في كل إقليم ويضاف خمس نساء للهيئة في كل إقليم. أما السلطة التنفيذية في كل إقليم فهي بيد حاكم يُعيّنه الرئيس، ويختار الوزراء، ويعني هذا أن كل شيء أصبح بيد رئيس الجمهورية. ونصّ الدستور على إقامة محكمة دستورية عليا، ويجب ألا يصدر أي تشريع يتعارض مع القرآن أو السنة. كما أن القوانين النافذة يجب أن تُراجع على هذا الأساس، ولذلك فقد أُقيم:

- ١ - مجلس البحوث الإسلامية.
- ٢ - المجلس الاستشاري للفكر الإسلامي.

المعارضة:

تلقت الهند مساعدات عسكرية ضخمة عام ١٣٨٢ هـ من الولايات المتحدة الأمريكية للحلف القائم بين الهند والصين، والقتال الذي دار بينهما، وعُزمت فيه الهند، وكانت هذه المساعدات باسم دعم الهند غير أنها في الواقع قد أثارَت الباكستانيين الذين عذّوا ذلك انحيازاً للهند ضدّهم، وعذّوا بحاجة إلى من يقودهم خوفاً من قوة الهند وتطاولها عليهم وتهديدهم.

وبرز أيوب خان وتسلّم رئاسة حزب باكستان الإسلامي الذي أسس

في مدينة كراتشي في شهر ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول ١٩٦٣ م). وساعده في ظهور زعامت موت زعيم الهند (جواهر لال نهرو) في مطلع عام ١٣٨٤ هـ (أيار ١٩٦٤ م)، البارز في الهند، فخلى الجو لأبوب خان في ظهوره كزعيم في شبه القارة الهندية. واقترح أبوب خان عقد حلق استانبول في ربيع الأول ١٣٨٤ هـ فكتب تأييد مسلمي باكستان اللذين شعروا بضرورة عقد هذا الحلق للوقوف في وجه الهند التي حصلت على تأييد الولايات المتحدة لها.

ومع هذه الدعاية التي حصل عليها أبوب خان إلا أن معارضة أخذت تلقف في وجهه، وحمل لوامعا في بداية الأمر الخوجا نظام الدين الذي كان حاكم باكستان ثم رئيس وزرائها وذلك في العهد السابق. وتوحدت جهود المعارضة في ١٢ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ (٢١ تموز ١٩٦٤ م) حيث التفت خمسة أحزاب، فيما سُمي حزب المعارضة المتحدة، وأمكن التوصل إلى إعلان من تسع نقاط اتخذ كبرنامج انتخابي، وهذه النقاط هي:

- ١ - وضع دستور (ديمقراطي).
- ٢ - الانتخاب الشعبي المباشر للجمعية الوطنية، والهيئتين الشائيتين في إقليمي باكستان.
- ٣ - إعطاء هذه الجمعيات سلطات تشريعية كاملة في الأمور المالية وشؤون الميزانية.
- ٤ - إقامة نظام نيابي اتحادي يحفظ لإقليمي باكستان استقلالهما الذاتي على أن يمثل الإقليمان تشكيلاً متكافئاً في الحكومة المركزية.
- ٥ - تليد سلطات رئيس الجمهورية.
- ٦ - فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية.
- ٧ - إعطاء المحاكم العليا الاختصاص بمراجعة دستورية القوانين.
- ٨ - الإفراج عن المعتقلين السياسيين جميعاً.
- ٩ - إلغاء كل قوانين القمع.

أما الأحزاب فهي:

- ١ - الرابطة الإسلامية التي برئاسة الخوجا نظام الدين.
- ٢ - الجماعة الإسلامية برئاسة أبو الأعلى المودودي.
- ٣ - حزب نظام الإسلام برئاسة شوادي محمد علي، الذي كان رئيساً للوزراء قبل تسلّم أبوب خان السلطة.
- ٤ - حزب عوامي الوطني برئاسة عبدالحميد خان بها ثلثي.
- ٥ - عصبة عوامي برئاسة نواب زاده نصر وأمانة سر مجيب الرحمن.

وطالبت المعارضة بتشكيل حكومة انتقالية تُشرف على الانتخابات، وأن يُعطى مرشح المعارضة ما يُعطاه مرشح الحزب الحاكم، ولكن لم يأت به الحكم بمطالب المعارضة.

وكانت الحكومة وحزب باكستان الإسلامي الحاكم يُشعرون أن الهند تُشجع المعارضة في الإقليم الشرقي، على حين تُشجع الولايات المتحدة المعارضة في الإقليم الغربي. وأن هناك مؤامرة تُحاك ضدّ باكستان تهدف إلى فصل إقليمها بعضهما عن بعض، ولهذا نجد في المعارضة حزب عوامي يجانحيه، ومعروف عن هذا الحزب دعوته لتقسيم باكستان، وفصل الإقليم الشرقي عن الغربي، وكيف تنفق الجماعة الإسلامية والإسلام يدعو إلى الوحدة، مع هذا الحزب الانفصالي الذي يدعو إلى التجزئة.

اقترب موعد الانتخابات وأخذت المعارضة تبحث عن مرشح للترئاسة، واستمرّ البحث شهرين، ولم تثر على منافس لأبوب خان، وفي ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ (١٩ أيلول ١٩٦٤ م) استقرّ السوي على ترشيح فاطمة جناح شقيقة محمد علي جناح بعد تمتع وترتيد، والغريب في ذلك تأييد الجماعة على هذا الترشيح على حين لا يصحّ ذلك شرعاً، وأبو الأعلى المودودي أهل علم، وفي الجماعة كثير من هؤلاء، ومن هنا كان النقد، نقد الترشيح، ونقد الجماعة الإسلامية إحدى فئات المعارضة.

وأعلنت المحاكم إثر ذلك أن حظر الجماعة الإسلامية من قبل الحكومة لم يكن قانونياً.

انتهت المرحلة الأولى من الانتخابات في رجب ١٣٨٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٦٤ م)، وجاءت المرحلة الثانية في رمضان ١٣٨٤ هـ (مع بداية عام ١٩٦٥ م) بالافتراع على رئيس الجمهورية، وقد فاز أيوب خان على منافسة فاطمة جناح فوزاً ساحقاً إذ حصل على ٦٣٪ من مجموع الأصوات حيث نال ٤٩.٦٤٧ ألف صوت. على حين لم تحصل هي إلا على ٣٦٪ من مجموع الأصوات، وبدت المعارضة ضعيفة، حيث نالت ٤٨.٣٤٣ ألف صوت.

وجاءت الحرب بين باكستان والهند فاتصرف الناس إليها، وسكنت المعارضة في تلك الظروف، غير أنها قد اشتدت المعارضة بعد الحرب حيث شكلت الجماعة الإسلامية مع بعض الأحزاب والجماعات ما عُرف باسم حركة باكستان الديمقراطية، وانتد وزير الخارجية ذو الفقار علي بوتو اتفاقية طاشقند، وأقبل من الوزارة، وشكّل حزب الشعب عام ١٣٨٧ هـ، وأخذ يُلقب بتصرفات ضدّ الهند، ويتند اتفاقية طاشقند، ويدعو إلى تحرير كشمير، وينادي بتطبيق منهج الاشتراكي، فاكسب شعبية وإن أحجم الكثير عن تأييده لدعوته إلى المنهج الاشتراكي رغم قبوله بكل ما سوى ذلك، ثم أخذ ذو الفقار علي بوتو يُهاجم حكم أيوب خان، وقامت المظاهرات في ١٧ شعبان ١٣٨٨ هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ م) وبعد خمسة أيام اعتقل ذو الفقار علي بوتو، وزعماء حزب عوامي في الإقليم الغربي بتهمة التحريض على القومس، ولكن استمرت المظاهرات التي كانت تقودها الجماعة الإسلامية. وأعلن أيوب خان في ٤ ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (٢١ شباط ١٩٦٩ م) أنه لن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية هذه المرة.

انضمّ إلى المعارضة الجنرال أصغر خان وكان من قبل من أعوان

أيوب خان، وشكّل حزب العدالة في شهر ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (آذار ١٩٦٩ م) كما مشى في المعارضة الجنرال عزام خان، والقاضي مرشد الذي كان رئيس قضاة باكستان الشرقية، وهكذا السع لطلاق المعارضة، واشتدّت.

عزم أيوب خان على زيارة باكستان الشرقية في رمضان عام ١٣٨٨ هـ (أواخر عام ١٩٦٨ م)، وكانت باكستان الشرقية حتى هذه المرحلة بعيدة عن المظاهرات، وخاصةً بعد اعتقال مجيب الرحمن وزعماء حزب عصبة عوامي في عام ١٣٨٦ هـ، وقيام الحرب الباكستانية- الهندية والتي ولدت لدى سكان باكستان الشرقي شعوراً بالعجز العسكري من جانب الحكومة المركزية، وخاصةً بالنسبة لإقليمهم. وقد وضع مجيب الرحمن الذي آلت إليه زعامة حزب عصبة عوامي ست نقاط في سبيل استقلال الإقليم الشرقي، ومعاملة إقليمي باكستان كوحدين اقتصاديين، وهذه النقاط هي:

- ١ - وضع دستور جديد لباكستان، وأن يُقيم هذا الدستور اتحاداً حقيقياً من الإقليمين، وأن يتمّ التحوّل لباكستان إلى نظام نيابي يتأكد فيه تفوق السلطة التشريعية التي يتمّ انتخابها انتخاباً شعبياً مباشراً.
- ٢ - حصر وتركيز مسؤولية الحكومة الاتحادية في ناحيتي الدفاع والسياسة الخارجية، وما عدا ذلك من أمور فيجب أن تتدخل ضمن السلطة الكاملة للولايات التي يتكوّن منها هذا الاتحاد.
- ٣ - إيجاد نظامين مستقلين ومفضلين للهند في باكستان، وجعل النقد في كلٍ منهما قابلاً للتحويل الحرّ. وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فليس هناك ما يمنع من اتباع نظام نقدي مُوحد لباكستان كلها، شريطة أن يتمّ إيقاف التدفّقات النقدية ورؤوس الأموال من باكستان الشرقية إلى الغربية. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن تكون هناك سياسة مالية ونقدية مستقلة لباكستان الشرقية.

٤ - نقل سلطة فرض الضرائب وجمع الإيرادات من الحكومة الاتحادية إلى حكومات أقاليم الاتحاد، على أن تُخصَّص نسبة من حصيلة هذه الضرائب والدخول لمقابلة نفقات الحكومة الاتحادية.

٥ - إيجاد نظامين منفصلين للحسابات الخاصة بالدخل المتحصَّل من المبادلات الخارجية لإقليمي باكستان، ويكون الوفاء بمتطلبات الحكومة الاتحادية من النقد الأجنبي مسؤولية إقليمي باكستان إما على أساس المساواة وإما وفقاً لمعادلات يتمَّ تحديدها، وتكون حركة الضائع بين إقليمي باكستان حرةً دون قيود أو عوائق جمركية، كما يجب أن يمتح الدستور إقليمي الاتحاد حقَّ إقامة روابط تجارية مع الدول الخارجية.

٦ - الإفراج لباكستان الشرقية بحق إقامة تنظيمات عسكرية خارج إطار القوات المسلحة النظامية.

ولما قام أيوب خان بزيارة باكستان الشرقية أخذت المظاهرات تعمُّ مدن ذلك الإقليم، واشترك فيها أصحاب مشارب شتى منهم الذين يريدون الانفصال، ومنهم العمال الذين يرغبون في تحسين الأجور، ومنهم الذين يريدون إصلاح الوضع النيابي، وقد لفت الجميع القيام بالمظاهرات وقد يكون كثير ممن شارك في تلك الحركات قد انساق مع الجموع سوقاً حتى غدت الفكرة الغالبة أن النعمة عارمة، وتمثل أكثرية السكان. وهذا ما منع الحكومة من اتخاذ إجراءات صارمة، وتضرب ضربة حاسمة، وأخذ الوضع يتدهور، وفقدت الدولة سيطرتها على الموقف، فاضطرَّ أيوب خان أن يلجأ إلى الجانب السياسي، فوجّه الدعوة إلى زعماء المعارضة لعقد اجتماع سياسي لمناقشة مسألة الإصلاحات الدستورية. ويبدو أن العسكريين بقوا بعيدين عن الساحة، ولم يبرأ ضرورة في الانسحاق وراء الرئيس أيوب خان إذ فقد سيطرته، كما لم يرغبوا في قسم الارتباط بين الجيش والشعب هذا بالإضافة إلى أن بعض كبار العسكريين قد أصبحوا ضمن صفوف المعارضة مثل الجنرال أصغر خان، والجنرال عزام خان و...

تأجلت الاجتماعات لوجود بعض الزعماء السياسيين في السجن مثل: ذو الفقار علي بوتو زعيم حزب الشعب، ومجيب الرحمن زعيم حزب عصبة عوامي وغيرها، وقد تمَّ الإفراج عنهم بعد طلب مُثليهم لبحضروا المؤتمر.

عُقدت الجولة الأولى من المحادثات في مؤتمر المائدة المستديرة في مدينة راولپندي، وحضره قادة حركة باكستان الديمقراطية، ولجنة العمل الديمقراطية التي تشكلت في شوال ١٣٨٧ هـ (مطلع عام ١٩٦٨ م)، وكذلك الزعماء المستقلون أمثال الجنرال أصغر خان.

ظهرت خلافات في صفوف المعارضة إذ أن مجيب الرحمن كان يُطالب بالاستقلال الذاتي الكامل لباكستان الشرقية، وتمثيلها في المجلس النيابي الاتحادي على أنها تمثل أغلبية السكان، ونقل العاصمة الاتحادية إلى الجناح الشرقي، ولكن هذه المطالب قد وجدت معارضة شديدة وذلك أن أهم مشكلة تُعاني منها باكستان إنما هي قضية كشمير، وهي موجودة في الجناح الغربي، كما أن ازدحام السكان الكبير في الجناح الشرقي لا يُناسب معه نقل العاصمة إذ تصح الحياة صعبةً مُعقَّدة لكثافة السكان الضخمة والتي ستزداد ضخامةً بنقل العاصمة إلى هناك. واستغلَّ أيوب خان هذه الخلافات، وفضَّ المحادثات غير أنه وعد المعارضة بالرجوع إلى مبدأ الانتخاب الشعبي المباشر، والتحول من النظام الرئاسي إلى النظام النيابي. ولكنه لم ينظر إلى مطالب مجيب الرحمن باستقلال باكستان الشرقية الذاتي، وهذا ما جعل مجيب الرحمن يمتليء حقناً ويُصتَم على مُتابعة مقاله بل على العمل على تنفيذها.

لم تهدأ الاضطرابات بل زادت تفاهماً إذ لم تأبه المعارضة كثيراً بتلك اللقاءات، وساعد على ذلك أيضاً أن بعض زعماء المعارضة لم يحضروا مؤتمر المائدة المستديرة في راولپندي، ومنهم ذو الفقار علي بوتو من الجناح الغربي، وعبد الحميد بها شاني من الجناح الشرقي، حيث أصرَّ هذان الزعيमान على إسقاط الحكم بالوقوف في وجهه والقيام بمظاهرات

ضدّه، وانضمّ الفلاحون في باكستان الشرقية إلى المظاهرات وتفاقم الأمر، ولم يجد أيوب خان بدأ من اعتزال الحكم فتركه في ٧ محرم ١٣٨٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٦٩ م)، وسلمه إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش الباكستاني الجنرال يحيى خان، وقد جاء في الخطاب الذي أعلن فيه هذا القرار: «هذه هي المرة الأخيرة التي أحاطبكم فيها بصفتي رئيساً للجمهورية، إن الموقف في باكستان يتدهور بسرعة، واستثناء الدور الذي يمكن أن تقوم به القوات المسلحة، فإنه ليست هناك طريقة دستورية أو عملية لمجابهة الموقف الراهن. إن الأمة كلها تطلب من الجنرال يحيى خان رئيس هيئة أركان حرب الجيش الباكستاني أن يُمارس صلاحياته الدستورية. إن أمن وسلامة بلديا يتعلبان ألا يكون هناك عائق في طريق القوات المسلحة التي يجب أن تُمكن بكل الطرق من ممارسة واجباتها الشرعية وبالنظر إلى ذلك فقد قررت اليوم اعتزال مناصبي كرئيس للجمهورية لاساعد إخوتكم في القوات المسلحة بكل ما أستطيع تمكيناً للنظام وحكم القانون». وهكذا اعتزل أيوب خان وتسلّم السلطة يحيى خان.

كان أبو الأعلى المودودي قد حدّر أيوب خان من الاستقالة واعتزال الأمر، وتسليم السلطة ليحيى خان رئيس هيئة أركان حرب الجيش، فإن مؤامرة تحاك ضدّ باكستان، ولكن أيوب خان لم يستمع إلى ذلك النصح، فحدث الذي كان مخططاً له.

٣ - محمد يحيى خان:

(٧ محرم ١٣٨٩ - ٣ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٢٥ آذار ١٩٦٩ - ٢٠ كانون الثاني ١٩٧١ م)):

منذ أن تسلّم يحيى خان السلطة شكّل حكومة عسكرية، وفرض الأحكام العرفية على باكستان كلها، وحلّ الهيئات النيابية في إقليم باكستان، ومنع الإضرابات، والمظاهرات، والاجتماعات، وأعطى العسكريين سلطات استثنائية، وهذا ما أعاد الهدوء غير أنه مشوب بحلٍ

فافتتحت المدارس، ودارت آلات المعامل، وعادت الحياة في البلاد شبه طبيعية.

أخذ يحيى خان يجزي حواراً ومناقشات مع السياسيين، فأبدوا آراءهم صراحةً، وأظهروا الشك في العمل على تنفيذها وأعلن هو أن باكستان الشرقية لم تحصل في الماضي على حقلها العادل من الرعاية الحكومية، فأخذ لذلك يزيد من استثمارات الحكومة فيها، ويُعطي تسهيلات في الضرائب للمستثمرين، وهذا العمل شجع أهل ذلك الإقليم على المطالبة بما يُحقّق العدالة، ويُصرّحون بأن ما كان يقوله بعض السياسيين صحيحاً، ولم يكن تضليلاً كما كانوا يظنون، حيث لم تكن أقوال السياسيين تُصدّق من قبل.

ومنع الاحتكارات فاستاء التجار الذين يستغلّون البضائع ويحتكرون.

أخذ سكان المقاطعات في باكستان الغربية يُطالبون بإعادة التقسيم على أساس أربع مناطق كما كان سائلاً من قبل، وهذه المقاطعات هي: السند، والبنجاب، وبلوشستان، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية. وفي الوقت نفسه أخذ سكان باكستان الشرقية يُطالبون بالانفصال، وخاصة بعد تصريحات الرئيس يحيى خان نفسه.

بدأ يحيى خان يتقرّب من السياسيين، وقرّر توزيع القادة العسكريين الذين اشتركوا في الحكومة العسكرية التي شكلها إثر تسلّمه السلطة على المناطق وتعيينهم حكاماً عليها، ومنهم (مارشال الجنرال نورخان، وأميرال البحار سيد محمد حسن، والفریق عبدالحميد خان) ليحلّ محلهم في الحكومة عناصر جديدة من السياسيين المستقلين الذين يرضى عنهم، ويُبدون تجاوباً معه. ولكن هذا كله لم يرض الشعب في الإقليمين.

أخذت الاضطرابات الطلابية نعم الجناح الشرقي من باكستان، وتبع ذلك العمال وفي ٤ شعبان ١٣٨٩ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م) أصروا سبعين ألف عامل من عمال النسيج، وانتقل الإضراب إلى الجناح الغربي من مدن: (كراتشي) و(لاهور) و(الملتان)، وأخذ شعب اللاجئ في

مدينة (دكا) في ٢١ شعبان ١٣٨٩ هـ (أوائل تشرين الثاني ١٩٦٩ م)، وبدأت مقاومة المظاهرات بالاعتقالات، وإطلاق النار على المتظاهرين. أعلن يحيى خان في ٢٠ رمضان ١٣٨٩ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ م) عن إجراء انتخابات عامة في البلاد كلها في ٢ شعبان ١٣٩٠ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٧٠ م)، وأن باكستان الغربية تنقسم إلى عدة مناطق، وأن الانتخابات ستكون مباشرة، وهذا يعني إعطاء باكستان الشرقية الأغلبية في الجمعية الوطنية. وأن الجمعية الوطنية التي ستعطي أربعة أشهر لتضع دستوراً جديداً، وسيكون النظام نيابياً، وسيترك النظام الرئاسي الذي كان معمولاً به، وأن النشاطات السياسية يُسمح بها في ٢٣ شوال ١٣٨٩ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٧٠ م).

كان من المقرر أن تجري الانتخابات في ٢ شعبان ١٣٩٠ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٧٠ م)، ولكن أُجّلت إلى شوال من العام نفسه، أي لمدة شهرين بسبب الفيضانات والأعاصير التي اجتاحت باكستان الشرقية، والتي ذهب ضحيتها ما يقرب من مليون إنسان.

جرت الانتخابات العامة وتكشفت في أحوالها الحقائق الآتية:

١ - أوعزت الهند إلى أهوانها الهندوس في باكستان الشرقية وعدادهم عشرة ملايين ليقفوا إلى جانب مجيب الرحمن، وقد دُعم بالمال، والأهوان.

إن مجيب الرحمن يدعو إلى فصل الجناح الشرقي من باكستان عن الجناح الغربي، ويصرّ على ذلك فإذا نجح تمّ الانفصال، وهذا أكبر ما تتمناه الهند، إذ تكون باكستان قد ضُغقت كثيراً وهي خصم الهند الأول، والتي انتصرت عليها قبل عدة سنوات في الحرب التي جرت بينهما عام ١٣٨٥ هـ. ولهذا دعمت الهند مجيب الرحمن وبذلت الكثير في سبيل ذلك، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن نسبة الهندوس مشرّفع في باكستان الشرقية عندما تفصل عن باكستان الغربية، وذلك لأن نسبة

الهندوس في الجناح الغربي ضعيفة. بينما تصل في باكستان الشرقية إلى ١٨.٤٪ من مجموع سكان ذلك الجناح.

٢ - آيد الشيعة ذو الفقار علي بوتو، وقد أوعز لهم رئيس الدولة يحيى خان بذلك، وهو منهم، وإن انفصال باكستان إنما هو لمصلحتهم حيث ترتفع نسبتهم إذ تصل إلى ٨٪ في الجناح الغربي حيث يتركزون فيه، على حين لا يوجد شعبة في الجناح الشرقي. لذا فسيتهم في باكستان كلها (الشرقية والغربية) هي ٣.٤٪، فإذا انفصلت باكستان الشرقية ارتفعت نسبتهم في الغربية إلى ٨٪.

٣ - آيد القاديانيون ذو الفقار علي بوتو، وقد أظهروا في البداية العمل ضدهم، ثم تحولوا إلى جانبه ويبدو أن هذا التحول كان بإيعاز من الإنكليز، والقاديانيون مُنظّمون في الجيش، وأجهزة الدولة المختلفة. كان همّ الإنكليز إضعاف باكستان كدولة مسلمة، ولن يكون إضعافها إلا بتقسامها وتجزئتها. وكذلك فإن القاديانيين إنما يتجمعون في باكستان الغربية، وتكاد تخلو منهم باكستان الشرقية، فإذا تمّ الانفصال كان مركزهم أقوى.

٤ - عمل أصحاب المصالح من الأثرياء في باكستان الغربية لصالح ذو الفقار علي بوتو.

٥ - قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية مائة مليون روية لكل من مجيب الرحمن، وذوالفقار علي بوتو، وقد نقل هذا الخبر وزير الإعلام الباكستاني السابق حيث ذكر بأن السفارة الأمريكية قد سحّت أربعة ولعائين مليون روية بمعدل أربعة عشر مليوناً شهرياً ولمدة ستة أشهر من البنك المركزي لصالح مجيب الرحمن، وعلي بوتو، كما تخفّض سعر الدولار بمقدار الخمس نتيجة تدفّقه بواسطة السفارة الأمريكية، وهذا ما صرّح به رئيس الدولة يحيى خان نفسه، حيث أشار إلى الأموال التي تدفّقت من الخارج، ولكن لم يفصح أكثر من ذلك. وقد طلبت من الجماعة الإسلامية أن يذكر الأحزاب التي تلقت المعونة، ولكنه صمت.

وتريد أمريكا من وراء هذا الموقف إضعاف باكستان أمام الهند، وإفلالها عن التفكير بالبحث النووي، والمفاعل الذري، والقنبلة النووية، وانصرافها إلى شؤونها الخاصة، ومشكلاتها التي تتج عن هذا الموقف من انقسام وإنجزية وضعف، ثم الوقوف في وجه التيار الإسلامي الصاعد ومحاوله خنقه، وتقوية التيار العلماني المعادي للإسلام والملحد أيضاً.

٦ - وفقت جهات كثيرة ضد الجماعة الإسلامية وعملت على إغراقها، بل كانت تحرض على الإيقاع بها والبطش بقادتها، ومن هذه الجهات الهند، والصين، وروسيا، وإنكلترا وكلها كان لها دور في هذه الانتخابات، ودعم وتشجيع لأطراف دون أخرى، ومحاربة لفئات أهد وأغف من فئات ثانية.

٧ - إن سكان باكستان الشرقية يسهل التأثير عليهم بسبب الفقر والمجاهدة المستمرة لطبيعة البلاد، فالمجاعات تحدث باستمرار بسبب تأخر الأمطار الموسمية، والفيضانات التي تعرض لها البلاد دائماً نتيجة غزارة الأمطار وعدم ميل الأرض، والأعاصير التي تقف في وجه التيار العائلي في الأنهار قبل انصبابها في البحر، كل هذا يجعل المأسي تتكرر، والتكبات تحل، والفقر يعم، والفقر عادة لا يهتم بأكثر من تأمين عيشه، وقوت يومه، وكفاحه من أجل رزقه، لذا فأكثر السكان ينساقون وراء كل من يُلوح لهم بتحسين وسائل العيش، ويُقدم لهم بعض المنافع لذلك مهما كانت بسيطة أو نظرية. ويضاف إلى ذلك أن أكثر سكان باكستان الشرقية من أصل هندي، اعتنقوا الإسلام، وقد عُرف أكثر الهنود بالخدول والكليل، وخاصة أن هؤلاء كانوا يتسمون بالأصل إلى مجموعات متواضعة حسب تقسيم المجتمع الهندي الطبقي، فهم يتبعون بالقليل، ويقبلون البسيط، وكان أثر الإسلام فيهم ضعيفاً بعدهم، وقلة العلماء، والفقر، والجهل، ووصول الإسلام إلى بلادهم في وقت التراجع وأيام الضعف. وكانت الهند تُدرك هذا، وتعرف إمكانية التأثير على سكان باكستان الشرقية، وهذا ما أعطاهما

الأمل الكبير في إنجاح مُهبتها بالتأثير على السكان، وفوز محبب الرحمن، وإنجزلة باكستان كمرحلة أولى، ثم ضم ذلك الجناح الشرقي إليها كمرحلة ثانية، ثم التحكّم بالمسلمين، والعمل على ارتدادهم عن الإسلام، وإعادتهم إلى الهندوسية في المستقبل وهذه هي أميتها، وما تهدف إليه، وتضع المحفظات في سبيله.

وهناك نقطة لا بدّ من الانتباه إليها حتى نُدرك أبعاد هذه المرحلة، والأسباب التي تجعل دول العالم الكبرى تتدخل في هذه الانتخابات، وترتكز جهودها عليها، وتُعول الكثير على نتائجها وهي أن باكستان كانت تقف دائماً الموقف المعارض والمعادي لدولة اليهود وأطماعها في المنطقة العربية، ومعنى هذا أنها تقف في الموقف الخصم للصليبية المنتهية في الدول الكبرى، وهي التي أقامت لليهود دولتهم، وهي التي تحضنها، تدعمها وتؤيدها، وتتبنى قضايها كلها، وتسعى وراءها نيابة عنها، ولذا لا بدّ من إضعافها وتحطيمها، وكان واضحاً لليهودية أن دولة باكستان تُشكّل خطراً جسيماً عليها، ولا بدّ من تصفية حسابها معها، وخاصة أن الصناعات المحلية الباكستانية قد قويت فيها، ونمت إلى درجة جعلها تقترب من الاكتفاء الذاتي، وهذا يعني أنها ستستغني عن استيراد البضائع من الدول النصرانية، ولهذا قيمته الكبيرة في حسابات الاستعمار، كما أن اليهود يحلمون في التوسع في الصناعة، وجعل الشرق سوقاً لهم ولضائعهم بعد التمكن من عقد معاهدة سلام مع البلدان العربية بجهود الدول الكبرى وضغطها على حلفائها من الدول وعلى أعوانها، لذا فإن التقدم الصناعي الباكستاني سيكون عفة مباشرة أمام أحلام اليهود، ويجب ضربه من الآن، ومن وسائل تحطيمه إضعاف باكستان بإنجزيتها. هذا على الرغم من أن بعض الدول العربية كانت تُؤيد الهند في عدوانها على كشمير، وتقف في الصف المعادي لباكستان، وفي الخندق المقابل للمسلمين.

جرت الانتخابات العامة في الموعد الذي حُدد لها في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م)، واشترك فيها أكثر من خمسة وعشرين حزباً، وتنظيماً سياسياً، وقد عملت الحكومة علناً لصالح ذو الفقار علي بوتو، وضد الجماعة الإسلامية، حتى استبدلت بعض الصناديق الانتخابية، وقدمت الطعون في ذلك من غير فائدة، وانتهت الانتخابات وفاز حزب عصبة عوامي الذي يرأسه مجيب الرحمن بأكثرية مقاعد باكستان الشرقية، والتأم جناحه تقريباً، وكذلك فاز حزب الشعب الذي يرأسه ذو الفقار علي بوتو، وتفوق على بقية الأحزاب والجماعات في باكستان الغربية، ولكنه كان مهتماً بالتصالح قريباً حيث كان يضم في صفوفه الشيوعيين والرأسماليين، وأصحاب المصالح، وقد اتفقت آراؤهم في الانتخابات، والتفت مصالحهم، ثم عادوا إلى أفكارهم المتباينة، واتجاهاتهم المتضاربة بعد الانتخابات، وكانوا قد تركوها أو نسوها أثناءها.

أما الصف الإسلامي فكان مُفرقاً قبل الانتخابات وظهر تصدعه أثناءها حيث بذلت الأحزاب والحكومة والدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية - روسيا - الصين - الهند - إنكلترا) المال ومبارست الضغط للوقوف في وجه مرشحي الجماعة الإسلامية، وتأييد أصحاب الاتجاه العلماني، وبرز أثناء الانتخابات رجال كثيرون أذعنوا العلم، وأعطوا صفة أهل الفتوى، وانطلقوا وراء هذا الزعيم، وخلف ذلك الحزب العلماني، ومع ذلك الاتجاه، وحصلوا على بعض المنافع لقاء تعريضهم بالمرشحين الإسلاميين وخاصة أعضاء الجماعة الإسلامية.

برز مجيب الرحمن في باكستان الشرقية بل ظهر كزعيم لها، وبرز ذو الفقار علي بوتو في باكستان الغربية، ومعنى ذلك أن الجمعية الوطنية ستكون بيد هذين الرجلين، وأن الصراع سيكون إقليمياً، وتمسك مجيب الرحمن ببرنامجه ذي النقاط الست، وهارضه ذو الفقار علي بوتو. ثم طالب

زعيم باكستان الغربية باللقاء بمجيب الرحمن الذي تشدد في طرح برنامجه، وظهرت مشكلات على ساحة اللقاء، ومنها:

- ١ - مشكلة مدى السلطات التي سُمح لرئيس الدولة.
- ٢ - مشكلة تقسيم السلطات، وتوزيع الحكومة المركزية بين إقليم باكستان.
- ٣ - المدى الذي سيتم فيه إدخال مبادئ الشريعة الإسلامية.

كان مجيب الرحمن يريد الانفصال بالإقليم الشرقي. وذو الفقار علي بوتو يريد تفويض علاقات باكستان مع الدول الخارجية على أساس موقفها من قضية كشمير، فهو من هذا المنطلق أقرب إلى الصين منه إلى الولايات المتحدة، وهذا ما أعطاه تأييداً واسعاً في منطقة البنجاب، وكذلك أخذ يدعو إلى صنع القبلة النووية، ويدعو إلى إعلان الحرب مع الهند مدة ألف عام. ولكن كلا الزعيمين كان يدعو إلى تطبيق النظام الاشتراكي، هذا لوضع شعبه اليائس ليغريه ويجرّه وراءه، وذلك لإخفاء ارتباطاته والفلك الذي يدور فيه. والشعب المسلم لا يعرف الصدق من الكذب، ومدى إخلاص قاده.

والأمر الذي لا بدّ من التأكيد عليه هو أن علي باكستان أن تنفد بعد خروجها من محتتها الحالية فتُحدّد طريقها بوضوح لتجعل من الفكرة التي تولدت عنها واقعاً تعيشه، إن باكستان ما كانت لتوجد لولا هذه الفكرة.

وبينما كانت المهاترات تندور حول الوضع وإذا ببعض الشباب يخطفون طائرة هندية من كشمير إلى مدينة (لاهور) قاعدة منطقة البنجاب في باكستان الغربية، وبعد انتظار دام ثلاثة أيام أحرقت الطائرة، مما شجع الهند على قطع طريق الجو الذي يصل بين جزئي باكستان الغربي والشرقي، وكان ذلك حافزاً شجع مجيب الرحمن على التصميم بالمطالبة بالانفصال حيث لا توجد سوى فرقتين من الجيش الباكستاني في الجناح الشرقي، وكانت الظروف ملائمة لضرب باكستان وتحطيمها.

اضطرت السلطات المركزية الباكستانية إلى تحويل كافة المواصلات إلى شرقي باكستان حول الهند، والانتفاف حول شبه القارة كلها، ولكن ذلك كان يتطلب من الطائرات التوقف في مطار (كولومبو) عاصمة سيلان، وعندما رأت الهند استمرار المواصلات الجوية وتجهت ضغطاً سياسياً وتهديداً عن طريق الدول الغربية وروسيا لرئيسة وزراء سيرالانكا (باندرانايكا) لمنع الطائرات الباكستانية من التزود بالوقود في مطار (كولومبو)، ولكن سيرالانكا فضلت الحياد، وإذ بمحاولة انقلاب فيها تقوم، وتعمل على فرض السيطرة على العاصمة كإنذارٍ أولي. فاضطرت الحكومة السيرلانكية إلى الخضوع ومنع الطائرات الباكستانية من الهبوط في مطار (كولومبو). وهذا الانتفاع في المواصلات بين جزئي باكستان كأنه انفصال حدث قبل قيامه.

حاول ذوالفقار علي بوتو أن يقسم السلطة بينه وبين مجيب الرحمن، ولكن لم يحصل التقام بينهما، إذ كان مجيب الرحمن يشتد في تقاطه الست، وفي نية التأكيد على الانفصال، ولذا كان يطالب بعقد جلسات المجلس النيابي بأقرب فرصة ليتمكن من إقرار دستور يرتضيه بناءً على أغلبية المطلقة في المجلس، بينما يرى ذوالفقار علي بوتو تأجيل موعد انعقاد المجلس النيابي إلى أن يتم التقام مع مجيب الرحمن حول توزيع السلطة، وهكذا وقعت البلاد بين شقي الرضى.

وأثناء هذا الصراع حذد الرئيس يحيى خان اليوم السادس من محرم عام ١٣٩١ هـ (٣ آذار ١٩٧١ م) موعداً لعقد جلسة المجلس النيابي، بيد أن ذوالفقار علي بوتو ينادي إلى عقد اجتماعٍ واسعٍ في ٤ محرم ١٣٩١ هـ (٢٨ شباط ١٩٧٠ م) وأعلن فيه رفضه لحضور الجلسة رفضاً باتاً، وأعلن أن أي واحدٍ من أعضاء المجلس الذين يتنون لحزبه إذا ذهب لحضور الجلسة سوف تكسر رجلاه وتُشج رأسه، وعدد الأعضاء من غير حزبه بأنهم لن يعودوا إذا ذهبوا لحضور الجلسة، وهذا ما أجبر يحيى خان على تأجيل موعد الجلسة، وصدر إعلان التأجيل يوم ٤ محرم

١٣٩١ هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م)، وصدر هذا التأجيل الفجر العصيان المسلح في باكستان الشرقية، وارتكبت أشنع الجرائم، وتفتكت الأعراس، وشلت المحلات التجارية، ووقعت حوادث حرق والناس أحياء. وأمام هذه الأفعال الشيوعية سافر يحيى خان إلى (داكا) قاعدته باكستان الشرقية، والتقى بمجيب الرحمن وبقي هناك عشرة أيام من ١٨ محرم إلى ٢٨ من (١٥ آذار لغاية ٢٥ من)، بغية التقام معه، وبذل جهده في سبيل ذلك، ولكن دون جدوى. وحدثت في هذه الأثناء محاولات اعتداء على الجيش الباكستاني المرابط هناك، والعمل على منع وصول المواد التموينية إليه، وهذا ما أجبره على التدخل في اليوم الثاني لمغادرة يحيى خان المنطقة، واعتقل مجيب الرحمن.

وقبل أن تتعرض للأحداث أرى من الضروري إعطاء فكرة عن جناحي باكستان وعن موقف الدول الكبرى والهند من المطالب التي يحملها مجيب الرحمن بالنسبة إلى التقسيم.

باكستان الشرقية:

تبلغ مساحتها ١٤٣ ألف كيلومتر مربع، وهو ما يُعادل أقل من ١٦٪ من مساحة عموم باكستان، وتتألف من القسم الشرقي من مقاطعة البنغال التي جزئت إثر التقسيم، ومنطقة (سيلهت) التي أخذت من منطقة (أسام) وقسمت إلى البنغال الشرقية لتشكيل الجناح الشرقي لباكستان، وكان عدد سكانها يوم الاستقلال أربعين مليوناً، ثم هاجر إليها حوالي أحد عشر مليوناً من مسلمي البنغال الغربية، ثم تزايد السكان حتى بلغوا ثمانين مليوناً، وهو ما يعادل أكثر من ٥٣٪ من مجموع سكان باكستان كلها. وتكون الكثافة فيها أكثر من خمسمائة شخص في الكيلومتر المربع الواحد، وهي من أكبر الكثافات في العالم، فالأرض تطبق بالسكان الأمر الذي يجعل الفقر يتشرع إضافة إلى أنه تصعب إقامة المصانع على أرضها لكثرة الفيضانات والأعاصير التي تتعرض لها البلاد، وتهدم المباني والمنشآت، وهذا ما

بجعل أصحاب رؤوس الأموال يخشون من توظيف أموالهم في المشروعات الصناعية حيث نجد أن الجوت مثلاً يزرع بشكل رئيسي فيها وينقل خلاً إلى باكستان الغربية ليُصنع هناك، وكان ينقل إلى الهند قبل التقسيم، وهذا ما يُسبب انتشار البطالة، هذا بالإضافة إلى تأخر الأمطار الموسمية في السنوات الجفاف التي تُسبب المجاعات، وطبيعة السكان الذين يعودون إلى أصل هندي، يغلب عليه الخمول.

باكستان الغربية:

وتبلغ مساحتها ثمانمائة ألف كيلومتر مربع، وهذا ما يعادل أكثر من 78% من مساحة البلاد، وتتألف من أربع مقاطعات هي: السند، والبنجاب الغربية، وبلوشستان، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية، ويبلغ عدد سكانها سبعين مليوناً، وهو يتقل عن 47% من مجموع سكان باكستان، فنظراً للكثافة من ستمين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، فالأرض واسعة، ويسلج الجهد لإقامة المشروعات الحيوية للحاجة إلى الماء، فتتقدم الزراعة، وتحسن الأوضاع المعاشية، وتتوفر الإمكانيات لقيام الصناعة، ولا تتعرض المنطقة للقياسات ولا للأعاصير، ويعود السكان إلى أصول مختلفة من عرب، وفرنسي، وتركي، ومغولي، وأفغان، وهنود، وتساعد المناخ على النشاط، لذا نجد التجار والصناع يلعبون دوراً رئيسياً في الحياة الاقتصادية، ويطمح الشباب للعلم، فيتقدمون إلى المعاهد العالية، والكليات العسكرية حيث نجد 90% من ضباط الجيش الباكستاني من منطقة البنجاب، وكذلك فقد حصرت الصناعة والتجارة في باكستان الغربية، وتضم الكليات العسكرية أكثر أفرادها. وتعم لغة (الأوردو) باكستان الغربية على حين تسود اللغة (السكوتية) باكستان الشرقية.

ولا يربط جناحي باكستان بعضهما إلى بعض سوى العريضة، وهي الأساس التي قام عليه تقسيم شبه القارة الهندية. ومن ذاق الضغط والظلم والاضطهاد الهندوسي لا يُفكر بانفصال الجزأين بعضهما عن بعض، غير

أن الفقر والتلاعب بالعواطف قد يُثير بعض السكان دون إدراك النتائج. وهذا ما كان يفعله الشيوعيون مُستغلين فقر السكان وجهلهم، وحاولوا القيام بانقلاب عام 1371 هـ (1951 م)، ثم ضمتهم حزب عوامي مع من سُم من الانتهازيين وأصحاب المصالح، وكانت للحزب صحفه ومجلاته، ثم انقسم مع انقسام الشيوعية فصار فريق مع الصين والتجاهها، وانطلق آخرون مع روسيا وسياستها.

تنقل باكستان الغربية إلى الشرقية المواد الغذائية، وتمتدع عن تصديرها إلى الخارج والحصول على العملة الصعبة، وتستهلك موادها الخام كلها. على حين تُصدّر باكستان الشرقية موادها الخام إلى الخارج. كان دخل الحكومة المركزية الباكستانية من 1380 إلى 1390 هـ يُقدر بـ 30.230.900.000 روبية باكستانية.

أعطت باكستان الغربية منها 73.6% يُقدر بـ 22.228.800.000 روبية باكستانية. وقدمت باكستان الشرقية منها 26.4% يُقدر بـ 7.902.100.000 روبية باكستانية.

ولكن وزّع الدخل على الشكل الآتي:

أعطت باكستان الغربية 51.3% يُقدر بـ 3.900.300.000 روبية باكستانية. وأعطيت باكستان الشرقية 48.7% يُقدر بـ 3.970.800.000 روبية باكستانية.

واستوردت باكستان الشرقية من الغربية بمبلغ يُقدر بـ 10.684.700.000 روبية باكستانية. بينما استوردت باكستان الغربية من الشرقية بمبلغ يُقدر بـ 6.157.900.000 روبية باكستانية.

إن الدول الكبرى والهند معهما كانت متباينة في وجهات النظر السياسية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا إلا أنها كلها متفقة ضد باكستان، وتلق في صف تجزئتها، وتؤيد السياسة الهندية، سواء اتفقت معها في بقية الجوانب السياسية والفكرية والاقتصادية أم اختلفت.

ولما مجيب الرحمن، وذو الفقار علي بوتو فهما رجلان انتهازيان يؤيدان السياسة الأمريكية وسيران في فكهما، وإن كانا يُناديان بالنهج الاشتراكي، فهذه طريقة استغلالية وغالباً ما يلجأ إليها السياسيون الانتهازيون إذ يدعون إلى حلّ المشكلات التي يُعاني منها الشعب، وأراء نظرية، وخداع، نتيجة الجهل السائد لدى الناس الذين يظنون هذا ممن يدعون إليه، وإن كان المناهضون لا يؤمنون بما يدعون إليه، وإنما يتخلونه شعارات يكسبون الأتباع من خلالها، وقد اتخدع الناس وغشوا في مرحلة من الزمن بالأراء الشيوعية فساروا وراها لغفلتهم فاستغل ذلك الانتهازيون وقادوا حملتها وإن لم يؤمنوا بها، ومن هؤلاء مجيب الرحمن، وذو الفقار علي بوتو.

وقد تبين للناس بعد مدّةٍ سوء ما ظنوا به خيراً، وعرفوا جهلهم فانطلقوا يلقون عن أنفسهم ما أثقل كواهلهم، وأمات إنسانيتهم، وزاد بؤسهم، وقاموا يتخفّفون من تلك الأعباء وطرحوا الشيوعية، وشيخوا جنازتها.

وقد حاولت الدول أن تستفيد من إمكانية مجيب الرحمن وذو الفقار علي بوتو والقوة التي حصلوا عليها من سيرهما في طريق الانتهازية، فعملت على تأمين مصالحهما لاستفيد منهما في تنفيذ مخططاتها وسيبعان أوامرهما ما دامت تُحقق لهما المكاسب.

١ - الهشد:

وتحرص على تجزئة باكستان، وترى في مجيب الرحمن رجلاً يخدم

مصالحها، إذ يدعو إلى الانفصال، فهي تدعمه للعمل على التجزئة، التي تضعف باكستان حيث ظهرت قوياً في الحرب التي عارضتها معها عام ١٣٨٥ هـ، وفي إضعافها يمكن ضمّ كشمير، وإبقاء باكستان دولةً مجاورةً ليست بذات شأن.

وتريد الهند كذلك إظهار ضعف الرابطة الدينية لتغيير رأي المسلمين الذين يقطنون الهند، وقد يقول قائل: إن انفصال باكستان الشرقية والغربية قد يُعرض الهند ذاتها لحركات مماثلة، ولكن الهند في الواقع تعدّ انفصال باكستان الشرقية مرحلةً تعقبها مرحلة ثانية، وهي ابتلاعها وضُمها إليها.

ويضاف إلى ذلك أن الصين كانت قد هدّدت الهند بالحرب فيما إذا قامت بهجومٍ على باكستان الشرقية عام ١٣٨٥ هـ أثناء القتال الذي دار بين الهند وباكستان، لذلك لم تتجرأ الهند على الهجوم على باكستان الشرقية، والصين تؤيد وحدة باكستان بينما زعيم حزب عوامي عبدالحميد بهاشاني الذي ينلقى الدعم منها يدعو إلى تقسيم باكستان.

كما تريد الهند ضرب الحركة الإسلامية بتشجيع خصومها، ونقد فكرة الرابطة الدينية، والعمل على إظهارها بأنها رابطة ضعيفة الأثر، وأهية الفكر.

وترغب الهند أيضاً بزجّ الشيوعيين في مقاطعة البنغال الغربية بحربٍ في باكستان الشرقية لتشتت شملهم وخاصةً بعد نجاحهم في انتخابات الهند، وتشكيل حكومة في تلك المقاطعة مع العناصر الموالية لهم.

ولهذا كلّه فقد دعمت الهند وشجّعت مجيب الرحمن، وتعاطفت مع حزب عوامي، وسمحت بإقامة حكومةٍ بنغاليةٍ في المنفى ضمن أراضيها.

٢ - الصين:

ترى الصين ضرورة المحافظة على وحدة باكستان للوقوف في وجه الهند التي تسير في فلك المعسكر الغربي أو على الأقل للضرورة المحافظة

على توازن القوى لأن باكستان أيضاً تسير في المنحى الذي تسلكه الهند، ولهذا كانت تؤيد أيوب خان، ووقفت بجانب باكستان في حربها مع الهند عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، كما هدّدت الهند فيما لو هاجمت باكستان الشرقية. وقبل ذلك نشبت حرب عام ١٣٨٢ هـ بين الصين والهند. ومع هذا الموقف الذي تلقته فإن المحتاج الذي يترجمه عبدالحميد بها شاني من حزب عوامي يُنادي بتقسيم باكستان وانفصال الشطر الشرقي منها مرحلياً وانتهازياً. ولكن الصين لا تريد أن تتدفع أكثر من هذا لأنها غير مستعدة لدخول حرب مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما تريد الهند جرّها إليه.

وترى الصين أن مجيب الرحمن لا يريد التفاهم معها لذلك فهي تؤيد ذوالفقار علي بوتو، وتودّ أن يسلم رئاسة الدولة أو الحكومة على الأقل ليزداد التعاون بينهما، فهو يرغب في المحافظة على وحدة باكستان، وهذا ما يتفق مع سياستها الحالية، وهي تعرف الانتهازية التي يسلكها، فيسكنها نتيجة ذلك تأمين بعض مصالحها عن طريقه على الرغم من أنها تعلم أنه غير شيوعي.

وكذلك تفضّل الصين ذوالفقار علي بوتو على مجيب الرحمن لأنه أكثر جرأة وواقحة في محاربة العناصر الإسلامية عامة، والجماعة الإسلامية بشكل خاص، وهذا ما نسعى وراءه في تهديم كل العوامل والارتباطات الدينية، وكان مجيب الرحمن قد ذكر بأن الدستور الذي سيوافق عليه لن يخالف القرآن والسنة، ومن هنا سيكون تأييد الصين للذي الفقار علي بوتو أوضح.

وتريد الصين حسب خطها الذي تتجهه فشل الجماعة الإسلامية، وكل الهيئات الأخرى التي تأخذ الدين أساساً لسياستها، وهذه الجماعات في باكستان الغربية أقوى منها في باكستان الشرقية، وتأييد ذوالفقار علي بوتو في باكستان الغربية إضعاف لتلك الجماعات.

٣ - روسيا:

وترى ضرورة القضاء على باكستان لأن مبرر وجودها هو الدين،

وروسيا عدوة الدين الإسلامي، أو ترى على الأقل ضرورة المحافظة على توازن القوى، وضرب طرف بأخر من الهند وباكستان فيما إذا اتجه أحدهما نحو المعسكر الغربي بقوة حيث يعدّ الطرف الأخر هذا التسوية عنده، والحياز من قبل الغرب لخصمه فيتحرك. وترى تأييد ذوالفقار علي بوتو الذي يدعو إلى وحدة باكستان، ويقف في وجه الدعاة والتنظيمات الإسلامية. ولكن روسيا تختلف عن الصين في عداوتها للهند حيث لم تدخل معها في الحرب كالصين، كما أنها ليست على تماس مباشر معها.

٤ - الولايات المتحدة الأمريكية:

وترى العمل على تقسيم باكستان ودعم من يسعى لذلك أو يُنادي بهذا في سبيل إضعاف باكستان، كما تعمل على تقوية الهند لتكون مركز ثقل بالنسبة إلى سياستها في المنطقة، وعندما تقوم بدعم باكستان إنما هو من أجل تحريض الهند وإيقاظها على الخط، وتحذيرها من أن تسلك منهجاً آخر، فالعدو يترصد على الحدود، ولهذا نلاحظ أن الهند تُساور السياسة الأمريكية. كما تخشى الولايات المتحدة نجاح حركة إسلامية قوية تُغيّر سياسة باكستان رأساً على عقب، وخاصة حصول الجماعة الإسلامية على تأييد واسع، ولهذا تؤيد ذوالفقار علي بوتو الذي يقف بعقب في وجه التيار الإسلامي، كما تخشى الولايات المتحدة تغلغل النفوذ الشيوعي في باكستان الشرقية بشكل واسع نظراً لما تُعاني من خطر الفيضانات والأعاصير، وما يُلاقى السكان من الفقر والجهل. وترغب في تجزئة باكستان حيث تبقى باكستان الشرقية ضعيفة، وتحتاج إلى المساعدة، ولا تستطيع روسيا تقديم تلك المساعدة لبعدها، ولتجنب الصدام مع الولايات المتحدة، كما لا تستطيع الصين ذلك حيث أن الهند تلقف في وجهها، وتريد جرّها إلى معركة مع الولايات المتحدة، وهنا تجد أمريكا المجال مفسوحاً أمامها فتقدم بالذم، وتنمي الأمل الرأسمالية وتقف في وجه المد الشيوعي بالسعي على إخفاقه عملياً، وتكون باكستان الشرقية بعدها ضمن النفوذ الأمريكي.

وتخش الولايات المتحدة نمو فكرة الرابطة الدينية التي تؤدي إلى فكرة ديار الإسلام. لذلك فهي تشن حملة تشهير ضد حكومة باكستان التي قد تضرب على هذا الوتر أحياناً لتبرير بعض قراراتها أو لتحصيل على تأييد وكسب الشعب نحوها. وقد فورزت الولايات المتحدة وقف شحنات القمح التي وعدت بها باكستان بعد كارثة الإعصار عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وكذلك فإن البنك الدولي الذي تسيطر عليه كان قد قرّر إعادة النظر في منح باكستان قرضاً قدره (١٧٥) مليون دولار، كل ذلك في سبيل زيادة الأزمة الاقتصادية، وخاصة في باكستان الشرقية لتزيد المطالبة بالانفصال. كما أن الولايات المتحدة قد أوقفت شحن الذخيرة والأسلحة إلى باكستان، وبعد هذا من أقوى الضغوط لأن الأسلحة الباكستانية أمريكية، وإذا فقدت الذخيرة أصبحت الأسلحة عديمة الفائدة. وإذا شعرت باكستان بالضعف فلن تتصدى للهند التي تسعى لتقسيم باكستان، وتخطط لذلك، ونهي الظروف.

٥ - إنكلترا:

تسعى إنكلترا لتجزئة باكستان لإضعاف الحركة الإسلامية، وإضعاف باكستان خوفاً من استلام الجماعة الإسلامية السلطة في البلاد، ولإظهار التفكك الإسلامي، وعدم إمكانية قيام دولة على أساس ديني. وقد قامت باكستان على هذا الأساس، وما هي نتجراً، ويفصل بعضها عن بعض. ثم تبذل جهودها لتقوية أعرانها من الإسماعيليين، وأتباعها من القاديانيين، وإعادة اعتبارهم، ومحاولة حملهم إلى مركز الصدارة، وخاصة أن أمرهم قد فُضح بعد أن عرّاهم أبو الأعلى المودودي في مقالاته التي كان يُسطرها ضدّها، فظهِروا على حقيقتهم، ولما كانت كلتا الطائفتين تتركزتان في باكستان الغربية فإن انفصال باكستان الشرقية ذات السكان الأكثر عدداً سيرفع من نسبتهما في الجناح الغربي، ويكون لهما المركز القوي، وخاصة إذ دعمتهما الرافضة التي تدعي الإسماعيلية أنها جزء منها، أو أنها تعود بالأصل إليه، وهو غير صحيح. لذلك كله كانت إنكلترا تشن حملات تشهير ضدّ باكستان.

ويمكن من كل ما تقدم التأكيد من أن الدول الكبرى والهند تتفق في عدائها للإسلام وأعدائها على أهله، وتعمل بكل إمكاناتها للحد من نشاطه سواء أكانت هذه الدول شرقية أم غربية، شيوعية أم رأسمالية، وتتآمر وتؤتد جهودها ضدّ التنظيمات الإسلامية، بل قد تتفق مع اختلافها في وضع مخطط واحد لهذا الغرض.

وأخيراً فإن باكستان عضو في حلف جنوب شرقي آسيا، وقد انضمت إليه في مطلع عام ١٣٧٤ هـ (٥ أيلول ١٩٥٤ م). وعضو في الحلف المركزي (بغداد سابقاً) منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، وهي إحدى الدول الخمس التي تؤلف كتلة (كولومبو) والتي تشكلت عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، وجميع هذه الأحلاف تلقى الدعم من المعسكر الغربي، ولكن السياسة اليوم هي اللف والدوران وعدم الاستقرار على خط واحد، وعدم معرفة الاتجاه الصحيح، واللب على عدة حبال.

وعلاقة باكستان قوية مع الدول الإسلامية، وهي إحدى الدول التي تكف ضدّ دولة اليهود دون تحفظ، وتساند الدول العربية في مواجهتها لليهود، غير أن الدول الإسلامية لا مكان لها - مع الأسف - على ساحة السياسة الدولية حيث أنها تبع لغيرها وتدور في أفلاكها، أكثر مسؤوليتها على ارتباط بسواهم، وشعبها إما مُغرر بهم، وإما على جهل بما يجري، أو فقراء يسعون وراء قوتهم، أو احتوى بعض قادتهم الساسة أو سادتهم، على حين أن لليهود تأثير على السياسة الدولية عن طريق أصحاب النفوذ فيهم، وعن طريق الدول النصرانية الكبرى التي تتساهل والتي تُهيمن على مؤسسات الأمم المتحدة، ويدها السياسة الدولية، والمخططات واللعب السياسية.

الأحداث:

قلنا إن العاصيان قد انفجر في باكستان الشرقية يوم ٤ محرم ١٣٩١ هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م) نتيجة إعلان تأجيل اجتماع المجلس

النياي، واضطر الرئيس يحيى خان للسفر إلى الجناح الشرقي من باكستان، واحتفل مجيب الرحمن يوم ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م).

ومع وصول الموسميات الضيقية انهضت الأمطار بغزارة أدت إلى حدوث فيضانات في باكستان الشرقية نتج عنها مقتل ما يقرب من مائتي شخص، وأصيبت الممتلكات والمزروعات بأذى شديد فُتّر بحوالي ثلاثمائة مليون روية، حيث تهدم ثلاثمائة وخمسون ألف منزل، وشرد ثلاثمائة ألف إنسان، وأصبحوا دون مأوى. وقد نشأت الكارثة عن فيضان خمسة أنهر رئيسية في باكستان الشرقية.

وقد زادت هذه الفيضانات من خطر حدوث مجاعة في المنطقة التي هزتها الأحداث الأخيرة عقب الانتخابات.

ونتيجة للأحداث المتلاحقة والمخططات المرسومة بدأت العناصر الانفصالية، وأغلبها من الهندوس بمغادرة مناطقها والتوجه نحو الهند، وقد وصل عدد هؤلاء المغادرين إلى أكثر من تسعة ملايين إنسان، وقد قرروا العمل من داخل الهند ضد باكستان. وكان يذم أكثرهم أن ضغط الجيش الباكستاني والأهالي المؤيدين له هو الذي ألزمهم على الخروج، وذلك من أجل إثارة التهمة، والعمل ضد الباكستانيين.

ابتداء العمل السياسي، فأرسل هؤلاء الهاربون وقوداً إلى كل الدول التي تُعادي باكستان لطلب المساعدة، فوصل إلى دولة اليهود في منتصف رجب من عام ١٣٩١ هـ (أوائل أيلول ١٩٧١ م) محمود قاسم باسم مندوب بنغالديش، لطلب العتاد الحربي. وقد لقي نجاحاً لدى المسؤولين اليهود بشرط موافقة الهند، وكان عليه يشمل مليوني قذيفة من مختلف العيارات، ومدافع ميدان، ومدافع مساعدة للطائرات، ومدافع رشاشة، وصواريخ أرض أرض لتدمير الطائرات الباكستانية على أراضي المطارات،

وقال هذا المندوب: إننا لا نريد طائرات لأننا لا نملك لها مطارات. وذكر وزير خارجية دولة اليهود بأن بلاده تؤيد كصاح بنغالديش ضد باكستان المؤيدة للعرب.

ولكن هذه الوفود إن وجدت الدعم والتأييد من دولة اليهود لكنها لم تجد مثل ذلك من بقية الدول التي دعت إليها. لأنها وإن كان بعضها ينف ضد باكستان غير أنه لا يريد أن يورط نفسه، فاللجنة يجب أن تكون محكمة ويخولها كلها بأيدي الدول الكبرى المشرفة على إخراج اللعبة وتنفيذها.

إن التحرك العسكري يجب أن يكون عن طريق الهند، وقد طلب اللاجئون إليها المساعدة منها، فلبت الطلب، واستجابت مباشرة، واتخذت من وجود اللاجئين في أرضها حجة للضغط على باكستان بقبول واقع أمر (بنغالديش)، وتبرير موقفها، ولكسب الرأي العام العالمي إلى جانبها. وقبل القيام بالعدوان على باكستان أعلنت أنها لا تستطيع احتواء هذه العناصر اللاجئة إليها.

الحرب:

أعلنت الهند أن نوار (بنغالديش) قد شنوا هجوماً على باكستان الشرقية، وقد أسسوا دولة لهم، ولكن الهند هي التي قامت بالهجوم فعلاً وقوتها كلها باسم اللاجئين إليها من سكان باكستان الشرقية. ولما تضاهت باكستان من هذا الاعتداء السافر، والذي يفوق حجمه ستة أضعاف حجم قواتها اضطرت إلى أن تتحرك في باكستان الغربية لتُخفف ضغط ووطأة الهجوم الهندي على باكستان الشرقية، ولأنها لا تستطيع أن تتحرك في جناحها الشرقي لقلّة قواتها هناك، ولأن الهند تحيط بها هناك من جهاتها الثلاث، أما الجهة الرابعة فهي بحرية، ولا تستطيع القطع البحرية الباكستانية إمداد الشرق منها للطريق الطويلة، وسيطرة الهند عليها حيث

توازي سواحلها، إضافة إلى أن الأسطول الهندي قد يكون أكثر استعداداً في هذه الظروف. وأما الطريق الجوية فطويلة وتزيد على ١٥٠٠ كيلومتر، وكلها ضمن الأجواء الهندية، وأما الالتفاف حول الهند فلا يمكن للطائرات أن تقطع هذه المسافات الطويلة دون تزويد بالوقود، وليس بها من مطارات يمكن أن تهبط فيها، وقد سبق أن ذكرنا ما حدث في (سيرالانكا) عندما أخذت الطائرات الباكستانية تهبط في مطار (كولومبو) للتزود بالوقود أثناء بداية الأزمة، وقد مُنعت، وعندما تساهلت رئيسة الوزراء (باندرانايبكا) قامت محاولة للاتقلاب في البلاد كمؤشر للتهديد فيما إذا استمرت بالسماح للطائرات الباكستانية بالهبوط في المطارات السيرالانكية.

بدأت الحرب بين الباكستان والهند على طول الجبهات في الشرق والغرب على حدٍ سواء، وكان على الهند أن ترمي بثقلها كله على الجبهة الشرقية، وتنتهي من باكستان الشرقية، بينما تقوم بدور المدافع على طول الحدود الغربية.

وكانت الهند قد عقدت حلفاً عسكرياً مع روسيا في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (٩ آب ١٩٧١ م) لتضمن مواجهة الصين بقوى عظمى إذا هي تدخلت في صراعها مع جارها باكستان.

وفي ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (١٧ آب ١٩٧١ م) تقدمت باكستان بشكوى إلى الأمم المتحدة لإيقاف تدخل الهند في مشكلاتها الداخلية، وكررت هذه الشكوى في ١٥ شعبان ١٣٩١ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٧١ م).

وصرحت رئيسة وزراء الهند انديرا غاندي في المجلس النيابي الهندي في ١٥ رمضان ١٣٩١ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧١ م) إن على

جيش باكستان أن يرحل من باكستان الشرقية لأن وجوده فيها يشكل خطراً على أمن الهند وسلامتها.

وفي ٢ شوال ١٣٩١ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٧١ م) بمناسبة عيد الفطر عند المسلمين بعث الرئيس الباكستاني يحيى خان تحية للهند، وجاء فيها إنه يمد يد الصداقة للهند، وهو يرجو أن تشدّ عليها لبدء عهد جديد من العلاقات الطيبة وحسن الجوار... ولكن الهند في ٤ شوال أي بعد يومين فقط من تلك الرسالة دفعت الهند بأثني عشرة فرقة من المشاة، وعدة ألوية من المدرعات لتفتح حدود باكستان الشرقية^(١).

كان عدد الجنود الهنود الذين اقتحموا حدود باكستان الشرقية يربو على ٢٤٠ ألف مقاتل، مزودين بدبابات روسية، ذات مدافع ميدانية ثقيلة من عيار (١٣٠ ملم)، وبطائرات روسية من نوع (ميج ٢٣).

١ - الجبهة الشرقية:

تقدّمت الهند على محاور ثلاثة من ثلاث جهات لتطويق باكستان الشرقية، وسدّت منافذ البحر أيضاً. تقدّمت على محور (جيسور) في الغرب، ومحور (سيلهت) في الشمال، ومحور (كومبلا) في الشرق حيث تقترب الحدود الشرقية من العاصمة (دكا) ولا تبعد عنها أكثر من ستين كيلومتراً. وكان عدد أفراد الجيش الباكستاني المدافع في الشرق ما يقرب من ثمانين ألفاً تنقصه القوة الجوية التي تحميه من الجو، كما يفتقد إلى القوة البحرية الداعمة لتصدّ عنه الهجوم والقصف من جهة البحر هذا

(١) لا شك أن المساعدات الأمريكية لا تقدم أسبوعياً أو شهرياً، وعندما أعلنت أنها قد قطعها، فهو إعلان لمدة مؤقتة هي لا تقدم بالأساس في هذه المدة شيئاً، ولم يكن هذا التصريح سوى متوارف سياسي، فلا تأييداً لباكستان، ولا شجياً للمعدوان الهندي.

بالإضافة إلى انقطاعه عن العالم، أما الجيش الهندي فكان يُقدَّر بنصف مليون، مزوّد بالإمكانات كلها، وله السيطرة الجوية الكاملة، وخاصةً بعد تدمير الطائرات القليلة الباكستانية التي كانت قواعدها هناك، كما أن الأسطول الهندي كان يدك السواحل دون مقاومة تذكر، ويُضاف إلى هذا كله العناصر المؤيّدة للانفصال، والتي تدعمها الهند، والعناصر التي تستأسد عند نهاية كل وضع لتحتل مركزاً في العهد الجديد، وأصحاب المصالح الذين تشرب أعناقهم ليرزوا وليسعوا وراء مصالحهم.

ورغم المعنويات العالية التي قاتل بها الباكستانيون إلا أن التصوّق الهندي الكبير، ووضع باكستان الشرقية المحاط بالهند من كل جهة، وعدم إمكانية وصول الإمدادات، وعدم وجود الطيران، وسيطرة الهند على جُزء المعركة، واعتبار باكستان الشرقية محاصرة من كل جهة مما يؤدي إلى الخوف من المستقبل الغامض، وتواطؤ الروس والأمريكان، وتحاذل الصين وخوفها، كل هذا أتى إلى اندحار اليكستانيين في الشرق، وإن تأخر الاستسلام بسبب الروح المعنوية المرتفعة لدى المقاتلين الباكستانيين حسب اعتراف الهنود بالذات، ولعدم إمكانية عمل المدرعات الهندية بشكلٍ واسع بسبب طبيعة الأرض الترابية، وكثرة المجاري المائية. وقد تمكّنت أمريكا سياستها أن تجعل الصين خارج دائرة الصراع، حيث أعلنت أمريكا أنها قطعت المساعدات عن الهند أثناء الحرب^(١)، ثم أشاعت أن أسطولها السابع في المحيط الهادي بدأ يتحرّك نحو نقطة مجهولة، وفُسر عملاؤها المتدنّسون في كل مكان أن هذا التحرك نحو خليج البنغال لمساعدة باكستان، وهذا لإشاعة أن باكستان عميلة لأمريكا فتغيّر الرأي العام العالمي عنها وتتجه نحو الهند. ثم ثبت أن الأسطول لم يتحرّك من مكانه، وأن القصد من هذه المناورة انتظار العالم لشيء جديد يحدث، ونتيجة لهذا

(١) قسمت العالم الإسلامي المعاصر - مصطفى مؤمن.

غلب على ظن بعضهم أن أمريكا تقف بجانب باكستان، وبهذه الدعاية عشيت الصين أن تظهر في موقف يساير الموقف الأمريكي فتضج المجال للهجوم الإعلامي الروسي عليها، وهي التي تتهم الروس بالتواطؤ مع أمريكا، فتفقد أموالها داخل الأحزاب الشيوعية في العالم والذين أصمت أذانهم الدعاية الروسية، وهذا ما جعل الصين تقف موقفها المحايد والتي وصف بالمخادع، والحقيقة أنها لا تجرؤ على الصدام مع أمريكا.

استلمت باكستان الشرقية، وبدأت الإبادة والقتل الجماعي حيث قُتل مائتان من العلماء، وتبع ذلك مذابح رهبة رافق أثناءها القتل بالمقاصل والتمثيل بالجلث، وسيطرت شرعية الغاب، أما العالم فوقف موقف المستمع المتفرّج، وكان شيئاً لم يقع، فالإبادة لا تُصيب سوى المسلمين، وقتلهم أمر مرغوب فيه، لأنهم انتصروا على الروم بالمصافي، ولم يفسحوا للصليبين المجال للقاء في بلادهم يفسدون، ووقفوا كذلك في وجه الاستعمار الصليبي، ويكفّهم هذا جرماً ليحلّ قتلهم، ويضاف إلى الجرائم السابقة أنهم لا يستمعون إلى الإرساليات التنصيرية، ولا يقبلون الارتداد عن الإسلام، ويدعون فوق كل هذا إلى الفضيلة إذ يأبون الزنا ويرفضون شرب الخمر، ويحرمون الربا، ويمنعون الاختلاط، ويحاربون السقور والتكشّف والتحليل، وهذا ما يعيق ركب الحضارة ألا يكفّهم هذا كي يبادوا.

أعلن عن قيام دولة بنغالدش فاستلم رئاسة الدولة نصر الإسلام، وتسلّم رئاسة الحكومة ناج الدين أحمد. واستولت الحكومة على مزارع الشاي الواسعة، والمؤسسات الصناعية، وعُدّت الجيش الباكستاني في الجناح الباكستاني الشرقي كله أسيراً، ووقع قائده الجنرال (نيازي) وثيقة الاستسلام، وأعلن مندوب بنغالدش في بيروت (جلال الدين أحمد) أن دولته ستقوم على أساس علماني.

٢ - الجبهة الغربية:

كان على باكستان أن تحشد قوتها كاملة، وأن تتقدم على حدود كشمير، وتتهيء وضعها بحرب خاطفة، وظهر تفوق الجيش الباكستاني في الأمام الأولى من الحرب على هذا المحور، وهو محور وادي شناب (سيالكوت - جمو) ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تحلّق الوصول إلى أهدافها، فلم تتمكن من احتلال كشمير كما تحّد للجيش من أهداف. ولما رأت الهند التفوق الباكستاني على هذه الجبهة، عادت فتحرّكت قواتها على ثلاثة محاور على طول الجبهة الغربية، ودفعت بثقلها كله، وزجّت بكل إمكاناتها العسكرية في سبيل كسر شوكة التفوق الباكستاني في قطاع كشمير، وإضعاف الروح المعنوية المرتفعة التي يُقاتل بها الباكستانيون.

أ - تقدمت القوات الهندية في الجنوب من منطقة (كوتش)، وهي منطقة مختلف فيها على الحدود حتى الآن بين الدولتين، وهي في قطاع قريپ من ميناء (كراتشي) المرفأ الأول في باكستان، وهذا ما يُخيف السكان، ويجعل الجيش الباكستاني يُسرّع لصدّ هذه الثغرة، ويُوقّف تقدّمه في كشمير.

ب - وتقدّمت القوات الهندية في منطقة (راجستان)، وهي منطقة صحراوية غير مُعرّزة، وتقدّم فيها الحدود الهندية داخل باكستان، ويظهر من أي نصر يُحرّزه الهند الخوف من فصل باكستان إلى قسمين: جنوبي وشمال، ويُقابل هذا التقدّم مدينة (سوكور) التي لا تبعد عن الحدود أكثر من ثمانين كيلومتراً، ويقوم على نهر السند هناك سدّ ذو أهمية كبيرة.

ج - وتقدّمت القوات الهندية على محور أمرينسر - لاهور، مستفيدة من كثرة السكان هنا حيث الرعب، وتذبذب الفوضى مجرد أي اتصالٍ تحرّزه الهند، كما تستفيد القوات الهندية هنا من وجود عناصر جماعة السيخ، وهم أشدّ حقداً وفتكاً بالمسلمين من أية جماعةٍ أخرى هناك.

ولكن الهند لم تستطع أن تحرّز التقدم السريع على هذه الجبهات إذ



الجبهة الشرقية
الدفاع
الاجرم

كانت القوات الباكستانية تصدّ الهجمات الهندية يسالفة، إلا أن الهجوم الباكستاني على كشمير قد حطت حدته، واستمرت الجبهة الغربية على هذا الوضع حتى انتهاء الحرب، إذ لم تستطع قوة أن تُحرز نصراً يئناً.



وقف القتال:

اجتمع مجلس الأمن وفشلت كل الاقتراحات المقدمة إليه بسبب معارضة الروس الذين كانوا يستعملون حق النقض (الفيتو)، ثم أُحيل الموضوع إلى الجمعية العمومية فالتحلت قراراً بوقف إطلاق النار، واتساح جيوش كلا الدولتين من أراضي الدولة الأخرى، غير أن الهند

استمرت في تحذونها رغم موافقة باكستان على هذا القرار. ثم وقف القتال في ٢٩ شوال ١٣٩١ هـ (١٧ كانون الأول ١٩٧١ م).

أما الدول التي ترتبط بأحلاف مع باكستان سواء دول حلف المعاهدة المركزية أم دول حلف جنوب شرقي آسيا، فلم تُتحرك ساكناً، لأنها لا تستطيع أن تتحرك دون رأي إنكلترا أو أمريكا حسب تلك السياسة التي تدور فيها، وهاتان الدولتان راغبتان في الوصول إلى نتيجة كالتالي حدثت رغم ما تدعيانه وتشيحانه.

ولكن الروس اشتركوا بالحرب مباشرة ونصروا اتباعهم، وساعدوا على انفصال شطري من دولة، وكانوا يدعون أنهم يُحاربون كل انفصال، وقد سحفوا حركة في المجر، وأخرى في تشيكوسلوفاكيا تحت شعار عدم الانفصال عن حلف (وارسو)، وكان اشتركهم في الحرب ضدّ باكستان بقيادة خيراتهم ومدريهم في الجيش الهندي للطائرات الروسية التي تملكها الهند، والتي زوّدت روسيا بها الهند وخاصة بعد المعاهدة الهندية-الروسية التي سبق توقيعها قبل المعركة بمدني قصيرة.

وكذلك اشتركت دولة اليهود في هذه الحرب ضدّ باكستان عن طريق صباط دخلوا ساحة المعركة، وتسلّموا قيادات فيها مثل: العقيد (جاكوب) الذي كان معاون قائد القوات الهندية التي اجتاحت باكستان الشرقية، وقد رفع التمثيل السياسي بين الهند ودولة اليهود بعد هذه الحرب مباشرة إلى درجة سفارة بعد أن كان على درجة قنصلية.

وإذا كانت باكستان الشرقية قد استسلمت، ووقعت فيها مجازر رهيبة جداً وخاصة ما تمّ منها على أيدي ما عُرف باسم ثوار «موكتي بهيني». إلا أنه في باكستان الغربية قد ابتدأت المظاهرات بعد وقف إطلاق النار، وكانت تُطالب باستمرار القتال، والعمل على إحراز النصر، فإن الهزيمة في باكستان الشرقية ليس معناها نهاية الحرب وخسارتها، وهذا يدلّ على ارتفاع معنويات الباكستانيين، وخاصة بعد الانتصارات التي حقّقوها على الهند في

الصراع الداخلي

لم يكن أحد ليتوقع أن يحدث صراع داخلي في باكستان بهذه السرعة، فالصراع مع الهندوس لم تنته آثاره بعد، ولم تدمل جراحه فني كل بيت لا تزال أنة، وفي كل دار غصة، لم يغسل الناس آثار دعاء قلوبهم، ولم تحفّ دموعهم عليهم، والقبور شواهد، ناهيك عن العذارى الداميات، والحرائر المفجوعات، وأهلهم الحيارى الصابرين. والاستقلال بالعقيدة لم تمض فرحته، والخلاص من الاضطهاد والظلم لم يقض على الزفريات، ولم يه الأئين. ولكن أعداء الإسلام لم يتركوا هؤلاء ولا أولئك إذ صعب عليهم أن يروا دولة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية فجن جنونهم، وطاش صوابهم، وانطلقوا بحركون خفيا نفوس، وكوامن الأثلة، ولا يخلو مجتمع من أصحاب أهواء، وفوي مصالح، هذا مع العلم أن قادة هذه الدولة الجديدة باكستان لا يلتزمون بأحكام الإسلام، وإن كانوا يتمون إلى أهله، ويتسبون إليه، فلو كانوا من المتزمنين لارتجت أرض الصليين بتحرك أهلها لمقاومة المتطرفين - حسب اصطلاحهم الصليي - وهذا ما رأيناه عندما انشع نور أمل لوصول فتى إسلامية إلى حكم... إذ صحت المحافل الصليبية وتداعى له أتباعها من الذين يتمون إلى الإسلام، ويتسلطون على أهله، وربما في مقدمتهم الذين يدعون العمل بأحكامه، ويتاجرون بذلك، ويصدقهم المغفلون من وعاباهم ومن الظالمين إلى حكم الإسلام.

المعارك الطاحنة التي دارت وحاصرها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، كما تدل هذه المظاهرات على استعداد الباكستانيين للتضحية. كذلك كان المتظاهرون يطالبون بمحاكمة يحيى خان، واعتباره مسؤولاً عن الهزيمة التي لحقت بالبلاد، إذ لم يتم بالدور السياسي المطلوب، ولم يستغف من العواطف الإسلامية الكامنة، ولم يتحرك سياسياً فيصل بالدول التي ترتبط بمعاهدات مع بلاده، أو بروابط أخرى، إضافة إلى التخصير بالاستعداد الذي كان يلزم المعركة.

سقوط يحيى خان:

استدعى الرئيس يحيى خان من نيويورك ذوالفقار علي بوتو الذي كان قد سافر قبل مدة إلى الأمم المتحدة لعرض وضع بلاده عليها، وما أن وصل إلى باكستان حتى سلمه يحيى خان أمر البلاد، وطارها متوجهاً إلى طهران، بصفتها من فرقة الشيعة، ثم عاد بعد مدة لتعرض عليه الإقامة الإجبارية في المنزل، وكانت قد شكّلت لجنة من أجل النظر في إمكانية تقديم يحيى خان إلى المحاكمة غير أن ذلك لم يكن إلا في سبيل امتصاص ثقة الشعب عليه.

هَبْ أعداء الإسلام بحركون التعصب الإقليمي، ويشيرون العاممين إلى المنصب، ويتصلون بأصحاب الأهواء، وبرز الذين يريسون الزعامة ورفعوا بعض الشعارات التي تُؤذي إلى وقوع الصراع، وكانت الخلافات.

الصراع الإقليمي:

بعد أن نزل الخوجا نظام الدين من منصب الحاكم العام إلى منصب رئاسة الوزراء تحركت في نفسه زعامة الزعامة والرغبة بالرئاسة الأولى، ودفعه الأعداء، وشحن بالعصية الإقليمية، فادعى بسيطرة الجناح الغربي على الشرقي رغبة في زعامة، وحمل نقاطاً معينة وأخذ يطرحها.

ادعى أن أكثرية الجيش من التجناب مع أنه ليس هناك مانع من إقبال أهل البنغال إلى الجيش، وامتهانهم العسكرية، ولكنهم هم لا يريسون ذلك، وأهل التجناب يلبون فهل تمنعهم.

وطالب أن تكون اللغة البنغالية لغة رسمية ثانية في الجناح الشرقي، ولكن وجود لغتين في دولة واحدة إشارة إلى بداية ظهور الفرقة، وبدءاً لعلامة الانقسام، وحملاً لبقية الأقاليم لتطالب بلغاتها المحلية لتكون رسمية، وبعدها تكون التجزئة حيث لا توجد دولة في الدنيا كلها لها خمس لغات رسمية.

وتادى بنقل العاصمة من الجناح الغربي إلى الجناح الشرقي ما دام أكثر سكاناً، وهذا أمر غريب، فباكستان الشرقية تعض بالسكان، وقاعدتها لا تسع لأي جديد، فإذا أصبحت عاصمة مركزية صعب تأمين المرافق الرئيسية، والدول عادة تؤسس عاصمة جديدة بعيدة عن مناطق الأزدحام.

ومع هذه الطلبات الغربية إلا أنها لفتت أذاناً صاغية نتيجة التعصب الإقليمي ونتيجة الجهل بالدرجة الأولى، وأقبل الخوجا نظام الدين فزادت حماسه لمطالبه، وكانت بلرة الانشقاق، إذ حملها أصحاب المصالح،

والراغبون في الزعامات، والانفصاليون، ودعمهم أعداء الإسلام من مختلف الفئات لضرب باكستان، والفكرة التي قامت عليها حتى كان الانفصال كما رأينا.

ومما ساعد على ذلك النظام الاتحادي الذي قامت عليه الدولة، والقوانين التي كانت تصدر، وترشخ فكرة الإقليمية في سبيل إرضاء أهل تلك الأقاليم ممن قويت عندهم النزعة الإقليمية نتيجة الجهل ونتيجة دعايات أصحاب الأطماع والزعامات.

وإذا كانت الأقاليم في الجناح الغربي أقل حدة في النزعة الإقليمية لضعفها الاقتصادي إلا أنها قد وجدت. وإذا كان الدستور الذي أعلن في ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) قد وحد أقاليم الجناح الغربي، ولكنها عادت مرة أخرى إلى الظهور. وربما كان الصراع مع الهند قد خلف من حدة تلك النزعة. غير أن انفصال باكستان الشرقية عاد فأعيا الإقليمية في الجناح الغربي، وبرزت خاصة في إقليمي السند، والبلوشستان.

ولا شك أن أعداء الإسلام، وأعداء باكستان، والفكرة التي قامت عليها باكستان كانوا وراء تلك النزعة، ومن الذين يشيرونها، لحقدتهم على الإسلام، وليصح لهم مجالاً للتدخل نتيجة الضعف الذي تكون عليه تلك الأقاليم عندما تنفصل عن الأم، ونتيجة الجهل سار بعض الناس وراء هذه الشعارات بل الساق بعض المسلمين المتلزمين عصبية - مع الأسف - وعدوا ذلك خدمة للإسلام، إذ يحدون مجالاً لتطبيقه، وما ذلك إلا جهلاً، أو ظنوا أن ذلك يوصلهم إلى الزعامة فأعسى ذلك أبصارهم.

الصراع العقائدي:

إن المسلمين هم الأكثرية الساحقة في الدولة، بل إن باكستان لم تنشأ إلا على أساس جمع المسلمين في الهند بدولة واحدة. فليس هناك صراع عقائدي واضح، وإنما يقف ضد المسلمين كل الأقليات الأخرى.

فالتهدوس قلوبهم مع الهند، ولهم دور في الجناح الشرقي، وكتاتوا
عادلاً أساسياً في الانقسام حيث تستفيد الهند من وراء ذلك، فتفكر في
ابتلاع باكستان الشرقية بعد انفصالها نتيجة ضعفها وكثرة الهندوس النسبية
فيها.

والبوذيون والسيخ يضعون العراقيل في وجه الحكومة، ويشيرون
القوضى حثداً على الإسلام، ويعملون على قتل من يستطيعون قتله خفية.

والإسماعيليون والقاديانيون يرتبطون بإنكلترا، ويحقدون على الإسلام،
ويعملون على إثارة الفرقة بين أتباعه، وعلى تشويه تعاليمه وأفكاره وقبسه،
وعلى بث الفساد بين أفرادها.

والشعبة لا يعجبهم شيء إلا إذا كان منسجماً مع مبادئهم ورغم
ادعائهم الإسلام، وهم دائماً ضد السلطة، ويعارضون أي قانون يتفق مع
المبدأ الإسلامي ما دام لا يحمل فقههم، ونتيجة أنظارهم باستمرار نحو
إيران.

والمسلمون منقسمون فالملتزمون فئة تدعو إلى تطبيق الإسلام،
والعمل بأحكامه، والدولة لم تقم إلا على هذا الأساس. ويحرصون على
بث الوعي بين السكان، والدعوة إلى الالتزام. أما غير الملتزمين فهم من
أصحاب المصالح، والأهواء، والمناصب، والمرتبطين، والجهلة. وهم
يرفضون الالتزام لأن ذلك يحول دون ما يرغبون فيه. ولذا فإنهم يقفون في
وجه الملتزمين ويرقدون الشائعات التي يبثها أعداء الإسلام، ويكونون يوقفاً
لها، وغير الملتزمين عادة من الملحدّين والعلمانيين والجهلة، وهم بالأصل
الذين يحملون أفكاراً رأسمالية واشتراكية، ويسودون في فلك الدول
الكبرى، وهم أيضاً أصحاب المصالح والأهواء، وطلبة المناصب.

الصراع الحزبي:

كان حزب الرابطة الإسلامية هو الحزب السياسي الوحيد، وهو الذي
قام بشور رئيسي في سبيل قيام باكستان. وهو الحزب الذي استظم السلطة.

ومع أن الدولة قامت على أساس الإسلام إلا أن قادة هذا الحزب لم يكونوا
ملتزمين بأحكام الإسلام وتعاليمه، فكان منهم المسلم، والقادياني،
والإسماعيلي، والمزوج بهندوسية، والمقترون بمجوسية، ومن هنا جاء
دعوتهم والسكوت عنهم من قبل الدول الكبرى خوفاً من أن يأتي مسلمون
ملتزمون يُطبقون الإسلام، ويحولون دون تدخل المستعمرين الصليبيين،
ويلقون في وجههم أمام استغلال المسلمين وبلاغهم، وأمام تنفيذ
المخططات الأجنبية. ومن هنا فلم تُطبق أحكام الإسلام، وبقيت هذه
الدولة التي قامت على الإسلام كأي دولة علمانية أخرى، بل برز فيها
القاديانيون، والإسماعيليون، وأكثر الفرق الضالة نتيجة تغليبهم ومخططاتهم
كأقليات.

ثم ضعف حزب الرابطة الإسلامية أمام ظهور النزعة الإقليمية.
وظهرت مجموعة من في الإقليم الشرقي برئاسة الخوجا نظام الدين،
وجماعة تعارضه في الجناح نفسه برئاسة محمد علي يوغرا، وظهر حزب
الرابطة في الإقليم الغربي معارضاً للأفكار التي يحملها أتباعه في الجناح
الشرقي، ومع ذلك فقد بقي الحزب قوياً لأن السلطة بيده، والانتهازيون،
وأصحاب المصالح، والذين يريدون العمل، والمترلقون للحاكم كثيرون في
كل مجتمع، وهم بجانب الحاكم، لذا بقي الحزب تبدو له شعبية
ومؤيدون، وإن كانت شعبيةً ظاهرية فالمتضوعون والمترلقون يفضون عن
مجرد تركه السلطة، ويلتفون حول الحاكم الجديد.

وفي هذه الحالة لا بد من أن تنشط الجماعة الإسلامية التي تأسست
منذ عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وتدعو إلى تطبيق الإسلام، وتذكر الناس
والحكام أن الدولة قامت على أساس ديني، فإن لم يُطبق كان العمل
السابق كذباً على الأمة، والمجتمع مسلم، ويُطالب بإقامة أحكام عقيدته،
وزاد نشاط الجماعة مع رؤية التأييد الذي وجدته في صفوف الشعب. غير
أن السلطة قد وقفت في وجهها، ومنعت نشاطها، وألقت أميرها (أبو الأعلى
المودودي) وكبار قادة الجماعة في السجن، وحلّت التنظيم وصارت أملاكه،

وصحفه. ومن باب التضليل على الشعب العادي أو الجاهل ادعت الفتن المتسلطة عليه أن الإسلام لا علاقة له بالسياسة، ولا علاقة للمسجد إلا بإداء الصلاة، ثم تغلق المساجد بعد العبادة، فلا دعوة ولا عمل، وأما ما كان يفعله رسول الله ﷺ، وما سار عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالح من أن الخليفة هو الإمام والخطيب في المسجد، وأنه القائد للجيش في الحروب، وأنه المتكلم باسم الدولة والمفاوض أثناء إبرام الصلح، وعقد العهود، وأن خطبه لم تكن قاصرة على التصح والتوجيه وإبانة الأحكام، وإنما كانت تتناول وتهتم بشؤون المسلمين في كل مكان، وبحث مشكلاتهم، وما يعانون، وإمكانية مساعدتهم، ويحفظ الأعداء ضدّهم إن كانوا أقلية يعيشون بين ظهرائي غير المسلمين، ملزمين على ذلك ومجبرين. ويذم المتسلطون أن تلك عهود قد مضت - وكان الإسلام إنما جاء لمرحلة معينة - والأن نخشى من إثارة الدول الكبرى، وإساسة العلاقات معها، إن قلنا أو دعونا لتطبيق الإسلام.

ومع النشاط الإسلامي، ونتيجة الفكرة التي قامت عليها باكستان، وبسبب الكره للأعمال الوحشية والإجرامية التي قام بها الهندوس بقيت الأحزاب تحمل العنوان الإسلامي، وإن كانت فارغة المضمون. إذ بقي حزب الرابطة الإسلامية وكان برئاسة الخوجا نظام الدين، ونشأ حزب نظام الإسلام برئاسة شودي محمد علي الذي كان رئيساً للوزراء. وظهر حزب باكستان الإسلامي في ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول عام ١٩٦٣ م).

ونتيجة الحظر الذي فرض على الجماعة الإسلامية نشط العلماء ليسدوا الفراغ، ولكن لم يبحثوا بالأمور السياسية إلا بالمقدار الذي تسمح به السلطة، وكانت جمعية علماء الإسلام برئاسة مفتي محمود، وجمعية علماء باكستان برئاسة شاه أحمد نوراني، وعبدستار نيازي، وجمعية أهل الحديث. برئاسة الشيخ محمد عبدالله، وأمانة سر ساجد مير.

وبدأت الدول الكبرى تمدّ يدها، وتدفع بطلاب الزعامة، ونتيجة

الجهل، وتفشي العنصرية ظهر في باكستان الشرقية حزب عوامي الوطني برئاسة عبدالحميد خان بهاشاني، وحزب عصبة عوامي برئاسة نواب زاده نصر، وأمانة سر مجيب الرحمن، وكلاهما يحمل نهجاً اشتراكياً، تدعوه روسيا وتتخذ منهما مطية، وتدفع أحدهما لمنافسة الآخر. ليقتل لها شرف الهيمنة، وحتى إذا عثر أحدهما امتطت الآخر، أو جمح واحد، طارده بالثاني، وهي لعبة الجياد الدولية المعروفة. ولما انقسمت الشيوعية بين روسيا والصين سار أحدهما وهو عبدالحميد خان بهاشاني وحزبه عوامي الوطني مع الصين، ومضى نواب زاده ومجيب الرحمن وحزبهما عصبة عوامي مع روسيا.

ومع الخلاف الشديد بين هذه الأحزاب والتباين الفكري الواضح بينها، والشقة الواسعة في ارتباط بعضها فقد شكلت جبهة معارضة واحدة ضدّ أيوب خان عندما استبد بالسلطة، وأطلق يده فيها.

ومع السياسة الأمريكية التي أخذت تتبنى أحزاباً سياسية نهجاً اشتراكياً في سبيل إجهاض الحركة الشيوعية، وإفراغ المعنى الاشتراكي من مضمونه تصاماً فقد نشأ حزب الشعب برئاسة ذوالفقار علي بوتو عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وهو حزب ديمقراطي اشتراكي، يشير نحو اليسار وينحى نحو اليمين.

وظهر حزب باكستان الوطني عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م).

وأسس الجنرال أصغر خان حزب العدالة في شهر ذي الحجة

١٣٨٨ هـ (أذار ١٩٦٩ م).

هذه أهم التجمعات السياسية في باكستان الكبرى، وهناك تنظيمات كثيرة، فكلما أراد طامع الزعامة شكل حزماً، ووجد له أعمالاً ومؤيدين نتيجة الجهل مهما كانت الأفكار التي يدعوه حتى أن المسلمين الذين خرجوا من الهند وانجهوا نحو باكستان عندما جرى التقسيم شكّلوا حركة قوية عرفت باسم «حركة مهاجر قوامي».

كان الصراع شديداً بين التجمعات الإسلامية والأحزاب العلمانية وإن حملت عنوانين إسلامية وبدور الصراع حول الأفكار، وصلاحية الإسلام، ومقارنة بين الإسلام والنظم الوضعية، وبين النظام الإسلامي الاقتصادي، والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، وحول النظم الاجتماعية، والقيم الإسلامية.

ويقع الصراع بين التجمعات الإسلامية نفسها حول كسب العناصر، والاجتهادات القرعية، والتصرفات الشخصية، وهذا ما يكون له أكبر الأثر - مع الأسف - في تفكك الصف الإسلامي.

ويتهم الحزبيون العلمانيون الجماعات والأفراد الإسلاميين بالجمود، والرجعية وعدم فتح العيون على معطيات العصر العلمية والتقنية، ويحاولون التفريق بين الجماعات الإسلامية فيعززون التطرف إلى أقواها، وأكثرها التزاماً، فيعلنون الحرب عليها، ويصفون غيرها بالاعتدال، فإذا زالت من طريقهم وجَّهوا سهامهم على سواها الأقوى فالأقوى حتى تختوى، أو تخضع أو تسقط، وهكذا حتى النهاية حسب مخططهم.

وينعت المسلمون المعتزموون العلمانيين بالإلحاد، والانحراف، والتفكك من القيم، والبعد عن الأخلاق الإسلامية، والسير وراء الشهوات البهيمية، والسعي وراء المصالح، وتقليد الأعداء، والجريان في فلك الدول الكبرى.

أما غير الإسلاميين فيقع الصراع بينهم حسب المذهب الاقتصادي الذي يتأدون به، وحسب الدولة الكبرى التي تتبنى ذلك المذهب، وبالتالي حسب الفلك الذي يجري فيه ذلك الحزب، ثم الصراع على المصالح، والمنافع، والإفادة من السلطة.

الباب الرابع

باكستان

تجزّأت باكستان إلى قسمين فحملت باكستان الشرقية اسماً جديداً هو «بنغالديش»، بينما بقي الجناح الغربي، وهو باكستان الغربية يحمل اسم «باكستان»، وعُدت دولةً وحدها، وقد توالى على حكمها منذ انفصال الجناح الشرقي منها عنها حتى الآن ثلاثة رؤساء.

١ - ذوالفقار علي بوتو:

تسّم السلطة في باكستان بتكليف من يحيى خان في ٣ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٢٠ كانون الأول ١٩٧١ م) ولكن استمرت المطالبة بالقتال، ومحاكمة يحيى خان، فوعد ذوالفقار علي بوتو بالبدء بتنفيذ مشروعاته كلها، ومن جعلتها ما يُطالبون به، بل وما يطلبونه وحتى مستقبلياً.

غيّر الرئيس الجديد القادة العسكريين، وعدّ بعضهم مسؤولين عن الهزيمة، كما بدّل المحافظين، ثم أسكت المطالبة بالحرب بمتابرة سياسية ماكرة، وأتم بعض المرافق الحيوية، كل هذا رغم أن البلاد لا تزال تتزرف جروحها فهي بحاجة إلى إسعاف قبل هذه المشروعات غير أنه أراد إشغال الناس بأمور داخلية لإبعادهم عن أهدافهم الأساسية.

قامت بعض المظاهرات أمام الإجراءات التي قام بها رئيس الجمهورية الجديد، وكان أعنفها ما حدث في منطقة «بلوشستان» حيث عاشت عاصمتها «كوئتا» بحالة حرب مدة هذه الاضطرابات.

وكان في هذه المدة قد زار وزير الخارجية الروسية (غروميكو) الهند في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (٩ آب ١٩٧١ م)، وعقد معاهدة معها لمدة عشرين عاماً.

اتفاقية سيملا:

في ١٧ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٧٢ م) بدأت محادثات القمة بين الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو ورئيسة وزراء الهند (انديرا غاندي) في مدينة سيملا الهندية التي تقع عند سفوح جبال هيمالايا على بعد ٢٢٠ كيلومتراً إلى الشمال من العاصمة الهندية (دلهي) في محاولة للتوصل إلى تسويات المشكلات المعلقة والناجمة عن حرب شوال ١٣٩١ هـ (كاتون الأول ١٩٧١ م)، وعن تقسيم باكستان، وقيام دولة بنغاديش. ومن الجدير بالذكر أن مدينة سيملا هذه هي التي تقرّر فيها تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، بعد جهودٍ مضنيةٍ دامت خمسة أيام، ثم بعدها على الاتفاق الذي أذيعت بنوده في ٤ شعبان ١٣٦٥ هـ (٣ تموز ١٩٤٦ م).

وأهم بنود هذا الاتفاق الذي تمّ التوصل إليها بين الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو ورئيسة وزراء الهند (انديرا غاندي)، والتي أذيعت في ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (٢ تموز ١٩٧٢ م) كانت كما يأتي:

أولاً: استعادة باكستان لكل الأقاليم التي فقدتها في حرب كاتون الأول مع الهند باستثناء المناطق الواقعة على طول خط وقف إطلاق النار بينهما في إقليم كشمير، وتقدّر مساحة هذه الأراضي التي كانت قد احتلتها الهند بـ /٨٦٢٠/ كيلومتراً مربعاً، معظمها في المناطق الصحراوية من إقليم السند، ومنطقة مراعي (كوتشي)، وقطاع البنجاب.

ثانياً: انسحاب القوات الهندية إلى مواقعها قبل الحرب في السند، وكوتشي، والبنجاب لتستعيد باكستان أراضي تبلغ مساحتها /٨٦٢٠/

أعلن ذوالفقار علي بوتو عن إعطاء المقاطعات الباكستانية استقلالاً ذاتياً ضمن جمهورية باكستان، وربما كان ذلك لكسب ودّ سكان باكستان الشرقية التي انفصلت وسارت في دربها الخاص، غير أن بوتو لم يقطع الأمل بإعادتها، بإعطائها بعض مطالبها ضمن الاتحاد الباكستاني الجديد، ولكن لهذا القرار أثره الخطير، إذ كان لكل ولاية لغتها الخاصة، ويمكن بذلك أن يؤدي هذا الاستقلال بعد مدّة إلى تباين بين هذه المقاطعات، ثم قيام عددٍ من الدول مكان الدولة الواحدة في باكستان، وهذا ما تريده الدول التي ترغب في تعزيز باكستان وإمعانها من أجل إثبات الفكرة التي قامت عليها يوم نشأتها عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ألا وهي الفكرة الإسلامية. فالأصل صهر هذه المقاطعات في بوتلةٍ واحدةٍ، وليس فصل بعضها عن بعضٍ مهما كانت الأغراض والدوافع السياسية.

بدأ ذوالفقار علي بوتو مباحثاته مع (محب الرحمن) الذي أخرج من السجن، وقرّرت عليه الإقامة الجبرية، وحاول (بوتو) أن يشترك معه بالحكم في سبيل المحافظة على باكستان الشرقية ضمن دولة باكستان الموحدة، ولكن لم يحصل على الموافقة المرجوة، ثم أمر بنقل محب الرحمن إلى منزله، وأخيراً أطلق سراحه في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٢ م)^(١) فعاد محب الرحمن باكستان متوجّهاً إلى لندن حيث عقد هناك مؤتمراً صحفياً دعا فيه إلى الاعتراف بحكومة بنغاديش، كما أجرى مباحثاتٍ مع رئيس الوزارة البريطانية، ولم يمكث في لندن سوى يومٍ واحدٍ غادرها بعد ذلك متوجّهاً إلى (دلهي) حيث كانت الهند قد أرسلت له طائرة خاصةً أقلته إلى عاصمتها، حيث استقبل هناك استقبالاً رسمياً، وبعد ذلك توجه إلى (دكا) عاصمة بنغاديش الدولة الجديدة.

(١) اعتقل محب الرحمن في باكستان في ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م)، وابتدأت محاكمته في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (١١ آب ١٩٧١ م) بتهمة إثارة الحرب ضد باكستان، وذلك أمام محكمة عسكرية، وسمح له بالدفاع عن نفسه، وتكليف المحامين الذين يختارهم للدفاع عنه.

كيلومتراً مربعاً، وتستمر الهند في احتلال المساحة المتبقية، وهي تقع في كشمير وتبلغ مساحتها أربعمائة كيلومتر مربع.

ثالثاً: أن تُعيد باكستان إلى الهند الأراضي التي احتلتها في قطاع البنجاب، وصحرأ راجستان، وتبلغ مساحتها حوالي ستمائة كيلومتر مربع.

رابعاً: اتخاذ الخطوات اللازمة لاستئناف الاتصالات السلطوية واللاسلكية والبريدية البحرية والبرية - بما فيها مراكز الحدود - والجوية بما فيها تحليق طائرات، كل منها في أجواء الأخرى، وتسهيل سفر مواطني البلدين.

خامساً: استئناف التجارة والتعاون في المجالات الاقتصادية والتبادل في المجالات العلمية والثقافية.

سادساً: ترك مسألة إعادة العلاقات بين البلدين لأحوالها الطبيعية لزيادة من المحادثات بين ممثلي البلدين.

وكذلك أوضح الاتفاق أن يبدأ انسحاب قوات الطرفين إلى الحدود الدولية للدولتين بمجرد أن يصبح ساري المفعول بعد التصديق عليه من السلطة التشريعية في البلدين، وأن يتم هذا الانسحاب خلال ثلاثين يوماً من بدايته. كما اشتمل الاتفاق على المبادئ العامة لحسن الجوار بين الدول، ومنها نيل استخدام القوة لتسوية المنازعات بين البلدين، ومراعاة تطبيق مبادئ ميثاق الأمم المتحدة في العلاقات بينهما، واللجوء للوسائل السلمية في حل خلافاتهما، واحترام كل منها لسلامة ووحدة أراضي الآخر، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية^(١).

أصدر ذوالفقار علي بوتو قرارات ما عُرف بالإصلاحات الزراعية في الشهر الأول من عام ١٣٩٢ هـ (أذار عام ١٩٧٢ م)، وقد حَقَّقَتْ هذه

(١) اتفاقية سيملا والمصالحة الهندية - الباكستانية. نازلي موهن أحمد - السياسة الدولية عدد ٣٠ تشرين الأول ١٩٧٢ م.

القرارات الحد الأقصى لملكية الأراضي الزراعية من ٥٠٠ إلى ١٥٠ أكرراً من الحموية، ومن ١٠٠٠ إلى ٣٠٠ أكر من الأراضي غير الحموية، وتتولى الدولة توزيع الزائد من أراضي كبار الملاك على صغار الفلاحين.

وقام بتأميم شركات التأمين والمصارف المالية الباكستانية وهي خمسة عشر مصرفاً، برأسمال قدره خمسة وعشرين مليون جنيه استرليني، كما أتم أربعين صناعةً أساسيةً، وزاد في نصيب العمال من الأرباح.

ثم ألغى القانون العسكري في شهر صفر من عام ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) قبل أربعة أشهر من التاريخ المحدد للإفكاح، واتخذ دستوراً مؤقتاً.

وفي ٨ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٣ م) وافقت الجمعية الوطنية على دستور جديد للدولة، وهو أساس أقيم من البلاد نظام اتحادياً بعد الوحدة التي كانت قائمة، وجعل هذا الدستور رئيس الدولة رأساً دستورياً، فقط، أما رأس السلطة التنفيذية فهو رئيس الوزراء. وعين فاضل إلهي شودري رئيساً للجمهورية، وتسلم ذوالفقار علي بوتو رئاسة الوزارة، وكانت البلاد بيده، أما رئيس الجمهورية فيعيش في الظل.

وتتألف الجمعية الوطنية من مجلسي الشيوخ والنواب، حيث يشتمل مجلس الشيوخ ٦٣ عضواً ويضم مجلس النواب ٢١٠ أعضاء بينهم عشر نساء.

وفي عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) قامت حركة تسميها في ولاية (بالوشستان) بزعامة حزب عوامي الوطني، وتهدف هذه الحركة إلى انفصال بالوشستان عن باكستان، وتأسيس دولة خاصة على أساس القومية البالوشية، وقسم المناطق الأفغانية التي يُقيم فيها البالوش إليها، وكان الشيوعيون هم وراء هذه الحركة، ويعملون بالخفاء لتجسير الأمصار الإسلامية في سبيل إضعافها وخاصة تلك التي تحاور الإمبراطورية الروسية،

ثم تطبيق المنهج العلماني، وأخيراً يأتي دور ابتلاعها من قبل الروس بعدما يكون قد حلَّ فيها من الضعف ما حلَّ، وما ساد فيها من المفهوم الاشتراكي لانتشار الفقر، فعمت العناية للروس، وعملهم لمحاربة الأغنياء ودعم الفقراء.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) اعترفت باكستان بالدولة البنغالية وانفصالها عن باكستان.

اشتداد المعارضة:

أعلن ذوالفقار علي بوتو عن إجراء انتخابات في ١٧ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ (٧ آذار ١٩٧٧ م) وأعلنت الأحزاب أنها ستشارك فيها، وقدمت المرشحين. وقد رشحت الجماعة الإسلامية نائب أميرها، وهو (جان محمد العباسي) ضد ذوالفقار علي بوتو، ولكن لم يلبث أن صدر الأمر بإلقاء القبض عليه قبل تقديم أوراق ترشيحه بيوم واحد، وهكذا ظل ذوالفقار علي بوتو بالتركية.

وفي ٢٠ محرم ١٣٩٧ هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٧٧ م) شكلت المعارضة تحالفاً ضد حزب الشعب الذي يتزعمه ذوالفقار علي بوتو، وهو الحزب الحاكم، وكان هذا التحالف برئاسة مفتي محمود، أمير جماعة علماء الإسلام، وضمت تسعة أحزاب وجماعات سياسية، ومنها:

١- حزب طريق الاستقلال برئاسة الجنرال أصغر خان.

٢- حزب باكستان الديمقراطي.

٣- حزب عوامي الوطني.

٤- حزب زابطة باكستان الإسلامية.

٥- جماعة علماء الإسلام.

٦- الجماعة الإسلامية.

٧- جماعة علماء باكستان.

٨- الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالولي خان.

٩- الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة غوث بخش بزنجو.

غير أن الحكومة قد تدخلت بشؤون الانتخابات، فقد كانت النتائج تُعلن بالإذاعة قبل انتهاء عملية فرز الأصوات، ونتيجة ذلك حصل حزب الشعب على مائة وخمسة وخمسين مقعداً من أصل مائتي مقعد، ولكن التحالف الوطني لم يعترف بهذه النتائج، ووقعت أزمة بعد إعلان نتائج الانتخابات ذهب ضحيتها مقتل ثلاثمائة وخمسين إنساناً، وألقي في السجون عشرات الألوف من الشباب.

وقد جعل التحالف الوطني أهدافه:

١- إبعاد ذوالفقار علي بوتو عن الحكم.

٢- إعادة الانتخابات النيابية العامة.

٣- تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومع اشتداد المعارضة بدأ فعلاً حزب الشعب بالتصدع فقد استقال منه أمينه العام فياض حسن، كما استقال سفير باكستان في إسبانيا اللواء الجوي عبدالرحيم خان.

وأخذ ذوالفقار علي بوتو بجري المباحثات مع التحالف الوطني، وما أن أعلن عن فشل هذه المباحثات حتى وقع الانقلاب ضد نظام حكم حزب الشعب برئاسة ذوالفقار علي بوتو.

□ □ □

٢ - ضياء الحق:

(١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٧ - ٦ محرم ١٤٠٩ هـ (٥ حزيران ١٩٧٧ -

١٨ آب ١٩٨٨ م)).

(١) ضياء الحق - ولد في ٢٢ محرم ١٣٤٣ هـ (١٢ آب ١٩٢٤ م) في بلدة (جولاندان) في مقاطعة السجاب، وتعلّم في مدينة (لوهي) عاصمة الهند في كلية (سانت ستيفن) الإنكليزية، وعلم بالجنش الإنكليزي، وأصبح ضابطاً عام ١٣٦٤ هـ في سلاح الفرسان، فلما تم تقسيم الهند انتقل مع أسرته إلى مدينة (كراتشي) في

أعلن قائد الجيش عن القيام بحركة ضدّ ذوالفقار علي بوتو لوضع حدّ لموجة العنف السياسي التي أدّت إلى مصرع أكثر من ثلاثمائة وخمسين مواطناً، وإصابة الآلاف، وتدهور الوضع السياسي، والعجز عن الوصول إلى حلّ الأزمة، وخوفاً من قيام أعمال عنف جديدة، وخشية من إقحام ذوالفقار علي بوتو للجيش بالسياسة واستخدامه في عمليات القمع كما سبق أن فعل.

باكستان، والتحق بالجيش الباكستاني، وكان منقطعاً، محاً لهجت، مرتعلاً، وعلى صلة وثيقة برماته الضابط، وسحباً من قبل مرؤوسيه. والتحق بكلية الأركان، وتخرج منها عام ١٣٧٥ هـ، وبعد عام عمل مدرساً فيها. شارك في الحرب التي جرت بين الهند وباكستان عام ١٣٨٥ هـ، وسافر إلى الأردن من بلاد الشام عام ١٣٨٩ هـ، وكان مستشاراً عسكرياً هناك، وشهد ما دار من أحداث يومذاك في تلك المنطقة. وسامع في الحرب التي جرت بين الهند وباكستان عام ١٣٩١ هـ، والتي انتهت بتحرّية البلاد، وقيام دولة بنغالديش. ودعى إلى رتبة جنرال عام ١٣٩٦ هـ، وعيّن قائداً عاماً للجيش رغم وجود ضابط أقدم منه رتبة. وفي عام ١٣٩٧ هـ زادت المعارضة ضد الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو، ووقفت في وجهه الجماعات الإسلامية، فحدثت لؤوس واضطرابات في البلاد، فقاد ضياء الحق انقلاباً أطاح بنظام الحكم القائم برئاسة ذوالفقار علي بوتو ١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ (٥ حزيران ١٩٧٧ م)، وقدم ذوالفقار علي بوتو إلى المحكمة بتهمة تدبير جريمة قتل لأحد رجال المعارضة، ونقذ حكم الإعدام به. وشكّل ضياء الحق وزارة شاركت فيها الجماعات الإسلامية، وعندما قامت الثورة الإسلامية في أفغانستان، ولقّب إلى جانبها، ودعم المجاهدين. وفتح باكستان أمام تحركاتهم، وأقام لهم المعسكرات، والمستشفيات داخل باكستان، وهذا ما شدّ من عزائمهم، وشجّعهم على القتال وتنامت الجهادية. وتحسنت علاقته مع الولايات المتحدة بعد القطع بسبب المفاضل النووي الباكستاني. وسامع في لجنة المصالحة التي شكلها مؤتمر القمة الإسلامي لحلّ الخلاف بين العراق وإيران، ولم تنجح هذه اللجنة في مهمتها. وفي ٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٨ م) نُقل بحادثة طائرة في طريقها من مطار (بالابور) إلى مطار (راولپندي) وله ولدان وثلاث بنات.

فرض ضياء الحق الأحكام العرفية، وحلّ الجمعية الوطنية، والمجالس التشريعية الإقليمية، وأقال حكومات الأقاليم، وشكّل مجلساً عسكرياً من قادة الأسلحة الثلاثة: البرية، والبحرية، والجوية تحت رئاسته، وألّف وزارة من المدنيين تُعاونوه في إدارة البلاد، كما أصدر عدداً من القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، فأقام الحدود، وفرض عقوبات صارمة على شاربي الخمر، وألغى الربا من المصارف.

كما اعتقل زعماء التحالف الوطني كي لا تكون الحركة موجهة ضدّ جماعة معينة - على ما يبدو - ولكن هذه الاعتقالات لم تطل، إذ أُخرج الجميع من السجن.

وطالب ضياء الحق زعماء التحالف الوطني بالتعاون، وقد خاضتهم بأيّ قد تقدّت هدفكم الأول بإعادة ذوالفقار علي بوتو عن الحكم، وألغيت كذلك الانتخابات الماضية، وأزلت كل نتائجها وآثارها، وهذا من هدفكم الثاني الذي سأنتهجه بإجراء انتخابات جديدة، وقد وعد بأنها ستكون بعد ثلاثة أشهر، أما أنتم فعليكم مساعدتي بتطبيق الشريعة الإسلامية التي هي المطلوب الثالث لكم، وهذا تتحقّق جميع أهدافكم التي كنتم تعملون جاهدين في سبيل تنفيذها.

وعد ضياء الحق بعودة الحكم المدني، وأبقى فاضل إلهي شودري رئيساً للدولة. وقد آيدّ الإسلاميون ضياء الحق في أول الأمر، وأستد إلى بعضهم المناصب الوزارية، فسلمّ وزارة الإعلام أحد أعضاء الجماعة الإسلامية. وكان طفيل محمد أمير الجماعة الإسلامية عمال ضياء الحق، وعلى صلة وثيقة به، ومع ذلك فقد وقفت الجماعة مع موقف المعارض لاستمراره في الحكم العسكري.

وفي شوال ١٣٩٨ هـ (أيلول ١٩٧٨ م) ترك فاضل إلهي شودري رئاسة الدولة فقسم ضياء الحق رئاسة الحكومة إلى رئاسة الدولة وتسلمهما. قدّم ذوالفقار علي بوتو إلى المحكمة بتهمة الأمر بقتل أحد معارضيه،

وقد ثبت التهمة عليه، وتقدّم فيه حكم الإعدام بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٤ نيسان ١٩٧٩ م).

وفي ذي القعدة من عام ١٣٩٩ هـ (تشرين الأول ١٩٧٩ م) أُجِّل الانتخابات إلى أجل غير مُسمى التي كان قد سبق أن وعد بها. ولكنه في الوقت نفسه طالب بتطبيق الإسلام.

سياسة ضيائه الحق:

سار ضيائه الحق في سياسته في اتجاهين يكادان يكونان متضادين متناظرين إذ هما متباينين أشدّ التباين، وهذا ما وجّه إليه معارضة من خصمي كلا الاتجاهين، لقد سار في:

١- اتجاهاً أمريكي:

إذ تقرب من الولايات المتحدة الأمريكية وهو يهدف إلى:

١- الحصول على السلاح.

٢- إبعاد أمريكا عن الهند، ومحاولة عدم حصول الهند على السلاح من أمريكا لإضعاف الهند، قلّة في السلاح، وتنوعاً في مصادره ولهذا أثره في التخطيط، مكانة في السياسة الدولية.

٣- التأمين على استمرار حكمه.

وقد لقي تجاوباً من طرف الولايات المتحدة، وسكتت مرحلياً عن تجاهه الثاني، فهي تريد من نظامه:

١- إذلال روسيا في بلاد الأفغان، كما سبق لروسيا أن أدلت الولايات المتحدة في حرب فيتنام. ولكن لهذا حدّاً يجب أن يلقى عنده، فلا يحقّ له أن يعمل على تمكين المجاهدين الأفغان من استلام السلطة، وإقامة حكومة إسلامية. وإنما إذلال روسيا فقط. ثم إقامة حكم علماني في بلاد الأفغان، وإسكات الإسلاميين والشيوعيين بعدها.

٢- إبقاء باكستان في فلك النظام الرأسمالي، وعدم توجيهها نحو الصين، إذ توطدت العلاقات بينهما بعد الحروب الباكستانية الهندية عام ١٣٨٥ هـ و ١٣٩٠ هـ.

ب- اتجاهاً إسلامي:

ضيائه الحق حسيماً يندو صاحب التجاؤ إسلامي، ويريد تطبيق الشريعة، وإقامة علاقات وثيقة مع كافة الأمصار الإسلامية بل لا مانع عنده من الوحدة الإسلامية، غير أنه يخشى:

١- التفاهم مع الحركات الإسلامية في باكستان لأن الدول الكبرى لا ترعى عن ذلك وخاصةً الجماعة الإسلامية التي أسسها أبو الأعلى المودودي عام ١٣٦٠ هـ، وهي الآن برئاسة طليل محمد خيال ضيائه الحق. ولقد بدأ ضيائه الحق بهذه بالتقرب من الحركات الإسلامية الباكستانية، وحصل على تأييدها، وشاركت معه في الوزارة الأولى التي شكّلها، وتحمّلت معه تبعات الحكم، ثم أحسّ بالخطر يقترب منه نتيجة هذه السياسة، فابتعد عن الحركات الإسلامية، غير أنه لم يستطع أن يتخلّى عن خطّه، فاتزوى قليلاً، فأخذت تلك الحركات تُعارض خطّه سيره العسكري الأمريكي.

٢- عملت الدول الكبرى ضده صليبيةً إذ هي ضدّ العمل الإسلامي، وخاصة صاحب الفكر الواعي منه مثل بعض التنظيمات الإسلامية التي قامت تدعو إلى الوحدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، والحقيقة ليست الدول الكبرى وحدها في هذه القضية، وإنما الدول كلها إذ لا تعدو أي دولة أن تكون صليبيةً أو يهوديةً، أو ملحدّة، أو علمانيةً، أو وثنيةً، وكلها ضدّ الإسلام مباشرةً وعلى طول الخط، بل ويُضاف إليها الطغاة من كل صنف وربما كان بعضهم من بين المسلمين وإن...

٣- الأعداء في داخل باكستان من الأصفاء كلها، فهم يتربصون الدوائر به، مخالفةً صريحةً بالمنهج، وطمعاً في استلام السلطة، فأصحاب

روسيا: تلقف صراحةً ضد ضياء الحق لأنه يقف في وجهها في أفغانستان، ويدعم المجاهدين ضدّها، وضدّ أتباعها الذين يحكمون كابل، ولما خالفت لها في العقيدة، فهي عدوة الإسلام، وهو مسلم، وإن نجاحه في منجحه، وانتصار الأفغان، وتشكيل دولة مسلمة قوية على حدودها يُؤثّر عليها أشدّ الأثر، فلربما وهو الأغلب أن يُثير ذلك المسلمين الذين يخضعون للسيطرة الروسية، وهذا معناه تفكك الإمبراطورية الروسية، وإضعافها، وتراجعها إلى دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة، بل ربما خضعت للمسلمين الذين يكون قد قوي شأنهم، وتخلّصوا من ربقة الدن التي فرضتها عليهم روسيا، وهذا ما تضعه نصب أعينها، ولا يغيب عنها أبداً نتيجة الظلم الذي تُمارسه، وهي تعلم أن شدة الضغط يولد الانفجار، فكيف إذا كان من بدعته، وخاصة إذا كان ينطلق من العقيدة الإسلامية، وينتهي فكرة الجهاد.

هذا إضافةً إلى أنها تُعادي باكستان لصلتها الوثيقة مع الصين المتنافسة الشيوعية لروسيا والتي تُوجّه إليها اللوم والانتهاج في كل قضية دولية، أو لعبة كان للروس فيها دور.

وأخيراً فإن روسيا مصلحتها مع الهند عدوة باكستان، فكلا الخصمين لباكستان يريد القضاء على باكستان وزوالها من الخريطة عقيدةً وحققاً.

الهند: تتنازع باكستان على كشمير، وتُفازها على الولايات المتحدة الأمريكية، وتحسّس من الإسلام، وعودة أهله لحكم الهند، وخاصة أن في الهند أكثر من ثمانين مليون مسلم، واشتبكت معها في حربيين، وتعدّان خصمين دائمين أو عدوين للدوين.

إنكلترا: تسير في السياسة نفسها التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية، وتحقق على باكستان إسلاميتها، وعلى ضياء الحق تسوّجه الإسلامي، فتريد زواله.

النظام الشيوعي يحدون في ضياء عدوياً في العقيدة بإسلامه، وفي السياسة لمحاربه الشيوعيين في أفغانستان، ولاتجاهه الأمريكي، وأصحاب النظام الأمريكي يرون فيه عدوياً بإسلامه، ومن الناحية السياسية فقد انتهى دوره عندهم.

ولهذا بدأ ضياء الحق مُتأهباً في سياسته، مختلفاً في منهجه، لا يكاد يُعرف له خط، يسير مترنحاً متخوفاً.

غير أن الخط الذي استطاع أن يُوقن فيه بين الانحمارين دعم المجاهدين الأفغان، فهو في هذا الجانب يُحقق خطه الأصيل في دعم المجاهدين، ويُرضي في الوقت نفسه أمريكا التي تريد إذلال روسيا فتسكت عن سياسته بحلب، وتعدّ بشروء. واستمرّ هذا حتى وقّعت الاتفاقية بين الحكومة الباكستانية والحكومة الأفغانية في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م).

شعرت أمريكا بعد توقيع تلك الاتفاقية أنها قد أذلت روسيا فخرجت من أفغانستان ذليلةً كليلّة، وبذا فإن دور ضياء الحق قد انتهى ويجب أن يتوقف دعم المجاهدين الأفغان، ولا يصحّ أن يستمرّ أكثر من ذلك، إذ يُؤدّي استمرار الدعم إلى تمكّن المجاهدين، وتمكينهم من استلام السلطة، وبذا أرادت أمريكا أن تتخلّص منه، وأخذت تُحفظ لذلك. المعارضة الخارجية:

قلنا إن الدول كلها تلقف ضدّ حكم ضياء الحق للمنهج الذي يسير عليه، وكذلك الطغاة في مختلف الأرض للسبب نفسه، ولكن يهتما لفت الانتباه إلى بعض الدول الرئيسية وهي:

أمريكا: كانت تُؤيّد وتدعمه في المرحلة الأولى في سبيل الوقوف ضد روسيا في أفغانستان، فلما تمّ لها ما تريد، ووقّعت الاتفاقية بين الحكومتين الأفغانية والباكستانية في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م)، وانسحبت روسيا، وانتهت بذلك مهمّة ضياء الحق.

الصين: ترعب في قوة باكستان لتتصر على الهند التي تختلف مع الصين، وتلد روسيا التي بينها وبين الصين بيوتة صغرى.

أفغانستان: حكومة أفغانستان شيوعية تدعمها روسيا التي جوشها بجانبها، وضياء الحق يؤيد المجاهدين الذين يحاربون الحكومة الشيوعية العميلة، فالخلاف بين باكستان وحكومة أفغانستان مستحکم، وبقاء طرف مرهون بزوال الطرف الآخر.

المعارضة الداخلية:

تتمثل المعارضة الداخلية في عددٍ من الأحزاب والجماعات والمنظمات، وإن كانت هذه المعارضة تختلف في عطفها بين حزب وآخر، حسب منهجه الذي يسير عليه وسياسته التي يتبعها، ومن هذه التجمعات:

١ - حزب الشعب: ويتزعم هذا الحزب نصرت بوتو^(١) زوجة ذوالفقار علي بوتو الذي أعدم بالمحاكمة لإعطائه الأمر بقتل أحد معارضيه، وذلك بعد أن قام ضياء الحق بانقلاب ضد حكم بوتو. ومعارض هذا الحزب نظام الحكم شاراً، وحقداً، وطمعاً في استلام السلطة، هذا بالإضافة إلى النهج الاشتراكي الذي يعمل له، وسياسته نحو الشرق حسيماً يزعم على حين يسير باتجاه الغرب، ويخطئ مواءمة للسياسة الغربية تماماً وفي تلك السياسة الأمريكية.

وإذا كان ضياء الحق قد استقطب بعض زعماء هذا الحزب، وهذا أمر طبيعي ما داموا من الانتهازيين فهم مع كل حاكم، ورغم أن عدداً من قادته قد تخلوا عن الحزب إلا أنه لا يزال قوياً.

٢ - الحزب الوطني الديمقراطي: ويتزعمه خان عبدالولي خان، ويدعو إلى إقامة وطنٍ خاصٍ بقبائل الباتان، المقبلة في الشمال الغربي

(١) إعطاء لقب الزوجة للزوج على طريقة الكفار.

من البلاد، وتتكلم هذه القبائل لغة البشتوه التي تسود في بلاد الأفغان، وهذا الحزب، يسير تحت جناحه أعداد من الشيوعيين.

٣ - الحزب الوطني الاشتراكي: ويتزعمه غوث بخش بيزنجر، ويدعو إلى إقامة وطنٍ خاصٍ بقبائل البالوش وينحو منحى الاشتراكية.

٤ - حزب عوامي الوطني: ويتجه خطأ اشتراكياً.

هذه الأحزاب الأربعة لا ترى دعم المجاهدين الأفغان بدعوى مصلحة باكستان وحرصاً على اقتصادها، وتتشد في الوقت نفسه محاربة النظام الشيوعي القائم في كابول والذي تدعمه روسيا. وتهاجم أيضاً السير في ركاب أمريكا. ولكنها لا تعمل على الاصطدام مع الحكم إذ تعتقد أن النظام قوي، ومركز، ومؤيد من الجيش.

٥ - المنظمات النسائية: وغالباً ما تتزعم هذه المنظمات النسوة اللاتي تحلن من القيم، وتحررن من الدين، وتأثرن بالافكار المخالفة للشرع، وليس لديهن أي خلفية دينية لذلك يدعين أن الإسلام يجوز على المرأة ولا يعطيها حقها، على حين أن النظم الأخرى من شيوعية وأسمالية تُعطي المرأة كامل حقها، ولا يعرفن من هذه الحقوق سوى التحرر من كل القيم، والسير كما يحلو لهن، والتصرف كما ترعب الواحدة منهن.

هذا النوع يرى في الإسلام عدواً له لذا فهو يقف في وجه كل من يدعو له أو يتنادي به، ومن هنا قولهن ضد نظام ضياء الحق.

٦ - الشيعة: وهذه الطائفة أمرها غريب جداً، فعلى الرغم من ادعائها الإسلام والانساب له إلا أنها لا توافق على أي مشروع إسلامي إلا إذا كان على الملعب الشيعي، هكذا تدعي، والواقع أنها لا تعارض إسلامياً، وإنما تعارض سياسة فلا تقبل نظام الحكم القائم، وإنما تريد الشيعة لإيران التي أصبح لها مكانة في نفوس الشيعة في بقية جهات العالم، وكان عارف الحسيني رئيس حركة تنقيح الفقه الجعفرية، والرعي

ليكون المرجع لتطبيق الشريعة، ونتيجة عدم القيام بتلبية هذا المطلب، كانوا يحملون عليه.

٣ - العسكريون: الذين كانوا يريدون السيطرة، وقد مارسوها مدة من الزمن منذ أيام أيوب خان، ويحيى خان، وحتى بوتو، ورغم أن الحكم عسكري إلا أنه لم تكن للقادة تلك الصلاحيات الواسعة، والممارسات الغربية التي تعرفها الأنظمة العسكرية الأخرى.

فالمعارضة إذن ذات قواعد عريضة غير أنها خامدة، وربما كانت تبرز أحياناً أما الحكم فكان يركز على كبار الضباط الذين هم دعامة الرئيس ضياء الحق، وبعض الزعماء المدنيين من السياسيين، ثم العامة وهم غالبية الشعب، وهؤلاء يُؤثر فيهم الإعلام، وربما تستطيع المعارضة كسب أعدادٍ منهم بالتأثير والدعاية.

أجرى ضياء الحق استفتاء عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) وحصل على ثقة الشعب نتيجة هذا الاستفتاء، واستمرت الأحكام العرفية معمول بها منذ قيام الانقلاب عام ١٣٩٧ هـ حتى عام ١٤٠٥ هـ، وبعدها وعد بإجراء انتخابات، ووضع قوانين لها، ومنها:

أ - عدم الاختلاط: حيث ينتخب المسلمون وحدهم ولهم ممثلهم، ويتخب غير المسلمين وحدهم ولهم ممثلهم.

ب - التمثيل النسبي: فتكون الأصوات للأحزاب وليس للأشخاص، ويُعطى الحزب من المقاعد بنسبة ما نال من الأصوات. والأحزاب التي لا تحصل على نسبة ٥% من مجموع الأصوات لا تُمثل في الجمعية الوطنية.

ج - تقديم حسابات الحزب: إن الحزب الذي يُريد أن يُشارك في الانتخابات عليه تقديم حساباته المالية، ونظامه الأساسي للدولة.

ولكن التحالف الوطني قد عارض هذه القوانين، وعدّها غير دستورية،

الشيخي جعفر حسين يُعارضان دائماً الحكم، ويدعون أن عددهم عشرون مليوناً، والواقع أنه لا يزيد على سبعة ملايين، وإذا ضممنا إليهم الإسماعيلية وصل العدد إلى ثمانية ملايين فتكون نسبتهم ١٠% من مجموع سكان باكستان. وجرت لقاءات بين ضياء الحق ووزير الشؤون الدينية من جهة وبين الشيعة من جهة أخرى، ووصلوا إلى بعض التفاهم بعد جهود مضنية ولم يكن لذلك أي أثر.

٧ - الإسماعيلية: وهم لا علاقة لهم بالشيعة، وهم أصحاب نفوذ وبراء، ويسيروا في فلك السياسة الإنكليزية، ويعملون ضد الإسلام، وإن ادّعوا أنهم أصل الإسلام وهذا ما يعلنون لكن ما يصرحون لا يعد عن العمل ضد الإسلام، والهدم فيه بمختلف المعاول.

٨ - القاديانيون: ومع أن هؤلاء قلّة، ونقصت أهميتهم بعد أن أصدرت المحاكم الشرعية أنهم فرقة ليست مسلمة إلا أن عناصرهم ذات مراكز حساسة، ويُخشون عقيدتهم في أغلب الأحيان. ومع ذلك فهم يتحركون تبعاً للسياسة الإنكليزية.

هذه الفئات الثمانية كانت عدوةً لنظام ضياء الحق، ومعارضةً له، ولكن كانت معارضةً مخفية لا تظهر إلا نادراً، وإن كانت معروفةً صراحةً في مخالفتها للنظام القائم. وكانت هناك معارضة صريحة وإن كانت أخفّ ضراوةً وأقلّ عنفاً، ومن هذه المجموعات:

١ - الجماعة الإسلامية: وكانت تحمل على ضياء الحق اتجاهه نحو أمريكا، وحكمه العسكري، وعدم تطبيق الشريعة بشكلٍ جدي، وتناوله مع الشيعة، وسكوته عن بعض الذين يسبون، وكان عموماً أحمد نائب أمير الجماعة يُصرح دائماً برفضه للحكم العسكري الذي يتطوي تحت الاستبداد، وكذلك أمير الجماعة القاضي حسين أحمد.

٢ - أهل الحديث: الذين كانوا يُطالبون بتشكيل مجلسٍ للعلماء

والانتخابات يجب أن تكون حرة، وغير مشروطة، وغير خاضعة للقوانين خاصة بصوغها كل حاكم وفق هواه.

ولكن أجريت انتخابات البلدية على حين ألغيت الانتخابات النيابية.

انقلاب جديد:

بعد أن وقَّعت الاتفاقية بين باكستان وحكومة أفغانستان في سويسرا في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م)، والسحب روسيا من بلاد الأفغان عسكرياً أحسن ضياء الحق أن وضعه في بلاده قد اختلّ، فأسرع يبحث عن الأسباب، ويفتش عن مخرج، فوجد.

أن المجاهدين الأفغان قد شعروا أنهم قد خُدلوا من باكستان، ولم يكن هذا توقُّعهم، وهم قد رفضوا تلك الاتفاقية إذ لم يكونوا طرفاً فيها رغم أنها كانت بسببهم ومن أجلهم. وضياء الحق لا يريد خذلان المجاهدين، بل كان ينقذ إلى جانبهم حسب إمكاناته المادية، وطاقاته السياسية حيث هناك حدّ معين يمكن أن يقوم به، ولا يمكنه أن يتعداه.

وشعر أن خلافاً بينه وبين رئيس حكومته محمد خان جوينجو الذي كان يتسلّم حقيبة وزارة الدفاع إضافة إلى رئاسته للحكومة، وكان ضياء الحق هو القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، وبحكم منصب الرجلين يحدث احتكاك لكن لم يصل إلى درجة الصدام. وأحسن هنا ضياء الحق أن رئيس حكومته كان ضمن اللجنة حيث كان يرى أن المجاهدين يُشكّلون عبئاً على باكستان في الوقت الذي كانت تعاني فيه ضائقة اقتصادية، لذا يجب طردهم من أراضي باكستان، والتفاهم مع الروس. وهذا ما جعل ضياء الحق يلجأ إلى انقلاب جديد في بلاده بصورة سلمية.

ففي ١٤ شوال ١٤٠٨ هـ (٣٠ أيار ١٩٨٨ م) ألقى خطاباً بالتلفزيون أعلن فيه حلّ الجمعية الوطنية، وإقالة الحكومة برئاسة محمد خان جوينجو لأنها فشلت في وضع حدّ للفساد، ولكنه لم يُعلن الأحكام العرفية، ولم

يُعلّق الدستور، ولم يحظر نشاط الأحزاب، ووعده بإجراء انتخابات خلال ثلاثة أشهر، وألقى زيارته للصين التي كانت مفرّقة أن تكون في هذا اليوم. وغير المواقع في مسؤولي وسائل الإعلام، وهزل المفاوضات في جنيف من مناصبهم بعد توقيع الاتفاقية.

وعين وحيم الدين، وهو جنرال متقاعد، حاكماً لإقليم السند.

وفي ٢٤ شوال ١٤٠٨ هـ (٩ حزيران ١٩٨٨ م) شكّل وزارة يرأسه، ضمّت أعضاء متبايني المشارب، فكان منهم صاحب زانه يعقوب خان الذي تسلّم حقيبة وزارة الخارجية، وقد كان يشغلها من قبل، وهو ضابط من أصدقائه، وهو الذي تولّى شأن مفاوضات جنيف مع ممثلي حكومة الأفغان الشيوعية.

وحبيب الحق وتسلّم منصب وزير المالية.

ومير هزار خان بحراني من أعضاء حزب الشعب البارزين سابقاً، ومن أعضاء الوزارة المُقالّة.

ومير أفضل خان، وهو أيضاً من أعضاء الوزارة المُقالّة، ومن قادة حزب الشعب سابقاً.

وكان تشكيل هذه الوزارة بعد لقاء طويل تمّ بينه وبين الشيخ حرदान شاه الذي كان مستشاراً دينياً لرئيس الوزراء السابق محمد خان جوينجو.

وفي الأول من ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (١٥ حزيران ١٩٨٨ م) عاد فألقى كلمة دافع فيها عما سبق أن التحلّه من إجراءات سابقة، ووعده بأن تغيير قريباً الأوضاع الاقتصادية في باكستان كما ستغيّر القوانين - إن شاء الله -.

وفي ١١ ذي القعدة أي بعد عشرة أيام من إلقاء كلمته الأخيرة ألقى كلمة جديدة تساءل فيها عما سيكون جوابه فيما إذا مثل يوم القيامة لم لم يحكم بالشريعة الإسلامية!!!

ويبدو كأنه أحسن بما يُدبر له، وشعر باللعبه الدولية ضدّه، وتوقع أن

أيامه قد اقتربت على الانتهاء، فرأى ضرورة التزامه بخطه الإسلامي دون التفكير بالخوف من أمريكا، ولا حاجة لطلب رضاها، والأمر يداها، والأجال، والأرزاق بيده سبحانه وتعالى، وأخذ يفكر بالانطلاق من هذا المبدأ، وقرّر إجراء استفتاء عام (١٩٩٠م) في الوقت الذي تنتهي فيه مدة رئاسته، إن بقي حياً، ليعرف ثقة الشعب وتجاوبه مع سياسته.

مقتل ضياء الحق:

أخذ ضياء الحق يقوم بأعماله السرية الثامنة من باب اتخاذ الأسباب، ويتوقع حدوث ضربة قاصمة في البلاد، وإن لم يُعَيّن مصدرها، غير أنه يتوقعها من أمريكا التي كان يعمل على مسايرتها، ويُظهر السير في فلنكها، وعلى منهجها.

وانتهت مهمة ضياء الحق عند أمريكا، فقد خرجت ووسيا من أفغانستان مكروهة، ولم يعد يصلح ضياء الحق عندها لحكم باكستان، إذ لم تعد تريد دعم المجاهدين الأفغان، ولم ترغب أن يصلوا إلى مرحلة أكثر من التي وصلوا إليها بل تريد أن يتراجعوا، وليس أمام الشيوعيين، وإنما أن ينجي الطرفان على الوضع الذي هما فيه، حتى يئأس الشعب، وينفض يده من كلا الطرفين، ويأتي نظام علماني ترضى عنه، كان يعود الملك السابق محمد ظاهر شاه.

وكانت أمريكا تعلم أن ضياء الحق حاكم باكستان كان يُجاملها، ويُظهر ما لا يُخسر، فهو يُعلن مؤازرته على السير في خطها ليحصل على السلاح، وقد حصل، بل وبدأ العمل لإنتاج قبلة قرية باكستانية، وهذا ما أثار الهند، ودولة اليهود في فلسطين، وكان يسايرها ليستمر حكمه، وقد تم ذلك، فقد حكم أكثر من أحد عشر عاماً.

ولكن أمريكا لا ترضى أن يستمر حكمه، لأنها لا ترغب في أن يستمر دعم المجاهدين الأفغان، وأن تستمر قوتهم. وكذلك فلا ترضى أن

تستغل، وتستغل نظام ما حاجتها إليه، ويتقوى، ويتسلح، ويعمل على إنتاج قبلة قرية، فمن الأساس لا تقبل أمريكا أن تملك باكستان مثل تلك القبلة، ولكن اقتضت الظروف أن تسكت عن هذا موقفاً ما دامت بحاجة مرحلية إلى هذا الوضع، أما وقد انتهت الحاجة، ووصلت أمريكا إلى هدفها، فلتنطج بالنظام وبفكرة القبلة أو بالأحرى نزول هذه الفكرة مع زوال النظام، ودفن صاحبه، وأخذت أمريكا تدبّر لإنهاء الوضع.

عرضت أمريكا على ضياء الحق شراء بعض الدبابات الأمريكية، وقد أحضرت بعضها إلى باكستان لرؤيتها ومعرفة مزاياها التعبوية، وتحلّد موعد لرؤية تلك المزايا على الطبيعة، وخرج ضياء الحق، ومعه رئيس لركان الجيش الباكستاني أعظم عبدالرحمن، وتسعة من كبار الضباط الذين يعتمد عليهم، والسفير الأمريكي في باكستان (أرنولد رابيل) والجنرال (هيربرت واسوم) الملقق الأمريكي لشؤون الدفاع والخير سلاح الصواريخ والمدفعية التي يستخدمها المجاهدون الأفغان. ولم يخطر ببال ضياء الحق أي سوء ما دام معه بعض المسؤولين الأمريكان، وكأنه نسي أنهم يُصَحّون بكل شيء في سبيل الوصول إلى أهدافهم المهمة. وكانت الرحلة في متهى السرية، وبعد رؤية المزايا التعبوية للدبابات المعروضة على الطبيعة انتقل الحضور إلى مطار (بهاوالبور) ليتقلوا منه إلى مطار (راولپندي)، وكانت الرحلة سرية أيضاً لا يعلم بها إلا أصحابها، واستقلوا طائرة في

(١) أرنولد رابيل: من ولاية نيويورك، ولد في مدينة (تروي) عام (١٩٤٣م) ١٣٦٢ هـ، وانخرط في السلك السياسي عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٦م). وقّين في إيران في مدينة أصفهان، ثم انتقل إلى مدينة طهران، وأصبح عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م) مساعداً خاصاً لوكيل وزارة الخارجية، وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥م) المسؤول السياسي في السفارة الأمريكية في إسلام آباد، ثم مساعداً خاصاً لوزير الخارجية، ثم النائب الأول لوزير الخارجية الأمريكية ويتشاند مورفي، وفي عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧م) سفيراً لأمريكا في إسلام آباد، وبعد حيزاً بشؤون العالم الإسلامي.

اتجاههم إلى مطار (داووليندي)، وما أن أقلعت الطائرة حتى سقطت محترقة بسبب انفجار قنبلة فيها، وتناثرت قطعها على الأرض، وقد قُتل جميع من فيها، ودُعيوا قتل محترقين لا يُعرف أحدهم من الآخر وذلك في ٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٨ م).

الانتهام:

دُعب المحلّلون السياسيون مذاهب شتى في الدوافع التي وراء عملية القتل هذه، ومن هذه الأقوال:

١ - " أن الروس والهنود والأفغان الشيوعيين وراء هذه الحادثة لحشد الروس وشيوعي الأفغان على ضياء الحق شخصياً إذ قُوّى المجاهدين الأفغان عليهم حتى أذلّهم. وأما الهند فلإضعاف باكستان وخوفها من أن تمتلك جارتها باكستان القنبلة الذرية، وأن تتحسن علاقتها مع أمريكا أكثر مما هي عليه. وأن يتسلّم المجاهدون الأفغان السلطة في بلادهم ويتظاهروا مع باكستان، وتقوم وحدة بين الطرفين تُهدّد الهند. هذا بالإضافة إلى بغض ضياء الحق شخصياً بسبب اتجاهه الإسلامي.

وذكر المعلقون أن المخابرات الباكستانية كانت مُحترقة من عدة جهات، فلم تُعن سرية الرحلة التي قام بها ضياء الحق. واختراق المخابرات الباكستانية يطبق على رأي أصحاب القول وعلى غيرهم.

٢ - إيران: كانت إيران على خلاف مع باكستان بسبب المفهوم الإسلامي (الإسلام أو الشيعة)، وكان الشيعة في باكستان يريدون أن يحملوا ضياء الحق على مسابرتهم، وتطبيق مفهومهم الخاص بالإسلام حسب المنهج الرافضي، والسير في ركاب السياسة الإيرانية، وجرت لقاءات وحوار...

وقُتل عارف حسين الحسيني (رئيس حركة تنفيذ الفقه الجعفري) في باكستان، وكان مقتله يوم ٢٢ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (٥ آب ١٩٨٨ م)،

واتهم أنصاره الحكومة بالعمل على قتله. فقامت إيران برّد الفعل وقتل من اتهمته بقتل أحد أعمالها الأساسيين في باكستان.

٣ - دولة اليهود: ويرى المحلّلون أن إقدام اليهود على هذا العمل رداً على مواقف باكستان الدائمة ضدّ دولتهم في فلسطين، واتخاذ مواقعها دائماً بجانب المسلمين، وخوفاً من القنبلة الذرية الباكستانية التي لن تكون لباكستان فقط، وإنما حسب اتجاه ضياء الحق للمسلمين جميعاً أي ضدّ دولة اليهود، فعملوا لإجهاض تلك القوة قبل تكاملها.

٤ - الباكستانيون: ومتهم العسكريون الذين يريدون السلطة، أو المدنيون من أصحاب الثار كحزب الشعب، أو أصحاب المصالح أو أصحاب مناهج مُبينة لمنهج ضياء الحق وخاصة الشيوعيين الذين قضّ مضجعهم دعم المجاهدين الأفغان، ومحاربة الحكم الشيوعي في كابل، وإذلال روسيا وإجبارها على الانسحاب من بلاد الأفغان. وقد حالت سلطات الأمن الباكستانية من وصول لجان التحقيق إلى مكان الحادث.

٥ - أمريكا: وهو الظنّ الراجح لما قد سبق ويَسّاه. ولكن أبعد التهمة عنها قليلاً وجود أمريكيين معه وهم ذو مكانة، ولكن نسي هؤلاء أن أمريكا لا تُبالي ببعض الضحايا مقابل تنفيذ مخطّط، بل ربما تتخذ من رجالها طمعاً لذلك، دون أن تُعلم.

وحسب الدستور الباكستاني يتسلّم منصب الرئاسة إذا مات أو قُتل رئيس البلاد فجأةً رئيس الجمعية الوطنية، وهكذا أصبح رئيس باكستان غلام إسحاق خان.

□ □ □

[٦ محرم ١٤٠٩ هـ - ... (١٨ آب ١٩٨٨ م - ...)].

تسلم غلام إسحاق خان السلطة في اليوم الثاني لمقتل ضياء الحق، فتشكل مجلس طوارئ، ضمّ كلاً من وزراء الداخلية، والدفاع، والمطابخية، والعدل، ووزراء أركان القوات البرية، والبحرية، والجوية، ومهمّة هذا المجلس حفظ النظام، والأمن، والإشراف على الانتخابات العامة التي ستجري في ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٨٨ م)، وهو المجلس الأعلى في البلاد.

وأعلن أن الانتخابات ستكون على أساس حزبي. وأما عن الشريعة الإسلامية فأبدى أن ما في الدستور من قوانين إنما هي موافقة للشريعة، وهذا يعني (لا حاجة للعمل على تطبيق الشريعة، فالأمر منتبه). وأما عن تأييد المجاهدين الأفغان، فقال: إنهم طلبوا الحماية، وقد وفّرت لهم، وأن اتفاقية جنيف قد تم توقيعها ونحن ملتزمون بتنفيذها، وسنحاول إقناع المجاهدين بقبولها.

(١) غلام إسحاق خان ولد عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م)، وهو من الإقليم الشمالي الغربي أي من قبائل الباتان، ولد عمل في بداية حياته جلياً للدخل، وبعد انتهائه من متابعة الدراسة تمّ محافظاً لمصرف باكستان المركزي.

كان موضع ثقة ذوالفقار علي بوتو، وتسلم في عهده وزارة المالية، ثم وزارة الدفاع، فلما آل الأمر إلى ضياء الحق مال إليه، وشغل منصب وزارة المالية مدة الاحتكام العرفية ١٣٩٧ - ١٤٠٥ هـ.

وفي عام ١٤٠٥ هـ انتخب نائباً عن الإقليم الشمالي الغربي، واختير رئيساً لمجلس الشيوخ، وكان مرشح ضياء الحق في هذا الاختيار.

التحق بحزب الرابطة الإسلامية عندما قوي أمرها أيام وزارة محمد خان جويونجو، ثم تركها ليلّة إقالتها عند حركة ضياء الحق البيضاء، كما تخلى من قبل عن حزب الشعب، وكان أحد أركان المحكم الثلاثة وهم: ضياء الحق القائد الأعلى للجيش، وغلاد جيلاني رئيس المخابرات العامة، وغلاد إسحاق خان رئيس جهاز الخدمة المدنية.

ومن هذه الأقوال تبين السياسة التي سببها، وأنها مخالفة كلياً للسياسة التي كان عليها ضياء الحق، كما نعت هذه الكلمات دلائل لسبب انتهاء نظام الحكم السابق، ومقتل ضياء الحق، والأبدي التي كانت وراءه. ولم يعلن عن نتائج التحقيق في مقتل ضياء الحق، ويبدو أن الأمر كان مُسوّى من قبل ومتفق عليه. وتمّ تعيين الجنرال مرزا إسلام بك^(٢) قائداً عاماً للجيش.

ما أن انتهت البلاد من آثار مصرع رئيسها ضياء الحق حتى أخذ النشاط الحزبي يظهر بشكل واضح، وخاصةً حزب الشعب الذي كان برئاسة نصرت بوتو زوجة ذوالفقار علي بوتو، وكانت ترى في السياسة الأمريكية الخداع والمكر والتخلف عن الأصدقاء وقت الضيق والشدة، أو أنها بالأحرى هي التي تتركهم لتجد آخرين تمتطيهم، وتغذ من ورائهم مخططاتها وأهدافها، فإذا زلت بهم قدم دفعتم إلى الخلف أو ألفت بهم في القمامات وتعهدت غيرهم، وقد ألفت بزوجها ذوالفقار علي بوتو، وتركته يدبّح أمام ناظري ساستها، وهم يرفضون على ساحات ضياء الحق، لذا كانت ضد السياسة الأمريكية، وهذا ما جعلها تبعد، وتعيش خارج البلاد في منأى عن الساحة السياسية الباكستانية أما ابنتها بنازير بوتو^(٣) فقد

(١) مرزا إسلام بك، ولد في دكا، ونشأ في قرية (أعظم قرية) في البنجاب، كان رئيساً لمجموعة الطلبة المسلمين ١٣٦٤ هـ - ١٣٦٦ هـ، وانضم للكلية العسكرية في (كافول) ١٣٦٨ هـ، ثم التحق بفوج بالورش بالجيش الباكستاني ١٣٧٢ هـ، ثم بحريق القوات الخاصة ١٣٧٧ - ١٣٨١ هـ. وعين رائداً في كويتا ١٣٨٣ - ١٣٨٦ هـ، وأصبح برتبة مقدم ١٣٨٩ هـ فعين رئيس كتيبة مشاة، وأصبح قائد فرقة في جبهة لاهور عام ١٣٩١ هـ، وقائد لواء ١٣٩٤ هـ، ورئيس فرقة مشاة ١٣٩٨ هـ، وقائد فيلق للجيش، ثم نائباً لرئيس الأركان عام ١٤٠٧ هـ.

(٢) بنازير بوتو: ولدت في كراتشي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م). وتلقّت دراستها باللغة الإنكليزية في مدرسة الفوائد في مدينة كراتشي، ثم التحقت بكلية (كليف) في الولايات المتحدة، وكانت رئيسة اتحاد الطلبة الباكستانيين في الجامعة، وبعدها انتقلت إلى جامعة (أكسفورد) في بريطانيا، وكانت الموفّحة للطالبة غير المستقيمة، =

تَبَت السياسة الأمريكية لذا أخذت تظهر، وتبرز، وتتحدث عنها وسائل الإعلام، وتُلَمَّع بشكل قوي. وخاصةً في الفترة التي وقعت في كراشي في شهر ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) والتي سبقت الانتخابات بقليل، وملخصها أن سلطات مكافحة المخدرات في (سوهراب جوت) عثرت على ثلاثمائة كيلوغرام هيروين، وستة آلاف كيلوغرام من الماريغوانا، وكميات من الحشيش والأفيون، وثمنها أكثر من نصف مليار دولار، وحدث بين المهاجرين وهم المسلمون الهنود الذين لجأوا من الهند إلى باكستان، ويتكلمون لغة الأردو، وبين الذين يتكلمون لغة الشتو قتال ذهب ضحيته مائة وثمانون شخصاً، وجرح ما يزيد على ستمائة شخص، والفسد من هذه الفترة أن الذين يتكلمون البشتو، وبعضهم من الأفغان قد اتهموا المهاجرين بأنهم كانوا السبب في إلقاء القبض على رجال العصاة، ومصادرة تلك الكميات من المخدرات، وقد استمرت الفترة عدة أيام حتى تمكنت السلطة من إخمادها ودخلت ما يزيد على خمسة وعشرين ألفاً من اللاجئين الأفغان عن كراشي، واتهموا أنهم كانوا يُزودون المجاهدين الأفغان بالأسلحة، والمهم أن نشؤه صورة المجاهدين.

حاولت بنازير بوتو استغلال هذه الفترة، فبدأت تُصدر التصريحات، وتهاجم قطاع الطرق، وتجار المخدرات، وتغمر من المجاهدين، ودعت إلى قيام المظاهرات لشجب أعمال اللصوصية وقطع الطرق وتقصيد المجاهدين، ولكن لم تجد تجاوباً معها من قبل الشعب.

وكانت مرافقةً لأبيها. سُجِّت بعد اعتقال أبيها، ونقلت إلى بريطانيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، ولما أُلغيت الأحكام العرفية عادت إلى باكستان عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م)، ورُحِبَ بها الكثير، واستقبلت الزوار، وتزوجت شاباً باكستانياً من منطقة السند. وكانت في الفصيلة الأمريكية في كراشي بعد ساعات من مقتل ضياء الحق. عارضها الجناح اليساري في حزب الشعب لأنها سارت في تلك السياسة الأمريكية، واستغلت النسب الشعبي تحفرت من أبناء هذه الطائفة.

أخذت بنازير بوتو تنشط بالدعاية، وتقررت من الشيعة بصفتها أحد بنات الطائفة، وأظهرت إيمانها بمعتقداتهم، وهي لا تؤمن بشيء، ونشط حزب الشعب بالدعاية أيضاً، وجاء موعد الانتخابات، وحصل الحزب على الأكثرية وكُلف رئيس الدولة غلام إسحاق خان بتشكيل الوزارة بنازير بوتو بصفتها زعيمة حزب الشعب الذي حصل على الأكثرية بالانتخابات.

وعزلت بنازير بوتو عندما استلمت الحكومة رئيس المخابرات الجنرال حميد غول، وعينت مكانه الجنرال شمس الرحمن كالو.

وفي يوم الاثنين ١٥ محرم ١٤١١ هـ (٦ آب ١٩٩٠ م) أقال الرئيس إسحاق خان حكومة بنازير بوتو، وعيّن غلام مصطفى جاتوي زعيم الائتلاف المعارض لحكم بنازير بوتو، وكانت الوزارة الجديدة حكومة مؤقتة، كما حلّ الرئيس الباكستاني الجمعية الوطنية، والجمعيات الإقليمية الأربعة، وحكام الأقاليم الأربع، بما فيهم حاكم البنجاب نواز شريف الخصم الرئيسي السياسي لبنازير بوتو.

وأعلن الرئيس الباكستاني عن إجراء انتخابات عامة جديدة في ٥ ربيع الثاني ١٤١١ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٩٠ م) وأعلنت فوراً كسل من نصرت بوتو، وابتها بنازير بوتو عن ترشيح نفسها للانتخابات، وكذلك (زردوي) زوج بنازير بوتو.

وصرّح الرئيس الباكستاني أنه اضطر إلى هذا الإجراء اضطراراً، حيث أن الحكومة أصبحت في نظره غير قادرة على الاضطلاع بأعباء الأمور وفقاً للدستور، وكان لا بدّ من الرجوع إلى اللائحة الانتخابية، واتهم الرئيس حكومة بنازير بوتو بالفساد، وانتهاك الدستور، ومحاباة أولي القربى.

وأنشئت محاكم خاصة، وتقرر أن تُحال أسرة بنازير بوتو وطائفة من

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة باكستان ثمانمائة ألف كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكانها على مائة وعشرة ملايين حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) وبذا تزيد الكثافة على مائة وسبعة وثلاثين إنساناً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة عالية نسبياً، وإن كانت تختلف بين منطقة وأخرى، فهي مرتفعة في مقاطعة البنجاب، ومتوسطة في السند، وقليلة في منطقة الحدود الشمالية الغربية، وضعيفة في بلوشستان. يبلغ طول حدود باكستان ٦٧٧٤ كيلومتر، منها مع أفغانستان ٢٤٣٠ كم، ومع الصين ٥٢٣ كم، ومع إيران ٩٠٩ كم ومع الهند ٢٩١٢ كم.

الصراع الإقليمي:

كانت البلاد وحدة، فلما جاء ذوالفقار علي بوتو إلى السلطة، أعاد إلى البلاد النظام الاتحادي، ووضع دستوراً جديداً وافقت عليه الجمعية الوطنية في ٨ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٣ م)، ونص هذا الدستور على قيام النظام الاتحادي، فأعلنت البلاد تتعرض لهزات، وتسير في طريق التفكك، وخاصة أن الجناح الشرقي من باكستان كان قد انفصل قبل أكثر من عام قليلاً.

تحرك أصحاب المصالح، والذين يريدون الزعامة، وأخذوا يشادون بالانفصال، كي يتزعموا ويسودوا في أقاليمهم، وقد عدت لهم أحزاب،

المقرين إليها إلى تلك المحاكم. وأعلن القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال «اسلم باغ» أن الجيش لا دخل له في السياسة، ولم يتو في وقت من الأوقات، ولم يزعم الاشتراك فيها أبداً.

والتهمت بتأثير بوتو الجيش والمخابرات السرية بأنهما لعبا دوراً في إنقاذ حكومتها، ووصفت الإجراء الذي اتخذ بحلقها أنه غير قانوني.

اعتوانها، وتضعف بذلك الأقاليم الأخرى التي تصح داخلية فتمد نفوذها إليها، وتتحكّم بالمنطقة كلها. ويعمل لهذا أيضاً كل أعداء الإسلام إلى تؤديّ التجزئة الباكستانية إلى إضعاف فكرة الرابطة الدينية.

ويوجد أيضاً الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالولي خان، ويدعو إلى استقلال قبائل الباتان في إقليم الحدود الشمالية الغربية.

ويحتج الانفصاليون جميعاً بسيطرة التجانيين على باكستان وصياح بقية الأقاليم، ويدلّون على قولهم بالقوات العسكرية التي يسمي أكثر أفرادها إلى التجاب. وينسبون أن فكرة قيام باكستان إنما كانت الرابطة الإسلامية، ودعوتهم إلى التجزئة والانفصال إنما هي محاربة لتلك الفكرة، وإماتة لها، ولكن أكثر أصحاب هذه الدعوة إنما هم من أصحاب مناهج أخرى معادية للإسلام، وهذا أساس دعوتهم، وقد يوجد بينهم قلة من المسلمين الملتزمين غير أن العصية العنصرية قد أعمتهم، أو أن الادعاءات ولزيم الشعارات قد أصمّت أذانهم عن سماع الحق. ويجب ألا ينس هؤلاء أن التجزئة هي إضعاف لكل إقليم، وجعله يطلب المساعدة والحماية، ويضطر للسير في فلك الأعداء، وهذا ما يخططون له.

الصراع العقيدي:

قلنا: إن عدد سكان باكستان قد وصل إلى مائة وعشرة ملايين عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م)، ويتوزعون حسب العقائد على الشكل الآتي:

وَشَكْلُونَ ٩٥.٠٠٠٪	١٠٤.٥٠٠.٠٠٠	١٠٣.٠٠٠.٠٠٠	المسلمون:
		١.٥٠٠.٠٠٠	السنة الشيعية

وأصبحوا رؤساء لها، أما إن كانت البلاد واحدة فلا دور لهم ولا شأن. وساعدتهم على ذلك أن لكل إقليم لغته الخاصة التي تسود فيه، وإن كان معظمهم يعرف لغة الأوردو، وهي التي تجمع بينهم. وكان يُحركهم، ويدفعهم، ويدعمهم أولئك الذين يحضون على باكستان، ويريدون تجزئتها، إما حقدًا وكرهاً، وإما لإضعافها ومدّ نفوذهم، كالهندوس، والروس، وكل أعداء الإسلام، وفي التجزئة والضعف، يمكن كسب فته من القنات. ويدعي هؤلاء المحبون للزعامة أن إقليمياً يُسيطر على باقي الأقاليم لكثرة أبنك وتمددهم، فالقطعات العسكرية أكثر أفرادها من التجانيين، ويعطون دليلاً لدعواتهم بانفصال الحناج الشرقي من باكستان، وتشكيل دولة بنغالدش. وينس هؤلاء أن أقاليمهم لو انفصلت لما استطاعت البقاء لفرها وضعفها، فهي تتطلب الحماية، وتستضر عند السير في فلك غيرها، وتتطلب المساعدة، وتستجر على أن تكون تابعة لغيرها.

قامت حركة تمرد في بالوشستان في عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) بزعامة حزب عوامي الوطني، وتهدف إلى فصل هذا الإقليم عن الأم، وكان الشيوعيون وزاء هذه الحركة تبعاً لمصالحهم، وقد حُظر هذا الحزب بعد انقلاب ضياء الحق، ثم رجع إلى نشاطه بعد مقتل الرئيس الباكستاني ضياء الحق، وقد حصل على ثلاثة مقاعد في الجمعية الوطنية التي تشكلت بعد ذلك. وكذلك ظهر الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة (غوث بخش بيزنجو)، ويعمل كالحزب السابق لفصل بالوشستان.

وقامت حركة في إقليم السند تدعو أيضاً إلى هذا الانفصال، وتعدّ أن بقية أقاليم باكستان تعيش على حساب السند، ولا شك أن وراء هذه الحركة كبار التجار، وطائفة الإسماعيلية ذات الإمكانيات التجارية، وأصحاب المصالح، والشيعية الذين يكترون في منطقة حيدرآباد السند، إذ يريدون الارتباط ببيزان، وكذلك المحوس الذين لهم الهدف نفسه، ومن وراء ذلك كله إنكلترا التي تريد أن تمكن نفوذها في السند عن طريق

الإسماعيليون: التزاريون المستعليون	١,٣٠٠,٠٠٠ ١,٠٠٠,٠٠٠ ٣٠٠,٠٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ١,٣٤٩٪
القاديانيون:	١٠٦,٧٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ١٠,٠٠١٪
الهندوس:	١,٧٠٠,٠٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ١٦,٦٠٠٪
النصارى:	١,٧٣٠,٠٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ١٦,٧٠٠٪
السيخ:	٢٥٢,٣٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ٢,٠٠٢٪
المجوس:	٦,٣٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ٠,٠٠٠
البوذيون:	٣٠١,٧٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ٣,٠٠٣٪
	١٠٩,٨٠٠,٠٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ١٠٠,٠٠٠٪

فالعناصر غير الإسلامية كلها تقف في وجه المسلمين وتعمل ضدّهم، وترتبط بجهاتٍ أجنبيّةٍ نتيجة العقيدة أو سعيها وراء المصلحة. فالهندوس يسرون وفق السياسة الهندية، ويتجهون حسب ما اتجهت، يُحاربون المسلمين عقيدةً، وحقداً، ويُحاربون باكستان عقيدةً وسياسةً، فهم دائماً في الصف المعادي للحركة الإسلامية، وفي الجهة المقابلة للسياسة الباكستانية، وما داموا فئة قليلةً فهم يقومون بعمل التخريب، وبثّ الإشاعات، ونقل المعلومات للهند، ويُعيون العملاء ضدّ الدولة، وأصحاب المصالح على الحركة الإسلامية، ويتفقون مع الفرق الأخرى ضدّ المسلمين، ويساعدون على نشر الفساد.

ويقوم السيخ والبوذيون بعمل مشابه للهندوس غير أنهم لا يُقَدِّمون السياسة الهندية، ولا يتغلون إليها المعلومات، وتعتمد الحدود البنجابية مع الهند أكثر أمكنة السيخ، بينما يتوزع البوذيون في المناطق القريبة من الهند في السند وبنجاب.

وأما القاديانيون والإسماعيليون فهم أموان السياسة الإنكليزية، وحيثما تجد لإنكلترا نفوذاً في أية جهةٍ من جهات العالم تجد دعماً لهاتين الفئتين إن وجدنا هناك. ويتجمع الإسماعيليون في كراشي، وللقاديانيين نفوذ منذ أيام الاستعمار الإنكليزي، وإن كانوا يتكاثرون في البنجاب أكثر من بقية المناطق.

وأما النصارى فهم مع الدول الأوربية الصليبية وخاصةً إنكلترا، عقيدةً، وفكراً، وارتباطاً، وسياسةً، وتوجهاً، حياتهم في باكستان، وقلوبهم وعقولهم في الدول الصليبية وكذلك وضعهم في كل بلدٍ يعيشون فيه أقليةً. والمجوس رغم أنهم أصحاب دينٍ بال، لا وجود له في أية بقعةٍ أخرى، ولا توجد دولة تدعي الإقرار به، إلا أنهم يتجهون نحو إيران بدافع العصبية العنصرية حتى إنهم يُسمّون البارسيين أي (الفرس).

والشيعية رغم أنهم يعتقدون إسلامهم لكنهم يفتنون أمام الحركات الإسلامية ويقومون بصراعٍ معها، ويكرهون علماء المسلمين والمليّمين بالإسلام، وإذا أرادت الحكومة أن تتوجه نحو الإسلام، أبدوا مخالفتهم، فهم لا يريدون الإسلام إلا حسب مفاهيمهم، وعقيدتهم التي يرونها في الأئمة والنبوة، وقناعتهم في الصحابة، ومحاربتهم لكبار صحابة رسول الله ﷺ، هذا من حيث العقيدة، أما من حيث السياسة فلا يرون أيّ توجهٍ صحيحٍ إلا إذا كان يُوافق هوى السياسة الإيرانية، وترويض عتة الحكومة الإيرانية، وهي لا تقبل إلا ما كان موافقاً للبدأ الشيعي، وترفض كل ما سواه. ومن هنا فالشيعية في صراعٍ مع المسلمين الذين يعتقدون أنفسهم منهم، وصراعٍ مع بقية الأقليات كالمسلمين.

وأما المسلمون لهم في صراعٍ فيما بينهم أيضاً، إذ منهم المؤمنون ومنهم غير ذلك، فالمؤمنون إما يعيشون ضمن حركاتٍ، وجماعاتٍ، وجماعاتٍ، وهم غالباً على شيءٍ من الوعي والالتزام. ويعملون لدينتهم، وإن كانوا يختلفون فيما بينهم، حسب الاجتهادات، وتفسير الأحداث،

وربما أحياناً تعصباً للتنظيمات، وفي محاولة النشاط وكسب الأنصار. وغير المؤمنين فقد يكونون أصحاب عواطف ولكن غير ملتزمين، ويغلب عليهم الجهل، فيلعب بهم أصحاب المصالح، والأطماع، والدعوة إلى العصبية، ومن هؤلاء تكسب الأحزاب العلمانية والملحدة كثيراً من عناصرها. ويكون من غير المؤمنين حملة الأفكار الملحفة، والمترقبون بالسياسات الخارجية، والمضربون الطين يرغبون بالتغلب من القيم، والتحلل من المبادئ. فيسرون حسب طريقة الكفار. ويقف هؤلاء في وجه التيار الإسلامي ويعملون على الحد من نشاطه بكل إمكاناتهم وطاقاتهم.

الصراع الحزبي:

رغم الخلاف الذي ذكرناه بين الأحزاب الباكستانية فقد انطقت فيما بينها، وشكلت جبهة معارضة ضد ذوالفقار علي بوتو، وحزبه وحزب الشعب الحاكم، وكانت هذه المعارضة يرئسها مفتي محمود رئيس جماعة علماء الإسلام. وكان أن تصدح حزب الشعب نتيجة قوة المعارضة.

وقام حزب عوامي الوطني بحركة تمرد في سبيل فصل إقليم بالوشستان عن باكستان، وقد فشلت هذه الحركة، وكانت بقية الأحزاب ضد هذه الحركة رغم أن هذا الحزب ضمن صفوف المعارضة.

ومع أن المعارضة كانت جبهة واحدة إلا أن الصراعات بين أحزابها لم تنته بل بقيت وإن كانت على نطاق أضيق نسبياً.

وحملت المعارضة اسم التحالف الوطني، وفشلت المفاوضات بينها وبين الحكم مثلاً في حزب الشعب، وقام الانقلاب، وجاء ضياء الحق.

حاول ضياء الحق مع التعاون مع التحالف الوطني، ولكن لم يسر خطوات طويلة، وحفظ حزب عوامي الوطني، والحزب الشيوعي الباكستاني، ولكن نشأ بينهما إذ تأسس الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالملوك خان، ورفع شعار استقلال قبائل «الباتان». كما ظهر

الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة غوث بخش بزنجور، ورفع شعار استقلال إقليم بالوشستان.

وحظرت الأحزاب كلها في رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) ولكن عاد فصح ضياء الحق لها المجال للاشتراك بالانتخابات، وممارسة النشاط الحزبي.

ولكن المعارضة رغم أنها تمثل قواعد عريضة إلا أنها ضعفت نتيجة السياسة التي اتبعها ضياء الحق، وهي سياسة ازدواجية، وأن الذين اعتمد عليهم لا يمثلون اتجاهات فكرية مثل محمد خان جوينجو الذي يعد من بقايا حزب الرابطة الإسلامية.

وبعد مقتل ضياء الحق عاد النشاط الحزبي قوياً، وجرت الانتخابات العامة، وظهر الصراع، وكانت نتائج الانتخابات كالآتي:

حزب الشعب الباكستاني الذي تنزعه بنازير بوتو	٩٣ مقعداً
ابنة ذوالفقار علي بوتو	٥٤ مقعداً
التحالف الديمقراطي الإسلامي	٨ مقاعد
جمعية علماء الإسلام	١٣ مقعداً
حركة مهاجر قوامي	٣ مقاعد
اتحاد عوامي الباكستاني	٢ مقعد
الحركة الوطنية البالوشية	١ مقعد
حزب الشعب الوطني	١ مقعد
الحزب الديمقراطي الباكستاني	١ مقعد
المستقلون	٢٧ مقعداً
اتحاد عوامي الباكستاني	٣ مقاعد
	٢٠٥

وكان قد توفي مفتي محمود رئيس جمعية علماء الإسلام، فخلفه ابنه فضل الرحمن، ولكن نالته آخرون ومنهم دار خوشي.

وكذلك برز الحافظ محمد يحيى - مكان الشيخ محمد عبدالله في
جماعة أهل الحديث.

وكانت المعارضة لحكومة بنازير بوتو برئاسة غلام مصطفى جاتوي
الذي كان من حزب الشعب الذي أسسه ذوالفقار علي بوتو، واستلم منصب
حاكم السند، ثم ترك الحزب بعد إعدام بوتو، واختلف مع ابنته بنازير التي
تولت زعامة الحزب، فأسس حزباً جديداً هو حزب الشعب الوطني. ولما
أقال الرئيس إسحاق خان حكومة بنازير بوتو كلف غلام مصطفى جاتوي
رئيساً للوزارة.

وجرت الانتخابات وفاز حزب الرابطة الإسلامية برئاسة نواز شريف،
وشكل الحكومة.

الباب الخامس

بنغالديش

سبق أن قلنا أن العصيان قد انفجر في باكستان الشرقية نتيجة إعلان تأجيل اجتماع المجلس النيابي في ٤ محرم ١٣٩١هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م)، واضطر الرئيس يحيى خان أن يسافر إلى الجناح الشرقي من باكستان، واعتقل مجيب الرحمن^(١) لأنه أعلن قيام دولة بنغالدش في ٢٩ محرم ١٣٩١هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م).

واستسلم الجيش الباكستاني في الجناح الشرقي للمهاجرين الهنود، وأعلن عن قيام دولة بنغالدش، وتسلم رئاستها نصر الإسلام، أما الحكومة فقد تسلمها تاج الدين أحمد، وعقد الجيش الباكستاني كله أسيراً، ووقع قائده الجنرال (تيازي) وثيقة الاستسلام.

أخرج مجيب الرحمن من السجن في باكستان الغربية، وأخذ ذوالفقار علي بوتو يفاوره لاتقسام السلطة معه، فلم ينجح، وفرضت على

(١) مجيب الرحمن: ولد في بلدة (تونجبارا) في البنغال، في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ (١٧ آذار ١٩٢٠ م)، ودرس وترى في مدارس الإرساليات التنصيرية، ثم التحق بجامعة كلكتا، ثم بجامعة دكا، وقد درس القانون، وقام بنشاط سياسي فأدخل السجن بعد طرده من الجامعة، وكان مؤيداً لقيام دولة باكستان، ولمحمد علي جناح، وتسلم أمانة سر حزب رابطته عوامي التي أخذ يدعو إلى استقلال باكستان الشرقية الذاتي، وانتخب عضواً في الهيئة النيابية الإقليمية عام ١٣٧٤هـ، وتسلم عدة مناصب وزارية في باكستان الشرقية، وعارض حكم أيوب خان العسكري، وألقي القبض عليه عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨ م) وأدخل السجن.

مجيب الرحمن الإقامة الجبرية، وقدم للمحاكمة بتهمة إثارة الحرب على باكستان.

اعترفت الهند بدولة بنغالديش في ١٨ شوال ١٣٩١ هـ (٦ كانون الأول ١٩٧١ م).

وأطلق سراح مجيب الرحمن في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٢ م) فسافر فوراً إلى لندن، وعقد هناك مؤتمراً صحفياً دعا فيه إلى الاعتراف بدولته، وأجرى محادثات مع رئيس وزراء بريطانيا، وأمضى يوماً واحداً في لندن، وانتقل إلى دلهي على متن طائرة هندية خصصت له، فاستقبل استقبال القاتحين وانتقل من دلهي إلى (دكا) قاعدة بنغالديش الدولة الجديدة في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ م)، وقرّر أن يتولّى رئاسة الوزارة بنفسه، وأن يترك رئاسة الجمهورية بيد أبي سعيد شودري الذي كان رئيس وفد بلاده إلى الأمم المتحدة.

قطع مجيب الرحمن كل علاقة ليلاده مع باكستان مجرد عودته إلى (دكا) في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ م)، وعرض عليه ذوالفقار علي بوتو التنازل له عن السلطة في سبيل المحافظة على وحدة باكستان، غير أنه أصرّ على الانفصال، ولم يقبل عنه بديلاً، فلم تعترف باكستان بدولته، ولا بنظام حكمه مدة ثلاث سنوات.

أصدر مجيب الرحمن دستوراً مؤقتاً ركّز سلطات الحكم فيه بيد رئيس الوزارة، وجعل من رئيس الجمهورية صورة، فكان منصب رئاسة الجمهورية مجرد منصب شرفي لا أكثر.

نصّ هذا الدستور المؤقت على إقامة جمعية تأسيسية مهمتها وضع دستور دائم، وتألّف هذه الجمعية من الأعضاء الذين تمّ انتخابهم في الانتخابات العامة التي جرت في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م).

تولّى مجيب الرحمن وزارات الدفاع، والدخالية، والإعلام، وشؤون مجلس الوزراء، وأصدرت الحكومة مباشرة قراراً بالاستيلاء على ٧٠٪ من

محالغ القطن الكبرى، والحبوت، وعلى مزارع الشاي، وعملت على إدارة كل شركات التصدير.

وفي ١١ صفر ١٣٩٢ هـ (٢٦ آذار ١٩٧٢ م) في الذكرى الأولى لإعلان استقلال بنغالديش أعلن مجيب الرحمن تأميم المصارف، ومصانع الحوت، والنسيج، والسكر، والجزء الأعظم من المصالح الوطنية. أما مزارع الشاي، وحقول النفط التي تستثمر برؤوس أموال أجنبية فلم تقرب منها الحكومة.

اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بدولة بنغالديش ونظام الحكم في ٢٠ صفر ١٣٩٢ هـ (٤ نيسان ١٩٧٢ م)، ولكن الصين لم تعترف.

تلقت بنغالديش مساعدة عاجلة من روسيا، وتلتها مساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية.

انضمت بنغالديش إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في صفر ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) بينما كانت باكستان قد انسحبت من تلك الرابطة في ذي القعدة ١٣٩١ هـ (كانون الثاني ١٩٧٢ م).

بعد وصول مجيب الرحمن إلى بنغالديش دعت زعامات حزب عوامي الوطني لجنة حزب رابطة عوامي إلى تشكيل حكومة وطنية ككل الجماعات التي ناضلت من أجل الانفصال، كما طالبت المعارضة قيام ائتلاف وطني، وإجراء انتخابات جديدة، غير أن رئيس حكومة بنغالديش الأولى شجاع الدين أحمد قد رفض ذلك، وأبى إلا أن تشكل الحكومة الجديدة من أعضاء حزب رابطة عوامي الذين تمّ انتخابهم في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م).

وفي صفر ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) قامت مظاهرات من المعارضة، وقدر عدد الذين اشتركوا فيها بخمسة وعشرين ألفاً، وخطب بالمظاهرين عبدالحميد بهاشاني رئيس حزب عوامي الوطني، ودعا في

خطبت إلى إعادة اللاجئين البنغاليين من الهند، والذين يُقدَّر عددهم بعشرة ملايين لاجئ.

حلَّ مجيب الرحمن المنظمات العسكرية غير الرسمية حيث أصدر لها قراراً بحلِّ نفسها، وتسليم أسلحتها للسلطات الحكومية، وتمَّ تنفيذ ذلك، ولكن بقيت في الشمال بعض المنظمات المسلحة، وتبع مجيب الرحمن حزب عوامي الوطني الموالي للصين.

جرت الانتخابات الأولى في صفر ١٣٩٣ هـ (أذار ١٩٧٣ م) وحصل حزب رابطة عوامي على ٧٣٪ من مجموع الأصوات، وكسب ٢٩٢ مقعداً من أصل ٣٠٥ مقاعد للجمعية التشريعية المنتخبة مباشرة، وتشكل المجلس النيابي الذي يعرف بـ (جانيفا سائغ ساد).

وبقيت مشكلات أساسية في بنغالدش، ومنها:

١ - لم تعترف باكستان ببنغالدش، وطالبت بإطلاق سراح الأسرى البانكشائين (الذين تمَّ احتجازهم، والجيش)، ولكن مجيب الرحمن، وأنديرا غاندي رفضا ذلك حتى يتمَّ اعتراف باكستان ببنغالدش.

٢ - مشكلة البيهاريين الذين كانوا في بنغالدش قبل الأزمة، حيث كانوا يعملون هناك، ويُقدَّر عددهم بمليونين إنسان، وقد ساعدوا البانكشائين، ودافعوا عنهم، ووقفوا في وجه المنظمات المسلحة البنغالية، وقد كان هناك من البنغاليين المشددين الذين يطالبون بإعدام البيهاريين جميعاً، بل وإعدام البانكشائين، وقادة الجيش، وكان للبيهاريين منظمة مسلحة تُدعى «الزرافة».

٣ - مشكلة البنغاليين الذين يعيشون في باكستان ويُقدَّر عددهم بنصف مليون.

وأخيراً اعترفت باكستان بدولة بنغالدش ونظام الحكم القائم في محرم ١٣٩٤ هـ (شباط ١٩٧٤ م).

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٩٣ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٤ م) انتخب مجيب الرحمن رئيساً للجمهورية، أو نصب نفسه.

١ - مجيب الرحمن:

بعد مجيب الرحمن الرئيس البنغالي الثالث بعد نصر الإسلام، وأبي سعد شودري اللذين كانا رئيسين صورة، أما الرئيس الفعلي الذي بيده السلطة فهو مجيب الرحمن.

أطلق مجيب الرحمن على نفسه لقب «البنجاباتدهو» أي أبو الأمة، واستند بالحكم، فحلَّ التنظيمات السياسية كلها سوى حزب رابطة عوامي، فكان الحزب الواحد، وهو الحاكم، وأوقف الحريات العامة، وكانت الأوضاع الاقتصادية سيئة في البلاد، ولم تكن الأحوال الاجتماعية بأفضل منها، إذ كان الجهل عاماً، والفقر منتشرًا، وتزايد السكان كثيرًا، هذا بالإضافة إلى الفساد الإداري، والأزمات الطبيعية التي تحلَّ بالبلاد، فتريد من سوء الأوضاع الداخلية، فالفيضانات التي تغمر الأراضي الزراعية، وتُهذِّم البيوت، وتُسبِّب الضحايا، وتعقبها سنوات عجاف، فتتأثر المزروعات، ويعيش الناس بضيق شديد، ويصرون، والأعاصير التي تحتاج البلاد، وتُسبِّب الدمار والموت. وإن الفيضان في صيف هذا العام ألقى إلى مجاعة عارمة، كما انتشر مرض الكوليرا، وضرب الاقتصاد الذي كان متأثراً مسبقاً بالحرب.

ولم يكن العسكريون ليرضون عن السياسة العامة التي جعلت بنغالدش تحت الوصاية الهندية، ولم يكن مجيب الرحمن في متابى عن أفكار العسكريين فإن له أعباءاً يتدسَّون في كل مكان، لذا فقد أخذ يحشاهم. كما كان يُهدِّد الاستقرار وجود مجموعات معارضة تلجأ إلى الإرهاب والذي شمل كلاً من تقيضي الأطراف السياسية. لذا فقد فرض حالة الطوارئ في ذي الحجة ١٣٩٤ هـ (كانون الأول ١٩٧٤ م)، وجنَّد الحقوق الدستورية، وفي مطلع عام ١٣٩٥ هـ (كانون الثاني ١٩٧٥ م)

استبدل الحكومة النيابية بصورة من الحكومة الرئاسية، وأصبح
 مجيب الرحمن رئيساً بيده السلطة كلها، وله الصلاحية المطلقة، وأنشأ ما
 يُسمى بحزب عوامي لمزارعي وعمال بنغالديش، وفي صفر ١٣٩٥ هـ
 (شباط ١٩٧٥ م) أصبحت بنغالديش تحكم بنظام الحزب الواحد. وغوفاً
 من المعسكرين فقد نظم لحمايت جيشاً سرّياً هو (واي باهتي) وسلّح ذلك
 الجيش الخفي ودرّبه.

وفي ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ م) قام انقلاب بقيادة الرائد
 «داليم» ضدّ مجيب الرحمن فأطاح به، وبنايه، ورئيس وزرائه، والنظام
 القائم كله، وبأسرته أيضاً، ونصّب وزير التجارة السابق حمدكار مشتاق
 أحمد رئيساً للدولة.

٢ - مشتاق أحمد:

٢٨ رجب ١٣٩٥ - ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ - ٣ تشرين
 الثاني ١٩٧٥ م).

كان مشتاق أحمد رجلاً متديناً، ضدّ الشيوعية، ويرى في النظام
 الغربي أخفّ الضررين، ولم يكن راضياً عن المساعدة الروسية التي قدّمت
 لبنغالديش عند انفصالها عن باكستان، ولا عن التدخل الهندي في شؤون
 بنغالديش، كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة التي
 شكّلت برئاسة تاج الدين أحمد، غير أن مجيب الرحمن قد فقد ثقته به، لذا
 أوكل إليه حقائب وزارة أقل أهمية حيث أسندت إليه وزارة العدل، ثم
 وزارة الري، وأخيراً وزارة التجارة.

فكان أول ما قام به تغيير الاسم الرسمي للدولة من «بنغالديش» إلى
 «جمهورية بنغالديش الإسلامية». وحاول الوصول إلى مفاوضات مع باكستان
 ليكون بينهما صلات وروابط متينة، وقبل الانفصال كان يسعى لمقاومة
 الانفصال والإبقاء على الصلة مع باكستان ضمن اتحاد غير أن

مجبب الرحمن كان صاحب الكلمة الأولى، ولا يستطيع أحد أن يتف
 أمامه.

وعمل على الابتعاد عن الهند بأسلوب مقبول. وقد آيدت الولايات
 المتحدة هذا الانقلاب رغم أنه لا يسير في فلكتها، ولكنه ابتعد عن روسيا
 التي لم تكن راضية عما حدث، وتشعر كأنه موجه ضد نفوذها وأعرانها، أما
 الصين فكانت ترى في هذا الانقلاب فشل لمحاولة روسيا في محاصرة
 الصين من جهة الجنوب عن طريق الهند، وبنغالديش، وفيتنام...

وعين ضياء الرحمن رئيساً للأركان، ولكن الجيش أصبح مُفككاً،
 فالقادة الكبار غير راضين عن الوضع لأن اللين دونهم من الضباط قد
 أصبحت السلطة بأيديهم، أما الشباب من أصحاب الرتب الصغيرة فهم وإن
 كثر عددهم إلا أنه لا خيرة لهم في السياسة، ولا علم لهم بالإدارة.

وفي ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) قام انقلاب
 مضاد قاده العميد خالد مشرف الذي أحضر من الهند، وكان قائداً سابقاً
 لحامية (دكا)، وبوالي الهند، وقد عُين رئيساً لهيئة الأركان.

٣ - خالد مشرف:

تولّى السلطة منذ أربعة أيام من ٢٩ شوال إلى ٤ ذي القعدة
 ١٣٩٥ هـ (٣ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) حيث قام انقلاب آخر، وأقصى
 خالد مشرف، واستولى على السلطة ثلاثة من رؤساء هيئة الأركان، وولوا
 عليهم رجلاً غير سياسي هو عبدالستار محمد صايم رئيس قضاة المحكمة
 العليا.

٤ - عبدالستار محمد صايم:

شكّلت حكومة حيادية لا تنتمي إلى أي حزب، وأعيد الفريق أول
 ضياء الرحمن رئيساً لهيئة أركان الجيش.

سُحح للأحزاب السياسية بالنشاط في شهر رجب ١٣٩٦ هـ (تموز

١٩٧٦ م)، وتمّ الوعد بعودة الحياة النيابية، ولكنه في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٦ م) أُجّلت الانتخابات إلى أجل غير مُستَمَر، وأُعيد الفريق أول ضياء الرحمن يستولي على سلطات الرئيس الإدارية من الرئيس عبدالستار محمد صابم تبعاً للأحكام العسكرية، وأخيراً استلم كامل السلطة، وأعلن نفسه رئيساً للبلاد في ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ (يوسان ١٩٧٧ م).

٥ - ضياء الرحمن:

منذ أن تسلّم السلطة عمل على إبعاد قادة انقلاب ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ م) عن البلاد، رغم أنهم هم الذين سلّموه رئاسة الأركان وأعطوه مكانة. أما قادة انقلاب ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) فقد عاملهم بوحشية شديدة إذ أعدم العقيد طاهر شفاً، وحكم على الآخرين بالسجن مدى الحياة، واختلف مع رئيس القضاة عبدالستار محمد صابم.

عدّل الدستور، وجعل الإسلام نظام الدولة الأساسي بدلاً من العلمانية في سبيل إرضاء الشعب، حيث يعرف أن ماضيه لم يكن طيباً.

وقام بإجراء استفتاء في جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) فأعطى ٩٩% من الشعب نفقته لضياء الرحمن، وسياسة، ونظامه، وهذا أمر طبيعي إذ هذه نتيجة لكل استفتاء، الذي هو لعبة سياسية لكسب الصفة الشرعية للحكم.

كان ضياء الرحمن أثناء انفصال بنغالديش عن باكستان رائداً في الجيش، وقام بتصرفات سيئة، حيث كان وراء ذبح الكثيرين من الضباط الباكستانيين، والمئات من الجنود مع عائلاتهم في (شيتا غونغ) ولا يزال المئات من الناس في السجون، وجريمتهم أنهم اتهموا بالتعاون مع الباكستانيين.

تضايق العسكريون من الأحكام التي فُرِضت بحق زملائهم، وهم الذين رفعوه، واستاءوا من تصرفاته إذ كان يدخل أعوانه في الجيش، ويرتب عسكرية دون أن يكون لهم حيازة أو أقل خبرة بالشؤون العسكرية.

أُعيد وضع الجيش بشدهور منذ مطلع عام ١٣٩٧ هـ (مطلع عام ١٩٧٧ م) إذ أُعيد ضياء الرحمن عهد تنظيم القوات المسلحة، ووضع أعوانه في المراكز الحساسة، بقيادة وحدة المدفعية في الفرقة التاسعة المتمركزة في (دكا) قد تغيّرت خلال عام واحد ست مرات مع أن قائد الفرقة التاسعة هذه الجنرال شوكت يُعدّ من أكثر العسكريين إخلاصاً لضياء الرحمن، وهو الذي وضع في يده كل شيء منذ شهر صفر من عام ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م).

التقى كبار الضباط على اختلاف أعوائهم بعضهم مع بعض، وطلبوا ضياء الرحمن بالتخلّي عن منصب رئاسة الأركان التي يشغلها، ويمارس مهامها بنفسه، فوافق، ووضع نور السلام أحمد في هذا المنصب بعد أن رَفاه إلى رتبة جنرال، وهو أحد أعوانه المخلصين.

ومما زاد في تلخّر العسكريين الذي بدأ واضحاً بعد ٢ شوال ١٣٩٧ هـ (١٥ أيلول ١٩٧٧ م) إثر توقيع اتفاقية سد (فراكا) مع الهند، ولم تكن هذه الاتفاقية في صالح بنغالديش، وهذا ما زاد من الشعور بالغضب، والثقمة على ضياء الرحمن من عسكريين ومدنيين، وتشكلت جبهة معارضة ضمت مختلف المشارب، وكانت أكبر مراكز قوتها في (دكا) و(سوفرا) و(جيسور).

رأى ضياء الرحمن تثبيت شعل المعارضة قبل كل شيء، ثم التفرّد بكل جهةٍ وحدها، وتصفية الحساب معها، فدسّ أعوانه بين المعارضة، وعمل على جرّهم إلى معركة قبل تركيز أمودهم، وتوحيد صفوفهم، وتعيين أهدافهم وعطفهم، فتجّح أعوانه، وقامت المعارضة بالاندفاع، ووجدت وصول طائرة يابانية مخطوطة إلى مطار (دكا) فرصة لها، وتحركت في

(جيسور) و(بوغرا) قبل الأوان فحسبت الحركة، وتمكنت منها القوات
المساندة لضياء الرحمن، فأعدم أحد عشر ضابطاً من كبار ضباط الطيران،
كما أمر بقتل الكثيرين من غير الطيارين، هذا رغم وصول قوات الحركة
الانفلاقية إلى (دكا)، وسيطرتهم على الإذاعة مدة ساعة كاملة، وقد زاد
عدد القتلى على خمسمائة قتيل، وفر من البلاد أكثر من ألفي عسكري.

وحظر النشاط على ثلاثة أحزاب، وهي: حزب الرابطة الديمقراطي
الموالي للرئيس السابق مشتاق أحمد وحزب بنغالديش الشيوعي، وحزب
(ج، س، د) الموالي للهند.

وفي شهر رجب ١٣٩٨ هـ (حزيران ١٩٧٨ م) جرت أول انتخابات
رئاسة مباشرة في البلاد، وقد أعطت فوزاً ظاهراً لضياء الرحمن. فشكّل
مجلس الوزراء ليحل مكان مجلس المستشارين الخاص به.

وفي ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (شباط ١٩٧٩ م) جرت الانتخابات
النهائية العامة، وفي محاولة من الرئيس ضياء الرحمن لإقناع وحشّ أحزاب
المعارضة للمشاركة بالانتخابات قام بنبذ بعض مطالبهم حيث ألغى كل
النود غير (الديمقراطية) من دستور (١٩٧٤ م)، وأطلق سراح المعتقلين
السياسيين، وسحب الحظر عن الصحافة، ونتيجة لذلك شارك تسعة
وعشرون حزباً في تلك الانتخابات، وحصل حزب بنغالديش الوطني، وهو
حزب ضياء الرحمن على ٤٩٪ من مجموع الأصوات، وفاز بمائتين وسبعة
مقاعد في المجلس النيابي من أصل ثلاثمائة مقعد وذلك بالانتخاب
المباشر. واجتمع المجلس في شهر جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (نيسان
١٩٧٩ م)، وتمّ تعيين رئيس مجلس وزراء جديد، وألغى قانون الأحكام
العرفية، ورفعت حالة الطوارئ، في شهر ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (تشرين
الثاني ١٩٧٩ م). وهكذا عادت الحرية إلى الحياة في بنغالديش بعد غياب
دام خمس سنوات.

الممثل الرئيس ضياء الرحمن في محاولة انقلاب عسكري يُعتقد أن

قائده الفريق محمد عبدالمنصور، وهو قائد وحدة عسكرية، وذلك في ٢٧
رجب ١٤٠١ هـ (٣٠ أيار ١٩٨١ م)، كما قُتل الفريق محمد عبدالمنصور
لاحقاً في ظروف مضطربة، وتولّى الرئاسة القاضي عبدالستار محمد صاهم،
نائب الرئيس ضياء الرحمن.

٦ - عبدالستار محمد صاهم:

عادت القوضى السياسية إلى البلاد، حيث أخذت المظاهرات تعمّ
المدن الكبرى احتجاجاً على إعدام الضباط الذين ساءموا في محاولة
الانقلاب، كما كانت المعارضة تطالب بتقديم موعد إجراء الانتخابات
الرئاسية.

جرت انتخابات الرئاسة في مطلع عام ١٤٠٢ هـ (تشرين الثاني
١٩٨١ م)، وقد فاز فيها فوزاً ظاهراً للرئيس عبدالستار محمد صاهم مرشح
حزب بنغالديش الوطني.

أعلن الرئيس عبدالستار أن سياسته تنمّ لسياسة الرئيس السابق
ضياء الرحمن، ولكنه وجد صعوبة بالغة في إمكانية السيطرة على الوضع
بالحكومة المدنية، لذلك شكّل في ربيع الأول ١٤٠٢ هـ (كانون الثاني
١٩٨٢ م) مجلساً وطنياً للأمن ضمّ عدداً من العسكريين برئاسة الفريق
حسين محمد إرشاد رئيس هيئة أركان الجيش. وفي ٢٩ جمادى الأولى
١٤٠٢ هـ (٢٤ آذار ١٩٨٢ م) استولى الفريق محمد إرشاد على السلطة
بانقلاب أبيض، مدعياً أن الفساد السياسي، وسوء الإدارة الاقتصادية قد
أصبح غير محتمل.

٧ - حسين محمد إرشاد:

أعلن الأحكام العرفية، ولقّب نفسه والرئيس الإداري لقانون الأحكام
العرفية، ثم غيّر هذا اللقب إلى رئيس الوزراء في ذي الحجة ١٤٠٢ هـ
(تشرين الأول ١٩٨٢ م)، وساعده بصفته رئيس مجلس عسكري. وعين
القاضي المتقاعد عبدالجواد حوري رئيساً.

منع النشاط الحزبي، وقدم عدداً من الوزراء السابقين إلى المحكمة، وأودعوا السجن بتهمة الفساد. وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة الاقتصادية قد لقيت بعض النجاح وكسبت قديراً من التأييد، إلا أنه زادت المطالبة بالعودة إلى الحرية والحياة النيابية، وظهرت على الساحة السياسية مجموعتان رئيسيتان:

١ - تحالف خمسة عشر حزباً برئاسة جناح من حزب وابطة عولمي بزعامة الشيخة حسينة واجد ابنة محب الرحمن.

٢ - تحالف سبعة أحزاب برئاسة جناح من الحزب الوطني البنغالي بزعامة الرئيس السابق عبدالستار محمد صاهم، ومخالفة ضياء أرملة ضياء الرحمن. وتوفي الرئيس عبدالستار في شهر صفر من عام ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) فبقيت الزعامة لخالدة ضياء.

وفي أواخر عام ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) شكّلت المجموعتان ائتلافاً عُرف باسم «الحركة نحو استعادة الديمقراطية»، وقد أصدرت هذه الحركة مطالبها التي منها:

- ١ - إلغاء الأحكام العرفية.
- ٢ - إطلاق سراح السجناء السياسيين.
- ٣ - إجراء الانتخابات النيابية.

وفي أوائل عام ١٤٠٤ هـ سُحِبَ بالنشاط الحزبي، ووعدت الحكومة بإجراء سلسلة من الانتخابات المحلية تسمر طيلة فصل الشتاء، وستكون هذه الانتخابات مقدمة لانتخابات الرئاسة، وانتخابات المجلس النيابي والتي ستم في العام نفسه.

وفي مطلع العام تأسس حزب الشعب ليسانده حسين محمد إرشاد في الوصول إلى الرئاسة، حيث سيكون مرشحه لهذا المنصب. وقد بنى الحزب سياسته على خطة مؤلفة من ثمانية عشر بنداً سبق للرئيس حسين

محمد إرشاد أن كشفها في وقت سابق، وتشمل تشجيع الاكتفاء الذاتي للزراعة، وعمومية الوظائف، واللامركزية في الإدارة، والدور المتواصل للغوات المسلحة في الحكومة.

قامت المظاهرات تُطالب بالعودة إلى الحكم المدني، فمُنِعَ النشاط السياسي مرة أخرى في الأول من ربيع الأول من عام ١٤٠٤ هـ (٥ كانون الأول ١٩٨٣ م) بعد مضي أسبوعين فقط على السماح به، وتمّ إلقاء القبض على القيادات الحزبية، وشمل ذلك مؤقتاً الشبيخة حسينة واجد، ومخالفة ضياء.

وفي ٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (١١ كانون الأول ١٩٨٣ م) أعلن حسين محمد إرشاد تنصيب نفسه رئيساً.

بقيت الأوضاع في البلاد غير مستقرة عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) إذ كانت الاضطرابات مستمرة، والمظاهرات السياسية تقوم بين المدة والأخرى، وهذا ما جعل انتخابات المجالس المحلية تتأجل بعد أن كان مقرراً لها أن تتم في جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (أذار ١٩٨٤ م) بسبب اعتراض أحزاب المعارضة لأنها ستم قبل انتخابات الرئاسة وانتخابات المجلس النيابي، وتدعي المعارضة أن الرئيس حسين محمد إرشاد يريد تثبيت قواعد سلطته.

وتأخّلت كذلك انتخابات الرئاسة والمجلس النيابي والتي كان مقرراً لها أن تقوم في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م) تأجلت إلى ١٥ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (٨ كانون الأول ١٩٨٤ م) بسبب مطالبة المعارضة الملحة على إلغاء الأحكام العرفية، وتشكيل حكومة انتقالية محايدة تُشرف على انتخابات حرة ونزيهة.

وفي مطلع عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) وافق الرئيس حسين محمد إرشاد على إجراء الانتخابات على ثلاث مراحل في شهري صفر وربيع الأول (تشرين الثاني وكانون الأول) فيما إذا كانت المعارضة توافق على الاشتراك في الانتخابات، فكان ردّ الفعل من قبل المعارضة القيام

بحملة تدعو إلى العصيان المدني، فما كان من الرئيس إلا أن أجل الانتخابات إلى وقت غير مُسمى.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) أعلن الرئيس أن الانتخابات ستجري في ١٦ رجب ١٤٠٥ هـ (٦ نيسان ١٩٨٥ م) على أن يسبق ذلك رفع الأحكام العرفية في بعض النواحي، وعلى أن يجري تطبيق الدستور بشكل كامل بعد الانتخابات. وتبع ذلك تشكيل حكومة جديدة ضمت كبار الضباط، فكانت عسكريةً بجميع أعضائها، ولم يدخلها أحد من أعضاء حزب الشعب الذي يُعدّ حزب الرئيس، وذلك استجابةً لمطالب المعارضة التي كانت تُطالب بقيام حكومةٍ محايدةٍ.

عادت المعارضة تُهدّد بمقاطعة الانتخابات لأنه يبدو على الرئيس أنه لا يريد أن يتخلّى عن السلطة لحكومةٍ محايدةٍ، لأن الحكومة العسكرية ليست حيادية وإنما هي تعمل بروح من الرئيس أكثر من حكومةٍ مدنيةٍ تُنظم زعماء حزب الشعب نفسه، ولهذا عاد حسين محمد إرشاد إلى حظر النشاط السياسي مرةً ثانيةً. وأُعتب ذلك بإجراء استفتاءٍ على الرئاسة فحصل على ٩٤٪ من مجموع الأصوات، وذلك في جنادةٍ الأخيرة من عام ١٤٠٥ هـ (أذار ١٩٨٥ م). وتبع ذلك في شهر شعبان (أيار) انتخابات للمجالس المحلية، في المناطق الريفية دون مشاركة أحزاب المعارضة فحصل على ٨٥٪ من مجموع رؤساء المجالس إذ كانوا من مؤيديه، وإن لم يكونوا من حزبه (حزب الشعب)، واجتمع مجلس الوزراء.

وفي مطلع عام ١٤٠٦ هـ (أيلول ١٩٨٥ م) نشأ اتحاد سياسي جديد، أطلق عليه «الجهة الوطنية» وقد ضمّ خمسة أحزاب هي: حزب الشعب، حزب الشعب المتحدة، ورابطة مسلمي بنغالديش، والجناح المنشق من حزب بنغالديش الوطني. وحزب «الفونوناتسوك». وتدعم هذه الجهة السياسة الحكومية.

لم يكن من السهل رفع الحظر السياسي قبل اجتماع منظمة جنوبي

آسيا للتعاون والمقرر أن يكون اجتماعها في مدينة (وكا) في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) حيث يخشى أن تقوم المعارضة بحظر حوادث الشعب.

وقبل منتصف عام ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) رفع الحظر عن النشاط السياسي، وبقي ذلك مدة عشرة أشهر، وبقيت خلالها الجهة الوطنية تُساند الحكومة. أما المعارضة فقد قامت بإضرابات، وتُظهِر مظاهرات طالبت فيها بإلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات الرئاسية والنيابية.

أعلن الرئيس حسين محمد إرشاد في أوائل شهر رجب ١٤٠٦ هـ (أذار ١٩٨٦ م) أن الانتخابات ستجري في النصف الثاني من شعبان ١٤٠٦ هـ (قبل نهاية نيسان ١٩٨٦ م) في ظلّ الأحكام العرفية، وإن كان بالواقع قد حُفّف كثيراً من تلك الأحكام إذ أُبعد قادة الجيش عن الوظائف المدنية، وألغى أكثر من مائة وخمسين محكمةً عسكريةً، ومكثباً للأحكام العرفية. وبهذه الوسيلة شارك مرشحون من ثمانية أحزاب من اتحاد رابطة عوامي، وشملت المشاركة الشيخة حسينة واجد نفسها، وحزب جاميت الإسلامي، وأحزاب أخرى صغيرة. وجررت الانتخابات في ٢٨ شعبان ١٤٠٦ هـ (٧ أيار ١٩٨٦ م) بعد أن تأجلت من ١٧ شعبان ١٤٠٦ هـ (٢٦ نيسان ١٩٨٦ م). ولكن اتحاد حزب بنغالديش الوطني بزعامة خالدة ضياء قاطع الانتخابات، ووصف سيرها بالفسخ، والتزوير، والعصف، والتهديد، وقد فاز حزب الشعب بـ ١٥٣ مقعداً من أصل ٣٠٠ مقعد بالانتخاب المباشر، إضافةً إلى ذلك فإن ٣٠ مقعداً مخصصة للنساء في الجمعية التشريعية قد أُخذت بالتعيين من حزب الشعب.

وفي شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) طالب تحالف رابطة عوامي مرةً ثانيةً بإلغاء قانون الأحكام العرفية، واستقالة الرئيس حسين محمد إرشاد، واستعادة النظام النيابي كاملاً، وتطبيق الدستور الذي ما زال معطلاً.

أخذ تحالف المعارضة ينتقد القانون العام، ويشن حملة على الحكومة في سبيل إسقاط النظام، ويطالب بحل المجلس النيابي، وفي سبيل إشغال خطة المعارضة، تشكلت وزارة جديدة شملت أربعة وزراء من حزب رابطة عوامي، وعين وزير العدل القاضي «نور الإسلام» نائباً للرئيس.

استمرت المعارضة في تنظيم الإضرابات والمظاهرات المعادية للحكومة، وتزايدت نقابات العمال ومجموعات من الطلاب، ويطلبون الحكومة بالاستقالة، ويطلبون الرئيس بتشكيل حكومة انتقالية محايدة للإشراف على انتخابات جديدة.

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) أقرّ المجلس النيابي تعديل قانون المجالس المحلية، حيث أصبح بإمكانية القوات المسلحة أن تشارك في أربعة وستين مجلساً شأنها في ذلك شأن الممثلين المنتخبين، وهذا ما أتى إلى زيادة حدة الإضرابات والمظاهرات، وأصبح بعضها يتسم بالعنف، وتدعي المعارضة أن مثل هذا القانون يجعل الجيش مشاركاً بالحكم بصورة مستمرة، مع أن قانون الأحكام العرفية منذ تسعة أشهر، ويهدف الرئيس من هذا المشروع تثبيت وضعه حيث يعتمد في حكمه على العسكريين. ولما زادت المعارضة اضطرت إلى سحب القانون بعد شهر من إقرار المجلس النيابي له، حيث أعاده إلى المجلس لإعادة النظر فيه. وتبع ذلك تعديل أساسي في الحكومة.

غير أن أضرار الفيضانات التي اجتاحت البلاد، ولم تعرف لها مثيلاً منذ أربعين سنة إذ نجم عنها خراب كبير للغاية فحجب ذلك الأحداث السياسية، وطمس عليها.

وفي ربيع الأول من عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) تجمعت قوى المعارضة، ونظمت احتجاجات، فقامت الحكومة بإلقاء القبض على الآلاف من الحزبيين النشيطين، وكان من بينهم الشيعة حسنة واجد، وخالدة ضياء، ولكن المظاهرات استمرت، ووقعت صدامات بين

وفي ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) أعلن الرئيس حسين محمد إرشاد أن قانون الأحكام العرفية سوف يُلغى ولكن بعد إجراء انتخابات الرئاسة. ومع أن أعضاء تحالف رابطة عوامي قد أقسموا اليمين القانونية كنواب في المجلس النيابي غير أنهم رفضوا حضور حفلة افتتاح المجلس. وفي أواخر شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ (أواخر تموز ١٩٨٦ م) عُقدت جلسات المجلس النيابي إلى أجل غير معلوم. وتشكلت وزارة جديدة مدنية برئاسة ميزاتور رحمن جواهرزي أمين السر العام السابق لحزب الشعب، وأدت الوزارة اليمين الدستورية.

وحي استطاع حسين محمد إرشاد ترشيح نفسه للرئاسة في الانتخابات التي ستجري في صفر من عام ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م) منح نفسه التقاعد من منصبه رئيس هيئة أركان الجيش في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٧ م) وعين الفريق أول م. عتيق الرحمن مكانه بينما احتفظ بمنصبه كرئيس إداري لقانون الأحكام العرفية وقائداً أعلى للقوات المسلحة.

وفي محرم ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) انضم إلى حزب الشعب، وانتخب رئيساً له، واختير مرشحاً للحزب لمنصب الرئاسة، وعند الانتخابات في ١١ صفر ١٤٠٧ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٨٦ م) فاز فوزاً ساحقاً على منافسه الأحد عشر حيث حصل على ٢٢ مليون صوت حسب النتائج الرسمية، ولكن قاطع هذه الانتخابات كل من حزب بنغالديش الوطني وحزب رابطة عوامي.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) دعا الرئيس حسين محمد إرشاد المجلس النيابي للانعقاد، الذي أقرّ تشريعات العفو العام، وأخذت تخفّ هيمته النظام العسكري الذي فرض على البلاد قبل أكثر من أربع سنوات، ثم ألغى قانون الأحكام العرفية، واستعاد دستور عام (١٩٧٢ م).

رجال الشرطة والمتظاهرين. وبعد ستة عشر يوماً من المظاهرات العنيفة فرض رئيس شرطة (دكا) حظراً على المظاهرات والمسيرات في العاصمة لمدة شهر كامل. وقد أدت هذه الأعمال إلى خلل اقتصادي.

وفي ٦ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٧ م) أعلن الرئيس البنغالي حسين محمد إرشاد حالة الطوارئ، وذلك خوفاً من إضراب عام كانت تنوي المعارضة القيام به، فتوقفت بذلك النشاطات السياسية كلها، وتجددت حالة الطوارئ مبدئياً بأربعة أشهر. ورغم ذلك فقد قامت بعض المظاهرات ووقعت بعض الإضرابات لإجبار الرئيس على الاستقالة.

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (الأول من كانون الأول ١٩٨٧ م) كان عدد الذين تم احتجاجهم نتيجة الإضرابات والمظاهرات ما يزيد على ستة آلاف مواطن، وقد أعلنت أحزاب المعارضة أن ممثلها في المجلس النيابي سوف يتخلون عن مقاعدهم النيابية. وقد استقال فعلاً اثنا عشر نائباً من المعارضة، وأبدى ثلاثة وسبعون من رابطة عوامي استعدادهم للاستقالة، فقام الرئيس البنغالي في ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٦ كانون الأول ١٩٨٧ م) بحل المجلس النيابي. وفي الوقت نفسه أطلق سراح الشيخة حسينة واجد، وخالدة ضياء ولكن فرض عليهما الإقامة الجبرية في المنزل لمدة أربعة أسابيع.

حاول الرئيس إجراء مفاوضات سلمية مع خالدة ضياء ومع الشيخة حسينة واجد لكنهما رفضتا ذلك، وأصرتا على المعارضة، والقيام بحملة مقاومة واسعة لإجباره على الاستقالة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م) أعلن الرئيس أن الانتخابات العامة للمجلس النيابي سوف تجري في ١١ رجب ١٤٠٨ هـ (٢٨ شباط ١٩٨٨ م)، ولكن زعماء الأحزاب الرئيسية للمعارضة أعلنوا مباشرة عزمهم على مقاطعة الانتخابات طالما بقي حسين محمد

إرشاد رئيساً للبلاد. ونتيجة لهذه المقاطعة فقد تأجل موعد إجراء الانتخابات العامة.

تشكل تحالف سياسي من ستة وسبعين حزباً سياسياً صغيراً، وتشكلوا مجموعة معارضة، في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م).

وتشكل تحالف معارض للحكومة، وكان هذا التحالف بزعماء أ. س. م. عبد الرب، وكان القصد من هذا التحالف المنافسة في الانتخابات العامة.

اتسمت انتخابات المجالس المحلية التي لم تشاطعها المعارضة بالعنف، واتصفت بالغش والتزوير الأمر الذي جعل المعارضة تنسج حملة بالمقاطعة، وقد نجحت في مساعيها، وكان معدل المشاركة الفعلي للناخبين أقل بكثير من تقديرات الحكومة التي قدرتها بـ ٥٠٪، وقد فاز حزب الشعب بأغلبية كبيرة من المقاعد.

وفي أواخر شعبان ١٤٠٨ هـ (أواخر آذار ١٩٨٨ م) تشكلت حكومة جديدة برئاسة «مودود أحمد» الذي كان يشغل نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتجارة في الحكومة السابقة. كما اضطر الرئيس إرشاد إلى إلغاء حالة الطوارئ في الشهر التالي (رمضان) نتيجة حملة المعارضة القوية.

وأقر المجلس النيابي تعديلات أساسية في الدستور وبالغالبية المطلقة في شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م)، وأصبح الإسلام دين الدولة.

وأخذ موقف المعارضة يشراج بعد عطفه عبد الأحمس من عام ١٤٠٨ هـ (٢٩ تموز ١٩٨٨ م) وذلك بسبب خلافات وقعت في الصقوف حيث فصل أمين السر العام لحزب بنغالديش الوطني أ. ك. م. عبيد الرحمن مع عدد من أعضاء الحزب البارزين، ونشأ جناح مناس داخل الحزب لخالدة ضياء.

وجاء موسم القيضانات، وكانت كازنة كبيرة، إذ اتضح أنها كانت من أعنف ما سجل في تاريخ المنطقة، وأعقب ذلك إعصار عنيف فحدثت

فيضانات لاحقة، وسبب الإعصار وفاة ثلاثة آلاف إنسان، قطعت تلك المصائب على الأحداث السياسية.

وعين حسين محمد إرشاد نائباً له مودود أحمد على حين تسلّم رئاسة الوزراء ظفر أحمد.

سارت بنغالديش على سياسة (عدم الانحياز) حسب الاصطلاح الشائع، وإن كانت دول هذه السياسة لا يوجد بينها غير متحاز، وإنما هو اسم أطلق، وتحت عنوانه لعبة سياسية.

وتحسنّت العلاقات مع دولة باكستان منذ عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) أي بعد أن اضطرت باكستان إلى الاعتراف بدولة بنغالديش، ونظام الحكم القائم فيها، وخاصةً أنه كان قد أطيح بنظام مجيب الرحمن، وقتل وأسرته، وكان هو عامل الانفصال، والذي شحن البنغاليين بشحنات إضافية من الحقد والكراهية ضدّ الباكستانيين، وعمل على التوتر النفسي بين سكان الإقليمين. وتمّ تبادل السفراء بين البلدين، وأعيدت التجارة، والبريد، والمواصلات السلكية واللاسلكية.

ولكن باكستان ورغم كل ما تمّ من تحسين العلاقات إلا أنها رفضت قبول ثلاثمائة ألف من البيهاريين المسلمين الذين وقفوا بجانب الباكستانيين أثناء حرب الانفصال عام (١٩٧٢ م)، والذين كانوا لا يزالون محتجزين في بنغالديش في معسكرات اللاجئين.

ورسمت الحدود بين بنغالديش وبورما عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ويبلغ طول هذه الحدود مائة وثلاثة وتسعين كيلومتراً، في أقصى الجنوب الشرقي من البلاد.

ولكن ما إن استقرت الأوضاع الخارجية في بنغالديش حتى أخذت تتوتر العلاقات مع الهند بسبب الإرهاب عبر الحدود، وخاصةً عبر مضائق (شيتا غونغ) والحدود بين الدولتين طويلة تزيد على ٤.٠٥٣ كيلومتر، فالهند تحيط

بنغالديش من كل ناحية باستثناء الساحل الذي يبلغ طوله ٥٨٠ كيلومتر، والحدود مع بورما وهي قصيرة، وقلنا أنها لا تتجاوز مائة وثلاثة وتسعين كيلومتر. وكذلك كان التوتر بين الدولتين بسبب الثوار البوذيين (شانتى باهتي)، والذين يقومون بحرب عصابات ضدّ شرطة البنغال ويعملون على الهرب إلى الهند بعد قيامهم بعمليات الإرهاب، وكذلك بسبب السدّ الذي أقامته الهند على نهر الغانج، فحرمت البنغال من كثير من مياه الري، كما تأثرت بذلك حركة النقل المائي في النهر، وخاصةً في سنوات الجفاف، كما حدث في صيف عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م).

وبنغالديش عضو في منظمة جنوبي آسيا للتعاون الإقليمي، وتضم سبعة دول، هي دول الغارة الهندية وتشمل: باكستان، بنغالديش، المالديف، سيرلانكا، الهند، نيبال، بوتان.

ويضم المجلس النيابي البنغالي ثلاثمائة عضو يتخبون انتخاباً، ويضاف إليهم ثلاثون امرأة يُعيّنون تعييناً، ومدّة المجلس خمس سنوات. واللغة الرسمية هي البنغالية وإن كانت الإنكليزية هي الشائعة والتي يتحدث بها الناس، ويتفاهم بعضهم مع بعض إن وجد بعض الذين لا يجيدون البنغالية.

الصراع الداخلي

تبلغ مساحة بنغلاديش ١٤٤ ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) ١١٤,٧٠٠,٠٠٠ شخص، وبهذا تقارب الكثافة السكانية شخص في الكيلو المتر المربع الواحد (٧٩٦ شخص) وهي من أكبر الكثافات في العالم. هذه الكثافة مع الفيضانات التي تتعرض لها البلاد في كل سنة تعطل فيها الأمطار الموسمية في وقت مبكر، وكثيراً ما تتكرر كل عدة سنوات، ومع المجاعات التي تتوالى على المنطقة في كل سنة تتأخر فيها الأمطار الموسمية عن موعددها، وغالباً ما تأتي كل عدة سنوات، أي إما فيضان، وإما مجاعة وقلما تكون سنوات عادية. ومع الأعاصير التي تفتاح البلاد، وتسبب الدمار والخراب، كما تكون عاملاً في الفيضان إذ تحول دون انصباب مياه الأنهار في البحر بشكل طبيعي، فيرتفع مستوى مياه الأنهار، والروافد، ويحدث الفيضان. ومع كثرة المساحات التي تغطيها مجاري الأنهار، ومياه الفيضان، والمستنقعات مما يقلل صيق المساحة الصالحة للزراعة، وفي الوقت نفسه يصعب إقامة المعامل، ولهذا كله ينتشر الفقر، ومع انتشار الفقر يعم الجهل، ومع سيادة الفقر والجهل، يكثر أصحاب المصالح، ويمكن اللعب بأفكار السكان، وتكثر الصراعات الداخلية. فكل موضوع يمكن أن يثير خلافاً، وكل رأي يمكن أن يجد له أرواناً، وتلتفت حوله جماعة، وتحمله وتعارض غيرها، وكل من يطرح فكرة يصح زعيماً، ويشكل حزباً، ويبدأ يسعى وراء

زعامة، ويركض وراء مصالحه، ومنها الرئاسة، ولذا نجد في بنغلاديش أحزاباً كثيرة لا نرى لها مثيلاً في بقية دول العالم، وإن كان بعضها لا يصلح مقبده إلى المائة.

الصراع الإقليمي:

منذ أن قامت باكستان في ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) بدأ الصراع بين شطريها، للاختلاف بطبيعة الأرض، وبكثافة السكان، وكثرة أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين، وبطبيعة نشاط السكان، واختلاف أصولهم، وتفاوت لغاتهم، وتباين رغباتهم بالتوجه إلى الالتحاق بحياة الجندية. وكان الأصل أن يبقى التماسك بين الشطرين ما دام هناك عدو مشترك، ويخصم يترصص على الحدود، ولم تنته بعد المشكلات مع الهند التي كانا وإياها ضمن دولة واحدة، ولم يزل فيها أكثر من اثنين وأربعين مليوناً من المسلمين، والدعماء لم تجف بعد، وقد أراقها الهندوس تعصباً وحقداً على المسلمين، والجراح لم تئسج بعد، والانفصال إنما تم على أساس عقيدتي، وجناحاً باكستان قاما على هذا الأساس، فالعقيدة تجمع بينهما وتوحد بل هي الرابط الصحيح بين الناس، والشيجة المثبتة بين الخلق.

طرحت فكرة اللغة في بداية الأمر، فاللغة السائدة في الجناح الشرقي من باكستان هي البنغالية، وهي فرع من السنسكريتية، ولكنها لغة محلية لا يكاد يعرفها إلا القليل خارج حدود منطقتها، وأما في الجناح الغربي فلكل إقليم لغته المحلية الخاصة به، فالبنجابية في البنجاب، والسندية في السند، والبالوشية في إقليم بالوشستان، والبشتو عند قبائل الباتان في إقليم الحدود الشمالية الغربية، غير أن لغة الأوردو تجمع بينهم، فمعظم السكان يعرفها في الجناح الغربي، وكذلك فإن أكثر أهالي الجناح الشرقي يجيد النطق بها، بل إنها معروفة في كثير من أرجاء دولة الهند. ولهذا رأى قادة باكستان أن تكون لغة (الأوردو) هي اللغة الرسمية، فهي لغة المسلمين في الغارة

الهندية، وقامت باكستان على أساس الإسلام فالأمر الطبيعي أن تكون لغة الأوردو هي اللغة الرسمية، ومن ناحية ثانية فإن وجود لغة واحدة في جناح البلاد يُعدّ عاملاً قوياً لترسيخ الوحدة بينهما، وعامل دعم لتوحيد الأفكار والمفاهيم، وتبادل الموظفين، وتكون لغة العسكريين الذين هم ضمن جيش واحد، غير أن العصية ذرت قرنها وأخذ سكان الجناح الشرقي يُطالبون أن تكون اللغة البنغالية اللغة الرسمية الثانية، واستغل هذا الموجع نظام الدين لمصلحته الخاصة ليعود حاكماً للبلاد بعد أن نزل إلى رئاسة الوزارة، ولقي تأييداً في البنغال، وأخيراً أُقيل أيضاً من رئاسة الوزارة. واستمرّ الصراع تحت شعار اللغة، حتى تمّ ما يريد البنغاليون.

وأثار البنغاليون فكرة سيطرة أهل البنجاب على الجيش فكان الجواب ليس هناك من مانع يحول دون انتساب البنغاليين إلى الكليات العسكرية، وكل من يتقدّم يؤخذ، ولكن لا يوجد من يتقدّم فهل نجبر الناس على الالتحاق بالجنديّة، وهذا شأن أقاليم أخرى فالبلوش، والبانان لا يرغبون بالجيش كثيراً، وأقل من ذلك قليلاً أهل السند، غير أن البنجابيين يفضلون العمل العسكري على غيره، فهل نحول بينهم وبين الجيش؟ ومن أين نأتي بالعسكريين إن حُلنا بين البنجابيين وما يريدون؟ وإنا نشجع سكان بقية الأقاليم للالتحاق بالكليات فلا نجد عندهم الرغبة، فما العمل؟. ولكن البنغاليين لا يريدون هذه المناقشة ولكن لا يريدون إثارة العصية، ويعملون على الصراع الإقليمي.

وأثار البنغاليون أيضاً موضوع المعامل، والموظفين، ونقل العاصمة و... وحتجهم دائماً أنهم الأكثر عدداً. واستمرّ هذا الموضوع حتى انتهى الصراع بين الإقليمين، وحدث الانفصال، وأصبح كل جناح دولة حاضرة، ولم يعد البنغاليون يدعون أن باكستان الغربية تستعمر الشرقية، ولكن بقوا ينسبون بعض التخلف والتأخر إلى الاستعمار الباكستاني، ويشيرون حقدًا ضدّ الباكستانيين، وتحمل لواءه الفئات العنصرية والأقليات الدينية.

الصراع العنصري:

يعود معظم سكان بنغالديش إلى أصل واحد تقريباً، لوهم جميعاً من أصول هندية على اختلاف أصولها التي لا تظهر والتي لا يبحث بها. ولكن نتيجة الخلاف العقيدني في الهند، وما جرى من أحداث أثناء التقسيم دخلت عناصر من إقليم إلى إقليم كما خرجت مجموعات أخرى من جزء إلى آخر، لقد انتقل من إقليم بيهار الذي يقع إلى الغرب من البنغال، وعلى نهر الغانج أعداد من المسلمين، بسبب الاضطهاد الهندوسي للمسلمين، والحقد الديني الموجود لدى أبناء هذه الطائفة البراهمية ضدّ المسلمين بادعاء أنهم دخلوا بلادهم، واحتلّوها، وحكموها، وقبلوا أعداداً من أبنائها فغدوا مسلمين فاتصلوا بذلك عن أبناء جلدتهم. وجاء المستعمرون الإنكليز فشحنا هذا الحقد بعصب، وأثاروا، وقرّبوا الهندوس، وأبعدوا المسلمين، وأوقدوا أوار الحرب بين الطرفين.

انتقل نتيجة ذلك أعداد من المسلمين البيهاريين بصفتهم قلة في إقليمهم وهاجروا إلى البنغال لأن المسلمين كثرة، وذلك كي يتخلّصوا من ذلك الاضطهاد الهندوسي، وجاء التقسيم، وأصبحت البنغال جزءاً من باكستان التي ضمت المسلمين فزادت هجرة البيهاريين حتى بلغ عددهم مليوني إنسان في البنغال.

فلما بدأت الأحداث الدامية في البنغال، وأخذت العناصر صاحبة المصلحة تدعو إلى تجزئة باكستان، وفصل الجناحين بعضهما عن بعض، رأى البيهاريون - بواقع القطرة - أن هذا العمل ليس في مصلحة المسلمين إذ فيه إضعاف لهم، ونشيت لشملهم، ولن يخدم هذا المخطط سوى الهندوس، ويرون بأنفسهم اندفاع الهندوس في البنغال وراهم، وإذا ضعف أمر المسلمين، وقوي الهندوس فمآذا يكون مصيرهم هم وأقصد البيهاريين؟ وإلى أين يذهبون وقد فارقوا بيهار مغالين لأهلها من الهندوس؟ كما لا يمكننا أن ننكر أثر الإيمان الذي يجعلهم يفتنون ضدّ هذا المخطط ما داموا

قد اقتنعوا أنه في غير صالح المسلمين، وأنه يهدف إلى الكيد لهم وإبادتهم، ومن هنا وقفوا بجانب الباكستانيين ليحولوا دون تنفيذ المخطط.

ولما نجح المخطط وتم الانفصال بدأ البنغاليون بتصفية حسابهم مع البيهاريين، فقتلوا من قتلوا، وأخرجوا من أخرجوا مع ارتكاب أشنع الجرائم بحقهم، ووضعوا بعضهم في معسكرات للاجئين، ويزيد عدد هؤلاء على المائة ألف، وذلك ليبادلوا به بعض أسراهم. وبعد أن اعترفت باكستان بالوضع في بنغالدش، حُرِّصَ عليها تسلُّم هؤلاء البيهاريين ما داموا قد كانوا بجانبهم، لكن باكستان رفضت ذلك.

شحن قادة البنغال الجدد سكان منطقتهم بالحقن والكراهية ضد البيهاريين بأن كانوا ضدَّهم، وقد جاءوا إلى بلدهم يناقسون أهلها على موارد رزقهم، وأنهم عملاء لقادة باكستان الذين هم أعداء للبنغال وقيل الناس - مع الأسف - لجهلهم هذا الدعايات وكان الصراع بين البنغاليين والبيهاريين، بل كثيراً ما كان بعض البنغاليين يطالبون بقتل البيهاريين وحتى الذين بين أيديهم من المحتجزين في معسكرات اللاجئين. هذا رغم أن البنغاليين والبيهاريين مسلمون، وهم إخوة، وكان يناقزل بعضهم بجانب بعض لانفصال المسلمين عن الهندوس. والأن قد طغت الدعايات، وتمكَّن الهندوس من بثِّ الشائعات بين المسلمين، واختراق صفوفهم، وإغراء جانبٍ وتحريضه ضد الآخرين حتى تمَّ لهم ما يريدون من إضعاف وتجزئة.

ولما كانت بنغالدش جزءاً من باكستان فلا شك أن فيها عدداً من الموقوفين، وآخر من المواطنين، إضافة إلى القطعات العسكرية. فلما تمَّ الانفصال بقوا فيها، فكانت تشنُّ عليهم حرباً لا هوادة فيها من الهندوس البنغاليين، ومن أصحاب المصالح، ومن شحَن حقداً من دعايات أولئك الذين يرغبون بالانفصال، بل إن بعضهم قد أخذ يطالب بقتل هؤلاء الباكستانيين جميعاً. وبقيت آثار تلك الدعايات إلى ما بعد صفاء الجو بين

الدولتين، واعتراف باكستان بنغالدش، ولا يزال بعضها قائماً بقلبه الهندوس.

الصراع العقدي:

تختلف نسبة المجموعات السكانية بعد مددٍ وأخرى، وذلك حسب اختلاف نسبة الولادات بين تلك المجموعات، والمسلمون أكثر هذه المجموعات تزايداً لكثرة الولادات عندهم، بينما نسبة المسلمين عند التقسيم ٨٠.٤ نجد أنها اليوم ٨٦.٦٪.

وأما المجموعة الثانية فهي الهندوس، ويشكِّلون ١٢.١٪ بينما كانت نسبتهم عند التقسيم ١٨.٤٪، وبقي السكان فهم من البوذيين والتصارى، وتبلغ نسبتها معاً ١.٣٪. وبذا يتوزع السكان على الشكل الآتي:

المسلمون	٩٩.٣٣٠.٢٠٠	ويشكلون	٨٦.٦٪
الهندوس	١٣.٨٧٨.٧٠٠	ويشكلون	١٢.١٪
البوذيين	٧٩١.١٠٠	ويشكلون	٠.٧٪
التصارى	٧٠٠.٠٠٠	ويشكلون	٠.٦٪
	١١٤.٧٠٠.٠٠٠		١٠٠.٠٪

أما المسلمون فلا يحسُّون بأي عصبية، ولا يُفكِّرون بالصراع مع أية مجموعةٍ أخرى ما داموا هم الأكثرية، وربما كان الأمر على العكس إذ يحاولون إظهار التقرب من بقية الفئات لتوحيد الجهود باسم العصبية الوطنية، وكما لا يتهموا بالعصبية، ويقودهم إلى هذا الزعماء من أصحاب المصالح، والعصبيات الوطنية، الذين يريدون أن يكسوا المجموعات من غير المسلمين إلى جانبهم، ولا شك ليعندهم عن الإسلام إما فاعاً، وإما

خوفاً على مصالحهم وشهواتهم التي يحول الإسلام بينهم وبين ممارستها. ولا شك أن هناك مجموعات إسلامية واحة لإسلامها، عارفة به، مدركة لواقعها، تنظر إلى هؤلاء بعين الشفقة، وتريد لهم الخير، وتسمى لهم السعادة. لذا فهي تعمل على دعوتهم إلى الإسلام، ومن ناحية تفت في وجههم لأنهم على ارتباط بدول أخرى تُعادي الإسلام، وتضمر لأهله السوء، وتعمل على الإضرار بالدولة في سبيل ابتلاعها. وهذه الجماعات الإسلامية تفت من هؤلاء كما تفت من الذين يتحولون إلى الإسلام انتماء، ويعملون على شاكلة أولئك، فموقفها إذن ليس موقف العصية، وإنما موقف الخير والدفاع عن البلاد.

أما الهندوس فقد كانوا يحقدون على المسلمين منذ أن كانت الهند دولةً واحدةً، وقد كانوا هم الأكثرية، وأصحاب السلطة، فلما تم التقسيم، وأصبحوا أقليةً وسط مجتمع إسلامي في بنغالديش زاد حقدهم على الإسلام، وقوا على ارتباط مع أبناء عقيدتهم في الهند. ولما كانوا أقليةً فقد زاد تماسكهم بعضهم مع بعض، وغدا قوة يُرهب جانبها. فهم من ناحية اجتماعية يُشكّلون مجموعةً خاصةً منعزلةً حاقدةً، ومن ناحية دولية فهم غونة، أعداء لبلادهم لأنهم على صلةً بدولةٍ أجنبية تعمل على هدم دولتهم، وتخطط لإزالتها، ولما كانوا أقليةً كبيرةً، وشبه منظمةً لذا كان الزعماء من أصحاب المصالح يسعون جاهدين لكسبهم إلى صفهم، والإفادة من قوتهم، وقد لعبوا دوراً كبيراً في حرب الانفصال التي أدت إلى تقسيم باكستان إلى شطرين، وخدموا مصالح الهند في ذلك خدمات جلّى. ولا يزالون على صلة بالهند، وإذا ما توترت العلاقات بين بنغالديش والهند برزوا، وإذا ما فترت أو توترت أخلوا رؤوسهم وعملوا في الظل. ويعتدون أنفسهم أعداء للحركات الإسلامية، ويعملون على الوشاية بأفرادها، والتحرّيش عليها، ومحاولة ضربها، كما أنهم ضدّ كل مسلم ملتزم، ويظهرون له العداوة، ويكيدون له، ويعتدون أنفسهم في صراع مع المسلمين، ولصراع عنيف مستقبلاً.

وأما البوذيون فشأنهم شأن الهندوس في حقدهم على الإسلام وكرههم للمسلمين، ولكنهم أقل عدداً، وأضعف هبةً، وصلتهم بالهند قليلة الأهمية لأنها تتعصب للهندوس، ولكن صلتهم قوية مع دولة «بونان» التي تقع إلى الشمال من بنغالديش، ولا يفصل بينهما سوى أراضي هندية ضيقة المسافة، حيث لا يزيد عرضها على خمسة وعشرين كيلومتراً، و«بونان» دولة بوذية، ومن هنا كانت الصلة قائمةً بين هذه الدولة وبين البوذيين في بنغالديش، غير أن هذه الدولة قليلة الأهمية، ضعيفة الإمكانيات، صغيرة المساحة، ضئيلة السكان، حيث تقع في سفوح جبال هيمالايا إذ لا تزيد مساحتها على ٤١,٢٨٠ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على المليون، يعيش بينهم ٥٪ من المسلمين. ومن هنا كانت إمكانية البوذيين في بنغالديش على دخول ساحة الصراع قليلة، ويعملون على معاداة المسلمين ومحاولة تفتيت دولة بحرب عصابات في الداخل ضد الشرطة البنغالية، كما يقومون بشنّ غارات سرية على الحدود الهندية كي تقع الحرب بين الدولتين، وتحتاج الهند منطقة البنغال، وعندما يكون البوذيون قد حققوا بعض أهدافهم إذ نالوا من المسلمين، وأصبحوا على مقربة من دولة بونان البوذية وعلى تماسٍ مباشرٍ معها، يمكنهم التسلل إليها، وتلقي بعض الدعم منها رغم فقرها.

وأما التنصاري فعددهم قليل يصعب عليهم دخول ساحة الصراع، ولكن كان لهم شأنهم أيام الحكم الإنكليزي بل إن وجودهم في الهند أصلاً مرتبط بالاستعمار إما أنهم قد جاءوا معه أو أخذوا عقيدته تحت تأثيره، فلما ارتحل قلّ وزنهم. ولكن بقيت الإرساليات التنصيرية تقوم بدورها، وكان المستعمرون الصليبيون قد فتحوا لها الأبواب، وفسحوا لها المجال، وأمدوها بالإمكانات كلها، فلما انسحب الصليبيون بقيت هي تؤتي دورها، وظهر فقر البنغاليين واضحاً بعد انقسام الهند إذ الحُصروا في منطقتهم، وإن بقيت الحالة مقبولةً تسيياً، فلما تجرأت باكستان بدأ الفرّح جلياً، وهدت حاجة السكان ملحةً، وخاصةً بعد حرب الانفصال التي أفلت كاهل

الشعب، وجاءت إثرها الأعاصير والدمار، والفيضانات والخراب، وظهرت الحاجة إلى المساعدات فتداعت الإرساليات التصيرية إلى التوجه إلى بنغالديش إذ صار المجال عصبياً، فلو ربما يفسطر الناس لقبول التصيرية نتيجة الحاجة.

أخذ رجال الإرساليات التصيرية يتوافدون على البلاد بل وتساوها لأن لكل دوره، ويتخذ وسيلة، ومعهم الإمكانيات الضخمة التي تزيد على المطلوب، ولم يكن مجيئهم من جانب إنساني فهذا أمر لا يعرفونه رغم أنهم يحملون شعاره، فما حدث أن ساعدوا أحداً على مدى تاريخ عملهم من غير عقيدتهم إلا إذا قبل التصيرية أو أظهر ميلاً نحوها. وبدأ عملهم، وأخذوا يثقلون الجهد، ويؤسسون المشافي، وينشئون المدارس، ويفتحون أبوابها لأبناء عقيدتهم، ويقبلون فيها من يأتي إليهم في سبيل نوجيهم، وتلقيتهم المبادئ التصيرية، ويشيرون الشبهات حول الإسلام، ويظعنون فيه، وهذا كله أمام الصغار الذين لا يعرفون شيئاً بعد، وإنما يُثقلون ما يُعطى بالنسبة إلى المدارس، وأمام الفقراء الذين يدفعون عن أنفسهم الموت أمام العرض الهاجم - حسب تصورهم الساذج - وليس لديهم من مال يقدمونه للمستشفيات المشبعة بالنسبة إلى المشافي، وهؤلاء الصغار الفقراء، وأولئك المساكين الجهلة لا يعرفون شيئاً ومع ذلك إن لم يجد المشرفون على المدارس والمشافي تجاوباً وميلاً نحو التصيرية من الذين قبلوا فيها يطردون مباشرة. وكذا يكون تقديم المساعدات، ونتيجة الجهل والفسر، واليعد عن الإسلام، ومتاجرة أصحاب المصالح فليس هناك من يقف في وجه الإرساليات التصيرية سوى الحركات الإسلامية، وأهل العلم الذين يضطرون إلى تنبيه الشعب والعمل على نشر الوعي بين السكان، وهذا ما يُعرضهم للإشاعات التي يبتها رجال الإرساليات التصيرية، والاتهامات التي يُلغونها، والأراجيف التي يُروجونها، إضافة إلى الحرب التي يجنونها من الدول الكبرى، ومن أعوانها المتسلطين على البلاد. وهذا بين الحركات الإسلامية وبين نأدية دورها وبين الدعوة وأداء مهمتهم في

التوعية وإنقاذ الناس من برائن تلك الجماعات. فالصراع بين التصاري المتمثلين بالإرساليات التصيرية بإمكاناتها الضخمة رغم قلة التصاري وبين الحركات الإسلامية والدعاة من أهل العلم مع مكائهم، ومع إبلامية الشعب.

الصراع الحزبي:

برز حزب رابطة عوامي عندما ظهرت دولة بنغالديش، وآلت إليه السلطة، فاستبد بالحكم، وأخذ يضرب خصومه، ولم بلغ النشاط الحزبي في البلاد، وإنما أبقاه ليعرف خصومه، وقادتهم، ولكن وجه غمزه الأولى على الجماعة الإسلامية بصفتها أنشط الحركات الإسلامية، ولخصومه وعداوته هو وحزبه للإسلام.

ظهرت المعارضة من رفاق الحزب السابقين الذين يتفقون معه بالنهج الشيوعي، وقاد هذه المعارضة عبدالحميد خان بها شالي الشيوعي العوالي للذين وزعيم حزب عوامي الوطني، فطالب الحكم بتشكيل ائتلاف وطني يضم أصحاب الفكر الماركسي، وقيام حكومة وطنية تشمل أحزاب الائتلاف، وإجراء انتخابات جديدة غير أن مجيب الرحمن رفض كلياً، وأصر على أن الحكومة يجب أن تلتصق بأعضاء حزب رابطة عوامي الذين تم انتخابهم في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م). فقامت المعارضة بمظاهرات قادها عبدالحميد خان بها شالي. وعندما أخذ مجيب الرحمن يصفي رفاقه.

قام الانقلاب على حزب رابطة عوامي، ولم تعلم أمريكا بالانقلاب، وعمل قادته على الابتعاد عن روسيا والهند. وتشكل حزب الرابطة الديمقراطية لبوالي الحكم القائم والرئيس مشتاق أحمد.

قام انقلاب ليدعم الموالاة للهند، ولكن لم يلبث سوى أربعة أيام، حيث قام انقلاب مضاد، وسمح للأحزاب بالنشاط، ولم يلبث أن استبد ضياء الرحمن بالسلطة. وشكل حزب بنغالديش الوطني ليدعمه بالحكم، وكان كلما اشتدت عليه المعارضة حطر النشاط الحزبي، فإذا شعر بضعف المعارضة سمح للأحزاب بمزاولة نشاطها. وكانت المعارضة تشمل في

حزب الرابطة الديمقراطية، وحزب بنغالديش الشيوعي، والحزب الموالي للهند.

اطيح بحكم ضياء الرحمن وقتل، فتولت زعامة حزب بنغالديش الوطني أرملة خالدة ضياء بعد وفاة الرئيس عبدالستار محمد صايم. واستبد حسين محمد إرشاد بالحكم، وأخذت المعارضة تقوى، وتمثلت في:

أ - تحالف ضم خمسة عشر حزباً برئاسة جناح من حزب رابطة عوامي بزعامة حسنة واجد ابنة مجيب الرحمن.

ب - تحالف ضم سبعة أحزاب برئاسة جناح من حزب بنغالديش الوطني بزعامة خالدة ضياء أرملة ضياء الرحمن.

ثم شكّل التحالفان جبهة مؤتلفة واحدة للمعارضة عُرفت باسم: «الحركة نحو استعادة الديمقراطية». أما الرئيس حسين محمد إرشاد فقد أسس حزب الشعب ليسانده بالحكم، وكان الصراع عنيفاً بين الطرفين. وازدادت المعارضة حتى شملت الأحزاب الصغيرة، والتنظيمات الاجتماعية، والثقافية وبلغ عدد التنظيمات المشاركة بالمعارضة ستة وسبعين تنظيمًا.

وبالمقابل فقد شكّل الرئيس حسين محمد إرشاد تحالفًا ضم خمسة أحزاب وهي: حزب الشعب، حزب الشعب المتحد، رابطة مسلمي بنغالديش، والجناح المنشق من حزب بنغالديش الوطني برئاسة عبيد الرحمن، وحزب «الفونونانترك»، وعرف هذا التحالف باسم «الجبهة الوطنية»، وكانت هذه الجبهة تساند الحكم.

وكانت المعارضة تقوم بمظاهرات، وتتقدم بمطالب، وأما الحكومة فتتخذ وسائل حظر النشاط على الأحزاب، أو تراوغ بتفديد بعض المطالب، أو تعد الوعود، ولا تنجز الموعد.

وكانت هناك أحزاب أخرى تلعب دوراً في السياسة العامة مثل: الحزب الاشتراكي الوطني (ساماجتانتريك)، وحزب بنغالديش الشيوعي، وحزب (ج، س، د) الموالي للهند.

وأما التنظيمات الإسلامية فأهمها: الجماعة الإسلامية التي تزاول نشاطها تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية البنغالية، وتصدر الجماعة جريدة يومية تحمل اسم «الجهاد» ومجلة أسبوعية، وأخرى شهيرة تحمل الاسم نفسه، وتشرّف كذلك على المركز الإسلامي الذي تلقى فيه محاضرات، وتدار فيه المناقشات.

وهناك المؤسسة الإسلامية، وأهل الحديث، وجماعة التبليغ..

وبدأت الإرساليات التنصيرية تلعب دوراً كبيراً نتيجة الجهل، والفسر، ونتيجة الإمكانيات الضخمة التي تملكها الإرساليات، والدعم الكبير الذي تلقاه من الدول الكبرى، فتكون عوناً صليبيّاً استعمارياً لتلك الدول، وحرية لها لضرب الإسلام، ومحاولة تنصير أبنائه، أو إفسادهم على الأقل.

مجموعه من الدول التي تتكلم
لغة اللغة العربية

الباي بالباس

جُمْهُورِيَّة المَالْدِيْف

www.alkottob.com

لمحة عن تاريخ المالديف قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى جزر المالديف عن طريق التجارة وذلك حوالي عام ١٨٩ هـ، وانطلق الدعوة إليها حتى عمّ فيها، وفي عام ٥٤٨ هـ أسلم السلطان، واعتنق السكان كافة الديانة الإسلامية.

وجاء الاستعمار الصليبي فعرّف البرتغاليون جزر المالديف عام ٩١٣ هـ، وأغاروا عليها عام ٩٦١ هـ، وبعد أن احتلّوها اتخلّوا منها قاعدةً، وربطوها بمستعمرة «شوا» في غربي الهند.

زال الاستعمار الصليبي البرتغالي عن المالديف عام ٩٨١ هـ، كما زال عن كثيرٍ من المناطق التي سيطر عليها بسب قلة عدد البرتغاليين مع سعة القلاع التي استعمروها، وللسياسة التي اتبعتها دولتهم في امتصاص دماء الشعوب التي سيطروا عليها، ولأنهم كانوا يكتفون باحتلال مراكز لهم على السواحل لتأمين سيطرتهم وضمان أخذ خيرات البلاد، وأخيراً زالت دولتهم باحتلال إسبانيا لأرضهم مما قضى على امبراطوريتهم التي أسسوها. كما أن ظهور مستعمرين صليبيين آخرين منافسين لهم كان له دور كبير في زوال سلطانهم، واندحارهم أمام المنافسة. وفي هذه المدة من الحكم البرتغالي كانت الجزر تدفع قسريةً سنويةً إلى مستعمرة «شوا».

وسيطر الهولنديون في القرن الحادي عشر الهجري (١٠٦٩ هـ) على جزيرة سيلان، وحلّوا محل البرتغاليين، ففقدوا معاهدة مع سلطان

المالديف، وصارت الضريبة تدفع لحكام سيلان الهولنديين حيث كانت الجزر تحت حمايتهم.

ضعفت السلطة الاستعمارية الهولندية، وخرجت كثير من المناطق من قبضتهم، وأخذت تستقل عنهم، ومن هذه البلاد جزر المالديف. ولكن جاءتها غزوة قادمة من مليبار (ساحل الهند الغربي) فأخضعوها لحكمهم عام ١١٦٦ هـ، غير أن حكم المليباريين لها لم يزد على السبع سنوات حيث خرجوا منها، وعاد إليها استقلالها.

حلَّ الإنكليز محلَّ الهولنديين في سيلان، فكانوا على مقربة منها، فاستغلُّوا وجود بعض الفلال فيها عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) فدخلوا بالأمر، وفرضوا على السلطان معاهدة اعترف فيها بسيادة بريطانيا، وتعهدت بعدم الدخول في مفاوضات أو معاهدات مع أي دولة أجنبية أخرى إلا عن طريق حاكم سيلان البريطاني، ووافقت الحكومة البريطانية على حماية هذه الجزر من أي اعتداء خارجي، ولكنها تعهدت في الوقت نفسه ألا تتدخل في شؤون المالديف الداخلية.

استمرت الكلترا صاحبة النفوذ في المالديف. وألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وإنكلترا تتحكم في شؤون تلك الجزر الضعيفة اقتصادياً لقلة مواردها، والضعيفة عسكرياً لقلة سكانها، ولبعدتها عن إخوانها في العالم الإسلامي، وهذا ما يلزمها على التبعية والخضوع لآية قوة تهددها، أو لأي استعمار يريد أن يعتدي عليها، ويجعل من أراضيها قواعد له يستخدمها لمصلحته، ومن خيراتها منقعة له، ومن سكانها سوقاً استهلاكية لمنتجاته.

المالديف بعد إلغاء الخلافة

بقيت المالديف بعد إلغاء الخلافة تدور في فلك السياسة البريطانية صاحبة النفوذ فيها، ولا يمكنها غير ذلك لتضعها، ولجهل المسلمين الذين لا يكادون يعرفون شيئاً عنها.

أقامت الحكومة البريطانية قاعدةً جويةً لها في جزيرة (جان) أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب حصلت المالديف على استقلالها الذاتي، وذلك أنها كانت ترتبط بجزيرة سيلان التي حصلت على استقلالها عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وعندما تم عقد اتفاق جديد بين الحكومة البريطانية وبين جزر المالديف، ظلت بموجب جزر المالديف تحت الحماية البريطانية، وتعهدت إنكلترا بتسيير شؤون المالديف الخارجية، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية، وأعطيت القوات الإنكليزية تسهيلات في الجزر من أجل الدفاع عنها أو عن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، ثم جُدد هذا الاتفاق عام ١٣٧٣ هـ.

أعلنت الجمهورية في المالديف في ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ (كانون الثاني ١٩٥٣ م) بعد أن ألغيت السلطة في العام نفسه، وانتخب محمد أمين ديبدي أول رئيس للجمهورية.

طرح موضوع رئاسة الجمهورية على الجمعية الوطنية التي صوتت إلى جانب إعادة السلطة، ولم يعمر العام بعد، ونُصّب محمد فريد ديبدي سلطاناً على المالديف في جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ (شباط ١٩٥٤ م).

وهو ابن عم رئيس الجمهورية محمد أمين ديني، وتسلم رئاسة الوزارة
إبراهيم ناصر.

حدثت معارضة شديدة بين جموع المسلمين على الاتفاق الذي وقّع
بين حكومة المالديف والحكومة البريطانية والذي يقضي بالسماح لبريطانيا
بإعادة بناء قاعدتها الجوية في جزيرة (جان) في أقصى مجموعة الجزر
الجنوبية التي هي مجموعة أدو، غير أن البريطانيين قد حرضوا سكان
الجنوب على إعلان استقلالهم عن حكومة المالديف المركزية وذلك عام
١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م).

قامت عام ١٣٨٠ هـ حركة تمرد في الجزر الجنوبية، غير أن قوات
الحكومة المركزية قد استطاعت القضاء على حركة التمرد بسهولة.
واضطرت الحكومة أن تحني، وتساير السياسة البريطانية، وتجدد الاتفاقية
معها.

استقلت جزر المالديف في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ (٢٦ تموز
١٩٦٥ م)، وخرجت أيضاً من عضوية رابطة الشعوب البريطانية
(الكومنولث).

بقيت المالديف خاضعةً للحماية البريطانية لمدة ٧٨ عاماً، ولكن كانت
هذه الحماية من نوع خاص متميز عن أنواع الحماية المعروفة، حيث لم
يكن لبريطانيا في يوم من الأيام حاكم، ولا مندوب سام، ولا أي مسؤول
آخر من يمارس السلطة الفعلية، وإنما كان على رأس السلطة رسمياً سلطان
منتخب، وهو صاحب الأمر والنهي، فالحماية لم تكن إلا نوعاً من التبعية
القانونية التي حدثت من تعاملها مع الدول الأخرى.

وكانت جزر المالديف عضواً في حلف كولومبو منذ عام ١٣٨٣ هـ
(١٩٦٣ م).

الاستقلال

تقع جمهورية المالديف على بعد ٦٥٠ كيلومتراً من الشاطئ الغربي
لسيلان، وتشغل في المحيط الهندي مساحة طولها ثمانمائة كيلومتر،
وعرضها في أوسع الأماكن مائة وخمسة عشر كيلومتراً. وتتألف من ١٠٨٧
جزيرة منها مائتا جزيرة مأهولة بالسكان، وبقية الجزر خالية، يستغل بعضها
في إنتاج المحاصيل الزراعية والأخشاب، وبعضها في السياحة، وهذه
الجزر وعلية مرجانية لا توجد فيها جبال، ولا أنهار، إلا بحيرات عذبة في
بعض الجزر، والجزر صغيرة بصفة عامة فأكبرها لا يزيد طوله على اثني
عشر كيلومتراً، ولا يتجاوز عرضها خمسة كيلومترات.

وتنقسم جمهورية المالديف طبيعياً إلى ثلاث عشرة مجموعة تفصل
بينها بحار، وتنقسم الجمهورية إدارياً إلى تسع عشرة مجموعة، وعلى رأس
كل مجموعة حاكم أو محافظ، تُعين من قبل الحكومة، يُدير شؤونها.

وعاصمة جمهورية المالديف جزيرة أو مدينة «مالي»، ويقع أمامها
الميناء الرئيسي، ولكن المطار يقع على جزيرة «هولولي» التي تبعد ثلاثة
كيلومترات عن جزيرة «مالي».

والمناخ استوائي، رطب، معتدل.

ويبلغ عدد السكان ما يزيد على مائة وخمسين ألف إنسان، وجميعهم
من المسلمين، وعلى مذهب الإمام الشافعي. ويعودون في أصولهم إلى

١ - إبراهيم ناصر:

انتهى حكم الملك محمد فريد الأول بعد حكم دام أربعة عشر عاماً، ولكن مع الاحتفاظ بمكانته. وتسلم إبراهيم ناصر منصب رئاسة الجمهورية.

وتتركز السلطات في يد مجلس الوزراء الذي يضح السياسة العامة للدولة، ويأشر تنفيذها، ويرأس هذا المجلس رئيس الجمهورية، ومجلس الوزراء مسؤول أمام مجلس الشعب، الذي يتولى السلطة التشريعية، ويتألف هذا المجلس من خمسين عضواً يتم انتخابهم لمدة خمس سنوات.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) قررت الحكومة البريطانية إقالة قاعدة (جان) الجوية، وجلاء القوات من جمهورية المالديف، وهذا ما أتى إلى وجود مشكلة اقتصادية، واشتقاق في القوات العسكرية.

وفي شوال ١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م) عرفت روسيا استجار جزيرة (جان) بمليون دولار سنوياً، ولكن الرئيس إبراهيم ناصر رفض ذلك، وقال: إنه لا يجوز الجزيرة لأغراض عسكرية أو لقوة كبيرة.

كان الرئيس المالديفي إبراهيم ناصر قد عزل رئيس الوزراء أحمد زكي، وألغى منصب رئاسة الوزراء عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، وأعلن أنه لن يترشح نفسه لإعادة انتخابه في نهاية مدته الثانية عام (١٩٧٨ م).

وفي ٢١ شعبان ١٣٩٨ هـ (٢٦ تموز ١٩٧٨ م) جرى الانتخاب ولم يترشح الرئيس إبراهيم ناصر نفسه فعلاً، واختار المجلس وزير المواصلات مأمون عبدالقيوم لمنصب رئاسة الجمهورية.

٢ - مأمون عبدالقيوم:

تسلم مهمة منصب الرئاسة بانتهاء مدة الرئيس السابق إبراهيم ناصر في ١١ ذي الحجة عام ١٣٩٨ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٧٨ م)، وأعلن

مزيج من الشعوب، وإن كان هناك تشابه بينهم وبين سكان سيلان، واحتلظ سكان جزر الشمال مع سكان جنوب غربي الهند، واحتلظ سكان الجزر الوسطى مع العرب القادمين من جزيرة العرب، ومن شرقي إفريقيا، وخاصة من جزيرة زنجبار، أما سكان الجزر الجنوبية فكان احتلاطهم قليلاً لذلك فهم أقرب ما يكون الشبه بينهم وبين سكان جزيرة سيلان.

واللغة هي المالديفية، وترجع في أصولها إلى السنسكريتية والبالية. غير أنها الآن خاصة، وقد تأثرت بلغة «الأوردو» و«الهندية» و«العربية» و«الفارسية».

استقلت جزر المالديف في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ (٢٦ تموز ١٩٦٥ م)، وانضمت إلى الأمم المتحدة بعد شهرين من استقلالها، وأصبحت العضو رقم ١١٧ فيها.

تبلغ مساحة جمهورية المالديف ١٩٨ كيلومتراً مربعاً فقط أي ما يزيد قليلاً على نصف مساحة دولة البحرين، فتكون الكثافة ٣٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة مرتفعة نسبياً يمكن مقارنتها مع الكثافة في منطقة آسيا الموسمية، بل تعد هذه الجزر جزءاً منها، ويزيد السكان في كل عام حوالي ألفين وثلاثمائة شخص.

وسمح لبريطانيا بتحديد قاعدتها الجوية في جزيرة (جان).

جرى استفتاء شعبي بعد ثلاث سنوات من الاستقلال فوافق الشعب على إقامة النظام الجمهوري في الحكم، كبديل لنظام السلطنة التي كان قائماً، وأعلن النظام الجمهوري في ٢٠ شعبان ١٣٨٨ هـ (١١ تشرين الثاني عام ١٩٦٨ م)، وتسلم إبراهيم ناصر رئاسة الجمهورية، وكان من قبل يشغل منصب رئاسة الوزراء منذ عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م).

كانت البلاد تعرف من قبل باسم جزر المالديف، واستمر ذلك حتى مطلع عام ١٣٨٩ هـ (نيسان ١٩٦٩ م) حيث أطلق عليها اسم «جمهورية المالديف».

أن مهمته الرئيسية سوف تكون تطوير المناطق الريفية الفقيرة، وسيستمر في سياسته الخارجية على السياسة القائمة بعدم الانحياز.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٠ هـ (مطلع عام ١٩٨٠ م) جرت محاولة انقلاب وتقوم على اغتيال رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته، واتهم فيها الرئيس السابق إبراهيم ناصر الذي كان قد غادر في اليوم الذي انتهت فيه مدة رئاسته، واتجه إلى ستغافورة حيث أقام هناك، واستدعي من قبل المسؤولين في جمهورية المالديف للحضور إلى بلاده للإجابة حول بعض التساؤلات التي تتعلق باختلاس موارد الدولة، فليس، وطلب من حكومة ستغافورة اعتباره لاحقاً سياسياً فوافقت على طلبه، وفي يعيش هناك، فلما جرت محاولة الانقلاب هذه، واتهم فيها أنكر ذلك، وامتنع عن القدوم أيضاً، وبعد سنتين من المحاكمات، وفي جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ (نيسان ١٩٨١ م) صدر الحكم على أحمد نسيم نسيب الرئيس السابق إبراهيم ناصر، ووزير الأسماك السابق بالسجن المؤبد بتهمة التآمر للإطاحة بنظام الحكم القائم، وأعلن إبراهيم ناصر أنه ليس له أي دخل في تلك المؤامرة، ومن طرف آخر جرت محاولة للاعتداء عليه لإخراجه من ستغافورة ولكنها فشلت.

وجرت محاولة ثانية للإطاحة بالرئيس مأمون عبدالقيوم عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ولكنها فشلت، وكانت أصابع الاتهام أيضاً تشير إلى الرئيس السابق.

وجرى استفتاء شعبي على الرئاسة في شهر ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) فنجح مأمون عبدالقيوم، وحصل على ٩٥.٦٪ من الأصوات، فاستمرت رئاسته.

وجرى استفتاء شعبي آخر على إعادة انتخابه للمرة الثالثة لمدة خمسة سنوات جديدة في مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) وحصل على ٩٦.٤٪ من الأصوات، وتجددت بذلك رئاسته الثالثة، ولكن لم يلبث أن

جرت محاولة انقلاب أيضاً وذلك في ٢٤ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٨٨ م) حيث نزلت قوة بحرية من المرتزقة مؤلفة من مائة وخمسين من عناصر الناصيل السريلانكيين بإمرة أحد رجال الأعمال المالديفيين المدعو «عبدالله لطفى»، وقد نزلوا في جزيرة «مالي» العاصمة وحاولوا الاستيلاء على الدوائر الحكومية المهمة. لطلب الرئيس مأمون عبدالقيوم من الحكومة الهندية مساعدته فأرسلت ألف وستمائة رجل من فرقة الطوارئ، وقضت على محاولة الإطاحة بالحكومة، وذهب ضحية ذلك عشرون قتيلاً. وقد أشارت عدة مصادر على وجود صلة بين رأس المحاولة «عبدالله لطفى» وبين الرئيس المالديفي السابق إبراهيم ناصر الذي أنكر بشدة صلة بذلك المحاولة الفاشلة. وأعلنت الحكومة المالديفية أن القوة الهندية ستبقى في البلاد حتى يتم إلقاء القبض على جميع اللذين اشتركوا بمحاولة الانقلاب.

وفي شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) أمر الرئيس المالديفي بالحكم المؤبد على اثني عشر رجلاً من سريلانكا وأربعة من المالديف من ذلك اشتركوا بمحاولة الانقلاب.

وفي الثاني من شهر ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (الأول من تشرين الثاني ١٩٨٩ م) سحبت الحكومة الهندية مائة وستين من قوة الطوارئ الموجودة في المالديف.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) عقدت اللجنة الهندية - المالديفية اجتماعات في سبيل التعاون الاقتصادي والتفني، وأهم نقطة بحث كانت في تلك اللقاءات إمكانية إلغاء تأشيرة الدخول بين البلدين.

وأصبحت المالديف عضواً في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في رمضان من عام ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م).

وهي كذلك عضو مؤسس في منظمة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي (ساراك) في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م).

الفهرس

المراجع

الصفحة	الموضوع
٤	مقدمة
٩	لمحة عن الهند قبل إلغاء الخلافة
١٢	أيام الراشدين
١٣	أيام الدولة الأموية
١٦	أيام الدولة العباسية
١٨	في العهد المملوكي
٢٥	في العهد العثماني
٢٥	الدولة التيمورية
٢٦	الاستعمار
٢٧	السياسة الاستعمارية
٢٩	الثورة
٣٥	الباب الأول: الهند من إلغاء الخلافة حتى التقسيم
٤٣	الفصل الأول: الصراع في الهند
٥٤	الفصل الثاني: التقسيم
٨٧	الباب الثاني: ولاية كشمير
٨٩	تعريف
٩٢	لمحة تاريخية
٩٦	الفصل الأول: بعد إلغاء الخلافة
٩٨	الاحتلال الهندي

- تقويم البلدان الإسلامية: الأمانة العامة لمؤتمر العالم الإسلامي - باكستان - كراتشي ١٩٦٤ م.
- تقويم العالم الإسلامي: جمعية الدراسات الإسلامية - القاهرة ١٩٧٠ م.
- قساعات العالم الإسلامي: مصطفى مؤمن - دار الفتح - بيروت ١٩٧٤ م.
- القاموس السياسي: أحمد عطية الله - دار النهضة العربية - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م.
- كشمير المسلمة نتايتكم: أليف الدين الترابي - الجماعة الإسلامية في كشمير ١٩٩١ م.
- ماذا خسّر العالم بالاحتفاظ المسلمين: أبو الحسن علي الحسيني الندوي - إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر.
- محمد علي جناح: إحسان حقفي - دار الفكر - دمشق - ١٤٠٧ هـ.
- باكستان: شريف الدين بيرزاده - ترجمة عادل الصلاحي - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة ١٩٦٩ م.

الصفحة	الموضوع
180	وقف القتال
182	سقوط يحيى خان
183	الفصل الثالث: الصراع الداخلي
184	الصراع الإقليمي
185	الصراع العقائدي
186	الصراع الحزبي
191	الباب الرابع: باكستان
193	1 - ذو الفقار علي بوتو
195	اتفاقية سيلا
198	اشتداد المعارضة
199	2 - ضياء الحق
202	سياسة ضياء الحق
204	المعارضة الخارجية
206	المعارضة الداخلية
210	انقلاب جديد
212	مقتل ضياء الحق
215	3 - غلام إسحاق خان
221	الفصل الثاني: الصراعات الداخلية
221	الصراع الإقليمي
223	الصراع العقائدي
226	الصراع الحزبي
229	الباب الخامس: بنغالديش
235	1 - مجيب الرحمن
236	2 - مشتاق أحمد
237	3 - خالد مشرف
237	4 - عبدالستار محمد صابم

الصفحة	الموضوع
106	القصل الثاني: سياسة الاستعمار الهندوسي في كشمير
116	القصل الثالث: الصراع الداخلي
123	الباب الثالث: باكستان الكبرى
125	القصل الأول: باكستان إحدى دول الديمقراطيين
125	محمد علي جناح
130	الخوجا نظام الدين
132	غلام محمد
134	القصل الثاني: الاستقلال
135	اسكندر مرزا
135	أبوب خان
142	مؤتمر طاشقند
147	المعارضة
154	يحيى خان
161	الانتخابات العامة
163	باكستان الشرقية
164	باكستان الغربية
166	موقف الدول
166	الهند
167	الصين
168	روسيا
169	الولايات المتحدة الأمريكية
170	إنكثرا
171	الأحداث
173	الحرب
175	الجهة الشرقية
179	الجهة الغربية

التبليغ الإسلامي

- ٢٠ -

التبليغ المعاصر

جنوب شرقي آسيا
ماليزيا واندونيسيا

محمود شاكر

الكتب الإسلامية

الصفحة

الموضوع

٢٣٨	٥ - قيام الرحمن
٢٤١	٦ - عبدالستار محمد صام
٢٤١	٧ - حسين محمد إرشاد
٢٥٢	الفصل الثاني:
٢٥٢	الصراع الداخلي
٢٥٣	الصراع الإقليمي
٢٥٥	الصراع العنصري
٢٥٧	الصراع العقائدي
٢٦١	الصراع الحزبي
٢٦٥	الباب السادس: جمهورية المالديف
٢٦٧	لمحة عن المالديف قبل إلغاء الخلافة
٢٦٩	المالديف بعد إلغاء الخلافة
٢٧١	الاستقلال
٢٧٢	إبراهيم ناصر
٢٧٣	مامون عبدالقيوم
٢٧٦	المراجع
٢٧٧	الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد بن عبدالله إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، ومن
سار على قدره إلى يوم الدين آمين:

فإن جنوب شرقي آسيا هو المنطقة الأنموذجية التي انتشر فيها الإسلام
حتى عم، ولم تطلق إليها سرية، ولم ترتفع نحوها راية للجهاد، ولم تسر
إليها كتيبة، ولم يتقدم إليها جيش فتح، وإنما انتشر الإسلام عن طريق
التجارة أو في الحقيقة عن طريق حسن المعاملة، ومكارم الأخلاق، واحترام
المبادئ، وتقدير القيم، وأدب التصرف. لقد أعجب السكان بهذه القيم
فتقبلوها، وبهرتهم الأفكار فقبلوها، فوجدوا أنفسهم مسلمين.

لقد فتح سكان جنوب شرقي آسيا صدورهم للإسلام قبل أن يفتحوا
أفئدتهم إليه، ورحبت به قلوبهم قبل أن تُرحب به ألسنتهم، واستقبلته
أنفسهم قبل أن تستقبله أجسامهم، لقد ترنموا بروية الحرية تُغنى، وطربوا
لمشاهدة المساواة تُطبق، وتعشقوا العدل لوجوده أمامهم، وتغنوا بالنظام
فراوه مُتمثلًا بهؤلاء القادسين من التجار، وحلموا بالمحبة بين الناس
فشاهدوها حيةً بين الوافدين إليهم حيث يحب بعضهم بعضاً، ويحبون
الأخرين لذلك يدعونهم لهذه المبادئ، ويتمنون لهم الخير، ويرغبون أن
يكونوا مثلهم، وهذا غاية الكمال أن ترشد للأخرين ما تريد لنفسك،
فتدعوهم ليكونوا مثلك، وهل يرغب المرء لنفسه إلا أن يكون في القمة،

رغب أعالي سكان جنوب شرقي آسيا هذا كله، وراوه، فأقبلوا عليه فوجدوا أنفسهم مسلمين.

لقد صار أهل تلك المناطق مسلمين أو أصبحوا أرقى وأرفع مما كانوا، كانوا يطلبون الحرية فلا يجدونها وإنما يجدون قوياً يستبدّ، وطاغية يتسلط، وعزيراً يتصرف، وليس من أحد يستطيع أن يقول كلمة يُدافع فيها عن ماله، أو عرضه، أو شخصه، وأحسوا الآن أنهم قد ولدوا من جديد، ليسوا بحاجة إلى دفاع بل إلى قول، فالملك مؤمن، والعرش مُصان، والشخص مُكْرَم، فلا مجال لسطح فاندفعوا نحو العمل فكان الإنتاج، وكانت الحضارة.

كانوا يرغبون بالمساواة ولكن أنى لهم بها، وقد كان هناك سادة فلا يساويهم أحد، وكان هناك كهنة فلا يصل لمستواهم فرد، وهؤلاء وأولئك يرمون مسلمين في أعراس الأسمين، ويتصرفون في الأمة مُبَدِّرين، ويعيشون في أجساد الآخرين لآعين فمن يُعادلهم، وهم من غير طينة البشر إنهم الرؤوس وغيرهم الأقدام، وشعر السكان الآن أنهم في عالم آخر: الناس كلهم سواء كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لغني على فقير ولا لثري على مرؤوس. إلا بالقوى، والقوى هي طاعة الله، والخوف منه، وتكون بتطبيق أوامره، واجتباب نواهي، ومن أوامره إعمار الأرض ومحبة الآخرين، وتقديم الخير للناس، فكان إعمار الأرض، وكان الإنتاج، وكانت محبة الآخرين، وكان التعاون، وكان الإخلاص فكانت الوفرة، وكان الخير، وكانت الحضارة.

كانوا يرغبون بالعدل ولا يحسبون به فالرأس من طبقه ولا يُحكم عليه، والسيد من أسره ولا يُؤخذ، والغني من فته ولا يُعامل كالآخرين، والمزارع من طبقه ومحكوم، وابن الصانع من أسره ومُؤاخذ مباشرة، والغني يستخدم غيره ويأمر، والفقير من فته ومستخدم ومأمور، أما الآن وقد أصبحوا مسلمين، واقتدوا بمن رأوا فقد أصبحوا في وضع آخر، ابن رأس

السلطة وابن الخادم عنده في مستوى واحد، يُحكم له وعليه، والسيد والعد في وضع واحد يُؤخذ له ومنه، والغني والفقير المعتمد على صعيد واحد، كل في عمله مأمور، ووزنه فيما يُحسن ومن استعذبتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. وكان الشعور بالمسؤولية، وكان الإحساس بالمكاتبه وكان الإقدام على العمل، وكان العطاء، وكانت الحضارة.

كانوا يحبون النظام، ولكن لا يمكنهم تطبيقه، فالكبير يتجاوزوه، والصغير يُطعن عليه، الرئيس يخترقه، والمرؤوس يُطعن عليه، الغني لا يهتم به، والفقير مُكَلَّف بالحفاظ عليه، فأصبح كل يتهزّب منه، ويعمل على تجاوزه حتى عمت الفوضى، واختل كل أمر، وجاء الإسلام، واختلف الأمر، وتبين الوضع، فالتاس كلهم ضمن النظام لا يخترقه إلا شاذ، ولا يتجاوزوه مُكَلَّف، تبدو معاملة في صفوف الصلاة، والافتداء بإمام واحد، والركوع والسجود معاً، لا يُسبق الإمام أحد، ولا يتأخر عنه فرد، وتبدو معاملة في الصيام في الإفطار بلحظة واحدة، والإسكاف كذلك، والامتناع عن كل شيء يدخل إلى الجوف، وتبدو معاملة في الزكاة، ومضي الحول على المال، والنسبة التي يؤذيها المسلم، وتبدو معاملة في الحج، في الإحرام، والطواف، والسعي، والرمي لا تجد مخالفة في اتجاه سير، ولا نقصاً في عدد الأشواط، أو الجمرات، بل وفي كل حركة. وهذا شأن كل مُكَلَّف بغض النظر عن الأنساب، والغنى، والمنصب، والمكاتب، وطول الأجسام، واختلاف الألوان، وتبين الأجناس، وبالأساس لا توجد طبقات في المجتمع المسلم. هذا النظام الذي ساد قضي على الفوضى، وحث على الإنقاذ، والدقة، والتقيّد بالموعد، الذي هو أيضاً من صفات المسلم، وكان العمل المتقن، والإنتاج الدقيق، وكان الإبداع، وكانت الحضارة.

كان سكان جنوب شرقي آسيا يحبون أن تعمّ العودة والمحبة بينهم وأن يسود الوثام بين أفرادهم، ولكن لم يجدوا إلى ذلك سبلاً، فالقوي يأكل الضعيف فيكون الحقد من المأكول، وصاحب المكاتبه يدوس على

السيط، وتكون الضغائن عند المُداس، والغني يريد أن يستعيد الفطير، وتكون الحسرة عند من لا مال له، وأسس السلطة وحاشيته، والكهنة وأتباعهم فوق بقية الشعب يُسَخَّرُونَهُمْ، ويخضعونهم مطيةً، ويريدون أن يتصرفوا بهم حسب أهوائهم ووفق شهواتهم، وهكذا يشعر المرء أنه يعيش بين ذئاب تنهشه وأنياب تريد أن تُمزقه، وتكون الإحزن، ويتولد الحقد، وتُشحن النفوس بالضغائن، فلما عمَّ الإسلام انتهى هذا كله، وأقبل الناس يُطغون هذه التعاليم الجديدة بكل سرور وبهجة، كالإنسان الذي حصل على أمنية كان يحلم بها دائماً ويتأناها، ويشعر أن فيها سعاده، وفيها راحت، فعمت المحبة، وساد الوئام والألفة، وعمَّت النظام، وشاع العدل، وعُرفت المساواة، وانتشرت الحرية، وكانت الحضارة.

أحسَّ سكان جنوب شرقي آسيا بعد انتشار الإسلام أنهم يعيشون في كنف الإنسانية، وبدأوا يشعرون بأدبيتهم، فقد انطلقوا من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الهمجية إلى الإنسانية، ومن البدايات إلى الرقي والحضارة، وأن هذه النقلة العظيمة إنما كانت نتيجة العظيمة الجديدة التي أمروا بها، واتبعوا مبادئها.

هذا ما قدَّمه الإسلام لسكان هذه المنطقة، وغيرها ممن اتبعه، وهذه هي الحضارة: حرية، ومساواة، وعدل، ونظام، ومحبة، إنها مبادئ عظيمة وأمر معنوية ترفي بالنفس البشرية فتدفعها للعمل والإنتاج، وتسمو بها فتحملها للتفكير والإبداع، وترتفع بها فتجعلها تحسُّ بواجب الأخوة والالتزام للأمة الإسلامية، والحب لكل فردٍ منها كما يحب المرء لنفسه ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذه هي الحضارة والأزدياق، وهذه هي بذرة السمو، وغرسة الاختراع.

فالحضارة اصطلاح معنوي تنمو وتشرعخ بمقومات العدل، والمساواة، والحرية، والمحبة، والنظام، وتُورق، وتنفُخ أعضائها، وتزهو، وتُشر أشياء مادية، وإذا تعهدناها بالفكر، ورعايتها بالعلم والتجربة أنتجت،

واعطت الابتكارات، ومختلف الاختراعات، ومع استمرار الرعاية والتعهد يستمر المعطاء، ويكون التطور العلمي، وتقدم التجربة والابتكار.

وقبل أن يشتدَّ عود حضارة الإسلام في جنوب شرقي آسيا، وبدأ عبرها المعطاء جاءها سيل جارف من البحر دفعته أوروبا إليها، وإن لم يستطع اختلاص جذورها إلا أنه كثر أعضائها بالقهر، ومنع عنها السقاية بالظلم فجفت أوراقها وذبلت، ثم أخذت تتساقط، وحاول اجتثاثها بالقوة فلم يتحكَّن، فكُلِّف المزارعين والمشرفين على السنة باستمرار اتباع سياسة الظم حتى تموت الجذور، وفي يتابع أولئك المزارعين والمشرفين فإذا تساهل أحدهم يتابع تلك السياسة أو أخذته الشفقة على زرعه والرحمة على شجره طرد من حقله، أو دفن في أرضه.

وهكذا يبقى الزرع جافاً ذابلاً، والشجر أصفر تتساقط أوراقه وتموت أعضائه، ويطلب السقاية والرعاية، ويحتاج إلى الماء لتعود إليه الحياة من جديد فجذوره ضاربة في الأرض حية، وسوقه باسقة فيها آثار رطوبة، ودلائل نُضرة، ولكن يحول المزارعون دون الري، والحراس من أعلى يمسكون العصا يهشون بها، ويخيفون من يُفكر بالري.

ويشع الحراس أن هذا التبول من الإسلام، فهذا أردتم النضرة، ودعوة الخضرة فعليكم بترك ما كان سبب الجفاف وتراجع النمو، وإنا نحرص ونستعمل كافة الأسباب من أسمدةٍ ومُشَطَّباتٍ ولكن دون فائدة لوجود الإسلام. لقد استعملوا الروث الحيواني كسماذٍ دون السماح بالري فأناروا الشهوة الحيوانية لدى فريقي فادعوا النمو والتطور، وأعلنوا أن هذا حضارة ومن الحضارة.

وأعد الحراس ينحرون من الاقصال اليابسة أسلحةً يضعونها بأيدي المزارعين ليحموا سياتتهم من أهلها، وليضربوا بها أي مزارعٍ إن شُدَّ،

ولستعملها المزارعون بعضهم ضد بعض لتأديب من جمع، وإعادته إلى حظيره أو استداله باخر، وأثناء عملية التجارة ظهرت معهم طباقاً الأشتاب فاستعملت للتدفق والإزالة، وهكذا كان من التجارة وسائل بناء وإفادة ووسائل حرب وتدمير وهدوا كليهما حضارة.

وشغل الحراس الأهالي بالفن والرقص والغناء وسموه فنّاً، وبالتفكّت والعري وعتوه تقديماً، وبالفساد والمهر ووصفوه حربة وحفاً، والهوهم باللعب وقذف الطابة وسموه نظراً، وعلموهم الكذب في وسائل الإعلام، وتغيير الحقائق، والتجنس وقالوا عه ذكاة وبراعة، وأعطوا هذا كله اسم حضارة، واتخذوا هذا جميعاً ليعتدوا الناس عن التفكير بماضيهم المشرق والحضارة الحقيقية التي كانوا يعيشون في ظلها، وعرفوا آثارها ونتائجها.

ليست الحضارة قفراً ورفصاً، ولا قذفاً ولعياً، ولا وسائل إبادة الخلق وتدمير البشرية، ولا تجساً وكذباً، وشوهاً للحقائق وإنما الحضارة شعور النفس بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، ويتم هذا بالحرية، والمساواة، والعدل، والنظام، والصحة، وتأمين ضرورات الحياة براحة، وإذا ما شعرت النفس بهذا انطلقت نحو الإنتاج، والعلم، والإبداع، والابتكار، والاختراع، وأمر طبيعي ألا تستطيع نفس أن تعيش في ظل التفرقة، والفوضى، والكرهية، ويمارس عليها كل أنواع الضغط، وأشكال الظلم، وأصناف الجور، ثم يطلب منها الإنتاج، والاختراع.

لقد عمل الذين جاءوا بالسيل الصليبي الاستعماري والذين كانوا معه كل وسائل الظلم، والإفقار، وجميع أسباب المرض والجهل حتى ضاق الناس ذرعاً بالحياة، وسوا الماضي، وجهلوا الحقيقة، ولم تعد معرفتهم تتعدى وسيلتهم لتأمين لقمة العيش، والهرب من الفسوة، وطريقة العزلة.

وترك الصليبيون المستعمرون المنطقة بعد أن اطمأنوا على ما فعلوه، وبعد أن وجدوا من الأعداء من يسد مسدّهم إن غابوا، وتعدّد مخططاتهم إن

رحلوا، وبقبل توجيهاتهم وإن بعدوا، ويأخذ بهرشادهم وهم في بلادهم فحذقوا بذلك عن أنفسهم مغبة نعمة الأهالي، والصدام معهم، إذ تركوا الناس يقاتل بعضهم بعضاً، ويتجهج ويتهم بعضهم بعضاً وهم في منأى يضحكون، مصالحهم تؤمن، ومخططاتهم تتعدّد، وأعدائهم يقتلون، وقسم من هؤلاء الأعداء يدافع عنهم، ويكتفيهم مؤونة الصراع.

وطالت الأيام والحالة تسير على هذه الصورة، ولم يعد أهل العصر يعرفون إلا الواقع، ويسمعون شائعات الصليبيين الاستعماريين أن هذا التخلف بسبب الإسلام، ويؤتد هذا المشرفون على البساتين من أعوان الحراس، ومن يتبعون نسياً إلى الإسلام، لا عقيدة وفكراً، وإنما يدعونه ادعاء، وأنهم من أهله، وقد يُصدرون الفتاوى، ويُقدّمون الفقه حسب تحليلاتهم الإعلامية، وتعليقاتهم السياسية، ويقوم التخبط السياسي، وتعمّ الفوضى الاجتماعية.

ونحن نريد أن نلقي ضوءاً على تاريخ هذه المنطقة نبيّن فيه، الواقع المعاصر، وأسباب هذا الواقع المرّ لتعرف الناس على الحقيقة، وعندنا يمكنهم معرفة العلاج اللازم والدواء الشافي.

وتضم هذه المنطقة ثلاث دول إسلامية هي: ماليزيا، وأندونيسيا، وبنوني.

ونرجو من الله أن نُوفّق في هذه المهمة، وأن نلهم الحق، وأن تسدّد الخطأ، فهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ شعبان ١٤١٢ هـ

٦ شباط ١٩٩٢ م

مقدمة

الباب الأول

مَالِيَا

www.alkottob.com

لمحة عن ماليزيا قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى ماليزيا في القرن السابع الهجري، وإن كنا لا نستطيع أن نُحدِّد بالضبط السنة التي انتشر فيها لأن وصول المرادف لثاليل، وتشكيل جماعاتٍ صغيرة لا تأثير لها على المجتمع لا يُسجلها التاريخ، بل لا يعرفها، وخاصة أنه كان تاريخ ممالك لا شعوب، وسجل دول لا دعوات، إذ لا يمكن أن يكون بداية وصول الإسلام هو قيام دولته واستناد سلطانه.

من المعروف أن علاقة شبه جزيرة الملايو كانت قوية مع الهند وخاصة مع سواحلها الغربية التي انتشر فيها الإسلام في وقت مبكر نتيجة التجارة، وانتقال المراكب المستمر بينها وبين أطراف شبه جزيرة العرب التي انطلق منها الإسلام.

وكانت روابط شبه جزيرة الملايو متينة مع جزيرة سومطرة المواجهة من ناحية الغرب، والتي وصل إليها الإسلام أيضاً لأن أطرافها الشمالية أقرب إلى الغرب حيث كانت تمر السفن الإسلامية، وتتحكم تلك السفن في طرق المحيط الهندي البحرية، وفي سوانته، وقواعده، ومراكزه، وبحارته، ويتنقل المسلمون التجار والدعاة على سواحله يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية التي تتلامم والقطرة البشرية، وتُعطي معاملتهم وسلوكهم وأخلاقهم صفات تختلف عما يتصف به بقية التجار، بل كان كل

تصرف بنوع من تلك العقيدة. وكثيراً ما كان الدعاة يتخلون التجارة وسيلةً ليعتصموا مع السكان وليدعواهم إلى الإسلام.

لقد وصل الإسلام إلى جزيرة سومطرة في القرن السابع الهجري، وعندما زار الرحالة الإيطالي (ماركو بولو) المنطقة عام ٦٩٢ هـ وجد التجار المسلمين في ميناء (برلاك) على الساحل الشمالي للجزيرة ذات الصلة الوثيقة بالملايو، ومن سومطرة انتقل الإسلام إلى الملايو.

وتقول إحدى الروايات: إن ميناء (مالاكا) الواقع على الطرف الغربي من بلاد الملايو قد وصل إليه الإسلام قبل هذه المدة، فتروي أن سفينة عربية قادمة من (جندة) يقودها (سيدي عبدالعزيز) قد رست في ميناء (مالاكا) عام ٦٧٦ هـ، واستطاع زكائها أن يؤثروا على ملك (مالاكا)، فاعتنق الإسلام، وأطلقوا عليه اسم (محمد شاه)، وتبعه شعبه في اعتناق الإسلام، ونذا قامت أول دولة إسلامية تعمل على نشر الإسلام فيما حاورها من البلدان، وفي غضون نصف قرن أصبحت مدينة (مالاكا) مركزاً يشع الإسلام على المناطق المجاورة، فأسلمت (باهانغ)، وجنوبي الملايو.

ويقال: إن حاكم مدينة (مالاكا) قد اعتنق الإسلام ليحصل على تأييد التجار المسلمين الذين حلوا محل الهنالك في الزعامة التجارية، إذ كان الحكام يحاولون إرضاء التجار المسلمين لتوسعة الحركة التجارية في موانئهم بسبب غناهم، وقد كانت أموال المسلمين أكبر مورد لتلك الإمارات بسبب التجارة الواسعة التي تقوم فيها.

ويروى أن الإسلام قد انتقل من مدينة (باساي) في شمالي سومطرة إلى مدينة (مالاكا) بعد أن أسلم حاكمها ليتزوج أميرة مسلمة من (باساي) ذلك لأن المسلمة لا يسمح لها دينها بالزواج من غير مسلم، وكان ذلك حوالي عام ٨٠٣ هـ، ثم اعتنق الشعب في (مالاكا) الإسلام بعد أن أسلم حاكمه.

وتذكر بعض الروايات أنه في القرن السابع الهجري قامت مملكة (تيماسيك) في سنغافورة، وفي أوائل القرن الثامن الهجري قامت في جزيرة (جاوه) إمبراطورية (ماجاباهيت) الهندوسية القوية التي استطاعت القضاء على مملكة (تيماسيك) - وكان الإسلام قد وطد دعائمه في أجزاء من شبه جزيرة الملايو - واستطاع ملك (تيماسيك) أن يفتخر سنغافورة مركز حكمه السابق، وأن ينتقل إلى مدينة (مالاكا) مع ألف وخمسمائة من أفراد عائلته، وأن يؤسس هناك حكومة، وقد اعتنق الإسلام بتأثير من اعتنقه من قبل سكان (مالاكا)، وقد أطلق على نفسه اسم (اسكندر شاه)، وكان ذلك في بداية القرن التاسع الهجري عام ٨١٧ هـ.

والخلاصة أن التجارة قد لعبت الدور الرئيسي في انتشار الإسلام في الملايو، ولم تكن التجارة هي الهدف الأساسي بل كانت الدعوة تسير إلى جانب التجارة، وإن وجد تجار همهم الأول الربح، والدعوة ثانوية عندهم، أو يقتصر في عملهم على ما يحققون من أرباح، ولكن كان هناك أيضاً دعاة تفرغوا للعمل في سبيل الله، وهم إما من الذين كانت أحوالهم المادية تساعدهم، أو من الذين كانوا يكتفون بالقليل يحصلون عليه من بعض الأعمال التجارية على نطاق ضيق.

وقد كان ميناء (سري فيجابا) في شبه جزيرة الملايو أكبر مرفأً تصل إليه السفن الإسلامية في توجهها نحو الشرق، وخاصةً بعد القرن الرابع الهجري عندما أغلق ميناء (كاتون) الصيني بوجه التجار الأجانب نتيجة اضطرابات وقعت في مملكة (نانغ) الصينية، وفي ذلك الوقت أصبحت مدينة (سري فيجابا) أبعد نقطة تصل إليها السفن الإسلامية شرقاً آنذاك، ورغم ما حدث في العالم الإسلامي من أحداثٍ جسيمةٍ في غزو المغول، وتدمير بغداد على يد (هولاكو) عام ٦٥٦ هـ، وسقوط الخلافة العباسية، والذي أدى إلى تمزق سياسي كبير في عالم الإسلام إلا أن المسلمين قد بقوا سادة التجارة في المحيط الهندي.

ومن المحتمل أن يكون تجار جنوبي الهند هم الذين كان لهم الأثر الواضح في إسلام الشعب في شبه جزيرة الملايو، إذ أن المسلمين هناك يتبعون مذهب الإمام الشافعي، وهو المذهب المنتشر في جنوبي الهند، بينما كان أثر الكوجراتيين أقل حيث يتبعون مذهب الإمام أبي حنيفة الذي لم ينتشر في الملايو. كما أن الصوفية قد انتشرت هناك من جنوبي الهند، وليس من شبه جزيرة العرب، وقد يكون تجار غربي الهند وجنوبها قد لعبوا دورهم معاً في الدعوة، وهذا لا ينفي أثر الدعاة العرب الذين ما انفكوا يفتدون إلى البلاد بعد أن توقفت الفتوحات الكبرى، وانصرف المسلمون إثر ذلك إلى نشر الدعوة عن طريق التجارة، والتنقل لهذه الغاية.

وعندما سقطت مدينة (مالاكا) بأيدي المستعمرين الصليبيين من البرتغاليين عام ٩١٧ هـ، اختير مركز (انشه) في شمالي سومطرة ليكون مقراً للدعاة، وهكذا عاد لجزيرة سومطرة مركزها التجاري والإسلامي بعد أن فقدته مدة قرنين من الزمن وهما: الثامن والتاسع الهجريين لمصلحة مدينة (مالاكا).

وعن طريق التجارة تحددت العلاقات الحسنة، والصداقة، والاحتكاك مع السكان، ويكون إقناع الشعب للدخول في الإسلام، إضافة إلى الزواج الذي يتم بين التجار المسلمين وبين بعض الأسر وغالباً ما تكون الفتيات من العائلات المرموقة فتدخل الفتاة بالدين الإسلامي، وعن طريقها يعتنق أهلها وقومها عقيدتها لما يرون من معاملة كريهة وخلق رقيق، كما أن هؤلاء التجار كثيراً ما كانوا يتخذون عبداً يساعدهم في شؤونهم التجارية وخدمتهم فيسلمون ويعتقونهم بعد إسلامهم، فيجذبون بالعمل ويخلصون، فتزيد مكانتهم في المجتمع، وإن اتصال التجار المسلمين غالباً ما يكون مع الأثرياء ومع الحكام، وهذا ما يعطيهم مركزاً رفيعاً، ويُقدّم التجار للحكام خدمات، ويقابلهم الحكام بأحسن منها رداً للجسيل، والحاكم يريد أن يظهر بموقع الأعلى، ويعطي حسب مكانته، كما يهدفون إلى زيادة نشاط

التجارة إذ أن أكثر موارد الإمارات كان يأتي عن طريق التجارة. ويتكلم الحاكم لغة التجار ليتمّ التفاهم بينهم، وليكونوا أقرب إلى نفوسهم، حيث تُقرب اللغة بين الغريباء، كما يراعون تقاليدهم حتى يقدو بعض سلوكهم إسلامياً، وهذه المنزلة التي يصل إليها التجار تجعلهم يستطيعون معها التأثير على السكان، وجذبهم إلى الإسلام.

وقد كان انتشار الإسلام في الملايو وفي كل مناطق الشرق الأقصى سلمياً على عكس الطريقة التي سار عليها المستعمرون الصليبيون. وقد كانت الخلافة الإسلامية في هذه المرحلة في فترة غيابٍ عن الساحة، وكانت التجارة والخلافتان هي السائدة في أكثر أمصارها، وكان الدعاة المسلمون من أقاليم شتى، لذا لم يفكر المسلمون الذين حكموا تلك الأجزاء أن يربطوها بمركزٍ معين خارج المنطقة، وهذا عكس ما فعله الأوروبيون الذين ربطوا المناطق التي سيطروا عليها ببلادهم الأصلية مباشرة، وهذا ما أبعد عن المسلمين فكرة السيطرة وحَبّ التسلُّط فأقبل السكان نحوهم، على حين ابتعدوا عن الأوربيين، وقد يكون تصرف المسلمين هذا نتيجة للأوضاع السيئة التي سادت الدولة الإسلامية في مركزها لذلك كانت دعوتهم إلى إقامة إماراتٍ إسلاميةٍ مستقلةٍ يُطبق فيها حكم الإسلام، بل ربما أصبحت فكرة دار الإسلام نظريةً في رأي الكثيرين منهم، ولم تعد فكرة إقامة دولةٍ مركزيةٍ قويةٍ وتتبعها كل الإمارات الإسلامية على شكل ولايات، وتُحدد حدود كل إمارةٍ حسب أصول السكان ولغاتهم، أو حسب الأرض وطبيعتها، لم تعد هذه الفكرة تخامر أذهان أمراء تلك الدول التي قامت آنذاك، واكتفى الحكام والأمراء من فكرة ودار الإسلام، معاملة المسلمين معاملة حسنة في إماراتهم بغض النظر عن مكان مولدهم، ومناطق تنقلهم حيث إن جنسية المسلم هي عقيدته، ويعتدونهم من رعاباهم أينما كانوا.

ومما ساعد على انتشار الإسلام في الملايو بشكلٍ كبيرٍ رة الفعل

لتقديم المستعمرين الصليبيين، ومعاملتهم السكان معاملة سيئة، فالتحق الشعب إلى جانب المسلمين الذين وقفوا معهم موقفاً واحداً ضد أولئك المستعمرين الصليبيين الأوربيين، واشتكوا معهم في حرب طاحنة في معظم جهات العالم من الأندلس حتى الشرق الأقصى.

لم تكن تلك الإمارات الإسلامية التي قامت في تلك المنطقة مستقلة تماماً فهي لا تشمل إلا رقعة صغيرة المساحة نسبياً قليلة السكان بالمقارنة مع الدول الكبيرة، ولا مكانة للدول الصغيرة فلا يقدرها من أن تحري في فلك غيرها أو تكون طمعاً للغزاة، ومن هنا كان المسلمون أمة واحدة كي لا يطمع فيهم طامع، ولا يكونوا تبعاً لغيرهم، وكان على المسلمين أن يجتمعوا بعضهم مع بعض، ولكن أقاليمهم متاعلة، وديارهم تالية، وكان عليهم أن يرتبطوا مع دولة الإسلام غير أنها في غياب عن الساحة، لذا فإن كل إمارة كانت متعزلة عن الأخرى، وتصبح مملكة واسعة، وهي مستقلة استقلالاً ذاتياً.

كانت إمارة (مالاكا) الإسلامية في أول عهدنا تخضع لمملكة تايلاند، وتؤدي لها أتاوة ذهباً مقابل استقلالها الذاتي، وتطبيق ما تشاء من قوانين وتظم على أفرادها، غير أنه في عام ٨٠٨ هـ زار هذه الإمارة الإسلامية الأمير الصيني المسلم المعروف باسم (نشنغ)، ووعد حاكمها بأن يوفر له حماية أميراطور الصين من تهديدات تايلاند، وفيما إذا حاولت التعرض لها بسوء، فأعلن الحاكم عندنا استقلال إمارته، وتميزت دولته بشخصيتها الفكرية والسياسية، وأصبح يُجهز السرايا، ويعدّ الجيوش للفتح ونشر الإسلام، واستطاعت إمارة (مالاكا) ضمّ المناطق المجاورة إليها، واحتواء منطقة (باهانغ)، واستمرت هذه الإمارة تؤدي دورها حتى انتهت بالاستعمار الصليبي.

تعاقب على حكم (مالاكا) سبعة حكام كان أبرزهم (منصور باشا) الذي دام حكمه تسعة عشر عاماً (٨٦٣ - ٨٨٢ هـ) وقد انطلقت جيوشه في

شبه جزيرة الملايو كاملة، وحتى حدود بورما، وإلى أواسط سومطرة، وقد حرص العلماء، واعتنى في أيامه الإسلام معظم الشعب الملايوي، واستعملت الحروف العربية في الكتابة، وأصبح الإسلام قانون بلاده، ويمكن أن ندرك مدى التأثير النفسي والارتباط بالمسلمين خارج المنطقة من انجذاب لقب تركي (باشا) حيث كانت الدولة العثمانية قد أعلنت تبرز وكان السلطان محمد الفاتح - رحمه الله - قد فتح القسطنطينية قبل ست سنوات فقط من تسلّم (منصور باشا) الحكم وذلك في عام ٨٥٧ هـ، كما أنه لم يتخذ لقب سلطان تقديراً للعثمانيين، واعتزافاً بالتبعية العثمانية.

وقد قامت عدة إمارات في شبه جزيرة الملايو في هذه المرحلة ومنها: قنح، بيرق، باهانغ، جوهور.

ووصل تأثير الإسلام إلى جزيرة (بورنيو) حيث ساد دولة (بروني) القوة نتيجة العلاقة التجارية مع الصين من جهة ومع العالم الإسلامي في ناحية الغرب من جهة ثانية. وعندما وصل الإسبان إلى شمالي جزيرة (بورنيو) عام ٩٢٧ هـ وجدوا حاكم (بروني) مسلماً.

الاستعمار:

لم تكن ما أطلق عليها بـ (الاكتشافات الجغرافية)، كما لم يكن الاستعمار إلا حرباً صليبية قامت بها أوروبا ضد المسلمين، إذ قامت للاحقهم بعد أن طردتهم من الأندلس لتحيط بهم، وتحاول القضاء عليهم.

وإذا كانت الاكتشافات والاستعمار قد حملا بعض الجوانب الاقتصادية إلا أنهما بالواقع كانا يشتران به، وقد أعلن ذلك الأوربيون ودونوه، ولما كانوا قد أصبحوا أصحاب القوة والثروة والسيطرة والهيمنة فقد فرضوا ذلك على الناس، ووضعوه ضمن المتأهجين، ودرسوه، واقتنع به الضعفاء والمستضعفون حتى غدا شبه حقيقة، فالغالب يفرض عادة ما يريد والمهزوم يقبل ما يُعطى له إن لم يكن موجه بُنْهه، أو محرّك يُوقظه، وكان

المستولون عن المسلمين - مع الأسف - هم الذين يتولون منافع الأوربيين أكثر من المستعمرين الصليبيين أنفسهم عوضاً من أن يُوجهوا شعوبهم. لذا ليس غريباً أن نصل إلى ما وصلنا إليه. والواقع أن رائحة الصليبية كانت تملأ جوتك المراكب التي انطلقت عليها طلائع الصليبية والذين أسموهم بالمكتشفين. كما كانت نجيم على حملات المستعمرين وشركائهم الاستعمارية.

الاستعمار البرتغالي:

انطلق المستعمرون الصليبيون البرتغاليون من قاعدتهم وطواء على سواحل الهند الغربية، ووصلوا إلى مالاقا عام ٩١٥ هـ، وقاموا بهجوم عليها، ولكنه فشل، وبعد عامين أعاد الصليبيون البرتغاليون الكرة، وقاموا بهجومهم الثاني، وقبل الهجوم ألقى قائدهم «البورك» خطاباً جاء فيه (الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التي سقَدَمها للرب عندما نظرد المسلمين من هذه البلاد، ونُخِمد نار هذه الطائفة المحمدية حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً، وأنا شديد الحماسة لمثل هذه النتيجة، فإذا استطعنا الوصول إليها فسترك المسلمون الهند كلها لنا، إن غالية المسلمين - وربما كلهم - يعيشون على تجارة هذه البلاد، ولقد اغتنوا، وأصبحوا أصحاب ثروات ضخمة، و«مالاقا» هي مركزهم الرئيسي، فمنها يفلتون كل عام التوابل والأدوية إلى بلادهم دون أن تستطيع منعهم، فإذا تمكنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميثاء واحد أو محطة واحدة مناسبة في كل هذه المنطقة ليستمروا في تجارتهم، وأؤكد لكم أنه إذا استطعنا تخليص مالاقا من أيديهم فستهار القاهرة، وبعدها تنهار مكة نهائياً، وعلى البندقية (فيبيسيا) بعد ذلك أن ترسل تجارها إلى البرتغال، إذا أرادت شراء التوابل).

وكانت أوروبا الصليبية تنتظر نتيجة الهجوم على (مالاقا)، وسقطت (مالاقا) عام ٩١٧ هـ بيد البرتغاليين، وكان لهذا السقوط أثر كبير في أوروبا

حتى استدعى الأمر إلى إقامة «قداس شكر» في روما عام ٩٢١ هـ، وذكر (كاميلو بورتون) في الخطبة التي ألقاها أمام (ليو العاشر) أن هذه المعركة سَهَّلَت استعادة القدس، وفسر كيف أن الصليب قد وصل إلى أماكن بعيدة، واتهم حاكم (مالاقا) بأنه مسلم متعصب يكره الصليبي، ونادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس.

وكتب «بيرس» لملك البرتغال «عمانويل» بهذه المناسبة يقول: (إن البورك يُقاتل ضد محمد، ومن الواضح أن قوة الرب تساعد، لأن الرب يرغب أن تتربح جنود الصليبية في سائر مملكته. ويقول: ويقتدر ما لا (مالاقا) من قائلته دينوية فإن لها الفائدة الدينية نفسها فإن محمداً محاصر، ولا يستطيع أن يتوسع بعد الآن بل سهرب بأسرع ما يمكن).

عند الصليبيون البرتغاليون إلى استعمال الفسوة الوحشية ضد المسلمين، دون أن يكون لهم أي رادع، وصاحب سيطرتهم على (مالاقا) نشاط تنصيري مَرَكَز، وهذا ما دفع المسلمين للقيام برذ فعل والنشاط بالدعوة إلى الإسلام.

وكان أول عمل قام به البرتغاليون الصليبيون بعد استيلائهم على (مالاقا) بناء حصن بحجارة انتزعها من قبور المسلمين، ثم قاموا بإعدام دفعات متتالية من الأهالي. وقام زعيم البحرية مع بحارته بأعمال الفرسة في المحيط الهندي فانقلب الأمن فيه إلى خوف. كل هذا جعل الثورات تقوم ضد الاستعمار الصليبي البرتغالي الأمر الذي أضعفه، وخاصة أن سكان البرتغال قليلو العدد حيث لا يستطيعون مع هذه القوة وضع جيش كبير في كل منطقة من المناطق الواسعة التي سيطروا عليها في إفريقية وآسيا. ومما زاد في ضعف البرتغاليين أن إسبانيا كانت قد احتلت أراضيهم عام ٩٨٩ هـ، للخلافات الناشئة بين الدولتين فأصبحت المستعمرات البرتغالية كلها تتبع إسبانيا، وإن كان الجنود الذين يحملونها برتغاليين.

الاستعمار الإسباني:

وتمكن الإسبان من اجتياز المحيطين الأطلسي والهادي والوصول إلى إمارة إرجا سليمان (الفلبين) بإمرة ماجلان الذي أعلن صليته، وأراد تصير السكان قنصلوه، وتابع نائبه (دل كاتو) السير فوصل إلى جزيرة (بورنيو)، وجزر (المولوك) ورجع بعدها إلى إسبانيا عن الطريق التي عرفها البرتغاليون وسيطروا عليها، وأخذت الحملات الإسبانية تتوالى على الفلبين للانتقام والسيطرة.

وعند وصول الإسبان إلى المشرق كان التجار المسلمون من جزيرة (بورنيو) يقومون بتجارة نشطة والحية مع بقية الجزر، وربما كانوا المسيطرين الوحيدين على التجارة الخارجية لتلك الجزيرة، كما أن الدعوة إلى الإسلام كانوا يسلطون جهوداً واسعة للدعوة، وللتوعية عن أهداف المستعمرين الصليبيين، وعملهم ضد الإسلام، وحقدهم الشديد، كما إن إمارة (بورنيو) قد أطلقت صيحة الدعوة لإسلام جاراتها.

وكان مسلمو (بورنيو) يمدون يد المساعدة للمسلمين في القسم الجنوبي من الفلبين بعد أن توقف التوسع الإسلامي في الجزر الشمالية نتيجة احتلال الإسبان لمدينة (ماتيلان)، وعندما وصلت هذه المعلومات لحاكم الفلبين الإسباني (فرنيسكو دي ستي) كتب إلى سلطان (بورنيو) (سيف الرجال) يطلب منه التوقف عن إرسال الدعوة إلى (الفلبين) وأواسط (بورنيو)، وأن يقبل منسرين كاتوليك في (بورنيو)، ولكن هذا الطلب قد رفض بحزم، وكان ذلك عام ٩٨٧ هـ. ولم تستطع إسبانيا أن تقوم ببرد فعل لعدم الإمكانيات لديها آنذاك.

واحتلت إسبانيا البرتغال، ولكنها لم تستطع أن تحل في المستعمرات محلها لأن الأسطول الإسباني قد تحطم في معركة شهيرة مع إنكلترا عام ٩٩٧ هـ، وهذا ما هيا الجو لدول أخرى أن تتقدم نحو الساحة، وقد علت

تقريباً، أو إن ما فيها من قوة لم تعد مخيفة، كما أن الطريق هناك لم تعد سراً، وخشيت أوروبا الصليبية أن تفقد ما حصلت عليه، وأن يقوم سكان المستعمرات البرتغالية والإسبانية بردة فعل بلقون فيها المستعمرين الصليبيين بالبحر، بل وتطلق حركة جهاد ضد أوروبا تدعم ما يقوم به العثمانيون من تقدم في أوروبا الشرقية، لذا أسرعت دول أوروبا البحرية لتسد ذلك الفراغ، وإن كان قد حصل بينها نزاع على الاستغلال وعلى الاستئثار بسط النفوذ، وهذا ما جعل الناس يظنون - خطأً - أن أهداف الاستعمار لم تعد النواحي الاقتصادية، لما حدث بين أولئك المستعمرين من منافسات.

الاستعمار الهولندي:

كانت هولندا في أوروبا في حربٍ مع الإسبان ساداتها وحكامها السابقين، ولكن لم تعد تخشى أسطولهم الذي تحطم في حربهم مع الإنكليز، فأصبحت السفن الهولندية بعدها تنقل في تلك البحار دون خوفٍ من منازعٍ قوي.

اتجهت أربع سفن هولندية نحو الهند عام ١٠٠٤ هـ، وبعد عامٍ وصلت إلى سومطرة وجاوة لأول مرة، وحدث بينهم وبين الأهالي معارك، كما حدث مع البرتغاليين من قبل، وحاول البرتغاليون مقاومة الأسطول الهولندي فأمرؤا بواجرهم بالتحرك من (مالاكا) و(جاوة) لهذا الغرض، وعدوا كل سفينة لا تتبعهم غنيمة لهم يأخذونها، ومنها السفن الأندونيسية، فأصطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين، وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عجز الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تترجح عن مواقعها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز (مالاكا) مدة أربعين سنة أخرى إلا أنها بقيت ضعيفة لا يهتم بها أحد.

بدأت هولندا تنفذ قضاها على المنطقة، وأسست شركة الهند

الشرقية الهولندية عام ١٠١١ هـ على غرار شركة الهند الشرقية الإنكليزية التي تأسست عام ١٠٠٨ هـ، ولكن الشركة الهولندية كانت أقوى، وأكثر غلواً لأنها ذات مال أوفر، وتنظيم أكبر، ووجدت الفرصة مناسبة لها للعمل لانشغال إنكلترا في حروبها مع الإسبان آنذاك، كما أن هولندا قد اتجهت إلى تلك المنطقة بكليتها بعد أن نهأت تجارتها مع الهند بسبب منافسة إنكلترا وفرنسا لها، وقد أحسّت بالثراء وضرورة الاستثمار بالاستعمار.

ظهرت المنافسة بين هولندا وإنكلترا في المنطقة، وكانت النتيجة أن اضطرت هولندا إلى إلغاء كل احتكاراتها في تلك الجهات، ولكنها كانت قد احتلت (مالاكا) عام ١٠٥٢ هـ، مع أن أمرها قد بدأ بالضعف بسبب التوسع الإسلامي، وأخيراً احتلت فرنسا الأرض الهولندية في أوروبا عام ١٢١٠ هـ، فضعف أمر هولندا نهائياً وزالت، واستلمت (مالاكا) للإنكليز.

انتهت الحرب بين هولندا وإنكلترا أيام حروب نابليون، وبعد هزيمة نابليون رجعت هولندا دولةً من جديد، فعادت حكومتها واستولت على ممتلكات الشركة الهولندية سابقاً، ولكن لم تعد إلى مركز (مالاكا) إلا في مناسبتين لمدةٍ محدودةٍ في كل مرة. ثم تنازلت عنها نهائياً عام ١٢٤٠ هـ مقابل إعطائها مركزاً في غربي جزيرة سومطرة.

الاستعمار البريطاني:

بدأت المصالح البريطانية في بلاد الملايو من الناحية التجارية كما بدأت المصالح البرتغالية والهولندية من قبل، ففي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت شركة الهند الشرقية البريطانية بحاجةٍ إلى مركزٍ لتجاريتها مع الصين، وكانت أول محاولةٍ لإقامة هذا المركز في شمالي جزيرة (بورنيو)، وكان هذا الجزء يتبع لسلطان (صولو)، ووصول مجموعة جزر في جنوبي الفلبين، وكان هذا السلطان قد وقع في أسر البريطانيين

عندما استولوا على مدينة (مانبلا)، وقد أطلقوا سراحه، وتنازل للشركة عن منطقة في شمالي جزيرة (بورنيو) تُقيم عليها مركزاً لتجاريتها، ولكن هذا المركز كان خامساً فلم يعرض تكاليف إقامته.

وعملت الشركة بعدئذٍ لإقامة قاعدةٍ لها في شبه جزيرة الملايو، وقد تمكنت من ذلك بسهولةٍ إذ تمكّنت (فرنسيس لايت) باسم الشركة جزيرة (بينانغ) التي تخصّص إماراً (قدح) وذلك عام ١٢٠١ هـ، وبعد خمسة أعوام حاولت إماراً (قدح) استعادة الجزيرة، فوافقت الشركة على أن تدفع لسلطان إماراً (قدح) وخلفائه من بعده مبلغ عشرة آلاف دولار ماليزي سنوياً مقابل اقتطاع جزيرة (بينانغ)، وكذلك فإن الشركة تمكّنت من شراء ميناء سنغافورة عام ١٢٣٤ هـ.

وهكذا صار لشركة الهند الشرقية البريطانية ثلاثة مراكز تجارية في جنوب شرقي آسيا وهي: مالاقا، وبينانغ، وسنغافورة فوحدتها بعضها مع بعض عام ١٢٤١ هـ، وألقت منها مستعمرةً للأفواج القادمة من بريطانيا إلى جنوب شرقي آسيا بقصد الإقامة لأهدافٍ صليبيةٍ واقتصاديةٍ، وأصبحت هذه المستعمرة تُدار من قبل حكومة الهند. وفي عام ١٢٨٤ هـ سلّمت المستعمرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية.

اتخذ البريطانيون طريق المكر في الإدارة فلم تتدخل أول الأمر في شؤون الحكومات الملايوية المحلية خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري لا شركة الهند الشرقية البريطانية التي كانت لها السيطرة في بداية الأمر ولا الحكومات المتعاقبة على السلطة في بريطانيا بعد أن سلّمت المستعمرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية، غير أن السياسة قد تغيرت بعد أن استقرّ الوضع للبريطانيين، وهدوا دون منافسين.

أخذ الاستعمار البريطاني منذ عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٣ م) يتوسّع في شبه جزيرة الملايو، وقد تكوّن على شكل معاهدات مع سلاطين الولايات

أو الدويلات في شبه الجزيرة كلها حيث غدوا حكاماً محليين يرسلون بالتفويض البريطاني ويخضعون له. وفي عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ م) جرت مفاوضات بين البريطانيين وبين حكام ولاية (بيرق) وعقدت معاهدة بين الطرفين كان الهدف منها أن يأخذ سلطان (بيرق) برأي المقيم العام البريطاني، ويعمل بموجبه في كل الأمور خلا ما يمس الإسلام والعادات الملايوية، على أن العادات غالباً ما تتبع من العقيدة. وفي العام نفسه دخل سلطان (سلانغور) في معاهدة مشابهة، وقبل بالمقيم البريطاني في ولايته، وكذلك اتخذت ترتيبات مشابهة فيما بعد مع سلاطين (نغري سمبلان) و(باهانغ).

ثم راحت بريطانيا تجمع هذه الإمارات وتقسّمها كما نشاء، وكما يحلو لها وتقتضيه مصلحتها الاستعمارية، ففي عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) شكّلت اتحاداً من كل من (بيرق) و(سلانغور) و(نغري سمبلان) و(باهانغ)، وأصبحت هناك الولايات الأربع ذات مقيم عام بريطاني واحد، وحكومة مركزية واحدة.

وقبلت ولاية (جوهور) الحماية البريطانية عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م). وبموجب معاهدة (بانكوك) عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) سلّمت (تايلاند) كل حقوق السيادة، والإدارة، والحماية، والسيطرة على الدول الشمالية الأربع وهي: (كيلانتون) و(ترينغانو) و(بيرليس) و(فنج) إلى البريطانيين. وعلى الرغم من أن شروط المعاهدة المعقودة مع سلاطين هذه الدول كانت مشابهة تماماً لشروط المعاهدات السابقة في ولايات شبه جزيرة الملايو الأخرى فإن هذه الدول قد بقيت خارج الاتحاد السابق، وإن شكّلت فيما بينها اتحاداً عرف باسم (اتحاد الملايو). وقبلت كل دولة منها في الوقت نفسه مستشاراً بريطانياً لديها. ولم تصح أبداً ولاية من هذه الولايات الملايوية مستعمرة بريطانية بل بقيت السيادة في كل منها إلى سلطانها رغم

وجود روابط إداري بين الولايات والجاليات البريطانية المقيمة فيها، حيث كان المفوض السامي لدول الملايو حاكماً لهؤلاء المقيمين.

وكانت هناك مجموعة ثالثة من دول الملايو سمّتها بريطانيا (مستوطنات المصيق)، وتشمل: (بينانغ) و(مالاكا) و(ويلسي).

وأما بقية الولايات الملايوية وهي (جوهور) فقد عدت بريطانيا عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) معها معاهدة جديدة قبل بموجبها السلطان مستشاراً عاماً بريطانياً.

وفي شمالي جزيرة (بورنيو) كانت سلطنة (بروني) قوية، ولكن لم يشده القرن الحادي عشر الهجري حتى تقلصت سلطتها إذ أقام الهولنديون مراكز تجارية لهم على أرضها، ثم انصرفت هذه المراكز على (ساراواك) وأجزاء من (بورنيو الشمالية)، ومع ذلك فقد بقيت السلطنة قوية حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري. وكان سلطانها يشمل: أرض دولة (بروني) الحالية، و(بورنيو الشمالية) وبعض أراضي (ساراواك).

تدخل المغامر البريطاني (جيمس بروك) عام ١٢٥٩ هـ في خلاف نشب بين نائب السلطان في (بروني) والوزراء الملايويين وملاك الأراضي فكافأه السلطان على جهوده وإمكاناته في تهدئة الوضع بأن عبّنه حاكماً على (ساراواك) عام ١٢٦٩ هـ، ثم عين البريطانيون قنصلاً لديه. ثم تنازل سلطان بروني للبريطانيين عن مراكز لهم في شمال شرقي (بورنيو) نتيجة للأعمال التي قاموا بها. كما تنازل سلطان (صولو) عن مراكز أخرى لهم عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ م). ثم تأسست شركة (شمالي بورنيو) البريطانية عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م)، وأخيراً توكلد سلطان البريطانيين على الجزيرة كافة عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) عندما أصبحت (بورنيو الشمالية) و(بروني) و(ساراواك) مشمولة بالحماية البريطانية، وقسمت إلى أجزاء حسبما تقتضيه مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبة.

وهكذا عصمت ماليزيا للاستعمار البريطاني بسبب ضعف السلاطين، وتفرق كلمة المسلمين، وعدم وعيهم لأساليب المستعمرين الصليبيين، وقوة الأعداء المادية، وأخذت الحياة الإسلامية تتسحب تدريجياً من المجتمع أمام طغيان الجاهلية التي ملكت رصيداً قوياً من التفوق العسكري، والعلمي، والمادي، والتي أذلت المسلمين، وعملت على إضعافهم، فلم يستطع المسلمون الذين أنزلهم نفوق الجاهلية المادي أن يقفوا طويلاً أمام طوفانها فأخذت تتحكم في البلاد، وتشر الفساد، ويزداد أثرها يوماً بعد يوم مع انحصار الإسلام من المجتمع وتحكّم المادة، فانصرف أكثر الناس إلى تأمين المكاسب والأرباح، وقد يستمر هذا الوضع إن لم ينتشر الوعي، ويعرف الناس واقعهم الحقيقي وأساليب المستعمرين الصليبيين وأهدافهم التي يرمون إليها، ويحاول الأعداء أن تستمر هذه الحال لتبقى لهم السيطرة، ويبقى لهم النفوذ. ولكن سيؤول هذا - بإذن الله - بوعي المسلمين، وتمسكهم بعقيدتهم، وقد يعودون إلى ذلك بعد الخواء الفكري والتعب النفسي الذي بدأوا يحسون به بسبب بُعدهم عن الدين، فليست العادة كل شيء في الحياة، وقد بدأت تظهر بعض الحركات تُنقّس عن الكذب، ولكنها لا تلت أن تفشل بسبب ضعفها، وعدم الاستعداد الكافي مادياً ومعنوياً، وسبب تكالب الدنيا على المسلمين، من أصحاب الأنظمة الرضعية، وأصحاب الأهواء والشهوات، وأصحاب الأطماع، ومن المترلّفين والمتصفين، من أصحاب الأفكار والمبادئ الأخرى، ومعنى ينتمي إلى الإسلام، ولا يلتزم به، من الذين يجرون في فلك غيرهم من الدول الكبرى، ومن وضعت مكانها لثوّفي دورها محلّها، ويُغذّ مخططاتها، ويُعَدّق منهجها، وقد يُعلن مع ذلك عداوته لها، والحرب عليها، ويدعي صدق ادّعائه، وصحة اعتقاده، ودعوته لذلك.

الفصل الأول

ماليزيا من إلغاء
الخلافة حتى
الاستقلال

أُلغيت الخلافة بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) فزال الرابطة المعنوي الذي كان يجمع المسلمين، وانتهى آخر حيلة كان يسل بين الأوصار الإسلامية، فاتجه كل مصر نحو مشكلاته الخاصة يُحاول العمل على حلّها. وكانت بريطانيا قد فرضت سيطرتها التامة على الولايات الماليزية كلها سواء أكان ذلك في شبه جزيرة الملايو أم في جزيرة بورنيو، وبسطت حمايتها عليها، وجزّأتها بالشكل الذي يحلو لها وحسبما تقتضيه المصلحة الاستعمارية الصليبية. وقد كانت تلك الولايات مُقسّمة ومجتمعة على النحو الآتي:

١ - اتحاد يضمّ الولايات الأربع الآتية: بيرق، سالانغور، نغري سمبلان، باهانغ، وقد قام هذا الاتحاد منذ عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م). ولهذا الاتحاد حكومة مركزية، ويُشرف عليها مفيم بريطاني واحد.

٢ - اتحاد الملايو: ويضمّ الولايات الأربع الشمالية وهي: بيرليس، فنج، كيلانتون، ترينغانو، وقد قام هذا الاتحاد حسب معاهدة بانكوك عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)، وهي كل ولاية مستشار بريطاني، وتعدّ الولاية ذات سيادة، وتخضع لسلطانها. أما الجالية البريطانية فتتبع للمفوض السامي.

٣ - مستوطنات المصيق وتشمل: بيتانغ، مالاقا، ويسلي.

٤ - محمية جوهور: وقد قبل سلطانها بجانيه مستشاراً بريطانياً بعد عقد معاهدةٍ معه عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

٥ - محمية ساراواك: وتخضع للحماية البريطانية منذ عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

٦ - محمية بورنيو الشمالية: وتخضع للحماية البريطانية منذ عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

وأخذت بريطانيا تُطّق سياستها الاستعمارية الصليبية، فتضرب غير المسلمين من هندوس، وبوذيين، وهم ذو نسبةٍ كبيرةٍ سيّياً، وتقصي المسلمين عن أعمال الدولة، وتضع غيرهم مكابهم، وتستولي على أملاكهم، وتضغط عليهم، وتفسح المجال على نطاقٍ واسعٍ للإرساليات التبشيرية. وتقدّم لهذه الإرساليات كل ما تحتاج إليه، والمسلمون فقراء، ضعفاء، جهلة لا يستطيعون أن يقوموا بأي ردّ فعل، أو يقفوا في وجه أي قرابٍ أو مخطوط، فكانوا أقرب إلى الاستسلام، واستمر ذلك حتى الحرب العالمية الثانية.

الحرب العالمية الثانية:

دخلت اليابان الحرب إلى جانب دول المحور، واستطاعت القيام بحربٍ خاطفةٍ باحتلال جنوب شرقي آسيا، وكان من بين ما احتلته جزيرة بورنيو، وشبه جزيرة الملايو بعد حملةٍ دامت أكثر من شهرين من الزمن وذلك في ٢٠ ذي القعدة ١٣٦٠ هـ (٨ كانون الأول ١٩٤١ م)، كما استولت اليابان على سنغافورة معقل القوات البريطانية في المنطقة في ٢٩ محرم ١٣٦١ هـ (١٥ شباط ١٩٤٢ م). وقد قضى هذا الاحتلال الياباني على فكرة تفوق الرجل الأبيض التي حاول المستعمرون الصليبيون ترويحها بين سكان المناطق المستضعفة وقد قبلها أولئك الذين أصيبوا بالهزيمة النفسية.

كما حطّم هذا الاحتلال الضغط الذي كان الحكيم البريطاني الاستعماري الصليبي يُمارسه، وشعرت بريطانيا بالخزي أمام السكان إذ كانت تُهدّد المنطقة كلها بقوتها المزعومة، وادعائها الواسعة أمام الشعوب المغلوب على أمرها.

وضعت البلاد تحت الإدارة العسكرية اليابانية فعُتت هذه الإدارة رؤساء يابانيين لمختلف دوائر الدولة غير أن مهمتهم لم تكن أكثر من الإشراف، حيث كان الموظفون الملايويون يقومون بأعمال الإدارة المحلية الفعلية، وبهذا فقد تمرّس السكان على القيام بالإدارة، وبرهنوا على مقدرتهم في إشغال العراكر التي كان يشغلها البريطانيون من قبل، وشعروا بالثقة بالنفس، وأنهم لم يفتنوا عن الدخلاء الذي يجب طردهم، وأن ما كانوا يشعرون به لم يكن سوى ضعف، ونتيجة الدعاية والتصرف الاستعماري الذي قتل الروح المعنوية في نفوس السكان.

ولم يكن اليابانيون أرحم من غيرهم من المستعمرين، فالاستعمار هو الاستعمار، وعدوّه الأول هو الإسلام، ولا يختص بلوياً أو جنس، وإنما النفس البشرية قد جبلت على الغطرسة والبطرة إن وجدت في وضعٍ يُمكنها من ذلك، ولم يكن لديها رادع يردعها أو وازع يمتنعها، لذا كان الدين يُهدّب النفس البشرية، ويجعلها تشعر بشكلٍ مستمرٍ بمراقبة الله لها، حيث يطلع على ما تخفي وما تُعلن، وهذا ما يزرعه الإسلام في نفوس أبنائه، ولهذا حلت الفتوحات الإسلامية من أية صفةٍ انتزعت بها المستعمرون سواء أكانوا صليبيين كالأوربيين أم وثنيين كاليابانيين إذ أنهم جميعاً متسلطون مستبدون أعداء للإسلام، وإن كانت العداوة تختلف نسيباً بين استعماري واستعماري إذ أن بعضهم يحمل حقداً دفيناً، ويرمي إلى أهداف يريد تحقيقها، ويضع المخططات لتحقيق ذلك، وآخر يُعادي دون حقدٍ ومن غير مخططاتٍ عدائيةٍ.

وانتهت الحرب العالمية الثانية وغرقت اليابان مع دول المحور، واضطرت للاستسلام من المناطق التي دخلتها، ومن بينها دول الملايو، ورجعت إنكلترا إلى قواعدهما السابقة، ولتحل محل اليابانيين الذين غادروا المنطقة.

عودة بريطانيا:

عادت بريطانيا إلى الملايو بعد هزيمة اليابان، ومع أنها تحمل الخزي حيث لم تستطع الدفاع عن مستعمراتها رغم أنها كانت تتحجج بالقوة أمام الشعوب المستضعفة، وعادت كذلك متكبرة فإنها قد انصرفت مع حلفائها على أعدائها، ومنهم اليابانيون الذي احتلوا بلاد الملايو، ولكني تخلف من ذلك ما لحقها من عار الخروج والهرب من المنطقة أمام اليابانيين جاءت تعرض قيام وحدة ملايو مركزية محل النظام الذي كان سائداً قبل الحرب والذي كان يتألف من دول اتحادية كاتحاد دول الشمال، واتحاد الملايو، ومن دول غير اتحادية كمحمية جوهور، وكان من المفروض وحسب هذا المشروع فإن مالاقا، وبينانغ، وويلسلي أي مستوطنات المضيق وبقية المحميات يجب أن تكون ضمن هذا الاتحاد، ولكن بريطانيا لم تفعل ذلك، إذ فصلت بالاتحاد فقط دول اتحاد الشمال (بيروق، سالانجور، نغري سميلان، باهانغ)، ودول اتحاد الملايو (بيرليس، قنح، كيلانتون، تريهانو)، ومحمية جوهور.

أما مستوطنات المضيق فقد عدتها أرضاً بريطانية، مع الوعد بإجراء انتخابات من سمحت الأوضاع، وكانت الظروف مواتية، وهذا اصطلاح مرن يحتاج إلى تدبير غير محدود.

وأما سنغافورة فقد أصبحت مستعمرة منفصلة بحجة وجود المخازن والمستودعات القائمة فيها، وسبب اقتصادها الخاص الذي يعد حراً.

وأما ساراواك فقد رجع حاكمها إليها، واستأنف حكمه فيها بعد زوال الاحتلال الياباني، وقد قبل أن تدخل محمية السابقة تحت سلطان التجار البريطانيين، وهكذا تحولت ساراواك إلى مستعمرة بعد أن كانت محمية، بعد أن وافق مجلس المحمية على ذلك.

وفي الوقت نفسه حوّلت بورنيو الشمالية إلى مستعمرة بعد انتهاء حكم الإدارة العسكرية البريطانية. وبما اقتصر مشروع الاتحاد على دول شبه جزيرة الملايو دون الجزر المحيطة بها مثل بينانغ، وسنغافورة، ودون المواقع ذات الأهمية الخاصة مثل مالاقا.

في ٢٦ رمضان ١٣٦٤ هـ (٣ أيلول ١٩٤٥ م) أصطت الخسارة البريطانية موافقتها على سياسة اتحاد الملايو بعد عودتها إليها بعد الحرب، كما وافقت على إرسال بعثة (ماك ميشيل).

وفي ١٧ محرم ١٣٦٥ هـ (٢١ كانون الأول ١٩٤٥ م) أذعن كل السلاطين للشروط الجديدة التي فرضتها عليهم بريطانيا، وإن كان بعضهم قد أبدى بعض التحفظات غير أنهم كانوا راغبين بإظهار الإعلاء التام للبريطانيين. والغيت كل المعاهدات التي كانت عبر السنوات التي مضت، والتي كان فيها البريطانيون يعترفون بها بحقوق السلاطين، وأصبح الآن دور البريطانيين فقط مساعدة السلاطين لحكم بلادهم، وإن كان الواقع يشير إلى تلقي التوجيه، وطلب تنفيذ ما تراه الدولة التي كانت صاحبة السيادة، وتعد نفسها أنها هي التي منّكت لهم، وسلمتهم المناصب التي يشغلونها الآن، وربما كانوا يقرّون بذلك ويعترفون.

ولكن مشروع الاتحاد هذا لم يوضع موضع التنفيذ نتيجة المقاومة العنيفة التي أبدتها السكان عنده، حيث لم يُوافقوا على الاقتراح أبداً، وخاصة ما نعت من على نقل السلطة من الحكام الملايوين، كما عاث أهل الملايو من موضوع الجنسية إذ عثوا أن يُعطي الصينيون اللادون إلى البلاد جنسية البلاد، وتصح لهم السيطرة حيث كانت بريطانيا تنوي هذا لإضعاف شأن المسلمين ونسبتهم، ونتيجة تلك المقاومة فقد سحب مشروع الاتحاد المقترح واستبدل بأخر.

فُصّل المشروع البديل الذي طُرح عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) أن تتمتع الدول والمقاطعات الملايوية المشار إليها بالمشروع السابق بشخصيتها ضمن اتحاد يُديره حكومة قوية، وبقي الحكام يستمرون بسلطتهم ضمن الاتحاد المزمع قيامه، وأخذت وسائل التنفيذ طريقها.

وضع دستور جديد للملايو عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) حيث حُوّلت أكثر مسؤوليات الحكومة الاتحادية إلى المجلس التمثيلي للشعب، وجرت الانتخابات العامة ففاز حزب التحالف برئاسة تنكو عبدالرحمن حيث حصل على ٥١ مقعداً من أصل ٥٢ مقعداً.

وفي النصف الثاني من عام ١٣٧٥ هـ عقد اجتماع في لندن كان الهدف من دراسة الطرق المؤدية لقيام حكومة محلية. ونتيجة الاجتماع تمّ التوقيع على اتفاق مُنح بموجب اتحاد الملايو حقّ تأليف حكومة وطنية، وضرورة اتخاذ الترتيبات للوصول إلى الاستقلال قبل نهاية شهر محرم ١٣٧٧ هـ (أخر آب ١٩٥٧ م).

وافق المجلس التشريعي على مشروع الدستور الذي وُضع بعد التشاور بين الحكومة المحلية مُمثلةً لأحزابها وبين الحكومة البريطانية. ووقع الاتفاق لقيام اتحاد الملايو من قبل حكام الولايات، ونياً عن ملكة بريطانيا وذلك في محرم ١٣٧٧ هـ (أب ١٩٥٧ م). وفي نهاية الشهر أعلن



مصدر رقم [١]

استقلال البلاد ٥ صفر ١٣٧٧ هـ (٣١ آب ١٩٥٧ م) وكان دستور الدولة الجديد واحداً، إذ أصبح الاتحاد مملكةً دستوريةً، وملكها هو «بانك دي بارنوان»، وقد انتخب من قبل حكام الولايات لمدة خمس سنوات، وأصبح الإسلام ديناً للدولة، وقيل عضواً في الأمم المتحدة في صفر ١٣٧٧ هـ (أيلول ١٩٥٧ م).

وفي شكل الحكم اتحادياً مع تشريع ازفواجي، وأصبحت الملايو ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

أما شمالي جزيرة بورنيو فبعد مدة قصيرة من الحكم العسكري البريطاني الذي جاء عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعودة البريطانيين إلى المنطقة إثر هزيمة اليابان، واتساعها من المناطق التي سبق لها أن احتلتها أصبحت مقاطعة شمالي بورنيو وجزيرة لاسوان مستعمرة يحكمها بريطاني يُساعده مجلس استشاري، واستمر ذلك حتى عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) حيث وضع دستور، وانتهى المجلس الاستشاري، وأقيم مجلس تشريعي، وآخر تنفيذي. وكان الحاكم البريطاني يحكم المستعمرة بمساعدة المجلس التنفيذي الذي يُسمى (المجلس الأعلى)، والمجلس التشريعي الذي يُعرف باسم (مجلس الولاية).

وأما مقاطعة ساراواك فقد أصبحت مستعمرة عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) عندما تنازل الحاكم عن سلطته على الولاية إلى التاج البريطاني.

وكذلك فإن سنغافورة قد أصبحت مستعمرة عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) حتى عام ١٣٧٧ هـ حيث وضع دستور ينص على قيام حكومة محلية ذات استقلال ذاتي مع إبقاء مسؤوليات الدفاع والسياسة الخارجية من مهمات الحكومة البريطانية، وأجريت انتخابات على أساس هذا الدستور

عام ١٣٧٩ هـ، وهي أول انتخابات جرت في سنغافورة، وسلا تكون سنغافورة قد حصلت على الاستقلال الذاتي.

حكم الطواريء:

بدأ الإرهاب الشيوعي بشن حملة من الغارات على المؤسسات الاقتصادية، وقتل الناس، في سبيل نشر الدرع، وشل حركة البناء الاقتصادي في البلاد، فأعلنت الحكومة حالة الطواريء، وفرضت الأحكام العرفية، واستمر ذلك مدة اثني عشرة سنة، وقامت الحكومة للاحق الشيوعيين، وتكافح وسائلهم حتى تمكنت من القضاء على الإرهاب في ٧ صفر ١٣٨٠ هـ (٣١ تموز ١٩٦٠ م)، وعندئذ رفعت حالة الطواريء.

شمالي بورنيو:

أخذت نسبة الأعضاء غير الموظفين الرسميين تزداد في المجلس التشريعي والتنفيذي لولاية شمالي بورنيو حتى غلبوا الأغلبية، وأجريت الانتخابات لأعضاء السلطة التشريعية للدولة في شهر ذي القعدة ١٣٨٢ هـ (نيسان ١٩٦٣ م).

وفي شهر ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (أب ١٩٦٣ م) وقبل أن تنضم إلى اتحاد ماليزيا تشكلت حكومة برئاسة رئيس للوزراء عوضاً عن الحاكم البريطاني. كما أن السلطة التشريعية كان غالبية أعضائها قد وصلوا إلى منصبهم بطريق الانتخاب، وهكذا وصلت إلى مرحلة الحكم الذاتي.

ساراواك:

وضع دستور جديد لولاية ساراواك في مطلع عام ١٣٧٦ هـ (أب ١٩٥٦ م)، وتم بموجبه انتخاب الأعضاء بالأغلبية، وبعد ثلاثة أعوام أصبح

أعضاء الأقسام والمجالس الاستشارية يقومون باختيار أعضاء مجلس الولاية فيما بينهم.

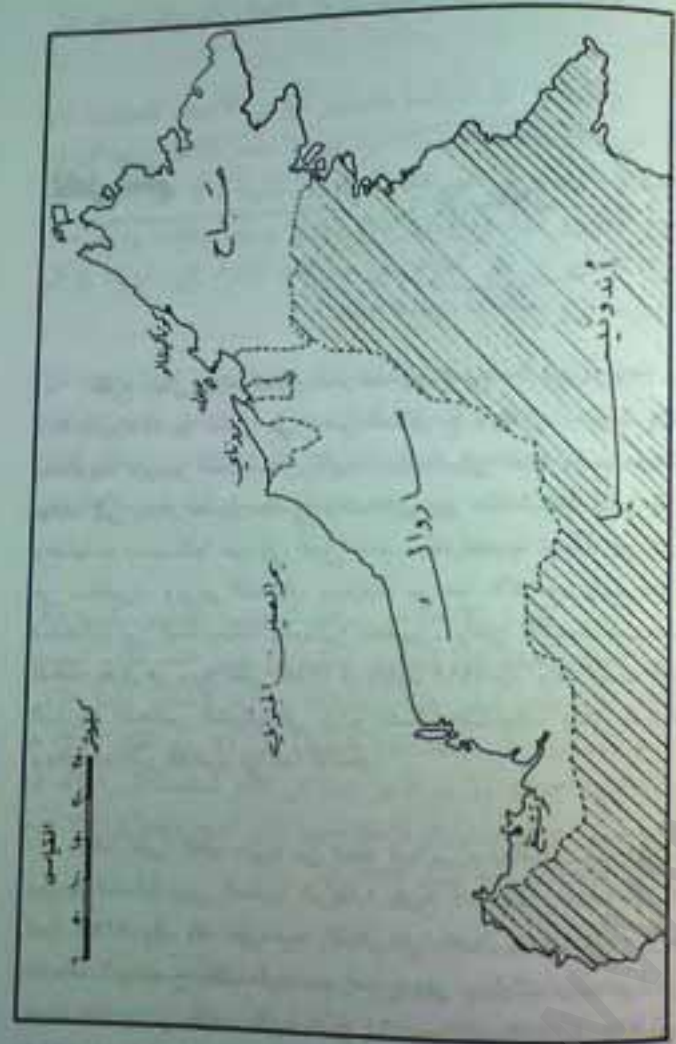
وفي شهر شوال ١٣٨٢ هـ (أذار ١٩٦٣ م) قام مجلس الولاية بتعديل الدستور من أجل تحقيق الحكم الذاتي الشامل.

وأجريت الانتخابات في ٢٥ ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (١٥ آب ١٩٦٣ م)، ونجح حزب التحالف المؤيد لإقامة دولة اتحاد ماليزيا، وكان نجاحه كبيراً.

وهكذا أصبح اتحاد الملايو مستقلاً، وتمتدح كل من سنغافورة، وشمال بورنيو، وسارواوك بالاستقلال الذاتي، وأصبح من الممكن طرح فكرة الاتحاد الماليزي العام.

وأظهرت بريطانيا أنها لا ترضى عن قيام أحزاب طائفية، وسمعت الإسلامية - حسب مصطلحها - ولا عن قيام أحزاب اشتراكية ما دامت تنظر إلى أمة ملايوية واحدة.

مصدر رقم [٢٧]



ولكن ستغافورة عادت فانسحبت من الاتحاد، ولم يفتض عامان على قيامه.

وكانت كل من أندونيسيا والفلبين تُعارض الاتحاد، فاندونيسيا ترى أن جزيرة بورنيو كلها أندونيسية، ولذا فهي لا تسمح بأن تسترح منها أجزاءها الشمالية، وتُمنع في حَسْم تلك الأجزاء إلى ماليزيا أو أية دولة أخرى، وأما دولة الفلبين فلها أطماع في شمالي جزيرة بورنيو، وخاصة بروناي حيث يتوفر النفط. لذا فهي تعارض في حَسْم تلك الأجزاء إلى ماليزيا، أو إلى أندونيسيا، أو استقلالها وإبعادها عنها.

وبعد اجتماعات متكررة أعلنت أندونيسيا والفلبين أنهما توافقتان على قيام اتحاد ماليزيا فيما إذا وافق شعبا صباح وساراواك على قيامه، حيث لا تعارضان رغبات الشعوب، ولكن نشترطان على الإبقاء على الحكم الذاتي فيهما، إذ تأمل كلتاها بقرض عقد الاتحاد بعد مدية أو ترغبان بالإبقاء على جزء من الأمل للمستقبل.

وحتى يحصل الاتحاد على موافقة أندونيسيا والفلبين بقيامه وافق على تحقيق رغبات كلتا الدولتين، وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة التأكد من رغبات شعبي صباح وساراواك في قيام الاتحاد، وحصل الأمين العام المسؤولية على عاتقه، وقام بالمهمة، وفي ٢٤ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٣ أيلول ١٩٦٣ م) رفع الأمين العام إلى الأمم المتحدة تقريراً يؤكد فيه دعم شعبي صباح وساراواك لاتحاد ماليزيا الذي أصبح واقعياً في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٣ م).

ولكن أندونيسيا بالواقع لم ترض عن قيام اتحاد ماليزيا، ولقد أعلن أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا آنذاك عن مجاهدة ماليزيا، وتدخلت الأمم المتحدة في ذلك، وشكّل سوكارنو فرقة شبه عسكرية لسطح ماليزيا، غير أن هذه الفرق قد استغلتها العناصر الشيوعية في تدميرها

الفصل الثاني

الاستقلال

اقترح رئيس وزراء الملايو نانكو عبدالرحمن في ١٠ شوال ١٣٨٠ هـ (٢٧ آذار ١٩٦١ م) العمل على توصل الملايو مع بريطانيا، وشعوب بلاد ستغافورة، وبورنيو الشمالية، وبروناي، وساراواك إلى اتفاقٍ لوضع مخططٍ يهدف إلى إيجاد تعاونٍ سياسي واقتصادي بين هذه البلدان يُؤدّي إلى وحدتها ما دامت كلها تعود إلى أصل واحد. ولقد تجالوب الزعماء في كل من ستغافورة، وبورنيو الشمالية، وساراواك مع هذا الاقتراح، وتبع ذلك محادثات بين الحكومات والممثلين الشعبيين، وأعلن الاتحاد بموجب استفتاء جرى في ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ (أيلول ١٩٦٢ م)، ولقد آيدت هذا المشروع المجالس التشريعية في بورنيو الشمالية وساراواك، ولكن حكومة بروناي لم تُقرّر الدخول في هذا الاتحاد.

عقد أخيراً اتفاق ماليزيا بين اتحاد الملايو، وستغافورة، وساراواك، وبورنيو الشمالية وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، ولقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في بورنيو الشمالية التي أصبح يُطلق عليها اسم (صباح) وفي ساراواك، وستغافورة من يد البريطانيين إلى حكومة ماليزيا بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م)، كما وُضِع الاتفاق العلاقات بين ستغافورة والاتحاد الجديد.

وتسليمها، وأسرت في إعلان ثورتها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، ولكن هذه الثورة قد فشلت، ونُهي سوكارنو إثرها عن الحكم حيث اتهم بدعم تلك الثورة، وبعد سقوط سوكارنو ألغيت فكرة المجابهة، وحدث الاتفاق بين ماليزيا وأندونيسيا، وعادت أندونيسيا للأمم المتحدة، وكانت قد تركتها بسبب انتخاب ماليزيا عضواً في مجلس الأمن.

لم تكن حكومة الملايو تخشى انضمام سنغافورة إليها خوفاً من طغيان العنصر الصيني الموجود في سنغافورة إضافة إلى ما هو موجود في الملايو، ولا من سيطرة الشيوعية إذ أن الأمن كان لا يزال من مهمة بريطانيا، ولكن تانكو عبدالرحمن رئيس الحكومة الملايوية كان يتوقع أن استقلال سنغافورة إذا تم فسيطر عليها الشيوعيون، واستخذ قاعدة للهجوم على الملايو، لذا فأنفضل حل هو دمجها مع الاتحاد الملايوي.

وكانت حكومة الملايو ترى من وجهة نظر ثانية أن انضمام شمالي جزيرة بورنيو (صباح، ساراواك، بروناي) سيعيد توازن العنصر العرقي بسبب العنصر الملايوي هناك.

وفي رمضان ١٣٨١ هـ (أوائل عام ١٩٦٢ م) صوتت الفلبين ضد اتحاد ماليزيا، إذ كان رئيس الفلبين (ماكابغال) يعدّ شمالي جزيرة بورنيو جزءاً من الفلبين، ويذعي أن ذلك الجزء كان عام (١٨٧٨ م) يتبع جزر صولو التي هي جزء من الفلبين، وأن انفصال شمالي بورنيو عن صولو إنما كان على صورة استئجار لا على أساس بيع، وكانت الشركة البريطانية تدفع دفعاتٍ نظاميةً سنويةً.

وفي شهري صفر ورجب الأول ١٣٨٢ هـ (تموز وأب ١٩٦٢ م) جرت لقاءات بين رؤساء أندونيسيا والملايو والفلبين في مانिला من أجل الوصول إلى صيغة من التسوية، ولكن من غير فائدة.

وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٣ م) أعلن الاتحاد الماليزي، وقطعت كل من أندونيسيا والفلبين علاقتها مع دولة الاتحاد التي نشأت، وجرت اشتباكات وغارات على الحدود في بورنيو.

وفي أوائل عام ١٣٨٥ هـ (أواسط عام ١٩٦٥ م) انتخب (ماركوس) رئيساً للفلبين، وسقط (ماكابغال) وتبدلت السياسة العامة، وتحسنت العلاقات مع ماليزيا بعد جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ (أيلول ١٩٦٥ م) وفي شهر صفر ١٣٨٦ هـ (حزيران ١٩٦٦ م) اعترفت الفلبين باتحاد ماليزيا، وفي ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ (أب ١٩٦٦ م) وقعت اتفاقية سلام بين الطرفين.

سنغافورة:

كان حزب العمل الشعبي هو صاحب النفوذ في سنغافورة، وكان رئيسه المحامي (لي كوان يو)، وفي الانتخابات التي جرت هناك عام (١٩٦٣ م) حصل الحزب على سبعة وثلاثين مقعداً من أصل واحد وخمسين مقعداً في المجلس التشريعي السنغافوري.

وحصل خلاف بين هذا الحزب وبين حزب التحالف الملايوي في انتخابات شبه جزيرة الملايو، وقد نجح حزب التحالف، وحصل على تسعة وثمانين مقعداً من أصل مائة وتسعة وخمسين مقعداً في المجلس التشريعي في شبه جزيرة الملايو.

وجرت محاولة للتفاهم بين الحزبين في جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ (أيلول ١٩٦٤ م) ولكن من غير فائدة، فقرر بعدد حزب العمل الشعبي مخاصمة حزب التحالف أي الحكومة الماليزية. وشكل حزب العمل الشعبي حلفاً ضم عدداً من أحزاب المعارضة، وكان أكثر هذه الترتيبات من العنصر الصيني، وهذا ما جعل الصراع عرقياً، ودرات ماليزيا أن انسحاب سنغافورة من الاتحاد إنما هو في مصلحتهم.

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ (٩ آب ١٩٦٥ م) استطاع ممثلو
البيت الماليزي (ديوان راجات) إقرار لائحة تعديل دستوري يمكن فيها
لستغاورة الانسحاب من الحزب.

شعالي جزيرة بورنيو:

منح حزب التحالف الملايوي مدة أطول لمقاطعات شعالي بورنيو
لتتمشى مع سياسة الملايو، ومنح قطعتين من الأرض لإمارة بروناي تشجيعاً
لدخولها في الاتحاد، ووعد قاداتها بإعطائهم حكماً ذاتياً أكثر مرونة من
صلاحياتهم.

خشي رئيس وزراء الاتحاد تانكو عبدالرحمن من عمل رئيس وزراء
ولاية صباح على الانفصال وهو (دونالد ستيفنز) فأبعده عن منصبه وعيّن
مكانه داتو مصطفي.

وكان رئيس وزراء ولاية ساراواك (ستيفن كالونغ) يعدّ مجموعة
(الأبان) من أكبر المجموعات في الاتحاد، لذا عزّل، وعيّن مكانه (أبان)
تاوي سلمي) الذي يخضع لرأي كوالالمبور بصورة أفضل.

اتحاد دول جنوب شرقي آسيا:

تمّ تشكيل اتحاد دول جنوب شرقي آسيا في جمادى الأولى ١٣٨٧ هـ
(أب ١٩٦٧ م)، وقد ضمّ كلاً من: أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة،
الفلبين، تايلاند، ومن أهدافه المدونة تعضيد التعاون بين دول هذه
المنطقة من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي.

الدستور:

ماليزيا اتحاد يتألف من دول الملايو التسع: جوهور، قلمح،
كيلانتون، ترينغانو، بيرو، باهانغ، نيري سمبلان، سلاتشور، بيرليس،

ومن المحميات البريطانية السابقة: سالاوا، بينانغ، ومن المستعمرات
البريطانية السابقة: صباح، ساراواك.

وعلى الرغم من أن دستاير هذه الدول الأعضاء في الاتحاد تختلف
بعضها عن بعض في بعض التفاصيل، فإن أسسها واحدة، وهي
المحافظة على نظام الحكم الملكي الذي يعتمد على الحياة النيابية،
ويتخبّ الرئيس الأعلى لماليزيا، وهو الملك، من قبل مجلس الحكام لمدة
خمس سنوات.

ويتألف المجلس النيابي الاتحادي لماليزيا من مجلسين: مجلس
الشيخ، ومجلس الممثلين.

يتألف مجلس الشيخ من ٦٨ عضواً منهم ٢٦ عضواً منتخباً، عشرين
عن كل دولة عضو في الاتحاد، ومن ٤٢ عضواً معينين من قبل الملك.

أما المجلس التمثيلي فيتألف من ١١٤ عضواً من دول اتحاد الملايو
الإحدى عشرة، نصفها ينتخب من قبل الشعب، والآخر يُعيّن الملك، ومن
٢٤ عضواً من ساراواك، و١٦ عضواً من صباح، وبذا يكون مجموع أعضاء
المجلس التمثيلي ١٥٤ عضواً^(١).

ويُعيّن الملك رئيس مجلس الوزراء الذي يختار الوزراء الذين يجب
أن يكونوا أعضاء في المجلس التمثيلي، ويوافق عليهم الملك.
ويكون رئيس الوزراء هو الرئيس التنفيذي للحكومة الاتحادية. وقد

(١) ثم عدّل هذا، وأصبح يتألف من ١٣٢ عضواً من شبه جزيرة الملايو، و٢٤ عضواً
من ساراواك و٢١ عضواً من صباح، يكون العدد الكلي هو ١٧٧ عضواً، وفي
الانتخابات القادمة سترفع هذه أعضاء ممثلي ساراواك إلى ٢٧ عضواً ليكون العدد
الإجمالي هو ١٨٠ ممثلاً.

اختير أول رئيس للوزراء تانكو عبدالرحمن، أما الملك الأول فكان الياق
دي برتوان الفونغ، وهو ابن سيد حسن جمال الليل.

وتَمَّ الانتخابات كل خمس سنوات، وتجري من الاستقلال إلى الآن
بشكلٍ رتيب. والسلطة بيد تحالفٍ يشمل معظم الأحزاب في البلاد باستثناء
الحزب الإسلامي وحزب العمل الديمقراطي.

الاضطرابات:

بعد الانتخابات الثالثة التي جرت منذ الاستقلال أي عام ١٣٨٩ هـ
(١٩٦٩ م) حدثت اضطرابات عنصرية داخلية، واضطرت الحكومة إلى
إعلان حالة الطوارئ، وتشكيل مجلس وطني للعمليات لإدارة البلاد،
وللسيطرة على الأوضاع. وقد عُرفت تلك الاضطرابات بحوادث (١٣ أيار).
وتنازل إثرها تانكو عبدالرحمن عن رئاسة الوزارة، كما ضمَّ إليه حزب
التحالف بعض عناصر المعارضة، وعرف بعد ذلك باسم الجبهة الوطنية،
ولا تزال هي الحزب الحاكم إلى اليوم.

وبعد عامٍ عادت المشاجبات الداخلية العرقية التي نشأت عن رفض
ماليزيا لسيطرة العنصر الصيني على اقتصادها، ورفضها نتائج الانتخابات
التي تُؤيد ذلك العنصر، مما عَجَل باستقالة تانكو عبدالرحمن من رئاسة
وزراء الملايو، ثم من رئاسة وزراء الاتحاد.

تون عبدالرزاق:

خلف تانكو عبدالرحمن، وامتص نفقة المعارضة، وجذبها إلى حزب
التحالف، فشكّل الجبهة الوطنية من عشرة أحزاب، وتوفي في ١٣ محرم
١٣٩٦ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٦ م).

حسين بن عون بن جعفر:

خلف تون عبدالرزاق في رئاسة الوزارة. وكان الأمن في ماليزيا
مُهَيِّدًا دائمًا من قبل الحركة الشيوعية، واستناد المسؤولين أيضاً من هذا
التهديد، فكل خصم لهم اتهموه بالشيوعية، وقتلوه تحت هذا العنوان،
وأبعدوا عنه الأتباع تحت هذا شعار، وأشاع المستعمرون الصليون عن
المسلمين أنهم من الشيوعيين، ووضعوا حركاتهم تحت هذا الصنف.

كان المسلمون في فطاني، وهي المنطقة الملايوية التي تقع في قبضة
الاستعمار التايلندي البوذي، يشدرون على مستعمرهم، ويتلقون بعض
المساعدات من إخوانهم الماليزيين، وإذا ما اشتدَّ الضغط عليهم لجؤوا إلى
أراضي ماليزيا أيضاً، وخاصةً إلى ولاية كيلانتون التي تجاور أرضها ديارهم،
والحزب الإسلامي هو القوي فيها، وهو الحاكم في هذه الولاية، ومن
هنا كان الدعم، وكانت المساعدات، ومن هنا أيضاً كانت الاتهامات،
وكانت النفقة. ومن سوء حظ الشعب المسلم في فطاني أن شرقةً صغيرةً
من الحزب الشيوعي الملايوي الصيني قد لجأت إلى الغابات على الحدود
بين فطاني وماليزيا، ليستغلل بمظلة المجاهدين المسلمين في فطاني.
وكانت الحكومة الماليزية تطالب حكومة تايلند بإلقاء القبض على المتصدين
الشيوعيين، فتقوم السلطات التايلندية بمطاردة ورحق المجاهدين المسلمين
باسم ملاحقة الشيوعيين. وبدأت أعمال المجاهدين منذ عام ١٣٨٩ هـ
(١٩٦٩ م)، وكان المجاهدون الفطانيون يتهمون رئيس وزراء ماليزيا تانكو
عبدالرحمن بمحاولة التايلنديين لأن أمه منهم، وعندما انتهى سلطانه، وجاء
تون عبدالرزاق توَسَّموا به خيراً، إلا أنهم صدموا عندما أعلن أنه سيقمع كل
حركةٍ يقوم بها المجاهدون في تايلند بكل شدةٍ وعنفٍ.

ولما كانت حكومة ماليزيا غير قادرة على وقف عمليات الإرهاب
الشيوعي لذا لجأت إلى التعاون مع حكومة تايلند، وهذا ما خفَّف تدريجياً

من نشاط المجاهدين في تايلند، والمتمردين الشيوعيين في ماليزيا وخارجها
في مناطق الحدود المشتركة بينهما.

وفي عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) صدر عفوعام من قبل حكومة تايلند عن
كل متمردى الحزب الشيوعي الملايو الذين استسلموا للسلطات، وفي
جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) وبعد عام من المفاوضات
مع حكومة تايلند وافق ١١٨٨ عضواً من أعضاء الحزب الشيوعي الملايو
الباقين على إيقاف كل عمليات الإرهاب، وأدت معاهدة السلام التي وقعتها
زعيم الحزب الشيوعي المعارض وممثلون عن حكومتي ماليزيا وتايلند إلى
عودة المتمردين الشيوعيين إلى ماليزيا، واشتركهم في النشاطات السياسية
بصورة شرعية.

ولكن الأمر سهل بالنسبة إلى الشيوعيين حيث يمكن التفاهم، ويمكن
التعاون، ويمكن اللقاء على كل العوائد، أما الأمر الذي لا يمكن السمكوت
عنه، ولا يمكن التساهل عنه فهم المسلمون حيث الأحقاد منعت عليهم،
والنقمة قائمة ولا يجلسون على مائدة، وقد عملت تايلند على سحقهم من
طرفها. وفي ماليزيا طرد الوزير الأول في ولاية كيلانتون من منصبه، وهو
من الحزب الإسلامي الملايو (P.M.I.P.) وذلك في شهر ذي القعدة
١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م)، وأتى ذلك إلى قيام اضطرابات أعلنت في
إثرها حالة الطوارئ من قبل الحكومة المركزية، ثم طرد الحزب الإسلامي
من الجبهة الوطنية في مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الأول ١٩٧٧ م).

وأثناء الانتخابات الاتحادية عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) قام حسين
عون رئيس الوزراء بإصلاحات في وضع الجبهة الوطنية إلا أن الحزب
الإسلامي بقي يُعاني من إهمال حاد، وعدم اعتبار.

ورفضت الحكومة الاتحادية في هذا العام إقامة جامعة صينية قعادت
الخلاقات العنصرية نظهر من جديد.

سري محاذير محمد:

كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء الاتحادي منذ عام ١٣٩٦ هـ
(١٩٧٦ م)، وفي شهر رمضان من عام ١٤٠١ هـ (تموز ١٩٨١ م) أصبح
رئيساً للوزراء خلفاً لحسين عون.

جرت الانتخابات النيابية في جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ (نيسان
١٩٨٢ م) وفازت الجبهة الوطنية بأكثر الأصوات في الولايات كلها مما زاد
من قوتها السياسية، غير أن الحكومة قد أصبحت في وضع حرج في العام
التالي إذ تورط بعض الوزراء في فضائح مصرفية مخزية، وكان مصرف
بيموترا (Pumputra) وهو من أكبر مصارف ماليزيا ظهر أنه قد أعطى
قرضاً كبيراً بطريقة غير مشروعة لإحدى شركات (هونغ كونغ).

وأعيد انتخاب الدكتور سري محاذير محمد رئيساً للوزراء دون منافس
في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م).

وفي انتخابات ولاية صباح التي جرت في رجب ١٤٠٥ هـ (نيسان
١٩٨٥ م) حصل حزب صباح الاتحادي (P.B.S) على أكثر من نصف
الأصوات، وبهذا أصبحت ولاية صباح هي الولاية الوحيدة التي لا تحكمها
الجبهة الوطنية، واعترض المسلمون على شرعية حكومة حزب صباح
الاتحادي مما أدى إلى الدعوة إلى انتخابات جديدة في جمادى الآخرة
١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) ففاز الحزب الحاكم بأغلبية الأصوات أيضاً.
وفي ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) وافقت الجبهة الوطنية
على ضمّ حزب صباح الاتحادي إلى وحدتها الحاكمة. كما ضمت أيضاً
المنظمة الوطنية لاتحاد صباح والتي كانت قد أخرجت من الجبهة قبل
عامين.

الخلاف في الحكومة:

اعتزت الحكومة الاتحادية برئاسة سري محاذير محمد وكذلك

المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو وذلك نتيجة استقالة نائب رئيس الوزارة موسى هيتام من منصبه بسبب خلافات جارية مع رئيس الوزراء. وعلى الرغم من أن موسى هيتام قد عاد إلى منصبه إلا أن مؤيديه قد زادوا من استقاداتهم لرئيس الوزراء مما وسع الفجوة بين الفريقين.

وفي الانتخابات العامة التي جرت في ذي الحجة عام ١٤٠٦ هـ (أب ١٩٨٦ م) قبل موعدها الرسمي بسبعة شهور حازت الجبهة الوطنية على ١٤٨ مقعداً من أصل ١٧٧ مقعداً. حصلت منها المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو على ٨٣ مقعداً، والمنظمة الصينية الملايوية على ١٧ مقعداً، وأما حزب الحركة الديمقراطية، وهو من الأحزاب المعارضة فقد حصل على ٢٤ مقعداً. وفي انتخابات الولايات التي جرت في الوقت نفسه بقيت سلطة الجبهة الوطنية على الولايات كلها، وبعد الانتخابات العامة أبعاد كل الوزراء الذين دعموا موسى هيتام.

وفي انتخابات المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو واجه رئيس الوزراء محاذير محمد تحدياً شديداً من تانكو رازالي حمزة وزير التجارة والصناعة، ورغم ذلك فقد تمّ انتخاب محاذير محمد رئيساً للمنظمة للمرة الثالثة، وبهذا بقي في منصبه رئيساً للجبهة الوطنية وبالتالي رئيساً للوزراء، وإن كانت شعبيته قد ضعفت، وكذلك انتخب عبدالغفار بابا نائباً لرئيس المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو، المنصب الذي كان يشغله موسى هيتام. وبعد مدة أعلن رئيس وزراء الحكومة الاتحادية الدكتور محاذير محمد استقالة رازالي حمزة ووزير الخارجية ريس ياتم، وعدد من الوزراء الذين دعموا رازالي حمزة.

استمرّ النقد ضدّ سلطة محاذير محمد موجهاً من المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو نفسها، ومن مجموعاتٍ سياسيةٍ أخرى، وفي الوقت نفسه برزت من جديد العنصيات العنصرية، واشتدّ الخلاف حول تدريس اللغة الصينية، والدين. وحدثت انقسامات في الجبهة الوطنية (الحزب الحاكم)، وتشكل في ولاية ساراواك حزب سياسي مستقلّ في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار

١٩٨٧ م)، إلا أن سلطة الجبهة الوطنية ما لبثت أن عادت ثانية إلى السلطة في الانتخابات التي جرت في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م)، ولكن بعدد أقلّ من الأصوات.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) حجرت الحكومة أكثر من مائة وستة أشخاص، ووضعوا تحت الرقابة لمنع عمليات الشعب والعنف بين الملايويين والصينيين بسبب بعض الخلافات الدينية. ويتمي المحتجزون إلى الأحزاب السياسية جميعها تقريباً، ومنهم زعيم المعارضة (ليم كيت سيانغ) هذا بالإضافة إلى عددٍ من المحامين والصحفيين، ومُعظمت ثلاث صحفٍ، ومُنعت التجمّعات السياسية.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) صدر قانون يقضي بإزالة أشدّ العقوبات على الناشرين والصحفيين الذين يتشرون أخباراً كاذبة، وصدر قانون آخر أعطى وزير الإعلام الصلاحية في مراقبة البثّ الإذاعي والتلفزيوني، وصلاحية سحب رخصة أي شركة بث لا تلتزم بالقيم الماليزية - حسب تسمية القرار - وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) أطلق سراح جميع المحتجزين باستثناء (ليم كيت سيانغ) زعيم المعارضة، وابنه فقد بقياً حتى رمضان ١٤٠٩ هـ (نهاية نيسان ١٩٨٩ م).

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) توصلت المحكمة العليا إلى أن انتخابات المنظمة لاتحاد الملايو التي جرت عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) لم تكن شرعية، ولهذا أعلنت المحكمة أن هذه المنظمة غير قانونية لأن ما حدث لم يكن انتخاباً أهدأ، فأعلن رئيس المنظمة محاذير محمد، رئيس الوزارة الاتحادية، أن قرار المحكمة العليا لم يكن ليؤثّر على شرعية الحكومة، ولا على رئيسها، وأيدّه في ذلك تانكو محمود اسكندر. وأعلن محاذير محمد عن تشكيل منظمةٍ جديدةٍ لاتحاد الملايو، عُرفت باسم (u.m.n.o. Brau). وقال: إن على أعضاء المنظمة القديمة أن يُعيدوا

تصانهم فيما إذا أرادوا الانضمام إلى المنظمة الجديدة. ثم أعلن أن
رازالي حمزة ومؤيديه ليسوا أعضاء في المنظمة الجديدة، وبعد المقابلة
نقلت كل موجودات المنظمة القديمة وأثاثها إلى المنظمة الجديدة.

وفي رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) احتدم الخلاف بين السلطة
التنفيذية والسلطة القضائية بسبب موافقة المجلس النيابي على الحدّ من
صلاحيات السلطة القضائية والحيلولة دون إصدار قوانين من نفسها، ولهذا كتب
رئيس المحكمة العليا تون محمود صالح بن عباس لرئيس الدولة يشكو له من
محاولات الحكومة للحدّ من صلاحيات السلطة القضائية.

وفي رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) مُنع محمود صالح بن عباس
عن ممارسة صلاحياته ومنصبه انتظاراً لقرار المحكمة العليا التي عُيّن
لرئاستها تون سري عبد الحميد عمر.

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م) صدر قرار المحكمة،
وتُزَل محمود صالح بن عباس من منصبه. وهنا طالب أعضاء القضاة
الماليزية باستقالة عبد الحميد عمر، إلا أن رئاسته للمحكمة العليا قد لبثت
في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م).

وفي رمضان عام ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) رفضت المحكمة العليا
التوقيع على طلب من القضاة الماليزية نظراً لموقف القضاة من
عبد الحميد عمر. وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) عملت على
الحدّ من السلطة القضائية بشكلٍ أوسع فأصدرت قانوناً أمياً بحول دون
التجاه الأشخاص الذين سبق لهم أن احتجزوا إلى القضاء.

وفي محرم ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م) كانت نتيجة الانتخابات التي
جرت في عاصمة ولاية جوهور في غير صالح معاذير محمد وفي صالح
معارضيه، ولكن التي جرت في جهاتٍ أخرى انتهت بفوز المنظمة الوطنية
للإتحاد الملايو التي يرأسها معاذير محمد. وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ

(وأواخر أيلول ١٩٨٨ م) ترك ثلاثة عشر عضواً الجبهة الوطنية، وانضموا إلى
المعارضة التي يقودها موسى هيتام، ورازالي حمزة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) قام موسى هيتام
بمؤيدوه بوضع ستة شروط للموافقة على الانضمام إلى المنظمة الوطنية
الجديدة، وأهم هذه الشروط:

١ - الموافقة القوية على قبول أعضاء المنظمة القديمة أو الأصلية.
٢ - إضافة المناصب إلى الأوساط التي حازوا عليها في انتخابات
(١٩٨٧ م).

٣ - العمل على إعادة المنظمة الأصلية.

وقد وافقت المنظمة الجديدة على هذه الشروط في جمادى الآخرة
١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م)، والتزمت بها في ولاية جوهور.

كانت جمعية الصينيين الملايوية (M.C.A) قد فقدت الكثير من
مؤيديها منذ عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) بسبب المشكلات الداخلية، وسبب
عجز الحكومة عن الوفاء بوعداتها للجمعية إلا أن دعم المنظمة الوطنية
الجديدة لتلك الجمعية جعلتها تتمكن من الوقوف على أرجلها، وتغلب
على معارضيها.

ولما أُعلن أن موسى هيتام عضو في المنظمة الوطنية الجديدة شجع
هذا الإعلان ثمانية أعضاء من المشيقيين للانضمام إلى المنظمة في ولاية
جوهور.

وفي شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أقامت الحكومة التي أسسها
رازالي حمزة حلقة مع معارضها الأساسي والحزب الإسلامي الماليزي،
والذي كان عضواً في الجبهة الوطنية حتى أُخرج منها بجهود رازالي حمزة
عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

وفي شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) أسس وازالي حمزة حزياً أسماء
(روح الـ ١٤٦١) إشارة إلى عام (١٩٤٦ م) الذي تأسست فيه (المنظمة
الوطنية لاتحاد الملايو الأصلية).

وافقت الحركة الديمقراطية على التعاون مع روح الـ (٤٦) ومع الحزب
الإسلامي الماليزي، وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) انضمت
الجماعة الإسلامية الماليزية إلى روح الـ (٤٦)، وتركت الجبهة الوطنية، ثم
شكّلت هذه الجماعات كلها حركة الاتحاد الإسلامي (A.P.U). وفازت
هذه الحركة بالانتخابات، ولكن عادت للجبهة الوطنية قوتها، وفازت
بالانتخابات عدّة مرات.

ولاية صباح:

استقال نائب رئيس وزراء صباح (كودينغ) من منصبه في حزب اتحاد
صباح، وانضم إلى حزب (A.K.A.R) الذي حاول الانضمام إلى الجبهة
الوطنية على المستوى الاتحادي رغم أن ولاية صباح مستقلة.

المجتمع الهندي في ماليزيا:

في شهر ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) استطاع
سامي قائلو أن يبرز بين الهنود في ماليزيا، وأن يذاع بحماسة لرواسته لذلك
المجتمع. ويُعلن عن أهمية هذا المجتمع، إذ يُعدّ العضو الثالث في
الجبهة الوطنية، وكانت المناقشة قوية بين سامي قائلو وبين النائب
سوبرمايان، ويبدو أن تفوق سامي قائلو قد بدأ في أول الأمر بتأييد الأمين
العام لحزب المؤتمر الهندي فيجاندوران، غير أن الأمر لم يلبث أن تبدّل
عندما وقع قيجاندوران في عدة فضائح أخلاقية ألزمته إلى ترك مناصبه
السياسية الأمر الذي أضعف من شأن سامي قائلو.

وفي جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) عقد محاضر
محمد ورازالي حمزة عدة لقاءات في سيل و أب الصداق الذي حدث في
المجتمع الملايو، إلا أن ذلك لم يؤد إلى نتائج حميدة، وفي نهاية الشهر
نفسه أعلن محاضر محمد عن تعيين عبدالغفار بابا نائباً له.

مشكلة فيتنام:

منذ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) وماليزيا تستقبل اللاجئين الفيتناميين،
وتنتظر إعادتهم إلى الغرب حسب القوال وإعلانات الدول التي كانت تتبني
مساعدهم، ثم تبين بوضوح في شهر شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أن
هذه الدول لا تريد استخدامهم إليها، كما أنها لا تعمل بجديّة في سيل
إعادتهم، وهذا ما دعا منظمة دول جنوب شرقي آسيا إلى العمل على فرز
هؤلاء اللاجئين إليها لمعرفة اللاجئين حقيقة من الهاربين في سيل البحث
عن وضع اقتصادي أفضل، وقد وافق مجلس الأمم المتحدة على هذا
القرار. وقد منعت ماليزيا في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني
١٩٨٩ م) دخول سفيتين تحملان أكثر من ألفي لاجئ، من الرسو في
موانئها أو دخول أي لاجئ إلى بلادها.

وفي رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م) جرت مباحثات في هانوي
عاصمة فيتنام بين ماليزيين رسميين وفيتناميين لمناقشة اللاجئين الفيتنام،
وقضايا أخرى تجارية واقتصادية.

وهكذا يتبين أن أكثر أحداث اتحاد ماليزيا إنما هي داخلية، وأن
الأحداث الخارجية التي تعيشها تعدّ قليلةً.

ويبلغ عدد السكان ١٦.٧٠٠.٠٠٠ شخص حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م). ولكن سكان شبه جزيرة الملايو يشكلون ٨٢٪ من مجموع السكان، ولا يزيد سكان قطاع شمالي جزيرة بورنيو على ١٨٪ من المجموع العام، فيكون توزع السكان كالآتي:

شبه جزيرة الملايو	١٣.٦٩٤.٠٠٠	شخص
شمالي جزيرة بورنيو	٣.٠٠٦.٠٠٠	شخص
المجموع	١٦.٧٠٠.٠٠٠	شخص

١- الولايات فهي:

١- في شبه جزيرة الملايو:

عاصمتها	عدد سكانها	مساحتها كم ^٢	
كانغار	١٨٩.٣٥٨	٧٩٥	١- بيرليس
الرومتر	١.٤١٠.٠٠٠	٩.٤٢٥	٢- قنج
جورج تاون	١.٢٦٦.٨٣٠	١.٠٠٣	٣- بينانغ
ايوه	٢.٢٥٦.٣٤٨	٢١.٠٠٥	٤- بيرق
كوتابهورو	١.١٢٣.٢٩٦	٩.٤٢٥	٥- كيلانتون
كوالا ترينغانو	٦٩٤.١١٨	١٢.٩٥٥	٦- ترينغانو
كوتانان	٩٨٦.٤٢٤	٣٥.٩٦٥	٧- باهانغ
شاه علام	١.٨٧٨.٥٢٤	٨.٢٠٠	٨- سالانغور

الصراعات الداخلية

الفصل الثالث

تبلغ مساحة اتحاد ماليزيا ٣٣٠.٤٣٤ كيلومتر مربعاً، وهذه المساحة في منطقتين تفصل بينهما مسافة ٧٥٠ كيلومتر، المنطقة الأولى شبه جزيرة الملايو، وتبلغ مساحتها ١٣١.٥٨٧ كيلومتراً مربعاً، وتضم إحدى عشرة ولاية، وشمالي جزيرة بورنيو حيث يوجد ولايتان تبلغ مساحتهما معاً ١٩٨.٨٤٧ كيلومتراً مربعاً، إذ تبلغ مساحة ولاية صباح ٧٤.٣٩٨ كم^٢، بينما تبلغ مساحة ولاية ساراواك ١٢٤.٤٤٩ كم^٢.

شبه جزيرة الملايو	١٣١.٥٨٧	كيلومتراً مربعاً
شمالي جزيرة بورنيو	١٩٨.٨٤٧	كيلومتراً مربعاً
المجموع	٣٣٠.٤٣٤	كيلومتراً مربعاً

وهذا يعني أن الجزء الماليزي الذي يقع في شمالي جزيرة بورنيو هو أكبر مساحةً بمرتين ونصف من مساحة شبه جزيرة الملايو التي هي أصل الاتحاد الذي يحمل اسمها أيضاً.

وإن كانت هذه النسب تختلف قليلاً بين شطري البلاد.

ولما جاء الاستعمار الصيني قُرب الصينيين، وشُخَّع هجرة الكثيرين منهم من الصين إلى ماليزيا، وسَلَّمهم بعض الأعمال، وأوكل إليهم بعض المناصب فتحسنت أوضاعهم المعاشية فأخذت موجات منهم تفلد إلى البلاد حتى ارتفعت نسبتهم إلى ما هي عليه الآن. كما نشط المستعمرون الصينيون تجارة الهند، وساعدوهم على بناء المخازن والمستودعات، وذلك في سبيل زيادة أعدادهم حتى وصلت نسبتهم إلى هذا الرقم، وكل هذا في سبيل إضعاف نسبة المسلمين وإفقرهم، وعدم الحاجة إليهم. هذا بالإضافة إلى عمل الإرساليات التنصيرية.

وفي سبيل نجاح هذه المهمة فقد نُظِّم المستعمرون الصينيون والهنود ضمن تنظيمات وأحزاب كي يتمكنوا من مساعدة بعضهم بعضاً، وحتى ينهجه المسلمون نحوهم، ويُشاركوهم في بعض الأعمال فيسهل إفسادهم، وإبعادهم عن دينهم بعد أن عجزت الإرساليات التنصيرية على أن تقوم بدورها مادام المسلمون متمسكين بعقيدتهم. وهكذا يبدو الصراع عنصرياً غير أنه في الواقع عقدياً.

أما اللغة فهي الملايوية رسمياً، مع وجود بعض الاختلاف بالنسبة إلى شطري الدولة. ففي شبه جزيرة الملايو تكون اللغة الملايوية هي الرسمية، ولكن تستعمل الإنكليزية على نطاق واسع. ولكن في شمالي جزيرة بورنيو تكون اللغة الرسمية هي الإنكليزية، واللغة الملايوية معروفة، ويتكلم بها عامة الشعب.

ويتكلم الصينيون اللغة الصينية غير أن اللهجات فيها كثيرة منها: الهوكايبية، الكنتونية، الهاكية، التوتشية، الهايتانية. ويتكلم الهنود لغات هندية كثيرة حسب المكان الذي قدموا منه، فهناك لغات: التاميلية، التلوجية، والأردو، والكوجراتية، والبجائية، والهندستانية.

٩ - نيلري سبلان	٦,٦٤٣	٧٢١,٨٦٢	سومبان
١٠ - مالاقا	١,٦٥٠	٥٨٠,٠٣٥	مالاقا
١١ - جوهور	١٨,٩٨٥	١,٣٥٨,٧٢٥	جوهور بحرو
العاصمة الاتحادية كوالالمبور	٢٤٤	١,٢٠٠,٤٨٠	كوالالمبور
المجموع	١٣١,٥٧٨	١٣,٦٩٤,٠٠٠	

٢ - في شمالي جزيرة بورنيو:

١٢ - صباح	٧٤,٣٩٨	١,٦٧٣,٠٠٠	كونا كينابالو
١٣ - ساراواك	١٢٤,٤٤٩	١,٣٣٣,٠٠٠	كوتشينغ

ويبلغ طول سواحل البلاد ٤٨٣٠ كيلومتراً.

الصراع العنصري:

يتألف الشعب الماليزي من مجموعات متعددة، وأهمها:

الملايو	وُشكّلون ٥٦%	من مجموع السكان
الصينيون	وُشكّلون ٣٢%	من مجموع السكان
الهنود	وُشكّلون ١٠%	من مجموع السكان
مجموعات محلية	وُشكّلون ٢%	من مجموع السكان

المسلمين قليلاً في شبه جزيرة الملايو على حين ترتفع نسبة النصارى قليلاً في ولايتي صباح، وساراواك، ويكون الاختلاف كالآتي:

نسبة المسلمين	نسبة البوذيين	نسبة الهندوس	نسبة النصارى	نسبة عبدة الأرواح
٥٥%	٣٠%	١٠%	٣%	٢%
٣٨%	٧%	٣%	١٧%	٣٥%
٢٢%	٢٤%	٥%	١٦%	٣٣%

إن مختلف أصحاب الديانات من غير المسلمين يعملون جهدهم ضد المسلمين، ويحفظون لذلك، ويتولى النصارى وإرسالياتهم هذا الأمر من تحطيط وتنفيذ، ويتخذون الآخرين مطية بالعمل لإفساد المسلمين، وتشكيكهم في عقيدتهم، وإبعادهم عن دينهم، ومزاحمتهم بالأعمال، وشحنهم بالأحقاد ضد الإسلام. وتمكنوا من الحصول على بعض النجاح، نتيجة العمل الدائب، ومناهج التعليم التي تركز الهجوم على المسلمين وعقيدتهم، واتخاذ المشافي، والحاجة إلى العمل، وإلى الدواء، وإلى التعليم، ونتيجة فقر المسلمين المدقع في كثير من الأحيان، واتخاذ الجنس والمخدرات... وهذه كلها وسائل لإفساد الشباب المسلم، إضافة إلى الدعايات ضد الفئات والتنظيمات الإسلامية، وإشاعة الشائعات واقتراء الكذب عليها، وعلى كل من يؤيدها ويناصرها.

هذا مع العلم أن الدستور يصر على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة. ولكن هذا لم يمنع من سيطرة الجامعة حيث ترى انتشار الرهبان والفساد، حتى الأعياد تنشر فيها جامليات إذ إضافة إلى الأعياد الإسلامية التي هي عبدة

وسعى المسلمون لتعلم اللغة العربية، ولكن تفت أممهم صعوبات منها: عدم وجود المعلمين، ومحاربة المستعمرين الصينيين، وبقية العناصر من هنود وصينيين إضافة إلى العلمانيين من الملايوين إذ يدعون أن اللغة العربية غير عالمية، ولا فائدة من تعلمها، وأن ارتباطها بالعقيدة أمر رجعي، كما أن الأمصار الإسلامية العربية لا تهتم بهذا، بل إن بعضها أخذ يتخلى عن لغة - مع الأسف -

الصراع العقائدي:

تعدد الديانات في ماليزيا، وإن كان المسلمون يشكلون الأكثرية إلا أنها أكثرية نسبية، ولكنها كبيرة بالنسبة إلى بقية الديانات، وغالباً ما ترتبط الديانات بعناصر السكان، فالملايويون غالباً مسلمون، والصينيون بوذيون، والهنود هندوك، وإن كان بعض الصينيين والهنود مسلمين غير أن نسبة المسلمين بينهم قليلة جداً، وكذلك فإن بعض الملايوين غير مسلمين سواء أكانوا بوذيين أم هندوك أم عبدة أرواح، وهم أهل الغابات.

٨,٦٨٤,٠٠٠	٥٢%	فيكون عددهم	تبلغ نسبة المسلمين في ماليزيا
٤,٣٢٢,٠٠٠	٢٧%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة البوذيين في ماليزيا
١,٢٣١,٠٠٠	٨%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة الهندوك في ماليزيا
١,٢٣٠,٠٠٠	٨%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة النصارى في ماليزيا
١,٣٣٣,٠٠٠	٢%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة عبدة الأرواح في ماليزيا

١٦,٧٠٠,٠٠٠

ولكن هذه النسبة تختلف بين شطري ماليزيا إذ نلاحظ ارتفاع نسبة

القطر والأصغر قد اتخذوا أعياداً كثيرةً منها عيد المولد النبوي تقليداً لعيد الميلاد عند النصارى. واتخذوا من يوم الاستقلال عيداً وطنياً، وهو (٣١ آب)، وكذلك عيد ميلاد الملك. وكذلك تحتفل البلاد مسابقةً للبوذييين برأس السنة القمرية حسب التقويم الصيني، وعيد كعكة القمر، وهو منتصف الشهر الثامن حسب التقويم الصيني، وعيد ويساك، ويكون في شهر أيار، وهو عيد بوذا إله البوذييين - حسب اعتقادهم -.

ويحتفلون مسابقةً للهندوس بعيد ديسا قالي، ويكون في الخريف، ويُستونها احتفالات التور، وهي بمناسبة انتصار الإله كريشنا إله الهندوس - حسب اعتقادهم - على ملك الجن. وعيد نايوسام، ويكون في آخر فصل الشتاء، وهو ذكرى للإله سوبرا مانيام حسب عقيدة الهندوس.

ويحتفلون مسابقةً للنصارى بعيد الميلاد، وعيد رأس السنة النصرانية (الأول من كانون الثاني).

ويحتفلون مسابقةً للوثنيين، جماعة (دياق) بعيد بداية موسم زراعة الأرز (جاواي باتو)، وعيد التخلص من تلذير السوء (جاواي بورونغ)، وعيد الحصاد (دواي برسيمان)، وعيد ذكرى الموتى (جاواي أنتو)، وعيد البطولة (جاواي كينالانغ)، وعيد الأول من تموز.

ويحتفلون مسابقةً للوثنيين، جماعة (الكانزان) بعيد الحصاد.

وهناك عيد (تاموسار) حيث تقوم المهرجانات، والاحتفالات، والألعاب.

وتعطل الدوائر بمناسبة أعياد ميلاد حكام الولايات.

الصراع الإقليمي:

لما كان هناك اختلاف في بناء السكان وعقيدتهم بين شطري ماليزيا، وخاصةً بالنسبة إلى زيادة أعداد الوثنيين في الجناح الشرقي الأمر الذي

يجعل مجال الإرساليات التصيرية واسعاً، لهذا فإن المستعمرين الصينيين يركزون على هذا الجناح، وهذا ما جعل نسبة النصارى ترتفع فيه، على حين أن مجالها محدود في الجناح الغربي لارتفاع نسبة المسلمين.

ولما كانت نسبة النصارى تزايدت في شمالي جزيرة بورنيو لذلك يكون السعي كبيراً لتمتد يد العمران نحو تلك الجهات على نطاق أوسع بحجة أن المناطق هناك لا تزال مُتخلّفة، وبحاجةٍ إلى جهودٍ كبيرةٍ لإعمارها، وهذا بطبيعة الحال يقتضي تخصيص تَقَاتٍ من الميزانية لإعمار شمالي جزيرة بورنيو.

وإن الأحزاب القائمة في الجناح الشرقي والمؤسسات النصرانية تُطالب بهذا، وتُثير حماسة السكان للمطالبة بذلك، وتكون هذه المطالب ضمن قائمة الدعايات الانتخابية، وهذا ما أدى إلى وجود صراعٍ ضمنى بين الشطرين، حتى وصلت المطالبة إلى نقل العاصمة الاتحادية ودوائر الدولة إلى القسم الشرقي مادام الأكبر مساحةً.

وأما أهل الجناح الغربي فيرون أن تجمع السكان إنما هو في شبه جزيرة الملايو، والأصل أن تكون العاصمة في هذا الشطر، وإن انتقلها يكلف الكثير، والدولة بحاجةٍ إلى ضغط النفقات، وأنهم يرون العمل الحثيث لإعمار شمالي بورنيو، ولكن ليس على حساب الجزء الآخر، وإنما يجب الإسهام في إعمار الشطرين على حدٍ سواء، والدليل لرفع المستوى في أنحاء البلاد كافةً، وأن التمييز سيجعل نزعةً إقليميّةً بين السكان، وسينشأ عنه صراع في المستقبل، والبلاد في غنى عن ذلك.

ويرى المسلمون أن من أسباب التخلّف في الجناح الشرقي إنما يعود إلى العقائد الوثنية البدائية المنتشرة هناك، ومن الضروري العمل على رفع المستوى الفكري والعقدي بنشر الأفكار والعقائد السماوية وتهيئة الإمكانيات لاسمحائها لبث الدعوة، ونشر الحضارة، وإذا كان هذا مهياً للنصرانية فقط

بما تملك من إمكانات ضخمة وطاقات هائلة، ولكن المسلمين لم يهبوا لهم شيء إذ ليس لديهم الإمكانيات المادية ولا الوسائل الكفيلة بالحركة بل نوضع في وجههم المراكيل، ويُحال بينهم وبين دخول هذا المجال، وبدا تبقى طاقاتهم مُعطلة، وإمكاناتهم مُبذرة، وجيوبهم مهدورة. ومن ناحية ثانية فإن رجال النصرانية والإرساليات التصيرية لم تستطع النجاح في مسعاها إلا بمستوى قليل لعدم انسجام ما يدعون إليه مع الفطرة البشرية، وإذا لم تنجح لأي سبب من الأسباب فليفسح المجال أمام رجال الإسلام والحركات الإسلامية، وليسلك كل طريقه، ويُبدلي كل بدلوه إن كان كلا الجانبين يعمل على رفع مستوى السكان الفكري والعقدي، أو ليتعاون الجميع للوصول إلى هذا الهدف. ولكن المسؤولين يجيئون على هذا أننا لا نريد قيام صراع عقدي في مجال العمل، ومعنى هذا العمل على فسح المجال أمام طرف واحد، وهو رجال النصرانية والإرساليات التصيرية، وإقتال الباب أمام رجال الإسلام والحركات الإسلامية، وهذا الواقع القائم، وهو ما يُسبب الصراع العقدي نتيجة التمييز الصارخ، والصراع الإقليمي نتيجة التفرقة الواضحة. وسيبقى الوضع ثابتاً لا يتزحزح فالسكان يرفضون النصرانية لارتباطها بالاستعمار الصليبي، وعلاقتها بالأجانب فالإرساليات التصيرية جميع رجالها من الغرباء، إضافة إلى عدم انسجام النصرانية المحرقة مع الفطرة البشرية، فما دامت تقوم على عبادة أحد المخلوقات فإنها تبقى على مستوى الوثنيات، وما فيها من فلسفة، وجمع ثلاثية في واحد فيصعب على المرء العالم حل ذلك اللغز فكيف برجل الغيبة البدائي، كما أن الرهبانية لا تنفق والنفس الإنسانية، ويلاحظ البدائيون ما يجري بالحقاء وراء تلك الطهارة المدعاة. وإذا كانت النصرانية قد عجزت عن دورها أفلا يسمح للمسلمين أن يؤثروا دورهم، دون أن يعلق الباب أمام النصرانية؟ الجواب: لا. لأنه لو فسح المجال أمام المسلمين لتقدم الإسلام وانتشر، وتوقف المد النصراني نهائياً وهذا ما لا يريده المستعمرون الصليبيون، ولا ممثلوهم من أصحاب السلطة، ولا الإرساليات التصيرية،

ولا اتحاد الكنائس العالمي، ولا الملحدون، ولا العلمانيون، ولا أصحاب الأهواء والشهوات. ومعنى ذلك فسح المجال لعمل النصرانية فقط، وسد الباب بإحكام أمام المسلمين، وإيجاد الصراع العقدي والإقليمي، والإبقاء على التخلف رغم الأذعاء بالعمل على إزائه وإعمار الأرض.

الصراع الحزبي:

ورغم ظهور التنظيم المبكر في ماليزيا إلا أنه لم يكن ذلك التنظيم العقدي الواضح، وإنما كان تجمعا يهدف ظاهراً إلى مقاومة الاستعمار، وفي الوقت نفسه يعمل للزعامة واستلام السلطة، أو لمد نفوذ وسيطرة جماعت العنصرية التي ينتمي إليها. وكان أهم هذه التنظيمات:

١- الحزب الوطني الملاوي الذي قام إثر إلغاء الخلافة، وضم بعض الأمراء والمتعلمين، وأخذ يُطالب بالاستقلال، ولكن لم تكن له تلك القواعد القوية التي يستطيع أن يتحرك بها بشكل واضح بسبب فكرته الهشة التي لا تقوم على عقيدة، وبسبب عدم إدراك الشعب لأهمية التنظيم، ولتفقر السكان الذي يجعلهم مشغولين بتأمين أسباب حياتهم المعاشية.

٢- اللجنة الثورية الملاوية، وتأسست عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، ورغم أنها تحمل اسم الملاوية، إلا أن معظم أعضائها من الصينيين، ولكنها لم تلبث أن انقسمت على نفسها للاختلاف الذي وقع في الصين عام ١٣٤٦ هـ، لأن أوضاع الصين ظلت تنعكس على الصينيين الذين يعيشون خارجها، ومنهم الذين يعيشون في الملايو.

٣- تأسس الحزب الشيوعي في سنغافورة عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، وامتد نفوذه إلى الملايو، وكان أكثر أعضائه من الصينيين. وأخذ أمية العام (لاي تك) يدعو إلى تشكيل جبهة ضد الاستعمار، كي يستفيد من العناصر

٥ - حزب استقلال الملايو، وأسسه داتو «عون بن جعفر» عام ١٣٧١ هـ بعد أن انفصل عن المنظمة الوطنية الملاوية، وأراد أن يفتتح على بقية المجموعات التي يتألف منها الشعب الملاوي.

٦ - جمعية الصينيين الملاوية، وتضم العناصر الصينية التي تخالف الشيوعية. وكانت مهمة الجمعية الصينية الملاوية الحفاظ على الانسجام العرقي أثناء التعايش مع المجموعات العرقية الأخرى، وشمرت أن وجودها داخل الحكومة سيؤمّن لها بعض متطلبات المجموعة الصينية، كما تظهر بمظهر المدافع عن حقوق الصينيين، وحرصت على كسب تأييد المؤسسات الصينية مثل اتحاد التجار وغيرها... نجح في انتخابات ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) كرتيس للجمعية (ليم تشونغ) ضد منافس (تان تشونغ لوك)، وأكد (ليم تشونغ) لتانكو عبدالرحمن أن استمرار التعاون سيقى مع حزب التحالف.

٧ - حزب المؤتمر الهندي - الملاوي: وأكثر أعضائه من أصل هندي، ويحمل الاسم نفسه الذي يحمله الحزب الحاكم في الهند.

٨ - حزب الشعب التقدمي، وجميع أعضائه من الهنود والصينيين غير المسلمين أي أن الحزب يحمل عبوة للإسلام وإن لم يُعلن ذلك.

وهكذا فإن الأحزاب تحمل أكثريتها الصفة العنصرية، وخاصة الصينية منها. وإن كانت العنصرية مرتبطة بالعقيدة لذا نلاحظ أنها تحمل الفكرة عقيدة وإن لم تُعلن ذلك، كما أن العقيدة تحمل الهندوسية وإن لم تُظهر، وهذا ما تُعزّبه الصليبية، وأما الملاويين الذين يفترض أنهم يحملون العقيدة الإسلامية فإننا نلاحظ أنهم يتعدون عنها، وهذا ما أنشأهم عليه المستعمرون النصارى. فهم يُعلنون إبعاد الإسلام ومنهجه عن الحياة تحت شعار الوطنية الملاوية.

الأخرى غير الشيوعية، وربما يؤثّر عليها، وليفتتح على الجماعات الثانية غير الصينية ليعتد عن الفكرة العنصرية، ويتكّن من التغلغل في أوساطها، غير أنه لم ينجح وفي حزباً صينياً. وقد شكّل جبهةً معادية للصينيين أثناء الاحتلال الياباني. كما أنشأ جيش الشعب المعادي للمستعمر الجديد. وقد تعاون مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ما دامت روسيا وبريطانيا حليقتين. وبعد الحرب حلّ جيش الشعب نفسه، وأخذ كل فردٍ من أعضائه مكافأة.

ثم شكّل الأمين العام (لاي تك) جمعية الرفاق المقاتلين السابقين، وهي وإن كانت تحمل اسماً يدلّ على الخط الشيوعي إلا أن الاتجاه العام كان يسير في فلك الرأسمالية بل السياسة الإنكليزية بالذات. وبعد مدّة نُحّي (لاي تك) عن منصبه الحزبي، ثم زال من الوجود بظروف غامضة حسب الطريقة الشيوعية المعروفة. وتسلّم الأمانة العامة للحزب (تشن بينغ) فادعى أن الأمين العام السابق للحزب الشيوعي (لاي تك) عميل بريطاني، رُوع في الحزب الشيوعي، وهذه طريقة شيوعية، كل زعيم جديد يدّعي أن سلفه كان يمينياً، وهذا ما أدّى إلى تنحيته.

شكل الحزب الشيوعي «جيش الشعب» من جديد، وأعلن أنه يُعادي الاستعمار، ويُحارب بريطانيا، ثم عاد فغيّر الاسم إلى «جيش التحرير للشعوب الملاوية» عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، وانتقل يُقاتل في الغابرة، وبدأت الاغتيالات، وكانت تدعمه منظمة «حركة الشعب».

٤ - المنظمة الوطنية الملاوية، وتشكّلت برئاسة داتو «عون بن جعفر» عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)، وكان قد برز بعد الحرب العالمية الثانية كزعيم بين الملاويين، ونأست فروع لهذه المنظمة في كثيرٍ من المناطق، ومعظم عناصرها من شعب الملايو، وتسلّم زعامتها في ٢٤ ذي القعدة ١٣٧٠ هـ (٢٦ آب ١٩٥١ م) «تانكو عبدالرحمن» بعد داتو «عون بن جعفر» الذي ترك المنظمة، وانفصل عنها.

ولما أراد داتو «عون بن جعفر» الانفتاح على الهنود والصينيين إشارة إلى البعد عن الجانب العنقدي، وأسس حزب استقلال الملايو عام ١٣٧٠ هـ، عندها أسرع منافسه تانكو عبدالرحمن، وأعلن عن قيام تحالف بين الأحزاب الملاوية، والصينية، والهندية.

٩- حزب التحالف: وتآلف من اندماج المنظمة الوطنية الملاوية المتحدة، وجمعية الصينيين الملاوية، وحزب المؤتمر الهندي الملاوي، أي ضمّ المجموعات العنصرية الثلاث التي يتكوّن منها الشعب الملايوي وهي: الملاوية، والصينية، والهندية، وهذا يدلّ على أن التحالف لم يتم على أي مبدأ أو فكرة سوى استلام السلطة واقتسامها فيما بينهم، ولو كان هناك أي معنى لعقيدة الشعب لما أُقبل على التحالف البوذيين والهندوس، وقد وجدناهم يُلبّون أول نداءٍ يُوجهه إليهم تانكو عبدالرحمن الذي كان أمير ولاية فتح فيما سبق، حيث يعرفون اتجاه المنظمة الوطنية الملاوية ورئيسها تانكو عبدالرحمن.

١٠- الحزب الإسلامي: وكان برئاسة برهان الدين الحلبي، وكان يلقي مقاومة عنيفة من حزب التحالف أو بالأحرى من الطوائف كلها، ومن العلمانيين الذين يتنمون إلى الإسلام.

كما أن المشروعات التي يتقدّم بها كانت تُجهض من قبل الحكومة المركزية، وكان قد نجح هذا الحزب في ولايتي «كيلانتون» و«تريغافو»، ونسّم حكومتهما، ولكن لم يستطع تطبيق برنامجه لموقف الحكومة الاتحادية م.

١١- الجبهة الوطنية: وتَشكّلت عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) حيث شملت حزب التحالف والأحزاب المعارضة في سبيل البقاء بالحكم وإعطاء المعارضة نصيبها. فالمعارضة لم تكن إذن سوى جماعات مصالح دون أن

يكون لهم مبدأ يعملون له أو فكر يتنادون به، فلما أعطوا شيئاً من السلطة إذا بهم يخضعون ويُؤيدون ما كانوا بالأمر يُخالفونه ويستقدونه.

وتقسّم هذه الجبهة أربعة عشر حزباً سياسياً تهيمن عليه المنظمة الوطنية الملاوية المتحدة، وجمعية الصينيين الملاوية، وحزب المؤتمر الهندي - الملاوي، وجيروكان واكيات ماليزيا.

وأما المعارضة فتتمثّل بالحزب الإسلامي الماليزي، ويُعدّ ضعيفاً لأن جميع الأحزاب، والتنظيمات، والديانات غير الإسلام تقف في وجهه مع العلمانيين وأصحاب المصالح من المسلمين. إضافة إلى الحكومة الاتحادية التي تجهض كل مشروعاته - كما ذكرنا - ليظهر ضعفه أمام الناخبين فيصوتون ضده.

وهناك حزب العمل الديمقراطي أيضاً، ويعمل أيضاً ضدّ الحزب الإسلامي لاختلافه معه في المنهج والوسائل.

والحكم منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) أي من قبل الاستقلال بيد حزب التحالف الذي يرأسه تانكو عبدالرحمن، وهو الذي يتولّى رئاسة الوزارة، ولكن حدثت بعض الاضطرابات الداخلية عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، وعرفت بأحداث (١٣ أيار) فأعلنت الحكومة حالة الطوارئ. وتنازل بعدها تانكو عبدالرحمن بورترا عن رئاسة الوزارة إلى تون عبدالرزاق الذي يعدّ ثاني رئيس للوزراء.

وتخلقت الجبهة الوطنية في الحكم حزب التحالف، وقد تشكّلت في ٦ شعبان ١٣٩٤ هـ (٢٤ آب ١٩٧٤ م)، وهي ليست سوى تنمّة له، ومن صيغته. واستمرّت الجبهة بالحكم إلى الآن. ولكن كان قد توفي رئيس الوزراء تون عبدالرزاق في ١٣ محرم ١٣٩٦ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٦ م)، وخلفه داتوك حسين عون. وأحيل إلى المعاش، فنقلد منصب

وهذا يعني أنه لا توجد منافسات أو صراعات حزبية بالمعنى الصحيح الذي يوجد في البلدان التي تُسمّى نفسها بالديمقراطية، فالمعارضة غير موجودة، وإن وجدت فلمصلحة، فإذا ما أَحْبَسَت السلطة بشأن المعارضة أرضت قادتها ببعض المنافع، ورضتهم إلى التحالف، وانتهى الأمر، ولهذا وجدنا أن التحالف يشمل أربعة عشر حزباً سياسياً يحكمون البلاد. أما المعارضة المتمثلة بالحزب الإسلامي فالجميع يُوجهون سهامهم إليه، وإذا حصل على نجاح في بعض الولايات أحبطت الحكومة المركزية مشروعاته فكأنه لم يكن. ومعارضة حزب العمل الديمقراطي ضعيفة لأنه ليس له قاعدة عريضة بين أفراد الشعب.

هذا في شبه جزيرة الملايو، ولا يختلف الوضع عنه في شمالي جزيرة بورنيو حيث يحكم تحالف جبهة ساراواك الوطني الذي يتألف من أربعة أحزاب وهي:

١ - حزب يساكا وبوميانرا بيرساتو ساراواك.

٢ - حزب ساراواك الاتحادي الشعبي.

٣ - حزب ساراواك الوطني.

٤ - بانسا ساراواك.

وليس للمعارضة وزن كبير لضعف نسبة المسلمين هناك، وتركهم شؤون السياسة والتنظيم نتيجة الفقر، والفسط. ويوجد في ولاية صباح حزب صباح الاتحادي (P.B.S) والمنظمة الوطنية لاتحاد صباح وحزب بوجايا.

ميادين الصراع:

لما كانت أكثر الأحزاب تقوم على أسس عصرية، وكذلك ترتبط العقيدة بالعصرية لهذا فإن الصراعات تبدو في كل الميادين عصرية، حزبية، ولعل أبرز هذه الميادين:

١ - اللغة:

عند إعلان دستور (١٩٥٧ م) تقرّر أن تكون اللغة الملايوية هي الرسمية الوحيدة بعد عشر سنوات، ويجب على الولايات التي تنضم للاتحاد أن تتخذ هذا الشرط بعد عشر سنوات من دخولها الاتحاد.

وفعلاً، فإن ولاية صباح قد جعلت اللغة الملايوية اللغة الرسمية، وذلك في شعبان ١٣٩٣ هـ (أيلول ١٩٧٣ م)، وتدعى الآن اللغة الماليزية (بهااسا ماليزيا) أو اللغة الوطنية (بهااسا كيانجاسان).

وقررت ولاية ساراواك في صفر ١٣٩٤ هـ (آذار ١٩٧٤ م) استخدام اللغتين الماليزية والإنكليزية رسمياً حتى عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) حيث أصبحت بعدها اللغة الماليزية هي الرسمية فقط.

أما في شبه جزيرة الملايو فقد عدت اللغة الملايوية هي الرسمية في ٢٢ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٣ آذار ١٩٦٧ م)، وبعد مشاغبات ٢٦ صفر ١٣٨٩ هـ (١٣ أيار ١٩٦٩ م) فقد أصبح استخدام اللغة الملايوية واسع الانتشار في شؤون الدولة، والمحاكم، والمجلس النيابي.

وفي الوقت نفسه كان يسمح بتعليم لغات أخرى، ولكن عدت العتاصر غير الملايوية هذا القرار بأنه لا يهدف سوى إذابة غير الملايوين في المجتمع.

٢ - التعليم:

سيطرت الحكومة عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) على المدارس كلها، وهذا

ما أثار الصينيين، وأحسوا أن القصد هو التخلص من أثرهم بإذابة أبنائهم في مجتمعهم الذي يحيون معه، فعمل بعض زعماء العناصر الصينية على إعادة تشكيل حزب العمل الديمقراطي (D.A.P) الذي كان في ستغافورة، وذلك عندما رأوا عدم ارتياح المجتمع الصيني من حزب الجمعية الصينية الملايوية (M.C.A) التي هي أحد أركان التحالف (U.M.N.O) الحزب الحاكم، وهي بالتالي أحد أركان الحكومة، وإعلان تشكيله رسمياً ليتمكن من دخول الانتخابات في سبيل إنهاء الميزات التي حصل عليها الملايويون، وإيجاد مساواة حقيقية في التعليم في المنهج حيث تصبح اللغات الملايوية، والصينية، والهندية، والإنكليزية رسمية، وفي مستوى واحد.

ووافق حزب الشعب التقدمي (P.P.P) القوي في عاصمة ولاية بېرق مدينة (ايوه) حزب العمل الديمقراطي وعملاً معاً حسب عهدٍ واحدٍ. وكانت الانتخابات عام (١٩٦٩ م) عاملاً إظهار قوة للمجموعات العرقية، ولمصلحتها حيث تراجع حزب التحالف عما كان عليه سابقاً حيث حصل على ٦٦ مقعداً فقط، ونال ٤٨,٥ ٪ من مجموع الأصوات، على حين كان قد حصل في الانتخابات السابقة على ٨٩ مقعداً، ونال ٥٨,٤ ٪ من مجموع الأصوات، وحصل حزبا حركة الشعب الماليزية (جيراجان) وراكابت ماليزيا) والشعب التقدمي على ٢٥ مقعداً، وحصل الحزب الإسلامي (P.A.S) على ١٢ مقعداً وبدا حُرم حزب التحالف من الحصول على الأغلبية وهي ثلثا الأعضاء، ولم يعد بإمكانه إجراء تعديلات دستورية دون موافقة أعضاء آخرين في المجلس.

وفي ٢٦ صفر ١٣٨٩ هـ (١٣ أيار ١٩٦٩ م) نزل مؤيدو الأحزاب إلى الشوارع، وحصلت أعمال شغب، ووقعت صدامات، واشتباكات عنيفة، وأعلنت حالة الطوارئ. وبناء على المادة ١٥٠ من الدستور أعطيت جميع الصلاحيات لمجلس العمليات الذي يرأسه نائب رئيس مجلس الوزراء تون

عبدالرزاق، واستطاع المجلس بعد أربعة أيام من الأعمال الدامية من السيطرة على الوضع الأمني في المدينة، وإن استمرت المشاغبات شهريين، وهددت الحكومة باتخاذ الإجراءات الصارمة بحق المجموعات الملايوية المسلحة التي أخذت تُطالب باستقالة تانكو عبدالرحمن. وأعلنت القيادات الملايوية في حزب التحالف أن أعمال الملايويين لم تكن سوى رد فعل لتصرفات المعارضة التي وصفتها بالبطش.

وفي جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ (نومر ١٩٦٩ م) أعلنت إدارة التحالف الوطني عن طرح صيغة جديدة للفكرة الوطنية لدمج مختلف المجموعات العرقية في بوتقة الوطنية الماليزية.

وفي ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ (٣١ آب ١٩٧٠ م)، وهو يوم الاستقلال الوطني أعلنت الفكرة الوطنية الجديدة تحت شعار نبوة الإيمان للولاء (روكان إيجارا)، وكان قد تشكل المجلس الاستشاري الوطني (N.C.C) منذ شهر ذي القعدة ١٣٨٩ هـ (كاتون الثاني ١٩٧٠ م) لإيجاد خطوط عريضة للتعاون العرقي، وقد ضمّ هذا المجلس ممثلين عن الحكومة الماليزية، وحكومة الولاية، والأحزاب، والعلماء، والمثربين، واتحاد التجار، والحرثيين، والصحافة، والمؤسسات، والأقليات.

٣ - الاقتصاد:

كان المستعمرون الصليبيون قد وجهوا الملايويين نحو إنتاج الغذاء بالعمل الزراعي، والصينيين نحو العمل باستخراج القصدير وصنائه، والهنود نحو العمل بإنتاج المطاط وصنائه، وتحسنت أوضاع الذين يعملون بالصناعة، ويسكنون المدن على حين لم تتحسن أوضاع الملايويين الذي يُشكّلون أكثرية أهل الريف، فقررت الحكومة تحسين أوضاع الريف، ووضعت خطة لمدة عشرين عاماً، وتبدأ من عام ١٣٩١ - ١٤١٠ هـ (١٩٧١ - ١٩٩٠ م) فعُدّت العناصر غير الملايويين أن الموضوع عرقي بشكل غير مباشر. وضاعت أوضاع أهل الريف، فلقبوا نحو المدن، وأخذوا يحتلون البيوت والمطارات

٤ - رأس المال:
كانت نسبة رأس المال المساهم في القطاعين التجاري والصناعي موزعة بين المجموعات السكانية عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) كالآتي:

الملاييون	% ٣٠
الصينيون	% ٤٠
أجانب	% ٣٠

ولما كانت نسبة الملاييين ضعيفة مقارنةً بنسبتهم العديدة لذا عملت على إقامة مؤسسات عامة لمساعدة الملاييين، ولكن التنفيذ لم يكن جيداً إذ كثيراً ما كانت تُحجز الأسهم باسمهم من قبل الأجانب، وقام الصينيون بردة فعل، وأنشأوا مؤسسات أضخم من مؤسسات الحكومة، وانتقدوا الدولة وعدّوها متحيزة لصالح الملاييين، وكذلك قام الهنود بإنشاء مؤسسات فاقت الصينية أيضاً.

ويرى الصينيون أن اتجاه الحكومة لانعاش الملاييين لن يكون إلا على حسابهم وخاصةً أن الحكومة لا ترغب في إنفاص مساعدة المؤسسات الأجنبية، ولكن الحكومة تُعلن أنها ترغب في أن يحصل الملاييون على ٣١%، ولن يكون ذلك إلا على حساب المؤسسات الأجنبية.

٥ - الأرض الحكومية:

يُطالب الصينيون بامتلاك بعض أراضي الدولة، ولكن الحكومة ترفض ذلك، وتُعلن أنها لا تريد أن تثير مشكلة امتلاك الأرض. فالذين يعملون بالأرض، ويشغلون بإنتاج الغذاء، وهم فقراء، ويعيشون في الريف لا تُعطى لهم

عونة، ووصل عدد هؤلاء القادمين عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) إلى مائة وثلاثين وخمسين ألفاً يحتلون أملاكاً وذلك في مدينة كوالالمبور وحدها، ونحو نحو أهل الريف الكثير من الصينيين والهنود، وكانت النسبة تتوزع في العاصمة بين المحتلّين كالآتي: ٤٥% من الصينيين، ٤١% من الملاييين، و ٤% من الهنود، ١٠% مختلطون، وعملت الحكومة على طرد المحتلّين، ثم اتجهت الية نحو توطينهم بدفع مبالغ رمزية غير أن هؤلاء القادمين من الريف يصعب عليهم دفع أي مبلغ مهما كان ضئيلاً، ورفضت الحكومة إعطاء رخص احتلال موقفة خوفاً من أن يشجع ذلك الآخرين على القيام بأعمال احتلال جديدة.

٤ - الوظائف:

كان من أهداف السياسة الاقتصادية الجديدة (N.E.P) توزيع الوظائف بين المجموعات السكانية حسب نسبهم المئوية العامة والتي كانت عام (١٩٧٠ م) ١٣٩٠ هـ كالآتي:

الملاييون	% ٥٣,٢
الصينيون	% ٣٥,٣
الهنود	% ١٠,٧
أخرون	% ٠,٨

غير أن المجموعة الصينية قد رفضت هذه النسبة، وعدّت الحكومة متحيزة للملاييين، وتعمل ضد المجموعات الصينية خاصةً.

الدولة الأرض المشاع، فكيف تقدمها لمن لا يعمل فيها، ويعمل في غير عمل
الغلاحة، ويجيش في المدينة، وحالك المادية أفضل حالاً إن لم نقل جيدة؟ ثم
تعطيهم الأرض بناءً على طلبهم، فهذا أمر غير مقبول، ولا هو بالعدل، ثم إن
الذي لا يجهد الغلاحة سيهمل الأرض إن امتلكتها وخاصة إن كان الامتلاك من
غير تعب.

٦ - الأمن:

إن أكثر الذي يعملون في قوى الأمن هم من الملايوين. وأخذ الصينيون
يُطالبون بتجنيدهم في قوى الأمن، ولكن الحكومة لا تستمع لهذا الطلب لأنها لا
تريد هيمنة غير الملايوين على قوات الأمن إذ تفقد قبضتها بذلك على العنصر
الملايوي القومي.

٧ - الجامعات والمعاهد الفنية:

يُطالب الصينيون بالحصول على نسبة في الجامعات والمعاهد الفنية
تناسب مع نسبتهم العددية في البلد، ولم يرضهم أبداً ما يحصلون عليه
ويعتونه قليلاً جداً، ولكن الحكومة ترى أن نجاح سياستها الاقتصادية إنما
يعتمد على دخول الملايوين في المعاهد العليا وخاصة الفنية منها.

ولم يُشارك الهنود في هذا الصراع الذي يدور تقريباً بين المجموعتين
الرئيسيتين: الملايوية والصينية وذلك نتيجة قلة أعداد الهنود، لذلك كانت
أصوات قادتهم في حزب المؤتمر الهندي مسموعةً بل دخلوا كوسطاء بين
المجموعتين الأخريين. ولكن في السياسة الاقتصادية الجديدة كانوا يريدون
لفت نظر الحكومة إلى ارتفاع نسبة البطالة بين الهنود والتي تفوق أية نسبة بين
المجموعات العرقية الأخرى. وكذلك فإن هجرة القرويين إلى المدن يشكل
ضغطاً على الموارد، وسيهيئهم خسارة أكثر من غيرهم.

٨ - السلطة:

يُدعي الصينيون أن دستور ماليزيا قد احتفظ للمجموعة الملايوية بأحقية

المواطنة، واحتفظ كذلك بنسبة تمثيل أكبر للقرويين في الانتخابات، وأكثر
القرويين من الملايوين.

بعد الانتخابات التي جرت في شهر صفر ١٣٨٩ هـ (أيار ١٩٦٩ م) ذكر
وزير الداخلية تون إسمايل أنه من الأفضل حلّ حزب التحالف إن بقيت
الجمعية الصينية الملاوية وحزب المؤتمر الهندي اللذان هما عضوان
رئيسيان في حزب التحالف. كما هما عليه الآن ليسوا هم من الأحياء فيستفيد
منهم، وليسوا من الأموات فينتهى منهم. ورغماً من المجموعة الصينية
على هذا التحلٍ، تشكلت حركة الوحدة الصينية بجهود (تون تان
سوسين) وبعض الضباط من العناصر الصينية.

وعدّت الحكومة والجمعية الصينية الملاوية أن هذه الحركة خطيرة
مادامت لم تُسجّل وقد ألقي القبض على عضوين من مؤسسيها بتهمة إثارة
الفتن، ولكن بعض زعماء هذه الحركة قرروا الانسحاب إلى الجمعية الصينية،
والعمل من داخلها فبزيد ذلك من نشاطها ومن مكانتها، ويكون عملهم بصفة
قانونية.

وجرت معركة بين الطرفين داخل الجمعية نفسها للسيطرة عليها بين
الأعضاء القدامى والأعضاء الجدد، وانتصرت القيادة القديمة، ولكن نجح (تون
تان سوسين) في تسلّم الزعامة. وقد أضعف القتال الجمعية.

وسّع تون عبدالرزاق حزب التحالف يضم بعض العناصر المعارضة
إليه وبعض الشباب وتأسست الجبهة الوطنية التي تضم أربعة عشر حزباً بما
فيها الحزب الإسلامي.

ولكن أخبر تون عبدالرزاق الجمعية الصينية الملاوية أنها لم تعد الجبهة
الوحيدة التي تمثل المجموعة الصينية وتكلم باسمها.

وأصبح حزب المؤتمر الهندي أكثر طواعيةً للجبهة الوطنية وخاصةً عندما
تدخل تون عبدالرزاق، وحلّ قيادته، وأعلن تقاعده زعيمه (سامبان تان)، وتسلّم

تلك (ماتيكافاساجام) الزعامة الجديدة في جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ (حزيران ١٩٧٣ م).

وفي الانتخابات التي جرت في شهر رجب ١٣٩٤ هـ (آب ١٩٧٤ م) أتت عشرة مقاعد لولايات شبه جزيرة الملايو فقُدمت ١١٤ مقعداً، حصلت الجهة الوطنية على ١٠٤ مقاعد منها نال حزب التحالف منها على ٦٢ مقعداً، وكان حزب العمل الديمقراطي هو المعارض. وبدأ العمل لإيجاد وحدة وطنية ماليزية.

وفي ٢١ ذي الحجة ١٣٩٣ هـ (١٤ كانون الثاني ١٩٧٦ م) مات تون عبدالرزاق رئيس الوزراء، وخلفه في منصبه داتوك حسين بن عون (ابن مؤسس حزب التحالف عون بن جعفر)، وبدأت المحاببات مع رؤساء وزراء الولايات ومنهم: داتوك هارون إدريس رئيس وزراء ولاية سالانغور الذي اتهم بالفساد، وطُرد من حزب التحالف، وسُجن، وخرج من السجن، وله فوته في الولاية، ودخل السلطة، حتى نجح عضواً في المجلس الأعلى لحزب التحالف.

ورئيس وزراء ولاية صباح تون مصطفى الذي نصبته حكومة كوالالمبور، وقد وجد أنه من الواجب عليه مساعدة الحركة الإسلامية في جنوبي الفيليبين، فأشاعت الحكومة المركزية أنه يريد الانفصال عن ماليزيا وتشكيل دولة تسمّى صباح، ومقاطعات جنوبي الفيليبين وهي: مينداناو، وصولو، وبالاوان، وادعاء الانفصال لإيجاد نقمة ضده، وأظهرت الحكومة المركزية أن إمكانات تون مصطفى ضحلة لما تملكه الولاية من ثروات خشبية ضخمة. ونتيجة عزمه على مساعدة الحركة الإسلامية أثار أحقاد الصليبية فقامت بعمل ضده، ونشع الشائعات، وتدعو لقتاله، وطرده، والتخلص منه.

عين رئيس وزراء الحكومة المركزية تون عبدالرزاق رئيساً لشرطة ولاية

صباح من قبله، كما عين رئيساً للقوات المسلحة في سبيل الاستعداد للإطاحة برئيس وزراء صباح تون مصطفى، وأيدت الحكومة المركزية الحزب المعارض في ولاية صباح، وهو حزب (بيرجابا)، وضت إلى الجهة الوطنية وذلك عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م). واستقال تون مصطفى من منصبه كرئيس للوزراء، لكنه بقي مسيطراً على سياسة ولاية صباح كقائد لمنظمة صباح المتحدة الوطنية.

وفي انتخابات ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ (نيسان ١٩٧٦ م) فاز حزب (بيرجابا) المعارض لحزب تون مصطفى ففقد تون مصطفى سلطته.

تولى رئاسة وزراء ولاية صباح تون محمد فؤاد، وكان يُسنى قبل أن يُسلم (دونالد ستيفنز) لكنه قتل مع عددٍ من أعضاء حكومته في حادث طائرة. وعين رئيساً للوزراء مكانه داتوك حارث صالح.

كانت جماعة (كادازان) في صباح، وجماعة (أبان) في ساراواك تطران في بداية الأمر إلى البعد عن العاصمة المركزية كوالالمبور نظراً لإيجابية ذلك لأن تطور شبه جزيرة الملايو كان يفوق كثيراً تطور شمالي جزيرة بورنيو (صباح، ساراواك، بروناي)، ومع أن الوضع في التطور لم يتغير إلا أن النظرة قد تغيرت، وأصبح البعد يشكل حبر عثرة، وذلك نتيجة الدعاية والسياسة التي تدير عليها الشخصيات ذات النفوذ هناك، وهي التي كانت أهام الاستعمار الإنكليزي، ولم تتبدّل، وبقي لها نفوذها، ولها مكانتها، وتريد التفرقة، وإيجاد الخلاف.

وفي انتخابات جمادى الأولى ١٤٠١ هـ (آذار ١٩٨١ م) التي جرت في صباح قاد رئيس الوزراء حارث صالح حزبه (بيرجابا) في تلك الانتخابات وفاز فيها فوزاً ساحقاً حيث حصل على ٦٠٪ من مجموع الأصوات، وحصل على ٤٧ مقعداً من مجلس الولاية البالغ ٥١ مقعداً أي خسّر أربعة مقاعد فقط، وإن هذا الحزب متعدد العرقيات.



بحر الصين الجنوبي

مصدر رقم [٣]

وفي ولاية ساراواك بقي داتوك باتنجي ثان سري عبدالرحمن يعقوب
عشر سنوات في رئاسة وزراء الولاية، وكان من قبل وزيراً للتعليم، وقد
ضعف جسمه، فقتل بسبب تردي أوضاعه الصحية، وعقله ابن أخيه
داتوك عمار الطيب محمد الذي كان وزيراً انتخابياً في كوالالمبور.

وكان رئيس الوزراء السابق في ساراواك قد عين ديبرتوان حاكماً على
ولاية ساراواك دون أخذ موافقة الحكومة الاتحادية.

وفي الانتخابات التي جرت في شعبان ١٣٩٨ هـ (نومبر ١٩٧٨ م)
حصلت الجبهة الوطنية في ولايات شبه جزيرة الملايو على ١٣١ مقعداً من
أصل ١٥٤ مقعداً. وكان الحزب الإسلامي قد انسحب من الجبهة منذ عام
تقريباً. وفي ولاية كيلانتون مركز قوة الحزب الإسلامي نجح منافس حزب
(بيرجاسا) الذي هو عضو في الجبهة الوطنية^(١).

A history of Malaysia Barbara Watson Andaya and Leonard Andaya. (١)
1961.

تعداد از هر گونه
انواع
کل آنکه حدود

ابوابی

اندونسیا



لمحة عن تاريخ
أندونيسيا
قبل إلغاء الخلافة

لما كانت الجزر الأندونيسية تنتشر على مناطق واسعة، ويفصل بعضها عن بعض بالبحر، بسبب وضعها الجزري، لذا فقد نشأت فيها عدة ممالك منذ قبيل الإسلام وحتى مجيء الاستعمار، ومن هذه الممالك ما كان سلطانها يمتد على رقعة صغيرة من الأرض قد لا تزيد على مساحة الجزيرة التي تقوم عليها، بل على جزء منها، ومنها ما يمتد ذلك حتى يشمل الجزر كلها، بل يمتد ليشمل جزءاً آخرى غير الجزر الأندونيسية، وقد يضم جزءاً من البير الأسيوي كأن تكون شبه جزيرة الملايو، أو غيرها، ومن هذه الممالك:

١ - امبراطورية سري فيجايا: وتأسست جنوبي سومطرة في أوائل القرن السابق للبعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وازدهرت هذه الامبراطورية، ونشرت سلطانها على أكثر الجزر الأندونيسية، وعلى شبه جزيرة الملايو، ووصل نفوذها إلى الفلبين شمالاً، وإلى جزيرة سيلان في الغرب، والتي عظمت وتبعث هذه الامبراطورية، وبقيت هذه الدولة حتى انتشر الإسلام بين أهلها في القرن السابع الهجري.

٢ - مملكة تارومانالهارا: وتأسست في غربي جزيرة جاوة في القرن الثاني قبل الهجرة النبوية، وبقيت حتى القرن الخامس الهجري.

٣ - مملكة سوندا: وقامت عام ٤٢١ هـ، وحلت محل سابقتها في غربي جاوة.

٤ - مملكة جاوه الوسطى: واستمرت حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

٥ - مملكة مانارام: وقامت في جاوه الوسطى، في أواخر القرن الثالث الهجري، فهي قد حلت محل سابقتها وبقيت حتى أخذ الإسلام ينتشر بين أبنائها. وقد نقلت مراكزها الإدارية عدة مرات.

٦ - مملكة جاوه الشرقية.

٧ - إمبراطورية ماشافايت: وقامت في أواخر القرن السابع الهجري، واستمرت حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (٦٩٣ - ٨٨٣ هـ) وسطت سلطاتها على الجزر الأندونيسية كلها إضافة إلى الفلبين وشبه جزيرة الملايو، وجزء من الهند الصينية. وبدأ الضعف ينخر فيها بعد موت آخر أباطرتها الكبار (هايم ووروق)، حيث أخذت الأوضاع الإدارية تتردى مما أدى إلى قيام حركات انفصال عنها في بعض البلدان التي كانت تابعة لها، وحدثت اضطرابات، وحروب بين المقاطعات بعضها ضد بعضها، وتأخرت الزراعة، وانتشرت المجاعة، وأقبل الناس نحو الإسلام إيماناً منهم بأنه دين الحق، ولذلك فإنه سينقذهم مما يعانون. وقد انفصلت بعض الممالك عن هذه الإمبراطورية ومنها:

أ - مملكة ميتكابو: في سومطرة الوسطى.

ب - مملكة آتشيه: في شمالي سومطرة، وانتشر فيها الإسلام، وكانت أقوى الممالك الأندونيسية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين. وبقيت حتى عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وكان لها دور كبير في قتال الهولنديين.

وليس هذه كل الممالك التي قامت في الجزر الأندونيسية. بل قامت ممالك ثانية ذات أهمية في الجزر الأخرى مثل: مملكة برونوي، وساراواك في شمالي جزيرة بورنيو، ومملكة بانغر في جنوبها، وممالك أخرى في جزيرة سيليبس، وجزر الصوند الصغرى. ولكن إمبراطورية ماشافايت قد وحدت هذه الجزر جميعها، وضمت هذه الممالك كلها.

وتعرضت أندونيسيا للغزو الصيني، واحتل الصينيون جزيرة جاوه عام ٦٨٢ هـ أيام قبلاي عمان حفيد جنكيزخان.

انتشار الإسلام:

من الصعب أن نُحدّد الزمن الذي وصل الإسلام فيه إلى تلك الجزر، وإن كان بعضهم يُؤكّد وصوله منذ المرحلة الأولى التي شخ فيها نور الإسلام في أرض العرب، حيث انتقل منها بواسطة التجار الذين ما انقطع سفنهم ثمخر عياب البحر قادمةً وذاهةً تحمل البضائع بين أندونيسيا وبلاد العرب، وإذا كان التاريخ قد انتقل مع المجاهدين إلى ساحة المعارك ليدون الفتح، ويُسجل انتصار الحق وهزيمة الباطل، وينسب ما عدا ذلك فرحاً بزهور الباطل وغبطةً بارتفاع راية الحق، ولكن التجارة بالواقع لم تتوقف وانتقال الأخبار لم ينقطع غير أنها عاشت تحت غطاء حركة الفتح التي طلعت على كل ما سواها. ولكن يذهب بعض المؤرخين الآخرين إلى أن القرن السابع الهجري هو أول وقت وصل فيه الإسلام إلى تلك الجهات، ويستندون في ذلك إلى ما كتبه الرحالة الأديبي (ماركوبولو) عن زيارته إلى جزيرة سومطرة عام ٦٩٢ هـ حيث قضى خمسة أشهر فيها فيقول: «إن جميع سكان البلاد عبدة أوثان اللهم إلا في مملكة (برلاك) الصغيرة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة حيث كان سكان المدن وحدهم مسلمين. أما سكان المرتفعات فكثيهم وثنيون، أو متوحشون يأكلون لحوم البشر». بينما تذكر كتب تاريخ الملايو: أن أول ملك مسلم حكم مملكة (آتشيه) هو (جيهان

شاه) وكان ذلك عام ٦٠٢ هـ وإته لم يكن من سكان البلاد، وإنما تزوج منهم فقبلوه ملكاً.

ويعتقد أن الإسلام قد بدأ يطرق أبواب تلك المنطقة منذ أن توقفت موجة الفتوحات، حيث انصرف الناس بعدها إلى مختلف نواحي الحياة يعملون في الزراعة، ويمارسون الصناعة، ويتقنون بالتجارة، وازداد إفلاح السفن من سواحل جزيرة العرب ومن فارس فتمتد وجهتها نحو المشرق تحمل معها البضائع، وإلى جانبها أخلاق التجار المسلمين التي تنبع من العقيدة، إلى جانب الدعوة الذين عملوا على نشر الدعوة والعمل في سبيل الله دون أي عمل آخر معتمداً في رزقه على ما كان قد جمعه، وكثيراً ما كان التجار يتخلون بضاعتهم وسيلة للاتصال بالناس والعمل على هدايتهم.

وتروي كتب التاريخ أن بعض التجار الأندلسيين قد وصلوا إلى بغداد أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وعندما قفلوا راجعين كانوا يحملون بين جوانبهم عقيدة الإسلام، وعندما وصلوا إلى بلادهم قاموا بدعوة واسعة النطاق لها، وبدأ الإسلام ينتشر بين السكان ولكن على شكل أفراد وجماعات بسيطة، وأخيراً استطاعوا أن يؤسسوا لهم تلك المملكة الصغيرة (برلاك) التي يتحدث عنها الرحالة الأوربي (ماركوبولو). ولكن لم تكن لتخلو بقية المدن والجزر الأخرى من أفراد مسلمين وأسرة كاملة، ولكن لم يشعر بهم الغريب ما دام ليس لهم أثر واضح على حياة السكان لغلتهم، وإلا هل يمكن أن ينتشر الإسلام دفعة واحدة في تلك المدة البسيطة التي تلت زيارة (ماركو بولو) لجزيرة سومطرة، حيث قام بزيارتها بعد أقل من نصف قرن الرحالة المسلم (ابن بطوطة) لوجد الحكم الإسلامي، وأكثرية الشعب تعتقد العقيدة الإسلامية، فقد كانت زيارته للجهة نفسها عام ٧٤٦ هـ، ويقول عن هذه المشاهدات: وهو السلطان الملك الظاهر من قضاء الملوك، شافعي المذهب، محب للفقهاء، يحضرون مجلسه للقراءة

والمذاكرة، وهو كثير الغزو والجهاد، ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه، وأهل بلاده شافعية، مُحبون للجهاد، يخرجون معه تلوفاً، وهم غالبون على من يليهم من الكفار، والكفار يُعطون الجزية على الصلح». وربما كان (ماركو بولو) يهون من شأن المسلمين من باب التحقير الصلحي.

وما إن بدأ التجار المسلمون يفتنون إلى تلك السواحل، ويرحل عنها أبناؤها ليعودوا بعقيدة جديدة حتى بدأت اليدور الأولى للدعوة تثبت جذورها في تلك الأرض، واتخذت الوسائل جميعها لهداية الناس، وأخذهم إلى طريق الإسلام، فالمسلم يحب الخير للناس جميعاً، ويحب لهم ما يحب لنفسه، فيرغب لنفسه الأجر بهداية الآخرين، وكذلك يحب لهم الأجر بعد الهدى، وأكبر شيء يمكن أن يُقدّمه للناس هو دعوتهم للإسلام فيحصل على أكبر أجر، ويحصلون على أكبر خير إن تمكن، ومن هذه الوسائل معاملة السكان كما يتعرفوا على الخلق الإسلامي لإقبال الناس على هذا الدين، ولهذا اتخط بعض الدعاة التجارة لتكون وسيلة لهم للصلة مع السكان والتعامل معهم، ويشترون العبيد ويعتقونهم ليرفعوا من مكانتهم الاجتماعية، ويدعونهم إلى الإسلام، فيسلمون غالباً، ويتزوجون من سكان البلاد فتدخل المرأة في دين زوجها بعد أن تتعرف على حقيقة الإسلام عن قرب، وتتبنى المعاملة الإسلامية بالممارسة، ثم لا يلبث أن يتبعها بذلك أهلها وأقرباؤها، ويحرص السكان على تعلم اللغة العربية على أنها لغة المسلمين التجار الأرقى، ولغة المصلحة بالنسبة لهم، والإنسان أقرب ما يكون إلى من يتغامر معه مباشرة دون وسيط فيسمع القرد الكلمة من المسلم فيعرف معناها، ويتأثر، وصار كل من يتكلم العربية يُسمى مسلماً، وقبل بعضهم هذا الاسم، وأقبل على الإسلام.

وكان أهالي البلاد يحترمون التجار المسلمين والدعاة، ويكرمونهم لأجلهم الرفعة التي تنبع من عقيدتهم ولغريبتهم من ناحية ثانية، ولشعور

السكان أن هؤلاء الغرياء المسلمين أعلى منهم مستوى، والغريب محب
مكرم، وإكرام الطيف معروف عند أكثر الشعوب، كما أن هذا الاحترام قد
يكون ناشئاً عن الثروة التي يملكها هؤلاء التجار، والتي تجعل لهم مكانة
مرموقة، ومركزاً ممتازاً في المجتمع، بل يترقب الناس منهم، وكذلك فإن
الحكام بحاجة إليهم لزيادة النشاط التجاري في بلادهم، ولزيادة دخل
البلاد من عائدات التجارة، ومضاهاة الإمارات الأخرى بذلك النشاط،
والثراء، والتطور الذي ينشأ نتيجة كثرة التجارة، وكذلك يجب ألا ننسى
الهدايا التي يحصل عليها المسؤولون من التجار، كل هذا يجعل للتجار
المسلمين مكانة عند حكام الإمارات الأندونيسية فيلتقون بهم، وغالباً ما
يؤثرون بهم لثقافتهم، وعلمهم، ولكنهم دعاءً يعرفون أسلوب الدعوة
وطريق الحوار، فإذا ما أسلم أحد الحكام توسع انتشار الإسلام لأن الشعب
غالباً ما يحرص على تقليد أمراءه. وكذلك تعتق القبائل الإسلام محروماً
اعتناق أحد كبارها له، وكانت تلك المناطق لا تزال تزخر بالحياة القبلية.

كما أن السكان قد تأثروا بوضوح العقيدة الإسلامية ونسرها، وبما
فيها من المساواة بين الناس، وهذا على خلاف ما يعرفونه من فروق قائمة
بين الناس في الديانات التي كانت تسود أندونيسيا، وكان الشعب يُعاني
الكثير من ذلك، ويريد الخلاص مما هو فيه، ووجد الإسلام مُقَدِّماً له.

وقد يكون التأثير بسبب تقوى المسلمين بالحضارة، ومن المعروف تأثر
الناس باللين يعتقدون أنهم أعلى مستوى منهم، كما أن إقبال المسلمين
على المؤاخاة بين أهل البلاد، وبعدهم عن الغايات والأطماع التي يعرفونها
من الغرياء غيرهم، كل ذلك قد أوجد عند الأندونيسيين تقبلاً للانتساب إلى
الإسلام وفتحاً، وخاصة أنهم وجدوا في الدعوة مثلاً أعلى وأنموذجاً رائعاً
في الإنسان الكامل من حيث الأخلاق، والتواضع، والبعد عن الجشع رغم
علمهم المادي الذي يُمارسونه. وحتى وجدوا من الأمراء الأندونيسيين الذين
اعتنقوا الإسلام تغيُّراً واضحاً في السلوك والأخلاق، ولم يتخلدوا سيقاً، ولم

يرغموا سوطاً لتحويل أتباعهم إلى عقيدتهم كما يفعل الأمراء غير المسلمين،
أو كما فعل هؤلاء أنفسهم قبل أن يُسلموا، ولم يستعمل السيف إلا لإحراق
الحق، أو دفع باطل، أو ضرب من يلق في وجه الدعوة، ويحول دون
انتشارها.

وبعد مجيء الاستعمار وهدوم الإرساليات التنصيرية ازداد إقبال الناس
نحو الإسلام مخالفةً للإرساليات التنصيرية وعدّها لما يرون من أعمال تلك
الإرساليات غير الإنسانية، فقد حدث أن تنصرت قرنتان، ثم تركتا النصرانية
واعتنق سكانهما جميعاً الإسلام لما شاهدوا وعرفوا من حقيقة تلك
الإرساليات النصرانية.

ولم يدع المسلمون القادمون أنهم من جنس أسمر، أو عرق
أفضل، أو شعب أرقي، أو أنهم أكثر مدنية، أو أعلى مكانة، كما يدعي
المستعمرون الصليبيون، فهذا أمر يعرفه الآخرون، ويُقرّون به، لا يدعيه
صاحب العلاقة نفسه.

كل هذا إضافة إلى حاجة الإنسان إلى التدين التي جعلت السكان
يُفكِّرون تماماً في قضية العقيدة، ولما كانت الديانات الموجودة آنذاك في
أندونيسيا لا تُحقِّق شيئاً من رغبات الإنسان الفطرية، لذا فقد أقبل السكان
على الإسلام بشكلٍ واسع لا نظير له، إذ اعتنق الإسلام في أندونيسيا
عشرات الملايين في مدة لا تتجاوز القرن من الزمن، وكانت المناطق
الداخلية أكثر إسهاماً للدخول بالإسلام من المناطق الساحلية التي كانت
أشدّ اتصالاً بالمؤثرات الأجنبية. وكانت المناطق الساحلية أكثر تقبلاً
للإسلام لكثرة التجار المسلمين، وأخذها الدين الذي يتلاءم والفطرة
الشريفة من بين المؤثرات الكثيرة التي ترد إليها من التجار الذين يمثلون
مختلف الأمم والعقائد. ولم يبق بعيداً عن الإسلام في أندونيسيا إلا تلك
القبائل المعزولة في الغابة التي لم تختلط بغيرها، وتزوي على نفسها،

ولم يكن بالإمكان الاتصال بها. ولا تخلو جزيرة إلى الآن من أمثال هذه القبائل المتكفئة على نفسها في الأعراس وقلل الجبال.

ولما دخل الكثير من السكان في الإسلام ومن مختلف الفئات وحدوا صفوفهم، وقاموا بحركة الانفصال عن إمبراطورية (مالافاهيت) بقيادة الزعيم (أونس) الذي عُرف باسم بونس، واستطاع أن يتصر على ملوك تلك الإمبراطورية، فإن المسلم لا يصح أن يبقى تحت حكم الجاهلية إن كان بإمكانه إقامة حكم إسلامي. وإن لم يستطع فعله أن يرحل إلى دار الإسلام حيث يُقام حكم الله. وبذلك بدأت تناس ممالك إسلامية في الدونيبا.

هذا في الجزيرتين الغربيةين اللتين تمرّ منهما الطرق التجارية، أما بقية الجزر فقد جاءها الإسلام من الجزيرتين السابقتين، ففي جزيرة (بورنيو) كان الإسلام أول ما دخل في صفوف شعب (بنغرماسين) الذي كانت له مملكة في جنوب غربي الجزيرة.

وفي شمالي الجزيرة كانت مملكة (بروني) التي انتشر فيها الإسلام أيضاً في وقت مبكر، ولما وصل الإسبان إلى الجزيرة عام ٩٢٨ هـ وجدوا ملك (بروني) مسلماً.

وفي غربي الجزيرة قامت مملكة (سوكندة)، وقد عمّ الإسلام فيها عام ٩٥٧ هـ.

وهكذا عمّ الإسلام أكثر الساحل بينما بقي الداخل على الوثنية. وفي القرن الثاني عشر الهجري بدأ الإسلام ينتشر في قبيلة (إيدان) التي تقع في الداخل.

وأما جزيرة (سيليس) فقد انتشر الإسلام على الساحل أيضاً، ومنه انتقل إلى الداخل، وتعدّ قبيلتا (ماكاسار) و(البوجي) أهم قبائل سكان

الساحل، بل وأغلب سكانه يمتنون إلى إحدى هاتين القبيلتين. أما سكان الداخل فهم من (الألفور) الذين ينتشرون في القسم الشرقي أيضاً، وقد بدأ الإسلام يشق طريقه إليهم، وقد زار البرتغاليون الجزيرة عام ٩٤٧ هـ، ولم يجدوا فيها إلا قليلاً من المسلمين في قاعة (جوا) حاضرة مملكة (ماكاسار) - على زعم البرتغاليين - ولكن ما جاء القرن الحادي عشر الهجري إلا وكثر المسلمون، وطلبوا العلماء من مملكة (أنشي) في شمالي سومطرة، فلبّي الطلب مباشرة، وجاء العلماء، وذلك عام ١٠١٢ هـ. ودخل شعب (بوني) في الإسلام على يد شعب (ماكاسار)، واتخذ الهولنديون المستعمرون الصليبيون كل الوسائل، وبذلوا جهودهم كافة لإثارة شعب (بوني) على قبيلة (ماكاسار). كما استطاع الدعاة في قبيلة (البوجي) أن يُحوّلوا قبيلة (السك) التي تسكن في جزيرة (لمبوك) إلى الإسلام، كما عملوا على نشر الإسلام في جزيرة (سومباوا).

ويرتبط وصول الإسلام إلى جزر (المولوك) بتجارة القرنفل في القرن الخامس الهجري أذن ملك (يدور) الوثني للدخول في الإسلام على يد الشيخ منصور، ولقّب نفسه (جمال الدين)، وبعد ما اعتنق كثير من رعاياه الإسلام. وقد استقبل البعثة الإسبانية عام ٩٢٨ هـ، وأكرم رجالها، ويقول الإسبان: إن عمره كان خمسة وخمسين عاماً، وأنه لم يطمس على قدم الإسلام إلى هذه الجزيرة أكثر من خمسين سنة. كما استقرّ الإسلام في جزيرة (ترنات) قبل ذلك بوقت قصير.

وحاول الإسبان والبرتغاليون نشر النصرانية وبذلوا إمكانيات ضخمة في سبيل ذلك، ولكن السكان عندما أرادوا التخلص من المستعمرين الصليبيين قاموا بإسقاط النصرانية على أنهم من غراس المستعمرين، وترططهم بهم صلة العقيدة، وسيقون على هذا الأساس تبعاً لهم، وفي الوقت نفسه عملوا على نشاط الدعاة المسلمين.

وأخرج الهولنديون البرتغاليين والإسبان من الجزر الأندونيسية على أنهم من الكاثوليك، ومن بقي من آثارهم انتقل إلى جزر القيليين.

وقد أسس المسلمون عدة ممالك في الجزر الأندونيسية ومنها:

- ١ - مملكة بولاك في سومطرة، وهي التي زارها الرحالة ابن بطوطة.
- ٢ - مملكة بنتام في غربي جاوه. وقد أسسها السلطان (حسن الدين) عام ٩٧٦ هـ.

وكان البرتغاليون قد احتلوا (مالاكا) عام ٩١٧ هـ، وسيطروا على شمالي جزيرة سومطرة عام ٩٢٨ هـ، وأصبح مضيق (مالاكا) تحت نفوذهم وسلطانهم، لذلك اتخذ المسلمون طريقاً جديدةً لتجارتهم تبتعد عن مضيق (الصوند) بين جزيرتي (جاوه) و(سومطرة) عوضاً عن مضيق (مالاكا) بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة، وبهذا الانتقال توسع انتشار الإسلام في غربي جزيرة جاوه، وقويت شوكة أتباعه، فأسسوا مملكة (بسام) هذه، وتخلصوا من حكم مملكة (فاثاغاران) الوثنية التي كانت تحكم المنطقة، كما استطاع المسلمون من إحرار النصر على البرتغاليين الذين جاءوا إلى المنطقة لمساعدة الملك الوثني.

- ٣ - مملكة ديماك في وسط جاوه: أسسها رمضان قاسمي عام ٨٣٢ هـ.

- ٤ - مملكة متارام في شرقي جاوه: كانت (متارام) مملكة قائمة، وكان ملوكها على الوثنية، وفي عام ٩٩١ هـ تولى أمرها رجل مسلم اسمه (متافاتي) وعمل على نشر الإسلام، ووحدة جزيرة (جاوه) كلها تحت حكمه، وكاد أن يتم له الأمر لولا أن اتخذ سياسة إبقاء الممالك الصغيرة ذات استقلال ذاتي، وتخضع لسلطانه، فكان حكامها يظهرين له الطاعة، ويضمرون العنصر، فمما أن وافته منته حتى أعلنوا العصيان على المملكة،

واندلعت الحروب بين هذه الممالك، وانتهى أمر مملكة (متارام) الإسلامية.

- ٥ - مملكة أنشيه في شمالي سومطرة: كانت هذه المملكة أولى الممالك الأندونيسية القديمة التي انتشر فيها الإسلام، وتوسد، وتشجع السكان لدينهم، ولكن قبل جهادهم في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين لسيطرة البرتغاليين التجارية، وانتقال الطريق التجارية من مضيق (مالاكا) إلى مضيق الصوند، إضافة إلى النزاع الذي حدث بين العلماء الذين يرفضون النفوذ الأجنبي وبين الحكام الذين لا يدعون إلى الجهاد، ولكن عادت لهذه المملكة قوتها في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وبدأت تقاوم المستعمرين الصليبيين حتى القرن الرابع عشر الهجري.

- ٦ - مملكة بالمبانغ في جنوبي سومطرة: وقد أسسها السلطان عبدالرحيم عام ١٠٥٨ هـ، وكانت أول مملكة في تلك الجهة رغم انتشار الإسلام منذ القرن السادس الهجري.

وبالقضاء على إمبراطورية (مالهافاهيت) انتهى حكم الهندوس في تاريخ أندونيسيا باستثناء جزيرة (بالي) حيث تجتمع فيها الهندوس، والذين يقدر عددهم بأكثر من مليون.

الاستعمار:

في الوقت الذي بدأ المسلمون فيه يشتون أقدامهم في أندونيسيا كان المستعمرون الصليبيون من ناحية أخرى يفرزون مخالبيهم في الأرض لتجد لأصحابها مركزاً ثابتاً تستقر فيه لتحقيق الأهداف التي يسمون لها.

احتل البرتغاليون (مالاكا) عام ٩١٧ هـ، واتخذوا منها قاعدةً لشب الحملات على الجزر الأندونيسية وخاصة جزر (المولوك)، وهي الجزر

التي يعرفونها باسم جزر (الشوابيل)، وقد تمكنوا من السيطرة على شمالي سومطرة عام ٩٢٨ هـ، ووصلوا إلى جزيرة (سيليس) عام ٩٤٧ هـ.

كما أن الإسبان قد وصلوا إلى جزيرة (بورنيو) وإلى جزر (المولوك) عام ٩٢٨ هـ في طريق عودتهم، بعد مقتل قائدهم (ماجلان) في جزر (الفليبين) بعد أن أظهر صليبية عناء، وأراد فرضها على السكان. وإذا كانت البرتغال قد استطاعت أن تثبت أقدامها في الجزر الأندونيسية إلا أن إسبانيا قد عجزت عن ذلك إلا في جزر (المولوك).

قامت الثورات ضد البرتغاليين لتعصبهم الصليبي، ولظلمهم، وقامت معها حركات ضد التصارية التي عدّها السكان تنمّة للاستعمار الصليبي إذ هو الذي جاء بها، وهو الذي أغرى بها بعض الفقراء المعقّلين، وأصحاب المصالح الطامعين. وازدادت هذه الحركات بعد أن قتل غدرًا سلطان جزيرة (ترنات) عام ٩٧٨ هـ، ويُدعى (هارون)، وكانت تمتدّ سلطته حتى جزر الفلبين.

وضعت البرتغال بعد أن احتلتّ إسبانيا أراضيها عام ٩٨٨ هـ، ثم إن إسبانيا لم تلبث أن ضعف أمرها بعد أن هُزمت أمام إنكلترا، وتحطّم أسطولها في معركة (الأمادا) عام ٩٩٧ هـ، وهذا ما هيّأ الجو لدول طامعة عندنا رغبة في الاستعمار، وعندنا رغبة في التراء، بعد أن كانت تسمع عن ثروات الشرق وغنى أهله، وعندنا رغبة في أن تُساهم في قتال المسلمين، ولديها حلم في المنافسة لدول تحول في تلك الأصقاع البعيدة، وانطلقت هولندا التي كانت في حرب مع الإسبان، وتخلّصت من سيطرتهم حيث كانت تخضع لهم، فخرجت تنافسهم، وتقاتلهم، وتُحاول أن تحل محلهم في مستعمراتهم التي احتلّوها، والتي ورثوها عن البرتغاليين ألبسًا.

الاستعمار الهولندي:

وصل الأسطول الهولندي إلى سومطرة، وجاوه عام ١٠٠٥ هـ لأول مرة، وحدث بينهم وبين السكان معارك، وحاول البرتغاليون الوقوف في وجه الهولنديين فأمروا بواخراهم في (قوا) على ساحل الهند الغربي، وبواخراهم التي في (مالاكا) في شبه جزيرة الملايو بالتحرك نحو أندونيسيا لمقاومة الهولنديين، وهدّوا كل سفينة ليست لهم غنيمة يأخذونها ومنها السفن الأندونيسية فاستطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عدّ الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تتزحزح عن مراكزها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز (مالاكا) مدة أربعين سنة أخرى، كما احتفظت بجزر من جزيرة (تيمور)، ومراكز صغيرة أخرى، ولكنها بقيت ضعيفة لا يهتم بها.

لم تُراع هولندا التحالف الذي تمّ ضمناً بينها وبين الأندونيسيين، فما أن خرجت البرتغال من الساحة القتالية حتى انفضّ الهولنديون على الجزر الأندونيسية وعلى السكان يعملون سلباً، ونهباً، وقنلاً، وتشتياً، فما كان الذهب الجائع ليرعى حرمة الحمل، والهولنديون جاءوا طامعين بالتراء، يريدون العزة بعد الذلّ، حاقدين على الإسلام وأهله، وقد انتهت الفرصة فانقضوا كالذئاب الكاسرة الجائعة التي أثارها غريزة جوعها نحو شياؤ أمامها وعال بينهما حائل ثم زال ذلك الحائل فانقضت تنهش غريزتها من غير رحمة.

بدأت هولندا تُشدّد قبضتها على الجزر، وأُسست شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠١١ هـ، ووجدت الفرصة مناسبة لها لانشغال إنكلترا وإسبانيا في حروب فيما بينهما، وبدأت المعارك بين الهولنديين وبين المحالّك الإسلامية وخاصةً مملكة (نارام)، وشعر ملوك جزيرة (جاوه) بعد هذه المعارك بقوة مركز هولندا، التي بدأت توسع سلطتها تدريجياً، وتقيم

الفلح والحصون التي أصبح من أشهرها (بنالبا)، وهو الاسم الذي أطلقوه على مدينة (جاكوتا)، إذ أعطوها اسم إحدى القبائل الهولندية (بنالبا)، وأخذت هولندا تتجه كلياً نحو أندونيسيا، وتزعم بثقلها هناك بعد أن انهارت تجارتها في الهند بسبب منافسة كلٍّ من فرنسا وإنكلترا لها.

أخذت المنافسة بين إنكلترا وهولندا تظهر في أندونيسيا منذ عام ١٠٢٧ هـ، وإن كانت هناك معارك جانبية من قبل، وإن بقيت المنافسة هناك وفي مناطق أخرى إلا أن الحرب قد انتهت بين الطرفين على إرغام هولندا على إلغاء احتكاراتها التجارية في الهند وفي أندونيسيا. وهذا ما سبب زيادة في خسائر شركة الهند الشرقية الهولندية والتي بلغت سنة وتسعين ألف روية عام ١٠٢٦ هـ.

احتلت فرنسا أراضي هولندا عام ١٢١٠ هـ، وكانت إنكلترا وفرنسا في حروب دائمة فيما بينهما، ومناسبة لا تقطع، واحتلال فرنسا لهولندا وضمتها إليها، وعدّها جزءاً منها أصبحت ممتلكات هولندا في الشرق فرنسية لذا أسرعت إنكلترا واحتلت مخازن الشركة الهولندية في الهند، وفي سومطرة دون مقاومة تذكر، وانتهى أمر الشركة عام ١٢١٤ هـ.

وبعد انتهاء الحرب بين إنكلترا وهولندا أيام حروب نابليون بونابرت عادت الحكومة الهولندية فاستولت على ممتلكات الشركة السابقة من جديد، وبدأت في استعمار أندونيسيا. وبعد هزيمة نابليون، واستقلال هولندا تم توقيع اتفاقية بين هولندا وإنكلترا، تركت هولندا بموجبها جزيرة سيلان، والكامب في أقصى جنوبي إفريقيا، وجزائر الهند الغربية في أمريكا إلى إنكلترا، وبالمقابل تخلت إنكلترا عن أندونيسيا لهولندا، وكانت إنكلترا قد احتلت جزءاً من أندونيسيا، وفي عام ١٢٢٢ هـ رفع الهولنديون رايتهم من جليلد فوق (بنالبا)، ولكن لم يدخل الهولنديون البلاد دون مقاومة، فقد قامت عدة حروب بين السكان وبين الدخلاء، كان من أشهرها:

١ - حروب (دييو نيغورو) الأمير المسلم: واستمرت خمسة أعوام، وانتهت عام ١٢٤٦ هـ.

٢ - حروب (بدري): وبدري جمعية دينية تأسست قبل وصول الهولنديين بقليل، وتعني البيضاء، رمزاً لظهارة القلوب، وصفة للملابس البيضاء التي لسوها، وبدأوا بالدعوة للإسلام، وعندما نزل الهولنديون في أندونيسيا أعلنت جماعة (بدري) الجهاد، واستطاعت إحرار النصر، وأقامت حكماً برئاسة مجلس يضم ثمانية علماء، وبرز من أبطال الجهاد الشيخ مصطفى سحاب.

أشعلت هولندا الحرب الأهلية بين السكان بينما انصرفت هي لقتال جماعة (بدري)، واستمرت الحرب خمس عشرة سنة (١٢٣٧ - ١٢٥٣ هـ).

وكان الهولنديون يتصرفون على الملوك المحليين بالخدعة والمكر والغدر، لا بالقوة العسكرية، وإن كان النصر يثم أحياناً على بعض الملوك بالقوة وأفضلية السلاح.

وبعد أن سيطرت هولندا على جزيرة (جاوه) إثر حروب الأمير (دييو نيغورو) اتجهت إلى الممالك الأندونيسية الأخرى تخضعها مملكة مملكة حتى استطاعت أن تغلب على الممالك جميعها في بداية القرن الرابع عشر الهجري، ولعل أشهر هذه الحروب التي جرت خارج جزيرة (جاوه) هي:

٣ - حرب (أنتيه) في شمالي سومطرة: وقد استمرت هذه الحرب إحدى وثلاثين سنة (١٢٩٠ - ١٣٢٢ هـ) وقد أعلن سكان مملكة (أنتيه) الجهاد ضد الهولنديين الذين أرادوا أن يسيطروا نفوذهم على المسلمين، وكان السلطان آنذاك يدعى (إبراهيم منصور شاه)، وظهر من الأبطال في هذه الحرب (تكتو عمر)، ولكن إن انتهت الحرب عام ١٣٢٢ هـ فإن

الاضطرابات استمرت عشر سنوات أخرى أي حتى عام ١٣٣٢ هـ قبل الحرب العالمية الأولى.

قامت الحرب العالمية الأولى، وقد استفرت أقدام الهولنديين في أندونيسيا تقريباً، ولكن هذه الحرب لم تغير شيئاً من الأوضاع السياسية، وبعد انتهاء الحرب بدأت هولندا بتطبيق سياستها الاستعمارية الصليبية، ومنها العمل على إزادة المسلمين، وإفسادهم، وإبعادهم عن دينهم، ونهب ثروات البلاد بما يرضي نهمها، وبما يجعل السكان فقراء الأمر الذي يلزمهم الحاجة والتوجه نحو النصرانية - حسب التصور الصليبي -.

اتجه الأندونيسيون نحو توحيد الصفوف، وتأسيس الجمعيات، وتنظيم الأحزاب، ولعب المسلمون المتزعمون الدور الكبير فيها، ومن هذه التنظيمات:

١ - الجمعية الخيرية في جاكرتا، وتأسست عام ١٣١٩ هـ.

٢ - جمعية مكارم الأخلاق الخيرية في (سورابايا) في شرقي جاوه.

٣ - شركة إسلام في (سولو)، وأسّسها الحاج (سمنهوي)، وكان يُسانده في الحركة (عمر سعيد شكرو أمينوتو) الذي صار فيما بعد زعيم هذه الهيئة، والتي انقلت عام ١٣٣٠ هـ إلى حزب سياسي عُرف باسم حزب (شركة إسلام)، وعمل هذا الحزب على توحيد جهود الأندونيسيين، ورفع مستوى المعيشة للسكان، وابتدأ في كفاحه ضد الهولنديين، وتطورت المجاهدة من سياسة اقتصادية إلى جهاد مستمر، وظلّ دعامةً من دعائم الاستقلال. وقد بدأ بمقاطعة الحكومة عام ١٣٤٢ هـ، إذ خرج أعضاؤه من المجلس النيابي.

٤ - الجمعية المحمدية: وأسّسها محمد دحلان عام ١٣٣١ هـ، وقد ركزت جهودها على التعليم، ونشر مبادئ الإسلام، فافتتحت المدارس،

وأقامت جامعة، كما أنشأت المساجد، والمستشفيات، وتعدّ أكبر جمعية تعليمية في العالم، إذ تُشرف على ألفي وخمسمائة مدرّسة ثانوية، وسبعمئة مستشفى، وثلاثمئة دارٍ للإيتام.

٥ - جمعية الإرشاد في (سورابايا)، وأسّسها أحمد السكوتي، وهو ذو أصل سوداني، وتُركز اهتمامها على التعليم، ولا تُدرّس إلا بالغة العربية، وأُنشئت عام ١٣٣١ هـ.

٦ - الجمعية العائشة التي تأسست عام ١٣٣٥ هـ، وهي خاصة بالسيدات، ومركزها مدينة (ميدان) في جزيرة سومطرة.

٧ - الحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي بأندونيسيا وهو فرع للحزب الاشتراكي الهولندي بهولندا. وذلك أن هولندا كانت تعدّ أندونيسيا جزءاً منها على حين أن مساحة أندونيسيا تفوق مساحة هولندا بـ (٦٨) مرة، ورضي هذا الحزب بهذا الاعتبار ورضي به، وعدّ نفسه فرعاً للحزب الذي مركزه هولندا، وعندما انكشف أمر هذا الحزب عدّ نفسه مستقلاً وذلك عام ١٣٣٨ هـ، وبعد عام واحد أُعلن عن تأسيس الحزب الشيوعي، والتحق بالمنظمة الشيوعية العالمية (كومترن)، وكان هذا الحزب يلقى كل تأييد من السلطات الهولندية.

وقامت ثورة واسعة في البلاد لم تستطع القوات الاستعمارية الصليبية من إطفاء نارها إلا عام ١٣٤٦ هـ، وهذه الثورة، وهذا الوعي الذي تمثل في تأسيس الجمعيات، وتنظيم الأحزاب لم يزد هولندا إلا حقدًا على السكان المسلمين، وتصميماً على سلب خيرات البلاد كلها، وضرب السكان ضرباً رادعاً، وأعدت الخطة اللازمة لذلك، واستمرت في تنفيذها حتى اندلاع نار الحرب العالمية الثانية.

أندونيسيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

الفصل الأول

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وهولندا تعمل على تطبيق سياسة استعمارية، صليبية حاقدة، والسكان في ضيق شديد يوقدون نار الثورة ببطء، ويتحركون بترنج مما يُعانون من الظلم، والفقر، والجهل، والمعرض، والدلّ نتيجة تلك السياسة الغاشمة.

واستمرّ تأسيس الجمعيات وتنظيم الأحزاب، ومن أشهر هذه التنظيمات في هذه المرحلة:

- ١ - جمعية نهضة العلماء، وأسّسها هاشم اشعري عام ١٣٤٥ هـ، وصارت من أكبر الأحزاب السياسية، وللحزب قسم نسوي يُسمّى «مسلمات النهضة»، كما أقيم فيما بعد عام ١٣٨٦ هـ، جامعة المسلمات الأندونيسية، فهو حزب سياسي تعليمي.
- ٢ - حزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذي أسّسه (سوتومو) عام ١٣٤٩ هـ، وقد اتخذ أخيراً اسم (حزب أندونيسيا العظيم).
- ٣ - حزب الأمراء ويرى التعاون مع الحكومة الهولندية لإمكانية الحصول على الاستقلال.
- ٤ - حزب جاوه القتاة.
- ٥ - الجمعية الوصلية.



٦- جمعية الإصلاح الإسلامي في جزيرة (مادورا)، وغيرها من الجمعيات التي بلغ عددها سبعا وخمسين جمعية.

٧- الحزب الوطني وأسس أحمد سوكراتو عام ١٣٤٧ هـ.

٨- الحزب الإسلامي الأندونيسي انفصل عام ١٣٥٤ هـ، بقيادة (سوكيمان) عن حزب شركة إسلام.

٩- جمعية الشبان المسلمين.

١٠- حزب التوير الإسلامي.

وعدت هولندا الحركة الإسلامية في الجزر الأندونيسية خطراً شديداً الأهمية فهي تتعدى حدودها الإقليمية الضيقة لتؤثر وتستقطب دعم العالم الإسلامي، لذلك امتدت السلطات الهولندية عن قمع الحركة الإسلامية بالقوة العسكرية في بادئ الأمر خوفاً من المضاعفات التي قد ينشأها مثل هذا الإجراء، وأخذ المسؤولون يفكرون في سبل جديدة تمكنهم من القضاء على خطر المقاومة الإسلامية، وأخيراً رأوا أن أفضل السبل إنما هو تشجيع الحركات الإلحادية، ونشر الفساد بالفسور، والاختلاط، ونشر ما يسمى بالفن، وتقديم المساعدات لأصحابه، وإيجاد تيارين رئيسيين في البلاد وهما: التيار الماركسي، والتيار القومي، وتلك آراء (سنوك هورو غونتي) المستشرق الهولندي المعروف والمكلف بالقيام بهذه الدراسة، ويرى أن القومية يمكن أن تكون عاملاً إضعافاً للحركة الإسلامية وضماناً أهم ضد قيام صلات بين الحركات التحررية في أندونيسيا وبين بقية أمصار العالم الإسلامي. وأما التيار الشيوعي الماركسي فهو كمثل بيت الإلحاد في صفوف الأهالي ونشر الفساد بينهم، وهو الأمر الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومة بفساؤهم، والاتجاه إلى محاربتهم، والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ومؤسساته المختلفة، إضافة إلى أن المسلمين إذ انتشر بينهم الإلحاد، وعم الفساد، فقدوا الروح المعنوية، وضاع مفهوم الجهاد، وانصرفوا إلى دنياهم لا يبالون بشيء آخر، وأضحت أكبر همتهم، ومبلغ

علمهم، وانطلقوا وراء شهواتهم يتخون منها ما شاء لهم هواهم، ووجدت القوات الاستعمارية الصليبية الجو أماتها هادئاً والطريق مهيئاً للاستغلال ولت النصرانية. وإن هذا التيار يستلقي مساعدات واسعة من كل الشيوعيين في العالم، وسيكون قوياً يمكنه أن يثبت أمام ضربات المسلمين.

ثم وجدت هولندا أمراً خطيراً آخر تُشغل به المسلمين، وتفتت قواهم، فإذ هو فتح الباب للقاديانية التي أوجدها الاستعمار الإنكليزي في شبه القارة الهندية، وتعدت من ألد أعداء الإسلام، وتعمل باسمه للمستعمرين، وهيات هولندا لها أفضل الظروف التي يمكن أن تؤمنها سلطة حاكمية، وافتتح مركز للقاديانية في البلاد، والدفع المسلمون بقادومون القاديانية، ويذودون عن دينهم ضد التحريف والتضليل، فمن ناحية شغل المسلمون في مجادلات فانصرفوا عن مقاومة الهولنديين، وهذا ما نتجته السلطة الاستعمارية، ومن ناحية ثانية اتجه الشيوعيون ودعاة العصية القومية إلى بث آرائهم والدعاية لأنفسهم، وإظهار الاهتمام بقضايا الشعب البائس الذي يعيش في مستوى معاشي متخفض، فكانوا يمتونه بمستقبل أفضل، ويعدونه بالحصول عليه والوصول إلى حياة سعيدة إن سار وراءهم، فصنق الشعب الجاهل هذه الدعايات ومضى و. وحصلت هذه الفئات الفسالة والمتفعمة على مكاسب، وعلى تأييد شعبي على حين أدار الشعب ظهره للمسلمين بالنسبة إلى ما كان عليه سابقاً، ولم يعد زعماء الحركات الإسلامية قادرين على قيادة الأمة وهذا أمل الهولنديين الكبير حيث يمكنهم التفاهم مع أية حركة سوى الحركات الإسلامية لأن الحركات القومية والأشترابية لا تهتم بالقيم، ويهتمها الحصول على المتافع والوصول إلى السلطة.

بدأت حركة تقارب بين الجمعيات والأحزاب الإسلامية، وتشكل منها بين البحرين شبه اتحاد باسم (المجلس الإسلامي الأعلى)، وشغل يعقد مؤتمرات إسلامية عامية، كما شغل بمسألة الخلافة، وتشكل جمعية الخلافة في الهند الشرقية، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية، ووقفت اليابان إلى جانب دول المحور ضد الحلفاء، واشعلت حرباً عاتقة في الشرق، واتجهت نحو أندونيسيا فاستلمت هولندا مباشرة عام ١٩٤١ م، بعد مقاومة قصيرة، وسلّمت أندونيسيا لليابان، وكانت اليابان قد أصمت بدعاياتها أذان الشرق الأقصى بأن آسيا للاسيويين، ويجب طرد الرجل الأبيض من الشرق، وإذا كانت هذه الدعاية قد استمع لها أولئك الذين ذاقوا مرارة الاستعمار من غير المسلمين الملتزمين، والذين يسرون وراء مصالحتهم، ولم يبق لهم مكان لتمام الاستعمار الهولندي إلا أن هؤلاء وأولئك قد وجدوا أنفسهم بعد دخول اليابان البلاد أنهم قد خرجوا من برائن الاستعمار الهولندي الصليبي الأوربي ليقعوا بين مخالب الاستعمار الياباني الوثني الآسيوي.

اتبعت اليابان سياسة الاكتفاء الذاتي في كل البلدان التي وقعت تحت سيطرتها، ومعنى هذا أن كل منطقة تستغنى عن إنتاج ما تحتاج إليه من الحبوب، والمواد الغذائية، والأولية اللازمة، وتعطل بذلك كثير من الرجال عن العمل فاستطاعت السلطة إيجاد عمل لهم في القطاع الحربي، وبهذا أصبح توزيع ضرورات الحياة مختلاً جداً لأن المنتجات الفائضة في منطقة لا يمكن تصريفها، وفي الوقت نفسه لا يمكن جلب الضروري لها. وأكثر المناطق الأندونيسية تنتج الفائض عنها، فتتكسب المواد الفائضة ولا سبيل للحصول على الضروري ولا للحصول على المال.

ولم يمض شهر على الاحتلال الياباني حتى صدر مرسوم بحل الأحزاب السياسية جميعها بل والمنظمات الأخرى، ومنعها من الاستمرار في نشاطها، وقد دُرب اليابانيون الناس تدريباً عسكرياً. وألقوا منهم فرقاً للدفاع الوطني، وأرادوا أن تكون هذه الفرق ضد الحلفاء، ليتمكنوا من الإبقاء في أندونيسيا، وكان قائد هذه الفرق الجنرال (سوديرمان) وهو من العلماء، وأكثر ضباطه من جمعية المحمدية، وكان الهدف التدريب، ولم

يرض المسلمون عن هذه الفرق فأسسوا حزب الله برئاسة (زين العارفين) من جمعية نهضة العلماء، وقد تدربوا أيضاً على يد اليابانيين، ليحضوا تنظيمهم الذي كان على غاية من السرية.

قام الأندونيسيون بحركات داخل بلادهم ضد الاحتلال الياباني، وكانوا ينتظرون لغزو الحلفاء لبلادهم، ومساعدتهم على طرد اليابانيين، وكلهم أمل أنهم سيحصلون على الاستقلال بمجرد جلاء اليابانيين عن البلاد، وذلك حسب وعود الحلفاء المتكررة وتصريحاتهم المتوالية، ولقاء نضالهم ضد المستعمرين الجدد.

واستلمت اليابان بعد إلقاء القنبلة الذرية في ٧ رمضان ١٩٤٥ م (١٥ آب ١٩٤٥ م) وبعد يومين فقط أعلن عن قيام حكومة أندونيسية برئاسة أحمد سوكارنو^(١) ونائبه محمد حتا^(٢)، وعملت لتحويل دون عودة الهولنديين

(١) أحمد سوكارنو: ولد في ١٩ صفر ١٣١٩ م (٦ حزيران ١٩٠١ م) في بلدة (بليتان) في شرقي جزيرة جاوه، وكان أبوه معلماً، أما أمه فهندوسية من جزيرة (مالى)، وينتمي إلى جماعة (أينجان) الدينية، وهي في عقائدها أقرب إلى الهندوسية والبوذية الديانتين اللتين كانتا سائدتين قبل الإسلام، وتنتشر هذه العقيدة في شرقي جاوه، ولكن يذمها أتباعها الإسلام طاعراً.
درس أحمد سوكارنو المرحلة الابتدائية في بلنته (بليتان)، ثم انتقل إلى (سورابايا) لينتقل بالمرحلة الثانوية، وهناك انضم إلى جماعة (جلوه الفتاة)، وكان يكتب في جريدة (رسول أندونيسيا)، والتحق عام ١٣٨٨ م (١٩٢٠ م) بكلية الهندسة في جاكرتا وتخرج منها عام ١٣٤٣ م (١٩٢٥ م)، وعمل بإحدى الشركات الهولندية، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعات الهولندية.

بدأ أحمد سوكارنو عمله السياسي عام ١٣٤٨ م (١٩٢٩ م)، وبعد عام اعتقل، وأطلق سراحه بعد عامين، ثم لم يلبث أن اعتقل وأُلقِيَ إلى جزيرة (فلوريس) إحدى جزر مجموعة الصعود الصغرى، وبعدما نُقل إلى (بنكولن) في جزيرة سومطرة، وأطلق سراحه عندما أفرج اليابانيون عن المعتقلين السياسيين، وتسلم رئاسة الجمهورية، وكان يمثل إلى الشيوعية، وأولم في مستشفى جاكرتا في ١٧ ربيع الثاني ١٣٩٠ م (٢١ حزيران ١٩٧٠ م).

(٢) محمد حتا: ولد في جزيرة سومطرة في ٨ جمادى الأولى ١٣٢٠ م (١٢ آب ١٩٠٢ م). درس الاقتصاد في جامعة (روتردام) في هولندا، واشترك في الجمعية

إلى البلاد بعد انسحاب اليابانيين، وتحرك الأندونيسيون لتزج السلاح من أيدي اليابانيين، وصارت فرق الدفاع نواة الجيش، بينما أسس حزب الله حكومة وسط جزيرة جاوا في بقعة جبلية عُرفت باسم (دار الإسلام)، وأطلقوا على عاصمتها اسم (المدينة المنورة)، وجعلوا لغتها الرسمية اللغة العربية، وعملوا على تطبيق الشريعة في الحكم، برئاسة زين العارفين.

ولكن القيادة العليا للحلفاء أصفرت أوامرها للقوات اليابانية المستسلمة بأن تحافظ على الأمن، وتحفظ بأسلحتها، وتنتظر وصول قوات الحلفاء لاستلام الأمر منها، ولم تُترك الحكومة الأندونيسية سرّاً وخطر هذا الأمر. وجاء الجنود البريطانيون، ولم يتألم السكان من مجيئهم في بداية الأمر، ولكن لم يلبث أن أخذ الجنود الهولنديون يدخلون أندونيسيا تحت مظلة وحماية البريطانيين، وطلب الهولنديون اعتقال الزعماء الأندونيسيين، وأخذوا يحاولون إقناع حلفائهم بأن حركة الاستقلال هذه إن هي إلا مؤامرة يابانية، وأدعى الحلفاء أنهم جاءوا لحفظ الأمن والنظام، وعندما انضح للسكان الهدف الحقيقي من وراء نزول الحلفاء نشب القتال بينهم وبين القوات الهولندية والبريطانية. وقد رفضت القوات الهندية المسلحة الموجودة في صفوف القوات البريطانية قتال إخوانهم المسلمين الأندونيسيين، إذ رفضوا الأوامر، وأعلنوا العصيان، وكانت الهند لا تزال دولة واحدة، لم تنفصل بعد إلى هند وباكستان، وكانت لا تزال تحت السيطرة البريطانية.

لداعي المسلمون من مختلف أرجاء أندونيسيا لعقد اجتماع بعد أن وجدوا أن الحركات الاستعمارية الصليبية، والشيعية الاتحادية، والمحلية العلمانية ومن يسير وراء هؤلاء جميعاً لمصلحة له. كلهم يتفقون ضدّ

الأندونيسية هولندا، وفي المؤتمر الدولي لمناهضة الاستعمار العالمي في بروكسل في بلجيكا، ودار اليابان، وتولى رئاسة تحرير جريدة (نداء الشعب)، واعتقل عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) حتى أطلق اليابانيون سراحه عندما دخلوا أندونيسيا بعد سجن عام سبع سنوات، ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، ثم اعتقل في جزيرة (بانكا) وكان صاحب دين وخلق.

المسلمين، ويعملون لإبعادهم بعد أن رأوا مكانتهم وقبالتهم للأمة، وعقد هذا اللقاء في مدينة جاكرتا في الثاني من شهر ذي الحجة ١٣٦٤ هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٤٥ م)، وكان ذلك أكبر مؤتمر إسلامي، وتمّ الاتفاق على الانسواء في تنظيم إسلامي واحد، سمي (مجلس شورى مسلمي أندونيسيا) وعرف باسم «ماشومي»، ولم يُعارض أحد من الحضور ولم يتخلف أحد، بل كان إجماع على ذلك، وهذا ما أضاف المستعمرين الصليبيين فقضوا التفاهم مع العلمانيين المحليين من شيعيين، وقوميين، ومن عُرفوا باسم الوطنيين، وأسرعوا إلى عقد لقاء بين ممثلي هولندا وممثلي الجمهورية الأندونيسية برئاسة الوسيط البريطاني اللورد (كيلين)، ونتج عن اللقاء توقيع اتفاق (لتيجار دجتي) الذي اعترفت هولندا بموجبه سلطة الحكومة القائمة الفعلية على جزر (جاوا، سومطرة، مانورا) فقط، ولم يتم هذا الاتفاق طويلاً إذ أخذ الهولنديون يقومون بأعمال عسكرية ضدّ الحكومة الأندونيسية والأراضي التي تسيطر عليها. وتدخلت الأمم المتحدة وألزمت هولندا على وقف إطلاق النار، وتبع ذلك عقد هدنة مؤقتة، وبعد جهود توصل الطرفان إلى اتفاق (رانغيل)، و(رانغيل) اسم الباعرة الأمريكية التي عقدت عليها المفاوضات في شهر صفر ١٣٦٧ هـ (كانون الثاني ١٩٤٨ م)، ولكن بعد أن انتقصت أراضي الجمهورية الأندونيسية، واقتصرت على قسم من جزيرة جاوا، وقطعة صغيرة من سومطرة، وكانت عاصمة الجمهورية مدينة جوكرتا، أما الهولنديون فقد بقوا في بقايا (جاكرتا) ولكن لم ينته العام حتى قامت هولندا مجدداً بأعمال عسكرية، واحتلت العاصمة جوكرتا، واعتقلت الزعماء الأندونيسيين ومنهم: أحمد سوكارنو، ومحمد حتا، وعمجوز سالم^(١)، وسوتان شاهرير^(٢)، إضافة إلى عددٍ من الوزراء

(١) عمجوز سالم: شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات، وكان مسلماً نقياً، توفي عام

١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م).

(٢) سوتان شاهرير: تسلّم رئاسة الوزراء عدة مرات، وكان في الوقت الذي لموافق هولندا للحصول على الاستقلال.

ومن ناحية ثانية عمل أعداء المسلمين على مختلف أسمائهم على تقوية الشيوعيين للوقوف في وجه التيار الإسلامي، فقد أوكل رئيس الجمهورية أحمد سوكرانو إلى عامر شرف الدين الشيوعي رئاسة الحكومة في ١٤ شعبان ١٣٦٦ هـ (٣ تموز ١٩٤٧ م) فاحتفظ لنفسه إضافة إلى رئاسة الوزراء بمنصب وزير الدفاع ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة، ويستطيع اللعب بتصفية العناصر الإسلامية من الجيش وخاصة الضباط أصحاب الرتب العليا، وإحلال ضباط شيوعيين مكانهم، غير أن هذا العمل لقي معارضة عنيفة من الشعب، والصحافة، والمجلس النيابي، وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر محمد حنا نائب رئيس الجمهورية أن يستخدم سلطته فأصدر مرسوماً جمهورياً بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ م) يقضي بإقالة حكومة عامر شرف الدين، وتولّي بفسه مهمة تشكيل وزارة جديدة فثارت لائحة نائمة الشيوعيين، وابتدأ هجومهم العنيف.

الثورة الشيوعية الأولى:

ألف الحزب الشيوعي الأندونيسي مجلساً للثورة بقيادة عليا، وقدم أحدهم، وهو (عبيد) مذكرةً إلى الحكومة يُطالب فيها بالتبادل السياسي مع الدول الشيوعية، وبالتأميم، ومصادرة الأملاك، وإقالة الحكومة القائمة التي يرأسها محمد حنا. وفي ١٩ شوال ١٣٦٧ هـ (٣ أيلول ١٩٤٨ م) دعت صحيفة العمال الشيوعية الحكومة إلى الانضمام إلى المعسكر الشيوعي تحت لواء (الكوملن)، والسير مع الدول الماركسية.

وفي ١٥ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٨ أيلول ١٩٤٨ م) بدأت الحركة الشيوعية بالتحطاف ضباط من الجيش، وقامت بأعمال الإرهاب في كل مكان، وتدخلت الحكومة، فانزلت قوات الجيش إلى الشوارع، وأنتشرت المعتقلات بالإفراج عن المعتقلون، فلم يستحب أحد للأوامر، بل زادت الحوادث عنفاً، واعتقل الشيوعيون بعض القادة المسلمين، وكان منهم

وكبار الموظفين وذلك في ١٧ صفر ١٣٦٨ هـ (١٨ كانون الأول من عام ١٩٤٨ م) فاستلم (سفالودون) أحد زعماء حزب ماشومي السلطة مع عدد من زعماء الحزب الوطني، ونقلوا مقرهم من العاصمة (جوكجاكوتا) إلى مكان داخل جزيرة سومطرة وتابعوا قتال الهولنديين، وقام الجيش الأندونيسي والشعب بحرب عصابات أنهكت قوات المستعمرين الصليبيين اللذين وجدوا أنهم لا طاقة لهم باستمرار المقاومة، كما أن التراخي العام صدّهم، ويخضعون لضغط خارجي، ولذا فقد اضطروا إلى الموافقة على عقد مؤتمر المائدة المستديرة في (لاهاي) في شوال ١٣٦٨ هـ (أب ١٩٤٩ م) للمفاوضة على نقل السلطات كاملة إلى الحكومة الأندونيسية وهو قيد أو شرط، وفي ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) تمّ نقل السلطات في احتفال في مدينة (لاهاي)، وكان يُمثّل أندونيسا محمد حنا.

ومن ناحية ثانية فقد عمل أعداء المسلمين جهدهم لتصديع حزب ماشومي الذي يُمثّل وحدة المسلمين، وكان أول انفصال حدث في هذا التنظيم عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) عندما انفقت جماعة من حزب (شركة إسلام) من التنظيم، وأعلنت عن إعادة قيام حزبهم، كحزب مستقل، ويعود ذلك إلى معارضة حزب ماشومي لحكومة عامر شرف الدين الشيوعية. ثم انشق عنه حزب التربة والاستقلال برئاسة سراج الدين عباس عام ١٣٦٨ هـ. وبعد خمسة أعوام حدث انفصال آخر عندما أعاد حزب نهضة العلماء قيام حزبه من جديد، واعتباره حزباً منفصلاً عن حزب ماشومي، بل أصبح يلقب في الصف المعارضة لحزب ماشومي على الحق وعلى الباطل، ومع ذلك بقي للحزب مكانته ويُمثّل الأغلبية الإسلامية^(١).

(١) انعقد بمدينة مؤتمر عام ضمّ الفئات الإسلامية كلها، وقدّ حزب (ماشومي) أصلاً، وكل الأحزاب والمنظمات الإسلامية الأخرى فروعاً له.

الدكتور (ماوردي) وثلاثة من زملائه، وقتلوهم مباشرة، ومثلوا بجثثهم، وهاجموا مراكز الشرطة.

وفي ١٦ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٩ أيلول ١٩٤٨ م) أعلنت إذاعة (مادبون) عن قيام جمهورية أندونيسيا السوفيتية، وتولّى رئاسة الحكومة فيها عامر شرف الدين الذي ألقى بياناً من الإذاعة. وهكذا أصبح في أندونيسيا حكومتان، أولاهما وهي الشرعية برئاسة محمد حتا وعاصمتها (جوكجاكارتا)، ولتانيها سوفيتية برئاسة عامر شرف الدين، وعاصمتها (مادبون).

أعلن المسلمون الجهاد، ودوّت كلمة (الله أكبر) في كل مكان، وتحرك الجيش الأندونيسي بقيادة (عبدالهارث ناستيون)^(١) لاستطاع القضاء على الشيوعيين. وكان نتيجة الثورة قتل ألف وخمسمائة من العلماء وأساتذة المدارس الإسلامية، وإحراق جثثهم بعد إعدامهم، وكُويت أعين عدد كبير من الأطفال تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة عشرة بالحديد المحمّي.

وسبق زعماء الشيوعيين إلى السجون والمعتقلات، وقدموا للمحاكمة، لحكم على عدد منهم بالإعدام، وتقدّم بهم رمية بالرصاص في ١٨ صفر ١٣٦٨ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٤٨ م) في مدينة (كارانغ أنغار) في مقاطعة (سوراباكارتا) جزاء بما اقترفت أيديهم، وفي مقدمتهم رئيس الحكومة عامر

(١) عبدالهارث ناستيون ولد عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) في جزيرة سومطرة. كان أبوه من رجال العلم. تعلم بإحدى المدارس الهولندية، وعمل مدة بالتدريس. ثم التحق بالكلية العسكرية الهولندية في (بانديونغ) وتخرّج عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، والتحق بجيش جزر الهند الشرقية. اشترك في حرب العصابات أثناء الاحتلال الياباني، ووقع في الأسر.

تولّى رئاسة الأركان بعد الاستقلال حتى ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م). ثم تولّى منصب وزير الدفاع. أسس الانقلاب الشيوعي في ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م). ألقى من منصبه، وتولّى مكانه سوهارتو.

شرف الدين إضافةً إلى تسعة من رفاقه، وكان هذا بأوامر رئيس الحكومة، نائب رئيس الجمهورية محمد حتا على حين بغي أحمد سوكارنو صامتاً في هذه المدة كلها.

ولكن الحزب الشيوعي الهولندي الذي حرّك الثورة كان على نية أو على اتفاق لإعادة الكرة من قبل هولندا على أندونيسيا، لذلك ما أن قضى على الثورة الشيوعية حتى شعرت هولندا أن الوقت مناسب لها لتتحرك من جديد فإن وضع البلاد لا يسمح لها بالدفاع عن أرضها. وفي الوقت نفسه يجب ألا تسمح للمسلمين باستلام السلطة، وهذا ما تؤيدها فيه الدول الاستعمارية كلها وبالتالي الأمم المتحدة التي تحركت أساساً حسب إشارة ورأي تلك الدول الكبرى الاستعمارية الصليبية، فأسرعت هولندا وأرسلت قواتها التي احتلت العاصمة (جوكجاكارتا)، واعتقلت الزعماء في ١٧ صفر ١٣٦٨ هـ (١٨ كانون الأول ١٩٤٨ م) كما سبق أن رأينا، وكان اعتقال أحمد سوكارنو للتنمية، وللاحتفاظ به على رأس القائمة التي يُطلقون عليها اسم «الوطنية».

حصلت أندونيسيا على استقلالها - كما سبق أن ذكرنا - في ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) وكانت مؤلفة من جمهورية أندونيسيا والدويلات التي أقامتها هولندا، فهي دولة اتحادية، واستمر ذلك النظام حتى ٤ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ (١٧ آب ١٩٥٠ م).

عندما سُلمت السلطات السياسية رسمياً إلى جمهورية أندونيسيا قامت اضطرابات خطيرة في مناطق الدويلات، وساد فيها العنف، وبدت بوادر حرب أهلية، فقدم محمد ناصر أحد زعماء حزب ماشومي في المجلس النيابي بالترحيل عُرف فيما بعد بـ (الترحيل محمد ناصر الوحدوي)، ويقضي بأن تقوم كل دولة من دول الاتحاد بما في ذلك جمهورية أندونيسيا (جمهورية جوكجاكرتا) بحل نفسها، ثم تقوم على أنقاض الجميع دولة جمهورية أندونيسيا، وقد حصلت الموافقة على هذا الاقتراح بالإجماع، وتم ذلك، وابتعد شبح الحرب الأهلية الذي كان مخيماً على البلاد، ومنتظره المستعمرون الصليبيون الهولنديون.

عهد إلى محمد ناصر بتشكيل أول حكومة في جمهورية أندونيسيا الموحدة في ٤ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ (١٧ آب ١٩٥٠ م). وبقيت هذه

الوزارة في الحكم حتى ربيع الأول ١٣٧١ هـ (كانون الأول ١٩٥١ م) حيث تعاون الشيوعيون مع رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو للولوف في وجهها.

كألف رئيس الجمهورية زعيماً آخر من قادة حزب ماشومي هو (سويكيمان) لتشكيل الوزارة، واستمرت ما يقرب من عام في السلطة، وتقرر إجراء انتخابات في مطلع عام ١٣٧٥ هـ (أيلول ١٩٥٥ م)، لتشكيل المجلس التأسيسي لوضع دستور دائم للبلاد، ثم اعتبره مجلساً نيابياً، وتقرر أن يضم المجلس مائتين وثلاثين وسبعين عضواً، وعهد إلى برهان الدين هاراهاب أحد قادة حزب ماشومي لتشكيل الحكومة التي ستشرف على الانتخابات، وأجريت الانتخابات، واشترك فيها سبعة وعشرون حزباً، وأظهرت الانتخابات تقدم أربعة أحزاب، وكانت النتائج كالآتي:

حزب ماشومي	وحصل على ٥٧ مقعداً وظهرت شعبيته خارج جزيرة جاوه، ونال أقل الأصوات في شرقي جزيرة جاوه.
الحزب الوطني	وحصل على ٥٧ مقعداً، ونال أكثر الأصوات في جزيرة جاوه.
نهضة العلماء	وحصل على ٤٥ مقعداً.
الحزب الشيوعي الأندونيسي	وحصل على ٣٩ مقعداً.
الحزب النصراني البروتستانتي	وحصل على ٨ مقاعد.
الحزب النصراني الكاثوليكي	وحصل على ٦ مقاعد.
شركة إسلام	وحصل على ٥ مقاعد.
التربية الإسلامية	وحصل على ٤ مقاعد.

عهد رئيس الجمهورية أحمد سوكرانو إلى رئيس الحزب الوطني (علي ساسترو ميغويو) بتشكيل الوزارة، فألّف حكومةً ائتلافيةً، كانت أميل إلى الشيوعية، ووقف حزب ماشومي موقف المعارضة، وكان قد قرر ألا يتعاون مع الشيوعيين أو مع من يعطف على الشيوعيين أو مع من يعطف عليه الشيوعيون، وعرفت هذه السياسة بالمبدأ المصحّح، لهذا كانت معارضة عنيقة، وبالتالي كان الحقد عليه شديداً.

قام الرئيس أحمد سوكرانو عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) بزيارة للامبراطورية الروسية، تلتها زيارة إلى الصين، وعندها رجع إلى بلاده أعلن أن الطريق الوحيدة للتقدم هو السير في خط الديمقراطية الموجهة، ونقضي أن يُعيّن رئيس الجمهورية نصف أعضاء المجلس النيابي، فرفض المجلس النيابي هذه النظرية، فحلّ بموجب مرسوم جمهوري بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ (٥ تموز ١٩٥٩ م)، ثم ألغي كذلك المجلس النيابي الذي تلاه، ودعي المجلس النيابي الذي أُلغي عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، ثم صدر مرسوم جديد بتاريخ ١٦ رمضان ١٣٧٩ هـ (١٣ آذار ١٩٦٠ م) ألغاه ليحلّ محله مجلس نيابي جديد يقبل نظرية الديمقراطية الموجهة، ولقد رفض حزب ماشومي، والحزب الاشتراكي هذه النظرية، وأهدأ كل من الحزب الوطني، وحزب نهضة العلماء، والحزب الشيوعي وأعطى المجلس النيابي الجديد رئيس الجمهورية أحمد سوكرانو لقب «القاتل العظيم للثورة»، مما جعله فوق الدستور، ثم انتخبه عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) رئيساً مدى الحياة.

ومن ناحية ثانية كان نائب رئيس الجمهورية محمد حنا قد قدّم استقالته من منصبه احتجاجاً على هذه السياسة، وعلى النفوذ الواسع الذي أصبح للشيوعيين الذين أصبحوا يستخدمون اسم الرئيس أحمد سوكرانو، ويتحركون من خلفه إضافةً إلى استخدام الحزب الوطني لهذا الاسم أيضاً، وأخذ محمد حنا يُؤيّد حزب ماشومي، وكل من يقف في وجهه هذه

السياسة. وكانت حكومة الحزب الوطني الائتلافية التي يرأسها (علي ساسترو ميغويو) ضعيفة، فأخذ الاستغلال الشيوعي يُسيطر على سياسة اندونيسيا الداخلية. وارتفعت الأصوات تطالب بتحسين الأوضاع والاعتناء بالمناطق التي خارج جزيرة جاوة إذ كانت مهملة، ونتيجةً لهذا الوضع حدث انقلاب في جزيرة سومطرة التي كانت تُعدّ مركزاً قوياً لحزب ماشومي، وقد حصل على ٩٠٪ من أصوات الناخبين فيها، وبسبب السياسة العامة استقال وزراء حزب ماشومي من حكومة سومطرة المحلية، وبدأ التوتّر، وظهر عدم ارتياح السكان عامةً، ويُفاجأ الشعب بانقلاب في الجزيرة عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) يقوده العميد أحمد حسين المعروف باسم «نمر سومطرة» لجهاده الطويل ضدّ الهولنديين في معركة الاستقلال، ومن زعماء الثورة أيضاً مدير الجامعة، ومحافظ بنك أندونيسيا كما اشتعلت الثورة في جزيرة سيليس (سلاويزي). ولكن فشلت هذه الثورة بعد أن استمرّت مدةً من الزمن، وبعد خسودها استمرّ أفرادها يُقاتلون كحزب عصابات. واقترح رئيس الجمهورية تقسيم سومطرة إلى ثلاث مناطق بعد تورتها في سبيل التجزئة، وارتفعت الأصوات تطالب باستقالة الحكومة، وتوجه الأناظر إلى محمد حنا ليُسلم السلطة، ولكن الحكومة قرّرت البقاء في استلام السلطة، وأصرّ عليها الرئيس أحمد سوكرانو. وما كان من حزب ماشومي إلا أن سحب وزراء منها، وتبعه حزب نهضة العلماء، فاضطرت الوزارة عندها إلى الاستقالة، وأعلن الرئيس أحمد سوكرانو حالة الطوارئ، وتطبيق الأحكام العرفية في سائر البلاد، وذهبت محاولات الرئيس في تشكيل وزارة مع إبقاء حزب ماشومي بعيداً عنها سدى إذ أصرّ حزب نهضة العلماء على عدم الاشتراك في حكومة لا يُشارك فيها حزب ماشومي، فشكّل الرئيس بنفسه وزارةً نصف أعضائها من المجلس النيابي دون استشارة الأحزاب.

ونُقضي على الثورة تماماً عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، واعتقل بعد ذلك

محمد ناصر، وشرف الدين براويرا نيغارا، ويزهان الدين هاراهاب، وعدد آخر من قادة حزب ماشومي، وقادة حركة الشبان المسلمين الأندونيسيين، رغم أن الحكومة قد أصدرت عفواً عاماً عن كل من شارك في الثورة، وذلك في سبيل تهدئة الأوضاع.

محاولات اغتيال أحمد سوكارنو:

في هذه العدة جرت عدة محاولات لاغتيال الرئيس أحمد سوكارنو بسبب النعمة عليه نتيجة سياست التمسكية، وتوجهه نحو الشيوعية، ففي عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) هوجم بعد حفلة مدرسية بقتلة يدوية، ولكنه نجا، ونجح غيره، وتم إلقاء القبض على الجناة، فأعدموا رمياً بالرصاص.

وهاجمت طائرة مقاتلة القصر الجمهوري بجكرتا، وضربت مكتب الرئيس بالصواريخ، ولكنه كان غائباً عنه. وهرب قائد الطائرة، ولكن ألقي القبض عليه وأعدم.

وجرت ثمان محاولات لاغتياله، ولكن كان ينجو في كل مرة ليزداد عناءً وفساداً، وتكون عاقبة وخيمة أكثر - والله أعلم.

مشكلة غينيا الجديدة:

جزيرة غينيا الجديدة أكبر جزر أندونيسيا، وثاني أكبر جزر العالم مساحةً بعد (غروتلندا)، تبلغ مساحتها ٧٨٥ ألف كيلو متر مربع، وتقع شمال استراليا، ويفصلها عنها مضيق (توريس)، وتنقسم إلى قسمين:

١ - القسم الغربي، وعرف باسم (إيربان الغربية)، وتبلغ مساحته ٤١٣ ألف كيلومتر مربع، ولم تستطع الدولتان أندونيسيا وهولندا الانسحاق عليه في معاهدة ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) بقي تحت السيطرة الهولندية.

واقفت هولندا تحت الضغط العسكري على إجراء استفتاء عام بين السكان عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، فتحوّل هذا الإقليم إلى إشراف الأمم المتحدة في جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ (تشرين الأول ١٩٦٢ م)، وأخيراً انتهى الأمر إلى أن حُسم إلى أندونيسيا في شهر ذي الحجة ١٣٨٢ هـ (أيار ١٩٦٣ م)، ثم جرى استفتاء في ربيع الأول ١٣٨٩ هـ (حزيران ١٩٦٩ م) فأعطت غالبية السكان أصواتهم إلى جانب البقاء تحت الحكم الأندونيسي. وعاصمة هذا القسم مدينة (كوتابارو) وتسمى الآن (سوكارنابورا).

٢ - القسم الشرقي: وكان يتبع ألمانيا، ولكنه وضع تحت الانتداب الأسترالي إثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وبقي تابعاً لها، وتبلغ مساحة هذا القسم ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع.

ولا يزيد عدد سكان الجزيرة كثيراً على المليون، فالكتافة قليلة لا تكاد تصل إلى ١,٥ شخص في الكيلومتر المربع الواحد. ويعيش السكان فيها حياة بدائية على شكل قبائل تتنقل بين الغابات.

وغينيا الجديدة غنية بالثروات المعدنية والطبيعية، ولا تزال بكرة، وتُغطّي المياه والمستنقعات الأجزاء المنخفضة منها.

الخلاف مع ماليزيا:

أعلن عن قيام اتحاد بين كل من اتحاد الملايو، وسنغافورة، وبورنيو الشمالية، وساراواك، بناء على استفتاء أجري في ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ (أيلول ١٩٦٢ م)، وألّفت هذا المشروع المجالس التشريعية في (ساراواك) و(بورنيو الشمالية)، ولكن حكومة (بروني) لم تُقرّر الدخول في هذا الاتحاد. ثم بناء على اتفاق ماليزيا الذي جرى بين (اتحاد الملايو) و(سنغافورة) و(ساراواك) و(بورنيو الشمالية) وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في (بورنيو الشمالية) التي أصبح يُطلق عليها اسم (صباح).

وإسارواوك) و(سفافورة) من يد الحكومة البريطانية إلى يد الحكومة الماليزية بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م).

ولكن أندونيسيا والفلبين كانتا تعارضان هذا الاتحاد. إذ ترى أندونيسيا أن جزيرة بورنيو كلها جزيرة أندونيسية، وقرّر الرئيس أحمد سوكارنو مجابهة ماليزيا، وتدخلت الأمم المتحدة، وشكّلت الحكومة الأندونيسية فرقة لسطح ماليزيا استغلها الشيوعيون لتدريبهم وتسليحهم، وقد تكون شكّلت خاصة لهذا الغرض، وربما كان الشيوعيون هم أصحاب التكرار، وهم الذين نبّوها، وهم الذين شكّلوها، واستمرت المجابهة حتى سقوط سوكارنو، ثم حدث الاتفاق بين الطرفين.

القضاء على دار الإسلام:

سبق أن قلنا أن (زين العابدين) كان من حزب نهضة العلماء، ثم انفصل عنهم، وأسس (حزب الله)، وقد أحقّ تنظيمه بالتدريب على أيدي اليابانيين عندما كانوا محتلين البلاد، فعندما قامت الحركات ضدّ اليابانيين، ثم انصرفوا لقتال الهولنديين، اتجهت جماعة زين العابدين إلى منطقة جبلية وسط جزيرة جاوه، وأُست حكومة خاصة، وطبقت المنهج الإسلامي على المناطق التي تُسيطر عليها، لذا عُرفت باسم (دار الإسلام) وأُست عاصمتها (المدينة المنورة)، وجعلت العربية لغةً رسمية لها. فعندما أخذ أحمد سوكارنو يخطط لإقامة حكم استبدادي، يعتمد على نظرية والديمقراطية الموجهة، ويستند على الشيوعيين، ويُبعد الإسلاميين، ولما شعر أن الجو أصبح مناسباً له، أصدر أوامره للقيام بهجوم على دار الإسلام، فأزالها، وقتل قادتها، ونكّل بأهلها ليكونوا عبرة لغيرهم.

وأصدر أمراً بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٨٠ هـ (١٧ آب ١٩٦٠ م) بحلّ حزب ماشومي، والحزب الاشتراكي واعتقال قادتهما، فكان اعتقال محمد ناصر و(شرف الدين براويرا نيغلارا) و(برهان الدين هاراهاب) من قادة حزب

ماشومي. وتخلّص من المجلس النيابي، كما رأينا. وهكذا قضى على (دار الإسلام)، ومحمد حتا، والأحزاب الرئيسية، والقادة المرموقين، والمجلس النيابي، ولم يبق في الساحة سوى أفراد الحزب الوطني حزب أحمد سوكارنو، ويدهم السلطة، ويتكلمون باسم الرئيس، ويسوّون التصرف، والشيوعيين الذي يستغلّون الوضع، ليظهروا تأييد أحمد سوكارنو، ويستبدون بالناس، ويُطمعون آخرين حتى أصبح الوضع بأيدهم.

الثورة الشيوعية الثانية ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م):

نظّم الحزب الشيوعي نفسه من جديد عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) بعد فشل ثورته التي قام بها عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، وابتدأ بتقوى بأسلوبه المعروف بالالتواء، والتقرب من الشعب، وبمساعدة شخصيّ من رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو، ووزير الخارجية (سوسندريو^(١))، وأصحاب

(١) سوباندريو: ولد عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) بلدة (كيانقان) في جاوه الشرقية من أسرة تيريو، ودرس الطب بجامعة جاكرتا، وتخرج طبيباً عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وعمل طبيباً جراحاً أيام الاحتلال الياباني، ثم اعتزل الطب عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وأخذ الادعاء بالعمل لتحرير البلاد، وبالواقع فإنه كان يعمل لنفسه، إذ انتسب إلى الحزب الاشتراكي، وكان من رجالات البارزين، ثم انتقل إلى الحزب الوطني عندما شعر بلونه، وعندما قوّى حزب نهضة العلماء تقدّم بطلب للانتساب إليه، غير أن طلبه قد رفض، فسارع للانضمام للحزب الشيوعي فقبل طلبه بشرط أن يبقى ضمن الحزب الوطني لخدمة الحزب الشيوعي. أوكد إلى لندن عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ليعمل للحركة الوطنية، ثم حصلت البلاد على الاستقلال فتولّى منصب أول سفير للدولة الجديدة في لندن، ثم نقل سفيراً إلى موسكو عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، ثم استدعي بعد سنتين إلى جاكرتا ليتولّى منصب وزارة الخارجية، ثم تولّى منصب نائب أول لرئيس الوزراء عندما جمع سوكارنو بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة. اتصل نشاطه بحل مشكلة إيربان العربية، وتعلّقه بالدين الياباني. عمل في قسم الاستعلامات، ولعبت صلاته مع (شو أن لاي) رئيس وزراء الصين دوراً هاماً في رسم السياسة الخارجية، وعمل رئيساً لفلم الاستخبارات، وكان يشغل منصب (شون بي) نائب رئيس الوزراء، وأُعلم عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

المصالح الآخرين، وما يتلقاه من أموال ضخمة من المعسكر الشيوعي، وما حصل عليه من تدريب، وسيطرة على فرق (سحق ماليزيا).

استمر الاستعداد، والتخطيط، والتدريب عدة سنوات، وأخذ يزيد العراقيين من طريقه، فقد أراح محمد حنا باستقالته، وأزال دار الإسلام بالقضاء عليها، وانتهى من الأحزاب المعارضة له محلها، وتخلص من المجلس الثنائي بإبداله بمجلس يكون حسب رأيه. واعتقد أن الجو أصبح مهيئاً له عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) بعد أن مهد لذلك، فأعلن بأنه سيكون الحزب الوحيد، وأنه سيحوّل البلاد إلى دولة تسير حسب المنهج الشيوعي، ولا يصح أن تبقى بهذه الفوضى، وأن أندونيسيا دولة لا تناسبها إلا الشيوعية.

ابتدأت أعمال الشيوعيين الإرهابية في سبيل إخافة الناس، والوجه نحو الشيوعية في سبيل حماية أنفسهم، أخذ الشيوعيون بالهجوم على المدارس الإسلامية، والشخصيات البارزة منذ عام ١٣٨٤ هـ، وتكررت هذه الأحداث في عدة مدن.

عقدت القيادة الشيوعية اجتماعاً في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ (١٥ أيلول ١٩٦٥ م)، وبحسب موعد إعلان الثورة، وقرروا أن يكون في ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م)، ويرزوا إعلان ثورتهم بـ:

١ - مرض الرئيس أحمد سوكرانو الذي قد يؤتني به إلى الموت، فإذا لم يُسرعوا باستلام السلطة فستعم الفوضى، وربما يستغل الوضع الانتهازيون، ويقفزون إلى الحكم.

٢ - عدم ميالة القوات المسلحة بهذا الأمر، وترك الوضع للظروف، وليكون مشاعاً للانتهازين.

٣ - عدم أهلية مجلس الجنرالات الذي شكلته القوات المسلحة.

٤ - رغبة مجلس الجنرالات بالاستيلاء على السلطة.

٥ - الاخطار التي تُهدّد البلاد من الرجعية والأمريالية والتي تتلقى الدعم، لذا يجب اتخاذ الخطوات السريعة لإنقاذ البلاد، ولن يكون هذا إلا باستلام السلطة.

وقد رفعت قرارات هذه الجلسة إلى الرئيس سوكرانو بصورة سرية، فوافق عليها، وأطلع عليها وزير الخارجية سوبانديرو، وبعض أعيان الشيوعيين المعروفين.

وعقد اجتماع آخر ليلة تنفيذ المؤامرة، تفرّز فيه المباشرة بالتنفيذ حسب الخطة المرسومة ما دامت الاستعدادات قد تكاملت، وتقدّمت المرحلة حسب المخطط المطلوب.

وفي صباح يوم الخامس من جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م) أمر رئيس الحرس الجمهوري اللواء (أنتونغ) احتطاف كبار الضباط الأتية أسماءهم:

عبدالمحارث ناسوتيون: وزير الدفاع

أحمد ياتي: قائد الجيش البري

سوبرابنو

بارمان: المساعد الأول لقائد الجيش البري

هاريونو

بانتاتيان

سوتوبو

وكُلف الضباط عبدالله عارف بتنفيذ المهمة، فقام بها، ولكن قُتل أكثر الضباط أثناء محاولة اعتقالهم، ومثّل بحشمتهم، ونجا منهم عبدالمحارث ناسوتيون وزير الدفاع.

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم الثاني للحركة ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (الأول من تشرين الأول) أذاعت محطات الإذاعة بعد الاستيلاء عليها أول بيانات الشيوعيين.

أعطى وزير الدفاع عبدالرحمن ناسوتيون أوامره للواء سوهارتو^(١) نائب اللواء أحمد باهي بتنفيذ الأوامر اللازمة للقضاء على الثورة الشيوعية، وانتفض الشعب يلاحق الشيوعيين، وبدأت محطة إذاعة (باندونغ) تُذيع بأمر القوات المسلحة بيانات ضد الثوار الشيوعيين، ولم تضر ساعات حتى قتل الشيوعيون، وسيطرت القوات المسلحة على الوضع، وبدأ الصراع بين الرئيس أحمد سوهارتو من جهة وبين قادة الجيش من جهة ثانية.

وفي بداية شهر رمضان ١٣٨٥ هـ (أوائل عام ١٩٦٦ م) أراد سوهارتو إعادة وضع الشيوعية على ما كانت عليه، فحلّ الوزارة، وشكّل حكومة جديدة أدخل فيها العناصر الشيوعية، وأبعد العناصر المتأولة لهم، وفي

(١) سوهارتو: ولد عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) انتسب إلى الجيش أثناء الاستعمار الهولندي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) أُنِي (جيش جزر الهند الشرقية)، ثم عمل في الجيش الوطني الذي نظمه اليابانيون أثناء احتلالهم أندونيسيا، واشترك في حرب التحرير عندما أعلن الاستقلال من جانب واحد، وبعدها عمل قائداً لمتطوعة جوهارتو في جزيرة جاوه الوسطى. وعمل في إخماد جزيرة سيليبس (سلاويبي) عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وفي غزو ليربان الغربية ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، وتسلم عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) منصب نائب رئيس الأركان، ثم قائداً لقوات (الكومسترا) الاحتياطية لإحباط حركة الانقلاب الشيوعي ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م). ثم عُيّن قائداً عاماً للجيش البري بعد الخيال أحمد باهي.

وتسلم سوهارتو وزارة الدفاع بعد إعفاء عبدالرحمن ناسوتيون منها في شوال ١٣٨٥ هـ (شباط ١٩٦٦ م)، ثم تولى رئاسة الوزارة في صفر ١٣٨٦ هـ (حزيران ١٩٦٦ م)، وأصبح الحاكم الفعلي لأندونيسيا بعد أن تنازل سوهارتو عن سلطانه التنفيذية في ١٣ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ (٢٢ شباط ١٩٦٧ م)، ثم انتخب رئيساً للجمهورية مع رئاسة الوزراء مع وزارة الدفاع في شهر ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (أذار ١٩٦٨ م). وأعيد انتخابه عدة مرات، ولا يزال إلى الآن.

مقدمتهم وزير الدفاع عبدالرحمن ناسوتيون، فأتى ذلك إلى قيام مظاهرة استمرت شهراً ونصف الشهر اضطر بعدها أن يحول كل صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد سوهارتو، وصافق المجلس الاستشاري الأعلى على ذلك، وإن يستمر مفعول هذا المرسوم حتى الانتخابات العامة. وبقي سوهارتو في منصبه، ولكن اشتدّت المظاهرات الطلابية والشعبية ضد الشيوعيين، وكانت تُحاول افتتاح القصر فيمتنعها الحرس.

أعلنت الأحزاب السياسية في جاوه الغربية مطالباتها المجلس الاستشاري الأعلى بالنظر في أمر ترقية سوهارتو، وأعلنت رابطة القضاة والمحامين وجوب تقديمه للمحاكمة بصفته المسؤول الأول عن الثورة الشيوعية الثانية.

اتخذ المجلس الاستشاري الأعلى قراراً بإلغاء رئاسة سوهارتو مدى الحياة، وحددها بإجراء الانتخابات التي يجب أن تتم خلال عامين. وفي ١٣ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٢٢ شباط ١٩٦٧ م) وقّع سوهارتو على وثيقة يتنازل فيها عن السلطة، ويعطي الصلاحيات جميعها إلى سوهارتو، الذي سُمّي رئيساً متصرفاً بالأعمال، ثم أصبح رئيساً للوزراء في شهر رجب ١٣٨٧ هـ (تشرين الأول ١٩٦٧ م) وفي ٨ ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (٧ آذار ١٩٦٨ م) اجتمع المجلس الاستشاري الأعلى برئاسة عبد الرحمن ناسوتيون لينظر في أمر محاكمة سوهارتو، ثم اتخذ قراراً بتجنيته، وتعيين سوهارتو رئيساً للجمهورية بالوكالة، وفي ١٣ ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (١٢ آذار ١٩٦٨ م) أقسم سوهارتو اليمين الدستورية أمام المجلس.

سوهارتو:

لا يختلف سوهارتو عن سلفه أحمد سوهارتو بالنسبة إلى معاداة الإسلام، فكلاهما في منطقة شرقي جاوه حيث يكثر أعداء الإسلام، وكلاهما من جماعة وأنجانه الفاضلة التي تحاول أن تجمع بين الهندوسية

والإسلام. وإن كانا يختلفان من حيث المنهج، فأحمد سوكارتو يميل إلى الديمقراطية الموجهة، وسوهارتو يأخذ مبدأ الديمقراطية الحرة. وعداوة سوهارتو للإسلام هي التي أوصته إلى سدة الرئاسة. وإن كان في بداية أمره يظهر العبادة التي لا يكون في الصف المقابل للاتجاه الإسلامي صاحب الفؤاد الواسع، كما أن الدول الكبرى قد أعطته بعض الصفات الإسلامية ليكون مقبولا في منصب الرئاسة، ولا يجد معارضة قوية من الحركات الإسلامية صاحبة الكلمة الكبيرة، وهو ذاته أخذ يتخذ سلفه أحمد سوكارتو ليحصل على رضا الشعب الذي كان يعقت سوكارتو، وذلك بتوجيه من أصحاب الفؤاد الصليبي. ولكن عندما آلت إليه الرئاسة بدت عداوته الصريحة للإسلام، وكلما تمكن ظهرت أكثر ضمن السياسة العامة التي تسير عليها السياسة الاستعمارية الصليبية الهادئة بمحاورة الإسلام ببروء، حيث يبدو المنهج في الاتجاه والسير باتجاه آخر^(١).

حل سوهارتو الوزارة الأندونيسية القديمة، وشكل حكومة جديدة برئاسة، وفرز المجلس الاستشاري تعيينه رئيساً للجمهورية حتى موعد الانتخابات العامة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، واعتزفت الحكومة بالحزب الإسلامي الجديد (الحزب الإسلامي الأندونيسي)، وأصبح عدد الأحزاب في أندونيسيا عشرة وهي:

١ - حزب نهضة العلماء: ويرأس الهيئة التنفيذية أحمد شيجو.

(١) تأخذ السياسة الأندونيسية الاتحاد نفسه الذي تسير عليه الدول الإسلامية فلا تعارض أي موقف حتى لا تنه الأناظر نحوها، وتتخذ الخط الذي عليه، وفي الوقت نفسه لا تبتغي أي مشروع. ولا تبرز في أي موضوع. وإنما تظهر الرضا بصمت، والمسايرة بهدوء، والمواظبة ببروء، ولكنها لا تقوم بعمل إيجابي. ولا تبني حسنة رأي. ولا تظهر فتورا لاقتراح. وتخطو خطوات واسعة لضرب العمل الإسلامي. ينتج المجال الواسع للإرساليات التنصيرية، وتضع القوانين للحد من النشاط الإسلامي، بل وتعمل للقاء على الإسلام بمساعدة المتصنين لتنصير المسلمين.

٢ - حزب شركة إسلام: ويتسلم نيابة الرئيس محمد خليل إبراهيم.

٣ - الحزب الإسلامي الأندونيسي: برئاسة «ميتارنا».

٤ - الحزب الوطني الأندونيسي: «محمد اسنين».

٥ - الحزب الكاثوليكي: ويتسلم الأمانة العامة «هارتشيانه».

٦ - الحزب البروتستانتي: ويحتل منصب أمين سر الرئاسة «سوغيب».

٧ - حزب ايكي: والأمين العام «جيليس طاعره»، ويعني الحزب «مؤيدو حرية أندونيسيا».

٨ - حزب موربا الاشتراكي: ورئيسه «سوكرنى كرتوبوريو» الذي لم يلت أن توفي.

٩ - برتي الإسلامي: ورئيسه «رسلي خليل».

١٠ - الفئة العاملة: ويُمثلها «سوكواتي».

وتقرر أن تجري الانتخابات العامة في ١٠ جمادى الأولى ١٣٩١ هـ (٣ تموز ١٩٧١ م) وقد انتهت الحملة الانتخابية في منتصف ليلة الثاني من جمادى الأولى (٢٥ حزيران) بعد أن استمرت شهرين، وأعطيت الحرية التامة لكل حزب في تبيان برنامجه، كما أعطى كل حزب ساعة كاملة في الإذاعة والتلفزيون. وكانت حكومة سوهارتو قد ضمنت لنفسها حق ترشيح مائة عضو في المجلس النيابي، وحاولت فصل معظم زعماء الأحزاب أصحاب الراي المستقل، وروت بثقلها خلف حزب الفئة العاملة (جولكار) الذي هو عبارة عن أمانة سر مشتركة لمنظمات عاملية، وأصبحت بالواقع حزبا حكوميا يدير الجيش، ونتيجة تأييد الحكومة الواسع حصل هذا الحزب على نجاح كبير، وكانت نتائج الانتخابات كما يأتي:

والشيوعية حليفان ضد الإسلام ومتنافسان عند وجود مصالح لدولتهما. وجاء الآن التصير ليحل محل الشيوعية، وقد خابت، ولتسلم منها دفعة تسيير الفاقة في طريق الإبعاد عن الإسلام، وهو بهذا يخدم مصالحه. ويكون مادة خاماً لها، وقاعدة أساسية ترتكز عليها فيما إذا آل الأمر إليها مرة ثانية، أو كان على عاتقها العيب. وفتحت الدولة الباب أمام التصير فهو يخفف من معارضة الاتجاه الإسلامي، ويضعف حركاته.

دعت الحكومة الأندونيسية إلى عقد مؤتمر للآديان في جاكرتا عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، فلتى الدعوة من وُجّهت إليهم، وعقد المؤتمر في دار المجلس الاستشاري الأعلى، ووجه فيه الرئيس سوهارتو لئلا إلى أتباع الآديان كي يركز كل منهم اهتمامه التام على مهمة تصعيد مستوى الوعي الديني في أبناء طائفتهم، وأن يحرصوا على الحلولة دون أن تحس طائفة من الطوائف أنها معرضة لدعوات طائفة أخرى، ومستهدفة لشاغلها.

لقد قدّم الجانب الإسلامي في المؤتمر أسلوباً للتراضي صيغ في مشروع ميثاق بين الآديان ملبياً لثناء الرئيس سوهارتو، ولكن الجانب النصراني سواء أكان الكاثوليكي أم البروتستاني قد قابل ذلك المشروع بالرفض التام على الرغم من أن النصراني أقلية، وقد سُووا بالأكثرية المطلقة فالشكل الطبيعي أن تكون موافقتهم أكيدة.

وقد وصلت هيئة المعونات النصرانية العالمية مبلغ مائة وخمسين ألف دولار، ورسد مجلس الكنائس العالمي مبلغ ثلاثمائة ألف دولار لعام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م)، وهذا مبلغ كبير في أندونيسيا، وهو للعمل التصيري المحلي. أما المنظمات الإسلامية فقغيرة لا تستطيع العمل بينما كل الإمكانيات متاحة أمام النصراني في المدارس، والجامعات والمستشفيات مفتوحة، وتُستطيع فتح صدرها لأولئك الناس الفقراء.

وفي المناطق خارج جباوه مثل محافظات: تومانتغارا، وكليمستان يملك التصير أحدث وسائل المواصلات مثل الطائرات العامودية، وطائرات

الحزب	عدد الأصوات	المقاعد النيابية
الفة العامة	٣٤,٣٤٨,٦٧٣	٢٢٧
نهضة العلماء	١٠,٢١٣,٦٥٠	٥٨
الحزب الإسلامي	٢,٩٣٠,٧٤٦	٢٤
شركة إسلام	١,٣٠٨,٢٣٧	١٠
الوطني الأندونيسي	٢,٧٩٣,٢٦٦	٢٠
النصراني البروتستاني	٧٣٣,٣٥٩	٧
النصراني الكاثوليكي	٦٠٣,٧٤٠	٣
برني الإسلامي	٣٨١,٣٠٩	٢
موربا الاشتراكي	٤٨,١٢٦	-
حزب أيكي	٣٣٨,٤٠٣	-
ويضاف إليهم ممثلو إقليم إيريان الغربية.		٩
		٣٦٠ مقعداً.

وبعد الانتخابات خفّ الضغط على الشعب ثم لم تلبث الحكومة أن أذاعت أن الترف السياسي القائم لا يمكن تحمّله ثم اتخذت قراراً بحرمان الأحزاب والمنظمات التابعة لها من حق ممارسة نشاطها في القرى. ووردت على انتقادات الطلبة الداعية إلى الحدّ من السُلط العسكري والفساد القائم بأن عملهم من الترف السياسي.

وبعد فشل الشيوعية الأكيد عاد التصير إلى أندونيسيا بقوة، والتصير

التبني، والأجهزة اللاسلكية وغيرها، وهذا قد لا تملكه الحكومة. ونحط المؤسسات التصيرية والإرساليات بالترخيصات اللازمة لإنشاء مطارات خاصة بها، ويال موظفو الحكومة المركزيون والمحلليون على خدمات مؤسسات الطيران التصيرية تسهيلات لتقلاتهم حيث لا توجد خدمات نقل حكومية، وكذلك إدارة البريد لنقل البريد كالذي يحدث على خطوط التصير الجوية بين (تيمور كويانغ) و(تايوان) حيث تتم رحلتان في الأسبوع.

وكذلك في أعماق إيريان الغربية حيث تمتع هيئات التصير والإرساليات فيها منذ أيام الاستعمار الهولندي بتسهيلات كثيرة وليس العمل التصيري بالأمر الذي يُستهان به، وهذا ما يجب أن يعرفه المسلمون حق المعرفة، فالمدراس والمشافى والمستوصفات والمساعدات المدنية، وهذا يعقبه حضور دروس أساتذة إخصائين في التصير، ولا بد من أن يكون لذلك أثره الواضح في مجتمع بسيط يغلب عليه الفقر، واليأس، والجهل، وليس له من موجه يقوده إلى شاطئ الأمان، وفيه زوايا هؤلاء الغرباء من المتصرين.

وإذا سلم الأمر من المتصرين فإن هناك أمراً خطيراً هو ناحية استخدام الجنس، وهو ما يعجز عن استخدامه المسلمون بسبب تعاليم دينهم الحنيف. إذ تقوم الفتيات النصارى بإغراء الشبان المسلمين، وإيقاعهم في حبالهن لإدخالهم إلى النصرانية.

وقد بلغ تساهل الحكومة في أمر الإرساليات التصيرية، وإطعام رجالها، ومعاداة المسلمين لدرجة أنه قد يحتفل المسؤولون النصارى بعض معلمي الديانة الإسلامية بتحريرهم من الطلاب النصارى، وذلك بسبب تفسير بعض الآيات الكريمة بشكل لا يروق للنصارى، أو مجرد تلاوتها مثل: **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا عِبَادِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ شَرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**

الْحَنَّةَ وَمَا وَهَنَ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنِ مَا يُعْمَلُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

وربما يقوم الطلاب النصارى باعتقال هؤلاء الأساتذة، وتسليمهم إلى موظفي الحكومة. كما تتعرض بيوت المسلمين إلى زيارة هؤلاء المتصرين لإسعاد أهل البيت أو المتطفلة لأقوالهم بالإكراه.

كما أن مخططات فئة الحرطين (الجيولكار)، وهي الفئة الحاكمة اليوم، تحظر على المؤسسات الإسلامية، وعلى الدعاة العمل في المدن والقرى من عواصم (الكاوادانان) فما دون أي المراكز والقرى. وهذا ما يجعل المجال فسيحاً أمام نشاط مجلس الكنائس العالمي أو الأندونيسي للمشاركة في أعمال التنمية ليقول ويجول رجال تصيرها في القرى والأرياف بكل حرية باسم «التنمية والإثراء». ولا شك أن العمل في الأوساط الريفية سهل نتيجة الحاجة بسبب الفقر، ونتيجة انتشار الأمراض، وبسبب عدم المعرفة، وعدم وجود من يُنصِّه ويُرشده، بل لا يوجد من يُوجهه، ولا من ينصح، فالدعاة محظور عليهم الدخول، والمنطقة مُتخلفة، وهي مسرح لرجال الإرساليات التصيرية.

استمر سوهارتو رئيساً للجمهورية حتى اليوم، وفي كل خمس سنوات يُجَدِّد انتخابه دون منازع في شهر آذار، فقد جَدِّد انتخابه في الأعوام (١٩٧٣ م) و (١٩٧٨ م) و (١٩٨٣ م) و (١٩٨٨ م) ورغم ذلك فإن المؤشرات كلها تدلُّ على عدم رضا الشعب عنه، إذ جرت عدة محاولات لاغتياله ولكنها أُحبطت، كما جرت محاولة انفصالية في جزيرة إيريان

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٢ - ٧٣.

الغرية. ويُقدَّر عدد المعتقلين السياسيين عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) بخمسة وخمسين ألف رجل.

وانتزعت السلطات التشريعية من المجلس النيابي أيام سوهارتو، وسُلمت لزمرة من العسكريين، ولجهاز الأمن الأساسي «كوبيكامتيب»، وضغط على الحركات اليسارية، وثابت سياسة حرة في الاقتصاد.

النظام السياسي:

أندونيسيا جمهورية يرأسها اليوم سوهارتو. ويُمارس رئيس الجمهورية السلطات التنفيذية ويُعاونه في الحكم مجلس وزراء مسؤول أمام رئيس الجمهورية، وهو الذي يُعين أعضاءه.

أما السلطة العليا في البلاد فتُمارسها «جمعية الشعب الاستشارية»، وهي التي تنتخب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنوات، وتُقسم هذه الجمعية:

٤٦٠ عضواً من الهيئة التشريعية، التي تشمل ٣٦٠ عضواً منتخباً، و ١٠٠ عضو مُعيَّن.

٤٦٠ عضواً من الحكومة، والمُعتمدين، والجمعيات الإقليمية، وممثلي الأحزاب والفئات.

والأحزاب القائمة في أندونيسيا هي

- ١ - الحزب الديمقراطي الأندونيسي ويشمل: الأحزاب النصرانية، والعمالية.
- ٢ - اتحاد حزب التطور ويشمل الأحزاب الإسلامية.
- ٣ - أمانة سر المجموعات الفعالة (اتحاد مجموعات حكومية).

وتجري الانتخابات كل خمس سنوات، وقد جرت عام (١٩٧١ م) و

(١٩٧٧ م) و(١٩٨٣ م) و (١٩٨٧ م)، وفي كل مرة الفة العامة هي التي تفوز بأكثرية أعضاء الهيئة التشريعية، نتيجة تأييد الحكومة لها. كما كان فوزها غالباً ما يشمل المقاطعات كلها.

وكانت المعارضة تبرز بين الأونة والأخرى بشكل من الأشكال. فقد تقدّم عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) خمسون رجلاً من كبار الشخصيات في أندونيسيا بعريضة يتقدمون فيها السلطة ويُطالبون بالإصلاح.

وتقدّم سوهارتو بتشريع يُطالب فيه جميع المنظمات السياسية لتسني ما عُرف بـ (بانكاسيلا) التي توضح فلسفة الدولة التي تدعو إلى اتفاق الرأي العام على نقاط محددة، والتسامح الديني، إذ أحست الحكومة بوجود أفكارٍ معارضة، وتهدف في الحقيقة من وراء ذلك إلى سكوت المسلمين عما يجري من سياسةٍ تنصيريةٍ وعن الهجمة الصليبية الواضحة من عنوان التسامح الديني.

وحدثت أعمال شغب ضدّ السلطة إذ وقعت تفجيرات، وأحداث تخريب في العاصمة وما حولها، واتهمت الدولة المعارضة للبانكاسيلا بهذه الأحداث، وفي طلبتهم المسلمين المتشيزمين، فألقت القبض على أعدادٍ منهم.

وفي شهر رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) بدأ تفصيل (البانكاسيلا)، وبعدها اضطرت الأحزاب على الموافقة عليها. ولكن اشتدت المعارضة في الستين التاليين لحكومة سوهارتو في داخل البلاد وخارجها. وقامت الحكومة برّد لعلل فألقت القبض في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) على تسعة من أعضاء حزب (ايكي) مؤيدي حرية أندونيسيا بتهمه تورطهم في محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) وأودعتهم السجن، ورفضت السماح للمحامين بالدفاع عنهم، بل وحتى المحامين الدوليين. كما صدر في جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

(شباط ١٩٨٨ م) تشريع يؤكد دور جهاز الأمن والمجموعات القتالية في الحكم.

أقال الرئيس سوهارتو الجنرال (مرداني) قائد جهاز الأمن، وعين مكان الجنرال (تراي سوتريونو) مكانه، وكان لهذا التغيير دور في توتر الوضع في البلاد.

ورشح الرئيس سوهارتو لمنصب الرئيس زعيم الفئة العاملة (جولكار) وهو (سودارمونو)، أما المسلمون فقد رشحوا أمير اتحاد حزب التطور (جيلاني نارو)، وأبدى الرئيس حيلته في هذا الموضوع فرجحت كفة مرشح المسلمين، فاضطر الرئيس عندها إلى وقوفه بجانب (سودارمونو) صراحة، وأجبر (جيلاني نارو) على سحب ترشيحه فنجح (سودارمونو) دون منازع. وأبدى عضو مجلس الشعب (إبراهيم سالم) رأيه، وأعلن أن الترشيح غير عادل، فتمنع في المجلس من متابعة إلقاء خطابه، كما فقد عضويته في المجلس.

أعلن اتحاد حزب التطور عدم رضاه عن تعيين نائب الرئيس (سودارمونو)، وكان قد ازداد نفوذ هذا الحزب في صفر من عام ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م)، لاستبدال جهاز الأمن (كويكا متيب) الخاضع للجنرال (مرداني)، وبدا هذا النفوذ، وخاصة عندما ظهرت حملة ضد الشيوعيين، إذ نفي ثلاثة من كبار أعضاء الفئة العاملة (جولكار)، وأعدم ضابطان من القوات المسلحة سبق لهم أن أدينوا في محاكمات عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) لتسورطهم في محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

وفي منتصف عام ١٤٠٩ هـ (أوائل عام ١٩٨٩ م) وقعت صدامات بين القوات المسلحة وبين السكان بسبب مصادرة الحكومة للأرض دون تعويض مناسب، وقد وقعت في عدة مناطق من جزيرة جاوا، وفي جزيرة

(سوماوا)، ولكن أعنفها ما وقع في جنوبي سومطرة إذ وقع ما يقرب من مائة قتيل بالصدامات التي حدثت هناك.

كانت مهمة جهاز الأمن (كويكاميب) إخماد حركات الجناح اليساري. أما مهمة هيئة التنسيق لتطوير الاستقرار الوطني (ساكوساتانس) مكافحة الفساد، وتضم ممثلين عن الدولة، ودوائر الحكومة غير العسكرية.

وعندما تخين (سودارمونو) نائباً للرئيس استقال من زعامة الفئة العاملة (جولكار)، وتولّى مكانه الجنرال (واهونو) الذي كان مقيولاً من الأحزاب الأخرى.

وأندونيسيا عضو في اتحاد دول جنوب شرقي آسيا، وفي الدول المصدرة للنفط (أوبك).

غينيا الجديدة:

سبق أن قلنا: إن جزيرة غينيا الجديدة هي أكبر جزر أندونيسيا، وثاني جزر العالم مساحةً بعد غرولندة، حيث تبلغ مساحتها ٧٨٥ ألف كيلومتر مربع، وتقع شمال أستراليا، ويفصلها عنها مضيق (توريس)، وتنقسم إلى قسمين:

١ - القسم الغربي: ويسمى إيربان الغربية، وتبلغ مساحته ٤١٣ ألف كيلومتر مربع، وكانت تتبع لهولندا كجزء الأندونيسية، فلما استقلت أندونيسيا إثر معاهدة ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) لم تستطع الاتفاق مع هولندا على هذا الجزء، وبقي يتبع السيطرة الهولندية.

وافقت هولندا على إجراء استفتاء في إيربان الغربية عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، وبقيت حتى ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٦٢ م) تحت السيطرة الهولندية، ووسعت مدة وجيزة تحت إشراف الأمم

المتحدة وذلك حتى ذي الحجة ١٣٨٢ هـ (أيار ١٩٦٣ م)، وتحوّلت بعدها إلى أندونيسيا.

٢ - القسم الشرقي:

وكان تابعاً لألمانيا حتى الحرب العالمية الأولى، فلما هُزمت ألمانيا وضع هذا الجزء تحت انتداب استراليا، وبقي تابعاً لها، وتبلغ مساحته ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع، ويُعرف هذا الجزء باسم (بابوا).

يبلغ عدد سكان إيريان الغربية مليون وربع (١,٢٥٠,٠٠٠)، وعاصمتها جاجارابورا (سوكارتابورا). وفي جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) قام تمرد في إيريان الغربية، ويُقال إن منظمة (بابوا الحرة) كانت من وراءه، وتعمل للاتحاد مع (بابوا) الجزء الشرقي من غينيا الجديدة، وتُعرف هذه المنظمة باسم (أورغانيا بابوا ميرويك)، واستمرّ القتال حتى شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م) حيث وقعت اتفاقية بين أندونيسيا وبابوا لإدارة وتنظيم الحدود بينهما، ولكن بقيت حوادث تقع على الحدود بين الأونة والأخرى.

وفي ربيع الثاني من عام ١٤٠٤ هـ (أوائل عام ١٩٨٤ م) انفجر القتال في عاصمة إيريان الغربية، ونتيجة ذلك انتقل حوالي عشرة آلاف لاجئ إلى (بابوا)، وفي الشهر الأول من عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) وقعت اتفاقية بين أندونيسيا و(بابوا) لمدة خمس سنوات، وأُنشئت لجنة أمن للحدود مشتركة من الدولتين. ولكن استمرّ انتقال الأفراد من إيريان الغربية إلى بابوا طيلة عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م)، وإن كان قد رجع في العام التالي عدد قليل منهم.

كان الفلق يسود سكان إيريان الغربية بسبب الشائعات التي يُطلقها المعارضون بأن الحكومة الأندونيسية تنوي إسكان خمسة وستين مليوناً من أهل جاوه في إيريان الغربية على مدى عشرين سنة، ويُصنّف سكان إيريان



مصدر رقم (٥)

الغريبة هذه الشائعات نتيجة انتقال أفراد من جاوه إلى منطقتهم، فكانت الاحتجاجات والتي تُعلن أن سيادة أندونيسيا تقوم على خفض نسبة السكان الميلانيزيين في سيل سيطرة الجاويين وأن هذا الأمر يتعدى أيضاً إلى التدخل في شؤون سكان جاوه وإلزامهم على الهجرة، وكذلك صدرت احتجاجات من لجنة حقوق الإنسان. ورغم هذا كله فإن ستمالة وخمسين ألف عائلة جاوية قد وُطئت في إيريان الغربية في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (أب ١٩٨٧ م).

تحسنت العلاقات بعد زيارة رئيس الوزراء (باباس ويتني) للرئيس سوهارتو في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م)، ولكن جرت غارات من قبل القوات المسلحة الأندونيسية خلال شهري ربيع الأول والثاني من عام ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول والثاني من عام ١٩٨٨ م) في محاولات لاختطاف الزعماء الانفصاليين من الميلانيزيين، وهذا ما أدى إلى إعادة التوتّر على الحدود.

وأخيراً جرت محادثات بين الطرفين من أجل الوضع على الحدود وذلك في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) وتقرّر إقامة قنصلية لـ (بابوا) في (سكارنابورا) عاصمة إيريان الغربية، وفي الوقت نفسه تقوم قنصلية في مدينة (فاميتي) الحدودية في (بابوا).

تيمور الشرقية:

عندما حلّ الهولنديون محلّ البرتغاليين في استعمار أندونيسيا بقيت للبرتغاليين بعض القواعد، وأهمها في جزيرة تيمور، إذ بقي لهم الجزء الشرقي منها، ومنطقة (أوكسي إيبينو) في الجزء الشمالي الغربي، وعاصمة هذه القاعدة البرتغالية مدينة (دبلي) التي تقع على الساحل الشمالي للجزيرة.

تبلغ مساحة الجزء البرتغالي في جزيرة (تيمور) ١٤,٨٧٤ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها اليوم ٦٨٥,٠٠٠ شخص. ومع طول مدة

الاستعمار البرتغالي نشأت جماعة من السكان تختلف في ثقافتها ومفاهيمها عن بقية سكان أندونيسيا، فكانت هذه الجماعة ترى يقاها مستقلة عن بقية الجزر، وقد نطقت نفسها.

استلحبت البرتغال من تيمور عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، غير أن العاصمة (دبلي) كانت تحت سيطرة الذين يرون استقلال تيمور الشرقية. فنتشلت حرب أهلية في شعبان ١٣٩٥ هـ (أب ١٩٧٥ م)، وقامت الحكومة الأندونيسية بمساعدة بعض الفئات المؤيدة للانضمام إليها ودعمتها بالسلاح، ثم عادت الحكومة الأندونيسية مباشرة في ذي الحجة ١٣٩٥ هـ (كانون الأول ١٩٧٥ م)، وأنشأت حكومة إقليمية. وأعلن مجلس ممثلي الشعب في تيمور الذي شكّل آنذاك في جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ (أيار ١٩٧٦ م) الانضمام إلى أندونيسيا وأعلنت الحكومة الأندونيسية الموافقة على ذلك، وأصبحت تيمور الشرقية الولاية السابعة والعشرين.

استمرت المقاومة ضدّ أندونيسيا عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)، واستنكر مجلس الأمن الدولي تدخل أندونيسيا في تيمور، ولم يؤيد ذلك الانضمام، وأدعت منظمة حقوق الإنسان أن مائتي ألف من سكان تيمور البالغ عددهم آنذاك ٦٥٠ ألفاً قد قُتلوا أثناء قيام حكومة أندونيسيا بعملية ضمّ تيمور إليها.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م) زارت بعثة من الأمم المتحدة تمثل لجنة حقوق الإنسان، وتبنت قراراً مؤكداً حق تيمور الشرقية في الاستقلال، وفي تقرير المصير. وبحري وقف إطلاق النار وفي ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) جرت مفاوضات بين ممثلي الحكومة الأندونيسية وفريق من سكان تيمور الشرقية الذين يدعون إلى استقلال منطقتهم.

ولكن لم تلبث أن عادت المعارك في العام التالي بين القوات المسلحة الأندونيسية وبين المتمردين، قُتلّت الموارد، وانتشر الجوع، والأمراض بين المواطنين، وعمّ اليأس بالوصول إلى حلّ بين الطرفين.

وصوتت استراليا ضد ضمّ أندونيسيا لتيّموّر الشرقية في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (أب ١٩٨٥ م)، وكان لهذا أثره الكبير في المنطقة، حيث أتى إلى توتّر الوضع ثانيةً.

وقام الرئيس سوهارتو بزيارة إلى تيّموّر الشرقية في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) وأعلن أن قيود السفر من وإلى تيّموّر يجب أن تُلغى، وكانت هذه القيود قد فُرضت منذ أن عتّت أندونيسيا تيّموّر الشرقية إليها عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

وامتنعت الأمم المتحدة عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) عن التصويت لضمّ أندونيسيا لتيّموّر الشرقية.

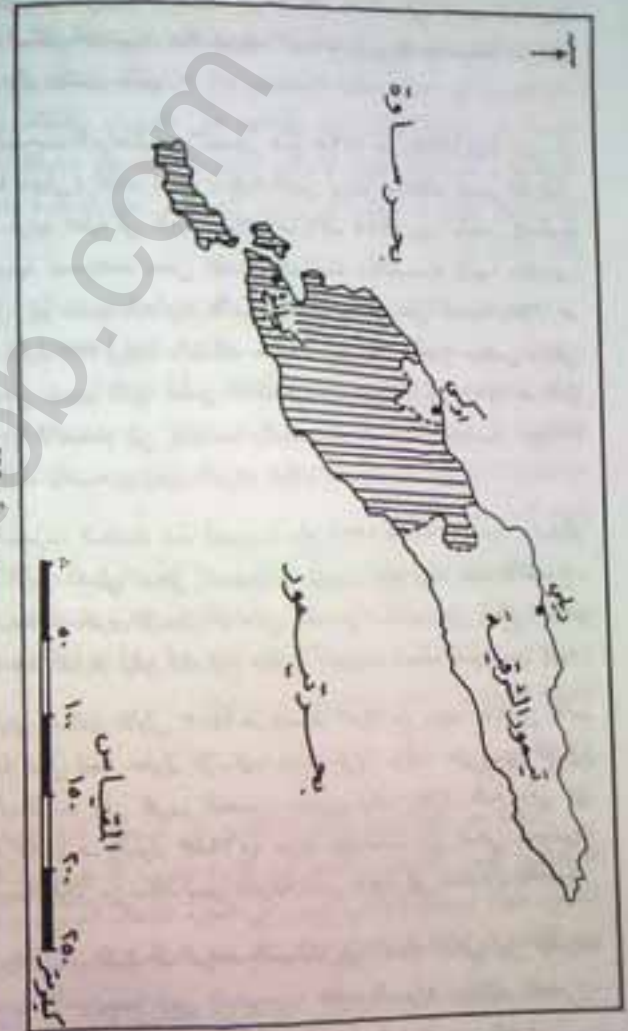
وقام البابا بزيارة تيّموّر الشرقية في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) خلال الزيارة التي قام بها لأندونيسيا.

السياسة الأندونيسية:

تبع أندونيسيا سياسة عدم الانحياز على الرغم من علاقاتها الوثيقة مع المعسكر الغربي، ولا غرابة في ذلك فأكثر دول هذه المجموعة هذا شأنها، فليس المهم ما تُعكف الدولة وإنما المهم الخط الذي تنتهجه، وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) تحسّنت العلاقة بين أندونيسيا والامبراطورية الروسية، وقام وزير الخارجية الروسي بزيارة إلى أندونيسيا في جولة في جنوب شرقي آسيا لمناقشة مشكلة كامبوديا. وفي شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) زار الرئيس الأندونيسي سوهارتو الامبراطورية الروسية، وأجرى مباحثات مع الرئيس الروسي غورباتشوف.

وعارضت منظمة جنوب شرقي آسيا التي تعدّ أندونيسيا أحد أعضائها البارزين الوجود العسكري الفيتنامي في كامبوديا.

ووقعت أندونيسيا والصين الشعبية في شوال ١٤٠٥ هـ (تمنوز



الصراعات الداخلية

الفصل الثالث

تعدّ أندونيسيا أكبر مجموعة جزر في العالم، وتقع هذه الجزر في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، بينها وبين قارة أوقيانوسيا من جهة، وبين المحيطين الهندي والهادي من جهة أخرى، ويزيد عدد هذه الجزر على [١٣٦٧٧] جزيرة منها [٦٠٤٤] جزيرة مأهولة بالسكان، والباقي منها لا يُقيم عليه البشر، بعضها كبير معروف، وبعضها صغير مجهول لا يكاد يعرف أسماءها إلا أهل تلك الجهات، منها ما هو غاصّ بالسكان حتى ليعدّ أكثر أرجاء الأرض زحاماً، ومنها ما هو قليل العمران حتى ليعدّ من أقل بقاع الدنيا سكناً. وتنتشر هذه الجزر على مساحة واسعة تزيد على اثني عشر مليوناً من الكيلومترات المربعة بين برّ وبحر، وتمتدّ على طول يزيد على ستة آلاف كيلومتر بين الغرب والشرق، وعلى طول يزيد على ألفي ومائة كيلومتر بين الشمال والجنوب، وتبلغ مساحة اليابس منها ٢,٣٧١,٤١٩ كيلومتراً مربعاً، أي أكبر من الدولة الأوروبية التي كانت تستعمرها بشعان وستين مرة.

تشمل هذه الجزر أربع مجموعات يختلف بعضها عن بعض من حيث النبات، والحيوان، والأرض، والسكان، والمستوى الحضاري، وهذه المجموعات هي:

١٩٨٥ م) ميثاق الضامن فيما يخص استئناف العلاقات التجارية المباشرة والتي عُقدت منذ عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وأعلنت الحكومة الأندونيسية في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) عن استعدادها لإعادة العلاقات السياسية مع الصين الشعبية بشرط وتأكيد من الصين ألا تتدخل في شؤون أندونيسيا الداخلية. وكان الرئيس الأندونيسي سوهارتو قد أصرّ حتى تعود العلاقات السياسية بين الطرفين اعتراف الصين بالتورّط في محاولة الانقلاب الشيوعية الفاشلة في أندونيسيا عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م). والتقى الرئيس الأندونيسي سوهارتو في طوكيو مع وزير الخارجية الصيني، وأعلن فيما بعد بأن اتفاقية تطبيع العلاقات قد تمّت. وأن محادثات أخرى قد جرت بين وزراء خارجية البلدين في نطاق الأمم المتحدة في شهر صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م).

وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ (١٩٨٨ م) أغلقت أندونيسيا مضائق الصولدي ولومبوك لمدّة محدودة أمام الملاحة البحرية بسبب المناورات بالذخيرة الحية فأعربت كل من الولايات المتحدة، وألمانيا الاتحادية، وأستراليا قلقها أمام حرق القاتون البحري للملاحة علماً بأن السفن الأجنبية المسالمة منها قد سُمح لها بالعبور من تلك المضائق، وبعد شهر قام وزير الخارجية والتجارة الأسترالي بزيارة جاكرتا رغم وجود التوتر بين البلدين بسبب إغلاق المضائق، وتدخل أندونيسيا في (بايو)، وأكد على التعاون بين البلدين في منطقة خليج تيمور، وزاد الأمر تحسناً عندما زار وزير الداخلية الأندونيسي أستراليا في ذي الحجة عام ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) ثم تكررت الزيارة بعد شهرين.

وعندما أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن قيام حكومة لها في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) اعترفت أندونيسيا بها، وافتتحت حكومة فلسطين سفارة لها في جاكرتا في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م).

١ - جزر الصوند الكبرى أو الغربية: وتضم: سومطرة، جاوه، بورنيو، وما حول هذه الجزر من جزر صغيرة. وتحيط بهذه الجزر بحار قليلة مما يدل على أنها كانت على صلة بالبر الآسيوي، وكثير من أراضيها تُغطىها المستنقعات.

٢ - جزر الصوند الصغرى: وهي سلسلة من الجزر الصغيرة تمتد من شرق جاوه نحو استراليا، وأشهرها: بالي، لوسوك، سومباوا، سومبا، فلوريس، تيمور. وتتألف هذه الجزر من قمم الجبال الوعرة جداً التي ترتفع من أغوار البحار الشديدة العمق، الحديثة العهد.

٣ - الجزر الشرقية: وتضم جزر: سيليس (سلاويزي)، مولوك التي تمتد حتى الفيليبين.

٤ - غينيا الجديدة: وتملك استراليا القسم الشرقي منها، على حين يتبع القسم الغربي منها أندونيسيا ويعرف باسم «ايربان الغربية».

وقد حملت هذه الجزر عدة أسماء على مدار التاريخ، فقد أطلق عليها قديماً اسم «نوستاراه» ويُقصد بهذا اللفظ الجزر الواقعة بين المحيطين، وهما: الهندي والهادي، أو بين القارتين، وهما: آسيا وأوقيانوسيا، إذ إن لفظ «نوساه» يعني (الجزائر) أو (وطن)، ويعني لفظ «انتاراه» (بين). كما أطلق عليها اسم: جزائر الهند، وجزائر الملايو. وسماها الهولنديون جزائر الهند الشرقية الهولندية. أما المسلمون فقد كانوا يعطون اسم (جاوه) لكل تلك الجزر حيث تضم أكثر السكان، فأطلقوا اسم الجزء على الكل. ومنذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري حملت اسم «أندونيسيا»، ولكن لم تعترف هولندا بهذا الاسم إلا بعد الاستقلال. وهذا الاسم نفسه يدل على معنى جزائر الهند، ويشمل بالأصل مجموعات من الجزر خارج حدود دولة أندونيسيا كتلك المجموعات من الجزر التي يُطلق عليها اسم «ميلانيزيا» و «ميكرونيزيا»، كما تشمل أيضاً بالأصل جزر الفيليبين.

وتعدّ جزر الصوند الغربية قوام أندونيسيا، فجزيرة جاوه وحدها تضم ٦٠٪ من مجموع سكان أندونيسيا، ويزيد عدد سكانها اليوم على مائة مليون، على حين أن مساحتها لا تزيد على ١٣٢ ألف كيلومتر مربع، وبذلك تزيد الكثافة على ثمانمائة شخص في الكيلومتر المربع الواحد، فتكون بذلك من أكثر بلاد العالم ازدحاماً بالسكان، وتُقيم فيها أكثر الجاليات الأجنبية، فيعيش فيها أربعة أضعاف الأوربيين، ومعظم الصينيين، وستون ألفاً من العرب الحضارة. وفيها كذلك ثلاثة أرباع شبكة السكك الحديدية التي في أندونيسيا. [انظر مصور [٧]].

وتعدّ جزيرة سومطرة ثاني جزر أندونيسيا أهمية، وتبلغ مساحتها ٤٢٠ ألف كيلومتر مربع، وهي ثالث جزيرة مساحةً في أندونيسيا، والسادسة في العالم بعد غرولتلند، وغينيا الجديدة، وبورنيو، ويافن، ومدغشقر. وتعدّ مضيق (مالاكا) الذي يفصلها عن شبه جزيرة الملايو ذا أهمية كبيرة، وهو العمر الوحيد نحو الشرق الأقصى، ويزيد عدد سكانها على الثلاثين مليوناً، فهي ثاني جزيرة في أندونيسيا سكاناً بعد جاوه، ولكن الكثافة لا تزيد فيها كثيراً على سبعين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد. وسومطرة أكبر مصدر للنفط في أندونيسيا، كما أن الجزر القريبة منها، وهي: بانكا، وبيللتون، وسنكب تصدر كميات كبيرة من القصدير، وفي جزيرة سومطرة ربع شبكة الخطوط في أندونيسيا. [انظر مصور [٨]].

وثاني جزر أندونيسيا مساحةً هي بورنيو، وتبلغ مساحتها ٧٣٤ ألف كيلومتر مربع، وتعدّ ثالث جزر العالم مساحةً بعد غرولتلند، وغينيا الجديدة، ويسمىها الأندونيسيون «كيلستان»، وأندونيسيا لا تمتلك الجزيرة كلها، ففي القسم الشمالي منها: تقع دولة بروني، كما تمتلك ماليزيا مقاطعتي صباح، وساراواك. ويوجد في الجزيرة النفط والمطاط، ولا يزيد عدد سكانها على ستة ملايين، لذا فإن الكثافة قليلة لا تزيد على ثمانية أشخاص في الكيلومتر المربع الواحد. [انظر مصور [٩]].



مصور رقم (٨)



مصور رقم (٩)

وجزيرة سيليس التي يُسميها الأندونيسيون «سلاويزي»، وتمتد رابع جزر أندونيسيا مساحةً، وتبلغ مساحتها ١٧٩ ألف كيلومتر مربع، غير أن سكانها لا يزيدون على ثمانية ملايين، وبذا تكون الكثافة فيها ٤٢ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وتعدّ أهم مركز في أندونيسيا لإنتاج الحرير. [انظر مصور ١٠].

وجزر المولوك، وهي مجموعة جزر كانت تُعرف باسم جزر التوابل، وأهمها جزيرة هالماهيرا، ثم هناك جزيرة ترات، وسيرام، وأمبون، ويورو، وقاعدة الجزر مدينة أمبون. [انظر مصور ١١].

وجزر الصوند الصغرى وتمتد شرق جاوه، ويُسميها الأندونيسيون ونوسانتغارا، وأول هذه الجزر جزيرة «بالي» التي لا يزال يُقيم فيها أتباع الديانة الهندوسية، والنساء فيها شبه عاريات، ويقضي السكان أوقات فراغهم بالرقص، ويحرفون موتاهم على منصات زاهية الألوان، ولا تزال عبادة الإله (سيوه) هي السائدة، ويزيد عدد سكان الجزيرة على الثلاثة ملايين والنصف. [انظر مصور ١٢].

وتليها جزيرة لومبوك وسبابوا، وسومبا، وفلوريس، وتيمور، وجزر تانيمبار، وأخيراً جزيرة غينيا الجديدة.

تبلغ مساحة أندونيسيا ١,٩١٩,٤٤٣ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ - ١٨٨ مليوناً، وبذا تكون الكثافة ما يقرب من ٩٢ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، ولكن هذا لا يدلّ على تفرّج السكان بشكل صحيح حيث يختلف من منطقة إلى أخرى، وهذا



مصور رقم [٩]

العدد في نمو مستمر إذ يزيد ١,٩ ٪ سنوياً، وإذا قرنا هذا العدد مع سكان بقية المناطق الواقعة على خط الاستواء لوجدناه كبيراً جداً، وذلك بسبب اعتدال المناخ، وخصوبة التربة، وهذا ما لا يتوفر في بقية المناطق التي تقع على خطوط العرض نفسها حيث تغطي الغابات مساحات واسعة من الأرض، وتكون الأيدي العاملة قليلة لا تستطيع استثمار البلاد، إضافة إلى المستوى الحضاري المتأخر، وانتشار الزراعة البدائية، وهذا ما نجده نفسه أيضاً في بعض الجزر الأندونيسية الغليظة السكان، كجزيرة بورنيو، وسيليس، وغينيا الجديدة، وغيرها. وتعود كثرة السكان إلى جزيرة جاوه حيث تزيد الكثافة على ثمانمائة شخص في الكيلومتر المربع الواحد فتعد من المناطق المزدحمة بالسكان في العالم، وهذه الكثافة أدت إلى قطع الغابة، وتحويل الأرض إلى مساحات مزروعة، واستثمار المعادن، وعذ السكك الحديدية، وإقامة المياني، وأنه كلما ازداد السكان اضطروا إلى زيادة العمل والاستثمار ليؤمنوا أنفسهم، ويسدوا حاجتهم. ولكن السكان في أندونيسيا غير موزعين بصورة عادلة في الجزر كلها، فإن بعضها يعاني نقصاً كبيراً في اليد العاملة، ولا تزال الزراعة البدائية منتشرة في أكثر المناطق، والغابات تغطي مساحات واسعة من الجزر، وتنتشر المستنقعات على أراضي شاسعة، والسكك الحديدية معدومة في الجزر كلها عدا جزيرة جاوه وسومطرة.



الولاية	عدد السكان	المساحة
بالي	3,500,000	5,561
إيربان الغربية	1,250,000	121,681
جامبي (سومطرة)	1,750,000	11,924
ريو (سومطرة)	2,700,000	94,562
مولوك	3,300,000	74,505
بنقولو	1,500,000	21,168
لامبونج	5,800,000	33,307
انتشه (سومطرة)	3,650,000	55,392
يوقياكارتا	3,550,000	3,169
	188,000,000	1,919,443

الصراع العنصري:

ينتمي سكان أندونيسيا إلى جنس الملايو، وهم بالأصل من العنصر المنغولي، أي من العرق الأصفر، هاجروا قبل الميلاد بفترة طويلة من جنوب شرقي البر الآسيوي أي من المنطقة المعروفة اليوم باسم الهند الصينية. وحدثت تلك الهجرة عقب نزوح جماعية كبيرة من الصين ومنغوليا، إذ ضغطوا على السكان السابقين لهم، وأجبروهم على ترك مناطقهم والتوجه نحو الشواطئ، وحلوا محلهم، واضطروا ثانية إلى مغادرة المناطق الساحلية تدريجياً تحت ضغط وزيادة القادمين الجدد من الصين ومنغوليا، وأخذوا يرتحلون من الشواطئ جماعات وقبائل، يركبون البحر ويتجهون نحو الجزائر القريبة منهم، والمبعثرة في ذلك اليوم الواسع، ويستشرون فيها حتى عمروها كلها.

المنطقة	عدد السكان	المساحة
جاوه الغربية	35,500,000	16,300
جاوه الوسطى	32,500,000	34,206
جاوه الشرقية	35,500,000	47,922
سومطرة الشمالية	12,515,000	70,707
سومطرة الغربية	6,500,000	19,778
سومطرة الجنوبية	8,500,000	103,688
كيليمتان الغربية	3,500,000	146,760
كيليمتان الجنوبية	3,600,000	37,660
كيليمتان الوسطى	1,200,000	152,600
كيليمتان الشرقية	1,500,000	202,440
سلاويزي الجنوبية	6,750,000	72,781
سلاويزي الوسطى	1,500,000	69,726
سلاويزي تنغارا	1,200,000	27,686
سلاويزي الشمالية	2,600,000	19,023
نوسانتغارا الغربية	3,225,000	20,177
نوسانتغارا الشرقية	3,225,000	47,876
تيمور الشرقية	685,000	14,874

وكان يُقيم في الجزائر الأندلسية قبل قدوم عنصر الملايو المزوج الذين يُعدون أول من سكن البلاد، وشرفهم سوداء، وقامتهم قصيرة، فلما جاءهم عنصر الملايو، تفرقوا على أنفسهم، وتجمّعوا في الداخل، وأقاموا في الغابات منعزلين عن القادمين الجدد، يعيشون عيشة بدائية، ولا تزال هكذا حياتهم، ديانتهم وثنية، يمتنون صيد الحيوانات، ويلتقطون الثمار، وينون بيوتهم من الحصان الأشجار، ويسشرون عورتهم بأوراقها، وقد تختلف القبائل المجاورة بعضها مع بعض، وربما يصل الأمر إلى الصدام.

ثم جاءت مجموعات أخرى كتجار من الهند، ومن الصين، ومن العرب، ومع مجيء الاستعمار جاءت مجموعات من الأوربيين، واستقرّ بعض أفرادها في البلاد، وأثناء الحرب العالمية الثانية دخل اليابانيون مع احتلال دولهم لأندونيسيا، واستقرّ بعضهم حيث أقاموا، غير أن هذه المجموعات كلها ذات أعداد قليلة نسبياً فلا تساوي مجموعها ٦٪ من مجموع سكان البلاد، أي لا يصل عندها أبداً إلى عشرة ملايين. وإن كانت كل مجموعة قد عملت على نقل عقيدة أبنائها إلى أندونيسيا، وإذا كانت أعداد من الهند قد دأبوا بالإسلام، وكذلك قلة من الصينيين إلا أن الهندوسية، والبوذية، والكونفوشية، لا تزال دليلاً على وصول تلك المجموعات، كما أن النصرانية لا تزال أشرأ على قدوم المستعمرين الأوربيين، والشتوية إشارة على احتلال اليابانيين. ويصل عدد العرب إلى مائة وستين ألفاً، غير أنهم أكثر المجموعات الأخرى احتراماً عند السكان للروابط العقيدية بين الطرفين، ويعدّ الأندونيسيون العرب مثلهم الأعلى لحملهم رسالة الإسلام ونقلها إليهم، وللعرب جمعيات خاصة بهم، تعمل للحفاظ على لغة أبنائها، وصلة بعضهم مع بعض، وتحمي عندهم الصلة مع أصولهم.

ونتيجة غلبة عنصر الملايو على البلاد فليس هناك من صراع مع بقية العناصر التي تعدّ ضعيفة لفلتها، وتبقى لهذا العنصر الهيمنة والسيادة، هذا

بالإضافة إلى الأثر الإسلامي الراسخ في النفوس والذي لا يقر النقرة العنصرية ولا يعترف عليها أبداً، ويُعدّها عصيةً تنهّ لوجود الشعوب والقبائل للتعارف لا للتمايز، والتمايز إنما هو بالقوى ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّهُ أَعْلَمُ خَيْرٌ﴾ (١).

وإن تعدّد اللغات في أندونيسيا لا يعود إلى اختلاف العناصر، فاللغات كلها تنضوي تحت مجموعة اللغة الملايوية الأم، وإنما يعود إلى تبديل الألسنة نتيجة ترامي أطراف البلاد، وتبادل أقسامها، وصعوبة الانتقال بين أجزائها. ويتكلم السكان أكثر من ثلاثين لغةً، ومائتين وخمسين لهجةً مختلفةً. وأهم هذه اللغات:

- ١ - اللغة الجاوية: ويتكلم بها خمسة وسبعون مليوناً في جناوه الغربية والشرقية.
- ٢ - اللغة الصوندية: ويتكلم بها عشرون مليوناً في وسط جزيرة جاوه.
- ٣ - اللغة المانورية: ويتكلم بها عشرة ملايين في جزيرة مادورا.

وإن انتشار التجارة، وتقلّ التجار بين الموانئ الأندونيسية المختلفة قد جعل اللغة الملايوية تعمّ مناطق واسعة على الرغم من بقاء اللغات الأخرى واللهجات المحلية، وتعرف اللغة الملايوية الأندونيسية بـ (لغة هاسا)، وكانت تكتب بالحرف العربي، وحاولت هولنده إلغاء هذا الحرف ولكن لم تجرؤ على ذلك لصلته هذا الحرف بالعقيدة الإسلامية، وكانت محاولة هولنده لإبعاد الصلة بين الأندونيسيين وبقية أمصار العالم الإسلامي، وخاصة البلدان العربية، ولكن عندما أُلغيت الخلافة، واستبدل مصطفى كمال الحرف العربي باللاتيني، تجرّأت هولنده على ذلك واستعملت الحرف اللاتيني لكتابة لغة (هاسا) الأندونيسية وذلك عام ١٣٤٦ هـ.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(١٩٢٧ م). وقد عمت هذه الكتابة في الصحف، والمجلات، والدواير الرسمية حتى شاعت. ونجد الكثير من الكلمات العربية في لغة (هاسا). وكانت اللغة الهولندية هي الرسمية أيام الاستعمار الصليبي الهولندي، وتُدْرَس في المعاهد والمدارس، ثم حلت اللغة الإنكليزية محلها بعد زوال الاستعمار الهولندي، لأنها معروفة عالمياً، على حين أن اللغة الأندونيسية لا تعرف خارج البلاد، وهذا ما يُسبب صعوبة اللغة للسكان، ولتضرب مثلاً من تلك الصعوبة، رجل من جزيرة مادورا، فهو يتحدث باللغة المادورية في بيته على أنها اللغة المحلية، ويتحدث باللغة الأندونيسية (هاسا) في وظيفته على أنها اللغة الرسمية، ويعرف الهولندية منذ أيام الاستعمار الهولندي، ويَلْم بشيء من اليابانية منذ عهد الاحتلال الياباني، ويتكلم بعض العربية من القرآن الكريم بصفته مسلماً. ويُفَضِّل السكان اللغة العربية، ويتمنّون تعلّمها لارتباطها بعقيدتهم، وتوجد عدة مدارس لا تُدرّس إلا اللغة العربية، ورأينا كيف كانت الجمعيات الإسلامية تحرص وتعمل على تدريس اللغة العربية.

الصراع الإقليمي:

رغم تعدد الأقاليم بتعدد الجزر، ورغم تنوع اللغات باختلاف الأجزاء إلا أننا لا نلاحظ صراعاً بين الأقاليم، وذلك لأن جزيرة جاوه تغطي على بقية الجزر بكثرة السكان إذ يُقيم فيها وحدها كما رأينا ٦٠٪ من مجموع سكان أندونيسيا كلها، وبقية الجزر تُعدّ بالنسبة لها قليلة الأهمية لقلّة عدد سكانها، فأكثرها سكاناً بعد جزيرة جاوه هي جزيرة سومطرة ولكن لا يصل عدد سكانها إلى ثلث عدد سكان جاوه، أما الجزر الأخرى فلا تقارن بالسكان مع جزيرة جاوه أبداً، ومع ذلك يمكن أن نجد بعض الملاحظات:

أولاً: نجد صراعاً في جزيرة جاوه نفسها بين أقسامها الغربية حيث السكان مسلمون وبين الأجزاء الشرقية حيث تنتشر الفرقة الشاذة «ابنجان»

التي تقوم مبادئها على محاولة التوفيق بين الإسلام والهندوسية، وتعمل هذه الطائفة لبث أفكارها بمختلف الوسائل ومحاولة إبعاد الناس عن عقيدتهم.

ونجد أن الدعم الاستعماري الصليبي كان للجزء الشرقي فوياً مادياً ومعنوياً، حتى انتشر الإحاد وعمّ الفساد، وقد قام الشيوعيون بحركتين معتمدين على هذه المنطقة. وإن الرئيسين اللذين تولّيا أمر البلاد منذ الاستقلال حتى الآن وهما: أحمد سوكارنو ومحمد سوهارتو إنما ينتميان إلى طائفة «ابنجان» هذه.

ثانياً: إن جزيرة سومطرة هي الجزيرة الثانية في أندونيسيا بعد جاوه، وقد يكون صراعاً بينهما، ويحمل جانباً عقدياً أساسياً، فكان سومطرة على ما يبدو تزيد بينهم نسبة المعتزمين بأحكام الإسلام، وتكثر عندهم العاطفة الدينية، وتلاحظ أن المسلمين فيها قد تحزّبوا مرتين، وهبوا على شكل ثورات ضدّ السُلط العثماني والإلحادي، كما أن المستعمرين الهولنديين عندما رجعوا إلى البلاد بعد الحرب العالمية الثانية، وقضوا على الجمهورية الناشئة، تشكلت حكومة مؤقتة في سومطرة لقتال المستعمرين الصليبيين، ومتابعة طريق الاستقلال.

وأن الغضاء على الثورتين الشيوعيتين كان على أيدي رجال من سومطرة على رأسهم عبدالحرث ناسويون. كما كان محمد حتا، وهو من سومطرة أيضاً، حجر العثرة في وجه الشيوعيين والعلمانيين.

وأن جزيرة سومطرة كانت معقل حزب ماشومي، وقد حصل في الانتخابات على ٩٠٪ من الأصوات فيها، على حين كان الحزب الوطني، والشيوعي يعتمدان على أصوات السكان في جزيرة جاوه، وخاصة الجزء الشرقي منها.

ثالثاً: إن جزيرة بالي صغيرة لا تزيد مساحتها كثيراً على خمسة آلاف وخمسمائة كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين إنسان غير

أنها كانت موضع اهتمام كثير أيام المستعمرين الصليبيين، ثم أيام الذين خلفوهم في السلطة وذلك لأن أكثرية سكانها من أتباع الديانة الهندوسية القديمة التي لا تقيم للقيم كبير وزن، فتأوها يخرجون شبه عازيات، فينقلون وسيلة للإفساد، وتُخذ الجزيرة مركزاً للسياحة لتلك الغاية، وتوجه العناية إليها على أنها واجهة البلاد، ويُفق الكثير من الأموال في سبيل ذلك، ويعيش أهلها برفاهية على حساب سكان أندونيسيا، وترتفع مكانة طلاب الزعامة مروراً منها.

الصراع الحزبي:

منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الصليبيين أرض أندونيسيا بل أي أرض إسلامية أخذوا يعملون جاهدين لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم، وحاول السكان الوقوف في وجههم، ومقاومة ذلك غير أنهم لم يتمكنوا لأسباب كثيرة منها:

١ - الضعف المادي الذي كان عليه المسلمون أمام المستعمرين الصليبيين سواء أكان ذلك من ناحية السلاح أم من ناحية المال والتنظيم، حيث كان المسلمون لا يزالون يعتمدون في قتالهم على الأسلحة اليدوية المعروفة آنذاك على حين كانت الأسلحة الآلية قد بدأت تأخذ طريقها في تسليح الجيوش الأوربية الاستعمارية، وكان المسلمون فقراء على حين كانت هناك إمكانيات ضخمة وراء المستعمرين ووراء الإرساليات التصيرية.

٢ - الضعف الذي كانت عليه أمصار العالم الإسلامي حيث لم يجد الأندونيسيون من يدعمهم أو يستندون عليه، أو يوجههم ويثبتهم من خطر هؤلاء المستعمرين الصليبيين، إذ كان المسلمون عامة على مستوى متدنٍ من الوعي، ويعطون في نوم عميق.

٣ - لم ترسخ مبادئ الإسلام بعد في نفوس الأندونيسيين بشكل

جيد، فدخلوهم بالإسلام لا يزال حديثاً، ووصل إليهم في وقت ضعف المسلمين، ولو أن العاطفة كانت قوية.

٤ - الجهل الذي كان عليه الأندونيسيون.

٥ - كانت المقاومة تعتمد على العاطفة التي يتغصا أحياناً بالتنظيم والتخطيط.

لهذا كله تمكن المستعمرون الصليبيون من السيطرة على أندونيسيا، كما سيطروا في الوقت نفسه على كثير من الأمصار الإسلامية ولجأوا إلى المخططات نفسها، ولم نجد مقاومة أهل البلاد.

ومع مرور الزمن أخذ المسلمون يُدركون خطر هؤلاء الدخلاء على عقيدتهم، ويشعرون من تصرفاتهم، ومن ممارستهم السياسة الاستعمارية والصليبية، الخطر الذي سيحق بهم، ويستقبل أبنائهم من بعدهم، فأخذوا يحاولون تنظيم أنفسهم، وبدأت تظهر الجمعيات، ورغم أنها كانت خطوة متطورة إلا أنها:

أ - قد جاءت متأخرة، حيث ظهرت في مطلع القرن الرابع عشر الهجري أي أنه قد مضى على مجيء الصليبيين ما يقرب من أربعة قرون، فكان الصليبيون قد ثبوا أقدامهم، ورسخوا بعض أفكارهم، وكسبوا بعض عناصر لهم مستغلين فقر السكان، وحاجتهم، وجهلهم، وضعفهم. كما كان الصليبيون قد طبقوا سياستهم الاستعمارية في امتلاك الأرض، وعملوا بالتجارة، ونهبوا الأملاك الأمر الذي زاد من فقر الأندونيسيين، وحاجتهم وجهلهم.

ب - لم تكن هذه التنظيمات عامة بين المسلمين، حيث كان بعضهم منعزلاً على نفسه يسمى وراء عيشه، يخشى بطش المستعمرين، ومكرهم، ويرى بعضهم الآخر أن هذه التنظيمات كانت تفرقة للمسلمين

أكثر من أن تكون جامعة لهم، وموعدة لهم، وباللغة من شأنهم، هذا رغم أن بعضها - كما رأينا - يعد أكبر الجمعيات التعليمية في العالم.

ج - لم تكن لتعمل على تثبيت العقيدة بالشكل المطلوب، وإنما كانت تعتمد على العاطفة، وجمع الأشخاص، وتنظيمهم من غير بناء سليم يقوم على ركائز ثابتة، وهذا ما كان يُبَيِّر الخلافات في الرأي، ويدعو إلى الانشقاق والتمزق، وشن الهجوم الكلامي، والابتعاد عن الجماعة، وربما العودة بعد مدة.

د - تخضع لمكر الأعداء الذين كانوا يُحاولون الإيقاع بين العناصر، والفئات، والجمعيات، ونتيجة الجهل، والعقلة أحياناً، وضعف الدعايم التي تقوم عليها فكان يتم الاستماع إلى كلام الصليبيين الذين يقدم السلطة، ويمتدح أصحاب التطلعات القومية. هذا إضافة إلى استعمال المستعمرين للوسائل الأخرى كافة، من مناصب، وأموال، وتقديم شهادات... وما أكثر هؤلاء الضعفاء في المجتمعات الفقيرة، الجاهلة، والتي لا تستند على ثوابت إيمانية فيتحرفون.

واتبه المسلمون إلى بعض واقعهم الذي هم فيه، فالتفتوا واجتمعوا في شبه اتحاد باسم (المجلس الإسلامي الأعلى) لكنهم شُغلوا بعقد المؤتمرات ومساءلة الخلافة، وأسوا جمعية الخلافة في الهند الشرقية، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

وعندما احتلت اليابان أندونيسيا أثناء الحرب العالمية الثانية، ودعت السكان إلى التدريب العسكري كي يقاوموا المستعمرين الأوربيين أسرع المسلمون، وانخرطوا في صفوف تلك الفرق، التي عرفت باسم فرق الدفاع الوطني، والتي شُكلت لتلك الغاية، إذ نظر المسلمون إلى المستعمرين الصليبيين الذين كانوا يعملون على تصير السكان، ويفتحون الأبواب أمام الإرساليات التبشيرية، ويقفون في وجه المسلمين، ويعملون

على مُحاربتهم، وقد وجدوا الفرصة الآن للتبوية، وللوقوف في وجه المتصربين من أبناء البلاد، ولمقاومة العلمانيين والمُلتحمين الذين يلقون الدعم أيضاً من المستعمرين الصليبيين، وقاد هذه الفرق أحد العلماء، وهو (سوديرمان)، وكان كثير من الضباط أعضاء في الجمعية المحمدية، وإن كانت اليابان قد حلت كل الأحزاب والتنظيمات، ومنعتها من ممارسة نشاطها. وإذا كان المسلمون قد نظروا إلى اليابانيين نظرتهم إلى المستعمرين الصليبيين ما داموا مثلهم ضد الإسلام، ورأوا إقامة تنظيم لحماية المسلمين من الانجراف في التيارات الهدامة، ولكنهم لم يجدوا بدأ من الانخراط في فرق الدفاع الوطني التي يُشرف عليها اليابانيون، وذلك لإخفاء تنظيمهم السري للغاية، وحماية أفرادهم، وتدريب أنفسهم، وكان قائد هذا الحزب (زين العارفين) أحد أعضاء جمعية العلماء سابقاً. وعندما أخذت اليابان تتراجع كانت فرق الدفاع الوطني نواة الجيش الأندونيسي، وهذا ما جعل للمسلمين قوة في الجيش استطاعت أن تحبط ثورتين شيوعيتين.

أما بالنسبة إلى المسلمين غير الملتزمين فقد كان لهم أحزاب منها الحزب الوطني، وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي، والحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي، والحزب الشيوعي وغيرها من أحزاب صغيرة. وإذا كانت هذه الأحزاب المتباينة تنظيمياً، المختلفة منهجاً كانت تتلقي على محاربة الإسلام، والعمل على الإيقاع بين الجمعيات والحركات الإسلامية، وقد كانت الشيوعية أكبر دعم للحزب الوطني. وكان هدف الثورة الشيوعية الرئيسي وجالات المسلمين البارزين، وإذا كان ذلك كله إلا أن المسلمين لم يتجهوا إلى هذا لغفلتهم، وفقروهم، وضعفهم.

وعاد المسلمون إلى الفرقة بعد الاستقلال، فانشقت الأحزاب بعضها عن بعض، وتفرقت عن ماثوم، حيث عاد حزب شركة إسلام إلى استقلاله، وتبعه حزب التربية والاستقلال. وكان حزب نهضة العلماء يفت

الصراع العقائدي:

يتوزع السكان في أندونيسيا حسب العقيدة إلى ما يلي:

السكان	عددهم	نسبتهم من مجموع السكان
المسلمون	١٧١,٠٨٠,٠٠٠	٪٩١
هندوس وبوذيون	٧,٥٢٠,٠٠٠	٪٤
نصارى	٥,٦٤٠,٠٠٠	٪٣
وثنيون	٣,٧٦٠,٠٠٠	٪٢
	١٨٨,٠٠٠,٠٠٠	٪١٠٠

يكثر المسلمون في كل مكان تقريباً في الجزر الأندونيسية، وإن كانت نسبتهم تنخفض في جزيرة بالي، وتكاد تنعدم في وسط الغابات، حيث يقطن السكان هناك، وتعيش قبائل بدائية وثنية، وبخاصة في غينيا الجديدة، وبورنيو، وبعض غابات سومطرة، وجاوه. والمسلمون جميعاً من أهل السنة، وعلى المذهب الشافعي، وأما طائفة الأبنجان، وهي فرقة صالحة، وتعدّ على المسلمين، وليست منهم، وتتركز في شرقي جاوه، وإن كانت قليلة الأعداد إلا أنها كثيرة العقود، وتلقى التأييد والدعم الأجنبي، ومنها كما ذكرنا رئيساً أندونيسيا اللذان تواليا على الحكم حتى الآن، وهما: سوكارنو، وسوهارتو.

أما الهندوس والبوذيون فيتركزون في جزيرة بالي، والمدن الكبرى، وقد جاؤوا إلى هذه البلاد قبل الإسلام على شكل تجاري، وبشروا دينهم، والتي تقلصت مع دخول الإسلام إذ اعتنق كثير من أتباعها الإسلام لما رأوا

موقف المعارض لحزب ماشومي دائماً. وإذا جرت محاولات لضمّ الجماعات الإسلامية ثانية إلى حزب ماشومي الذي حُدَّ أصلاً وبقية التنظيمات فروعاً له إلا أن الأمر كان نظرياً، وذلك لعدم الوحي، وعدم معرفة الواقع الذي يعيشون فيه رغم مشاهدة ما تفعله الأحزاب العلمانية والإلحادية، ولا شك فإن لإسلام غالبية السكان دوراً في ذلك. إذ كل يذمهي الإسلام ولو لم يكن يعترف عليه.

وفي بداية أيام سوهارتو برز الحزب الإسلامي الأندونيسي كحزب جديد. وهكذا أصبحت أربعة أحزاب إسلامية هي: نهضة العلماء، وحزب مسلمي أندونيسيا، وشركة إسلام، وبرتو الإسلامي، وحزبان نصرانيان، هما: النصراني البروتستانتي، والنصراني الكاثوليكي، وحزب اشتراكي واحد، هو حزب موربا الاشتراكي، وحزبان علمانيان هما: الحزب الوطني الأندونيسي، وحزب مؤيدي حرية أندونيسيا (ايبكي) وحزب يضم الفئات العاملة وتدعمه الحكومة وهو حزب الفئة العاملة، وله الأكثرية في المجلس النيابي.

وفي رمضان ١٣٨٥ هـ (كانون الثاني ١٩٦٦ م) صدر مرسوم يُعزّل رئيس الجمهورية حلّ أي حزب سياسي إذا لم يبلغ عدد أعضائه حداً معيناً، أو إذا تعارضت سياسة الحزب مع أهداف الدولة. ثم عدلت الحكومة فطلبت من الأحزاب المتقاربة الأهداف التجمّع بعضها مع بعض لتقليل العدد مع إلغاء الأسماء التي تدلّ على العقيدة في سبيل الوحدة الوطنية، وعدم إثارة التمرات الدينية - حسب زعم الدولة - والواقع من أجل إبعاد الشعب ذي العاطفة الإسلامية عن الأحزاب التي تنبئ الإسلام، وبذا بقيت ثلاث مجموعات حزبية هي: الفئة العاملة، وهو حزب الحكومة، والحزب الديمقراطي الأندونيسي، ويضم خمسة أحزاب غير إسلامية، وهي: الحزب الوطني الأندونيسي، والنصراني البروتستانتي، والكاثوليكي، وموربا، وايبكي، واتحاد حزب التطور (الأحزاب الإسلامية).

والوثنيون الآخرون من عبادة المخلوقات، وعم البداليون يعيشون داخل الغابات منعزلين، وإن أخذت لغزومهم الإرساليات النصرانية، ونكسب أهداؤاً منهم شيئاً لذلك فهم في تناقص مستمر.

وإن الوثنيات من هندوسية، وبوذية، وكوثوشية، وطوطمية ليست لها دعاء لبدانيتها لبدانيتها، وتبعدها عن الفطرة، وعدم موافقتها للنفس الإنسانية. لذا فهي لا تتزايد بالتوسع، وإنما بالولادات فقط، بل إنها تناقص باستمرار إذ يعتقد بعض أفرادها الإسلام، ويذهب بعضهم إلى النصرانية. وفي الماضي كان أكثر تناقصها يذهب لحساب الإسلام، أما الآن فإنه يذهب لحساب النصرانية إذ منع المسلمون من الدخول إلى مناطق الغابات حيث تعيش تلك الوثنيات، وفتح الباب للنصرانية فقط، وفسح لها المجال، وأعطيت لها حرية التنصير فدخلت بإمكاناتها الضخمة، وحصلت لذلك على بعض النجاح، ولكن وجد الوثنيون على بداليتهم أن النصرانية ليست سوى وثنية مادامت تقوم على عبادة مخلوق، غير أنه إنسان لكنه مخلوق، وهم يعبدون مخلوقات أخرى سواء أكانت حيوانية أو نباتية أم من الجمادات، فالغروق بسيطة، وإن ما فيها من مبادئ لا يتفق كذلك والفطرة البشرية، ولهذا كان الإقبال على النصرانية قليلاً، يتفق مع ما يقدم للوثنيين وغيرهم أحياناً من منافع مادية، وأصول ديانتهم أساساً في نفوسهم ضعيف لا يعرفون شيئاً عنها إن كانوا غير وثنيين، وإن كانوا من الوثنيين فالأمر أبسط بكثير. إذن لم يكن هناك صراع بين المسلمين والوثنيين. وإنما الصراع مستحکم بين المسلمين والنصارى، وهو قائم منذ أن وصل المستعمرون الصليبيون إلى تلك الجهات، ولم يكن النزاع على الوثنيين كل يريد جرحهم نحو ديانته أبدأ، فأهل البلاد اتجهوا نحو الإسلام أصلاً، اتجهوا رغبة، إذ لم يكن للمسلمين قوة، ولم يجردوا سيقاً، وإنما ذهبوا تجاراً غير أن أهل البلاد وجدوا في الإسلام ما يتفق مع الفطرة البشرية، ووجدوا فيه ما ينسجم مع تطلعاتهم الروحية ومع رغبتهم فأقبلوا نحوه ودانوا به، وخضعوا للحكام

ما يتفق مع فطرتهم، ووجدوا الفروق الكبيرة بين ما كانوا عليه وبين الإسلام. وتجمعت بقاياهم في جزيرة بالي، وجاء الاستعمار الصليبي بدعمهم ليقتلوا في وجه المذ الإسلامي.

وعيش النصارى في جزيرتي جاوا وسومطرة وخاصة حيث الحياة المتطورة نسيماً، كما توجد تجمعات أخرى في بعض المدن الكبرى. وهؤلاء النصارى من الأوروبيين الذين بقوا في أندونيسيا بعد جلاء المستعمرين الصليبيين، وكانوا قد حصلوا على امتيازات واسعة وأراضٍ خصبة فيقوا يستغلونها، كما يعملون في التجارة، ثم هناك الذين تنصروا من أبناء البلاد سواء قديماً على أيدي المستعمرين الصليبيين والإرساليات النصرانية أم حديثاً لم يقبلوا على النصرانية إلا نتيجة الحاجة كي يحصلوا على المساعدات المادية، أو ليتمكنوا من التعليم أو الدواء ودخول المشافي، وربما كان بعضهم يعمل للحصول على المنصب، هذا بالإضافة إلى الجهل الذي يعيشون في ظله ويضغط عليهم ضغطاً عيقاً، وإن كان أكثرهم ممن كان على الوثنية، وتحصل الإرساليات النصرانية الآن على بعض النجاح داخل الغابات حيث يعيش الوثنيون، وفي المناطق الفقيرة حيث يقطن أناس بأشد الحاجة إلى تقديم يد المعونة، وهذه المناطق وتلك محترمة على المسلمين للعمل فيها، ويجب ألا تنسى أبدأ قلة الإمكانيات الإسلامية عامة على حين يملك المنصرون على اختلاف مسيبتاتهم إمكانيات ضخمة. والنصارى نوعان منهم الكاثوليك الذين اعتنقوا النصرانية على يد البرتغاليين والإسبان، والبروتستانت الذين أدخلوا ديانتهم على يد الهولنديين والإنكليز، ولكلا الطرفين إرساليات نصرانية خاصة به عملت قديماً، وتعمل الآن، كما لكل فريق كتابه ومؤسسته، بل وحزبه الخاص به، ويقدر عدد البروتستانت بأكثر من ضعف عدد الكاثوليك.

أما الصينيون الذين يدنون بالكوثوشية فقد جاءوا تجاراً، ويعيشون في المدن الكبرى، ولا وزن لهم، وينصرفون غالباً إلى شؤونهم المعاشية، وأعدادهم محدودة.

المسلمين ليس رهبة وإنما محبة، حتى عم الإسلام.

وعندما جاء المستعمرون الصليبيون وقفت أهل البلاد ممن أسلم ومن لم يسلم ضد هؤلاء القادمين الغزاة، وحاولوا منعهم من الدخول ولكنهم عجزوا لقوة الأسلحة وفعاليتها وحسن التنظيم. ولو كان المسلمون قد دخلوا بالقوة وفرسوا دينهم بالسيف لانحاز سكان البلاد إلى المستعمرين الصليبيين لغرد المسلمين كما كانوا يفعلون مع المستعمرين الجدد ضد المستعمرين الذين سبقوهم، إذ عدّ الأندلسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وراوا في الإنكليز أخواناً لهم على الهولنديين، ووجدوا في اليابانيين خطراً أقل عليهم من الهولنديين والإنكليز.

كل هذا مع أن المستعمرين الصليبيين كانوا يتقربون من الوثنيين ومن أصحاب الديانات الأخرى من هندوسية، وبوذية، وكونفوشية، ويقدمونهم، ويدعمونهم، ويعطونهم المساعدات لكسبهم إلى جانبهم، ضد المسلمين، بل يؤلّونهم المناصب ليستأدوا الفراغ الذي وجد بإبعاد المسلمين، ومع كل هذا لم يحصل الصليبيون إلا على نتائج ضعيفة جداً، لا تكاد توضع في الحساب. وكان هذا تصرف المستعمرين جميعاً من برتغاليين، وإسبان، وهولنديين، وبريطانيين، كلهم يحملون أحقاداً، وجاءوا بروح صليبية، وأخذوا يُغلّون ما أتوا به في جمعهم لا يختلف مستعمر عن آخر في سياست ضد المسلمين، وإن تباينوا في الملعب بين كاثوليك وبروتستانت، واختلفوا في نشاط إرسالياتهم التنصيرية، إذ يفسح كل مستعمر المجال لإرسالياته بشكل أوسع، ويقدم لها الإمكانيات الأكبر، وإن كان لا يقف في وجه إرساليات المستعمر الأخر.

ولم يكن الاتفاق بالمتبع يُشكّل حاجزاً بين المستعمرين، فلم تكن الرأسمالية تستغني عن الشيوعية في دعمها لمحاربة الإسلام، ولم يكن الإلحاد ليقتل في الصف المعادي للتنصير مادام كلاهما يعمل لهدم الإسلام، ولم يكن المعسكر الغربي ليناهض المعسكر الشرقي في هذه السياسة

المعادية للإسلام مادام هدفهما واحداً وهو ضرب عقيدة سكان أندونيسيا، فقد دعمت هولندا المستعمرة الصليبية الرأسمالية التي تسير في ذلك المعسكر الغربي وإرسالياتها التنصيرية البروتستانتية الحزب الشيوعي بالإمكانات كافة ليؤتي دوره في نشر الإلحاد، وبث الفساد، وضرب الإسلام، والشيوعية معروفة بالأعداء، ونظامها المخالف للرأسمالية، وارتباطها بروسيا قائلة المعسكر الشرقي، وتصراحتها الأرثوذكسية، حتى إذا اشتدّ عود الحزب الشيوعي قام بثورته، وحركته لاستلام السلطة، وكان المستعمرون يشعرون بالراحة ما دام سيخلفهم عدو للإسلام ظاهر العداوة، ولما فشل الحزب في حركته رجعت هولندا إلى البلاد بهجمة وحشية لتسلم راية محاربة الإسلام.

وكان الاستعمار الصليبي منذ أن وطأ أرض أندونيسيا أو غيرها من أمصار الإسلام بعدّ العدة لتزرية رجال مُعادين للإسلام فيما إذا اضطر الصليبيون إلى الخروج من البلاد، وقد أعطوا رجالهم المعتمدين لديهم المخطط الذي يهدف إلى التعاون مع كل شيطان في سبيل ضرب الإسلام، ونشأ هؤلاء الرجال، وتلقوا التربية اللازمة، وبرز أحمد سوكارنو، ولما آل الأمر إليه أخذ في تنفيذ ما رُسم له، وظهر عجزه وحده ومع حزبه، فأخذ بالتعاون مع الشيوعيين، فظهروا على الساحة ثابته، وأعادوا الكرة بالقيام بحركة عندما وجدوا أنها أقوى من الأولى فخسروا الجولة مرةً أخرى، وأطاحت بهم وبرفقهم سوكارنو، غير أنه مع الأسف قد ظهر، رجل آخر من فرقة سوكارنو الضالّة نفسها وهي طائفة الأبنجان، وإن كان يختلف عنه بأنه يُعادي الشيوعية، ويسير في ركب الرأسمالية، وكلاهما واحد في موقفهما من الإسلام بل صديقان حميميان في هذا المجال، يتفقان في المخطط الواحد، ويتعاونان معاً، لما كان يُبني ارتباطه بالصلاة ليسهل وصوله إلى القمة وربما هكذا أشاعت وسائل الإعلام التي تُعادي الإسلام كي يلقوا على السطح، وقد كان ذلك، وتسلم الأمر، ذلك هو سومهارنو.

ولما تمكن سوهارنو ولدا صاحب الكلمة الأولى، وتسلم يده السلطة
أظهر ما كان يُحمله، وأبدى ما كان يشوه، فجمع الأفراد من الاشتراكيين،
والجماعات من العمال غير المرتزمين بعقيدتهم، وكل الفئات البعيدة عن
الإسلام، وشكل منها حزباً عدّه حزب الدولة، وأطلق عليه اسم الفئات
العامة «جولكاره»، ونظم أمانات سه مشتركة لمنظمات عاملة. ودعت هذه
الفئة بمائة عضو في المجلس النيابي، وهم الذين يحق للحكومة
ترشيحهم، وبالقرارات والتعليمات التي تصدر لمصلحتها، وبالمساعدات
التي تُقدّمها، وبالتبني لها رسمياً.

وقت الحكومة موقفاً معادياً بصراحة للإسلام، ومؤيداً بوضوح
للتنصيرية وللإرساليات التنصيرية، إذ أصدرت تعليمات تحول دون خروج
الدعاة المسلمين إلى القرى وما دون ذلك من مناطق الريف والغاية،
وقصرت عملهم على المدن والمراكز الحضارية الكبرى، على حين تركت
المجال للتنصاري كي يعملوا حيثما شاءوا وأمدتهم بوسائل الوصول إلى
الغاية والجهات البعيدة كلها، ومن المعلوم أن المدن تضمّ الذين عندهم
وحي بشكل عام أكثر من غيرهم، واختاروا عقيدتهم عن قناعة ولا مجال
للعمل معهم، على حين أن القبائل البدائية في الغاية ومناطق الريف ينقصهم
الوعي، وهم إما وثنيون أي لا عقيدة لهم أو أنهم أصحاب ديانة ولكنهم
على جهل بها، ولا تُشكّل شيئاً في حياتهم فيمكن التأثير عليهم وأخذهم
إلى ديانة أخرى، وإضافة إلى ذلك فإنهم فقراء يسعون وراء حاجتهم فيمكن
كسبهم إلى عقيدة من يقدم لهم المساعدة المادية أو الدواء، والإرساليات
التنصيرية، واتحاد الكتائب بملكون هذا كله... ولهذا فقد نجحوا نوعاً ما
في جهودهم، فضاغفوا من تلك الجهود، وزادوا من إمكاناتهم، وبدلوا من
طاقاتهم، وتكاثرت إرسالياتهم وكان الغزو التنصيري الواسع في أندونيسيا.

ومع كل هذا فإن نجاح التنصاري كان ضئيلاً في المدن والمراكز
الحضارية، لأن الناس أكثر وعياً، ووجد المنصرون، كما وجدت الحكومة

أن سكان أندونيسيا رغم فقرهم، وعدم معرفتهم، وقلة وعيهم، فإنهم
يتعاطفون مع كل شيء يحمل اسم الإسلام، ويتفرون من كل ما يحمل
اسم التنصيرية، ومن هنا كانت تحصل الأحزاب الإسلامية على تأييد العامة
على حين لا تزال الأحزاب التنصيرية أي عطف من الشعب، ولا تحصل
على أي تجاوب، لذا أصدرت الحكومة الأندونيسية تعليمات تقضي بعدم
حمل أي حزب أو تنظيم أي اسم أو شعار يدلّ على عقيدة معينة أو
ديانة، حتى لا تكون هناك آفة عصبيات، أو إثارات طائفية - حسب زعم
المسؤولين -.

والواقع أن الأمر خطير جداً في أندونيسيا ويجب تداركه، فالهجرة
الصليبية شرسة، وتأمّر المسؤولين معها واضح رغم ادّعائهم الإسلام، أو
إظهارهم الحياد، وأن حرية الأديان مصونة، والواقع أن المسلمين لا حرية
لهم ولا حقّ لهم بالنسبة لأصحاب الديانات الأخرى مع أنهم الغالبية
المطلقة.

ولاحظنا أن الصراعات الإقليمية، والتنصيرية، والحزبية تحمل جميعها
المعنى العقائدي، فالصراع بين الإسلام والتنصيرية شديد في أندونيسيا، غير
أنه صراع غير متكافئ، إذ تملك التنصيرية الإمكانيات الضخمة، والدعم
الدولي، ومساعدة الحكومة، وتأييد كبار المسؤولين ممن ينتمي إلى الإسلام
اسماً، ولا يملك الإسلام أي شيء بل إن أتباعه لا يملكون الوعي ولا
المعرفة، ولا المخططات المهيأة ضدّهم، وهم هدف الصليبية العالمية،
ويمكن رمي سهام الفرقة الضالة الحاكمة وأبنجان، والذين ارتبطت
مصالحهم مع الدول الكبرى التنصيرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الباب الثالث

بِرُونَاي

www.alkottob.com

لمحة عن بروناي قبل إلغاء الخلافة

كانت بروناي في الماضي دولة ذات شأنٍ يمتدُّ سلطانها على مناطق واسعة من جزيرة بورنيو بما في ذلك المناطق الساحلية لشمال الجزيرة وهي ولايتي (صباح) و(ساراواك) حالياً، واللذان أصبحتا فيما بعد ولايتين تتبعان ماليزيا.

أخذ الإسلام ينتشر في جنوب شرقي آسيا منذ نهاية القرن السابع الهجري، وأخذ يتوسَّع نفوذ المسلمين عن طريق التجارة، وغدا مع الزمن لهم عدة سلطنات في تلك المنطقة، وفي عام ٨٢٨ هـ زار سلطان بروناي (أوانغ الأك بتاتار) سلطان مالاقا المسلم محمد شاه (باراميسورا)، واعتنق الإسلام، ورجع إلى بلاده مسلماً فدعا شعبه، فاستمع إليه من استمع، وأخذ الإسلام ينتشر في بروناي بسرعة متزايدة.

وفي القرن العاشر الهجري كان نفوذ سلطنة بروناي قد وصل إلى الأوج حيث شمل أكثر أراضي جزيرة بورنيو كما شمل جزر سولو في جنوبي الفيليبين اليوم، وجزءاً من بقية الجزر الأخرى.

في هذا الوقت كان الاستعمار الصليبي الأوربي قد وصل إلى المنطقة، وأخذ يتدخل في شؤونها، ويحتلُّ أراضيها، وقد وصل المستعمرون الصليبيون الإسبان إلى بروناي عام ٩٢٧ هـ، وكان التجار المسلمون يحمون سواحل جزر المنطقة كلها، ويقومون بأعمالٍ نشطة،

وكانت تجارتهم رائجة على نطاق واسع، ولم يكن الدعاة أقل نشاطاً من التجار، بل إن التجار أنفسهم كانوا دعاة.

واحتلّ الإسبان الجزر الشمالية مما يحرف اليوم باسم الفلبين، ودخلوا مدينة مايللا، فتوقّف نتيجة ذلك المد الإسلامي في تلك الجهات، وأخذ الصراع بين الإسبان النصارى في الشمال وبين المسلمين في الجزر الجنوبية يشتدّ في محاولة من الإسبان لمدّ نفوذهم على الجزر الجنوبية وإخضاعها لسيطرتهم الصليبية، فكان سلطان بروناي يمدّد المسلمين، ويدعمهم بكل إمكانياته، فما كان من الحاكم الإسباني للجزر الشمالية إلا أن كتب إلى السلطان يطلب منه التوقّف عن هذا الدعم، والامتناع عن إرسال دعاة من قبله إلى الجزر الجنوبية وإلى أواسط جزيرة بورنيو بل وإلى قبول مُنصرين كاثوليك في جزيرة بورنيو، غير أن السلطان قد رفض هذا الطلب بحزم، ونقل مقرّه من بروناي إلى جزر صولو ليكون أقرب إلى الإسبان للمواجهة من باب التحديّ والرغبة بالمنازلة، ولم تستطع إسبانيا أن تقوم برفّة فعلٍ لضعفها آنذاك وعدم توفّر الإمكانيات لديها، وذلك عام ٩٨٧هـ.

ونتيجة ضعف إسبانيا والبرتغال لسيطرتهم على أجزاء واسعة لا إكتمالية لهم بالسيطرة عليها بشكلٍ قويٍّ، لذا فقد تقدّمت دول صليبية أوروبية أخرى لسدّ هذا الفراغ ودعم النصرانية بقوة، هذا إضافة إلى الصراع القائم بين هذه الدول في أوروبا، ورغبة من هذه الدول في منافسة إسبانيا والبرتغال للحصول على خيرات المستعمرات واستغلال موارد البلاد التي وصلت إليها هاتان الدولتان أو كسوخ من نقل الصراع إلى هذه المناطق وتنمّة له.

دخلت هذا الصراع أو هذه المنافسة هولندا، وفرنسا، وإنكلترا، وأسست كل منها شركة للاستغلال واستثمار ما تقع يدها عليه. وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت شركة الهند الشرقية البريطانية بحاجة إلى مركزٍ لتجارتها مع الصين. وكانت أول محاولة لإقامة

هذا المركز في شمالي جزيرة بورنيو، وكان هذا الجزء يتبع سلطان (صولو)، وكان هذا السلطان قد وقع في أسر البريطانيين عندما استولوا على مدينة مايللا، وقد أطلقوا سراحه، فتنزل لشركة الهند الشرقية البريطانية عن متطلة في شمالي جزيرة بورنيو لتقيم عليها مركزاً لتجارتها كقضاء لفكناك أسره.

وكان الهولنديون كذلك قد أقاموا مراكز تجارية لهم في سلطنة بروناي منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري، ثم انحصرت هذه المراكز على (ساراواك) وأجزاء من بورنيو الشمالية.

وفي عام ١٢٥٩هـ تدخل المغامر البريطاني (جيمس بروك) في خلافٍ نشب بين نائب السلطان في بروني وبين الثوار الملاييين وسلاك الأراضي فكافاه السلطان على جهوده وإمكانيته على تهدئة الوضع بأن عبّه حاكماً على (ساراواك) عام ١٢٦٩هـ.

وفي عام ١٢٦٤هـ (١٨٤٧م) دخل سلطان بروناي في اتفاقية مع بريطانيا لمقاومة القرصنة وتطوير العلاقات التجارية.

عين البريطانيون قنصلاً لهم لدى سلطان بروناي، وتنازل لهم السلطان عن مراكز في شمال شرقي جزيرة بورنيو نتيجة للأعمال التي قاموا بها، كما تنازل سلطان (صولو) عن مراكز أخرى لهم عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م). ثم تأسست شركة (شمالي بورنيو) البريطانية عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، وأخذ نفوذ بريطانيا يتوسّع، وتقوم سلطان بروناي بتقلص حتى وصل إلى ما هي عليه الآن من صهي في المساحة، وضعف في النفوذ. وأخيراً توّطدت سيطرة البريطانيين على جزيرة بورنيو كلها، وقُسمت إلى أجزاء حسبما تقتضيه مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبية.

وفي عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) وضعت بروناي تحت الحماية البريطانية، وكذلك وضعت بورنيو الشمالية (صباح) و (ساراواك).

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وقع البريطانيون اتفاقية مع سلطان بروناي قضت بوضع مقيم بريطاني في حاشية السلطان كمستشارٍ للأمور الإدارية، وابتق نتيجة ذلك شكل حكومة شملت مجلس شورى استشاري. ومنذ أن اتسع النفوذ البريطاني وبروناي مسرحاً لنشاط الإرساليات التبصيرية المدعومة بقوة المستعمر ومدّه بالإمكانات الضخمة.

الفصل الأول

بروناي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

ألغيت الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م). وبروناي محمية بريطانية، السلطان صورة رمزية، وأصحاب النفوذ هم البريطانيون، يستغلون خيراتها، ويتصرفون بشؤونها باسم الدفاع عنها، ويجعلون أرضها مرتعاً لإرسالياتهم التبصيرية.

احتلّ اليابانيون بروناي في الحرب العالمية الثانية في شهر ذي القعدة ١٣٦٠ هـ (كانون الأول ١٩٤١ م) ولكن لم تلبث اليابان أن انسحبت من بروناي كما انسحبت من غيرها إذ هُزمت في تلك الحرب، ولم يمدف على بدء الاحتلال أربعة أعوام.

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) عين البريطانيون حاكم (سارواك) مندوباً سامياً لبريطانيا في بروناي، واستمر هذا المنصب حتى ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (أيلول ١٩٥٩ م) حيث قوّن الدستور لبروناي، وقد أعلنه السلطان في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٩ م)، ونصّ على قيام مجلس حاصر للسلطان، ومجلس تنفيذي، وآخر تشريعي، وألغى عنها منصب المندوب السامي. وقامت في البلاد إدارة منفصلة بناءً على اتفاقية وُقعت بين السلطنة والحكومة البريطانية.

وقام الاتحاد الماليزي ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن حكومة بروناي لم

تقرر الدخول فيه، ثم اندلع تمرد في بروناي، وبورنيو الشمالية (صباح)، وأجزاء من ساراواك في شهر رجب ١٣٨٢ هـ (كانون الأول ١٩٦٢ م) تبنه جيش التحرير في شمالي بورنيو، وقاده أحمد محمد الزهاري، والهدف من معارضة الانضمام إلى الاتحاد الماليزي، وأعلن المتمردون عن قيام دولة «كاليمتان الثورية» غير أن التمرد قد انحسر بعد عشرة أيام من اندلاعه بمساعدة قوات بريطانية حُملت من سنغافورة. وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد، وحظر نشاط حزب الشعب، ونفى أحمد محمد الزهاري إلى الملايو. وأخيراً عقد اتفاق ماليزيا بين كل من (اتحاد الملايو) و(سنغافورة) و(ساراواك) و(بورنيو الشمالية) وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نص هذا الاتفاق على انتقال السيادة في (بورنيو الشمالية) التي حملت اسم (صباح)، و(ساراواك)، و(سنغافورة) من يد البريطانيين إلى حكومة ماليزيا بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م)، كما وضح هذا الاتفاق العلاقات بين سنغافورة والاتحاد الجديد. وقرر سلطان بروناي عدم الانضمام إلى هذا الاتحاد، كما عارضته الحكومتان الأندونيسية، والفلبينية. وهكذا بقيت سلطنة بروناي وحدها منفصلة عن اتحاد ماليزيا الذي يشمل الأراضي المحيطة بها، ويعتد عن أندونيسيا التي تملك باقي أجزاء جزيرة بورنيو، وهي القسم الأعظم منها، والتي تعدّ دولة بروناي جزءاً صغيراً على سواحلها الشمالية لا يكاد يُعادل ٧٧٪ أي أقل من ١٪، ويملك اتحاد ماليزيا ما يقرب من ثلث الجزيرة، والباقي من نصيب أندونيسيا.

وطبق الدستور الذي أصدره السلطان منذ عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن بقيت الأحكام العرفية معمولاً بها بدءاً من حوادث التمرد التي قامت في البلاد.

وعدّل الدستور في ٤ رمضان ١٣٨٤ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٦٥ م)

ليكون المجلس التشريعي عن طريق الانتخاب، فالمجلس التنفيذي (مجلس الوزراء) يرأسه السلطان.

أما المجلس التشريعي فيضمّ واحداً وعشرين عضواً يُؤخذ عشرة منهم بالانتخاب، وخمسة بالتعيين، وستة يدخلون المجلس بحكم وظائفهم الرسمية. ومندوب السلطان ويُسمى (مستري يسار) أي الوزير الأكبر فيمارس السلطة التنفيذية نيابةً عن السلطان، ويحضر جلسات المجلس التشريعي باسمه.

وفي ٢ رجب ١٣٨٧ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٦٧ م) تنازل السلطان سيف الدين عمر علي الذي كان يده الحكم منذ عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) عن السلطة إلى ابنه حسن البلقاح الذي لا يزيد عمره على الواحد والعشرين سنة، وتمّ تنويجه في ٧ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ (الأول من آب ١٩٦٨ م) باسم (معز الدين ودود الله)، وهو السلطان التاسع والعشرون.

وفي رمضان ١٣٩١ هـ (تشرين الثاني ١٩٧١ م) منحت بريطانيا الحكم الذاتي لسلطنة بروناي.

وفي ذي الحجة ١٣٩٥ هـ (كانون الأول ١٩٧٥ م) أصدر مجلس الأمم المتحدة قراراً دعا فيه بريطانيا بالانسحاب من بروناي، وعودة المنفيين السياسيين، وإجراء انتخابات عامة.

تمت مفاوضات بين سلطنة بروناي وبين بريطانيا عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م)، وأعطتها تأكيدات من أندونيسيا وماليزيا على احترام استقلال سلطنة بروناي، ووقّعت اتفاقية بعد ذلك بين الطرفين في شهر صفر ١٣٩٩ هـ (كانون الثاني ١٨٧٩ م) قضت بأن تصبح بروناي دولة مستقلة خلال خمس سنوات، وفي ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٨٤ م) أي حسب الوقت الذي نصّت عليه الاتفاقية أعلن استقلال

دولة بروناي. وشغل السلطان حسن إضافة إلى منصب السلطان وثلاثة
الوزراء، ووزارة المالية، والداخلية، وضَمَّ مجلس الوزراء ستة آخرين بينهم
والده السلطان السابق، وأخوان للسلطان حسن.

الفصل الثاني

الاستقلال

حصلت بروناي على الاستقلال في ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (الأول
من كانون الثاني ١٩٨٤ م)، غير أنها دولة صغيرة لا تستطيع الدفاع عن
نفسها، وهي محط أنظار الكثير من الدول، وكل منها يريد السيطرة عليها
لغناها بالنفط، وفي الوقت نفسه فهي بحاجة إلى الكثير من البضائع من
مختلف الصناعات إذ ليس لديها أية صناعة، وإن إعطاء إنكلترا الاستقلال
لها يبقينا بحاجة إليها للدفاع عنها على الأقل ورَد الأطماع التي تسجّه
نحوها، فالاستقلال معناه اسمي أولاً، وهذه الغاية من تقسيمات الدول
الاستعمارية الصليبية للدول الإسلامية ففي الوقت الذي نجد الدول تقسم
مساحات واسعة، وفيها أعداد كبيرة من السكان، وتمتلك إمكانات ضخمة
للدفاع عن نفسها بل وعن غيرها، وإمكاناتها أيضاً اكتساح مناطق غيرها نجد
بعض القطع من الأراضي الإسلامية أشبه بدمى، وتسمى دولاً، إذ لا تشمل
الواحدة منها سوى رقعة صغيرة لا تزيد أحياناً على مساحة مدينة واحدة،
وربما لا تصل إلى مساحة بعض المدن، وسكان عددٍ منها قد لا يصل إلى
عدد سكان مدينة متوسطة أو دون ذلك، وهذه ما تزيد الدول الاستعمارية
الصليبية إذ تبقى هذه الدويلات بحاجة للدفاع عن نفسها، ولا تجد طلب
ذلك إلا من الدول التي كانت تستعمرها، وأوصلت المسؤولين إلى
السلطة. وإذا كانت هذه الدويلات غنية عاش أهلها في بحبوحة ورفاهٍ

رائد، وربما أبطرتهم النعمة فأبعدتهم عن التفطرة فأسرفوا وبدروا بشكل لا يقبله العقل فكانوا مثلاً سيئاً عن المسلمين وهذا ما تدعيه الدول الصليبية أن هؤلاء يُمتلئون المسلمين، ويصل بهم الأمر إلى أن يشمخوا بأنوفهم على إخوانهم في العقيدة، وتكون التفرقة. وقد يطر الغني ولا يجد جاره الفقير ما يسد رمقه، ويكون الحق في أبناء البلد الواحد، وهذا ما تسعى إليه الدول الصليبية المستعمرة. وبريطانيا قد أعطت بروناي الاستقلال، ولكن بقيت مسؤولة عن الدفاع عنها. حتى أن بريطانيا قد أعطت الاستقلال وربما استعملت عبارة ومنحت، كأنها صاحبة حق في هذه السيطرة، ومنحت الدولة الضعيفة استقلالها.

وعادت العلاقات فتحسنت بين بروناي وبريطانيا بعد أن ساءت قليلاً عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) عندما أسست بروناي مؤسسة مالية لإصدار أوراق النقد الخاص بها بعد أن كانت مرتبطة بمؤسسة بريطانية. فأظهرت بريطانيا غضبها من ذلك لأن بروناي أقدمت على هذا العمل دون علمها، وحتى لا تقوم بعد ذلك بأي عمل دون استشارة بريطانيا. ورجعت العلاقات إلى حالتها الطبيعية عندما وافقت الحكومة البريطانية على إبقاء أفواج من قواتها (جورفا) التي كانت متمركزة في بروناي منذ عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، ويجب أن تبقى في بروناي بعد الاستقلال على حساب السلطة لحماية حقول النفط والغاز. وكان هذا مجرد تهديد من بريطانيا لبروناي حيث لم تؤكّد مصير هذه القوات بعد عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) عندما تعود (هونغ كونغ) إلى الصين، وهي موقع القاعدة الرئيسية لهذه القوات.

وتطورت علاقات بروناي إلى شكل جيد مع دول جنوب شرقي آسيا، وخاصة مع سنغافورة. وتُت زيارات ملكية إلى تايلاند وأندونيسيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، وفي الوقت نفسه أنشئت علاقات سياسية مع اليابان.

انضمت بروناي إلى الأمم المتحدة، وإلى السوق الأوربية المشتركة.

ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة دول جنوب شرقي آسيا، وشهد مؤتمر وزراء خارجيتها في عاصمة بروناي في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م).

وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) تُوّي والده السلطان، وهو السلطان السابق سيف الدين محمد عمر علي. ووسّع السلطان المجلس التنفيذي، وأصبح يضم أحد عشر عضواً، وذلك عندما أعاد تنظيم الحكومة. وكذلك منح الأعيان أوراقاً تجارية كانت خاصة بأفراد الأسرة الحاكمة.

وأظهرت بروناي رغبة في إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وانكلترا، وأندونيسيا، وماليزيا، وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) دفع السلطان مساعدة لوار الكونتراه في نيكاراغوا على حين كان الكونغرس الأمريكي قد حظر أي مساعدة لهم، وقد اكتشف أمر ذلك لأن المساعدة قد أودعت بشكل خاطئ في حساب بنك رجل الأعمال السويسري في شهر رجب من عام ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م).

وفي هذا الوقت يالذات رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) أبدت بروناي اهتمامها للانضمام إلى اتفاقية الدفاع للدول الخمس المرتبطة ببريطانيا، وهي: ماليزيا، وسنغافورة، وأستراليا، وتبوزيلاند. وتحسنت العلاقات مع ماليزيا بشكل واضح عندما عرضت ماليزيا في رجب ١٤٠٧ هـ مساعدة بروناي على إنشاء جيش بقوات احتياطية، وعندما زار رئيس الوزراء الماليزي بروناي للقيام بمحادثات. وفي مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أعلن البلدان إمكانية إقامة تعاونٍ مستقبليٍ بالبنج الأجهزة الدفاعية.

كما تحسنت العلاقات مع أندونيسيا، وقد منح السلطان في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أندونيسيا قرصاً بمبلغ مائة مليون دولار دون

فائدة لإقامة مشروعات صناعية ومواصلات، وتُدفع على مدى خمس وعشرين سنة.

وتوطدت العلاقات كذلك مع الفلبين، وقامت رئاسة الفلبين كورازين أكينو بزيارة ليروناي في الأول من عام ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م)، وعرض السلطان مبدئياً المساعدة في المجموعة الدولية لتسويل خطط تطوير الاقتصاد الفلبيني. وهكذا تحسنت علاقات بروناي مع دول المنطقة المجاورة، والتي كانت تنفق في وجه استقلال بروناي، وكلها تطمع في ضمها إلى أراضيها لقضاياها، وما تحسنت العلاقات أيضاً إلا بتقديم المساعدات أيضاً، وعرض المال.

ولم تقتصر أموال هذه الدولة المسلمة على الأمصار والبلدان المجاورة، وإنما كانت تستفيد منها بريطانيا أيضاً، حيث كانت تسيطر عليها في الماضي، وتُدافع عنها في الوقت الحاضر، وترتبط معها بعلاقات وثيقة. ففي ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) وقّعت بروناي مع بريطانيا اتفاقية تفاهم لشراء طائرات مقاتلة، وسفن دوريات، ومعدات عسكرية أخرى بما تعادل قيمتها مائتين وخمسين مليون جنيه استرليني، والخبير المدقق في هذه الصفقة يجد أن هذه المعدات ليست من الأسلحة المتطورة، وإنما على العكس من الأسلحة التي تريد بريطانيا أن تستقها من قواتها إذ لم تعد مناسبة، هكذا جرت عادة الدول الاستعمارية الصليبية فيما عُرف باسم تسليح الدول النامية. والأصل المسلمة منها.

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م) جرت مناورات مشتركة بين قوات من بروناي وأخرى بريطانية.

وألغيت حالة الطوارئ بعد مرور ست وعشرين سنة على تطبيقها، وعقد السلطان العزم على إجراء انتخابات عامة.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

بروناي دولة صغيرة تبلغ مساحتها ٥٧٦٥ كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بمائتين وثمانين ألفاً، وتكون الكثافة ما يقرب من ثمانين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد. ويبلغ طول سواحلها مائة وستين كيلومتراً.

يعتمد اقتصادها على النفط والغاز الطبيعي، وتوجد خمس آبار في الداخل، وبثران على الساحل، ويُقدّر إنتاجها من النفط بسبعة ملايين طن، وما يقرب من (٧١٨,٠٠٠) طن من مشتقات النفط، أما الغاز الطبيعي فيُقدّر إنتاجها منه بـ (٨٦٥٤) متراً مكعباً. ويعمل في هذا الميدان ٥,٧٪ من اليد العاملة. ويُشكّل النفط والغاز ٩٢٪ من الدخل الوطني.

ويعمل ٥٪ من اليد العاملة في الزراعة، والغابة، وصيد الأسماك، وأشهر زراعتها الرز، والموز، والأناناس. ويُقدّر صيد السمك بـ (٢٦٥٢) طناً سنوياً، ويُقدّم ٦٥٪ من الاستهلاك المحلي، ويأتي هذا الصيد من مياه المحيط، والمياه العذبة الداخلية. ومن نهر بروني الكبير، ولا شك أن معظمه من مياه المحيط الهادي. وتُقدّم الزراعة وما يتبعها ١,٣٪ فقط من إجمالي الدخل الوطني.

وتُعَدّ دخل الفرد في بروناي من المعدلات المرتفعة إذ يصل إلى

(١٥٣٩٠) دولاراً أمريكياً سنوياً. وأكثر العمال من خارج بروناي إنما هم من ماليزيا، ومن ولاية ساراواك بشكل خاص.

إن الدستور الذي أعلنه السلطان في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٩ م) قد أعطى السلطان السلطة التنفيذية المطلقة، ويُعاونته، ويعمل تحت استشارته أربعة مجالس، وهي: المجلس الديني، والشورى، ومجلس رئاسة الوزراء، ومجلس الوراثة. وعندما اندفع تمرد رجب ١٣٨٢ هـ (كانون الأول ١٩٦٢ م) حُلَّت بعض أحكام الدستور، وكان الحكم يصدر بمرسوم ملكي.

المجلس الديني:

ويضم أعضاء يتم تعيينهم من قبل السلطان، ويعرض المجلس جميع المسائل الإسلامية التي تُعرض عليه على السلطان بصفته رئيساً للدين الإسلامي في بروناي.

مجلس رئاسة الوزراء:

ويرأسه السلطان، ومن اختصاصه النظر في جميع المسائل التنفيذية.

مجلس الشورى:

ويرأسه السلطان، ومن اختصاصه الإشارة على السلطان في المسائل التي تتعلق بحق امتياز الولاية الملكية، وتعديل الدستور، والترقية، ومنح ألقاب الشرف.

مجلس الوراثة:

ويخضع للدستور، ويُقر من يتولى العرش فيما إذا دعت الحاجة إلى ذلك غياب السلطان فجأة.

والدولة مُقسمة إلى أربع مناطق إدارية، وعلى كل منطقة ضابط ملايوي مسؤول أمام رئيس الوزراء وأمام وزير الشؤون الداخلية.

الصراع العنصري:

يشكل أهل الملايو ٧١٪ من مجموع السكان، وإضافة إليهم يعيش في بروناي أعداد من الصينيين يُشكلون ١٩٪ من سكان البلاد، وهناك مجموعات أخرى من الفلبين، والأندونيسيين، والتايلانديين، والبهائيين، والأوروبيين يُشكلون جميعاً ١٠٪ من السكان، وبهذا يكون التوزيع على النحو الآتي:

المجموعة	العدد	النسبة
الملايو	١٩٨.٨٠٠	٧١٪
الصينيون	٥٣.٢٠٠	١٩٪
مجموعات أخرى	٢٨.٠٠٠	١٠٪
	٢٨٠.٠٠٠	١٠٠٪

ولما كانت أكثرية السكان يعودون إلى أصل الملايو لذلك لا تجد صراعاً عنصرياً قوياً، وبخاصة أن المجموعات الأخرى إنما تعود إلى أصول متعددة وجنسيات كثيرة. ويمكن أن يقوم الصينيون فقط ببعض التمرد، والحديث عن المشاركة بالسلطة غير أنهم ضعفاء، وإن كانوا يتجمعون بعضهم مع بعض.

وفي أيام السيطرة الإنكليزية كانت بريطانيا تتعهد للأقليات غير المسلمة كلها في محاولة منها لإضعاف المسلمين والإقلال من شأنهم، وتقوية الآخرين عليهم، ومن ناحية ثانية في محاولة لكسب هذه الأقليات إلى صفها كمرحلة أولى ثم شدتهم إلى عقيدتها ما داموا على عقيدتها حتى لا تقوم على فكر، ولا تسجم مع أقل متطلبات النظرة. وبهذه المعاملة فقد

إلى المستعمرين الصليبيين أنهم معتصمون بالقوة التي يملكونها، ويعلمونهم أعداء، ويستعملون عليهم ما داموا أبناء البلاد، وأنهم على الدين الحق، وعلى أن النصرانية تقوم على عبادة مخلوق، وإن كان عدداً من عبادة الصالحين، وأحد أنبياء الله ورسله، فهم لا يختلفون عن الديانات التي يرون أهلها بجوارهم (عبدة الأرواح، والسوديون، والكولونشيون، والشستيون، والهندوس) فكلهم يُلْمَسون مخلوقات، وإن تباينت هذه المخلوقات بتكريمها من خالفها. والمسلمون أكثرية.

فلما أخذ التفكير بموضوع الاتحاد المائزخي حشي بعض المسلمين من الانضمام إليه، وهم يرون أن ماليزيا مرتبطة ببريطانيا بشكل أو بآخر، وأن نسبة المسلمين فيها ضعيفة نسبياً لا تتجاوز 7.5% فلم يرغب بعضهم بهذا الانضمام، وكانوا أقرب إلى أندونيسيا حيث غالبية السكان من المسلمين (91%) من مجموع السكان، كما أن النشاط الإسلامي كان واسعاً، وحزب ماشومي نشطاً. فتجمّع بعض المسلمين وشكّلوا حزب الرايات البرونزي، وكذلك قام حزب الشعب الذي كان له دور فعال، وقد عملا على مقاومة هذا الانضمام، وحدثت حركة التمرد عام 1382 هـ (1962 م)، ولكن أهدمت خلال عشرة أيام، ونفي أعضاء حزب الرايات البرونزي كلهم، ومُنِع حزب الشعب من مزاولته للنشاط.

وفي عام 1405 هـ (1985 م) تشكل الحزب الوطني الديمقراطي البرونزي (B. N. D. P) وهيكله رجال الأعمال الذين لهم ولاء للسلفان، وركزوا سياستهم تحت شعار الإسلام، وشكّلوا مجموعة وطنية حرّة، غير أن السلطان قد حرّم على مواطني الدولة من الانضمام لهذا الحزب، وهم يشكلون 40% من اليد العاملة، وهذا ما قلّل من القاعدة التي يعتمد عليها، ومن مجال نشاطه، كما استعد الحزب أيضاً من انضمام الصينيين إليه والجنسيات الأخرى غير الملايوية وبالتالي غير المسلمين، لذا بقي محدود العدد، ومع ذلك فقد ظهرت فيه تشعبات بالأراء، واختلاف على الزعامة،

سيطر الصينيون على قطاع التجارة الخاص في بروناي، ونشطوا نشاطاً واسعاً، فلما بدأت فكرة الاستقلال، وأعلن السلطان عام 1378 هـ (1958 م) أن بروناي ستصبح دولة إسلامية مستقلة بدأ الصينيون يتدنّون، وأعلنوا أنهم أصبحوا مهتدين، وأنهم سيصبحون من غير ولاية لهم، أي أن بريطانيا كانت ولية أمرهم، فإن أكثرية السكان ملايويين، ويعرفون باسم «سامبيوتراس»، أي أولاد التربة، وأصبح الكلام يكثر من الغرباء من الصينيين، ومن تايلاند، ومن هونغ كونغ، ومن غيرهم أنهم سيعاملون معاملة غير عادلة مع الملايويين، وهذا يدفع وتحريض من الصليبيين في محاولة لإبعاد شعار الإسلام على حين أن الصليبيين وغيرهم من أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أنهما عاشوا في ظلّ الإسلام في أممٍ وسلامٍ على مدة قروبي، على حين لم يجد المسلمون راحة أبداً في بلادهم أنفسهم عندما سيطر عليها المستعمرون الصليبيون، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن رفع هذا الشعار الإسلامي ليس إلا اسماً، فلو كان حقيقة لما ترك في البلد وثيون أبداً على اختلاف ما يدينون من يوفيقية، أو كولونشوية، أو طوطمية أو عبادة للأرواح، فديار الإسلام هي التي يُطبق فيها المنهج الإسلامي، ولا يسكتها إلا المسلمون والذميون من أهل الكتاب النصراني واليهودي، وما يلحقهم من المجوس. ومن عدا ذلك فعليه الرحيل أو اعتناق الإسلام أو إحدى ديانات أهل الكتاب، أو المجوسية.

ويتكلم السكان اللغة الملايوية، وهي الرسمية والشعبية، وإن كانت المراسلات كافة لا تتم إلا باللغة الإنكليزية، والتي تعدّ شائعة، كما أن الصينيين يحافظون على لغتهم ليُعلمونها في مدارسهم، ويتكلمونها فيما بينهم وإن كانوا يعرفون الملايوية، ويفهم أكثرهم الإنكليزية، وكذا المجموعات الأخرى من بقية الجنسيات.

الصراع الحزبي:

تأخر التنظيم في بروناي، وإن كان المسلمون من السكان يشطرون

وتشكلت لجنة، وحدث الشقاق، وفي عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) نشأ حزب جديد، هو حزب بروناي الوطني المتحد.

لحق حزب بروناي الوطني المتحد موافقة السلطان، وركز جهده على التعاون مع الحكومة، وافتح على المسلمين وغير المسلمين، وبعد عامين من تأسيسه صدر أمر ملكي بحله وذلك في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) بعد أن أعطى السلطان صفة رئاسة الحكومة فقط دون ذكر رئاسة الدولة، غير أن الحكومة اتهمت بالانحياز بمؤسسات أجنبية، وألقت القبض على بعض قادته، ومنهم عبداللطيف حامد، وعبداللطيف شوشو، وألقتهم في السجن لغاية ١٤١٠ هـ (١٩٨٩ م).

وهناك جبهة استقلال الشعب، ولكن لم يعد لها دور أيضاً.

الصراع العقيدي:

يشكل المسلمون أكثرية السكان إذ تبلغ نسبتهم ٧٦٪ من مجموع أهل بروناي، وبلي ذلك أتباع الديانة البوذية، وتختلط البوذية بالكونفوشية عند كثير من الصينيين، وتبلغ أتباعها ١٦٪، وأصبحت نسبة النصارى ٤٪، ومثل ذلك نسبة عبدة الأرواح.

الجماعة	العدد	النسبة
المسلمون	٢١٢,٨٠٠	٧٦٪
البوذويون	٤٤,٨٠٠	١٦٪
الناصريون	١١,٢٠٠	٤٪
عبدة الأرواح	١١,٢٠٠	٤٪
	٢٨٠,٠٠٠	١٠٠٪

لا يوجد تكافؤ في الأعداد كما يقع صراع بين أصحاب الديانات، غير أن قوة الاستعمار الصليبي قد أوجدت مجموعة نصرانية أولاً وجعلتها تستطیع الصراع، والتغلب بما يملك أهلها من السيطرة، والإمكانات الضخمة، واتخاذ أساليب المكر، والتخطيط السياسي.

ما أن انتشر الإسلام في تلك الربوع وعم حتى جاء الاستعمار الصليبي. لقد أتى النصارى بقوة لم يكن المسلمون يملكونها، ووصل الصليبيون بمكرٍ وتخطيطٍ لم يكن المسلمون يعرفونهما. وجاء المستعمرون بدعمٍ من أوروبا والصليبية العالمية، ولم يكن هناك من يدعم المسلمين في جنوب شرقي آسيا لأن أوضاع المسلمين العالمية في وضع لا يساعدهم على تقديم أي مساعدة، وفي حالة لا يعرفون معها شيئاً عن إخوانهم. وقدم النصارى وقد تمكنت المبادئ عندهم، وترسخت الأفكار لديهم، وأبو أنها لا تتسجم مع الفطرة على حين كان المسلمون في بداية عهدهم بالإسلام لم يتعمق في النفوس وخاصة أنهم أقبلوا عليه وليس هناك من مرشدٍ واعٍ، ولغتهم غير لغة الإسلام ولكن قبلوه لأنه يتفق مع نظعاتهم، ويتسجم مع الفطرة البشرية.

لقد جاء المستعمرون بحقدٍ صليبيٍ عازم، ولم يلجؤوا إلى الإيادة خوفاً من تجتمع المسلمين فوراً، ونهوضهم نهضة رجلٍ واحد، وإعلان الجهاد، وبالواقع أنهم جاءوا وفي نفوسهم خوف شديد من المسلمين حيث لهم وقائع معهم، ويعرفون حروبهم، وفي الوقت نفسه فقد طمعوهم بتتصير هؤلاء لمعرفةهم بحفالة عهدهم بالإسلام غير أنهم لم يستطيعوا إحراز أي نجاح يذكر في تصير المسلمين رغم ما حشدوا له، وما ذلك إلا لأن الديانة النصرانية محرقة عما نزلت عليه، فأصبحت لا تتسجم مع الفطرة البشرية، فلم يجد فيها الناس أي دافعٍ دينيٍ لاحتقاقها، ولا أي مُشجعٍ لإرواء الجانب الروحي عند الإنسان السوي، فهي أشبه بطقوس الوثنية، وتتفق معها في عبادة المخلوقات، وتكريم القديسين، وتلبس الصور

و... ولكن إن لم ينجح المتصرون في محاولاتهم الجادة والعنيفة لتحرير المسلمين لكنهم أحرزوا طرقة من نجاح في كسب بعض العناصر الوثنية إلى عقيدتهم بالإغراءات.

ولما لم ينجح المتصرون في مهمتهم الأساسية، ولم يجدوا أملاً بالنجاح في المستقبل عندها عمدوا إلى محاولة إفساد المسلمين في سبيل إبعادهم عن عقيدتهم، كما أنهم اتخذوا المكر والوسائل الأخرى لإضعاف المسلمين وجعلهم بحاجة إلى المتصرين، وبحاجة إلى أن يسعوا وراءهم، وراء حاجياتهم الأساسية.

قرب المستعمرون الأقليات غير الإسلامية، ورفعوا فوق المسلمين، وأعطوا المناصب، وفسحوا لها المجال بالنشاط، وقد لاحظنا أن الصراع العنصري كان يحمل في جنباته الصراع العقائدي.

وعمل المستعمرون الصليبيون على إفقار المسلمين بالاستيلاء على أملاكهم، وأخذ أموالهم، وإبعادهم عن المناصب فشعر المسلمون بالضعف وأحسوا بالحاجة.

ولجأ الدخلاء إلى التحيلولة دون تعليم المسلمين بإغلاق المدارس الإسلامية، ومنع الكتاب من مزاولتها نشاطها، ومنع الدروس في المساجد بأذونات لا أساس لها من الصحة، فانتشر الجهل بين المسلمين، وشعروا بالنقص المادي والعلمي عند الآخرين، وانتشرت مدارس الإرساليات النصرانية وامتد المسلمون من الإقبال عليها في بداية الأمر، ثم أخذوا يتسللون إليها تدريجياً، فأذت دورها بإفساد العقيدة، واستهوت الطريقة الغربية من مذهب. ثم لجأ الدخلاء إلى طريقة الجنس وسخروا بنات الجماعات الأخرى رديفة لبياتهم فأغرقت الشهوة الكثير، وأضلت من أضلت.

وكانت السلطة بعيدة عن هذا متصرفة إلى تحقيق رغباتها وشهواتها،

فكانت الهزيمة النفسية لدى الشعب عامة، وأخذ يلهث الساقطون من وراء التقليد وتأمين الرغبات وأهواء النفس، وهكذا نجح المستعمرون الصليبيون في تأدية دورهم.

وعندما استقلت البلاد أحسن السلطان والمسؤولون بما حدث، ورأوا أن البلاد بحاجة إلى الإعمار، والإعمار بحاجة إلى سكان أصحاب إمكانات، والبلاد يمكنها توفير ذلك بما لديها من إمكانات وثروات نفطية، ودخل الفرد المرتفع يمكن أن يُغري الكثيرين من خارج البلاد بالإقبال نحوها، واتخاذها وطناً، ومجالاً للعمل والنشاط، ورأى السلطان تشجيع المسلمين للقدوم إلى بلاده، وبين المسلمين أصحاب الإمكانات العلمية والعملية، وبينهم المشركون الكثيرون الذين يفتشون عن مكان يأوون إليه، فأتجهت أنظارهم نحو بروناي، وأسرعوا بفتحهم الطلاب، غير أن التقديم كان إلى السفارات البريطانية، إذ لم تكن سفارات بروناي قد تكاملت حتى تستطيع تغطية هذه الخطوة. فأجهضت بريطانيا هذا المشروع بحقد صليبي. وانتهى الأمر. وسكنت بروناي. فالصراع العقائدي يمثل في كل جانب من جوانب الحياة. وتغلّبت الصليبية عالمياً، وضعف المسلمون دولياً، وأخذ التصاري يتحكمون بالمسلمين تحت أسماء متعددة منها النظام الدولي الجديد، والديمقراطية، والمصلحة الوطنية و... ويُقَر كل اصطلاح حسب ما تريده الصليبية فتتهدك الديمقراطية وتُداس للمحافظة على النظام الديمقراطي، ويُفتك بالمسلمين حرصاً على السلام... والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

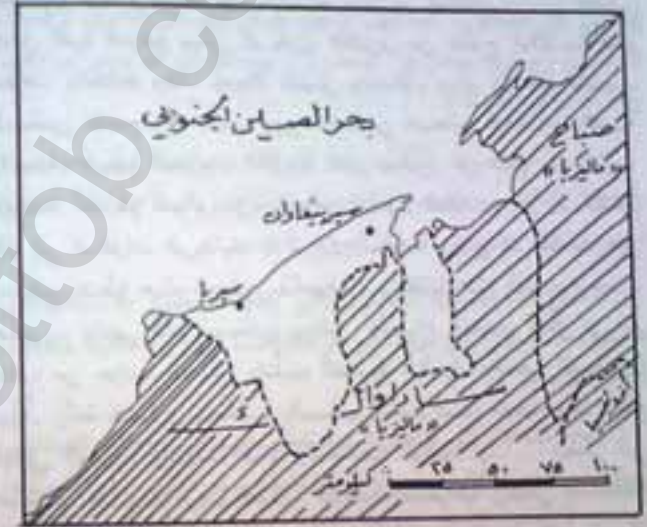
وهنا لا بد من أن نذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

الغاية

إن منطقة جنوب شرقي آسيا متلفة مُهمّة بالنسبة إلى المسلمين، وقد ركزت الصراية عليها اهتمامها الآن، ويبدو أن الاستعمار الصليبي سيلجأ في عملية التصير الجديدة حسب المخطط الذي سار عليه في الاستعمار، إذ بدأ من هامش العالم الإسلامي، وأخذ يتقدّم تدريجياً حتى وصل إلى القلب على المدى الطوي، وخلال عدة قرون.

لقد وصل الاستعمار إلى قلب العالم الإسلامي إثر الحرب العالمية الأولى، وعمل عن طريق أعرانه على إلغاء الخلافة فانقرط عقد الجامعة الإسلامية، وإن كان ضعيفاً مهلهلاً من قبل، لكنه كان صورةً على الأقل، وله أثره النفسي والمعنوي، وقد زال الآن. وأخذ المستعمرون الصليبيون بعدها يطبقون سياستهم في إضعاف المسلمين، وإفقادهم، وتجهيلهم حتى أصيب بعضهم بعقدة النقص، واتخذ الدخلاء طريقة الغزو الفكري، وإعادة اللغة العربية عن العلم والتعليم، ومحاولة إدخال كلمات فيها إمكانية تغييرها، ووضع اللغة الإنكليزية بجانبها في كل شيء وللغرض نفسه، وأخيراً شعرت الدول الكبرى بهيمنتها التامة.

ويبدو أن المخطط التصيري يسير على خطا المخطط الاستعماري وحسب مراحله، وقد بدأ بهامش العالم الإسلامي بشكل مكتفٍ، وهذا ما نراه في أندونيسيا خاصة ثم في بقية دول جنوب شرقي آسيا، وإن كان هذا لا يمنع من تمهيد في قلب العالم الإسلامي لتسهيل المهمة في المستقبل.



مصور رقم [١٣]

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢٨٣	مقدمة
٢٩١	الباب الأول: ماليزيا
٢٩٣	لمحة عن ماليزيا قبل إلغاء الخلافة
٣٠٩	الفصل الأول: ماليزيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال
٣٢٠	الفصل الثاني: الاستقلال
٣٣٦	الفصل الثالث: الصراعات الداخلية
٣٦٣	الباب الثاني: أندونيسيا
٣٦٥	لمحة عن أندونيسيا قبل إلغاء الخلافة
٣٨٣	الفصل الأول: أندونيسيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال
٣٩٤	الفصل الثاني: الاستقلال
٤٢٣	الفصل الثالث: الصراعات الداخلية
٤٤٣	الباب الثالث: بروناي
٤٤٥	لمحة عن بروناي قبل إلغاء الخلافة
٤٥٩	الفصل الأول: بروناي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال
٤٦٣	الفصل الثاني: الاستقلال
٤٦٧	الفصل الثالث: الصراعات الداخلية
٤٧٧	الخاتمة
٤٧٩	الفهرس

إذ تجد إبراز الصليان في المسلسلات التلفزيونية وغيرها، وحتى وُجّهت الشركات والمؤسسات لهذا الجانب وربما لم تُوجّه وإنما بدافع ذاتي. مما تحمل من الصليبة، فأصبح عدد من شركات إنتاج السيارات يضع الصليب بصورة واضحة من الخلف والامام، وبشكل بارز ليتعود الناس على رؤيته، ولم يكن هذا من قبل. والمسلمون نيام يتركون الأمر لأهوان أعدائهم.

يجب على المسلمين أن يتبهوا من رقتهم، ويتعرفوا على مجريات الأمور في واقعهم قبل أن يستغل الأمر، فالوضع جد خطير، وهجمة الصليبة شرسة وقليرة، وقد رُتت جهدها على جنوب شرقي آسيا دون إهمال بقية المناطق. ويجب نشر الوعي، والمعرفة، والتنبيه على ما يقع. والله ولي التوفيق. ولنضع نصب أعيننا قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَجِيزُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَكْفُرُوا بِأُولِيئِهِمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمْ نَفْلًا وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨).



مجموعه شاکر

التبلیح الاسلامی

التبلیح المعاصر

القارة الهندية

جنوب شرقی آسیا
مالیزیا و انڈونیشیا

المكتب الإسلامي

التبلیح الاسلامی

www.alkottob.com

التبليغ الإسلامي

- ١٩ -

التبليغ المعاصر

القارة الهندية



www.alkottob.com

الْبَيْتُ الْإِسْلَامِيُّ

- ١٩ -

الْبَيْتُ الْمَعَاوِيَّ

القَارَةُ الْهِنْدِيَّةُ

١٣٤٢ - ١٤١١ هـ

١٩٢٤ - ١٩٩١ م

محمود شكري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين محمد بن عبدالله، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دبره إلى يوم الدين أما بعد :

فإن أرض الهند تلك الأرض الواسعة المحصورة بين خليج البنغال في الشرق، وبحر العرب في الغرب، والمحيط الهندي في الجنوب، وجبال هيمالايا في الشمال، والمرتفعات الجبلية في الشمال الشرقي، وجبال سليمان وامتداداتها في الشمال الغربي. هذا إضافة إلى ما يتبعها من جزر، وهي: جزر لكاديف، والمالديف في الغرب، واندمان، ونيكوبار في الشرق، وجزيرة سرينديب وسيلان في الجنوب.

ولاتساع هذه البلاد فإنه يُطلق عليها اسم وشبه القارة الهندية، إذ تزيد مساحتها على أربعة ملايين وثلاثمائة وستين ألف كيلومتر مربع. وهي شبه جزيرة، إذ يلقها اليم من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية. هذه هي الهند بالاصطلاح الجغرافي، وبالمفهوم العلمي، وبالمعنى الذي عرفه المسلمون عندما كانوا يتحدثون عنها، وعندما انطلقوا لفتحها. وهذا هو الاسم الشائع حتى قبل تقسيمها ٢٨ ومضان ١٣٦٦ هـ (١٥) آب ١٩٤٧ م. أما بعد هذا التاريخ فإن كلمة «الهند» أصبحت تدلّ على دولة سياسية بقيت تحمل الاسم الذي كان يُطلق على البلاد كلها قبل التقسيم.

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكتب الإسلامي

بيروت - ص.ب. (٢٧٧/١) هاتف: ٤٥٢٢٨٠

دمشق - ص.ب. ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٣٣٧

عُمان - ص.ب. ١٨٢٦٥ - هاتف: ٦٥٩٦٥

ورغم أن التقسيم قد تم، وانفصلت المناطق ذات الأثرية المسلمة، وشكلت دولة باكستان، ثم تجزأت باكستان إلى بنغالدش وباكستان، كما استقلت جزر المالديف وسكانها جميعاً من المسلمين، ومع هذا فقد أبقينا «الهند» عنواناً لهذا الكتاب وذلك لـ:

١- «إذ كانت الدول الإسلامية قد انفصلت عن الهند سياسياً إلا أنها بقيت جغرافياً ضمن هذا الاسم. فالتقسيم السياسي لم يخرج هذه الدول عن الدائرة الجغرافية والموقع الفلكي.

٢- «أن الدول الإسلامية الواقعة ضمن هذه التسمية لم تنفصل بعضها عن بعض إلا بعد مرور أكثر من ثلاث وعشرين سنة من المرحلة التي نُورِّح لها... أي بقيت تحت اسم الهند من ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ حتى ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ حتى ١٥ آب ١٩٤٧ م).

٣- «أن كثيراً من العلماء لم يرضوا عن هذا التقسيم، ورواوا فيه صبراً كبيراً على المسلمين وعلى مستقبل الدعوة.

٤- «أن عدداً كبيراً من المسلمين قد بقي ضمن الجزء الذي حمل اسم «الهند» وتصل نسبتهم إلى ١٢٪ من مجموع السكان، فيزيدون في هذا اليوم على الثمانين مليوناً وستدرس الأقليات التي بقيت خارج حدود الدول الإسلامية التي نشأت عن تجزئة شبه القارة الهندية في الجزء الثاني والعشرين من هذا الكتاب - إن شاء الله -.

إن عنوان هذا الكتاب إذن عنوان جغرافي مدة ثلاث وعشرين سنة من هذه المرحلة، وعنوان سياسي باقي المدة التي تشمل الزمن الذي استمر من التقسيم حتى ساعة تدوين هذا الكتاب.

لم تكن بعد التقسيم سوى دولة إسلامية واحدة هي باكستان، إذ لم تكن سيلان ترتبط بالهند سياسياً رغم أنها ضمن الإطار الهندي الجغرافي الذي تحدثنا عنه، وكانت جزر المالديف ترتبط سياسياً مع سيلان، ولم يجر

تقسيم الهند حتى تبعه استقلال جزر المالديف عن سيلان فعدت دولتان إسلاميتان مستقلتان ضمن إطار جغرافية الهند.

وبعد مؤامرة دولية كانت دولة الهند رأس الحربة فيه تجزأت باكستان فتنفصل القسم الشرقي فيها عن القسم الغربي، وحمل اسم «بنغالدش» على حين بقي القسم الغربي يحمل اسم «باكستان»، وهكذا أصبحت دول ثلاث مسلمة ضمن إطار جغرافية الهند، وهي: باكستان، وبنغالدش، وجزر المالديف. وعلى هذا ستكون دراستنا على النحو الآتي:

الباب الأول: الهند: ١٣٤٢ - ١٣٦٦ هـ (١٩٢٤ - ١٩٤٧ م).

الباب الثاني: ولاية كشمير.

الباب الثالث: باكستان الكبرى: ١٣٦٦ - ١٣٩١ هـ (١٩٤٧ -

١٩٧٢ م).

الباب الرابع: باكستان: ١٣٩١ - ١٤١٢ هـ (١٩٧٢ - ١٩٩٢ م).

الباب الخامس: بنغالدش: ١٣٩١ - ١٤١٢ هـ (١٩٧٢ - ١٩٩٢ م).

الباب السادس: جزر المالديف: ١٣٤٢ - ١٤١٢ هـ (١٩٢٤ -

١٩٩٢ م).

فترجو من الله أن نوفق في إعطاء صورة صحيحة عن تاريخ هذه المنطقة من خلال مفهوم إسلامي سليم، يعيد كل البعد عن التفسيرات المعرّضة التي تروجها وسائل الإعلام الأجنبية لإنتاج مخططاتها التي منها قتل الروح المعنوية الإسلامية، وإعادة الناس عن عقيدتهم، وعن مفهوم الأخوة بين أبناء الأمة الواحدة. والله نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لمحة عن الهند قبل إلغاء الخلافة

كان العرب في الجاهلية على صلةٍ مع الهنود، وكانت العلاقة بينهما علاقةً تجاريةً بحثاً لا تتعداها، ومع معرفة العرب للنظام الاجتماعي في الهند^(١)، وما فيه من فروقٍ واضحةٍ وثباينٍ غريبٍ إلا أن هذا لم يكن ليهتمهم، أو لثباتهم به، إذ هم على جاهليةٍ، ولكلِّ شأنه في هذه الحياة.

فلما أكرم الله العرب بالإسلام، ووصل إلى الجهات التي كانوا يتعاملون فيها مع الهند، رأوا من واجهم التوجه إليهم لإتقانهم مما هم عليه من الظلم والظلمات فهذه مهمّة المسلمين في الحياة، وهكذا فرض عليهم الإسلام، فكروا بهذا ولم تنته بعد الحروب مع فارس والروم، ولم

(١) يقول أبو الحسن عليّ الحسني الندوي في كتابه «وماذا خسّر العالم بت انحطاط المسلمين»: أما نظام الطبقات فلم يُعرف في تاريخ أمةٍ من الأمم نظام طبقي أشدّ قسوةً وأعظمّ فصلاً بين طبقةٍ وطبقةٍ وأشدّ استهانةً بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وحضعت له الآفا من السنين ولا تزال، وقد بدت طلائع التفاوت الطبقي في آخر العهد اليندي بتأثير الحرف والصنائع وتوارثها، وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الآرية المنحطة ونجاتها، وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرونٍ ازدهرت في الهند الحضارة البرهمنية، ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وألف فيه قانون مدني وسياسي ألقت عليه البلاد، وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها، وهو المعروف الآن بـ«موشاسترة».

يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقاتٍ ممتازةٍ وهي: (١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين. (٢) شترى: رجال الحرب. (٣) وشن: رجال الزراعة =

والتجارة، (٤) شوبر: رجال الخدمة. ويقول (ص) مؤلف هذا القانون: (إن القانون المطلق قد خلق لمصلحة العالم، البراهمة من فقهه، وشترتي من سواعده، ووش من أفعاله، وشوبر من أرجله، ويؤرخ لهم فرائض وواجبات لمصلحة العالم. فعلى البراهمة تعليم (ويد)، أو تقديم الشورى للأهله، وتعاظم الصدقات، وعلى الشترتي حراسة الناس، والتصدق، وتقديم الشورى، ودراسة (ويد) والمزوف عن الشهوات، وعلى وش رعي السائمة والقيام بخدمتها وثلاثة (ويد) والتجارة والزراعة، وليس لشوبر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث.

امتيازات طبقة البراهمة: وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً كحقيقتهم بالأهله فقد قال: إن البراهمة هم صفوة الله، وهم مولوك العلق، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبدهم شوبر - من غير جريئة - ما شاؤوا، لأن العبد لا يملك شيئاً وكل مال له سيده. وإن البرهمن الذي يحفظ ركه ويد (الكتاب المقدس) هو رجل مفعول له ولو أباد العوالم الثلاث بذنوبه وأعداله، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطراب والفاقة أن يبغي من البراهمة جانية أو يأخذ منهم إنكارة، ولا يصح لبرهمن في بلاده أن يموت جوعاً، وإن استحق برهمن القتل لم يجز للحاكم إلا أن يخلق رأسه، أما غيره فيقتل.

أما الشترتي فإن كانوا فوق الطبقتين ووش وشوبره ولكنهم دون البراهمة بكثيره فيقول (متوه): إن البرهمن الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشترتي الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده.

المتوفون الأشقياء: أما شوبر «المتوفون» فكثروا في المجتمع الهندي - بعض هذا القانون المدني الديني - أسط من الهائم وأذل من الكلاب، فيُصرح القانون بأن «من معانة شوبر أن يلوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك» وليس لهم أن يقتلوا مالا أو يذبحوا كثيراً فإن ذلك يؤذي البراهمة، وإذا مذ أحد من المتوفين إلى برهمن بدأ أو عصا ليضرب به قطعت يده، وإذا رفعه في غضب قُدمت رجليه، وإذا حم أحد من المتوفين أن يجالس برهمنياً فعلى الملك أن يكرهه إسته ويلفه من البلاد، وأما إذا مته ببد أو مته فيقتل لسانه، وإذا ادعى أنه يعلمه سقى زينة فارتأه، وكفارة قتل الكلب والقطعة والصدقة والسوزج والغراب والبومة ودجل من الطبقة المتوفية سواء.

مركز المرأة في المجتمع الهندي: وقد لزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإمام، وكان الرجل قد يخسر امرأته في الفسار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج، فإذا مات زوجها صارت كالمتوفية لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، =

وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وعلم الأحماء، وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تلعياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا. وكان ذلك تقليداً مستحزماً ناشئاً في الطبقات الشريفة، والمحنعات الأسترقاطية يعرف - «متي» وكان دليلاً على وفاء الزوجة للزوج وشرفها، وقد قلَّ عدده المنتحرات بتأثير الحكومات الإسلامية، وتدخل الحكام المسلمين، كما صرح بذلك الرحالة الفرنسي الدكتور «بربير»، حتى جاء الإنكليز في العهد الأخير إلغائه تماماً.

ويقول أبو الحسن علي الحسيني الشدي في رسالته «منهج الفصل في الإصلاح للدعاة والعلماء»: إذا سافرتم في الفطار ترون صديقين من غير المسلمين يتحدثان ويتلاطفان، فإذا حضر الطعام صرف هذا وجهه إلى الغرب، وهذا وجهه إلى الشرق، بدأ يأكل هذا، وبدأ يأكل ذلك، كأنه لا لقاء بينهما.

ويقول أيضاً أبو الحسن علي الحسيني الشدي في كتابه «مناظر حسر العالم بالحفاظ المسلمين» عن شذوذهة الهند القديمة تحت عنوان «الشهوة الجنسية الجامحة»: وأما الشهوة فقد امتازت بها ديانة الهند ومجتمعها منذ العهد القديم، فعملت المواد الجنسية والمهيجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة بلذم مثل ما دخلت في صميم الديانة في البلاد الهندية، وقد تناقلت الكتب الهندية، وتحدثت الأوساط الدينية عن ظهور صفات الإله، وعن وقوع الحوادث العظيمة، وعن تحليل الأكوان روایات واقصيص عن اختلاط الجنين من الآهله، وغارة بعضها على البيوتات الشريفة تستك منها المسامع ويتخلى لها الحين حياء، وتأثر هذه الحكايات في عقول المتعجبين المحتلصين المرتدين لهذه الحكايات في إيماناً وحماسة دينية وفعلها في عواطفهم وأفعالهم واضح، زد إلى ذلك عبادتهم لآله التماسل لألهم الأكبر «مهانبوه»، وتصويرها في صورة بشعة، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين من أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعدون النساء الغاربات والنساء يعبدن الرجال العراء، وكان كهنة المعابد العونة والفساق كانوا يبرؤون الرعايات والزائرات في أمر ما تدعن، وقد أصبح كثير من المعابد مواخير يترصد فيها الفاسق لظلمته، وينال فيها الفاجر بقرته، وإذا كان هذا شأن البيوت التي رقت للعبادة والدين فما ظن القاريه ببلاد الملوك وقصور الأثنياء؟ فقد شنفس فيها رجالها في إثبات كل منكم ويكوب كمثل فاحشة، وكان فيها مجالس مختلفة من سافه وسيدات، فإذا لعبت الخمر برؤوسهم خلعوا طباط الحياء والشرف وطرحوا الحشمة، فتوارى الأدب وتبرقع الحياء، وهكذا أخذت البلاد موجة من الشهوات الجنسية والحلاصة، وأسفت أخلاق الجنسين إسفاً كبيراً.

تساقط هاتان الدولتان، ويأتي الخوف على المسلمين منهما، إذ أنهما أقوى دولتين في العالم يومذاك، ولطالما عملنا ضد المسلمين فحرضنا المرتدّين، وجيوشنا الجيوش لمواجهة المجاهدين إذ كانت تخشى زوال سلطانيهما، وذهب اعتماد حكامهما وسدنة معايد ديانتها للعباد، وخشية على الحدّ من إزواء غرائز المتسلّطين عليهما.

وإذا كان الخليفة ورجال الشورى وقادة الفتح متصرفين بكل طاقاتهم وإمكاناتهم لحرب الظلم والاستبداد في الدولتين الكبيرتين فارس والروم، والعمل على تسهيل نشر الدعوة ومع الوقوف في وجه الدعوة فإن ولاية المناطق التي كانت تتعامل مع الهند لم يمنعهم مانع من العمل على نشر الإسلام في الهند ورفع الظلم عن أهلها. وكانوا يتوقعون أن هذا لا يكلفهم كثيراً، ولا يُشكّل على الدولة عبثاً يُعرقل عليها القيام بمهمتها في نشر الدعوة، ومحاربة المستبدين الذين يحولون دون ذلك، وكانوا يتصورون أنه ما أن تصل إلى مسامع الهنود آباء الدين الجديد، وما فيه من خير للبشر، ومن مساواة حتى يُهرع إليه أبناء الطبقات كلها دون التواضع الذين قد يقاومون الإسلام حرصاً على نفوذهم ومصالحهم.

أيام الراشدين:

تولّى عثمان بن أبي العاص الثقفي عام ١٥ للهجرة أيام الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمر البحرين وعمان، فوجّه أخاه الحكم إلى البحرين، وسار هو إلى عمان، ولم يلبث أن وجّه أخاه الحكم في جيش إلى (تانه) شمال مدينة بومباي.

وأعاد عثمان بن أبي العاص الثقفي أخاه الحكم مرة ثانية بجيش إلى (بروص) في مقاطعة (كوجرات) شمال (سورت)، فلفي الحكم العدو، وانتصر عليه. و(بروص) ميناء قديم فقد أعمته مع الزمن.

ووجّه عثمان بن أبي العاص الثقفي أخاه الآخر (المغيرة) إلى (الدليل) على مقربة من مدينة كراتشي اليوم.

وسار كذلك الحكم بن عمرو الثقفي بجيش إلى (مكران) من بلاد فارس ففتحها، وفر أهلها حتى وصل بعضهم إلى وادي نهر السند، وكان في هذا الجيش عبدالله بن عبدالله بن عثمان الأنصاري، وسهيل بن عدي بن مالك الأنصاري، وشهاب بن المغارق. وبعث الحكم بن أبي العاص الثقفي بشارة الفتح إلى الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبعث إليه بالأحساس مع صحاب العدي.

وفي عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعث والي العراق عبدالله بن عامر بن كرز إلى الهند حكيم بن جبلة العدي ففقره، وكانت دولة فارس قد انهارت وانتهت، ودولة الروم قد هُزمت، وقبعت ترتقب. فلما رجع حكيم بن جبلة العدي من الغزو أرسله والي العراق عبدالله بن عامر بن كرز إلى الخليفة، فلما وصل إليه طلب منه أن يصف له الهند، فقال: ماؤها وشل"، وثمارها دقل"، ولصها يطل، إن قُل فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا و... فطلب الخليفة من ولاته على المشرق عدم غزو الهند بعدها.

وأرسل الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى بلاد السند (تاغرين دهر) عام ٣٨ هـ فوصل إلى بلاد الفيقان، وبعث، رضي الله عنه، في إثره الحارث بن مرة العدي فظفر وأصاب مغمماً، وذلك في أواسط عام ٣٨ هـ وأوائل العام الذي تلاه، ولكنه قُتل فيما بعد وأكثر من معه عام ٤٢ هـ أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

أيام الدولة الأموية:

استعمل والي العراق عبدالله بن عامر أيام معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، على ثغر الهند عبدالله بن سوار العدي ففتح بلاد

(١) وشل: قليل.

(٢) دقل: ردي.

القبائل، وعاد بعد أن استخلف على الشعر كرازين أبي كرز العبيدي.

وتولى أمر الشعر راشد بن عمرو فاستشهد عام ٤٢ هـ، فعاد إلى الولاية عنداه بن سوار العبيدي فاستشهد عام ٤٧ هـ، بعث والي العراق زياد بن أبيه مكانه سنان بن سلمة الهذلي للمرة الثانية ثم تولى الشعر المنذر بن الجارود العبيدي.

ومن ناحية ثانية وصل إلى الهند عبّاد بن زياد بن أبيه والي سجستان، وأحرز نصراً. وكذلك أرسل والي خراسان الحكم بن عمرو الغفاري إلى الهند عام ٤٤ هـ المهلب بن أبي صفرة فمال شيئاً من النجاح، وشكل عام فإن هذه الغزوات كانت على نطاق ضيق نتيجة الظروف التي كانت تعيشها الخلافة الإسلامية في دمشق.

واستقرت أوضاع الدولة في الشام وتولى الخلافة عبد الملك بن مروان، فأرسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الحملة تلو الحملة إلى الهند غير أنها فشلت في بداية الأمر، ثم تكثرت أخباراً بالنجاح. لقد بعث في البداية سعيد بن أسلم بن زوزة عاملاً له على شعر السند، غير أنه قُتل، وفرّ قاتلاه وهما: معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي بعد أن غلبا على المنطقة والنجا إلى ملك السند داهر. ثم أرسل مجاعة بن صعير التميمي فغلب على الشعر، وفتح بعض المناطق، ووفاه الأجل قبل مرور عام، وخلفه محمد بن هارون بن ذؤانق النعري، وفي هذه الأثناء احتفظ القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجاج بن يوسف من ملك السند داهر تسليم هذه النساء، فأجاب: أن ينده لا تصل إلى القراصنة، فأرسل الحجاج بعض المقاتلين وعلى رأسهم عبدالله بن نهبان فقتل، فأرسل آخر، وهو: بُدَيْل بن طهفة الجلي، ولكن الموت وافته، فرغب الحجاج والي العراق إرسال جيش بزمرة أبي الأسود، فألح محمد بن القاسم الثقفي على الحجاج أن يتولى هو هذه القيادة، فوافق الحجاج، وعقد له، فسار على رأس ستة آلاف، ففتح الديبل (على مقربة من

كراتشي اليوم) عام ٨٩ هـ بعد أن وصل الأسطول الإسلامي وشارك في حصار المدينة، وحطم محمد بن القاسم الأصنام التي كانت قائمة لِدُرُك أهلها أنها لا تُفصر ولا تُفتح، ولا يستطيع أن تدفع عن نفسها، ثم توجه إلى بيرون (حيدر آباد السند اليوم)، فدخلها، وسار إلى (الملتان) عاصمة الإقليم، ففتحها وقتل الملك داهر عام ٩٦ هـ. ولكن (صينا) ابنة الملك داهر أرادت الثأر لأبيها، فأدعت ابن محمد بن القاسم فد اغتصبها، فغزل حتى يجري التحفيق معه، وتولى أمر السند يزيد بن أبي كبشة، ولكنه لم يلبث في الإمرة سوى ثمانية عشر يوماً. ونقل محمد بن القاسم إلى واسط، حيث سُجن هناك، وقُتل على يد أحد أعمداه الحجاج وهو صالح بن عبدالرحمن الذي اتصل به (صينا) حيث كانت في دمشق في دار الشيخ صفوان منذ أن أرسلها محمد بن القاسم أسيرة. وأخيراً ألب (صينا) ضميرها فاعتزت للخليفة سليمان بن عبد الملك أنها اقترنت على محمد بن القاسم، وأن ما سبق أن ادعته لم يكن إلا كذباً، فأمر بقتلها لأنها كانت سبب قتل القائد محمد بن القاسم.

اضطرب جبل الأمن في السند منذ أن تركها محمد بن القاسم، وتوفي يزيد بن أبي كبشة، واستعاد أبناء الملك داهر بعض المدن من أيدي المسلمين.

وفي أيام الخليفة عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، تولى أمر السند عمرو بن مسلم الباهلي، أخو قتيبة فاتح بلاد ما وراء النهر، فقوي أمر المسلمين، ودعا الخليفة أمراء الهند إلى الإسلام، ووعدهم بأن يبقوا في مراكزهم، فأسلموا، ومنهم أبناء الملك داهر.

كان ملوك الهند وحكام المقاطعات يخافون على مراكزهم، وكان البراهمة يخشون على امتيازاتهم لذا كان هؤلاء وأولئك يدفعون الطبقات الأخرى القائمة في مجتمعهم، والموجودة حسب قوانينهم وتعاليمهم الدينية لقتال المسلمين مُطلقين الشائعات ضد المجاهدين والدعاة، وفي الوقت

نفسه كانوا يحولون دون إطلاع أفراد الشعب من مختلف الطبقات على الإسلام وتعاليمه خوفاً من التوجه نحوه، والدخول فيه، وخاصةً إذا عرفوا المساواة والحرية والتعاون والأخوة التي هي من تعاليم الإسلام ومبادئها. وهذا ما أخر انتشار الإسلام، هذا بالإضافة إلى الظروف التي كانت تعترضها الدولة الإسلامية.

أيام الدولة العباسية:

انتشرت في السند بعض الأفكار الهدامة أيام الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، حتى كان الوالي عمرو بن حفص أحمد حملة هذه الأفكار، لذا فقد حُزِلَ ووُلِّيَ مكانه هشام بن عمرو التغلبي، ففتح الملتان وكشمير.

وفي أيام المهدي انتشرت العصية القليلة أو انتقلت إلى السند من مركز الدولة فاختلقت القبائل العربية بعضها مع بعض، فضعف شأن المسلمين هناك، واستغل الهنود هذا الضعف فاحتلوا بعض الأجزاء، وتفككت الولاية، وظهرت الإمارات المستقلة، شأنها في ذلك شأن الخلافة التي تحزرت إلى دويلات، وكان من هذه الإمارات في السند: إمارة المنصورة، وإمارة الملتان. ثم قامت إمارة (إسماعيلية)، وبقيت حتى قضى عليها محمود الغزنوي وطارد حاكمها أبا الفتح داود القرمطي في القرن الخامس الهجري، وحكمت عدة دول إسلامية في الهند، وهي:

الدولة الغزنوية:

لما أن الدولة العباسية قد تحزرت، وقامت عدة دول رغم بقاء الخلافة في بغداد، وكانت هذه الدول أو الإمارات تعدّ نفسها تابعة اسمياً للدولة العباسية، ومن هذه الدول: الدولة السلمانية التي ورثتها الدولة الغزنوية في غزة التي أعطت الدولة اسمها.

أسس الدولة الغزنوية سنكتين، وخلفه ابنه الأصغر إسماعيل، غير أن ابنه الأكبر محمود قد استزع الحكم من أخيه عام ٣٨٨ هـ، ونظر عليه

للجهاد في سبيل الله. فدخل الهند عن طريق ممر حيدر، وفتح (قنوج) و (كوجرات)، وهدم معبد (سومناث) بعد فتحها، وكان الهنود يمشون هذا المعبد مكان تناسخ الأرواح، وأن مدّ البحر وجزره صلاة له. ويعود الفضل في انتشار الإسلام في تلك الأصفاع بعد الله إلى محمود الغزنوي.

خلف محموداً ابنه مسعود ففتح مدينة (بنارس) على نهر الغانج، وبعده ساد الاختلاف، واستمر حكم الغزنويين حتى عام ٥٥٥ هـ.

الدولة الغورية:

خلقت الغزنوية، ووصلت إلى البنغال، ولم يحكم من ملوكها سوى شهاب الدين محمد الغوري، ودخل مملوكه قطب الدين أيك مدينة دهلي، وجعلها مقر حكمه، وعين نائباً له على ما وراء نهر الغانج محمد بن بختيار الخلجي فأخذ يبهار، واتخذ مدينة درانيوره قاعدة له، ثم استولى على البنغال.

اعتز شهاب الدين محمد الغوري مملوكه قطب الدين أيك. ومات الغوري عام ٦٠٢ هـ، فورثه قطب الدين أيك إذ لم يكن للغوري وريث.

دولة قطب الدين أيك:

اتخذ أيك مدينة لاهور قاعدة لمملكته، ولم يلبث أن توفي عام ٦٠٧ هـ فخلقه ابنه أرام شاه، غير أن ولاته قد استقلوا بما تحت أيديهم.

دولة إيلتمش:

كان شمس الدين إيلتمش مملوكاً لقطب الدين أيك، فلما تولى حكم لاهور أرام بن قطب الدين أيك استقل إيلتمش في مدينة دهلي، وأسس أسرة حاكمة استمرت في حكمها في مدينة دهلي حتى عام ٦٦٤ هـ، وكان الخليليون قد استقلوا في البنغال، ولكن إيلتمش اتزعمها منهم.

في العهد المملوكي:

سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ بيد هولاكو قائد المغول، وفر أحد أبناء العباسيين إلى مصر حيث التجأ إلى المماليك الذين نصبوه خليفة اسماً، وحكموا من خلفه بأسماء سلاطين. وقد عُرف ذلك العصر بالمعهد المملوكي، وقد استمر حتى عام ٩٢٣ هـ عندما دخل العثمانيون مصره وأخذوا الخلافة لأنفسهم من الخليفة العباسي الذي لم يكن له سوى الاسم.

لقد قامت في الهند في هذا العهد دول ضعيفة، وممالك متعددة في أرجاء الهند ومنها:

١- في دهلي حكمت:

أ- أسرة بلبن (٦٦٤ - ٦٨٩ هـ): قامت بعد أسرة إيلتش التي استمرت مدة سبع وخمسين سنة، وكان آخرها ناصر الدين محمود إيلتش (٦٤٤ - ٦٦٤ هـ)، وبعد وفاته خلفه نائبه غياث الدين بلبن، ودام حكمه اثنتين وعشرين سنة، ولكن لم يحكم حفيده أكثر من ستين حيث خلع طاعته نائبه جلال الدين فيروز الخلجي.

ب- الخلجيون (٦٨٩ - ٧٢٠ هـ): وحكموا مدة إحدى وثلاثين سنة، وبدأ ملكهم بجلال الدين فيروز الذي قتله ابن أخيه وزوج ابنته علاء الدين محمد شاه، وتولى السلطة، وكانت له وقائع مع المغول، ودخل كوجرات، والدكن، وكيرالا في أقصى جنوبي الهند.

وبعد وفاة علاء الدين تولى دهلي ولده شهاب الدين، وكان صغيراً فاستأثر بالسلطة نائب أبيه علي دهلي الذي سجن أولاد سيده أبا بكر، وشادياً وسمل عيونهما، كما سجن أخوهما الثالث مباركاً ثم لم يلبث أن قُتل النائب، وتسلم الحكم مبارك باسم قطب الدين مبارك شاه الخلجي، وسجن أخاه شهاب الدين الملك السابق مع بقية إخوته، وأرسل جيوشه إلى غربي الدكن عام ٧١٨ هـ، وإلى كيرالا، وضواحي الهند، واتفق الأمراء

على خلع قطب الدين وتولية ابن أخيه خضر، وكان غلاماً لم يتجاوز العاشرة من عمره، فأسرع قطب الدين وقتل الغلام، كما قتل إخوته ومنهم أبو الغلام.

خاف كبير أمراء قطب الدين وهو ناصر الدين خسروخان على نفسه فأسرع وقتل سيده قطب الدين، وتسلم السلطة، ولكن المسلمين كرهوه لأنه كان يميل إلى الهندوك، وتمنوا الخلاص منه. ولما بايعه القادة، رفض غياث الدين تغلق في السند الطاعة، وسار إلى دهلي ودخلها مع أمير الملتان، واستلم الحكم، وهرب ناصر الدين خسروخان.

ج- آل تغلق: (٧٢٠ - ٨١٥ هـ): وحكموا خمسة وتسعين عاماً، وتوالى على السلطة منهم ثمانية ملوك بدءاً بغياث الدين، وابنه محمد الذي عُرف بابي مُجاهد، وكان يقتل تارك الصلاة، وقد فتح كيرالا. وأرسل قوة إلى بلاد الصين فهلك أفرادها في جبال هيمالايا.

وجاء بعده ابن عمه فيروز شاه الذي كان من خيار السلاطين، فبنى المساجد، والمدارس، والحصون، وخلفه حفيده تغلق شاه ولقب نفسه غياث الدين.

اختلفت الأسرة بعد ذلك على الحكم، وتباينت أهواء القادة حتى دخل تيمورلنك دهلي عام ٨٠١ هـ، وبقي خمسة عشر يوماً فيها ثم رجع إليها آخر ملوك آل تغلق حتى توفي عام ٨١٥ هـ.

د- آل خضر (٨١٥ - ٨٥٥ هـ): كان خضر من رجال تيمورلنك في دهلي أثناء مدة وجوده فيها، وهي خمسة عشر يوماً، وقويت شوكته في العاصمة حتى بعد خروج تيمورلنك، وأراد محمود شاه آخر ملوك آل تغلق أن يقضي عليه فلم يستطع لضعفه، فلما مات محمود شاه تزعم خضر على سدة الحكم، وبقي حتى عام ٨٢٤ هـ.

وخلفه ابنه مبارك شاه، وكان صالحاً، وقُتل بيد أحد الكفرة عام ٨٣٧ هـ، فتسلم السلطة بعده ابن أخيه محمد شاه من فريد الذي توفي عام

٨٤٧هـ، وخلفه ابنه علاء الدين الذي خرج عليه أحد كبار القادة، وهو جاكم (فيالبور) بهلول اللودي، فلما استعد علاء الدين، وخرج من دهلي إلى (بدايون) لملاقاته دخل بهلول اللودي دهلي، وتسلم السلطة، وبقي علاء الدين في بدايون حتى توفي عام ٨٥٥هـ.

٥- اللوديون (٨٥٥ - ٩٣٢هـ): وحكم منهم ثلاثة ملوك أولهم بهلول اللودي، وكان صالحاً محباً للخير، حكم ثماناً وثلاثين سنة، وخلفه ابنه نظام خان، وكان كأيه خيراً، وتوفي عام ٩٢٣هـ، وخلفه ابنه إبراهيم وتغيرت نفسه بعد أن آل إليه الأمر، فالتصل القادة والأمراء ببابر شاه التيموري فدخل البلاد، وتسلم زمام الأمر عام ٩٣٢هـ، وكان العهد المملوكي قد انتهى في ٩٢٣هـ.

٦- في كشمير:

أسس شمس الدين شاه مرزا أسرة حكمت كشمير مدة قرنين وربع ٧٤٤ - ٩٧٠هـ، وأصله من خراسان، جاء وخدم ملك كشمير اللودي، وأصبح وزير ابن الملك عندما آل إليه الحكم، وزوج امرأة الملك الذي توفي، وأرادت المرأة أن تغدر به فسجنها واستلم السلطة.

٣- في الهند:

تبع الولاة في الهند مركز الخلافة الإسلامية في دمشق، ثم في بغداد حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ثم تمكنت أسرة (سومرة) من السيطرة على الهند مدة قرنين من الزمن، ثم جاءت بعدها أسرة (سمة) التي كان حكامها يخضعون لمولك دهلي، وقد يستقلون عنهم أحياناً.

ثم حكمت الهند أسرة (مستكان) التي بقيت في الملك حتى عام ٩٢٧هـ وجاءت بعدها أسرة (شاه بيك القندهاري حتى عام ٩٩٥هـ).

٤- في الملتان:

كانت البنجاب تتبع ملوك دهلي، فلما ضعف الحكم في دهلي بعد فيروز شاه من آل تغلق، بدأت حملات التار على البنجاب، فولى السكان

عليهم الشيخ يوسف عام ٨٤٧هـ، غير أن كبير الجند رفض هذا، وبقصر على الشيخ يوسف وسجنه، واستلم الأمر، ولقب نفسه (قطب الدين لنگاه) وحكم أبناؤه من بعده حتى دخل بابر شاه التيموري الهند فضم الملتان إلى بلاد الهند.

٥- في كوجرات:

كانت كوجرات تتبع ملوك دهلي، ثم استقل حكامها في أواخر حكم آل تغلق عام ٨١٠هـ. وكان أول حكامها المستقلين ظفر خان بن وجيه الدهلوي، وخلفه ابنه أحمد الذي أسس مدينة أحمد آباد كبرى مدن كوجرات اليوم، وتوارث الأبناء الملك، واصطدموا مع المستعمرين البرتغاليين، وقتل أحدهم عام ٩٤٣هـ، واستمرت السلطة بأيديهم حتى عام ٩٩٥هـ.

٦- في جاتبور:

كانت جاتبور تتبع دهلي، ثم استقل فيها خواجه جهان سرور عام ٧٩٦هـ في أيام محمود شاه آخر ملوك آل تغلق، وكان استقلاله ذاتياً، وتوفي عام ٨٠٢هـ، وخلفه مولاه (فرنقل) بناءً على عهد من خواجه جهان سرور، ولقب فرنقل نفسه مبارك شاه، وقطع الخطة عن آل تغلق، وتوفي ٨٠٤هـ، وخلفه أخوه إبراهيم، وكان صاحب دين وخلق، واصطدم مع حكام دهلي، وتوفي عام ٨٤٤هـ، وورثه أبناؤه، وانتهى حكم الأسرة عام ٨٨١هـ.

٧- في البنغال:

فتحت البنغال عام ٥٩٩هـ، وحكمها الخلفيون، واستقلوا فيها، ولكن وقع الخلاف بينهم وبين ملوك دهلي، فعادت تتبع دهلي عام ٦٢٤هـ.

وجاء التار إلى البنغال عن طريق التبت عام ٦٤٦هـ، فأخرجهم منها حكام دهلي. وعادت البنغال في تبعيتها إلى دهلي حتى عام ٦٦٤هـ حيث

خلع حاكمها طغرل طاعة ملك دهلي غياث الدين بلبن، وتوالى عليها الحكام، وأخيراً تجزأت، وحكمها حسين بن أشرف الحسيني وأبناؤه من بعده حتى عام ٩٤٥ هـ، ثم شيرشاه السوري.

وعادت إلى الوحدة على يد الحاج إلياس الذي تلقب باسم شمس الدين، واصطدم مع ملوك دهلي، وورثه أبناؤه من بعده حتى عام ٧٨٥ هـ، إذ كان آخرهم شمس الدين أيضاً ضعيفاً فغلب عليه أحد أمراءه من الوثنيين مدة سنتين، وتولى بعده ابنه الذي أعلن إسلامه وتسمى باسم جلال الدين. وتعدّد الملوك على البنغال، وكل من أصل يختلف عن أصل سابقه وعن أسرته.

٨ - في الدكن:

الدكن حوض وسط الهند تشغل أكثره، وولّى الأمراء الذين وصلوا إلى المنطقة عليهم إسماعيل الفتح الأفغاني، وجرت حروب بينهم وبين محمد شاه تغلق، فانتصروا عليه، وقادهم في تلك الحرب علاء الدين بهمنى الذي كان قد أقطعه محمد شاه تغلق بعض القرى في الدكن.

استولى علاء الدين على كل ما فتحه المسلمون في الدكن، وقاتل كيولا، وبعد أول من استعمل الوثنيين في الأمور العالية، وتوارث أبناؤه الحكم من بعده حتى ٩٣٤ هـ. وكان في الدكن عدة ممالك، ومنها:

أ - ملوك خانديس: استقل أحمد بن محمد العمري عن دهلي، وكان قد حصل على بعض الإقطاعات من فيروز شاه من آل تغلق ملك دهلي وذلك عام ٧٨٤ هـ، وأسس أسرة حكمت المنطقة حتى عام ١٠٠٩ هـ.

ب - ملوك مالوه: كان إقليم (مالوه) يتبع دهلي حتى عام ٧٩٦ هـ، إقام محمد شاه بن فيروز آل تغلق، حيث أعطى هذا الإقليم إلى حسين الغوري، ولقبه دولارخان، فلما ضعف الحكم في دهلي استقلّ دولارخان

في إقليم (مالوه)، وأسس أسرة حكمت الإقليم مدة خمس وثلاثين سنة من ٨٠٤ - ٨٣٩ هـ، وتوالى عليها ثلاثة ملوك.

وكان آخر ملوك أسرة حسين الغوري هو محمد شاه، وقد جعل الأمر لمحمود بن المغيث الخلجي، وانصرف هو إلى اللهوه، فقتل الغوري، وتسلم الأمر الخلجي، وتوارث أبناؤه الحكم حتى تبع الإقليم إلى كوجرات عام ٩٢١ هـ.

ج - ملوك بيجابور: استقلّ عادل شاه عن الدكن عام ٨٩٥ هـ، ويقال إنه من بني عثمان الذين يحكمون الأناضول ونشر المذهب الشيعي، وبليت أسرتهم تحكم الإقليم حتى عام ١٠٩٧ هـ، ولكن أحد ملوكها وهو إبراهيم بن إسماعيل، قد ترك الشيعة ورجع إلى الإسلام.

د - ملوك أحمد نكر: أسلم أحد البراهميين، وحسن إسلامه، فأطلق عليه الملك اسم نظام الملك، وأقطع ابنه أحمد الإقطاعات، وقُتل نظام الملك، واستقل ابنه أحمد بما تحت يده، وأسس مدينة نكر، وجعلها قاعدة حكمه عام ٩٠٠ هـ، واعتنق ابنه يرهان الشيعة، واستمرت هذه المملكة حتى عام ١٠٤٢ هـ.

هـ - ملوك كلكتفة وحيدر آباد: ولّى ملك الدكن محمد شاه بهمنى (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) أحد شلمانه التركي الأصل منطقة (تلكانته)، ولقبه قطب الدين. فقاتل البراهميين، وفتح المناطق، وأحسن صنعاً، ثم استقلّ بما تحت يده، وجعل (كلكتفة) مقر حكمه عام ٩١٨ هـ، وأسس حفيده حيدرآباد، ونقل مقرّه إليها عام ٩٨٩ هـ، وبليت هذه الأسرة حتى عام ١٠٩٦ هـ.

و - ملوك برار: استقلّ في برار (عند الملك) عام ٨٩٢ هـ، وتوالى أبناؤها في حكمها حتى نهاية القرن العاشر.

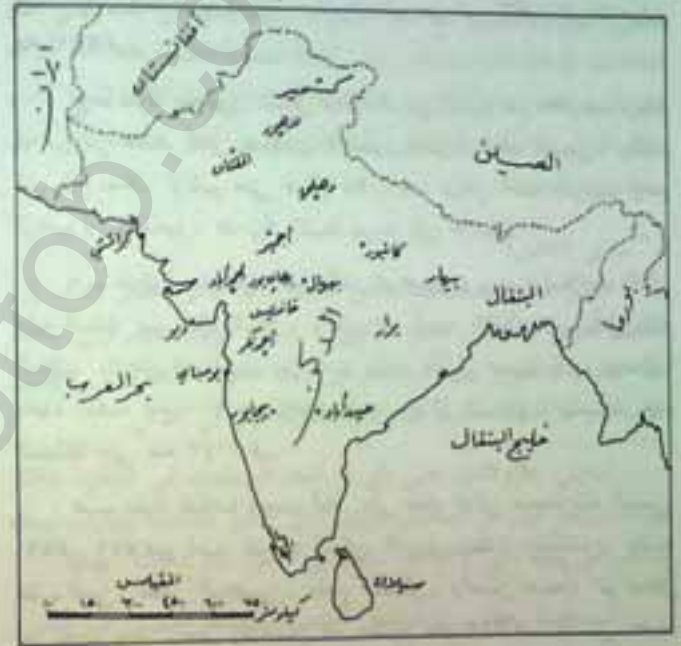
في العهد العثماني:

تُعرف التاريخ الإسلامي بالعهد العثماني منذ أن فتح السلطان العثماني مصر، وتنازل له الخليفة العباسي فيها عن الخلافة عام ٩٢٣ هـ، وحتى إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٣٤٢ هـ. وفي هذا العهد أربح نقاط بارزة في تاريخ الهند، وهي: ١- دخول الأسرة التيمورية واستلامها الأمر. ٢- الاستعمار. ٣- الثورة الإسلامية. ٤- الصراع بين المسلمين والهنداك.

١- الأسرة التيمورية:

كان أحد أحفاد تيمورلنك وهو محمد بابر شاه يحكم غزنة في بلاد الأفغان، بينما كانت الأسرة اللودية تحكم دهللي، وكان أفراد منها بعضهم على خلاف مع بعض، وتمكّن أحدهم وهو إبراهيم أن يتصر على منافسه، فأظهره له الطاعة، واتصلوا مع محمد بابر شاه (ظهير الدين)، وطلبوا منه السير إلى الهند، فلبى الطلب، ودخل لاهور عام ٩٣٠ هـ، واشتبك مع قوات إبراهيم اللودي التي يقودها نفسه في معركة طاحنة قُتل إبراهيم فيها، وتقدّم ظهير الدين، وجعل مقرّ حكمه مدينة (الغره) وذلك عام ٩٣٢ هـ.

وقف في وجه ظهير الدين محمد بابر شاه الراجبوت وأمره اللوديين، وأعلن محمود خان أخو إبراهيم نفسه سلطاناً، وشكّلوا حلفاً ضدّ ظهير الدين، فأعلن الجهاد ضد الكفرة من براهميين وغيرهم ومن يتعاون معهم، وبدأ بنفسه فأعلن التوبة من المعاصي، فأطاعه الناس، وحارب خصومه وانتصر عليهم، وبعدها أعلن التسامح الديني كي يتمكن من فرض السيطرة، وتوالى أبنائه في الحكم من بعده، وأخذ حفيده محمود جلال الدين (أكبر شاه) السلطة وحاول أن يوجد ديناً جديداً مزيجاً من الإسلام والبراهمية والبوذية والزراداشية ليتمكن من حكم الهند، ورأى أن يكون الدين كالملة التي انتشرت أيام المغول، وهي لغة الأردو، التي هي مزيج من التركية، والفارسية، والعربية، وبعض الكلمات الأجنبية، وذلك عام ٩٨٦ هـ، بل



الإنكليز منافسين لهم، وأسسوا شركة تجارية تتعامل مع الهند مباشرة، وحملت أسماء متعددة في البداية، ثم عُرفت باسم شركة الهند الشرقية، وتغلب الإنكليز على منافسهم البرتغاليين والهولنديين الذين كانوا يصنعونهم من اللؤلؤ إلى الداخل، فلما انتصروا نزلوا في مدينة (مدراس) وتوغلوا إلى داخل الهند.

وجاء بعد ذلك الفرنسيون، وساروا على منوال من سبقهم من الصليبيين، وأسسوا شركة تجارية فرنسية، وعملت الشركات الاستعمارية كلها على شراء الأراضي وبناء الحصون إذ كانت المنافسة بينها قوية، وأخيراً تمكن الإنكليز من الغلبة والسيطرة على الهند، ولكن بقي للهنالك مملكتان مستقلتان في الشمال، في سفوح جبال هيمالايا، هما: نيبال، وبوتان.

وبقيت ثلاثة مراكز للبرتغاليين على الساحل الغربي هي: دامان شمال بومباي، وجزيرة ديو، وغوا، ومساحتها كلها ١٨٠٠ كيلومتر مربع.

وبقيت للفرنسيين أربعة مراكز، وهي: بونديشيري، (وغندونكر) قرب كلكتا، ونيوان، وكاريكال قرب الرأس الجنوبي.

أما المسلمون فلم يبق لهم سلطة الاسمية حيث يوجد لهم عدد من الممالك والإمارات، وأبرزها المملكة المقنولية في دلهي، وممالك كوجرات، والدكن، والبنغال.

٣ - السياسة الاستعمارية:

أخذت شركة الهند الشرقية تغلب البضائع من الهند إلى أوروبا، فلما تم الانقلاب الصناعي، في أوروبا صارت تغلب الصناعات من أوروبا إلى الهند، وهذا ما دعاها إلى فتح أسواق جديدة لها في الداخل، وفي الوقت نفسه كانت تفرض سيطرتها على السواحل وتتفانى على سفن غيرها ضرائب معينة، وانقلبت التجارة إلى استعمار. وتبقت ملكية الشركة من أفراد إلى الدولة البريطانية، وتبعت الهند إلى الحكومة مباشرة.

وظنّ البرتغاليون التصاري أنه بإمكانهم تحويله إلى الديانة النصرانية، غير أنهم لم يستطيعوا ذلك، وكان قد وضع معلماً منهم لولده سليم. وقد أمر بمنع ذبح الأبقار، والسماح بالزواج من البراهميات وزواج البراهميين من المسلمين. ولما تولّى السلطة (محيي الدين محمد أورتكزيب عاملكمين) عام ١٠٦٩ هـ عمل على تدوين الفقه، وأبطل ما ابتدعه (أكبر شاه)، ووضع ملكه، وكان صالحاً، غير أن ابنه من بعده (قطب الدين محمد معظم بهادور شاه) قد اتخذ الشيعة مذهباً له، وعظمت قوة السيخ والهندوك في عهده، وأخذت الدولة تميل نحو الضعف، ثم أخذت تستقل المقاطعات، إذ استقلت الدكن، وسيطر السيخ على البنجاب، وغلب المهراتا على كوجرات، واستقلت (أوده) بين بهار وقنوج، وانفصلت البنغال.

وكان آخر ملوك الأسرة التيمورية (بهادور شاه) ويكنى أبا ظفر، وفي أيامه حدثت الثورة عام ١٢٧٣ هـ.

٢ - الاستعمار:

في الوقت الذي كانت الدولة التيمورية تُسيطر على الهند كان المستعمرون الصليبيون يصلون إلى السواحل الهندية. لقد وصل البرتغاليون إلى سواحل الهند الغربية، وأقاموا بعض المراكز فيها، وانتصروا على الأمراء المسلمين وعلى حلفائهم من المماليك الذين استجدوا بهم، ولكن أمراء المسلمين عانوا فاستجدوا بالعثمانيين الذين حلّوا محلّ المماليك في حكم مصر، وسواحل البحر الأحمر، وانتصر العثمانيون على البرتغاليين غير أن أمراء المسلمين في الهند كانوا على خلاف بعضهم مع بعض، فاستعان جانب منهم بالبرتغاليين ضد الجانب الآخر، كما ظنّ بعض أولئك الأمراء سوءاً بالعثمانيين، ومنعوا عنهم المؤن فاضطروا إلى المغادرة، وسيطر البرتغاليون على بعض المراكز، ثم فرضوا سيطرتهم على المحيط كله، وأصبحت التجارة بأيديهم.

وجاء الهولنديون أيضاً إلى المنطقة ورفعوا أسعار التوابل، وتبعهم

الإدارية، ولتقووا بهم على المسلمين، أو ليفرضوا المسلمين بهم، واستولوا على أحسن أراضي المسلمين بشئ الوسائل فانتشر الفقر بين المسلمين بعدها، وعقّت الإرساليات التصيرية في سبيل تعليم الهنود، وتصيرهم، ليكون التصارى الجدد وسيلة حكم المستعمرين، والأداة لتنفيذ المخططات الصليبية.

ونتيجة انتشار الجهل والفقر فقد انخرط أعداد من المسلمين في صفوف القوات الإنكليزية، وكانوا ضباطهم من البريطانيين يهينونهم، ويذلونهم، وسخرون منهم.

وأحسن المسلمون بما يُدبر لهم فقاموا بالثورة عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م).

٤ - الثورة:

رفض بعض الجنود تنفيذ أوامر الضباط باستخدام الشحم المأخوذ من الخنزير لصيانة البنادق حيث أشاع الإنكليز أن هذا من باب التحدي، فأخذوا إلى السجن قتال إخوانهم، وعملوا على فكناكهم، وهجموا على الضباط الإنكليز، وقتلوا أحدهم، وفرّوا باتجاه دهلي إلى دار الملك المغولي سراج الدين أبي قفر بهادور شاه، وكان قد تجاوز الثعنين من العمر، وعقدوه ملك البلاد الحقيقي، وانتقلت أخبار هذه الحادثة إلى البلاد كلها، فاشتعلت الثورة، وأشعلها في شمال دهلي (إمداد الله)، فطلب الإنكليز النجدة فجاءتهم، وسارت الجيوش إلى دهلي، وحاصرتها عدة أشهر ثم دخلتها، وقبضت على آخر ملك مغولي، وهو سراج الدين أبو ظفر بها دورشاه، وعلى أسرته، وقتلت أبنائه أمانه، وعملت له وجبات طعام من لحمهم إعلاناً عن الشفقي والحنق الصليبي. وحملت إلى عاصمة بورما (رانغون) حيث بقي هناك حتى توفي عام ١٢٧٨ هـ، وألغيت الدولة المغولية.

انتهت الثورة عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م)، وأعلنت إنكلترا انتهاء

وجدت إنكلترا أن المسلمين هم حكام الهند ولعمالكهم قوة، وإماراتهم جيوش وحتى يمكنها السيطرة التامة على الهند فلا بدّ من محاربة الحكام، أو لا بدّ لهم من محاربتها إذا أخذت تتصرف دون الاهتمام بهم، لذا أعلنت تتعامل مع البراهميين وتقرّبهم إليها وتقرّب منهم، وتدعمهم، وتضعهم، وترفع من الروح المعنوية لديهم، وخاصةً أن هناك عامل لقاء بين الإنكليز والبراهميين فكلاهما يحقد على المسلمين، الإنكليز يحقدون حقداً صليبياً، ويريدون انتزاع حكم الهند منهم، والبراهميون يحقدون حقداً دينياً ويريدون أخذ السلطة منهم.

أخذ الإنكليز بما لديهم من قوة عسكرية، ومن قوة مادية يصفطون على المسلمين، وشعر المسلمون بالخطر وأرادوا الوقوف في وجه هذه السياسة، وحصل القتال بين الطرفين في جهات كثيرة، ووجد الإنكليز الهناك ضمن قواتهم، وقع قتال بين حاكم البنغال سراج الدولة وبين القوات الإنكليزية، فانتصر في بداية الأمر سراج الدولة، ودعمه الفرنسيون منافسة للإنكليز الذين لجأوا إلى الحيلة وشراء النفوس فانتصروا أخيراً مع أن ملك دهلي قد سدد سراج الدولة، وتمت سيطرة الإنكليز على البنغال، وأوريسا، وبيهار.

وجرى قتال بين السلطان تيبو (ميسور)، وبين القوات الإنكليزية، فهزم تيبو وخسر كثيراً من أملاكه، وأعاد الكرة فانتصر، ولجأ الإنكليز إلى الحيلة فانتصروا. وهناك ثورة أحمد عرفان الشهيد في البنجاب عام ١٢٤٢ هـ واستمرت حتى استشهد عام ١٢٤٦ هـ.

وأخذ الإنكليز السواحل الشرقية (كروماندل) بالدعاء والشراء، وسيطروا على الهند جزءاً بعد آخر بوسيلة من الوسائل. ولما تمت سيطرتهم أخذوا يتعوم سياسة خاصة إذا استولوا على أوقاف المسلمين التي كانت المصدر الوحيد لتمويل الكتائب، فتعمّلت الكتائب، فانتشر الجهل، وفي الوقت نفسه صنع الإنكليز في تعليم الهنود ليسلّوا بهم بعض المراكز

حكمت شركة الهند الشرقية، وهذت بلاد الهند من أملاك التاج البريطاني، بتصرف بها كيف يشاء. وعد الإنكليز المسلمين سبب الثورة والمخطفين لها لذا فقد صبوا غضبهم عليهم، فصادروا أملاكهم، وهدموا مساجدهم، أو جعلوها مكاتب للحجش، وشردوا الناس، ورحب الهندوس بهذه الجرائم بل شاركوا فيها، وعدوها ثأراً من المسلمين، وتسلموا الوظائف، واشتروا الأراضي، وحصلوا على الثروة، وكان السياسة البريطانية بالأصل تعمل على تقريب الهندوس وإبعاد المسلمين، وقد جاء الآن صراحة بعد أن كان ضمناً بعد الثورة:

أصبحت الهند كلها تحت السيطرة الإنكليزية ومع ذلك فقد بقيت بعض الإمارات تحت سلطان المسلمين أو الهندوس، ولم يكن الأمير سوى مفوض يدير الشؤون الداخلية، أما شؤون الدفاع، والمالية، والشؤون العامة، ومناهج التعليم، والفضايا الخارجية فكلها بيد السلطات الإنكليزية. وبقي بعض هذه الإمارات على هذه الصورة حتى تم التخصيم عام ١٣٦٦ هـ. ومن هذه الإمارات وحيدر أباد، في السند، ودهووال، في السند أيضاً، وجوناكدا، في كوجرات.

وقام بعض المسلمين يريدون سد الثغرة التي حصلت وأدت إلى تأخر المسلمين فدعوا إلى التعليم، وحاول بعضهم تقليد الغرب والتقرب من الإنكليز لينالوا عندهم الحظوة مثل أحمد خان الذي أنشأ جامعة (عليكوه) وأنس جريدة (تهذيب الأخلاق)، وعمل آخرون بمقتضى الإسلام، دون تأثر بالظروف التي يحيونها، وقد تأسست ندوة العلماء، ودار العلوم التابعة لها عام ١٣١١ هـ في مدينة (لكنو).

وقامت بعض الحركات التي رفعت لواء الإسلام مثل ثورة جعفر ويحيى عام ١٢٨٠ هـ، وثورة شيخ الهند محمود الحسن عام ١٣٣٨ هـ، وقد دعا إلى مقاطعة جامعة عليكوه، ومقاطعة الإنكليز. وقد عمل الإنكليز لتهديم الإسلام في أتحامين:

الأول: نشر الفكرة القومية المخالفة للإسلام وذلك كي يفسح المسلمون بين الهند. وقد حمل هذه الفكرة متفاعد إنكليزي مقيم في الهند يدعى (آلن هيوم) حيث دعا إلى إنشاء جمعية وطنية يحمل أبنائها مطالب الهند إلى الحكومة البريطانية ليحشاها، وتبني هذا الموضوع نائب الملك في الهند (دوفرين)، وعمل على إخراجها لتكون في يد الحكومة وذلك أفضل من أن تتيق من خلال الشعب، وبدأت أول اجتماع لها في مدينة بومباي عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، وحرص الإنكليز أن يكون فيها بعض قادة المسلمين. وتأسس حزب المؤتمر الوطني الهندي، ودخله الهند، كما دخله المسلمون بل إن بعض الهيئات الإسلامية قد اندمجت فيه مثل جمعية العلماء، ومؤتمر المؤتمين الهند، ومؤتمر الشيعة، وأبدى الحزب في أول الأمر احترام شعور المسلمين، ولكنه أظهر فيما بعد عكس ذلك حيث أخذ ينادي بإخراج الغريباء من الهند، ويعد المسلمين غريباء كالإنكليز، ولم تكن المتناداة بإخراج الإنكليز إلا لإظهار الوطنية كي يلقى التأييد الشعبي، وإبراز التحرر من الوصاية الإنكليزية.

ولما رأى الهندوس أن المسلمين ضعفاء بسبب السياسة الإنكليزية بدأ التطرف عندهم حتى أخذ قلاتهم يدعون إلى قتل كل من يظهر ميلاً نحو المسلمين أو يحاول مسايرتهم من الهندوس. وهذا ما جعل المسلمين يتكشون عن الهندوس ويلفت بعضهم حول بعض، وظهر تجمع خاص لهم، أو هكذا رأيت إنكلترا أن يكون تنظيمان في البلاد بنافسان، وتستفيد هي من كلا التيارين، إذ ينقسم المسلمون فيما بينهم فبعضهم يفي داخل حزب المؤتمر الهندي، وآخر يخالفه ويستفده أشد الانتقاد، وترى الدولة المستعمرة من ناحية أن المسلمين لا بد من أن يتجمعوا فالأفضل أن يلتقوا تحت قيادة غير ملتزمة إسلامياً، وإنما تكفي بالمحافظة وحرصاً على المصلحة والقيادة من أن تجمع حول علماء يدعون إلى الترية، ويعلمون الجهاد، ويقاتلون المستعمرين بضراوة، ويؤثرون على الهندوس فيشؤونهم

نحو الإسلام، وعلى هذا عملت إنكلترا، وأخذت تجرّ المسلمين نحو هذا الخط، وتعمل على إبراز غير المعتادين منهم.

قَسَمَت إنكلترا مقاطعة البنغال إلى قسمين شرقي وشرقي عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) على أساس ديني.

وعارض الهندوس هذا التقسيم إذ فقدوا حسب رأيهم السيطرة على ولاية مهمة، وعمّ الحزن دورهم، وتعاقدوا بعلم الطبخ في منازلهم دلالة على غضبهم، واجتمع خمسون ألفاً منهم عند صوم (كالي) إله التدمير - حسب عقليتهم - وتعاقدوا على مقاطعة البضائع الإنكليزية.

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) طالب المسلمون بإجراء انتخابات منفصلة، وترك الانتخابات المشتركة، وذهب وفد منهم لمقابلة نائب الملك في مقرة الصفي في (سيملا). وقد سُرّ المسلمون بتقسيم البنغال.

وفي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) أُلْمِي تقسيم البنغال على لسان الملك جورج في حفلة تتويجه امبراطوراً في مدينة دلهي. فعبد الهندوس.

عقد المسلمون اجتماعاً في مدينة (دكا) في البنغال الشرقية عام ١٣٢٤ هـ برئاسة (النواب فخار الملك) ونتيجة هذا الاجتماع تشكل حزب والرابطة الإسلامية، وبدأ الخلاف بين الحزبين، حزب المؤتمر الوطني الهندي، وحزب الرابطة الإسلامية. واختلف المسلمون بعضهم مع بعض إذ أصدرت جامعة (عليكوه) فتاوى بحرمة الانضمام إلى حزب المؤتمر، وأصدر (عبدالقادر اللدهياتوي) فتوى بعدم حرمة الانساب إلى حزب المؤتمر، ووقع على هذه الفتوى بعض العلماء. وبقي بعض أعيان المسلمين في حزب المؤتمر أمثال محيي الدين أحمد (أبو الكلام آزاد)، وأنشأ مجلتي الهلال، والبلاغ، وذاكر حسين، كما كان فيه محمد علي جناح.

الثاني: العمل على إنشاء فرق ضالة تدمي الإسلام في سبيل تهديم العقيدة. لقد شجعت إنكلترا مرزا غلام أحمد القادياني على إحياء ما دعا

إليه الملك المغولي (أكبر شاه)، فأنشأ القاديانية، وكتب البراهين الأحمدية. وأدعى عام ١٣٢٢ هـ أنه المهدي المنتظر. وأعلن أن الإنكليز هم أولو الأمر فيجب طاعتهم. ولا يصح الخروج عليهم، كما لا يصح الجهاد ضدّهم، وعمل على التوفيق بين الأديان. فأدعى أنه يتفصّر روح السيد المسيح عليه السلام، وروح الإله (كوشنا) رب الخير عند الهندوس، وتوفي مرزا غلام أحمد عام ١٣٢٦ هـ، وانقسمت جماعته من بعده إلى قسمين:

١ - الأحمدية: وتدعي أنه كان رجلاً مصلحاً.

٢ - القاديانية وتقول بنبوته، وكلاهما كاذب، ودعه الإنكليز بكل إمكاناتهم، ولا يزالون يدعمون أتباعه في كل مكان.



الباب الأول

الهند

من إلغاء الخلافة حتى التقسيم

١٣٤٢ - ١٣٦٦ هـ

١٩٤٧ - ١٩٤٤ م

لعل المشكلة الرئيسية فيما أصاب المسلمين في الهند في الماضي وما يصيبهم في الحاضر إنما يرجع إلى نقطة رئيسية وجوهريّة ألا وهي عدم تطبيق الإسلام.

يقضي الإسلام ألا يترك أتباعه في البلدان التي يحكمونها من الناس مُشركين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى، ويندرج تحت اسم مشركين: الوثنيون جميعاً الذين يعبدون المخلوقات من البشر أو الحيوان أو الجماد، ومن هؤلاء لا شكّ الهندوس الذين يعبدون براهما، والبوذيون الذين يعبدون بوذا، وما تفرّع من هاتين الديانتين وما شابههما، أي لا يسمح بالإقامة في دار الإسلام إلا للمسلمين وأهل الكتاب وما يتبعهم من مجوس، وهذا من تجده في جميع البلدان التي فتحوها، ودانت لهم في الحكم في الفتوحات الأولى التي تمت في صدر الإسلام أيام الخلفاء الراشدين، وفي عهد بني أمية. أما بعد ذلك فقد ضعفت الدولة الإسلامية، ومع ضعفها ضعف تطبيق الشريعة، وتساهل الناس في الأحكام، وعملوا على تسيير شؤون الدولة حسيماً تقتضي مصالحهم. ونلاحظ ما حدث في الهند:

١- لم يستقر العرب في الهند أيام الغزوات الأولى، ويوم فُتحت السند على يد محمد بن القاسم الثقفي، كما لم يستقر أولئك الذين فهموا الإسلام فهماً جيداً، وإنما حكموا الهند، وضاع أولئك الذين أقاموا هناك مؤقتاً لمصلحة رعاية شؤون الدولة، وكانوا قلّة أمام الأعداد الكبيرة من

الهندو سكان السند، فضاخوا بينهم، غير أن استمرار الغزو، وقدوم الكثير من المسلمين إلى الشرق، ومجاورة الأجزاء التي يحكمها المسلمون قد جعل انتشار الإسلام بعمّ معظم السند والتجانب، أو ما يعرف اليوم باسم باكستان.

٢- أن معظم المسلمين الذين استقروا في الهند كانوا من حديبي العهد بالإسلام، فلم يعرفوا دينهم حقّ المعرفة، ولم يعملوا على تطبيقه، بل لم يكن الأمر بأيديهم.

٣- أن الهندو الذين دخلوا في الإسلام لم يُربوا تربيةً إسلاميةً صحيحةً من قبل الأشخاص الذين يعرفون الإسلام جيداً، فبقوا على كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية.

٤- أن الحكومات الإسلامية التي حكمت الهند لم تكن تستند على الشريعة، ولا لتحكم بما أنزل الله، وإنما همّها الحكم والسيطرة، ولما كانت أكثرية الرعية من الهندوس لذا فإن أكثر الحكام كانوا يعملون على إرضائهم ومسايرتهم، بل نلاحظ أن بعضهم قد عمل على إيجاد دين مختلط من الإسلام والهندوسية، فحرّم ذبح البقرة وسمح للمسلمين بالزواج من الهندوسيات، وللهندوس بالزواج من المسلمات، كما أباح الخمر. كل ذلك في سبيل إرضاء أكثرية الرعية التي هي من الهندوس وذلك كي يستقر له الوضع، ويبقى له السيطرة، وذلك كما فعل الحاكم المغولي (أكبر شاه) وغيره من حكام المقاطعات، بل إن ديانات وجدت من هذا النوع كالسيخ في منطقة البنجاب، والقاديانية، التي قامت تحت تأثير الحكام الإنكليز، وبإشرافهم وغيرها ولا تزال هذه الديانات قائمة إلى اليوم، ولا يزال الإنكليز يراعون أتباع القاديانية داخل الهند وخارجها.

٥- أن كثيراً من العلماء الذين جاؤوا إلى الهند من علماء ومشايع بلاد ما وراء النهر وبلدان شرقي الخلافة كانوا مولعين بفلسفة اليونان وعلومهم أكثر من اهتمامهم بدراسة القرآن وعلومه، والسنة.

٦- أن الذين دخلوا الهند من المتصوفة الذين يقولون بالحلول ووحدة الوجود كانوا كثيرين، وهم على شيء من متصوفة الهندوس الذين يقولون بالحلول، وهذا ما دعا قبول هذه الفكرة لدى الهندوس والإقبال عليها فدخلوا بالإسلام وتسمّوا مسلمين على هذا النوع من الإسلام الاسمي، والكفر الحقيقي، وهذا قد ساعد على انتشار الفرق الضالة أيضاً كالإسماعيلية والرافضة، بل إن بعض الحكام قد اعتنق الرفض وسعى على نشره، فكثرت نسبة أتباعه.

٧- جهل أكثر الناس اللغة العربية بسبب أصولهم غير العربية من ترك، ومغول، وفرنس، وأهم من ذلك عدم تمسّكهم بالإسلام الذي يحثهم على تعلّم العربية التي هي لغة القرآن والسنة. وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في الهند، فكانت ألفاظ القرآن تترجم، والترجمة لا تعطي في كثير من الأحيان الغاية المرجوة، ولا تُؤتّي الهدف المقصود.

٨- بلغ من اشتغال الحكام بالحروب أنهم لم يستطيعوا في الغالب أن يحفلوا بالعمل لنشر الدعوة وتطبيق الإسلام، وإنما كان جلّ تفكيرهم يتصرف إلى فرض الضرائب، وإرضاء الرعية، وعدم إثارة مشاعرها الدينية الهندوسية.

٩- كان المسلمون يفتحون المناطق، ويتركون الشعب حرّاً في معتقده دون تبيان الحقيقة، وإظهار مفاصد الشريعة، والمساواة، ولم يعمل المسؤولون على نشر الإسلام.

١٠- دخول الناس بالإسلام كان يتمّ وراء منفعه أو بالإكراه، كما كان يحدث في بعض الأوقات على أيدي بعض الحكام، وتعل السلطان ديبو هو أحد الحكام المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مهمّة تحويل الناس إلى الإسلام بالقوة، وهؤلاء الحكام قلّة، وهو أحدهم. ففي سنة ١٢٠٣ هـ أذاع السلطان ديبو المنشور التالي على أهالي (مليان): وبعد انقضاء أربع وعشرين سنة على غزو بلادكم، لا تزالون على عصيانكم

وتعزدهم، ولا زالت مصدر الفلق والاضطراب، وفي الحروب التي نشبت في خلال فصلكم المعطر، كنتم أنتم السب في استشهاد كثير من جنودنا، ولكن هذا، فإن ما فات مات، وإني مستعد لأن أتأسى الماضي، وقد جان الوقت الذي يجب أن تعدلوا عن خطئكم، وتلزموا السكينة والهدوء، وتؤدوا ما عليكم من غرائب كما يفعل الرعايا الأحرار، وما دامت المرأة فيكم لا تفتح برجل واحد، بل تعاشر عشرة رجال، وما دعمت تدرون أمهاتكم وأخوانكم ينغمس في حماة الرذيلة، فإن جميع الناس يولدون من سفاح، وما دعمت في علاقاتكم أكثر قحة من الوحوش الفطرية لذلك لرى لزاماً علي أن أنهاركم عن هذه العادات الأثيمة، وأنصح لكم أن تكونوا كسائر البشر. وإذا عصيتم أمرى، وعالفتن عن نصحي، فقد أمنت قسماً حقاً غير حاث فيه ولا أتم أن أحملكم على الصراط المستقيم وأن أهلكم شرف الإسلام أجمعين، وأن أسوق جميع عظمايتكم كيركم وصغركم.

وقد أشعل هذا المنشور نار الثورة في (مليان). ففي مستهل عام ١٢٠٤ هـ أعد دثيو جيشاً جراراً يتألف من عشرين ألف مقاتل لتضيد هذا المنشور بالقوة. وأصدر أوامر عامة: بأن كل شخص في هذه المقاطعة يجب أن يشرف بالدخول في الإسلام من غير تمييز، وأن دور الذين يقرؤن تحلصاً من هذا الشرف يجب أن يحرقوا وأن يفتى أثرهم حتى يصلوا إلى مكانهم، يجب أن تستعمل وأن تستخدم كافة وسائل الصدق والشفاق، والقوة أو الخداع في حملهم جميعاً على تغيير دينهم، وعلى أثر ذلك امتحن آلاف الهنودوكيين، وحملوا على أن يأكلوا لحم البشر. على أن الجيوش الإنكليزية لم تلبث أن قضت على ما بقي من قوة للسلطان وتيبوه عام ١٢٠٥ هـ، واستشهد هذا الحاكم في مستهل عام ١٢١٤ هـ على أيدي الإنكليز الذين تمكنوا من السيطرة على البلاد بعد ذلك. وأنكر معظم البراعة والثار الدين الإسلامي ورفضوه، وعادوا إلى دينهم القديم^(١).

(١) الدعوة إلى الإسلام - الترجمة - الطبعة الثانية عن ٢٩٣ - ٢٩٤.

ومن المعلوم عدم قاندة تحويل الناس إلى الإسلام عن طريق الإكراه إذ لا يلبث الناس أن يعودوا إلى دينهم القديم بعد زوال السب كما رأينا أيام السلطان تيبو، ولعل هذا السلطان قد اتخذ هذه السبيل عندما وجد المستعمرين الصليبيين يتدخلون في شؤون البلاد، ويتخذون من الهندوس غبطة لعدال المسلمين، فأراد أن يقطع الطريق عليهم، ويقضي على كل من يحتمل أن يكون عميلاً لهم.

١١ - لا يعني هذا أبداً أنه لم يكن هناك علماء أجلاء، ورجال بررة، ومربون صادقون، ودعاة مخلصون من الهند المسلمين وغيرهم. . . . لقد كان هناك كثيرون عملوا في الدعوة ونشر الإسلام، وخدموا العلم بما قدموا من بحوث ودراسة، ونصحوا الحكام. وكان هناك كثيرون عملوا في الدعوة ونشر الإسلام، وخدموا العلم بما قدموا وبذلوا جهودهم، وأخلصوا له غير أن القلة تضيق في ذلك الموج الزاخر من السكان. . . . ومن المعلوم أن عدد الهند اليوم يزيد أكثر من أربع مرات ونصف المرة على عدد العرب جميعاً. . . . لذا فإن المسلمين كانوا قلّة وسط ذلك المحيط الهندي.

كان على المسلمين أن يفتحوا منطقة إثر منطقة، فإذا هيأوا أمورهم في الأولى، وطبقوا الإسلام حتى لم يبق من سكانها إلا من يجب أن يبقى - كما ذكرنا - من مسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والمجوس - إن وجدوا - وكان المسلمون أخوة، وكتلة واحدة، واعين للإسلام، عارفين لمهتهم في الحياة انطلقوا إلى منطقة ثانية حتى يتبها من الهند، فلو فعلوا ذلك لعم الإسلام الهند من ذلك اليوم، ولاختفت تلك الديانات الوثنية الدينية التي يَصور بعض مظاهرها منشور السلطان دثيو لو حدث ذلك لما عانى المسلمون اليوم ما يعانون من أصحاب تلك الديانات.

وهذا شأن كل البلدان التي دخلها المسلمون وقت الضعفاء، في ماليزيا، وأندونيسيا، والفلبين، وبلدان إفريقية غير العربية، حيث دخلوا قلّة، أو انتشر الإسلام تدريجياً، ولم يكن الحكم بالإسلام، ولم تكن

الصراع في الهند

لما أحتسّ الهندوس بضعف المسلمين بعد أن زالت سلطتهم، وأصبحت القوة بيد المستعمرين الصليبيين من الإنكليز الذين يحقدون على المسلمين، ويعملون على إضعافهم، ويقرّبون الهندوس في سبيل هذه الغاية عندها أعلن الهندوس حربهم على المسلمين، فقد قام حزب سياسي إسلامي في مدينة (لكننو) عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) فقاومه الهنود فاتتهن، وتمثّلت هذه العداوة وخطوطها الرئيسية فيما نشره أحد الثوريين الهندوس المدعو (هارديال) في جريدة (بارتاب) التي كانت تصدر في لاهور أيام الحكم البريطاني، وقال (هارديال): إن مستقبل الجنس الهندي وهندستان ويتجلب يقوم على أربع دعائم وهي:

- ١ - سانكاثان: أي الوحدة.
 - ٢ - الراجا: أي الإله الهندي ورام وراجاه ومعناه وحدة العقيدة وإجبار السكان كلهم عليها.
 - ٣ - شونبي: أي إرجاع المسلمين الهنود إلى عقيدة الهندوس.
 - ٤ - دخول أفغانستان ومناطق الحدود ورة أهلها عن الإسلام.
- وتابع (هارديال) يقول: وما لم يتم الهندوس بتحقيق هذه الاعتبارات الأربعة فسبجاه لولادنا وأحفادنا خطراً دائماً، ولن تكون سلامة الجنس الهندي مضمونة.
- وأخذ جماعة الهندوس يثيرون أبناء عقيدتهم على المسلمين، غير أن

لتطبيق أحكامه، ولو تمّ الحكم باسم الإسلام لما أمكن تطبيقه لضعف السلطة، وعدم التطبيق في أي مصر حتى تعرف روح الإسلام، وصلاحيته بصورة صحيحة واقعية. فالمسلمون في هذه المناطق يعيشون بين وثنيات كثيرة، وتجد أنواعاً من الشرك غريبة، حتى ليتأثر أحياناً المسلمون ببعض هذه المظاهر ويرونها عادية، بل غذا بعضهم يُفسّرون الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ تفسيراً بعيداً عن معناها، ويبرزون من هذا المعنى وجود هذه الوثنيات، والواقع أن هذا لم يكن لو لم يكن الضعف قائماً، حيث لا نجد مثل هذه الوثنيات في البلدان التي دخلها المسلمون في عصر الفتوحات الأولى أيام الخلفاء الراشدين ونبي أمة، أما عندها ضعفت الدولة الإسلامية، ودخل المسلمون في تلك الأيام منطقتاً لم يستطيعوا إلزام أهلها على ترك وثنيتهم وشركهم نتيجة الضعف، وعدم وجود سند لهم قوي، فالخلافة الإسلامية إن كانوا يرتبطون بها ضعيفة، وإن لم يكونوا على ارتباط بها فحكومتهم أكثر ضعفاً وأقلّ حنذاً. وهنا نرجع إلى قول حكيم بن حيلة العبدي الذي قال لعثمان بن عفان، رضي الله عنه، عندما طلب منه وصف الهند إن قلّ فيها الجيش ضاعوا وإن كثروا جاءوا...

أما الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ فهي محصورة في المسلمين وديانات أهل الكتاب وما يشعهم من الممجوس، أي في طريقة عبادة الله الواحد الأحد، واتباع أحد أنبياء الله. هذا مع إقرارنا وإيماننا بأن ديانات أهل الكتاب قد حُرّفت ودخلها الكثير من الوثنيات والضلالات. أما لا إكراه في اتباع الشرك والضلالات فهذا غير وارد أبداً، ولو ورد على الذهن لم تكن هناك من مُهمّة للمسلمين في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولما فُرض الجهاد، ولما أُجذبت الدعوة، وإنما ترك الأمر كيفما يُسرى الطغاة والكفار. وهذا ينافي الفكر الإسلامي.

بعض قادتهم ومنهم غاندي^(١) كانوا يخشون من المسلمين لما يعرفونه عنهم من قوة وشجاعة ونفسية لارتفاع معتوياتهم وإيمانهم العميق بالإسلام، وأن قتل الفرد منهم نصر وحيارة على أمر عظيم وهو الشهادة في سبيل الله، وهي أول عوامل دخول الحق، وهي الفوز الحقيقي، لذا كان غاندي يظهر بالمظهر المعتدل، ويُبدي أنه مُؤيد لبعض مطالب المسلمين ليكسب بعض عناصرهم، وليحصل على تأييدهم، ويكون مركزه على شيء من القوة، وعمل الإنكليز على إعلاء مكانته بالدعاية له، ورفع مركزه، ونتيجة هذا ولبعض مواقفه الظاهرية إلى جانب المسلمين، فقد صدّق بعض المسلمين المغفلين ما يُقال عنه، وانطلقوا يُرَدّدون ذلك جهلاً وغفلةً، هذا إضافة إلى موقف العلمانيين بين المسلمين الذين يريدون كسب موقفٍ لهم بأن الدين ليس له من قيمةٍ كبيرةٍ - حسب زعمهم - فهذا غاندي يثق إلى جانب المسلمين أنه هندوسي، والهندوس في صراعٍ مع المسلمين. ولهذا حدث

(١) غاندي: موهانداس كارامشاند غاندي ولد في ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٨٦ هـ - ٢٦ تشرين الأول ١٨٦٩ م) ببلدة (بورهندار) كان أبوه من رجال الإدارة، أوفده إلى إنكلترا حيث درس القانون بجامعة لندن، ورجع إلى الهند عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) وبعد عامين انتقل إلى جنوب إفريقيا، واشتغل بالمحاماة في مدينة جوهانسبرغ، ثم عمل عضد الفرقة العنصرية، وأثناء حرب البوير نظم فرقة من الهنود هناك للعمل مع الصليب الأحمر، وفي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) نظم مظاهرة ضد القوانين العنصرية، وسافر إلى لندن عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، حيث نظم وحشد إسماعيل هندية. ولكن رجع إلى الهند ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م)، وبعد الحرب قام بحركة عدم التعاون وسبّ المظاهرات، ثم مقاطعة الضائع وإحراقها في بومبي، ثم تنظيم العصيان المدني، وحكم عليه ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) بالسجن في أحمد آباد مدة ست سنوات، وفي عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) قاد مظاهرة كبرى إلى البحر لمرافعة قانون احتكار الملح، فسجن عنقاً في (بونا)، وخرج ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، ثم قاد العصيان المدني فسجن مدة سنتين، ثم أخذ بوجه سياسة حزب المؤتمر واختاره أحد فلول الهندوس في ملهى في ١٩ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨ م).

لغاندي مكانة دولية لا يستحقها أبداً إذ كان مُعالياً في هندوسية، متمسكاً بها أشدّ التمسك، حاقداً على الإسلام عكس ما أشيع عنه.

ونتيجة ما أشيع عن غاندي فقد أمكن إيجاد تقاعسٍ أحياناً بين الطرفين، وقد حاول محمد علي جناح^(٢) التوفيق بين حزبي الرابطة

(١) محمد علي جناح: ولد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) في مدينة كراتشي من أسرة هندوسية اعتنقت مذهب الإسماعيلية، وتزوج بمجموسية، ودرس الفنون في إنكلترا، انتسب إلى حزب الرابطة الإسلامية بعد تأسيسها بسبع سنوات، رأس البعثة الهندية التي قصدت لندن لشرح القضية الهندية عام ١٣٣٣ هـ، كما رأس اللجنة التي شكلتها الرابطة بالاشتراك مع حزب المؤتمر للمطالبة بالحكم الذاتي للهند عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م)، وشارك في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، وتولى رئاسة حزب الرابطة الإسلامية ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) حتى تولى رئاسة دولة باكستان. وتوفي في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول ١٩٤٨ م) كان أبوه تاجراً في مدينة كراتشي، وأصل أسرته من مدينة (كشيوان) في ولاية كوجرات.

آتم الدراسة الثانوية عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م).

تلقى أبوه، وتوفيت أمه، وتوفيت زوجته.

عمل سنة واحدة في المحاماة في مدينة كراتشي.

انتقل إلى بومبي، وعمل في المحاماة، ورفض منصب قاضي.

ذهب إلى لندن، وعمل في المحاماة، وأصبح محامياً مشهوراً، ورجع عام

١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م).

كان من أعضاء حزب المؤتمر البارزين، وذهب عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) مندوباً عن المؤتمر إلى لندن للدفاع عن فكرة الحكم الذاتي.

صار أمين سر حزب المؤتمر (دانا بهائي ناروجي) عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م).

أصبح نائباً في المجلس التشريعي الإمبراطوري عن مدينة بومبي عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م).

عينه نائب الملك عضواً في المجلس التشريعي لمدة ثلاث سنوات ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م).

أصبح عضواً في الرابطة.

كان عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) عضواً في حزب المؤتمر ورئيساً للرابطة الإسلامية.

افصل عن حزب المؤتمر عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).

الإسلامية والمؤتمر الوطني الهندي، إذ دعا إلى عقد مؤتمر الرابطة السنوي عام ١٣٣٥ هـ في مدينة «كنور» حيث عُقد حزب المؤتمر الوطني الهندي مؤتمره السنوي.

كان محمد علي جناح في حزب المؤتمر، وبقي فيه مدةً بعد تأسيس حزب الرابطة ثم اقتضت المصلحة انتقاله وتغيير موقعه، فبَدَل وترك حزب المؤتمر وانضمَّ إلى الرابطة، وتولَّى زعامتها، ولم يكن ملتزماً بالإسلام، وإن كان يفتي إليه، وهنا تكمن المصلحة إذ من الضرورة إمكان عقد الإنكليز أن يتولَّى أمر الرابطة مسلم غير ملتزم خوفاً من أن تسير في طريق صحیح فتدب الحياة من جديد في المسلمين وترفع راية الجهاد، وعندها لا سُدَّ للإنكليز من أن يشدوا رحالهم للفرار ومغادرة البلاد إلا إذا رغبوا في دفع جنودهم هناك وجعل الهند مقبرة لهم، كما أن إنكلترا ترغب في إسلام محمد علي لرئاسة الرابطة لتسيخ حيوط اللعة كلها في أيديها.

أخذت الدعايات توجه لصالح محمد علي حتى أصبح على مستوى قريب من غاندي أو يتناسب مع النسبة العددية من السكان التي يمثلها، فكانت وسائل الإعلام تتسميه سفير الوحدة الهندية، وتكرّر أن حزب المؤتمر عرض عليه أن يختاره رئيساً دائماً للمؤتمر فأجاب: (إنهم إن قبلوا أراءه التي يخالفونه فيها ويخالفهم، فهو سعيد بأن يبقى عضواً كبيره من مئات الأعضاء). وتذكر: أنه مرَّ في طريق مرة فهدف له الناس بصفة سيد باكستان، فأوقف سيارته، ووثق الغائلين له بهذا اللقب، وقال لهم: (إن غير ما يرجوه أن يكون خادم باكستان لا سيدها). هذه الدعاية جعلته أهلاً لأن يكون رئيساً لحزب الرابطة الإسلامية، وقد استمرت هذه الدعاية بعد نجاح الرابطة، وانقسام الهند، وظهور دولة باكستان، فتردَّد وسائل الإعلام أنهم عرضوا عليه أن يولِّه رئاسة دولة باكستان مدى الحياة فأكره هذا المبدأ، وقال: (بأنها ستكون قاعدة لمن يليه).

وإذا كان الهندوس أكثر عدداً من المسلمين إلا أن خوفهم من

المسلمين شديد لصالحهم بالعالم الإسلامي الذي يؤيدهم، إذ كان التعاطف بين المسلمين كثيراً رغم سيادة الجهل والفقير بينهم. وكانت أصوات المسلمين من أي مكانٍ يسمع صداها في الهند، وترددها المسلمون الهنود، وهذا الذي كانت تخشاه إنكلترا والهندوس ويمكن ملاحظة بعض النقاط.

١ - إن المسلمين الهنود يعنون العرب عنواً لهم، ويحاولون تقليدهم في كل أمورهم.

٢ - كان للدعوات التي قامت في البلدان العربية أثرها في الهند بغض النظر عن سلامتها أو غير ذلك. فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية، ودعوة المهدي في السودان كان لهما الأثر في الهند، وسار على نهجهما كثير من المسلمين.

٣ - كلما نازلة في الأمصار الإسلامية بات الهنود المسلمون يعيشون معها ويتفقون أخبارها، فعندما تقى الإنكليز أحمد عرابي من مصر إلى جزيرة سردينيا (ميلان) هرع المسلمون الهنود إلى منفاه يسألونه عن مصر وأوضاعها، وعن المهدي وأوضاع السودان.

٤ - قام المسلمون بمظاهرات عنيفة عام ١٣٣٠ هـ بتدوين بموقف إيطاليا، واحتلالها لليبيا، وجمعوا الشرائع رغم فقرهم، وأرسلوا البعثات الطبية، وبدأت دعوة التطوع للذهاب إلى ليبيا لمجاهدة الطليان.

٥ - اتخذ حزب الرابطة الإسلامية قراراً يُعلن فيه استياء المسلمين من موقف بريطانيا ضدَّ الدولة العثمانية في حرب البلقان.

٦ - احتجَّ حزب الرابطة الإسلامية والمسلمون الهنود عامةً على معاملة هولندا الوحشية للمسلمين في أندونيسيا.

٧ - أعلن حزب الرابطة الإسلامية باسم المسلمين الهنود للحاكم الإنكليزي في الهند أن معاونة المسلمين متوقفة على ضمان فلسطين من

بلاد الشام ضمن إطارها العام العربي والإسلامي، ورفض فكرة الوطن اليهودي، والسماح لليهود بالانتقال إليها.

٨ - قامت مظاهرات في أرجاء الهند كلها احتجاجاً على تقصير بريطانيا لعهودها التي قطعتها للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى.

٩ - وقامت مظاهرات أشدّ عنفاً عندما ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، ومن الذين قادوا تلك الحركات محمد إقبال الشاعر المعروف^(١)، وأبو الكلام آزاد^(٢)، ومحمد علي جناح. وتشكل حزب الخلافة الذي عمل على إقناع الأتراك بالإبقاء على الخلافة، وحث الإنكليز للتوقف عن دعم اليونان الذين كانوا قد استولوا على مدينة أزمير وما حولها، وعدم تقسيم تركيا، وإقناظ المسلمين، وتوقف الحرب والغاء الخلافة.

(١) محمد إقبال شاعر وديبلوماسي ولد عام ١٨٩٢ هـ (١٨٧٦ م)، والتحق بحماسة للإسلام في الحرب العالمية الأولى، وقد عرض على لجنة نهرو فكرة دمج الشعب، وإقليم الحدود الشمالية الغربية، والبلوشستان، والسند في إقليم واحد، ولكن فكرته رفضت، والتشرك في مؤتمر المصالحة المستقبلة عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) في لندن، وعرضت عليه منصب نائب الملك في جنوب إفريقيا فرفض ذلك، لأن حرم نائب الملك سلطنة، وسقط الصيغ، وأجاب بما دام هذا شرطاً فلا قبله لأنه إهانة للشعب، وسامية للكرامة، وتوفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).

(٢) أبو الكلام آزاد: حر الدين أسعد، ولد عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) في أسرة قاومت الاستعمار البريطاني، والتشرك أبوه في ثورة ١٣٧٣ هـ (١٨٥٧ م)، وبعد فشلها هرب إلى الصين، وتزوج من سيدة عربية، وهناك ولد محمد إقبال الذي انتقل إلى القاهرة، ودرس في الأزهر، ورجع عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) إلى الهند، والتشرك في حزب المؤتمر الهندي، وكان يطالب بالاستقلال التام للهند المستقلة عن بريطانيا، وقد أشأ منصباً بالهلال، والتشرك في تأسيس كلية ديوبند الإسلامية، وتولى منصب وزارة المعارف، وانتخب نائباً لرئيس حزب المؤتمر رئيساً، وتوفي في ذلك المنصب حتى توفي في ٣ شعبان ١٣٧٧ هـ (٢٢ شباط ١٩٥٨ م). وانتخب كذلك رئيساً للاجتماع التاسع لحركة اليونسكو.

كانت هذه المظاهرات وهذه الأحداث تزيد الهتوس تساكاً، وفي الوقت نفسه تزيدهم كرهماً للمسلمين الهنود، بل إن هذا الكره لتسع دائره حتى تشمل المسلمين جميعاً إذ يحس الهتوس أن المسلمين في كل أرجاء الأرض يدعمون المسلمين الهنود، ويؤيدونهم على الهتوس، ولذلك على هذا تفاعل المسلمين الهنود مع إخوانهم المسلمين في كل مكان، حيث يرقون لهم جميلهم.

وكذلك فإن هذه المظاهرات وهذه الأحداث كانت نشأ من عصبه المسلمين، وتوثيقهم، وتجعلهم يشعرون أنهم جزء من الأمة الإسلامية ذات المجد والحضارة، وأن أمم الأرض اليوم تنكأب عليها، وأن ما يصيهم اليوم لا يتعدى أنهم جزء من هذه الأمة. غير أن المسلمين مع هذا كله لم يكونوا قلباً واحداً حيث كانوا فرقاً، وإن كانوا يصفون تحت اسم عام هو مسلمون غير أن بعضهم يميلون عن ذلك إذ إضافة إلى المسلمين (السنة) كان هناك الشيعة الرافضة، وكان هناك الإسماعيليون من الصرق الباطنية الضالة، وهناك الطائفة الديالية الجديدة العبد كآل البعد عن الإسلام، وفوق هذه الفرق المتباينة كانت هناك الخلافات في التوجهات السياسية حيث وجد:

٦ - المسلمون الذين يرون الدعوة إلى الوحدة الوطنية والتوفيق في وجه المستعمرين الذخلاء من الإنكليز، وتأسيس دولة واحدة تضم الهتوس والمسلمين، وقد رأى هؤلاء أنه من المصلحة الانضمام إلى حزب المؤتمر الوطني لتوحيد الجهود وبسأل السياسي ليل الاستقلال والخلاص من المستعمرين، وأن المنظرين الهنودس فله يجب ألا يأبأ بهم، ولا ينظر إليهم، ومن أشهر هؤلاء جمعية العلماء، ومؤتمر الشيعة، ومؤتمر المؤمنين الهنود، ومن الرعاهه حسين ذاكراً^(١) التي تسلّم فيما بعد رئاسة الجمهورية،

(١) حسين ذاكراً: ولد في حيدر أباد الثاني عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م). وتخرج من الكلية الإسلامية في (مئكرك)، وتابع دراسته في بولن حيث حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م). وتولى حاكماً لولاية (بهارا) عام ١٣٧٧ هـ =

وأبو الكلام أزداد الذي تسلّم حقبة وزارة المعارف بعد الاستقلال مباشرة. وغفل هؤلاء عن دور إنكلترا في تقوية الهندوس على المسلمين، وأن عاملاً مشتركاً يجمع بين الإنكليز والهندوس ضد المسلمين وهو الحقد الصليبي والوثني.

٢ - المسلمون الذين يرون ضرورة الانفصال عن الهندوس، وتأسيس دولة واحدة من المقاطعات التي يشكل فيها المسلمون أكثرية، وعرفت هذه الدولة باسم «باكستان»، وأول من دعا إلى ذلك الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، ونادى بها الطلاب المسلمون الذين يدرسون في إنكلترا.

والتقسيم أصحاب هذا الرأي إلى اتجاهين:

- أ - أحدهما يرى الاستقلال ضمن باكستان والارتباط مع العالم الإسلامي، على اعتبار أن باكستان جزء من الأمة الإسلامية. وذلك في ظل الخلافة الإسلامية، ويمثل هذا جناح محمد إقبال.
- ب - ثانيهما ويرى الاستقلال ضمن باكستان، والدعوة إلى إسلامية باكستانية محلية، وقد قوي هذا الاتجاه بعد أن أقدم مصطفى كمال أتاتورك - قبحه الله - على إلغاء الخلافة الإسلامية.

وقد خفت ضغط الإنكليز عن المسلمين عندما بدأوا يتأدون بالعصبية الإسلامية المحلية، ويتعدون عن قضية الخلافة والوحدة الإسلامية، ولعل من أبرز من يمثل هذا الجناح محمد علي جناح.

(١٩٥٧ م)، ثم نائباً لرئيس جمهورية الهند (داد كريشنان)، ثم خلفه في الرئاسة بعد وفاته في ٣٠ المحرم ١٣٨٧ هـ (٩ أيار ١٩٦٧ م)، وتوفي حسين فاكر في ١٦ صفر ١٣٨٩ هـ (٣ أيار ١٩٦٩ م).

(١) باكستان: يقال إن «باك» تعني الأظفار، وتدل «ستان» على بلاد، فأصبح المقصود من الكلمة بلاد الأظفار. ويقال: إن باكستان قد اشتقت من الأحرف الأولى من المقاطعات التي تقسم أكثرية مسلمة وهي: بنغال، بنجاب، بلوچستان، كشمير، كوجرات، السند، مقاطعات الحدود.

٣ - المسلمون الذين يرون بقاء المسلمين والهندوس ضمن دولة واحدة مع ضرورة تشكيل جمعية إسلامية قوية تعمل على نشر الإسلام بين الهندوس، كما تعمل للحكم حسب الشريعة الإسلامية، وقد كان الخوف على مستقبل المسلمين في الهند، وعلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، ولعل من أبرز أصحاب هذا الرأي أبا الأعلى المودودي الذي وقف أمام نقاط وتساؤلات:

- أ - إذا لم تنجح الرابطة قُبِضَ المسلمون بالقتل.
- ب - إذا نجحت الرابطة، هل سيطر زعمائها الإسلام؟
- ج - كيف يكون وضع المسلمين الذين سيقيمون داخل الهند بعد التقسيم أمام حقد الهندوس؟
- د - ألا ينتهم الهندوس المسلمين في الهند بعد التقسيم أنهم أنصار إخوانهم في باكستان فيضطهدونهم ويزيد الحقد حقداً؟
- هـ - هل يمكن أن تقوم دعوة لنشر الإسلام بعد التقسيم، والحرب الإعلامية الدائمة، والحرب الباردة بين القسمين؟
- و - ألا يمكن أن تنشب حرب بين القسمين، ويشعل نارها الصليبيون الإنكليز، ويدعمون الهندوس، ويحصد المسلمون شرّاً عظيماً؟

(١) ولد أبو الأعلى المودودي في بلدة (أورتغ آباد) في حيدر آباد الدكن عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)، وهو من أسرة تقول أنها تنسب إلى مودود أحد رواة الحديث النبوي، ويقال: إنه جاء إلى الهند مع جيش محمد بن القاسم الثقفي. عمل المودودي صحفياً في (جبل بور) و(تلهي) و(حيدر آباد)، وفي شهر ذي القعدة ١٣٥٦ هـ (كانون الثاني ١٩٣٨ م) انتقل إلى البنجاب بدعوة من محمد إقبال، واستقر في منطقة (جورداسبور)، ثم انتقل بعد ذلك إلى (لاهور)، وفي رجب ١٣٦٠ هـ (أب ١٩٤١ م) احتسب خمسة وسبعون شخصاً من مختلف الاختصاصات، وشكلوا الجماعة الإسلامية، وانتخبوا أبا الأعلى المودودي كأول أمير لها.

ووضع عدداً من الكتب ذات الفكر الإسلامي، أثرى بها المكتبة، وكان له أثر كبير في فكر الشباب وأهل العلم، وتوفي في الأول من ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (٢٢ أيلول ١٩٧٩ م).

التحكّم بهم، وإذلالهم واستعبادهم، وكان يُخالف أستاذه «غاندي» في
معاملة المسلمين أحياناً، وعارضه في موقفه من تأييد حركة الخلافة مع أن
ذلك الموقف لم يكن سوى التقيّة بإظهار غير ما يُعْن.

وطالب المنبوذون بالاستقلال، وعدادهم مائة مليون، وهدّوا باعتناق
الإسلام، فأغرامهم غاندي، وطلب منهم السكوت في هذه الظروف، وإن
لهم ما يريدون في المستقبل.

وشكّل الهندوس سبع وزارات فأساموا للمسلمين كثيراً.

طالب المسلمون أن تكون لهم السيادة في المقاطعات ذات الأكثرية
المسلمة فرفض حزب المؤتمر ذلك رفضاً بشعاً، وتكلم غاندي وأتباعه
كلاماً غير مقبول، وأصدر حزب المؤتمر قراراً يقضي بترك لغة «الأوردو»
التي هي لغة المسلمين، واللغة الرسمية في البلاد، وجعل اللغة الهندوسية
لغة رسمية على حين أن أكثرية السكان لا يفهمونها، بل إن الهندوس الذين
أخذوا يُهاجمون لغة «الأوردو» لم يكن لديهم من لغة يُهاجمونها بها،
وأسلحوا يُشهبونها في وجهها إلا لغة «الأوردو» ذاتها، ولم يكن اتخاذ ذلك
القرار إلا عداوة للمسلمين.

ولما رأى المسلمون حرب الهندوس لهم صراحةً، ويعرفون كذلك
حقدهم، وما تخفي نفوسهم أكبر عندها قرّروا العودة إلى فكرة باكستان
وتقسيم بلاد الهند. وطالبوا الحكومة الإنكليزية بالبقاء في الهند حتى يتم
التقسيم كي لا يستأثر الهندوس بالحكم، ويُطبقوا ما يريدون. والغريب أن
المسلمين كأنهم قد غفلوا عن موقف الإنكليز منهم، ووقوفهم إلى جانب
الهندوس علناً. وهذا ما ظهر أثناء التقسيم بكل وضوح.

وكان من أشدّ الناس محاربة لفكرة التقسيم «نهررو»^(١) تلميذ غاندي،
والمتعصب لهندوسيته، ويريد إبقاء المسلمين تحت نفوذ الهندوس لإمكانية

(١) نهررو: جواهر لال نهررو، ابن حوتى لال نهررو، الزعيم السياسي، اشترك مع
غاندي، أسس صحيفة (أندبندنت) أي المستقل، انتخب رئيساً لحزب المؤتمر
الهندي عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، اشترك مع (ناس) في تأسيس حزب (سواراج)
أي الاستقلال ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) وتوفي ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م)، ولد ابنه جواهر
لال نهررو في مدينة (الله آباد) عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، ودرس في إنكلترا وحصل
على الحقوق، ورجع إلى الهند عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) واشتغل بالمحاماة،
وانضم إلى حزب المؤتمر عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م)، وسجن سبع مرات، تولّى
رئاسة حزب المؤتمر ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وتسلم وزارة الخارجية في الحكومة
الموقفة بعد الحرب العالمية الثانية، وتولّى رئاسة الوزارة بعد الاستقلال، وبقي في
هذا المنصب حتى هلك ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م). وله عدة مؤلفات.

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨ هـ (الأول من أيلول ١٩٣٩ م) ودخلت حكومة الهند الحرب دون أخذ رأي وزارة حزب المؤتمر التي تحكم الهند محلياً، وهذا ما دعا إلى أن تستقبل وزارة الحزب. وأخذ الوضع يزداد حرجاً في الهند نتيجة أحداث الحرب، وخاصةً عندما دخلت اليابان الحرب، واحتلت أندونيسيا، والهند الصينية، وبورما، واقتربت من حدود الهند، فأعلنت انكسرت أنها ستعطي الهند الاستقلال بعد الحرب مباشرةً، ورُحِبَ حزب المؤتمر بهذا الإعلان، وطالب باستلام الحكم.

فطع المسلمون كل أمل بإنكسرت الاتحاد مع الهندوس في دولةٍ واحدةٍ، وأنه لا ضمان لهم على لغتهم، وثقافتهم، ودينهم، بل وحتى على حقوقهم الأولية إن بقي الحكم بيد الهندوس، وأن الإنكليز لن يتصفوهم أبداً، بل سيكونون ضدهم وسيلقون بجانب الهنوس لذا لا بد من الانفصال عنهم، وكان هذا رأي حزب الرابطة الإسلامية، وكثير من أعيان الهند وعاتمهم، على حين رأى بعض العلماء ضرورة البقاء مع الهندوس في إطارٍ واحدٍ لمصلحة الدعوة، والأقلية المسلمة التي ستبقى تحت حكم الهندوس، وذلك كما مرّ معنا.

وقد كثرت الاقتراحات حول مستقبل المسلمين في الهند، وكثرت المشروعات المتقدمة، ويكاد لا يوجد زعيم مسلم لم يُقدِّم اقتراحاً، ولا

منظمة أو مؤسسة علمية إلا وأبدت رأياً، محمد إقبال، ومحمد علي جناح، وتشودري رحمة علي، وعبدالله هارون، وتشودري خليل الرحمن وعبدالرحمن صديقي، واسكندر حیات خان، كلهم قدّموا مشروعات، وجامعة عليكرة، واتحاد الطلاب المسلمين في النجف قدّموا مشروعات، وأبدي أبو الأعلى السودوي اقتراحات، وكلها تدور حول الاتحاد أو الانفصال التام، ويكاد يكون عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) هو عام هذه الاقتراحات والمشروعات، وإدعاء الأراء وخاصة النصف الثاني من بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية^(١). وكان بعض هذه المشروعات والاقتراحات يقتصر على انفصال المقاطعات التي يتألف سكانها من أكثرية مسلمة على حين أن بعضها الآخر يضيف إليها شريطاً على نهر الغانج ليتصل بحري الهند بالبنغال في الشرق.

مؤتمر لاهور:

كان محمد إقبال قد دعا إلى تشكيل دولة باكستان والانفصال عن الهندوس، وذلك في رسالته إلى محمد علي جناح والمؤرخة في ١٨ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ (٢٨ أيار ١٩٣٧ م)، وتوفي محمد إقبال في ٢١ صفر ١٣٥٧ هـ (٢١ نيسان ١٩٣٨ م)، وعُقد مؤتمر السند الإقليمي للرابطة الإسلامية في كراتشي برئاسة محمد علي جناح وقُرِّرَ في ١٦ شعبان ١٣٥٧ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٣٨ م) القرار الآتي:

«إن مؤتمر السند الإقليمي للرابطة الإسلامية يعتبر أن من الضروري كتابةً من أجل سلام دائم في القارة الهندية الشاسعة، ومن أجل تطوّر ثقافي ليس له ما يعوقه، ومن أجل الرقي الاقتصادي والاجتماعي وتقرير المعيار السياسي للأمتين المعروفتين باسمي الهندوس والمسلمين، أن تُنقَسَم

(١) انظر هذه المشروعات والاقتراحات في إشاعة بالمشاهير شريف الدين بيرزاد، ترجمة عادل الصلاحي.

الهند إلى التحدين، على أن يكون ثمة اتحاد للدول الإسلامية، واتحاد للدول غير الإسلامية.

وعلى هذا فإن المؤتمر يتقدم بتوصية إلى الرابطة الإسلامية لعموم الهند أن تعدّ مشروع دستور يمكن بموجبه للأقاليم ذات الأغلبية الإسلامية، وللدول الإسلامية الوطنية، والمناطق التي تغطيها أغلبية إسلامية، أن تحصل على الاستقلال الكامل في صورة اتحادٍ قاصرٍ عليها مع إمكانيات تضمّن أن تكون دولة إسلامية خارج حدود الهند إلى هذا الاتحاد. وأن يكفل الدستور ضمانات للأقليات غير المسلمة معاملة للضمانات التي يُعْرَبها للأقليات الإسلامية في الاتحاد الهندي غير الإسلامي^(١).

دعا حزب الرابطة إلى عقد مؤتمر في مدينة لاهور، وقد عُقد المؤتمر، ولقد أقرّت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند في اجتماعها الذي عقده في ٥ صفر ١٣٥٨ هـ (٢٦ آذار ١٩٣٩ م) في قلعة مصطفي، في ميروت القرار الآتي:

«بما أن الرابطة الإسلامية لعموم الهند تُعارض مشروع الاتحاد الذي تضمنه قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م)، ونظراً لأن الجزء الإقليمي من الدستور قد أوجد مخاوف كبيرة لدى المسلمين والأقليات الأخرى فيما يتعلق بمستقبلهم، حيث أن المشروع الإقليمي قد قصر كفاية عن ضمان أدنى الحقوق المدنية للأقليات الإسلامية في الأقاليم المختلفة، وبما أن رئيس الرابطة الإسلامية لعموم الهند قد قرّض بقرار التحذير في دورة «باتا» في (كانون الأول ١٩٣٨ م) باتخاذ الإجراءات الضرورية من أجل تمحيص إمكانية إيجاد بديل مناسب يحفظ مصالح المسلمين والأقليات الأخرى فإن رئيس الرابطة يُعين بالاتفاق مع اللجنة العاملة لجنة مؤلفة من السادة الواردة أسماؤهم أدناه للنظر في المشروعات المختلفة التي عرضها أشخاص ذوي

(١) نشأه باكستان. شريف الدين بيرزاه.

معرفة كاملة بالتطورات الدستورية في الهند والبلاد الأخرى، والمشروعات التي يمكن أن تُقدّم للرئيس فيها، ثم تُقدّم تقريراً للجنة العاملة عن نتائج عملها في وقت مبكر:

- ١ - محمد علي جناح رئيساً
- ٢ - اسكندر حیات خان
- ٣ - نواب محمد إسماعيل خان صاحب
- ٤ - عبدالعزيز صاحب
- ٥ - عبدالله هارون
- ٦ - خ. نظيم الدين
- ٧ - عبدالمتين تشوهری صاحب
- ٨ - أورال عزيز صاحب
- ٩ - نواب زاده ليلقات علي خان صاحب

وتأكد ذلك في الاجتماع الذي عقده مجلس الرابطة الإسلامية لعموم الهند في دهلوي الجديدة في ١٨ صفر ١٣٥٨ هـ (٨ نيسان ١٩٣٩ م) وكذلك في اجتماع المجلس الذي عقد في ١٢ رجب ١٣٥٨ هـ (٢٧ آب ١٩٣٩ م) واجتماع اللجنة العاملة الذي عُقد في ٣، ٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (١٧، ١٨ أيلول ١٩٣٩ م) وفي ٩ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩ م) مع إعلان صارم بأن الهند المسلمة: «تعارض معارضة مطلقة لا يمكن الرجوع عنها أي «هدف التحدي» يُؤدّي بالضرورة إلى حكم طائفة الأغلبية تحت قناع من الديمقراطية، ونظام حكم نيابي. فمثل هذا الدستور لا يناسب إطلاقاً سجية شعوب هذه البلاد التي تتألف من قوميات متعددة، ولا تُشكّل دولة قومية».

وعقدت اجتماعات في مطلع عام ١٣٥٩ هـ (شباط ١٩٤٠ م) للجنة العاملة وللمجلس الرابطة لعموم الهند في دهلوي وجرّت دراسة جادة لمسألة تخصيص موطن منفصل للمسلمين، وتقرر اقتراح ذلك رسمياً في الدورة المفتوحة المقرر عقدها في صفر ١٣٥٩ هـ (آذار ١٩٤٠ م).

تمّ في الاجتماع الذي عقده اللجنة العاملة في ١٢ صفر ١٣٥٩ هـ (٢١ آذار ١٩٤٠ م) تعيين لجنة خاصة لصياغة مشروع القرار الشهير بقرار لاهور، وكان من أعضائها محمد علي جناح، واسكندر حیات خان.

وأعدت اللجنة مشروع قرار حول المستقبل الدستوري في الهند لتطبيقه إلى لجنة الموضوعات، وبعد مناقشات وبحوث طويلة تبنت لجنة الموضوعات مشروع القرار، وقد أعلن محمد علي جناح المسوّغات له في خطابه، وما جاء فيه:

- أ - وإن مشكلة الهند ليست مشكلة جاليات وطوائف، ولكن من الواضح أنها مشكلة أمة ومن الواجب معالجتها على هذا الأساس.
 - ب - وإن الهندوس والمسلمين قرومان يتسبانان إلى فلسفتين دينيتين مختلفتين، وإن لهما أدب وعادات اجتماعية متباينة. وإن ربط مثل هاتين الأمتين معاً في دولة واحدة حيث تكون إحداهما من حيث العدد أقلية، وتكون الأخرى غالبية سيؤدي حتماً إلى سحق متزايد، ويؤدي في النهاية إلى تحطيم أية صورية تبنى على هذه الشاكلة لحكومة هذه الدولة.
 - ج - وإن المسلمين ليسوا أقلية بالمعنى الشائع لهذه الكلمة أو الذي يفهم منها عامة.
 - د - وإن المسلمين أمة وحدهم حسب أي تعريف للأمة، ولا بد من أن يكون لهم موطنهم، وأراضيهم ودولتهم.
- وفي ١٤ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٠ م) طرح القرار التالي في الدورة المفتوحة للرابطة الإسلامية لعموم الهند:

وتصديقاً وتأكيدياً لما اتخذته كل من مجلس الرابطة الإسلامية لعموم الهند ولجنتها العاملة من إجراءات موضحة في قراراتها المؤرخة في ١٢ رجب ١٣٥٨ هـ (٢٧ آب ١٩٣٩ م) وفي ٣، ٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (١٧، ١٨ أيلول ١٩٣٩ م) وفي ٩ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩ م) وفي ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٨ هـ (٣ شباط ١٩٤٠ م) حول قضية الدستور، فإن هذه الدورة للرابطة الإسلامية لعموم الهند تعود فتؤكد تأكيدياً جازماً أن مشروع الاتحاد الذي تضمنه قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م) لا يتفق

إطلاقاً مع أوضاع الهند الخاصة، ولا يمكن تطبيقه فيها، وهو غير مقبول قط لدى الهند المسلمة.

وهي تُسجّل رأيها القاطع كذلك بأنه على الرغم من أن التصريح الذي أعلنه نائب الملك بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة في ٥ رمضان ١٣٥٨ هـ (١٨ تشرين الأول ١٩٣٩ م) مطمئن لكونه يعلن أنه سيعد النظر في السياسة والخطة التي يني عليها قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م)، وذلك بالتشاور مع الأحزاب والمصالح المختلفة في الهند، فإن الهند المسلمة لن ترضى إلا بإعادة النظر من جديد في الخطة الدستورية كلها، وأن المسلمين لن يقبلوا أية خطة مُعدّلة إلا إذا تمّ وضعها بموافقتهم وإقرارهم ابتداءً.

تقرر أن الرأي العام لهذه الدورة للرابطة الإسلامية لعموم الهند هو أنه ما من خطة دستورية يمكن أن تُطبّق في هذه البلاد أو يمكن للمسلمين أن يقبلوها إلا إذا أعدت وفق المبادئ الجوهرية التالية: إن الوحدات المتصلة جغرافياً يجب أن تحدد ضمن أقاليم تشكل بعد إدخال التعديلات الضرورية في حدودها بحيث تجمع المناطق ذات الأغلبية العددية الإسلامية كأقاليم شمال غربي وشرقي الهند لتكون دولاً مستقلةً تتمتع الوحدات المكونة لها بحكم ذاتي وسيادة.

يجب أن يتضمن الدستور ضمانات كافية وفعالة ومفوض بها، وذلك من أجل الأقليات الموجودة في هذه الوحدات والأقاليم، ولحماية حقوقها ومصالحها الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية وما إليها، وذلك بالتشاور مع هذه الأقليات. أما في بقية مناطق الهند حيث يكون المسلمون أقلية فيجب أن تُحدّد في الدستور ضمانات كافية وفعالة ومفوض بها، وذلك من أجل المسلمين والأقليات الأخرى، ولحماية حقوقهم ومصالحهم الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية وما إليها، وذلك بالتشاور معهم.

إن هذه الدورة تُفوض اللجنة العاملة كذلك بصياغة مشروع دستور

وقد هذه المبادئ الجوهرية، يقضي بأن يتسلم كل إقليم في النهاية جميع السلطات كاللديعة والحارحية والمواصلات والجمارك وبقية الأمور الضرورية الأخرى^(١).

وهذا القرار يُعرف بـ «قرار لاهور» أو «قرار باكستان»، ولمّا طرحه في ٢٣ آذار لهذا يُعدّ هذا اليوم العيد الوطني في باكستان، ويحتفل به كل عام.

مقترحات كريس^(٢):

دخل الهنسيون وبنغاليون في ٢٩ محرم ١٣٦١ هـ (١٥ شباط ١٩٤٢ م)، وأخذوا بالتقدم في جنوب شرقي آسيا نحو العرب، فتناقصت أمانهم البلدان بسرعة إذ احتلوا «رانغون» عاصمة بورما في (٩ صفر ١٣٦١ هـ (٧ آذار ١٩٤٢ م)، فذعر البريطانيون، وأعلن تشرشل في ٤ ربيع الأول ١٣٦١ هـ (٢١ آذار ١٩٤٢ م) أن كريس سيسافر فوراً إلى الهند، ووصل فعلاً إلى دعلي بعد يومين أي في (٢٣ آذار) في الذكرى الثانية لقرار لاهور، فصرح:

إن حكومة صاحب الجلالة تتقدم بالتصريحات الآتية:

١ - تتخذ مجرد أن تتوقف الحرب، الخطوات اللازمة لكي تقام في الهند، على النمط المشروح فيما بعد، حيث متخبة تُكَلَّف بمهمة صياغة دستور جديد للهند.

(١) قرارات الرابطة الإسلامية ص ٤٧.

(٢) كريس: هو رينشارد ستانفورد كريس: قسيس سياسي لعب دوراً كبيراً في تشكيل حركة العمال الأسترالية البريطانية. شغل منصب سفير بريطانيا في موسكو، وتسلم منصب وزير المالية في وزارة الحرب التي كانت برئاسة تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية، وزار الهند والتقى بمحمد علي جناح، وغاندي، وأصبح بعدها حامل الأوسام الملكية، ورئيس مجلس العموم.

ب - تتخذ - حسب ما هو مشروح أدناه - الخطوات اللازمة لاسترداد الدول الهندية في الهيئة واضعة الدستور.

ج - تتعهد حكومة صاحب الجلالة بقبول وتنفيذ الدستور الموضوع بهذه الطريقة فوراً، واضعة الشروط الآتية فحسب:

١ - " - يحق لكل إقليم من أقاليم الهند البريطانية غير مستعد لقبول الدستور الجديد بالاحتفاظ بوضعه الدستوري الحالي، على أن يتصّ على إمكانية التحاقه بالاتحاد فيما بعد، إن أراد ذلك.

في حالة وجود أقاليم لا تنضمّ للاتحاد فإن حكومة صاحب الجلالة مستعدة للموافقة على دستور جديد يعطيها الوضعية الكاملة نفسها التي للاتحاد الهندي، وينوّل إلى وضعه بطريقة مماثلة للطريقة الواردة هنا، هذا في حالة إيداء هذه الأقاليم رغبتها في هذا الأمر.

٢ - " - توقيع معاهدة تفويض بشأنها حكومة صاحب الجلالة مع الهيئة المكلفة بوضع الدستور، على أن تُغطّي هذه المعاهدة كافة الأمور الضرورية التي تنجم عن النقل الكامل للمسؤولية من يد بريطانيا إلى أيدي هندية. وسوف تتصّ هذه المعاهدة على حماية الأقليات الدينية والعنصرية حسب التعهدات التي قطعتها حكومة صاحب الجلالة، إلا أنها لن تفرض أية قيود على حق الاتحاد الهندي في أن يقرر في المستقبل نوع العلاقة التي تربطه بالدول الأخرى الأعضاء في رابطة الشعوب البريطانية.

٣ - " - سواء أقررت أية من الدول الهندية أن تلتزم بالدستور أم لا فإنها من الضرورة المتفاوضة من أجل إعادة النظر في ترتيبات معاهدتها بالدرجة التي يقتضيها الوضع الجديد.

د - تشكل الهيئة التي تضع الدستور على الشكل التالي إلا إذا ما اتفق قادة الرأي الهندي في الحالات والطوائف الرئيسية على طريقة أخرى قبل انتهاء الحرب.

فكرة آرسى^(١):

رفض في البداية قرار لاهور في تقسيم الهند، وقال عنه: وإن هذا القرار يقسم الوليد إلى نصفين، ثم عاد وأبداه، وألقى كلمة في دورة لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند، وألح على الاعتراف بحق المسلمين بالانفصال، وطرح رأيه على التصويت في ١٦ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ (٢٠ أبريل ١٩٤٢ م) فرفض المؤتمر القرار بأغلبية ١٢٠ صوتاً ضد ١٥ صوتاً. وقام (جائحات نارايان لال) بطرح قرار مناقض تم إقراره بأغلبية ٩٢ صوتاً ضد ١٧ صوتاً، ويعلم هذا القرار: «أن أي اقتراح يهدف إلى تجزئة الهند بطريقة إعطاء الحرية للدول أو الوحدات الإقليمية التي تشكلها بالانفصال عن الاتحاد الهندي يشكل خطراً كبيراً على خير مصالح الشعب في الدول والأقاليم المختلفة، وفي البلاد عامة، ولذلك فإن حزب المؤتمر لا يمكن أن يوافق على مثل هذا الاقتراح».

استقال آرسى من حزب المؤتمر، وتبعه سبعة من زملائه وذلك في اجتماع أفراد الهيئة التشريعية الإقليمية من أعضاء حزب المؤتمر الذي عقد في ٢ رجب ١٣٦١ هـ (١٥ تموز ١٩٤٢ م) وذلك ليواصل مساهمته في التقسيم، واتصل آرسى بغاندي، وهو في السجن، وحصل منه على الموافقة على هذه الفكرة وفيما يلي نص هذه الفكرة:

«أساساً لقواعد التسوية بين حزب المؤتمر الهندي، والرابطة الإسلامية لعموم الهند، يوافق عليها كل من غاندي، ومحمد علي جناح، ويسعيان للحصول على موافقة كل من المؤتمر والرابطة عليها».

١ - تؤيد الرابطة الإسلامية المطلب الهندي في الاستقلال بعد

مجرد إعلان نتائج الانتخابات التالية التي يجب أن تجري عند نهاية الحرب، فإن جميع أعضاء المجالس الدنيا للهيئات التشريعية الإقليمية تستقل بوصفها هيئة انتخابية واحدة لانتخاب الهيئة التي تفسح الدستور بطريقة التمثيل النسبي، وسوف تعادل هذه الهيئة من حيث العدد عشر عدد أعضاء الهيئة الانتخابية.

تدعى الدول الهندية لتعيين ممثلها بنسبة عدد سكانها على أن تكون هذه النسبة مثل نسبة ممثلي الهند البريطانية عامة، ويكون لممثلي الدول الهندية الصلاحيات نفسها التي للأعضاء الممثلين للهند البريطانية.

هـ - في المرحلة الحرجة التي تواجه الهند الآن وإلى أن يمكن وضع الدستور الجديد فإنه من الحتمي على حكومة صاحب الجلالة أن تتحمل مسؤولية إدارة وتوجيه الدفاع الهندي، وتحفظ بها كجزء من جهودها في الحرب العالمية، إلا أن مسؤولية تنظيم ثروات الهند العسكرية والمدنية والأدبية تنظيمياً كاملاً تقع على عاتق حكومة الهند متعاوناً في ذلك مع الشعوب الهندية، إن حكومة صاحب الجلالة تدعو زعماء القطاعات الرئيسية من الشعب الهندي سواء في مجالس بلادهم أو في رابطة الشعوب البريطانية، أو الأمم المتحدة للمشاركة فورية وفعالة، وبذلك يستطيعون أن يقدموا معونة إيجابية وبناءة في أداء واجب حيوي وضروري من أجل حرية الهند في المستقبل وفي اليوم التالي شرح كريس هذه المقترحات بالإذاعة.

أعلنت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند بقرارها الذي اتخذته في ٢٥ ربيع الأول ١٣٦١ هـ (١١ نيسان ١٩٤٢ م)، أن الرابطة لا تقبل هذه المقترحات بالصورة التي وردت بها، ولكنها في الوقت نفسه عبرت عن «امتثالها للاعتراف بإمكانية قيام باكستان ضمناً وذلك بالنص على إمكانية قيام اتحادين أو أكثر في الهند».

(١) آرسى: لقب لـ (تشارلز أغارني واجاجو بلاشاري) عضو اللجنة العاملة لعموم الهند في حزب المؤتمر، له علاقة وثيقة بغاندي، وابته زوج ابن غاندي، أحد قادة حزب المؤتمر، رئيس وزراء مدراس، وحاكم عام الهند بعد لورد مانتشن.

ضمان الشروط الواردة أثناء والمتعلقة بدستور الهند الحرة، وتتعاون مع حزب المؤتمر في تشكيل حكومة موقفة للمرحلة الانتقالية.

٢ - "تعيين بعد نهاية الحرب لجنة من أجل تخطيط المناطق المتجاورة في شمال غربي الهند وفي شرقها، والتي يُشكل المواطنون المسلمون أغلبية مغلقة، ثم يجري في المناطق التي تخطط بهذا الشكل استفتاء للمواطنين على أساس تصويت البالغين أو أي امتياز عملي آخر تقرر بموجبه قضية الانفصال عن هندستان. وإذا ما صوتت الأغلبية إلى جانب إقامة دولة ذات سيادة منفصلة عن هندستان، فإن هذا القرار سيُلحق من دون إجحاف بحق المناطق الواقعة على الحدود في الاختيار بالانضمام إلى أي من الدولتين.

٣ - "يعطى جميع الفرقاء الحق بالدفاع عن وجهات نظرهم قبل إجراء الاستفتاء.

٤ - "في حالة الانفصال تعقد التفاوضيات متبادلة من أجل ضمان الدفاع والتجارة والمواصلات والأغراض الضرورية الأخرى.

٥ - "إن أي تبادل في السكان يجب أن يتم على أساس واحد فقط وهو الاختيار الشخصي البحت.

٦ - "لا يلتزم بهذه الشروط إلا في حالة نقل بريطانيا كافة السلطات والمسؤوليات لحكم الهند إلى أهلها.

فكرة غاندي:

كان غاندي ضد فكرة التقسيم، ورجيته أن يبقى المسلمون تحت سيطرة الهندوس، ولكن عندما اشتدت حماسة المسلمين بالمطالبة بالانفصال عن الهندوس والاستقلال أظهر غاندي شيئاً من اللين لعله يركب العوجة ثم يتحرف بركاب السفينة.

جرت لقاءات بين محمد علي جناح وغاندي استمرت ثمانية عشر

يوماً من ١٢ رمضان ١٣٦٣ - ٣٠ رمضان ١٣٦٣ هـ (٩ أيلول ١٩٤٤ - ٢٧ أيلول ١٩٤٤ م)، وقد تمّ خلال هذه المدة أربعة عشر لقاءً، وقد افتتح غاندي يوم ٢٧ رمضان ما يأتي:

"تقوم بتخطيط هذه المناطق لجنة يوافق عليها كل من حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية، ويجب التحقق من رغبات مواطني هذه المناطق المخططة بواسطة تصويت البالغين من أهلها أو بوسيلة معادلة.

إذا كان التصويت بجانب الانفصال، فيتم الاتفاق على أن تشكل هذه المناطق دولة منفصلة في أقرب وقتٍ ممكن بعد أن تصح الهند حرة من الحكم الأجنبي، ويصبح من الممكن على هذا أن تقسم إلى دولتين مستقلتين ذاتي سيادة.

تعقد معاهدة انفصال تضمن على قيام إدارة نشطة وواقفة لشؤون الخارجية، والدفاع، والمواصلات الداخلية، والجمارك، والتجارة، وما إليها من أمورٍ ستظلّ حتماً ذات مصلحة عامة للفرقتين المتعاهدين، وتتضمن المعاهدة كذلك تصوصاً من أجل حماية حقوق الأقليات في كلتا الدولتين.

تتفق الرابطة والمؤتمر مجرد قبولهما هذه الاتفاقية على خطة عمل مشتركة لتحقيق استقلال الهند.

يظلّ من حقّ الرابطة - على أية حال - أن تبقى بعيدة عن أي عمل مباشر يلجأ إليه المؤتمر، ولا يكون للرابطة رغبة في المشاركة فيه^(٩).

ولكن غاندي لم يكن موافقاً على التقسيم ورجيته بالسيطرة ماثلة أمام عينيه، وعندما قابلته أبو الكلام آزاد في ٩ جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٣١ آذار ١٩٤٧ م) وسأله عن رأيه في التقسيم، أجاب، وهو يعلم أن أبا الكلام أراد ضد التقسيم: لأن أراد حزب المؤتمر أن يقبل بالتقسيم فإن قبوله لن يكون إلا على حثي، وإني لن أقبل بتقسيم الهند ما دمت حياً، وإني لم

(٩) محادثات جناح - غاندي ص ٨٧.

أصبح المؤتمر يقول ما وجدت إلى ذلك سبيلاً^(١). وفي المجلس العام لحزب المؤتمر لعموم الهند الذي عقد في رجب ١٣٦٦ هـ وقرّر تقسيم الهند آبد فاشي ذلك بحماسة.

البعثة الوزارية:

أخفق كريس في مقترحاته عام ١٣٦١ هـ (١٩٤١ م)، وفشل محمد علي جناح وغاندي في محادثتهما ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وقابل نائب الملك اللورد والميل زعماء الهند فلم ينجح في مهمته، فاستدعي إلى لندن فسافر إليها في ٩ ربيع الثاني ١٣٦٤ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٥ م)، وأعلن وزير الدولة لشؤون الهند في مجلس العموم البريطاني أن الغرض من مقترحات كريس ما زال قائماً. وجرت مراسلات بين نائب الملك وزعماء الهند، ثم عقد مؤتمر الزعماء في (سبيللا) في رجب ١٣٦٤ هـ (حزيران ١٩٤٥ م) حضره واحد وعشرون عضواً، ولم يتخلف سوى غاندي. وأعلن في ٤ شعبان ١٣٦٤ هـ (١٤ تموز ١٩٤٥ م) فشل المؤتمر رسمياً، إذ رفض حزب المؤتمر الاشتراك في وزارة ائتلافية، ووافقت الرابطة، فشكل نائب الملك حكومة من الموظفين.

أعلن نائب الملك اللورد واغيل في ١٣ رمضان ١٣٦٤ هـ (٢١ آب ١٩٤٥ م) أنه قرر إجواء انتخابات عامة للجمعيات الوطنية الإقليمية والمركزية في أقرب وقت ممكن، وذلك بعد مشاورات أجراها مع حكومة صاحب الجلالة ومع الحكومات الإقليمية. كما أعلن بنفسه عن سفره إلى لندن لمقابلة الحكومة العمالية الجديدة بناءً على رغبتها. وسافر، ورجع في ١٢ شوال ١٣٦٤ هـ (١٩ أيلول ١٩٤٥ م) وصدق موضوع الانتخابات، وأنه سينشاور مع الممثلين الجمعيات الوطنية.

جرت الانتخابات العامة وأعلنت نتائجها في ٢٨ محرم ١٣٦٥ هـ (الأول

من كانون الثاني ١٩٤٦ م) وقد فازت الرابطة فوزاً ساحقاً في المناطق الإسلامية إذ حصلت على ٥٠٢ مقعد من أصل ٥٦٠ مقعداً، وهي المقاعد المخصصة للمسلمين، ومعنى ذلك أن المسلمين يصوّرون على إقامة دولة باكستان.

وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ (١٩ شباط ١٩٤٦ م) أعلن عن تشكيل لجنة وزارية تتألف من:

- ١ - بشك لورنس: وزير الدولة لشؤون الهند.
- ٢ - ستافورد كريس: رئيس مجلس التجارة.
- ٣ - ألبرت ألكسندر: القائد الأعلى للبحرية.

ومهمة هذه اللجنة السفر إلى الهند وإجراء مباحثات مع الزعماء الهنود.

وصلت اللجنة إلى «كراتشي» في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٦ م)، وقد أجرت محادثات استطلاعية مع نائب الملك، ومع أعضاء المجلس التنفيذي، ومع الزعماء الهنود.

رأت اللجنة ضرورة وضع دستور الهند المقبل، وإقامة حكومة مؤقتة لتقوم على إدارة الهند حتى يقرّ الدستور، وادعت أن الشعب باستثناء الرابطة الإسلامية يرغب في وحدة الهند، وقالت: إن خوف المسلمين من ضياعهم في الأكتوية جعلنا نبحث موضوع استقلال باكستان، وأنها مشتمل منطقتين: إحداهما في الشمال الغربي، وتتألف من أقاليم البنجاب، والسند، والحدود الشمالية الغربية، وبالوستان، والثانية في الشمال الشرقي وتتألف من إقليم البنغال وأسام. وأيدت نظرها في إمكانية تعديل الحدود ونشرت اللجنة نسبة المسلمين في الأقاليم الستة، وجاءت كما يلي:

(١) الهند لموز بحرهما من ١٨٦.

الإقليم	عدد السكان	عدد المسلمين	عدد غير المسلمين	نسبة المسلمين (%)
البنجاب	28,118,819	19,217,242	12,201,977	67.06
السند	1,838,008	3,208,326	1,322,683	70.74
الشمالية الغربية	3,038,067	2,588,997	249,270	91.79
بالوشتان	801,631	138,930	66,701	87.80
المجموع	37,193,626	22,603,291	13,811,231	62.07
البنغال	6,306,626	33,000,131	27,301,091	84.72
آسام	10,201,973	3,112,179	6,762,201	33.73
المجموع	70,811,208	36,112,912	31,063,218	61.59

وتضم مدينة كلكتا حيث لا تزيد نسبة المسلمين فيها على 23.6٪ من مجموع السكان. وقطاعي (أمبالا) و(جولوندر) في البنجاب، وهذا الأمر لا توافق عليه الرابطة الإسلامية.

هذا إضافة إلى وجود اعتبارات إدارية واقتصادية وعسكرية لها وزنها. مع ملاحظة وجود مسافة بين جزئي باكستان تزيد على سبعمائة ميل، وقد أوصت اللجنة بأن يتخذ الدستور الصورة الأساسية الآتية:

أولاً: يجب أن يُقام اتحاد هندي يضم الهند البريطانية والدول كذلك، ويضطلع بالموضوعات الآتية: الشؤون الخارجية، الدفاع، المواصلات، وتكون له الصلاحيات الضرورية لجمع الموارد المالية التي تتطلبها هذه الموضوعات.

ثانياً: يكون للاتحاد هيئة تنفيذية وأخرى تشريعية تتألف من ممثلين للهند البريطانية والدول كذلك. وإن أية مسألة تثير قضية طائفة كبيرة في الهيئة التشريعية تتطلب لاتخاذ قرار بشأنها أغلبية الممثلين الحاضرين، وتصوت كلا الجانبين الرئيسيين على هذه، كما تتطلب أغلبية الأعضاء الحاضرين والمصوتين.

ثالثاً: تبقى جميع الموضوعات غير موضوعات الاتحاد، وجميع السلطات والصلاحيات المتبقية عنه في أيدي الأقاليم.

رابعاً: تحتفظ الدول بالموضوعات والسلطات والصلاحيات كافة غير تلك التي تتخلى عنها للاتحاد.

خامساً: تبقى الأقاليم حرة في تكوين مجموعات ذات هيئات تنفيذية وتشريعية، وتستطيع كل مجموعة أن تحدد الموضوعات الإقليمية التي مشترك فيها معاً.

سادساً: يجب أن ينص دستور الاتحاد ودساتير المجموعات على أن من حق كل إقليم باتفاق أغلبية أعضائه جمعته الوطنية التشريعية أن يدعو

أما بقية الأقليات المسلمة في بقية أنحاء الهند البريطانية فيعدون حوالي عشرين مليوناً متفرقين بين بقية المواطنين الذين يبلغ عددهم الكلي 188 مليوناً.

إن هذه تبين أن إقامة دولة باكستان منفصلة وذات سيادة على الأساس التي تطالب بها الرابطة الإسلامية لن تحل مشكلة الأقليات. ولنا نرى ثمة ما يبرر أن تضم دولة باكستان ذات السيادة على تلك المناطق من البنجاب والبنغال وآسام حيث تكون أغلبية السكان من غير المسلمين. إن أية حجة يمكن استخدامها من أجل قيام باكستان يمكن - في رأينا - أن تستخدم كذلك، وبالغوة نفسها، من أجل فصل المناطق غير الإسلامية عن باكستان. وإن هذه النقطة تؤثر بشكل خاص على وضع السيخ.

لهذا بحث اللجنة إمكانية قيام باكستان على نطاق أصغر، حيث يخرج منها: إقليم آسام كله باستثناء منطقة (سيلهت)، والبنغال الغربية

(1) يزيد عدد المسلمين على هذا الرقم حيث كان الرقم قريباً من 28 مليوناً، حيث أن نسبتهم تزيد على 12٪ بينما حسب هذا الإحصاء تبلغ 10.62٪.

إلى إعادة النظر في نصوص الدستور وذلك بعد مدة مبدئية قدرها عشر سنوات، وبعد كل عشر سنوات تالية.

وذكرت اللجنة أن ليس من هدفها إقامة دستور وإنما إقامة الجهاز الذي يضع دستوراً جديداً يلوم بوضعه الهنود من أجل الهند...

والمجموعتان الرئيسيتان لا يمكن أن تشتركا في جهاز لوضع الدستور، والدستور يجب وضعه بسرعة، والانتخابات هي الوسيلة الصحيحة لوضع دستور مقبول، والانتخابات تحتاج إلى مدة، والطريقة العملية هي الدعوة إلى الجمعيات الوطنية التي انتخبت حديثاً، ولكنها لم تمثل تمثيلاً صحيحاً وأعطت اللجنة أمثلة لذلك أن عدد أعضاء الجمعية الوطنية لإقليم (أسام) هو ١٠٨ أعضاء وأن سكان هذا الإقليم هو عشرة ملايين، على حين أن عدد سكان البنغال هو ستة أضعاف سكان (أسام) أي ستين مليوناً بينما عدد أعضاء جمعيتها الوطنية هو ٢٥٠ عضواً أي ضعفين وثلاث عدد أعضاء جمعية أسام. وكذلك الوزن الذي أعطيت للأقليات، وهو يختلف بين جهة وأخرى حسباً أعطيت الطائفة فقد أعطيت المسلمون مثلاً ١٤٨٪ من الجمعية الوطنية البنغالية على حين يُشكلون ٥٥٪ من مجموع سكان الإقليم، ولذلك اقترحت اللجنة ما يأتي:

أ - يعطى كل إقليم عدداً كلياً من المقاعد يتناسب مع عدد سكانه، نسبة مئوية قدرها مقعد واحد لكل مليون مواطن، كتأقرب بديل للتمثيل بطريقة تصويت البالغين.

ب - تقسم هذا العدد من المقاعد المخصصة للأقاليم بين الجاليات الرئيسية فيه نسبة عدد أبنائها.

ج - النص على أن يتخبط ممثلو كل جالية في الإقليم من أعضاء تلك الجالية في الجمعية الوطنية التشريعية وحدهم.

وردت كذلك أن يكتفى بثلاث طوائف رئيسية في الهند، وهي:

الهندوس (العامة)، والمسلمون، والسيخ، على أن تشمل الطائفة العامة كل من كان غير مسلم، وغير سيخ. وتمثل الأقليات الصغيرة في المسائل ذات الأهمية الخاصة للأقليات.

أولاً: اقترحت اللجنة أن تقوم كل جمعية وطنية تشريعية إقليمية بانتخاب العدد الوارد أدناه من الممثلين، على أن يتخبط كل قسم من الجمعية الوطنية (العام - المسلم - السيخ) ممثلته الخاصين بطريقة التمثيل النسبي، على أساس صوت واحد قابل للتحويل.

القسم (أ)	الإقليم	العام	المسلمون	السيخ	المجموع
	مدراس	٤٥	٤	-	٤٩
	بومباي	١٩	٢	-	٢١
	الأقاليم المتحدة	٤٧	٨	-	٥٥
	بيهار	٣١	٥	-	٣٦
	الأقاليم المركزية	١٦	١	-	١٧
	أوريسا	٩	-	-	٩
القسم (ب)	البنجاب	٨	١٦	٤	٢٨
	الشمال الغربي	-	٣	-	٣
	السند	١	٣	-	٤
القسم (ج)	البنغال	٢٧	٣٣	-	٦٠
	أسام	٧	٣	-	١٠
		٢١٠	٧٨	٤	٢٩٢
ثانياً:	ممثلو الدول الهندية				٩٣
					٣٨٥

ملاحظة: من أجل تمثيل الأقاليم التابعة للمفوض العام يضاف إلى:

لقد كان قرار لاهور الحجر الاساسي في تأسيس دولة باكستان بعد أن يش المسلمون من إيجاد حلٍ معقولٍ للتعايش مع الهندوس.

وبعد الحرب العالمية الثانية اجتمع المسلمون في دهلي في جلسةٍ تشريعيةٍ وأبأوا فيه أسباب دعوتهم لاستقلالهم عن الهندوس، ورغم المساهم التي بذلها زعماء الهندوس ليعدل المسلمون عن مطالبهم، وكان المؤتمر في دهلي قد عقد في ٧ جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ (٨ نيسان ١٩٤٦ م)، وكان قرار هذا المؤتمر مبنياً على مؤتمر لاهور السابق الذي عُقد قبل ست سنوات. وقد جاء نص القرار كالآتي:

بما أنه يوجد في شبه القارة الهندية الواسعة مائتا مليون مسلم يتنون إلى عقيدةٍ تُنظّم كل ناحيةٍ من نواحي حياتهم (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية) ولا تنفك عند حدود الأمور الروحية والعقديّة والمناسك مما يختلف اختلافاً كلياً وجذرياً مع تعاليم الديانة الهندوسية وفلسفتها التي ما زالت منذ آلاف السنين تُعَلِّي وتدعم نظاماً طبقياً قاسياً أتى إلى إزاله سنين مليون إنسان إلى مرتلة المنبوذين، وجعل حواجز غير طبيعية بين إنسانٍ وآخر، وامتيازات اجتماعية واقتصادية، كما أتى إلى حرمان فريقي كبير من أبناء هذه البلاد من العدالة، وهو يُهدّد المسلمين والنصارى وغيرهم من الأقليات بتريّ اجتماعي واقتصادي لا يمكن النهوض منه.

ولما كان نظام الطبقة الهندوسية يتنافى صراحةً مع الوطنية والعدالة والديمقراطية ومع جميع المثل النبيلة التي يقوم عليها الإسلام.

وبما أن الماضي التاريخي لكل من الفريقين: المسلمين والهندوس، وما لكل منهما من عادات وتقاليد ونظم اجتماعية واقتصادية، قد جعل من المستحيل دمجها في وحدةٍ وطنيةٍ مستوحاةٍ من آمالٍ ومثلٍ مشتركةٍ.

وبما أنهما ما زالاً بعد مرور قرونٍ على وجودهما معاً شعبين مختلفين.

وبما أنه بعد أن أدخل البريطانيون إلى الهند نظام الأكثرية السياسي على غرار الديمقراطية، الغربية القائمة على حكم الأكثرية بمعنى أن الأكثرية في قوم ما، أو في جماعةٍ ما تستطيع أن تفرض إرادتها على أكثريةٍ من قومٍ آخر أو جماعةٍ أخرى على الرغم من معارضة هذه الفئة، كما حدث خلال سنتين ونصف من حكم حكومات المؤتمر الهندوكي التي تشكلت في العهد البريطاني في الولايات التي أكثرية أهلها هندوسية، حيث خضع المسلمون فيها إلى ما لا يوصف من مضايقاتٍ وضغوط، مما أتى إلى قناعة المسلمين بطلان هذا النظام وعدم جدوى ما سُمي بالحماية الدستورية، وما جاء في التعليمات المعطاة إلى الحكام، وانتهى بهم الأمر إلى النتيجة الحتمية، وهي أنه إذ أقيم اتحاد (فيدوالي) في الهند فإن المسلمين، حتى ولو كانوا أكثريةً في بعض الولايات، لن يكونوا أحسن حظاً مع الهندوس، وأن حقوقهم لن تصان قط مع وجود أكثرية هندوكية دائمة في الحكومة المركزية.

وبما أن المسلمين مقتنعون بأن إنقاذ مسلمي الهند من السيطرة الهندوكية وإعطاءهم الإمكانية الكاملة لتطوير أنفسهم على قدر عقولهم لا تتم إلا بإنشاء دولةٍ مستقلة ذات سيادة تضمّ البنغال وأسام في الشمال الشرقي، وتضمّ البنجاب وولاية الحدود الشمالية والسند وبلوچستان في الشمال الغربي. لهذا بصّرح المؤتمر الإسلامي لجميع الهند، مركزاً وملحقات، في جلسته التشريعية، بعد أن أخذ بعين الاعتبار كل الأمور، بأن الأمة الإسلامية لن تخضع قط لأي دستور يقضي بوحدةٍ هندية، ولن تشترك بأية هيئةٍ دستوريةٍ ترمي إلى هذه الغاية، وأن أي حلٍ تعرضه الحكومة البريطانية لتحويل السلطة من الإدارة البريطانية إلى الشعب الهندي لا يتفق مع المبادئ التالية العادلة المدروسة لحفظ السلام الداخلي وهدوء البلاد لن يساهم في حلّ القضية الهندية. والحلّ هو:

١- أن تتشكل في المناطق المشتملة على البنغال وأسام في الشمال الشرقي ومن البنجاب ومنطقة الحدود الشمالية الغربية وولايات الهند وبلوچستان في الشمال الغربي من الهند (أي مناطق باكستان) حيث يشكل المسلمون الأثرية الساحقة، دولة مستقلة ذات سيادة وأن تتخذ التدابير الحاسمة لإقامة هذه الدولة دون تأخير.

٢- أن يسن كل من شعبي باكستان وبنغال ديموكراتياً دستوراً لنفسه منفصلاً عن الآخر يتفق مع مبادئه.

٣- أن تتمتع الأقليات في باكستان وبنغال بالحمائية التي نص عليها قرار المؤتمر الإسلامي لجميع الهند الصادر في ٢٣ آذار ١٩٤٠ م (١٤ صفر ١٣٥٩ هـ) في لاهور.

٤- إن قبول طلب المؤتمر الإسلامي بإقامة باكستان من غير تأخير هو شرط أساسي لتعاون المؤتمر في تشكيل الحكومة الانتقالية المركزية واشتراكها بها.

إن هذا القرار يعني بصراحة أن أية محاولة لفرض دستور لهندي موحدة أو اللجوء إلى أية تسوية مؤقتة، في المركز، خلافاً لطلب المؤتمر الإسلامي يجعل المسلمين أمام أمر واحد وهو المقاومة لمثل هذا الغرض بكل الوسائل الممكنة لضمان بقائهم العضوي.

وفي نهاية المؤتمر رُدد الجميع هذا الإعلان:

«إني أعلن بصراحة، في هذا المقام، عن اعتقادي الجازم بأن أمن وسلامة ومستقبل المسلمين في شبه القارة الهندية منوط بقيام باكستان، وهو الحل الوحيد العادل للقضية الدستورية، وهو الذي يجلب السلام والحرية والرخاء لجميع الشعوب والمجتمعات الموجودة في شبه القارة الهندية العظيمة.

وأرى من وحيي أن أؤكد بصراحة أنني سأنتقل بطيبة خاطر ودون تلعكبر

كل التوجيهات والتعليمات التي تصدر عن المؤتمر الإسلامي لعموم الهند لتحقيق أية حركة يتبناها بلوغ الهدف الوطني العزيز لباكستان.

وبما أنني أؤمن بعذالة قضيتي وصدقها فإنني أتعهد بأن أواجه أي خطر، وإن أقدم أية تضحية يُطلب مني تقديمها»^(١).

رَدَ مقترحات البعثة الوزارية:

اجتمع مجلس الرابطة في ٦ و ٧ رجب ١٣٦٥ هـ (٥ و ٦ حزيران ١٩٤٦ م) وبحث على الانتقادات التي وردت في بيان البعثة الوزارية لفكرة باكستان، وأكد أن دولة باكستان ذات السيادة هو هدف الرابطة الإسلامية الذي لا يمكن تغييره بحال من الأحوال.

ورفض غاندي الاقتراح، ورفض التوسيم وذلك في ١١ شعبان ١٣٦٥ هـ (١٠ تموز ١٩٤٦ م) إذ رأى أن السخ أعداء المسلمين الذين يكترون في شرقي البنغال سيكونون أقلية في القسم (ب) الذي يضم أكثرية مسلمة، فلا يمكن أن يُستفاد من عداوتهم للمسلمين. وصرح غاندي قائلاً: إن حزب المؤتمر يود أن يكون مُطلق الحرية والتصرف فيما يُقرره، ولنا لن نتنازل عن أي أمر من أمورنا لأحد.

(١) يلاحظ أن البارزين في المؤتمر كانوا أصحاب عواطف إسلامية، وأهل مصالح وديانة، وكبوا الموجة، وبرروا، ولم يكونوا أصحاب فكر وعقيدة، وهذا أصلاً خط القائلين على حزب الرابطة الإسلامية، وأما العامة فتشجع أيضاً بالعاملة، لذا لم يرد ذكر تطبيق الشريعة الإسلامية في دستور باكستان الذي سوسع، ولم يبحث هذا الموضوع. كما يلاحظ أنه لم يرد اسم ولاية كشمير التي تضم أكثرية مسلمة، فهل لأن حاكمها غير مسلم؟ وإذا كان كذلك فلماذا لم يرد ذكر الولايات التي يحكمها مسلمون مثل حيدرآباد وجوناكاد. كما يلاحظ أن ولاية أسام، والبنجاب الشرقية، والبنغال الغربية لم تدخل فيما بعد في الولايات التي شكلت باكستان، أخذاً باقتراحات البعثة الوزارية.

أكد نائب الملك وبعثة الحكومة في ١٧ رجب ١٣٦٥ هـ (١٦ حزيران ١٩٤٦ م) في بيان لهم ضرورة تشكيل حكومة هندية مُمَثَّلة للشعب بأقل تأخير ممكن. وفي الوقت نفسه وجه نائب الملك دعوة إلى أربعة عشر رجلاً من الأعيان للاشتراك في الحكومة المقترحة، وأنها ستضم خمسة من المسلمين ومثلهم من الهندوس وواحداً من النصارى، وواحداً من السيخ، وواحداً من المجوس (البارسي) وآخر من المتبذئين. وقد وافقت الرابطة على الاشتراك في هذه الحكومة على حين رفض حزب المؤتمر.

دعا نائب الملك نهرو لتشكيل حكومة مؤقتة قبل نهرو الذي رفض شروط الرابطة للاشتراك بالحكومة، فامتنع محمد علي جناح من المشاركة بالحكومة.

احتجت الرابطة الإسلامية، واحتج المسلمون في ١٩ رمضان ١٣٦٥ هـ (١٦ آب ١٩٤٦ م) وقامت مظاهرات في مدينة (كلكتا)، واصطدموا مع الهندوس، ووقع مائة قتيل من الطرفين. وسمع المسلمون في مدينة (بومباي) فخرجوا بمظاهرات، وخشي نائب الملك مغية ذلك، فطلب مشاركة الرابطة، وتوسط أمير بهوبال، وفشلت الوساطة.

تدخل نائب الملك، وطلب من محمد علي جناح ترشيح خمسة أسماء. ثم اختلفوا على توزيع الوزارات، فأراد حزب المؤتمر الهندي وزارات الداخلية، والخارجية، والمالية، والتجارة، ولكن تدخل نائب الملك، وأعطى حزب الرابطة وزارتي المالية والتجارة، وقدم محمد علي جناح لهاتين الوزارتين (أصف علي) وزوجته هندوسية، وأحد المشوقين.

وامتدت الفتنة إلى الهند كلها، وخاصة ولاية (بيهار) حيث اشتد القتال، فعمل الهندوس على قتل كل من يتسب إلى حزب المؤتمر من المسلمين، فنكب أكثر من خمسة ملايين مسلم. كما أخذ الهندوس يفتكون

بالتجار القادمين من دلهي للبيع في مناطق أحياء الهندوس، ولم يستمع أحد لتداعيات الهدوء.

دعا رئيس الوزراء البريطانية إلى لندن محمد علي جناح ولياقت علي خان عن المسلمين، ونهرو وبيل عن الهندوس، وبالدليف ستغ زعيم السيخ، للمشاورة.

رفض نائب الملك والبعثة تشكيل الحكومة وعادت البعثة في ٣٠ رجب ١٣٦٥ هـ (٢٩ حزيران ١٩٤٦ م) إلى أوروبا.

وكانت قد عقدت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية ومجلسها اجتماعاً في مدينة بومباي في الأول من رمضان ١٣٦٥ هـ (٢٩ تموز ١٩٤٦ م) حيث سحب المجلس موافقته السابقة على مقترحات بعثة الحكومة، وتنادى في بيان آخر أصدره أيضاً بالحكومة البريطانية وحزب المؤتمر، وأعلن أن الوقت قد حان للعمل المباشر لتحقيق هدف إنشاء باكستان.

وفي ١٥ رمضان ١٣٦٥ هـ (١٢ آب ١٩٤٦ م) دعا نائب الملك الزعيم الهندي بانديت نهرو ليبحث معه تشكيل حكومة مؤقتة فوراً، وتألقت الحكومة مباشرة برئاسة نهرو، وضمت اثني عشر عضواً بينهم ثلاثة من المسلمين، وأقسمت البعثة الدستورية في ٥ شوال ١٣٦٥ هـ (الأول من أيلول ١٩٤٦ م)، ونتيجة موقف حزب المؤتمر فقد اندلعت الاضطرابات وسجوات العنف في أنحاء الهند جميعها.

وفي ٢ محرم ١٣٦٦ هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٦ م) طلبت حكومة صاحب الجلالة من نائب الملك أن يسافر إلى لندن بالطائرة مع ممثلين عن حزب الرابطة، والمؤتمر، وطائفة السيخ للمشاورة. فسافر بعد أربعة أيام ومعه محمد علي جناح، ولياقت علي خان، ونهرو، وبالدليف ستغ، وجررت المناقشات حول مقاطعة الرابطة الإسلامية للمجلس التأسيسي.

استمر التراجع بين الرابطة وحزب المؤتمر، ووجدت بريطانيا أنه لا

فأثمة من استمرار المفاوضات مع المسلمين والهندوس فأعلن رئيس الوزارة البريطانية (كلميت أنلي) في ٢٩ ربيع الأول ١٣٦٦ هـ (٢٠ شباط ١٩٤٧ م) أن الحكومة البريطانية قررت تسليم السلطة إلى الهنود في تاريخ لا يتجاوز (شهر حزيران من عام ١٩٤٨ م) شعبان ١٣٦٧ هـ.

استدعي نائب الملك اللورد (ويغل) وعيّن مكانه اللورد (مونتباتن)، وقد غادر (ويغل) الهند في الأول من جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٧ م).

جاء (مونتباتن) إلى الهند للإشراف على تنفيذ هذه القضية ومعه التعليمات الكافية لإنشاء حكومة موحدة. وعندما وصل إلى الهند أعلن أنه من أنصار فكرة وحدة الهند، وحاول إقناع زعماء الهندوس بطريقة فلم ينجح، وحصل على عكس رغبته، ثم ذهب إلى لندن في ١٠ رجب ١٣٦٦ هـ (٣٠ أيار ١٩٤٧ م). ليحت خطة جديدةً بديلة.

الخطة الجديدة: أعلن رئيس وزراء بريطانيا في (١٤ رجب ١٣٦٦ هـ - ٣ حزيران ١٩٤٧ م)، أكد فيها أنه ليس للحكومة البريطانية أي نية لوضع دستور نهائي للهند، فهذا أمر من شأن الهنود أنفسهم، كما أنه ليس في الخطة شيء يحول دون إجراء مفاوضات بين الحاليات من أجل توحيد الهند. كما أنه ليس في نية الحكومة قطع أعمال المجلس التأسيسي.

ومن المعلوم أن الرابطة الإسلامية لم تشارك في أعمال المجلس التأسيسي، وترى الحكومة البريطانية أن هذه الخطة قد تدفعها للمساهمة وإرسال مبعوثيها.

وفي الخطة تقسيم البنغال، وأخذ إقليم سيلهت من أسام وضمه إلى البنغال الشرقية، وكذلك تقسيم البنجاب.

وترى الخطة السرعة ونقل السلطة فوراً، على أساس أن الموعد المشروط غداً قريباً وهو شعبان ١٣٦٧ هـ (حزيران ١٩٤٨ م).

اجتمع مجلس الرابطة الإسلامية في مدينة دلهي في ٢١ رجب ١٣٦٦ هـ (١٠ حزيران ١٩٤٧ م)، وأعرب عن ارتياحه لإيقاف العمل بخطة البعثة الوزارية، ولكنه لم يستطع أن يقر تقسيم البنجاب، والبنغال كما جاء في الخطة الجديدة، غير أنه أعطى الصلاحيات لمحمد علي جناح بالتصرف وقبول المبادئ الجوهرية الواردة في الخطة.

اجتمعت لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند في ٢٥ رجب ١٣٦٦ هـ (١٤ حزيران ١٩٤٧ م) وقررت الموافقة على هذه الخطة.

وصوتت كل من البنغال الشرقية، والبنجاب الغربية، والسند، وبلوشستان، وإقليم الحدود الشمالية الغربية إلى جانب باكستان.

وفي ٢٥ شعبان ١٣٦٦ هـ (١٤ تموز ١٩٤٧ م) قُدّم إلى المجلس النهائي البريطاني قرار استقلال الهند مؤلفاً من عشرين مادة وثلاثة جداول. وقد أقر مجلس العموم القرار في اليوم التالي، وأقره مجلس اللوردات بعد يوم أيضاً، وحاز القرار على التصديق الملكي في ٢٩ شعبان ١٣٦٦ هـ (١٨ تموز ١٩٤٧ م)، وقد جاء فيه: «نشأ اعتباراً من ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) دولتان مستقلتان من طراز (الدومينيونات)»^(١) في الهند، تعرف إحداهما بـ (الهند) وتانيتهما (باكستان)، وسيكون في كل دولة حاكم عام يدير الدومينيون يتم تعيينه من قبل صاحب الجلالة. أما المقاطعات الأخرى والإمارات فلم يكن للهند رأي واحد، وإنما عدة آراء حسبما تقتضي مصلحتها، فترى في بعض المقاطعات أن ينظر إلى رأي السكان وذلك حينما يكون الحاكم غير هندي، أو عندما تكون أغلبية

(١) الدومينيونات: مستعمرات لها نظام حكم ذاتي، حيث يكون للمستعمرة استقلالها الداخلي، وحكومتها الخاصة، ومجلسها النهائي مع بقاء ارتباطها بالناح البريطاني، وخضوعها للإشراف الحاكم العام الذي تنبئه بريطانيا، وهذا النظام أوجدته إنكلترا، وهو خاص بمستعمراتها.

السكان من الهندوس، على حين ترى في مقاطعات ثابته أن ينظر إلى رأي الحاكم وذلك عندما يكون الحاكم هندوسياً متعاطفاً مع أبناء عقيدته أو عندما لا تكون الأكثرية للهندوس. أما نائب الملك (مونتباتن) فكان يرى أن تلتحق هذه المقاطعات بالإمارات بإحدى الدولتين، كما يمكنها أن تبقى مستقلة. وقد نشأ خلاف حول وضع بعض المقاطعات، وهي:

١ - جوناكاد:

وهي مقاطعة ساحلية في غربي الهند، في شبه جزيرة كوجرات، تبلغ مساحتها حوالي ثمانية آلاف كيلو متر مربع، يحكمها أحد المسلمين، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٪ من مجموع سكان المقاطعة البالغ عددهم ثلاثة ملايين.

وقد رأى الحاكم أن ينضم إلى باكستان، غير أن الهند عارضت ذلك، فاقترح إجراء استفتاء، فعارضت الهند ذلك أيضاً، وأرسلت إلى المقاطعة قوة كبيرة اكتسحت أرضها، وضمتها إليها، وطردت الحاكم المسلم، ورضيت إنكلترا بهذا، وسكت عنه ثم باركة.

٢ - حيدر أباد:

وتقع في هضبة الدكن، وسط الهند، تبلغ مساحتها ثلاثمائة وخمسين ألف كيلو متر مربع، أي أكبر من مساحة بلاد الشام، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة عشر مليوناً، يحكمها رجل مسلم. وقد رأى في بداية الأمر أن يلتحق بباكستان، ثم قدر بعد بلائه عنها، فرأى أن يبقى مستقلاً، ولكن الهند رفضت هذا الرأي، فاقترح الاستفتاء مع أن نسبة المسلمين في حيدر أباد لا تزيد على ١٠٪ من مجموع سكان المقاطعة فرفضت أيضاً هذا الرأي، ورفضت استفتاء تقسيم به الأمم المتحدة، وأدعت الهند حججاً وأهية، ثم قامت بهجوم كاسح على مقاطعة حيدر أباد في ١٢ شوال ١٣٦٧ هـ، واحتلتها بعد مقاومة ضئيلة، بعد وفاة محمد علي جناح

بيومين. ورضيت إنكلترا، وسكت الأمم المتحدة، وهل كان بالإمكان أن يحدث هذا فيما لو احتلت باكستان إحدى هاتين المقاطعتين أو إحداهما؟

٣ - كشمير:

ستفرد لها الفصل التالي - إن شاء الله - لما لها من أهمية، ولاستمرارها مشكلة قائمة، وتقع الخلافات والصراعات بل والحروب بين هند وباكستان بسببها.

٤ - نيال، وبوتان، وسيلان، وسكيم:

هذه مقاطعات لم تدخل ضمن التقسيم، وإنما شكلت دولاً مستقلة، وتضم نسبة من المسلمين، ويمكن الرجوع إليها في الجزء [٢٢] من هذا الكتاب، وهو الجزء المخصص للأقليات المسلمة في العالم، ولكن انضمت «سكيم» إلى الهند عام ١٣٩٦ هـ.

٥ - غوا:

احتفظ البرتغاليون بهذا الميناء على الساحل الغربي، وهو من المستعمرات الأولى التي أسسها المستعمرون الصليبيون البرتغاليون.

٦ - بونديشيري:

احتفظ الفرنسيون بهذا الميناء الواقع على ساحل الهند الشرقي، وهو من المراكز الرئيسية التي أسسها الفرنسيون في بلاد الهند.

ويمكن أن توضح بعض الجداول آثار التقسيم الذي تم:

مساحة الهند قبل التقسيم	٤.٣٦٠.٠٠٠ كيلو متر مربع
عدد سكان الهند قبل التقسيم	٤٤٠.٠٠٠.٠٠٠ مليون نسمة

وقد قسمت على الشكل الآتي:

الجيتيون ^(١)	٢,٠٠٠,٠٠٠	٪٠,٦
الراجبوت ^(٢)	٣,٢٤٠,٠٠٠	٪٠,٨
البيوفيون ^(٣)	٢١٠,٨٠٠	
البارسيون ^(٤)	١٢٦,٠٠٠	
اليهود	٤٤	
	٣٥٦,٠٠٠,٠٠٠	٪١٠٠

"٢ - في باكستان:

المسلمون ^(٥)	٧٣,١٢٣,٠٠٠	٪٨٨,١
الهندوس ^(٦)	٨,٩٦٤,٠٠٠	٪١٠,٨

لهم (راجبت سلخ) دولة في السنجاب عام ١٢٢٤ هـ، وتركت العلامة بينهم وبين الإنكليز، واشتركوا معهم في الحرب ضد الأفغان، وانتهت هذه الدولة بموت مؤسسها (راجبت سلخ) عام ١٢٥٥ هـ.

(١) الجيتيون: يعثون أصغر الحضارات وأقربها وكل ما في الطبيعة من ذي الروح إلى فيه صفة الأروحية لذا لهم مقدسونه ومعنونه من الأذى.

(٢) الراجبوت: ويعشون في المنطقة المسماة باسمهم، ويعتقدون أنهم منحدرين من النار، وربما ادعى بعضهم أنه مسلم، وأدى آخره بوتي.

(٣) البيوفيون: وهم قلة يعيشون في شمالي البلاد، في سفوح جبال هيمالايا، يحرمون القتل، غير أنهم يأكلون اللحم.

(٤) البارسيون: أو الفرس، وهم من أتباع زرادشت، ويعرفون بالمجوس، وهم من عبدة النار ويقم معظمهم في مدينة (بومبي) وما حولها.

(٥) تختلف نسبة المسلمين بين حاضي باكستان إذ تبلغ ٨٠٪ في الجناح الشرقي بينما هي ٢٩٧,٢٪ في الجناح الغربي، ولكن تسجل بينهم - مع الأسف - طائفة

الإسماعيلية التي تركزت في مدينة كراتشي، وهي بالأصل ليست من المسلمين، وكذا فرقة القاديانية التي تركزت في مدينة لاهور، وهي جماعة كاثرة لا تمت إلى الإسلام بصلة. ومعظم الشيعة يتركزون في الجناح الغربي.

(٦) الهندوس: ويتجمعون في الجناح الشرقي من باكستان، وتصل نسبتهم هناك إلى

الدولة	المساحة	السكان
جمهورية هندستان	٣,٢٦٢,٠٠٠	٣٥٦,٠٠٠,٠٠٠
جمهورية باكستان	٩٤٣,٠٠٠	٨٠,٣٠٠,٠٠٠
ولاية كشمير	١٥٥,٠٠٠	٣,٧٠٠,٠٠٠
	٤,٣٦٠,٠٠٠	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد بقيت أقليات في كلتا الدولتين اللتين نشأنا عن هذا التقسيم وهي أقليات ذات نسبة عددية بحسب لها حساب.

"١ - في هندستان: كانت المجموعات العرقية في جمهورية هندستان إثر التقسيم كما يأتي:

الهندوس	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٪٨٤
المسلمون	٤٢,٧٣١,٩٩٦	٪١٢
التصاري ^(١)	٥,٥٩٢,٤١٩	٪١,٥
السيخ ^(٢)	٤,١١٤,٧٤٦	٪١,١

(١) تنتشر التصارية بشكل خاص على السواحل، وفي دعلي، وتقيم أكثر أتباعها في ولاية (ترافكور) في جنوبي الهند، حيث يُشكلون ثلث السكان، ثم في مدراس، وقد نشطت الإرساليات التصارية أثناء الاستعمار الهندي.

(٢) السيخ: أسس عقيدة هذه الفرقة الفلاسفة (غورو) أي المعلم متأزراً بالهندوسية والإسلام، في أواخر القرن العاشر الهجري، وقد منحها السلطان (أكبر) عام ٩٨٦ هـ (١٥٧٧ م) قطعة من الأرض بنيت عليها مدينة (أمريتسار)، وهي مكان مقدس عند السيخ، ويزيد عددهم على عشرة ملايين، ويحرمون قتل البشر وخاصة الشارب واللحم. وقد مؤسس هذه العقيدة بالقرب من مدينة (لاهور)، ويُدعى أتباعه أنه ذهب إلى مكة حاجاً، وقرأ القرآن، وهناك عرف أنه إله، وتقام

٠.٨%	٦٦٤,٠٠٠	النصاري (١)
٠.٢٩٩%	٢٤٩,٠٠٠	اليونانيون (٢)
٠.٠٠٦%	٥١,٠٠٠	المجوس (٣)
١٠٠%	٨٣,٠٠٥,٠٠٠	

لم يتمّ التّقسيم بسهولة فقد عمل الهنالك على تفرّيق شحنات من حقدّهم في الوقت قبل أن يفلت المسلمون من أيديهم، وتقام الحدود كحواجز تمنعهم من الوصول إلى أهدافهم. فقد وقعت صدامات أشد من المذابح التي وقعت قبل التّقسيم حيث أحرق الهندوس والسيخ القطارات التي تنقل المسلمين من المناطق التي مستخضع للحكومة الهندية إلى المناطق التي ستحمل اسم باكستان. وقامت الفتن في البنجاب الشرقية التي معظم سكانها من الهندوس والسيخ، وقد فصلت عن باقي البنجاب التي عُرفت باسم البنجاب الغربية والتي أصبحت ضمن دولة باكستان، واستمرّت الفتن حتى خرج المسلمون جميعاً من هذه المقاطعة «بنجاب الشرقية» وتعرّض المسلمون أثناء ذلك للقتل والحرق وسي النساء في المدن والقرى ومحطات السكك الحديدية، وربما يصعب تفصيل هذه الأحداث لكنّيتها ولما فيها من مآسي تقشعر لها الأبدان، ويندى لها جبين الإنسانية، وعمّت هذه الحوادث أكثر المناطق، وخاصة دهلوي، وفي بنجاب الشرقية حيث قتل مائتا ألف مسلم خلال يومي ١٤ و ١٥ شوال ١٣٦٦ هـ في مدينة أمرتسار.

- ١٨.٤% من مجموع سكان تلك الجناح، بينما يشكلون ١.٦% في الجناح الغربي.
- (١) النصاري: ويتركزون في باكستان الغربية لم أعلوا بالأزدياد في باكستان الشرقية.
- (٢) اليونانيون: ويضمّون في الجناح الشرقي.
- (٣) المجوس: وجنّهم في الغربية في مدينة كرانشي.

الباب الثاني

ولاية كشمير

كشمير

تعريف:

إن لكشمير أهمية خاصة في هذه الظروف فهي بالإضافة إلى كونها منطقة نزاع بين دولتين من كيريات دول آسيا، وهما باكستان والهند، ويمكن أن يتفجر الصراع بينهما في كل وقت، وتقع الحرب بسبب كشمير بصورة مفاجئة كما حدث عام ١٣٨٥ هـ. فهي تقع أيضاً في منطقة تناخم دولاً من أكبر دول العالم وهي: الإمبراطورية الروسية، والصين، ولكلٍ منهما رأي في النزاع الباكستاني - الهندي ومصالح تقتضي بأن يساعد كل منهما طرفاً دون الآخر، وربما جرّ هذا الوضع هذه الدول إلى حرب عالمية. هذا بالإضافة إلى المذابح التي تحدث فيها بين العدة والأخرى، والتي تهزّ العالم بوحشتها، ويتطلّع الناس لمعرفة أسبابها وأبعادها.

كشمير منطقة جبلية تقع بين الصين شرقاً، وباكستان غرباً، وبين باكستان والهند جنوباً، والصين وأفغانستان شمالاً، تنتصب في شرقها جبال (قره قورم) التي ترتفع قممها إلى أكثر من ثمانية آلاف متر، كما ترتفع جبال (لداخ) و(زسكار) في الجنوب الشرقي إلى ستة آلاف متر، وجبال (هيمالايا) التي ترتفع في هذه المنطقة إلى خمسة آلاف متر، وتمتدّ في الشمال الغربي جبال (هندكوش)، وفي الغرب يوجد وادي (كشمير) في الشمال، ووادي (جمو) في الجنوب، وبينهما جبال (بانجال)، وبعدّ هذان الواديان تمتدّ سهول باكستان.

والمناخ بارد جداً في فصل الشتاء لطبيعة البلاد الجبلية، إذ تغطي الثلوج الجبال أكثر أيام العام، أما الصيف ف معتدل في الجبال حار في الأودية. وتجري الأنهار في هذه المنطقة، وإن كانت الأمطار غير ثابتة الغزارة، فقد تهطل بكثرة وتفيض الأنهار، أو تنسحب في سنوات أخرى، وينخفض منسوب المياه، وأشهر هذه الأنهار نهر (السنڌ) الذي يخترق منطقة (الداخ) و(زسكار)، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرقده نهر (جلحت) ثم يدخل باكستان، ويتجه نحو الجنوب الغربي. ونهر (جهلم) الذي يمر في وادي (كشمير)، ويدخل باكستان، ويرقد نهر (السنڌ). ونهر (شباب) الذي يمر في وادي (جمو)، ويدخل باكستان، ويرقد نهر (السنڌ) أيضاً.

تعدّ بلاد كشمير زراعية بالدرجة الأولى حيث تقوم المزارعات في الأودية، وعلى سفوح الجبال. ومن الزراعات ما هو مروّي، ومنها ما يعتمد على ماء المطر، وأشهر المزارعات: (الرز وهو الغذاء الرئيسي للسكان، وتعدّ كشمير، والبنغال، والسنڌ أهم مناطق زراعة الرز في شبه القارة الهندية، ثم هناك القمح، والشعير، والذرة، والقطن، والتوت الذي تربى عليه جودة القز لإنتاج الحرير، والزعفران، والشع، وتقوم زراعة مختلف أنواع الفاكهة التي تحتاج إلى منطقة باردة كالنخاع، والدراق، والخوخ، وتعدّ باكستان سوقاً لفاكهة كشمير.

وتغطي الغابات مساحات لا بأس بها من البلاد، وتقدّم ٢١٪ من مجموع واردات كشمير، إذ تصدّر ٩٠٪ من أخشابها، وتستهلك ١٠٪ فقط، وترسل الفائض بواسطة الأنهار إلى غربي البنجاب.

وتقوم في البلاد الصناعة اليدوية، وأشهرها الحياكة، والنقش على الخشب، وصناعة الفضة، ولها في ذلك شهرة عالمية. ونسج الحرير، ويوجد في العاصمة (سرينغر) معمل للحرير من أكبر مصانع العالم. ويتكلم السكان لغةً جبليةً خاصةً، تشبه لغة البنجاب إلى حدّ ما، وهي من أصل سنسكريتي، وترى فيها أثراً واضحاً من اللغة الفارسية.

يلبس الرجال عمائم حمراء، وسراويل خفيفة على الأرجل، أما النساء فيساعدن الرجال في أعمال الزراعة، ويلبسن جلابيب فضفاضة، ويضعن على رؤوسهن قلمسوة، تُسَمَّى «قُضَابَة»، وملاحة تربط بالفلنسوة. أما حديثاً فأصبح الرجال والنساء يلبسون الأزياء العصرية، أو يلبس الرجال «الشيرواتي» أي زي مسلمي باكستان، أما النساء فيلبسن الزي الهندي للنساء المعروف بـ«الساري».

ويحمل السكان في الشتاء معهم المدافئ، من شدّة البرد، وتستعمل هذه المدافئ في البيوت، وتصنع من الطوب، ويحاط بها كساء خشبي من الخارج.

ولون بشرة السكان الأبيض، وهم أذكياهم بالفطرة، ضخام الأجسام، وأشهر قبائلهم: الشيخ، السيد، المغول، الباتان، وهذه قبائل إسلامية، أما قبائل الهنالك فأشهرها: البانديت، وريشي، وقبائل البانديت متعصبون جداً للبراهمية.



وصل المسلمون إلى شمالي بلاد الهند منذ القرن الثاني للهجرة، وفتحوا أكثر المناطق الشمالية باستثناء كشمير لمناعتها الجبلية، واستمر الهنالك يحكمونها، وتنتشر فيها البوذية تارةً، وينسحب أفرادها نحو الصين تارةً أخرى حتى أيام التتار، وفي هذه الأثناء حاول محمود الغزنوي فتحها، فلم يُقدَّر له. وفي أواخر القرن الثامن الهجري اعتنق ملكها البوذي (ريغن شا) الإسلام على يد الداعية (بليل شاه)، وسَمَّى نفسه (صدرالدين)، وكان هو الحاكم المسلم الأول على كشمير، وأسلم معه عدد غير قليل من الرجال الكبار في مجالات الحياة المختلفة، كما أسلم عدد كبير من سكان الولاية، وابتدأ الإسلام ينتشر في تلك الأرجاء، وابتدأ معه تاريخ كشمير يدخل مرحلةً جديدةً، حيث تحلَّص السكان من اضطهاد الهنالك، واستمرَّ الحكم الإسلامي فيها حتى عام ١٢٣٤ هـ حيث استولى عليها الشيخ

عندما دخل تيمور الهند عام ٨٠١ هـ كان يحكم كشمير الملك (إسكندر) منذ عام ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) فلم يغزها تيمور، وإنما أرسل إلى حاكمها الملك إسكندر فلبين هديةً منه لما سمعه من حسن معاملته لرعيته. ولما حكم الملك (أكبر) الهند (٩٦٣ - ١٠١٤ هـ) بسط نفوذه على كشمير عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٧ م)، وأصبحت مدينة اسرنترة عاصمة كشمير مقراً لنائب الملك، واستمرَّ حكم المغول لكشمير حتى عام ١١٦٤ هـ (١٧٥٢ م)، وشهدت البلاد خلال هذه المرحلة أفضل أيام تاريخها.

وجاء الأفغان بعد أن ضعف الحكم المغولي، وسيطروا على كشمير، واستمرَّ حكمهم لها مدة تسع وستين سنة (١١٦٤ - ١٢٣٤ هـ) حيث ضعف حكمهم للتدخل الإنكليزي في شؤون الأفغان، وتمكَّنت مجموعة السخ من فرض سيطرتها على كشمير.

حكم الشيخ كشمير مدة ثمان وعشرين سنة (١٢٣٤ - ١٢٦٢ هـ)،

وكان عهداً أسود على البلاد حيث انتشر الظلم وسوء المعاملة، وكان التعصب قوياً ضد المسلمين، فأهقرت الدماء ظملاً، وأهقرت المساجد، واستعمل بعضها اصطفاً للخيل، وقام المسلمون بعدة ثورات ضد السخ، ثم جاء الإنكليز وأخذوا كشمير من السخ عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م).

باع الإنكليز كشمير بمبلغ سبعة ملايين ونصف المليون روبية إلى أسرة (الدوغرا)^(١) لمدة مائة سنة ميلادية (١٨٤٦ - ١٩٤٦ م) بموجب اتفاقية عرفت باسم (اتفاقية أمريتسار) إذ وقعت الاتفاقية في مدينة أمرتسار قاعدة السخ. وكان من الطبيعي أن يدبَّ الفزع في قلوب الشعب الكشميري الذي يُشكِّل المسلمون معظمه، لذا وجد الإنكليز أنه من الضروري - مكرراً وخذاعاً - أن يحصلوا على تعهد من (الدوغرا) بأن يحكموا رعيته المسلمة بالعدل، وكان كل حاكم من هذه الأسرة يتولَّى الأمر يأخذ على نفسه هذا التعهد، غير أنه لم يكن سوى كلام مكتوب على الورق، على حين كان الظلم هو السائد.

وظلَّ المسلمون طيلة قرن كامل مكبلين بأغلال العبودية في بلاد استحوذ عليها حكامها من أسرة (الدوغرا) عن طريق الشراء، وعدوها ضيعةً خاصةً، ولم يكن وجود الحكومة إلا خدمة لأغراض (المهراجا)^(٢) وأطماعه، ومن أجل ذلك فرَّضت الضرائب الفادحة على أبناء الشعب، واستنزفت ثمار كدهم، وأقوات يومهم، ولم يكن يستثنى من ذلك أي شخص مهما كان فقيراً أو معدماً أو ضعيفاً بالأسأ. فإن أسرة (الدوغرا) دفعت الثمن لتحصيل على أضعافه دون أية نظرية إنسانية، ولتستبدَّ بالسكان دون أية عاطفة أو رحمة، ومن غير النظر إلى أية قيمة من القيم الأخلاقية أو الإنسانية إذ كان

(١) الدوغرا: فرع من قبيلة الراجبوت، كانوا يلقنون مقاطعة (جمو)، وتتوصل أحد رجالهم إلى حكمها، ويميل أكثر أفرادها بالجنسية ارتزاقاً.

(٢) المهراجا: لقب هندوكي يُطلق على الحاكم.

الحكام يتصرفون بالناس كأنهم عبيد عندهم، ووجدوا لخدمتهم وتحقيق رغباتهم وشهواتهم.

ولقي المسلمون أشد أنواع الاضطهاد والتنكيل، فهم ليسوا على عقيدة (المهراجا) ولا من جنسه، لذلك حُرِّموا من الوظائف الإدارية كبيرها وصغيرها. وبينما كان الهنالك أحراراً في حمل السلاح كان على المسلم أن يواجه عراقيل كثيرة ومصاعب جمّة للحصول على رخصة حمل سلاح. وإذا ما أسلم الهنودكي فقد أملاك آباءه، وإذا ما ارتدَّ المسلم أتاحت له فرص المعيشة على أحسن وجه، وكان هناك قيود مفروضة على كثير من شعائر دينه فمثلاً كان ذبح البقرة لأكلها أو لتقديمها أضحية في العيد الأصغر يُعدُّ جريمة كبرى يُحكم على مرتكبها بالإعدام، ويُلقي هذا الحكم حتى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) حيث خفف إلى السجن عشر سنوات من الأشغال الشاقة. وهكذا عاش ٨٠٪ من الشعب الذي يحكمه (المهراجا) في بؤسٍ وشفاهٍ وفقرٍ مذقِعٍ، وساد الولاية الإرهاب والظلم^(١)، وأربقت الدعوى والدعاء مداراً، واضطر آلاف السكان إلى الهجرة من مواطنهم إلى ولاية البنجاب حيث وجدوا الأزدهار والتعميم بالنسبة إلى ما كانوا عليه. وكان (المهراجا) يمنع صدور الصحف، ويُعطل بعضها. وأهانت حكومة (المهراجا) شعور المسلمين، وأجبرت بعضهم على السجود للأصنام قسراً، فقامت ثورة عام ١٣٥٠ هـ، وجاء المتطوعون إلى كشمير، ولم تهدأ الثورة إلا بتزول الجيش الإنكليزي الذي نزل ليُساعد الظلم ويحميه، ويثني على جهوده، ويعمل على إخماس المظلوم ومنعه من طلب الإنصاف، وليقول له: إن المسلم لا حق له في هذه الحياة فإن أرادها فهو ليس سوى عبيد ما بقي على عقيدته.

(١) حوالي ثمانية وعشرون رئيس ووزارة على كشمير خلال قرن من الزمن هو مدة حكم أسرة (الدولت) لم يكن بينهم مسلم واحد. وأن الجيش كان مؤلفاً من ثلاثة عشر فوجاً، ولا يلبس سوى فوج ونصف من المسلمين رغم أن نسبتهم ٨٠٪ من مجموع سكان الولاية.

وعندما أسس محمد علي جمعية الخلافة نشأت لها فروع في ولايات الهند كلها، وكان (ميرواظ يوسف شاه) من أشهر علماء كشمير من بين الذين ساهموا في ظهور تلك الجمعية، وهذا ما ساعد على نموشيء من الوعي السياسي، إضافة إلى ما وقع من أحداث متلاحقة، إذ هُدم الهنالك مسجداً في بلدة (رياسي)، ومنعوا جمعاً من المسلمين في بلدة (كوتلي) من إقامة الصلاة، وفي (جمو) دُنس ضابط أمن هنودكي المصحف الشريف، واعتقل في مدينة (سرينغر) مسلم يُدعى عبدالقدير لانتقاده السياسة الدينية غير المنصفة، كل ذلك أثار حمة المسلمين فعدوا عدة اجتماعات لبحث مشكلاتهم.

بعد إلغاء الخلافة:

نشأ من اجتماعات المسلمين تشكيل المؤتمر الوطني الإسلامي برئاسة الشيخ محمد عبدالله، ورغم هذا العنوان الإسلامي الواضح إلا أنه ضمَّ عدداً من الهنالك، وحضر الجلسة الأولى التي كانت عام ١٣٥١ هـ لربعمائة ألف رجل، وهذا إن دنا على شيء وإنما بدأ على نفقة الشعب على (المهراجا) وسياسة وحكومة. ولكن بعد مدة اتته المسلمون إلى أن مؤتمرهم كانه فرع من حزب المؤتمر الهندي، وأن الشيخ محمد عبدالله ليس سوى متقلِّد لتعليمات الزعيم الهندي (جواهر لال نهرو) لذا رجعوا إلى أنفسهم وشكّلوا المؤتمر الإسلامي الكشميري الذي ابتثت عنه (جهة تحرير جمو وكشمير) أو أنها كانت الحناج العسكري له، واختير (شودري غلام عباس) رئيساً للمؤتمر الإسلامي، والذي دعا من أول يوم إلى إنقاذ هذه الولاية من براثن الملك الهندوسي (هري سنغ)، وانضمامها إلى دولة باكستان التي قدّم فكرة إنشائها الشاعر محمد إقبال في مؤتمر الرابطة الإسلامية في مدينة (إك آباد) عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)، وأعلن رئيس المؤتمر الإسلامي أن هذا هو هدف حركته. ومع أن الحركة كانت إسلامية واضحة في عنوانها وأهدافها إلا أن رعايتها كانت تشمل جميع أبناء الشعب الكشميري إذ كانت تُقدّم المساعدات للطلبة الكشميريين المستحقين من المسلمين ومن غير المسلمين على حدٍ سواء.

ولما رأى الهندوس النجاح الكبير الذي حققه المؤتمر الإسلامي، والتجاوب السكاني الواسع معه عملوا على تأسيس فرع لحزب المؤتمر الهندي في كشمير، وذلك بالتعاون بين الحاكم الهندوسي (هري سنغ) وحزب المؤتمر الهندي المركزي الذي كان برئاسة (جواهر لال نهرو)، وكان ذلك عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م). وكان هدف هذا الحزب الهندي ضمَّ ولاية كشمير إلى الهند منذ الآن، والسعي لتكون إلى جانب هندستان فيما إذا انفصلت باكستان واستقلت. والواقع أن هذا الحزب الجديد لم يكن سوى المؤتمر الوطني برئاسة الشيخ محمد عبدالله يبرز صراحةً بأهدافه، وجعل شعاره وأحرجوا من كشمير، ويخصد بها أسرة (الدوگرا) على غرار شعار حزب المؤتمر الهندي وأحرجوا من الهند، وبني الإنكليز.

وكان في عام ١٣٦٣ هـ حزبان رئيسيان في ولاية كشمير.

- ١ - حزب المؤتمر الإسلامي برئاسة (شودري غلام عباس)، وهو على صلة مع حزب الرابطة الإسلامية.
- ٢ - حزب المؤتمر الوطني برئاسة الشيخ (محمد عبدالله) ويأتمر بأوامر حزب المؤتمر الهندي، أو هو فرع منه.

وفي عام ١٣٦٣ هـ زار محمد علي جناح كشمير، والتقى بأعضاء الحزبين، وحاول التوفيق بينهما، والعمل على ضمَّ حزب المؤتمر الوطني إلى حزب المؤتمر الإسلامي فرفض الشيخ محمد عبدالله ذلك.

وفي عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٤ م) قامت الثورة، وقاطع الحزبان المهراجا، وحكم على الشيخ محمد عبدالله بالسجن مدة ثلاث سنوات، وأرسل (نهرو) محامياً من حزب المؤتمر الهندي هو (أصف علي) ليدافع عن الشيخ محمد عبدالله.

وكان في كشمير عالمان هما: (مير واعظ محمد يوسف شاه) الذي أسس جمعية (نصرة الإسلام)، وهي أكبر جمعية تعليمية، وكان هذا العالم معروفاً بكرامته لفرقة القاديانية الضالة، والمتعاونة سياسياً مع المستعمرين

الصليين الإنكليز. أما العالم الثاني فهو (مير واعظ همداني)، فهو وإن كان على علم غير أنه مغل، واستغل المستغلون غفلته، وأعطوه معلومات خاطئة عن القادريّة، فكان يعطف على أتباعها، وكانوا على صلة حسنة به، وكان الشيخ محمد عبدالله رئيس حزب المؤتمر الوطني يُؤمّد واعظ همداني، ويستغل غفلته، ويقدمه أحياناً فيستطيع أن يخلق بعض الناس بوجود عالم إلى جانبه، وسيره إلى جانب أهل العلم، وهذا ما يقع - مع الأسف - في كثير من الجهات، حيث تستغل غفلة العلماء أو جهلهم، فيُسَيِّرون في كل اتجاه.

الاحتلال الهندوسي:

عندما تفرّز تقسيم الهند، وتمّ الاتفاق على ذلك، وافق الهندوس ظاهراً على هذه الاتفاقية، ولم يرضوا عنها ضمناً، وانتظروا الظروف والأحداث لتقضها، والتحكّم بالمسلمين - حسب قناعتهم - وقد صرح بهذا (جواهر لال نهرو) سياسي بريطاني في حديث معه عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) حيث قال: استنوم بالموافقة على مطالبة محمد علي جناح لإقامة دولة باكستان المستقلة، ولكن سقوم فيما بعد بإيجاد السبل التي ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ويطلبون بالانضمام إلى الهند^(١).

وفي تلك الأيام قرّر المؤتمر الإسلامي الذي كان يُمثّل الشعب في ولاية كشمير في الأول من رمضان ١٣٦٦ هـ (١٩ تموز ١٩٤٧ م) انضمام الولاية إلى باكستان. وكذلك قرّر الشبان المسلمون في الولاية أن يقوموا بالجهاد لتحرير الولاية وضمنها إلى باكستان.

وجاء وقت الاستقلال والانفصال ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) فأسرع ملك الولاية الهندي من باب الخديعة والمكر وعقد

(١) كشمير المسلمة تتايكم فهل من محببة لوف الدين الترابي - الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير

اتفاقية مع باكستان بأن يبقى الوضع على ما هو عليه من التعاون بين الولاية (كشمير) والدولة الناشئة (باكستان)، وبذلك أصبحت باكستان مسؤولة عن الدفاع عن كشمير. وعن شؤونها الخارجية، وعن المواصلات وذلك لأن ولاية كشمير كانت قبل التقسيم تتبع السلطات المحلية الموجودة في مدينة لاهور، وهي مدينة بقيت ضمن الأراضي الباكستانية بعد التقسيم، وكان من المفروض أن تكون هذه الاتفاقية توطئة للانضمام التام.



أخرج (المهراجا) من السجن الشيخ محمد عبدالله إظهاراً لحسن النية وخديعة، وهو ليس عنه يبعيد، ولكنه في الوقت نفسه أُلّف عصابات قتالية من الهنّادك الكشميريين، ومن الذين جاءوا من الهند لهذا الغرض، وهاجمت هذه العصابات المسلمين، وقتلت منهم مائتين وسبعة وثلاثين

الفأ، وقامت مظاهرة من المسلمين كرد فعل قادعا (جوهرى حميد الله خان) في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ (٥ ايلول ١٩٤٧ م) فأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بانضمام كشمير إلى باكستان، وقضت على أعداد منهم فألقوا في غياب السجون. وفي غرة ذي القعدة ١٣٦٦ هـ (١٦ ايلول ١٩٤٧ م) طالب مؤتمر الفلاحين في كشمير بانضمام الولاية إلى باكستان، لكن (المهراجا) رفض هذا الطلب. وقام بتوزيع الأسلحة على الهنالك، فقامت الثورة، وتدفع المجاهدون لمساعدة المسلمين في كشمير. ولما رأى الشيخ عبدالله محمد ذلك خشي أن يفلت الأمر من يده، فأعلن وقوفه بجانب (المهراجا)، وتسلم رئاسة حكومته، وقتل يومها من المسلمين اثنين وستين ألف مسلم^(١)، ثم قر (المهراجا) هري سنغ إلى دهلي.

استطاع المجاهدون في كشمير تحرير جزء من الولاية، وتشكلت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) في ٩ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٤٧ م).

عقد (المهراجا) هري سنغ في دهلي حيث يُقيم بعد أن قر من عاصمته في كشمير اتفاقية مع الحكومة الهندية تتضمن ضم الولاية إلى الهند وذلك في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م)، غير أن هذه الاتفاقية غير صحيحة قانونياً لـ:

أولاً: كانت هذه الاتفاقية تتنافى مع قرار تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين: الهند وباكستان، وهذا القرار وافقت عليه الدولتان.
ثانياً: كانت هذه الاتفاقية تتعارض مع رغبات أغلبية سكان الولاية أي

(١) لا يريد الشيخ محمد عبدالله أن تلوب كشمير ضمن الاتحاد الهندي، كما لا يريد التحالف مع الهند وإنما يريد إعادة كشمير واستقلالها عن غيرها، فلو اتفق مع باكستان لضاعف زعامته لكثرة المسلمين، والصلة كبيرة مع باكستان، والحدود طويلة، على حين أن هذه الحدود بين كشمير والهند لا تزيد على ستين كيلومتراً.

المسلمين الذين التحقوا بقرار انضمام الولاية إلى باكستان، وكانوا يجتهدون لأجل ذلك.

ثالثاً: إن الملك الهنوسى (هري سنغ) الذي وقّع هذه الاتفاقية لم يكن حاكماً شرعياً للولاية، وذلك لأن اتفاقية (١٨٤٦ م) التي قد أصبحت أساساً للسيطرة الغاشمة لهذه العائلة على الولاية لم تكن اتفاقية شرعية على الإطلاق^(١).

رابعاً: وقبل هذه الاتفاقية قد وقّع الملك نفسه اتفاقية لإبقاء الوضع كما كان مع دولة باكستان، فلهذا لم يكن له أن يُوقّع أية اتفاقية مع أية دولة أخرى في هذه الصدد قبل إعلان إلغاء تلك الاتفاقية. هذا من ناحية ومن الناحية الثانية قد وقّع الملك هذه الاتفاقية بعد أن كان قد فقد السلطة على الولاية لفراره من العاصمة الكشميرية فلذا لم تكن لديه أية صلاحية شرعية لتوقيع هذه الاتفاقية.

فقطراً لهذه الوجوه والأوضاع يمكننا أن نقول بكل صراحة أن هذه الاتفاقية بشأن انضمام ولاية جمو وكشمير المسلمة إلى الاستعمار الهنوسى لم تكن لها أية قيمة من النواحي الدستورية والقانونية والخلقية، وحتى الاستعمار الهنوسى نفسه أيضاً كان يعرف هذه الحقيقة جيداً، لهذا نراه قد وعد الشعب الكشميري المسلم بأنه سيقوم بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الولاية، وإليك نص ما كتبه الحاكم العام للهند إلى الملك الهنوسى للولاية حين توقيع اتفاقية ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م): وفقاً لباكستان إذ أصبحت مسألة انضمام ولاية ما من المسائل الخلافية يرجع فيها إلى رأي الشعب، فإن حكومتنا بشأن انضمام ولاية جمو وكشمير إلى إحدى الدولتين تريد أن تحل بالرجوع إلى الرأي العام فور إعادة الأمن والاستقرار إلى الولاية.

(١) كما أن اتفاقية (أمرستان) عام ١٨٤٦ م قد انتهت العمل بها بانتهاء مدتها عام ١٩٤٦ م إذ كانت لمدة مائة سنة.

ثم أكد جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند ذلك الوعد في برقيته التي بعث بها إلى رئيس وزراء باكستان ليأقت علي خان في ١٦ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٤٧ م) قائلاً: «إننا تعهدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور، وأن نترك مواطنيها ليحارسوا حقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم، وهذا التعهد لا نعلمه أمام حكومتكم فحسب بل نعلمه أمام أعالي كشمير وأمام العالم كله»^(١).

ومع الأسف الشديد فإن هذه الاتفاقية المأكرة قد اتخذها الاستعمار الهندوسي الغاشم وسيلة لإرسال جيشه للسيطرة على الولاية، والتحق هذا الجيش مع جيش الملك الهندوسي في الولاية ليشارك معه في مهمة قتل المسلمين وهناك أعراضهم. كما أعلنت الحكومة الهندوسية بأن الذين يرغبون بالهجرة إلى باكستان ستقوم الحكومة بمساعدتهم لتسهيل سفرهم إلى باكستان وتزويدهم بالسيارات الحكومية، فلهاذا عليهم أن يجتمعوا في مكان واحد. ولكنهم عندما اجتمعوا في المكان المحدد أطلقت عليهم النار فاستشهد حوالي نصف مليون من المسلمين، كما أن الذين تمكنوا من الوصول إلى باكستان يصل عددهم إلى حوالي نصف مليون أيضاً. وتجدير بالذكر أنه قبل بداية إطلاق النار تم القبض على الآلاف من النساء المسلمات الشابات لهتك أعراضهن، وكان من ضمن هؤلاء الشابات المسلمات ابنة القائد المؤسس لحركة تحرير كشمير (شودري غلام عباس)^(٢).

في اليوم الذي أعلن فيه الملك الهندوسي (هري سنغ) اتفاقية ضم ولاية كشمير إلى الهند مع الحكومة الهندية في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ

(١) لقد كثر جواهر لال نهرو مثل البرقيات، وصرح مرات تزيد على العشرين بالمعنى ولكن كان كل ذلك خداعاً وزوراً.

(٢) كشمير المسلمة تتأنيكم فهل من محبب؟ الهدف الذين الترابي - الجماعة الإسلامية بولاية جمو وكشمير الحرة.

(٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م) أعلنت الإذاعة في دهلي عن إرسال قوة لحماية كشمير من الاعتداء، ولم تكن هناك طريق سير عليه القوة فهبطت جواً ذلك أن البنجاب كانت لا تزال ولاية واحدة، وكانت في التقسيم ضمن دولة باكستان، وتفصل هذه الولاية بين الهند وكشمير، ولكن الهند بعدها رشت بمبالغ طائلة «روكف» رئيس اللجنة المكلفة بالتقسيم فعمل على تقسيم ولاية البنجاب إلى جزأين: البنجاب الغربية وتتبع باكستان، والبنجاب الشرقية وتتبع الهند على أساس أن نسبة الهندوس فيها كبيرة إضافة إلى نسبة السيخ إذ تعدّ هذه المنطقة مركزهم الرئيسي.

ومع وصول القوة الهندية وانضمامها إلى قوات الملك الهندوسي ابتداءً القتل والإبادة، وفي ٢١ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ م) دقّ الطبل في (جمو)، وأعلن عن وجوب خروج المسلمين إلى باكستان التي تطالبهم، فاجتمع المسلمون فكانوا يركبون في السيارات، فإذا وصلت بهم إلى عازج القرى والمدن تعرّضت لها القوات الهندوسية، وأخذت الفتيات الشابات من المسلمين وقتلت الباقي، واستمرّ القتل والوحشية بأبشع الصور مدة طويلة. ولتأخذ أمثلة من قتل بعض القوافل المتجهة إلى باكستان:

خرج من منطقة (بنديور) ألفان من المسلمين، ولم يصل منهم إلى باكستان سوى مائة وخمسين رجلاً.

وخرجت قافلة من بلدة (جهني روديان)، وكان عند أفرادها سبعة آلاف، وصل منهم إلى باكستان خمسمائة رجل، بينهم ثلاثمائة من الجرحى.

وخرجت مجموعة من بلدة (كوهت) عندها خمسمائة مسلم، قتلوا جميعهم عدا الفتيات الشابات فقد اختطفن.

وخرج من بلدة (بدهي وتالاب موله) ثلاثة آلاف مسلم، وصل منهم إلى باكستان سبعة أفراد فقط.

تكون الهند في وضعٍ تستطيع معه أن تُهدد باكستان وجنابها، وأن تغزو باكستان متى عزمت، فلا مندوحة من وقف زحف الجيش الهندي عند خط معين، فأرسلت باكستان ولأول مرة في شهر رجب ١٣٦٧ هـ (أيار ١٩٤٨ م) عدداً محدوداً من جيشها إلى كشمير لاتخاذ مواقف دفاعية.

وخرج من بلدة (تجري ورتب وجهه) ستة آلاف مسلمٍ لم يصل منهم إلى مائتهم سوى ثلاثة رجال.

وخرج ثمانية آلاف مسلمٍ من منطقة (سلي وهرانجو وجاندي) بعد أن وعدوا بالمساعدة على الهجرة فجردوا من أمتعتهم وكل ما يملكون، ولم يصل منهم إلى باكستان سوى ألفين أكثرهم جرحى.

وخرج من منطقة (راج پوره، وكجودال) ألفان من المسلمين لم ينج منهم سوى مائة إنسان.

واجتمع في منطقة (السانية) حوالي عشرة آلاف مسلمٍ من كل أنحاءها، ولم يبق منهم سوى خمسة وثلاثين فرداً، ورأى هؤلاء بأعينهم كيف اختطفت فتيات القافلة، واعتدي عليهم، ثم قتل أسراهم الأطفال وشباباً وشيوخاً بعد أن رأوا ما حلّ ببناتهم.

وكان المسلمون قد نظموا المناطق التي تمكن المجاهدون من بسط نفوذهم عليها، وألف محمد إبراهيم حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) في ١٩ ذي القعدة ١٣٦٦ هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٧ م)، وتآلف الجيش الكشميري، وما أن وصلت القوات الهندية حتى انضمت إلى قوات الملك الهندوسي وبدأ القتال، ومع أن المجاهدين كانوا يحملون أسلحةً عاديةً أو كانوا من غير سلاح غير أنهم استطاعوا - بإذن الله - من المحافظة على أرض حكومة كشمير الحرة في حين كان الهندوس مزودين بالأسلحة الآلية، وبقي قسم من الولاية تحت سيطرة الهند.

إن الهند منذ أن أعلنت عن إرسال قوةٍ لحماية كشمير بدأت بحشد قواتها في الولاية عن طريق الجو، وعند الانتهاء من الاستعداد قامت بهجومٍ واسع النطاقٍ مما عرض باكستان نفسها للخطر فتقدم القائد العام للجيش الباكستاني حينئذ بتخليد للحكومة الباكستانية مقاده أن باكستان إذا رغبت أن تتجنب مواجهة سيلٍ آخر ضخمٍ من اللاجئين، وإذا أرادت ألا

سياسة الاستعمار الهندي في كشمير

بعد القتال الذي نشب في كشمير بين المسلمين من جهة، ومُتلهم الجيش الكشميري الذي يتبع حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير)، والمجاهدون، والجيش الباكستاني الذي هبَّ عندما أحسَّ بالخطر يحدق بالمسلمين ويتدفَّق المشردِّين من مسلمي كشمير، وباقترب النار المشتعلة من باكستان، وبين الهندوس ومُتلهم جيش الملك الهندي، وقوات الهند الغازية، ولم تستطع قوة من إحرار النصر، وضمَّ كشمير إلى إحدى الدولتين.

ولما كانت الهند تتوقَّع أن تكون الحرب التي تخوضها قواتها في كشمير وبمساعدة جيش الملك الهندي سهلة، ولا تزيد على جولةٍ غير أنها صُدعت بقوات المجاهدين، ولم تستطع التقدُّم فعرضت الأمر على الأمم المتحدة، وتوقَّعت أن تلقف الأمم المتحدة بجانيها ما دامت ضدَّ المسلمين، وقد عُرفت الأمم المتحدة دائماً بمثل هذه المواقف إذ تحركها الصليبية، ولكن الأمر هنا مكشوف ومفصوح، ولا تريد أن تدنِّس نفسها، ثم إن الهند لم تستطع حسم الموقف، وضمَّ كشمير بالقوة، ولو تمكَّنت لدعمها الأمم المتحدة وطوت الملفَّ بسرعة، كما حدث في ضم (جوناكاد) و(حيدرآباد)، فلو حسمت الهند الموقف لسوت الأمم المتحدة الموضوع، غير أن القتال دائر، والحرب سجال، والانعياز بالأمر لا يؤدي إلى نتيجة. رُفعت القضية الكشميرية إلى الأمم المتحدة في ١٨ صفر

١٣٦٧ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٤٧ م) وفي اليوم التالي أبدت الهند وجهة نظرها، وادعت أن باكستان هي المسؤولة عن قيام الاضطرابات في الولاية، وطلبت إلى مجلس الأمن أن يُوعز إلى باكستان بسحب رجال القبائل الذين دخلوا الولاية (المجاهدون) غير أن مجلس الأمن لم يقبل هذا الطلب، واتكفى بالسكوت كتعويض من الرضا عما ينال المسلمين من إهانة وأذى. وبعد مناقشاتٍ طويلةٍ وإضاعةٍ للوقت في سبيل إعطاء الفرصة للهند كي تحسم الموقف بما تملك من قوة، وإيهاب السكان بما تقوم به من جرائم وحشية، وبعد أن طال الزمن دون نتيجة صدرت قرارات لجنة الأمم المتحدة في ١٢ صفر ١٣٦٨ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٤٩ م) وتنص على:

- ١ - وقف القتال وتحديد خط وقف النار.
- ٢ - تجريد ولاية جمو وكشمير من القوات العسكرية.
- ٣ - إجراء استفتاءٍ محايدٍ تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير مسألة انضمام كشمير إلى الهند أو باكستان.

أبدت الهند موافقتها على هذه القرارات كلامياً، ولكن بقيت مُشيشةً في المنطقة التي دخلتها من كشمير.

وأعدت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار نفسه في ٦ ربيع الثاني هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٥٢ م)، وأعدت الهند موافقتها على القرار، وأكدت ذلك، ولكن نظرياً أيضاً، وبقيت في مواقعها، ورجع (نهر) في ١٢ شوال ١٣٧١ هـ (٤ تموز ١٩٥٢ م) ليؤكد التزام بلاده بقرار الأمم المتحدة، حيث قال: (مهما يكن من الأمر، فإن حكومة الهند قررت منذ البداية التزامها بالمبدأ الذي يفيد بأن القرار النهائي ضمن أن انضمام ولاية جمو وكشمير إلى إحدى الدولتين لن يتمَّ أبداً إلا حسب الرأي العام لشعب الولاية، وهذا العهد لن تنفذه مهما كانت الأوضاع، ونقرأ لهذه الحقيقة فإن حكومة الهند قد وافقت على انضمام الولاية بصورةٍ مؤقتةٍ عام

١٩٤٧ م. وإن القرار النهائي لمصير الولاية سيتم حسب رغبة الرأي العام للشعب الكشميري).

وبقيت الهند تؤكد التزامها بقرارات الأمم المتحدة ما يقرب من عشر سنوات تأكيداً كلامياً دون إظهار أية بوادر للتنفيذ، ولكنها منذ عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) أخذت تتملص تدريجياً من التطبيق، وأخيراً رفضت وجود قضية اسمها كشمير.

كانت الهند قد سيطرت على أكثر أقاليم (جمو) و(بونج) و(كشمير)، ولم يبق تحت نفوذ حكومة كشمير الحرة سوى مناطق ضيقة تسائر الحدود الباكستانية، كما سيطرت الهند سيطرتها على إقليم (لداخ) كله، وأما حكومة آزاد الحرة فتبعتها مناطق (ولاية الحدود) و(جلجت و(استور). وكان سكان الولاية يتوزعون على أقاليمها عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) على النحو الآتي:

الإقليم	مجموع السكان	المسلمون	نسبة المسلمين	غير المسلمين
جمو	١,٩٨١,٤٣٣	١,٢١٥,٦٧٦	٪٦١,٣	٧٦٥,٧٥٧
بونج	٤٢١,٨١٨	٣٨٢,٧٢٢	٪٩٠,٧	٣٩,١٠٦
كشمير	٧٢٨,٧٠٥	٦١٥,٤٧٨	٪٨٣,٤	١١٣,٢٢٧
مناطق الحدود	٣١١,٤٧٨	٢٧٠,٠٩٣	٪٨٨,٩	٤١,٣٨٥
لداخ	١٩٥,٤٣١	١٥٤,٤٩٢	٪٧٩,٠	٤٠,٩٣٩
جلجت و(استور	١١٦,٠٤٧	١١٥,٦٠١	٪٩٩,٦	٤٤٦
	٣,٧٥٤,٩٢٢	٢,٧٥٤,٠٦٢	٪٧٣,١٤	١,٠٠٠,٨٦٠



أما الروابط بين باكستان وكشمير فتتبع إلى جوانب الحياة جميعها. العقيدة: تدعى أكثرية سكان باكستان وكشمير بالإسلام، والعقيدة أهم جوانب الحياة، ومنها تتبع مختلف الروابط، وعلى أساسها قام تقسيم شبه القارة الهندية.

الأصل: يعود سكان باكستان وكشمير إلى أصل واحد، وهو العرق الأبيض.

الجغرافية: تُعدّ أودية جمو وكشمير ثمّةً للسهول الباكستانية، وإن أنهار (السنند) و(جهلم) و(شباب) و(رافي) تنبع من ولاية كشمير، وهي الأنهار الرئيسية في باكستان.

الاقتصاد: ينقل الكشميريون أخشابهم بواسطة الأنهار لتُباع في أسواق في بلدتي (جهلم) و(وزير آباد) فالأنهار (وسيلة النقل) باكستانية، والأسواق باكستانية، وتُشكل الأخشاب ٢١٪ من صادرات ولاية كشمير. وكذلك تُباع

الفاكهة الكشميرية في مدن باكستان الرئيسية (راولپنڊي) و(كراتشي)، وهي سلعة هامة من الصادرات.

والطرق في كشمير تُسارِ مجاري الأنهار، وتصل إلى باكستان، وليس هناك من أية طريقٍ تصلها بالهند، سوى طريقٍ جديدٍ فتحت لأغراضٍ عسكرية فتحها الجيش الهندي.

وكل واردات كشمير من الملح، والقمح، والصوف، والزيوت إنما تستورده من باكستان، هذا بالإضافة إلى النفط الذي يصل إليها من حقول نغف (أنوك) الباكستانية.

وتعدّ (كراتشي) الميناء الباكستاني أقرب الموانئ إلى ولاية كشمير، وعن طريقه يمكن الاتصال مع الخارج وأخيراً يجد العمال الكشميريون مجال عملهم في فصل الشتاء البرد في باكستان الغربية.



كل هذه الروابط تجعل من حقّ كشمير ومن مصلحتها الانضمام إلى باكستان، وكذلك من حقّ باكستان أن تطالب بكشمير، وتدافع عن هذا الحق بكل إمكاناتها، وإلا عدت مقصرة بحق شعبها، ومقرّبة بالأساس والفكرة التي قامت عليها.

الجهاد:

لما اشتدّ الضغط الهندي على السكان، وارتكب الهندوس أبشع الجرائم وأقذر الأعمال وجد المسلمون أنه لا بدّ من الجهاد ضدّ الظلم الواقع عليهم، وقاموا بسطولاتٍ رائعة وأعمالٍ فدايية، فاعتزّ وضع المستعمرين وكاد الأمر يفلت من أيديهم فسُتت الهند حرباً واسعة النطاق على باكستان، واستمرت تلك الحرب مدة أسبوعين فقط، وانتصرت باكستان، فجلّت الهند إلى الأمم المتحدة لتحفظ لها ماء وجهها، ورفعت القضية إليها، وعرضت الامبراطورية الروسية الوساطة، وتمّ عقد مؤتمر طاشقند الذي لم يكن في صالح باكستان.

وبعد وقف إطلاق النار قام الهندوس باعتداءات وحشية غدرًا وحقداً فقتلوا الأسرياء، وهدكوا أعراس الحرائر، وقتلوا الأطفال أمام الأمهات والأبياء، وقطّعوا أنداء النساء أمام ذويهم، وارتكبوا كل أعمال الحنة والدناءة.

الغزو الفكري:

أدركت الهند أنها لا تستطيع السيطرة على ما تحت أيديها من كشمير بالقوة والإرهاب باستخدام الوحشية والإبادة والتشيل بالأحياء والفقارة وهناك الأعراس فقط حيث كانت هذه الأعمال تُثير المسلمين، وتؤخذ صفوفهم، وتثير عواطفهم، وروح الجهاد عندهم، لذا قرّرت الهند اتباع وسائل أخرى مع استمرار القيام بالأعمال السابقة، فقد أرسلوا أحد رجال المخابرات إلى إسبانيا ليتنصّب ما فعله الإسبان ضدّ مسلمي الأندلس للخلاص منهم، وقد رجع رجل المخابرات وفي جعبته أفكار يحملها، ثم أرسلته حكومته سفيراً

لها في موسكو لتابع مهمته في الوسائل التي اتخذها الروس ضد المسلمين، ونتيجة ما حصل عليه من معلومات من هنا من موسكو ومن هناك من مدريد، وبعد دراسة النتائج قررت الحكومة اتخاذ ما يأتي:

١- تغيير مناهج التعليم في ولاية كشمير، حيث يُعتمد المنهج التعليمي الهندوسي الذي يشمل على المعتقدات الوثنية الهندوسية، والأساطير والخرافات، وقلسفة وحدة الأديان.

٢- جعل التعليم مختلطاً، ومحاولة نشر الفساد بتعليم الرقص والغناء في المدارس.

٣- تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس لمخالفة العقيدة الإسلامية، ومحاولة التأثير عن طريق العائلة.

٤- محاولة تغيير اللغة لفصل الحاضر عن الماضي.

٥- إباحة الخمر وتوزيعه مجاناً على حساب الدولة.

٦- إثارة الخلافات القبلية والإقليمية والطائفية.

٧- بث فكرة القومية الهندية، واستخدام وسائل الإعلام لنشر الإباحية والفاحشة.

٨- الدعاية لفكرة تحديد النسل بين المسلمين بغرض وقف زيادة المسلمين.

٩- تشويه التاريخ الإسلامي.

١٠- الحرص على إيجاد قيادة كشميرية مسلمة عميلة تتأمر بأوامر الحكومة الهندية وتلقى النتائج منها.

وقامت الحركة الإسلامية برّد فعل لإبطال مفعول سياسة الاستعمار الهندوسي الفكرية ولجأت إلى بعض الأساليب الفعّالة ومنها:

١- إنشاء مدارس إسلامية أهلية لا علاقة للحكومة بها.

٢- تأسيس قرى إسلامية أنموذجية.

٣- القيام بنشر الدعوة والتوعية والعمل على توحيد المسلمين حيث تأسست الجبهة الإسلامية التي ضمّت أكثر من عشرة أحزاب سياسية

وجمعيات دينية.

٤- المناداة بإجراء استفتاء عام لتقرير المصير.

ونتيجة السياسة التي لجأت إليها الحركة الإسلامية نشأ جيل مسلم واع، تخرّجوا من المدارس الإسلامية في الوقت الذي انطلق الجهاد في بلاد الأفغان، واشتدّ عوده مع هزائم الجيوش الروسية على أرض الأفغان حتى اضطرت موسكو على الموافقة لسحب جيوشها لتحفظ ماء وجهها قبل أن ينسكب. وقامت أكثر من خمس عشرة منظمة جهاد ضمت أكثر من خمسين ألف مجاهد، واتحدت أخيراً باسم «الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير» كما اتحدت عشر منظمات سياسية باسم «حركة تحرير كشمير» وترأسها علي الجبلاتي.

وبدأت حركة الجهاد، واستهدفت مراكز الجيش الهندوسي، وحاتات الخمر، وأماكن الفاحشة، وقرّر أصحاب بعضها إغلاقها، وأعلنت بعض وسائل الإعلام قطع علاقتها بحزب المؤتمر الهندي، والحكومة الهندية، وكذلك قرّرت النساء المسلمات الالتزام باللباس الإسلامي، وذلك كله ولم يتصف عام ١٤١٠ هـ (قبل نهاية عام ١٩٨٩ م)، وارتفعت أصوات المطالبة بتطبيق قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى إجراء استفتاء في الولاية لتقرير المصير.

وقام الاستعمار الهندوسي برّد فعل غاشم إذ أعلن منع التجول في أكثر من عشرين مدينة، وزاد من وحشيته في الإيادة، والقتل، والسجن، وهتك الأهراس، وحرق الناس أحياء، وخلال أربعة أشهر (جمادى الآخرة وحتى نهاية رمضان ١٤١٠ هـ) (الأول من كانون الثاني وحتى نيسان ١٩٩٠ م) ارتكب الهندوس الأعمال الوحشية الآتية.

١- قتل ٢١.٤٩٠ شهيداً.

٢- جرح ٢٠.٠٠٠ إنساناً.

٣- إحراق ٦١٨ إنساناً وهم أحياء.

٤- تشريد ٢٠.٠٠٠ إنسان لجؤوا إلى كشمير الحرة.

٥ - قتل ٣٥٧ امرأة بعد هتك أعراضهن والتعليل بهن.

٦ - إلغاء القبض على ٥٠,٠٠٠ إنسان وإيداعهم السجن.

٧ - هتك أعراض عشرات الآلاف من النساء، ولم يفتضح أمرهن، في سبيل المحافظة على الشرف.

٨ - عزل الآلاف من الوظائف الحكومية.

هذا بالإضافة إلى تدمير آلاف المحلات وإتلاف المزارع، وإحراق البيوت، وهدم المدارس والمستشفيات، وأعمال النهب، وقتل الحيوانات.

ووقف العالم يتفجّع على ما يجري دون حركة، وصكت الأمم المتحدة، وارتاحت الصليبية، وسرّ أتباعها، ولم يتحرك أولئك الذين يعدّون أنفسهم أوصياء على العالم، وعلى الحرية والسلام العالمي... ما دامت القضية تنال المسلمين، أما المسلمون فهم وراء الذين يسرون في فلكتهم، أو في غفلتهم سادرون، ووراء قضايانهم يلهثون، أو لا يدرون ماذا يجري لجهلهم، وسداجة علمائهم، أما قيادات العمل الإسلامي فين سجين، ومضطهد، وشريد، وربما لقت التيارات بعضهم.

وأما الهند فمستفزة في بطشها وغلبها تدعي أن قضية كشمير قضية داخلية، ولا يحق لأحد أن يتدخل في شؤونها، فالولاية جزء لا يتجزأ من الهند، وقد انضمت إليها منذ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وأنها لا توافق على الاستفتاء لأن معنى ذلك السماح بتجزئة الهند، وأنها دولة علمانية، يعيش فيها من مائة مليون مسلم. وأن ما يحدث الآن في داخل كشمير لم يكن ليحدث لولا التدخل الخارجي من بعض أمصار العالم الإسلامي، وما إلى ذلك من مغالطات، فالواقع أن كشمير ليست ولاية هندية، والقضية ليست داخلية، وإنما لا تزال في الأمم المتحدة لم يبت بها، وأن تقسيم شبه القارة الهندية كان على أساس ديني، ومعنى ذلك أن كشمير بأكثريتها المسلمة يجب أن تكون ضمن الأرض الباكستانية، وأن الهند ليست دولة علمانية، وإنما التعصب الهندي هو البارز، وما ينال المسلمين من

اضطهاد بين الأونة والأخرى لا كبر دليل على التعصب للهندوسية. وأنه ليس هناك من تدخل خارجي، ولكن الضغطة يسبب الثورة والظلم يثير الناس، والحق على الإسلام يجبر الناس على الدعوة إلى الجهاد.

ونتيجة لتفاسم هذه الأحداث دعت الجماعات الإسلامية والسياسية في كشمير الحرة، وفي باكستان إلى عقد مؤتمر إسلامي لبحث ما يستجد على الساحة الكشميرية، وعقد المؤتمر في مدينة (مظفر آباد) عاصمة كشمير الحرة في ٢٢ شوال عام ١٤١٠ هـ (١٧ أيار ١٩٩٠ م) وحضره ممثلون عن كل من الدول الإسلامية: المملكة العربية السعودية - الكويت - الإمارات العربية المتحدة - مصر - تركيا - بنغالديش إضافة إلى مثلي الجماعات الإسلامية والسياسية في باكستان، وكشمير الحرة، وكشمير المحتلة. وقد صدر بيان في نهاية المؤتمر استكر في الأعمال الوحشية التي يقوم بها الهندوس، ودعا الحكومة الهندية إلى إجراء استفتاء في الولاية لتقرير مصيرها، وهو ما وعدت به كثيراً، وذكرها بتلك الوعود، وأعلن التضامن التام مع الحركات الجهادية في كشمير وبقية المناطق الإسلامية مثل: فلسطين، وأفغانستان، وأريسرما، والفلبين... انتهى المؤتمر بهذا الاستكثار والكلام - كالعادة -.

ومن المؤسف أن بعض الحكومات الإسلامية تعلن دائماً عن صداقتها مع الحكومة الهندوسية وتأييدها. وإن كانت هذه الحكومات من التي تدور في أفلاك الدول الكبرى، وتتبع مناهجها رداً لجميل تثبيت مراكزها، واعتمادها، ودعمها، بغض النظر عن الإسلام، والرحمة الإنسانية.

وأصبح عدد السكان عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) أربعة ملايين
وخمسمائة وثلاثة وستون ألفاً، ويتوزعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٠٠٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٦٥,٧٣
الهندوس	١,٤٠٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٣٠,٧٠
السيخ	١٠٥,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٢,٣٠
البوذيون	٥٨,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪١,٢٧
	٤,٥٦٣,٠٠٠		٪١٠٠,٠٠٠

ويلاحظ أن عدد المسلمين قد تناقص بسبب القتل، والهروب،
والهجرة، وانخفضت نسبتهم من ٪٧٧ إلى ٪٦٥,٧٣ نتيجة ذلك، أما
الهندوس فقد زاد عددهم بنسبة ٪٧٥، فأصبحوا ١,٤٠٠,٠٠٠ بعد أن كانوا
٨٠٠,٠٠٠، وزادت نسبتهم العددية بين السكان من ٪٢٠ إلى ٪٣٠,٧
وذلك بسبب انتقال أعداد من الهندوس، ليحلوا محل المسلمين الهارين
من القتل، ولترتفع النسبة العامة كي يستطيعوا مقاومة المسلمين، وليكونوا
مخابرات الهند، كما أن أعداداً منهم كانوا من أفراد الجيش الهندي، وربما
كان بعضهم جيشاً سرياً. أما السيخ والبوذيون فقد تزايدوا بشكل طبيعي،
وارتفعت نسبة كل فريق على نسبة العامة بالنسبة إلى مجموع عدد سكان
ولاية كشمير كلها نسبة بسيطة.

ويُقدَّر عدد سكان كشمير عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بخمسة ملايين،
ويتوزعون على النحو الآتي:

الفصل الثالث

الصراع الداخلي

تبلغ مساحة ولاية كشمير ٢٢٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، تشرف حكومة
كشمير الحرة (أزاد كشمير) على أكثر من ثلاثة أرباع هذه المساحة
(١٧٨,٠٠٠ كم^٢)، ولكن هذه المساحة قليلة السكان لأن أكثرها جبلية،
وتشمل هذه المنطقة جزءاً من إقليم (جمو) وآخر من إقليم (كشمير) وجزءاً من
إقليم (بونج)، وإقليم (جلجت وانشور) كاملاً، وإقليم مناطق الحدود
بحدوده جميعها، وتحل الهند القسم الأعظم من أقاليم (جمو) و(كشمير)
و(بونج) ومنطقة (لداخ) كلها، وتبلغ مساحة هذه الأجزاء ٤٤,٠٠٠ كيلومتر
مربع فقط، ولكن هذه المساحة هي المهمة، وتجمع فيها أكثر السكان.

كان عدد سكان كشمير عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) أربعة ملايين،
ويتوزعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٠٧٥,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٧٧
الهندوس	٨٠٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٢٠
السيخ	٨٠,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪٢
البوذيون	٤٥,٠٠٠	وُسُكُلُون	٪١
	٤,٠٠٠,٠٠٠		٪١٠٠

المسلمون	٣.٢٧٠.٠٠٠	وُسْكَلون	%٦٦.٠٠
الهندوس	١.٥٥٢.٠٠٠	وُسْكَلون	%٣٠.٤٠
السيخ	١١٥.٠٠٠	وُسْكَلون	%٢.٣٣
البوذيون	٦٣.٠٠٠	وُسْكَلون	%١.٢٧
	٥.٠٠٠.٠٠٠		%١٠٠.٠٠

لم تكن هذه الزيادة العظيمة في نسبة المسلمين، وانخفاضها النسبي بين الهندوس لتدلّ على تحسّن الوضع، وإنما يعود ذلك إلى زيادة الولادات لدى المسلمين بالنسبة إلى غيرهم.

الصراع الدولي:

حكومة كشمير الحرة (أزادكشمير) ضعيفة الإمكانيات لذا فهي تتبع إلى إشراف حكومة باكستان، وتعمل على ضمّ ولاية كشمير إلى باكستان بعد إخراج الهند من الأجزاء التي تحتلّها.

وباكستان أصلاً تعمل على ضمّ كشمير إليها، وتدّعا جزءاً منها، وترى أن تقسيم الهند إنما كان على أساس عقدي، وولاية كشمير أكثر سكانها من المسلمين لذا يجب أن تتبع باكستان، كما أن أهلها يرغبون هذا، ويعملون لذلك، وتتمنى باكستان إجراء استفتاء للسكان لمعرفة رغبتهم في تقرير مصيرهم، وتطالب الأمم المتحدة بذلك، وتذّكر أن الهند طالما وافقت على ذلك، ولكنها لم تنفّذ، وعندما تطالب بذلك تتمتع، وتتهرب، ثم أصبحت ترفض الفكرة.

وأما الهند فإن احتلت ما احتلته من كشمير، ثم وافقت على إجراء استفتاء دعابة، وكوّرت ذلك، وأخيراً أعلنت أن كشمير جزء منها، وأن ما يخضع لحكومة كشمير الحرة، إنما هو خضوع لباكستان، فباكستان هي المعنوية، وجرّت حروب بين الدولتين، ولا تزال القضية مُعلّقة، والانتهاكات قائمة.

الصراع العقيدى:

إن المسلمين كلهم تربطهم العقيدة مع باكستان، وهم يرغبون الانضمام إليها، ويزيد على ذلك أن مصالحهم تقتضي الالتحاق بباكستان، وهم يسعون إلى ذلك. ولكن لما كانوا يُسْكَلون أكثرية السكان فهم ليسوا كتلة واحدة، ويضاف إلى الجهل الذي يبعد بعضهم عن بعض، ويسير كل في طريق، ويزيد على ذلك أصحاب المصالح الذين يرغبون في كسب تأييد غير المسلمين لهم، من هندوس، وبوذيين، وسيخ فيظهرون الرغبة في العصبة الوطنية، ووحدة الصف، وهذه الكلمات التي وضعت لتحلّ محلّ الرابطة العقيدية، وربما وجد أصحاب المصالح القوة إلى جانب الهند، فأظهروا موافقتهم لها، والسير بجانبها، أو رأوا أن الكلمة المسموعة لإنكلترا اقترّبوا من أعوانها القادبايين، وبدا تتوزع كلمة المسلمين، وتفرّق صفهم.

ويقف بالمقابل المسلمون المعتزّون الذين يعرفون واقعهم، ويدركون أمر دينهم، فلا يذاهنون أحداً، ولا يسبّرون إلا وفق ما تأمرهم به عقيدتهم، فيقفون في وجه المسلمين من أصحاب المصالح، وبقيّة الفئات من غير المسلمين، في الوقت الذي يريدون لهم فيه الخير، فيعملون على دعوتهم وهدايتهم، ويطلبون لهم الصلاح.

أما الهندوس فيرتبطون بالهند كلياً، من باب العقيدة، ويعلمون ذلك ولا يخفون، ويعترفون أنها حاميتهم، وإذا ما حدثت حادثة استجدوا بها مباشرة، ولذلك فهم في صراع مع المسلمين المعتزّين، يتهمونهم أنهم أنصار لباكستان، وأنهم متعصّبون للإسلام في الوقت الذي ترك فيه الناس الدين، وأنهم متطرفون، وإرهابيون، وأخيراً أخذوا يظلمون عليهم هذه الأوصاف التي حملها الصليبيون، (الأصوليون) و(الإرهابيون).

وأما البوذيون والسيخ فهم أعداء للهند وأعداء لباكستان، وإن كانوا أقرب إلى الهند، أو أن حقدهم عليها أقل، لذلك فهم يعملون على إثارة

الفتن، ويعملون لإشعال نار الحرب بين الفريقين، وإذا سنحت لهم الفرصة عملوا على قتل من يستطيعون من المسلمين سراً وفي الخفاء.

الصراع الحزبي:

حاول المسلمون تنظيم أنفسهم، وقد انضم بعضهم إلى جمعية الخلافة وكان (مير واعظ يوسف شاه) أحد الذين ساهموا في إنشاء تلك الجمعية.

وشكّل المسلمون المؤتمر الوطني الإسلامي برئاسة الشيخ محمد عبده، وانضم إليه عدد من الهندوس، ثم ظهر أن رئيسه يظفي التعليمات من حزب المؤتمر، وأن هذا التجمع الإسلامي كانه فرع لحزب المؤتمر.

شكّل المسلمون نتيجة ما حدث المؤتمر الإسلامي الكشميري برئاسة (شودري غلام عباس)، ووجد له جناح عسكري، هو جبهة تحرير جمو وكشمير، وكان يطالب بالانضمام إلى باكستان.

وفي عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) افتتح فرع لحزب المؤتمر الهندي.

وفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٢ م) زار محمد علي جناح كشمير، وحاول التوفيق بين المؤتمر الإسلامي والمؤتمر الوطني فلم يقبل الشيخ محمد عبده، وأصر على رعايته الوحيدة.

وعندما اندلعت الثورة في كشمير ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وحكم على الشيخ محمد عبده بالسجن ثلاث سنوات، أرسل (نهر) محامياً، هو (أصف علي) ليدافع عنه، وعندما خرج من السجن تسلّم رئاسة حكومة كشمير التي تخضع للهند، ووقف بجانب المهراجا.

وهكذا وجد صراع حزبي بين المؤتمر الإسلامي الكشميري الذي يعمل للانضمام إلى باكستان وبين حزب المؤتمر الوطني الذي يسعى رئيسه وراء مصالحه.

ووجد صراع آخر بين العلماء إذ كان (مير واعظ يوسف شاه) قد أسس

جمعية نصر الإسلام التعليمية، ويعمل على مخاربة القاديانية الفرقة الضالة التي تدعي الإسلام، وذلك غشياً من إضلال الناس، وبالمقابل وجد (مير واعظ همداني) الذي كان يعطف على القاديانية غفلةً، ومصلحةً، ويُؤيده في ذلك الشيخ محمد عبده رئيس المؤتمر الوطني الإسلامي، وكان صراع بين الفريقين.

فالصراع الحزبي في كشمير يقوم على أسس عقيدية، فحزب المؤتمر الهندي يهضم الهندوس، ويضع سياسة الحكومة الهندية، ويدافع عنها، ويهاجم خصومها. والقاديانيون يؤيدون ذلك ضمناً.

والجماعة الإسلامية تدعو إلى الإسلام، وتريد الخير للجميع لذا تعمل على هدايتهم، وتريد أن يكونوا مثلها، ومن يرضى لغيره ما يرضيه لنفسه فقد بلغ ذروة الإخلاص والصدق، والمجبة للآخرين.

ولما كان المسلمون هم الغالية لذا فهم حسب إيمانهم وحسب مصالحهم. فأصحاب المصالح انضموا إلى حزب المؤتمر الوطني الذي يرأسه الشيخ محمد عبده، وتؤمن لهم الهند مصالحهم.

والمخلصون والذين عندهم وعي سياسي انضموا إلى حزب المؤتمر الإسلامي الكشميري، ويرون الجهاد، والعمل للانضمام إلى باكستان، وشكّل الذين يحبون الزعامة أحزاباً وجمعياتٍ سياسية كثيرة، ولكنها جميعها تنفق في نغظتين الوقوف في وجه الهند، والرغبة بالانضمام إلى باكستان، ومن هؤلاء تشكلت الجبهة الإسلامية والتي ضمت عشرة أحزاب وجمعيات دينية، وتشكل الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير وضمت خمس عشرة منظمة، كما قرأ علي الجيلاني حركة تحرير كشمير التي شملت على عشر منظمات سياسية. ومن هؤلاء أيضاً تشكلت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) برئاسة محمد إبراهيم. وكلها لا تخرج عن النغظتين الأساسيتين التين تجمع بين المسلمين - كما ذكرنا - وهما: الوقوف في وجه الهند، والعمل على الانضمام لباكستان لأنه حسب عقيدتهم، وفيه مصلحة لهم.

الباب الثالث

باكستان الكبرى

باكستان إحدى دول الديمقراطيين

ظهرت دولة باكستان كدولة شبه مستقلة ذات سيادة في ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ - ١٤ آب ١٩٤٧ م) ظهرت كإحدى دول الديمقراطيين، وهي دول كانت تحت الاستعمار البريطاني، أعطيت شبه استقلال، وبقيت مرتبطة ببريطانيا، ويجمعها رابط واحد، ويجمع حكامها الذين تعينهم بريطانيا كل مدة، ويكون لقاؤهم برئاسة رئيس الوزراء البريطاني.

عينت إنكلترا علي باكستان محمد علي جناح حاكماً عاماً، علي حين سُمِّ ليقت علي خان رئاسة الوزراء. وتوالى علي باكستان في هذا العهد الذي امتدّ تسع سنواتٍ ثلاثة حكام، وكذلك تعاقب ثلاثة رؤساء للوزارة.

١ - محمد علي جناح:

وامتدّ حكمه من ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٥ آب ١٩٤٧ م) حتى توفي في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول ١٩٤٨ م)، وقد عانت الحكومة الباكستانية الأولى معاناةً كبيرةً وذلك لـ:

أ - الوضع الجغرافي:

تألّفت دولة باكستان يوم تأسست من جناحين: الجناح الغربي ويشمل ولايات السند، والتبجاب الغربية، وبلوستان، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية، ويعرف هذا الجناح باسم «باكستان الغربية»، أما الجناح الشرقي فيضمّ البنغال الشرقية، ومقاطعة سيهلت، ويعرف باسم «باكستان الشرقية».

الهند، إذ نرى أيضاً أن باكستان تنتج ٨٠٪ من الجوت في العالم إلا أن مصاعمه كلها كانت من نصيب الهند، وكذلك مناجس القطن ومغزله حيث أخذت الهند ٣٨٠ معملاً بينما لم تظفر باكستان بأكثر من ١٤ معملاً حيث تركزت الصناعة القطنية في مدن (بومباي) و (كلكتا) و (مدراي).

وكان نصيب الهند من السكك الحديدية ٨٣٪ وباكستان ١٧٪ فقط.

وكان في شبه القارة الهندية ٨٧ مدرسة لنية قبل التقسيم، فلما تم الاستقلال، وجرى التقسيم كان في المقاطعات الإسلامية ست مدارس فقط وأسائدها من الهندوس، بينما كانت واحدة وثمانون مدرسة في المناطق الهندوسية.

وأعطي للموظفين من مدنيين وعسكريين حرية العمل في أية دولة من دول شبه القارة الهندية.

كما نجد أن الأثاث الحكومي لم تُعط منه باكستان شيئاً، وكان أكثره موجوداً في (دلهي) و (كلكتا) و (بومباي)، وهذا لا شك يُكلف الكثير.

ويضاف إلى هذا أن الهندوس الذين كانوا يخرجون من باكستان يخرجون بأموالهم وأثاثهم، بينما المسلمون الذين يخرجون من الهند نحو باكستان يفرون فراراً بأيديهم مذعورين من غير أموال ودون أثاث، وأحياناً حفاة، يقطعون الطرق الطويلة مشياً عائفين، وكثيراً ما كانوا يضلّون الدروب حيث يهربون من الطرق الرئيسية خشية القتل، ومن يسافر بالسيارات أو القطارات فلا يصل أغلبهم، حيث تتعرض السيارات والقطارات لهجوم السيخ والهندوس، وتصل وسائل النقل هذه إلى باكستان فارغة أو ملأى بالجثث.

وكان العسكريون من أصحاب الرتب الكبيرة قليلين في باكستان نتيجة السياسة الاستعمارية البريطانية التي كانت تقوم على تقريب الهندوس، والعمل على إذلال المسلمين والحقد عليهم فبعدهم عن الكليسات العسكرية.

وبين الجناحين مسافات بعيدة تزيد على ألف وخمسمائة كيلومتر، تشغلها دولة الهند، التي كانت وستبقى خصم دولة باكستان الأول، أعلن ذلك أم لم يعلن، فلا يمكن الاتصال بين الجناحين إلا عن طريق الجو، ومما يزيد الأمر صعوبة أن الجناحين مختلفين في طبيعتهما الجغرافية التي ينشأ اختلاف في الإنتاج، وكل جناح يحتاج ماسة إلى الجناح الآخر لتصرف بضالعه فيه، واستيراد ما يحتاج إليه منه، وعلى الحكومة أن تتخطى هذه العقبة الكاداء وتجد لها حلاً لإمكانيته السبر، غير أن طاقات الدولة محدودة جداً لما تُعاني من مُشكلات أخرى.

ب- المهاجرون:

كان على الحكومة مواجهة مشكلة تسعة ملايين مسلم مهاجرين من الهند إلى باكستان أو فارين من الظلم الهندوسي من غير ماوى إضافة إلى معالجة أسر مليون آخرين قتلوا أثناء سيرهم إلى باكستان، ثم مواجهة مشكلة كشمير واللاجئين منها ويزيدون على المليون، والمهم توجد مشكلة تأمين الماوى والطعام لخمسة عشر مليوناً زيادة على معاناتهم وما ينجم عنها من مشكلات.

ج- الاقتصاد:

لم يكن التقسيم عادلاً بالنسبة إلى الموارد الاقتصادية، إذ تم على الشكل الآتي: كان نصيب الهند من الأراضي الزراعية ٦٨٪ من أراضي شبه القارة الهندية على حين كان نصيب باكستان ٣٢٪ فقط، وإن كانت لراضي باكستان أكثر خصوبة وأوفر ماء.

أما منابع القدرة فإن معظمها كان من نصيب الهند، إذ أنتجت الهند بعد التقسيم مباشرة ثلاثين مليون طن من الفحم الحجري، بينما لم تنتج باكستان أكثر من ثلاثمائة ألف طن لهذا كانت تشوهد سنوياً من ٢ - ٣ مليون طن لسد حاجات السكك الحديدية.

أما بالنسبة إلى الصناعة فنلاحظ أن أكثر المعامل كان من نصيب

ولم تدفع الهند لباكستان نصيبها من المعدات حتى تستطيع أن تقول:
إن إزاحة باكستان كانت في هذه المرحلة مؤلفةً من مجموعة حيايم.

وبالنتيجة كان على باكستان أن تقوم بالتصنيع بنفسها دون أن تهمل
القطاع الزراعي الذي يعيش منه معظم السكان، ويتوقف على دوام ازدهاره
نجاحها في تأسيس ما يلزمه من معامل، وقد حالفها التوفيق في المحافظة
على التوازن بين هذين القطاعين من النشاط البشري، وأصبح لديها عدد
كبير من المصانع الحديثة.

د- المال:

رفضت الهند أن تدفع لباكستان نصيبها من المال المضروب، وهو
خمسمائة وخمسون مليون روبية والمقرر دفعه، والمفقد من ذلك الرخص
أن تعجز باكستان عن دفع رواتب موظفيها فتعم الفوضى، ولا تستطيع
باكستان الاستمرار في البقاء، وتعود إلى الهند، ويرجع المسلمون تحت
سيطرة الهندوس فيتحكمون بهم.

هـ- العقيدة:

وهو أهم الجوانب التي عانى منها المسلمون في باكستان من أول
الأمر. لقد قامت باكستان على أساس الإسلام، وانفصلت عن الهند،
ورغبة السكان المسلمين أن تعمل حكومتهم بمقتضى المنهج الإسلامي
فقطبت الشريعة على مختلف جوانب الحياة.

غير أن زعماء باكستان الذين تولوا أمرهم لم يكن هذا تفكيرهم أبداً
بل لم يخطر على بالهم المنهج الإسلامي، إذ كانت غالبيتهم تنتمي إلى
الإسلام المتساهل، وليس له أي نسبة في سلوكهم، أو في منهج حياتهم، بل
إن عدداً منهم كان من الفرق الضالة التي تحارب الإسلام وأهله، ولم يكن
ليجمع شملهم، وسيرهم في الدعوة إلى وحدة المسلمين وانفصالهم عن
الهندوس سوى ارتفاع زعامة المسلمين، وتحطيق مصالحهم، بل هذا ما
عملت له السياسة الإنكليزية إذ رغبت أن يتولى قيادة المسلمين العلمانيون

منهم، ورجال الفرق الضالة من قاديانيين وإسماعيليين وهم الذين تستطيع
أن تتفاهم معهم ما داموا يلتفون معها على محاربة الإسلام. وغوفاً من أن
يقود المسلمين العلماء والقيادة المخلصون فيعملون بمنهج الإسلام،
ويخلصون في إعزاز أهله، ورفع مكانتهم، والأخذ بأيديهم نحو الرقي،
وإعلاء راية الجهاد فيكونون سداً في وجه المستعمرين الصليبيين يحولون
دون تنفيذ مخططاتهم، ويمنعونهم من استغلال الآخرين، ومن استعمار
أراضيهم، وهذا ما يؤثر على حياة الصليبيين جميعاً، وعلى مكانتهم التي
وصلوا إليها بتسخير الناس واستعبادهم، أما العلمانيون فهم كالهندوس
تهتمهم مصالحهم ويمكن أن يعملوا من أجلها كل ما يرضي المستعمرين
الصليبيين.

اندفع المسلمون في الهند وراء الزعماء الذين تسلّموا القيادة من
السياسة البريطانية التي أبرزتهم، وعملت على رفع مكانتهم، ونتيجة جهل
المسلمين وساطنتهم ساروا وراء هؤلاء الزعماء، وهم يظنون أنهم يعملون
لمصالحهم وللدعوة إلى الإسلام، فتأثروا بالانفصال كما يريد القادة، ودعوا
إلى تأسيس باكستان، واجتماع المسلمين بها، كما يرغب الزعماء، فلما
ظهرت باكستان على أساس الإسلام شعر المسلمون بخيبة الأمل إذ لم يتغير
عليهم شيء. حيث بقيت القوانين الوضعية هي السائدة، والعمل بغير ما
أنزل الله هو الشائع، إذن ما القائلة التي جناها المسلمون من تضحياتهم
التي قدموها؟ صحيح أنه قد وقف تسلط الهندوس على المسلمين في
المقاطعات الإسلامية حيث كانوا هم أصحاب السلطة رغم أن المسلمين
يشكلون أكثرية سكان تلك المقاطعات ولكنه في الوقت نفسه.

١- "بقي المسلمون في بقية المقاطعات التي أصبحت ضمن دولة
الهند تحت تسلط الهندوس الذين زاد حقدهم، بل أصبحوا يمتدنون
المسلمين في كل أرجاء الهند أعداء لهم، أسدقاء لباكستان بل عملاء لها،
أي خونة لوطنهم لذا كانت تحل بهم التكتيات بين الملة والأخرى تحت هذا
العنوان، وربما من غير عنوان، ودون سب، وتوضيح الدراسات

والمخططات للخلاص من المسلمين بإبادتهم، أو إجبارهم على وقت
السل بالعق الصاعى و...

٢- قتل من المسلمين بسبب التقسيم عدة ملايين، وشُرِّه
أضعافهم، وحلّ بكشمير ما حلّ، وأصبح المسلمون كالمسيحيين في الهند.

٣- أخلت الفرق الضالة في باكستان تسلط وتتحكم بالمسلمين
باسم حزب الرابطة الإسلامية، وباسم الانتماء للإسلام دون أن يكون أي
مدلول أو مؤشر لهذا الإسلام.

أخذ المسلمون يصحون من رقبتهم ويشعرون أنهم لم يفعلوا شيئاً،
ولم يتقدموا خطوة واحدة نحو الإسلام بل بقوا في مكاتهم في بُعدهم عن
الدين، لذا أخذوا يُطالبون بتطبيق الإسلام ما قامت باكستان قد قامت على
هذا الأساس، وأخذ العلماء يُطالبون أيضاً، وينشطون بالدعوة. وبدأت
الجماعة الإسلامية تُطالب بإعلان إسلام الدولة. وأعلن أبو الأعلى المودودي
في كلية الحقوق في لاهور في شهر ربيع الأول ١٣٦٧ هـ - شباط ١٩٤٨ م
ولأول مرة:

١- أن الحاكمية في باكستان لله العلي الأحد، وما لحكومة باكستان من
الأمر من شيء غير إنجاز أمر مالكها الحقيقي في أرضه.

٢- أن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي لباكستان.

٣- أن كل ما يُعارض الشريعة الإسلامية من قوانين البلاد الجارية يُلغى
ويُحطل، وأنه لا يُتخذ بعد ذلك قانون يُخالف الشريعة.

٤- أن حكومة باكستان لا تتصرف في شؤون الملك إلا ضمن الحدود
التي رسمتها الشريعة.

٢- الخوجا نظام الدين^(١):

توفي محمد علي جناح في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول

(١) الخوجا نظام الدين: ولد عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، درس القانون، اشترك في =

١٩٤٨ م) فتعين الخوجا نظام الدين ١١ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٤ أيلول
١٩٤٨ م) حاكماً عاماً لباكستان، وبقي لياقت علي خان^(١) رئيساً للوزارة.

استمر أبو الأعلى المودودي بدعوته لتطبيق الشريعة في باكستان،
فقبض عليه مع بعض إخوانه، ومنم طفيل محمد، وحسن إصلاحي وأودعوا
السجن في الأول من ذي الحجة ١٣٦٧ هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٨ م)
وشغلت جرائد ومجلات الجماعة الإسلامية، ولكن بقيت المطالبة بإسلام
الدولة لأن ذلك من مطالب المسلمين جميعاً وليس الجماعة الإسلامية
وحدها، لتعد ذلك دعوة أو مطلباً حزبياً، واضطرت الدولة أن تعلن إسلام
الدولة في ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ (١٣ آذار ١٩٤٩ م).

أخذت الأمور تسير بشكل طبيعي في باكستان، وبدأت الأوضاع
تتحسن، وصارت الدولة تشارك في الأحداث الدولية، وفي اللقاءات
الإسلامية فعقد المؤتمر الإسلامي في مدينة كراتشي في باكستان، وافتمحه
رئيس الوزراء لياقت علي خان في جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ (شباط
١٩٥١ م).

الحركة الوطنية، انقسم إلى حزب الرابطة الإسلامية، تولى رئاسة حكومة البنغال
قبل التقسيم. تزعم عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) مجلس المستشارين للرابطة، وهو
جهة معارضة داخل الحزب، وتوفي في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ (٢٢ تشرين
الأول ١٩٦٤ م).

(١) لياقت علي خان: ولد في ١٢ ربيع الثاني ١٣١٣ هـ (الأول من تشرين أول
١٨٩٥ م)، وتعلم بجامعة عليكرة بالهند، ثم درس الحقوق بجامعة أكسفورد، وبعد
عودته إلى الهند اشتغل بالمحاماة، وانضم إلى حزب الرابطة الإسلامية، والنسبة
المركزية للحزب، ومنذ ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) تولى أمانة سر الحزب، وانتخب عام
١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) عضواً في المجلس التشريعي المركزي للهند، كما عُين بعد
الحرب العالمية الثانية وزيراً للمالية في الوزارة الائتلافية، واشترك في لجنة تقسيم
الهند، وتولى أول رئاسة وزارة في باكستان، واغتيل في ١٦ محرم ١٣٧١ هـ (١٦
تشرين الأول ١٩٥١ م) بيد أحد الأفغان.

اختير رئيس الوزراء لياقت علي خان في ١٦ محرم ١٣٧١ هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٥١ م) فتمن غلام محمد حاكماً عاماً على باكستان، وكان من قبل يشغل منصب وزير المالية، وكلف الحاكم السابق الخوجا نظام الدين برئاسة الوزارة.

وبدأ الخلاف بين الحاكم العام الذي هو من إقليم البنجاب من جناح باكستان الغربي وبين رئيس وزرائه الخوجا نظام الدين الذي هو من البنغال، وأخذ هذا الصراع شكلاً بين جناحي باكستان. فالبنغاليون يشعرون أن الجناح الغربي قد سيطر على الجيش، وخاصة أهل البنجاب منهم، كما سيطر هذا الجناح أيضاً على المؤسسات المدنية، ولم يحصل البنغاليون على التمثيل النسبي الصحيح في المؤسسات الإدارية على الرغم من أنهم كانوا يشكلون ٥٣٪ من مجموع السكان.

أخذ رئيس الوزراء يحمل فكرة أهل البنغال بالمطالبة بأن تكون اللغة البنغالية إحدى اللغتين الرسميتين في البلاد، بينما يرى أهل باكستان الغربية بأن تكون لغة رسمية واحدة للبلاد هي لغة (الأردو) التي يعرفها أكثرية السكان في الجناحين إضافة إلى سكان الهند، وذلك خوفاً من تعدد اللغة، وإعادة الشقة بين جناحي البلاد.

بدأت مشكلات اللغة، كما برز الخلاف الديني في الجناح الغربي أثناء إعداد مسودة الدستور.

وفي ٣ شعبان ١٣٧٢ هـ (١٧ نيسان ١٩٥٣ م) أقيمت الخوجا نظام الدين من رئاسة الوزارة، واختير مكانه محمد علي بوغراء، وهو من الجناح الشرقي أيضاً.

وفي ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) أجريت الانتخابات العامة، وتألقت جمعية تأسيسية لوضع الدستور، وكان أهم عمل لها أن وحدت باكستان الغربية بعد أن كانت عدداً من المقاطعات.

كان غلام محمد يُعاني شللاً أفقده القدرة على العمل فترك منصبه في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م) وقبض على السلطة الجنرال إسكندر مرزا بيد من حديد.

الاستقلال

بعد أن ترك غلام محمد المنصب في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م) تسلّم السلطة الجنرال إسكندر مرزا^(١)، وشدّد قبضته عليها. وجرى في عهده الانتخابات، ووضع الدستور، وجرى انتخابات الرئاسة، وانتخب في ٢٣ رجب ١٣٧٥ هـ (٥ آذار ١٩٥٦ م) إسكندر مرزا رئيساً للجمهورية.

وفي ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) أعلن الدستور، وقام النظام الجمهوري، وانتهى نظام الدومينيون، وشكّل شوغري محمد علي^(٢) الوزارة، وأصبح اسم البلاد حتماً نصّ الدستور الأول «جمهورية باكستان الإسلامية». كما نصّ الدستور على أن تكون الدولة جمهورية اتحادية تكون

(١) إسكندر مرزا: وُلِدَ عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) كان أبوه من أصحاب الاملاك الزراعية، تخرّج من جامعة بومباي، وأكمل دراسته العسكرية في كلية (سانلهرست) البريطانية، وتدرّج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة لواء، انتخب عضواً في الجمعية التأسيسية عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م)، وهو أول رئيس لجمهورية باكستان.

(٢) شوغري محمد علي: وُلِدَ في البنجاب عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) من أسرة فلاحية تنسب إلى قبيلة «شوغري»، درس الكيمياء، وتخرّج عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م)، ثم انصرف إلى الشؤون المالية والاقتصادية، اشترك في لجنة تقسيم الهند، وتولّى وزارة المالية في باكستان، وأشرف على خطة التصنيع، ثم شكّل الوزارة حتى استقال في ٦ ربيع الأول ١٣٧٦ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٥٦ م).

فيها الوحدات مستقلة في حدودها ضمن السلطات المخولة لها، وكذلك نصّ على أن الدولة ترمي إلى توطيد المبادئ الإسلامية، وخاصة العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الجميع، ويجب مراعاة تعاليم الإسلام.

وتوالى على هذا العهد ثلاثة رؤساء للجمهورية وهم:

١ - إسكندر مرزا:

تسلّم السلطة بعد أن تنحى غلام محمد في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م).

انتخب رئيساً للجمهورية في ٢٣ رجب ١٣٧٥ هـ (٥ آذار ١٩٥٦ م).

تسلم رئاسة الجمهورية في ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م). وقد اضطرت الأمور، واختلت الأوضاع الاقتصادية، فاتجه الشعب نحو البلدان العربية.

وفي ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ (٧ تشرين الأول ١٩٥٨ م) ألغى الرئيس إسكندر مرزا الدستور، وحلّ المجلس النيابي، وفرض الأحكام العرفية، وحلّ الحكومة المركزية، والحكومات الإقليمية، والأحزاب كافة، وعيّن أيوب خان القائد العام للجيش والقوات المسلحة حاكماً عاماً في الرابع من ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩٥٨ م). وبعد عشرة أيام غادر الرئيس إسكندر مرزا البلاد، وتسلّم أيوب خان السلطة مكانه. ولا شك أن الدول الأجنبية التي لها مصالح في باكستان كانت ترغب في أن يكون الحكم عسكرياً فلا يرتفع صوت يعارض السياسة، ولا يطالب دافع بالوقوف في وجه المصالح الاستعمارية.

٢ - أيوب خان:

! ربيع الثاني ١٣٧٨ - ٧ محرم ١٣٨٩ هـ (١٧ تشرين الأول

١٩٥٨ - ٢٥ آذار ١٩٦٩ م).

بعد ثلاثة أيام من استلام أيوب خان منصب الحاكم العام صدر مرسوم في ٧ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ يتضمن تغيير اسم البلاد من «جمهورية باكستان الإسلامية» إلى «الجمهورية الباكستانية» وإن لم يُنقَد حتى صدر الدستور الجديد في ٦ محرم ١٣٨٢ هـ (٨ حزيران ١٩٦٢ م).

أكد أيوب خان سلطانه في استفتاء جرى في شعبان ١٣٧٩ هـ (شباط ١٩٦٠ م)، وحصل على (٧٥,٢٨٣) صوتاً من (٧٨,٧٢٠) صوتاً من أصحاب الحق في التصويت طبقاً للأسس التي وضعت آنذاك.

أعلن أيوب خان تحديداً الملكية، ونقل العاصمة الاتحادية من «كراتشي» إلى «روالپنڊي» بحجة أن العاصمة يجب أن تكون قريبة من منطقة العمليات المتوقعة في «كشمير».

وجرت اتفاقية بين باكستان والهند حول مياه نهر السند في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (١٩ أيلول ١٩٦٠ م) حيث أخذت باكستان مياه أنهار: السند، وجيھلم، وشناب، على حين أخذت الهند مياه أنهار: ستلج، وياس، ورافلي. وكان الخلاف يحدث كثيراً بين الدولتين على مياه الأنهار، إذ أن معظمها يأتي من المناطق التي تسيطر عليها الهند في كشمير، وتجري نحو باكستان، ففي الوقت الذي تقطع فيه المياه عن باكستان تعيش تلك المناطق ظمأً. وقد قطعت الهند المياه عن مدينة «لاهور» عدة أسابيع في جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ (نيسان ١٩٤٨ م).

وصدر دستور جديد للبلاد في ٦ محرم ١٣٨٢ هـ (٨ حزيران ١٩٦٢ م). وقسمت كل من باكستان الغربية والشرقية إلى أربعين ألف دائرة انتخابية، وكل دائرة تضم حوالي ألف ناخب، وتنتخب ممثلًا عنها. ومُثل هؤلاء المنتخبون (الثمانون ألفاً) هيئة الناخبين. وتلصم كل عشر دوائر انتخابية وتشكل المجلس الاتحادي. وتُشكل رؤساء المجالس الاتحادية ولجان المدن مجلساً ثانياً.

واشترط الدستور أن يكون الرئيس مسلماً، ويُختار لمدة خمس

سنوات، ويجوز إعادة انتخابه، وإذا استمر في منصبه فلا يحق له إعادة ترشيح نفسه، ما لم توافق على ترشيحه أغلبية الجمعية الوطنية، والجمعيتين النيابيتين، والرئيس هو القائد الأعلى للدفاع، وفيه تتركز السلطة التنفيذية العليا.

ويختار أعضاء مجلس الوزراء من خارج الجمعية الوطنية. ويصدر ما يراه ضرورياً من المراسيم في حالة غياب الجمعية الوطنية. وله أن يحل الجمعية الوطنية قبل أن تنتهي مدتها، وهو في هذه الحالة يعد مستقلاً وعليه أن يعد ترشيح نفسه.

ولا تكون القوانين نافذة المفعول إلا إذا حصلت على موافقة ثلثي أعضاء الجمعية الوطنية.

ويحق لثلثي أعضاء الجمعية الوطنية الطلب من رئيس الجمعية إعفاء الرئيس من منصبه في حالة اقتناعهم بحدوث مخالفة دستورية ارتكبتها الرئيس، فإذا وافق على هذا الطلب ثلاثة أرباع أعضاء الجمعية يُعفى الرئيس، فإذا وافق النصف فقط يعد هذا النصف قد فقد مقعده في الجمعية الوطنية. ويمارس السلطة التنفيذية في كل إقليم حاكم ذلك الإقليم.

وتتألف الجمعية الوطنية من مائة وخمسين عضواً في كل إقليم إضافة إلى ست مقاعد خصصت للنساء.

وفي عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) جرى اتفاق مع الصين بشأن الحدود المشتركة بين الدولتين في «كشمير الحرة» ورسمت تلك الحدود.

وفي شهر رمضان من عام ١٣٨٤ هـ (كانون الثاني ١٩٦٤ م) صدرت أوامر بحل الجماعة الإسلامية، ومصادرة أموالها، وكانت الحكومة من قبل شهر قد صادرت مجلة «ترجمان القرآن» التي كان يصدرها أبو الأعلى المودودي، وزجّت به مع أعضاء جماعته البارزين في السجن. وتوقع المرابطون السياسيون قرب نشوب حرب تشترك فيها باكستان، حيث

لم يسبق أن وقعت حرب بين دولة إسلامية وبعض أعدائها، وكانت في تلك الدولة حركة إسلامية نشطة، إلا وسق هذه الحرب اعتقال أعضاء هذه الحركة الإسلامية واضطهاد أفرادها.

وأكد الرئيس أيوب خان سلطته مرة أخرى باستفتاء جرى على رئاسة الجمهورية في رمضان ١٣٨٤ هـ (كانون الثاني ١٩٦٥ م)، وقد حصل على (٤٩.٦٤٧) صوتاً ضدّ (٢٨.٣٤٣) صوتاً حصلت عليها منافسته فاطمة جناح شقيقة محمد علي جناح.

وفي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) وقعت الحرب بين باكستان والهند بشأن كشمير، إذ رأينا حركة الجهاد الكشميرية قد نشطت، وأحرزت انتصارات كثيرة على حكومة الهند المسيطرة على كشمير بالقوة، فرأت الهند أن توسع نطاق الحرب على باكستان لتكون حرباً نظامية، فتحفظ ماء وجهها بهزيمتها أمام المجاهدين الكشميريين، وكان الجيش الهندي متدفعاً نحو الحرب في باكستان، ليتزع عن نفسه المهانة التي مُني بها في قتاله مع الجيش الصيني عام (١٣٨٢ هـ)، وفي ظن قادته أنهم سيحرزون نصراً حاسماً على باكستان.

اخترق الجيش الهندي خط وقف إطلاق النار في كشمير، واحتل أربعة مراكز في دولة كشمير الحرة، وأعلن وزير الدفاع الهندي النيا أمام المجلس النيابي، فصق له التواب والقفين، وأحسّت دلهي بشيوة الظفر. وأعلنت الهند أنها ردت على تحركات من أسنمتهم بالمتسللين الباكستانيين إلى كشمير، وتوقع بعض المراقبين السياسيين بأن العملية الهندية لن تتعدى أن تكون أكثر من مناوشات على الحدود. كما تفعل عادة. ولم يكن لبكستان أن تسكت، فإن سكنت فستمدى الهند كثيراً، وإن سكوت باكستان أول مرة سيثجع الهند على التصادي في الإغارة والهجوم، وستضعف معنويات الجيش الباكستاني، كما أن هذا سينعكس على

المسلمين الذين يعيشون داخل الهند حيث مستجراً عليهم الهندوس، إضافة إلى أن قضية كشمير مستضج.

قامت باكستان مباشرة برّد فعل مقلحيه بجنوبي كشمير التي تحتلها الهند، فانهارت المقاومة الهندية، وساد الذعر الشديد في صفوف الجيش الهندي لشدة الضربة وعنصر المفاجأة، وأشاع الهود من شدة الخوف أن باكستان تريد القيام بحركة التفان واسعة بقصد السيطرة على إقليم (جمو) الكشميري.

قامت الهند بهجوم على الحدود الباكستانية في منطقة (لاهور) من ثلاث نقاط على جبهة واسعة بطول مائة كيلومتر بالإضافة إلى قصف المدن الباكستانية بالقنابل عن طريق الجو، وكان الهجوم الهندي بكل إمكاناتها ليكون رادعاً لبكستان، ولتنهار مقاومتها، ولترجع على ركشيتها. حسب ظنّ الهند. وهكذا انتقلت الحرب من كشمير إلى الأرض الباكستانية.

كانت خطوط الدفاع الباكستانية قوية، والروح المعنوية لدى جنودها مرتفعة فصمدت وردّت الهجوم الهندي، وهذا ما غيّب أمل الحكومة الهندية في إمكانية إحراز النصر بسهولة حسبما كانت تُفكّر.

وفتحت الهند جبهة رابعة في جنوبي باكستان على محور كراتشي التي تُعدّ مكشوفة نسبياً لبغدها عن ساحة العمليات، وتظنّ الهند أن القوات الباكستانية سشرع إلى الجنوب للدفاع عن كراتشي ميناء باكستان الأول، وخوفاً من عزلها في الداخل فيما إذا تمكّنت الهند من دخول كراتشي، واختراق خطوط الدفاع الباكستانية والسيطرة بالتالي على الساحل. ولكن خاب ظنّ الهند على هذا المحور أيضاً، وردّ الباكستانيون ذلك الهجوم. وظهر تماسكهم في القتال على حين كان الهود لا يصدون، وربما لو استمرت الحرب لانتصرت باكستان ولانتهت قضية كشمير غير أن مجلس الأمن قد أصدر قرار وقف إطلاق النار في ٢٩ شعبان ١٣٨٥ هـ (٢٢ كانون الأول ١٩٦٥ م) فتوقفت الحرب. ولتنظر إلى قوات الطرفين:

والقضاء عليها، وإعادتها تحت سيطرة الهند، وإعادة سكانها كذلك إلى الوثنية الهندوسية، وليس باكستان فقط بل وأفغانستان، وهذا ما مرّ معنا في نداءات غلاة الهندوس.

كانت القوات البرية الهندية موزعة على الشكل التالي ٨ فرق مشاة، و ٥ ألوية مشاة أيضاً مع الفرقة المدرعة على حدود باكستان الغربية، ومعدّة ضمن فيلقين أحدهما يربط في النجاف والأخر في كشمير.

أما القوات الجوية فإن ٧٥٪ منها موجه إلى باكستان الغربية، وسلاح الجو يُشكّل ثلاثة عشر سرباً، سبعة منها في الغربية، وأربعة في الشرقية، واثنان في الوسطى.

أما القوات الباكستانية البرية فكلها في الغربية باستثناء الفرقة ١٤ مشاة فهي في الشرقية.

والأسلحة الهندية متنوعة منها الأمريكي، ومنها البريطاني، ومنها الروسي، وحتى سلاح الطيران كذلك، حيث كان يضمّ بعض الطائرات الروسية (ميغ ٢١)، على حين أن الأسلحة الباكستانية تكاد تكون كلها من النوع الأمريكي.

ظهر في هذه الحرب أن الجيش الباكستاني كان أكثر تدريباً، وأكثر السجماً، وروحاً المعنوية أكثر ارتفاعاً، ولا غرابة في ذلك فنظام الطبقات في الديانة الهندوسية تجعل الجيش مُفككاً، على حين أن الإسلام يجعل من مقاتليه كتلةً واحدةً. كما أن نظام الطبقات يجعل الجنود لا يبالون بالنصر كثيراً، لذا تكون الحماسة عندهم ضعيفةً والاندفاع قليلاً، والتضحية معدومةً، بينما المسلمون يسعون وراء النصر ويطلبون الشهادة في سبيل الله، لذا فالحماسة قوية، والروح المعنوية عالية، والتضحية واجبة، والاندفاع عظيم، وقد أبدى الباكستانيون فعلاً في هذه الحرب أنواعاً من الفداء والتضحية كبيرة. وكذلك كان الهنود يستهينون بالباكستانيين لقلّتهم النسبية، ويحسبون أن النصر آتٍ لا محالة لذلك لم يبدلوا الجهد المطلوب، ولم

باكستان	الهند	
٣٠٠,٠٠٠ جندي وضابط	٦٦٠,٠٠٠ جندي وضابط	القوات البرية
٦	١٩	فرقة مشاة
٢	١	فرقة مدرعة
-	٨	لواء مشاة
-	٢	جماعة مشاة
-	١	لواء مدرع
-	١	لواء مظلي
-	-	المدفعية:
٧٠٠ مدفع	٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ مدفع	القوات الجوية
٣٠ طائرة مقاتلة	٥٠٠ - ٦٠٠ طائرة مقاتلة	٦ أسراب هليكوبتر
٣٠ طائرة هليكوبتر	-	سرب استطلاع
-	-	٣ طائرات نقل
-	-	القوات البحرية:
-	٤١	وحدة
١	٢	طراد
-	١	حاملة طائرات
١١	٦	مدمرة
٨	٦	كاسحة
١	-	غواصة
-	٨	فرقاطة
١٠	٩	سفن مراقبة
٥	-	سفن معاونة

كانت القوات الهندية موزعةً باتجاه باكستان فقط، وكان المناطق الهندية لا تحتاج إلى حماية، أو أن الفكرة قائمة مسبقاً لقتال باكستان

يستعدوا الاستعداد الكافي، ولم يهتموا بخصوصهم، وبالمقابل كان الباكستانيون يحسبون حساباً كبيراً للهند لمعرفةهم بأعدادهم الكبيرة، ولعلمهم بأحقادهم الدفينة، وانتظارهم الفرصة لإعمال سلاحهم بالمسلمين لذا فقد استعدوا، وانتفعوا، وشجّع بعضهم بعضاً وكان لهم النصر - بإذن الله - .

وإضافة إلى ذلك يجب ألا ننسى أن السلاح الباكستاني موحد، وكفه أمريكي، على حين أن السلاح الهندي متروك من الأمريكي، والروسي، والبريطاني، ولهذا دوره في التخطيط وفي القتال.

مؤتمر طاشقند:

لم يكن يتوقع أحد أن يُسمح للروس بالتدخل في شبه القارة الهندية التي كانت إنكلترا تعدّها أمن دوة في التاج البريطاني لذا يجب حمايتها، والحفاظ عليها، وعدم السماح لأحد بالاقتراب منها، ولكن ماذا حدث الآن؟ وكيف يسمح للروس بالولوج إلى داخلها، والوساطة بين أبنائها، والروس هم الذين يُخشى منهم قبل غيرهم، والإنكليز والأمريكان يتفرّجون؟ إنها السياسة واللعبة الدولية، ولتنظر إلى بعض مطلقات اللعبة القاهرة:

١ - " إن باكستان والهند معاً تدوران في فلك السياسة الغربية، ولا يريد سدة هذه السياسة أن ينحازوا لطرف دون الآخر فيدفعوا من تخلّوا عنه للتحرك نحو المعسكر الآخر، لذا أرادوا أن يظهروا على الحياد، والارتباط بالطرفين، ويُعطوا زمام المبادرة لغيرهم، فدفعوها للروس.

٢ - " إن كفة باكستان أخذت بالرجحان، وظهر التفوق الباكستاني على الهند، ولهذا أسرع مجلس الأمن وأعلن وقف إطلاق النار قبل أن تحلّ الهزيمة بالهند.

٣ - " إن الغرب يميل ضمناً إلى الهند فهي دولة هندوسية وثنية لا منيح لها يُخيف، ولا نظام يُخشى بأسه وإنما تأخذ المنهج والنظام الغربي دون معارضة ما دامت لا تملك شيئاً. أما باكستان فهي دولة مسلمة،

والحركة الإسلامية فيها نشيطة، والإسلام له منهجه الخاص، ونظامه الخاص، وكلاهما يختلف ويتعارض مع النظام الرأسمالي بل والشيوعي وكل الأنظمة الوضعية، كما أن للمسلمين شخصيتهم المتميزة، ولهم تطلّعاتهم المستقبلية في الدعوة ونشر الإسلام، ومخاربه الظلم، والوقوف في وجه الاستبداد واستغلال الآخرين التي منها الاستعمار. وإذا كان حكام باكستان اليوم يسبّرون في فلك السياسة الغربية لكن هذا غير مضمون في المستقبل وخاصة إذا ما نصح الإسلاميون وآلت إليهم الأمور، وعندنا سيقولون كل دخيلٍ ومستغلٍ خارج الحدود، ومن هنا كان تفضيل الغربيين للهند، ورغبتهم بأن تكون الحرب لصالحها.

٤ - " إن الروس يميلون إلى الهند أيضاً، فإضافة إلى ما ذكرنا في الفقرة السابقة فإن الهند على خلاف مع الصين، وقد جرى بينهما قتال قبل ثلاثة أعوام أي في عام ١٣٨٢ هـ، وانسحرت الهند، ولا تزال تحقد على الصين، والروس على خلاف مع الصين من حيث الفكر الشيوعي والتطبيق الماركسي، وعدوٌّ عدوٌّك صدديقك، فالروس أصدقاء للهند، ويريدون لها النصر، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الروس يخشون انتصار باكستان الذي قد يُثير المسلمين الذين يسيطر الروس على بلادهم، كما أن انتصار باكستان قد يجعلها قوية، وتوجه نحو أفغانستان، وتندمج معها، وخاصة أن قبائل الشمال الغربي الباكستاني (الباتان) لهم تنمة في أفغانستان ويُشكّلون ٦٠٪ من سكانها. فإذا ما اندمجت باكستان مع أفغانستان كانت دولة قوية على حدود الامبراطورية الروسية. ومن هنا تكون روسيا قد أصيبت بتكيتين: أولاهما وجود دولة قوية معادية لها وسياستها، وفكرها، ومنهجها، ومعنى ذلك أنها ستكون في صراعٍ دائمٍ معها، وثانيتهما: أن الدولة الجديدة (باكستان + أفغانستان) دولة مسلمة، وروسيا تسيطر على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي بل إن بعض الجمهوريات الإسلامية في تركستان والتي يسيطر عليها الروس، وتُسمّى بأسماء القبائل الرئيسية فيها (طاجيكستان، أوزبكستان، تركمانستان) تمتدّ هذه القبائل إلى داخل أراضي الدولة

الجديدة، ومعنى هذا أن المسلمين سيستقون على الروس، وسيجدون الدعم، وستفكك الإمبراطورية الروسية.

٥ - إن أفغانستان قد تركها العرب ضمن دائرة النفوذ الروسي عندما جرى التسام مناطق النفوذ فيما بينهما، أو توزيع الغنائم، لذا تريد روسيا أن لا يمس أحد أفغانستان، وألا تكون دولة قوية على حدودها، وخاصةً باكستان التي تشترك مع أفغانستان بالعقيدة ووحدة القبيلة. ومن هنا كانت روسيا لا تريد لبكستان القوة، ولا تريد لها النصر بل تريد ذلك للهند وتقف إلى جانبها.

٦ - إن العلاقات توطدت بين باكستان والصين، وخاصةً في الأونة الأخيرة بعد القتال الذي جرى بين الصين والهند، ولما كانت الصين على خلاف مع روسيا لذا فإن باكستان تقف ضد روسيا وفي الخندق الذي تقف فيه الصين.

ومن هنا كانت روسيا تتلقى مع الغرب في الرغبة في انتصار الهند على باكستان، ولذا فإن الغرب قد أراح نفسه من هذه التبعة حيث لا يريد الانحياز إلى أحد طرفي النزاع فكلاهما من أعيانه الذين يسرون في فلكه، وألقى المهمة على روسيا، ويعرف أنها ستصل بالموضوع إلى الهدف نفسه الذي يريد، ومن ناحية أخرى لا يخشى على الهند من روسيا لبعدها عنها، ولتركيز وضعه في الهند، كما يرغب أن يقع الشقاق بين باكستان وروسيا على نطاق أوسع مما هو عليه، حيث لروسيا أطماع في باكستان إذ تكون طريقها إلى المحيط الهندي بعد السيطرة المرتقبة على أفغانستان، ولها علاقات معها قبلية، كما أن الحدود ستكون طويلة، وفيها مشكلة، وهي الحدود القائمة الآن بين باكستان وأفغانستان.

دعا الرئيس الروسي ألكسي كوسيجين رئيسي طرفي النزاع إلى عقد مؤتمر قمة في مدينة طاشقند قاعدة جمهورية أوزبكستان الإسلامية التي تخضع للسيطرة الروسية كنوع من الإغراء لبكستان، والرئيس الروسي

مسرور بهذه المهمة إذ لأول مرة يتوسط روسي في قضية تتعلق بالهند، وبريطانيا بل والغرب يتفرج.

عقد المؤتمر في ١٤ رمضان ١٣٨٥ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م)، وقد حضره لال بهادور شاستري رئيس وزراء الهند ممثلًا لحكومته، ورئيس جمهورية باكستان أيوب خان، وكان الرئيس الروسي مدة المؤتمر كلها موجوداً في طاشقند للتسوية بين الطرفين فيما إذا حدث اختلاف في وجهات النظر. وصدر إعلان طاشقند، وجاء فيه: يتضمن التزام الدولتين بالمبادئ الآتية:

- تصميم البلدين على إعادة العلاقات السلمية بينهما، وتدعيم العلاقات الودية بين الشعبين.
- التزام ميثاق الأمم المتحدة، وحلّ الخلافات بالطرق السلمية لذلك نوقشت مشكلة كشمير وتبادل الطرفان وجهات النظر بخصوصها.
- يلتزم البلدان بسحب قواتهما المسلحة في موعد لا يتجاوز (٢٥) شباط ١٩٦٦ م) إلى المواقع التي كانت عليها قبل الخامس من آب عام ١٩٦٥ م، ويراقب كل من الطرفين وقف إطلاق النار.
- تقوم العلاقات على أساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- يلتزم كل من البلدين بوقف الدعاية المعادية للأخر، وتشجيع الدعاية التي تدعم العلاقات الودية بينهما.
- عودة العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية بين البلدين، وتبادل الأسرى، وبحث المشكلات الخاصة باللاجئين، وإعادة الممتلكات والودائع التي استولى عليها كل جانب أثناء القتال.
- استمرار عقد الاجتماعات على مستوى القمة وعلى المستويات الأخرى في الأمور المشتركة، وإنشاء أجهزة هندية-باكستانية تخبر حكوماتها بالخطوات التي يجب اتخاذها مستقبلاً.

وفي ١ شوال ١٣٨٥ هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٦٦ م) اجتمع في دلهي كل من رئيسي القوات الهندية والباكستانية. وبدأت في ٤ شوال

١٣٨٥ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م) عمليات السحب القوات، وتبادل الأسرى، وتحليق الطائرات الباكستانية فوق الهند في طريقها بين شطري باكستان. كما عادت علاقات التجارة والاقتصاد والعلف، والتبادل الثقافي، وتشكلت في دلهي رابطة الصداقة الهندية - الباكستانية.

وهكذا ضاع انتصار باكستان وجهودها بل انقلب إلى شبه هزيمة، إذ لم يعد لها الحق أن تتدخل في شؤون كشمير ما دامت الهند تعدها جزءاً منها، والبحث في قضايا المسلمين فيها إنما هو تدخل في شؤون الهند الداخلية. وعدت الهند هذه الاتفاقية نصراً كبيراً، ولقيت تأييداً كبيراً، أما في باكستان فقد لقيت هذه الاتفاقية معارضة قوية، وعُدت فشلاً سياسياً إذ ذهب هدراً جهد الجيش الباكستاني.

ولكن نستطيع أن نقول: إن الهند التي عرفت قوة باكستان على الساحة وإمكانية جيشها لا بد لها من أن تعمل على إضعاف باكستان، ولعل أول ما يلفت النظر في وسيلة إضعافها هو تحزبها بفصل شطريها بعضهما عن بعض، وقد بدأ العمل والتخطيط لذلك.

انفراد أيوب خان بالسلطة:

وضع أيوب خان دستوراً جديداً قام على أساس النظام الرئاسي، وعُرف بدستور (١٩٦٢ م) ١٣٨٢ هـ. على حين أن دستور ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) كان يقوم على أساس النظام النيابي، إذ كانت الانتخابات تتم في الدستور السابق على مرحلتين، تختار في المرحلة الأولى «هيئة الناخبين» التي تتألف من ثمانين ألف عضو، تختار بالتساوي من إقليميّ باكستان: الإقليم الشرقي، والإقليم الغربي، لمدة خمس سنوات، وهي التي تنتخب الجمعية الوطنية ورئيس الجمهورية، وتتألف الجمعية الوطنية من ثلاثمائة وعشرة أعضاء، ورئيس الجمهورية يجب أن يكون مسلماً، ويجوز انتخابه مرتين، وإذا تجاوز حكمه الثمان سنوات لا يستطيع أن يُرْفَع لفسه مرة أخرى.

أما الدستور الذي وضعه أيوب خان عام ١٣٨٢ هـ فقد حظّر نشاط الأحزاب السياسية، وجعل رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للدفاع، وهو الذي يختار الوزراء من خارج الجمعية الوطنية، كما يحق له أن يحلّ الجمعية الوطنية، ويمكنه أن يُصدر المراسيم في حال غياب الجمعية الوطنية، ولا يصدر أي مشروع حتى يُوافق عليه الرئيس، وربما يُوافق على مشروع إذا أجازته ثلثا أعضاء الجمعية الوطنية، وقد يُقرّه بعد إجراء استفتاء عليه. وجعل هذا الدستور الجمعية الوطنية ١٥٦ عضواً مناصفةً بين إقليميّ باكستان، ويتم انتخاب مائة وخمسين عضواً منهم والست الباقية فقد خصصت للنساء بحيث يكون ثلاث نسوة من كل إقليم. أما الهيئة النهائية فتألف من مائة وخمسين عضواً في كل إقليم ويضاف خمس نساء للهيئة في كل إقليم. أما السلطة التنفيذية في كل إقليم فهي بيد حاكم يُعيّنه الرئيس، ويختار الوزراء. ويعني هذا أن كل شيء أصبح بيد رئيس الجمهورية. ونصّ الدستور على إقامة محكمة دستورية عليا، ويجب ألا يصدر أي تشريع يتعارض مع القرآن أو السنة. كما أن القوانين النافذة يجب أن تُراجع على هذا الأساس، ولذلك فقد أُقيم:

١ - مجلس البحوث الإسلامية.

٢ - المجلس الاستشاري للفكر الإسلامي.

المعارضة:

تلقت الهند مساعدات عسكرية ضخمة عام ١٣٨٢ هـ من الولايات المتحدة الأمريكية للحلف القائم بين الهند والصين، والقتال الذي دار بينهما، وعُزمت فيه الهند، وكانت هذه المساعدات باسم دعم الهند غير أنها في الواقع قد أثارَت الباكستانيين الذين عذّوا ذلك انحيازاً للهند ضدّهم، وعذّوا بحاجة إلى من يقودهم خوفاً من قوة الهند وتطاولها عليهم وتهديدهم.

وبرز أيوب خان وتسلّم رئاسة حزب باكستان الإسلامي الذي أسس

في مدينة كراتشي في شهر ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول ١٩٦٣ م). وساعده في ظهور زعامت موت زعيم الهند (جواهر لال نهرو) في مطلع عام ١٣٨٤ هـ (أيار ١٩٦٤ م)، البارز في الهند، فخلى الجو لأبوب خان في ظهوره كزعيم في شبه القارة الهندية. واقترح أبوب خان عقد حلق استانبول في ربيع الأول ١٣٨٤ هـ فكتب تأييد مسلمي باكستان اللذين شعروا بضرورة عقد هذا الحلق للوقوف في وجه الهند التي حصلت على تأييد الولايات المتحدة لها.

ومع هذه الدعاية التي حصل عليها أبوب خان إلا أن معارضة أخذت تلقف في وجهه، وحمل لوامعا في بداية الأمر الخوجا نظام الدين الذي كان حاكم باكستان ثم رئيس وزرائها وذلك في العهد السابق. وتوحدت جهود المعارضة في ١٢ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ (٢١ تموز ١٩٦٤ م) حيث التفت خمسة أحزاب، فيما سُمي حزب المعارضة المتحدة، وأمكن التوصل إلى إعلان من تسع نقاط اتخذ كبرنامج انتخابي، وهذه النقاط هي:

- ١ - وضع دستور (ديمقراطي).
- ٢ - الانتخاب الشعبي المباشر للجمعية الوطنية، والهيئتين الشائيتين في إقليمي باكستان.
- ٣ - إعطاء هذه الجمعيات سلطات تشريعية كاملة في الأمور المالية وشؤون الميزانية.
- ٤ - إقامة نظام نيابي اتحادي يحفظ لإقليمي باكستان استقلالهما الذاتي على أن يمثل الإقليمان تشكيلاً متكافئاً في الحكومة المركزية.
- ٥ - تليد سلطات رئيس الجمهورية.
- ٦ - فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية.
- ٧ - إعطاء المحاكم العليا الاختصاص بمراجعة دستورية القوانين.
- ٨ - الإفراج عن المعتقلين السياسيين جميعاً.
- ٩ - إلغاء كل قوانين القمع.

أما الأحزاب فهي:

- ١ - الرابطة الإسلامية التي برئاسة الخوجا نظام الدين.
- ٢ - الجماعة الإسلامية برئاسة أبو الأعلى المودودي.
- ٣ - حزب نظام الإسلام برئاسة شوادي محمد علي، الذي كان رئيساً للوزراء قبل تسلّم أبوب خان السلطة.
- ٤ - حزب عوامي الوطني برئاسة عبدالحميد خان بها ثلثي.
- ٥ - عصبة عوامي برئاسة نواب زاده نصر وأمانة سر مجيب الرحمن.

وطالبت المعارضة بتشكيل حكومة انتقالية تُشرف على الانتخابات، وأن يُعطى مرشح المعارضة ما يُعطاه مرشح الحزب الحاكم، ولكن لم يأت به الحكم بمطالب المعارضة.

وكانت الحكومة وحزب باكستان الإسلامي الحاكم يُشعرون أن الهند تُشجع المعارضة في الإقليم الشرقي، على حين تُشجع الولايات المتحدة المعارضة في الإقليم الغربي. وأن هناك مؤامرة تُحاك ضدّ باكستان تهدف إلى فصل إقليمها بعضهما عن بعض، ولهذا نجد في المعارضة حزب عوامي ينجاحه، ومعروف عن هذا الحزب دعوته لتقسيم باكستان، وفصل الإقليم الشرقي عن الغربي، وكيف تنفق الجماعة الإسلامية والإسلام يدعو إلى الوحدة، مع هذا الحزب الانفصالي الذي يدعو إلى التجزئة.

اقترب موعد الانتخابات وأخذت المعارضة تبحث عن مرشح للترئاسة، واستمرّ البحث شهرين، ولم تثر على منافس لأبوب خان، وفي ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ (١٩ أيلول ١٩٦٤ م) استقرّ السوي على ترشيح فاطمة جناح شقيقة محمد علي جناح بعد تمتع وترتيد، والغريب في ذلك تأييد الجماعة على هذا الترشيح على حين لا يصحّ ذلك شرعاً، وأبو الأعلى المودودي أهل علم، وفي الجماعة كثير من هؤلاء، ومن هنا كان النقد، نقد الترشيح، ونقد الجماعة الإسلامية إحدى فئات المعارضة.

وأعلنت المحاكم إثر ذلك أن حظر الجماعة الإسلامية من قبل الحكومة لم يكن قانونياً.

انتهت المرحلة الأولى من الانتخابات في رجب ١٣٨٤ هـ (نشرين الثاني ١٩٦٤ م)، وجاءت المرحلة الثانية في رمضان ١٣٨٤ هـ (مع بداية عام ١٩٦٥ م) بالافتراع على رئيس الجمهورية، وقد فاز أيوب خان على منافسة فاطمة جناح فوزاً ساحقاً إذ حصل على ٦٣٪ من مجموع الأصوات حيث نال ٤٩.٦٤٧ ألف صوت. على حين لم تحصل هي إلا على ٣٦٪ من مجموع الأصوات، وبدت المعارضة ضعيفة، حيث نالت ٤٨.٣٤٣ ألف صوت.

وجاءت الحرب بين باكستان والهند فاتصرف الناس إليها، وسكنت المعارضة في تلك الظروف، غير أنها قد اشتدت المعارضة بعد الحرب حيث شكلت الجماعة الإسلامية مع بعض الأحزاب والجماعات ما عُرف باسم حركة باكستان الديمقراطية، وانتد وزير الخارجية ذو الفقار علي بوتو اتفاقية طاشقند، وأقبل من الوزارة، وشكّل حزب الشعب عام ١٣٨٧ هـ، وأخذ يُلقى تصريحات ضدّ الهند، ويتند اتفاقية طاشقند، ويدعو إلى تحرير كشمير، وينادي بتطبيق منهج الاشتراكي، فاكسب شعبية وإن أحجم الكثير عن تأييده لدعوته إلى المنهج الاشتراكي رغم قبوله بكل ما سوى ذلك، ثم أخذ ذو الفقار علي بوتو يُهاجم حكم أيوب خان، وقامت المظاهرات في ١٧ شعبان ١٣٨٨ هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ م) وبعد خمسة أيام اعتقل ذو الفقار علي بوتو، وزعماء حزب عوامي في الإقليم الغربي بتهمة التحريض على القومس، ولكن استمرت المظاهرات التي كانت تقودها الجماعة الإسلامية. وأعلن أيوب خان في ٤ ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (٢١ شباط ١٩٦٩ م) أنه لن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية هذه المرة.

انضمّ إلى المعارضة الجنرال أصغر خان وكان من قبل من أعوان

أيوب خان، وشكّل حزب العدالة في شهر ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (آذار ١٩٦٩ م) كما مشى في المعارضة الجنرال عزام خان، والقاضي مرشد الذي كان رئيس قضاة باكستان الشرقية، وهكذا اتسع نطاق المعارضة، واشتدّت.

عزم أيوب خان على زيارة باكستان الشرقية في رمضان عام ١٣٨٨ هـ (أواخر عام ١٩٦٨ م)، وكانت باكستان الشرقية حتى هذه المرحلة بعيدة عن المظاهرات، وخاصة بعد اعتقال مجيب الرحمن وزعماء حزب عصبة عوامي في عام ١٣٨٦ هـ، وقيام الحرب الباكستانية- الهندية والتي ولدت لدى سكان باكستان الشرقي شعوراً بالعجز العسكري من جانب الحكومة المركزية، وخاصة بالنسبة لإقليمهم. وقد وضع مجيب الرحمن الذي آلت إليه زعامة حزب عصبة عوامي ست نقاط في سبيل استقلال الإقليم الشرقي، ومعاملة إقليمي باكستان كوحدين اقتصاديين، وهذه النقاط هي:

- ١ - وضع دستور جديد لباكستان، وأن يُقيم هذا الدستور اتحاداً حقيقياً من الإقليمين، وأن يتمّ التحوّل لباكستان إلى نظام نيابي يتأكد فيه تفوق السلطة التشريعية التي يتمّ انتخابها انتخاباً شعبياً مباشراً.
- ٢ - حصر وتركيز مسؤولية الحكومة الاتحادية في ناحيتي الدفاع والسياسة الخارجية، وما عدا ذلك من أمور فيجب أن تتدخل ضمن السلطة الكاملة للولايات التي يتكوّن منها هذا الاتحاد.
- ٣ - إيجاد نظامين مستقلين ومفضلين للهند في باكستان، وجعل النقد في كلٍ منهما قابلاً للتحويل الحرّ. وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فليس هناك ما يمنع من اتباع نظام نقدي مُوحد لباكستان كلها، شريطة أن يتمّ إيقاف التدفّقات النقدية ورؤوس الأموال من باكستان الشرقية إلى الغربية. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن تكون هناك سياسة مالية ونقدية مستقلة لباكستان الشرقية.

٤ - نقل سلطة فرض الضرائب وجمع الإيرادات من الحكومة الاتحادية إلى حكومات أقاليم الاتحاد، على أن تُخصَّص نسبة من حصيلة هذه الضرائب والدخول لمقابلة نفقات الحكومة الاتحادية.

٥ - إيجاد نظامين منفصلين للحسابات الخاصة بالدخل المتحصَّل من المبادلات الخارجية لإقليمي باكستان، ويكون الوفاء بمتطلبات الحكومة الاتحادية من النقد الأجنبي مسؤولية إقليمي باكستان إما على أساس المساواة وإما وفقاً لمعادلات يتمَّ تحديدها، وتكون حركة الضائع بين إقليمي باكستان حرةً دون قيود أو عوائق جمركية، كما يجب أن يمتح الدستور إقليمي الاتحاد حقَّ إقامة روابط تجارية مع الدول الخارجية.

٦ - الإفراج لباكستان الشرقية بحق إقامة تنظيمات عسكرية خارج إطار القوات المسلحة النظامية.

ولما قام أيوب خان بزيارة باكستان الشرقية أخذت المظاهرات تعمُّ مدن ذلك الإقليم، واشترك فيها أصحاب مشارب شتى منهم الذين يريدون الانفصال، ومنهم العمال الذين يرغبون في تحسين الأجور، ومنهم الذين يريدون إصلاح الوضع النيابي، وقد لفت الجميع القيام بالمظاهرات وقد يكون كثير ممن شارك في تلك الحركات قد انساق مع الجموع سوقاً حتى غدت الفكرة الغالبة أن النعمة عارمة، وتمثل أكثرية السكان. وهذا ما منع الحكومة من اتخاذ إجراءات صارمة، وتضرب ضربة حاسمة، وأخذ الوضع يتدهور، وفقدت الدولة سيطرتها على الموقف، فاضطرَّ أيوب خان أن يلجأ إلى الجانب السياسي، فوجّه الدعوة إلى زعماء المعارضة لعقد اجتماع سياسي لمناقشة مسألة الإصلاحات الدستورية. ويبدو أن العسكريين بقوا بعيدين عن الساحة، ولم يبرأ ضرورة في الانسحاق وراء الرئيس أيوب خان إذ فقد سيطرته، كما لم يرغبوا في قسم الارتباط بين الجيش والشعب هذا بالإضافة إلى أن بعض كبار العسكريين قد أصبحوا ضمن صفوف المعارضة مثل الجنرال أصغر خان، والجنرال عزام خان و...

تأجلت الاجتماعات لوجود بعض الزعماء السياسيين في السجن مثل: ذو الفقار علي بوتو زعيم حزب الشعب، ومجيب الرحمن زعيم حزب عصبة عوامي وغيرها، وقد تمَّ الإفراج عنهم بعد طلب مُثليهم لبحضروا المؤتمر.

عُقدت الجولة الأولى من المحادثات في مؤتمر المائدة المستديرة في مدينة راولپندي، وحضره قادة حركة باكستان الديمقراطية، ولجنة العمل الديمقراطية التي تشكلت في شوال ١٣٨٧ هـ (مطلع عام ١٩٦٨ م)، وكذلك الزعماء المستقلون أمثال الجنرال أصغر خان.

ظهرت خلافات في صفوف المعارضة إذ أن مجيب الرحمن كان يُطالب بالاستقلال الذاتي الكامل لباكستان الشرقية، وتمثيلها في المجلس النيابي الاتحادي على أنها تمثل أغلبية السكان، ونقل العاصمة الاتحادية إلى الجناح الشرقي، ولكن هذه المطالب قد وجدت معارضة شديدة وذلك أن أهم مشكلة تُعاني منها باكستان إنما هي قضية كشمير، وهي موجودة في الجناح الغربي، كما أن ازدحام السكان الكبير في الجناح الشرقي لا يُناسب معه نقل العاصمة إذ تصح الحياة صعبةً مُعقَّدة لكثافة السكان الضخمة والتي ستزداد ضخامةً بنقل العاصمة إلى هناك. واستغلَّ أيوب خان هذه الخلافات، وفضَّ المحادثات غير أنه وعد المعارضة بالرجوع إلى مبدأ الانتخاب الشعبي المباشر، والتحول من النظام الرئاسي إلى النظام النيابي. ولكنه لم ينظر إلى مطالب مجيب الرحمن باستقلال باكستان الشرقية الذاتي، وهذا ما جعل مجيب الرحمن يمتليء حقناً ويُصمَّ على مُتابعة مقاله بل على العمل على تنفيذها.

لم تهدأ الاضطرابات بل زادت تفاقمًا إذ لم تأبه المعارضة كثيراً بتلك اللقاءات، وساعد على ذلك أيضاً أن بعض زعماء المعارضة لم يحضروا مؤتمر المائدة المستديرة في راولپندي، ومنهم ذو الفقار علي بوتو من الجناح الغربي، وعبد الحميد بها شاني من الجناح الشرقي، حيث أصرَّ هذان الزعيमान على إسقاط الحكم بالوقوف في وجهه والقيام بمظاهرات

ضدّه، وانضمّ الفلاحون في باكستان الشرقية إلى المظاهرات وطاقم الأمر، ولم يجد أيوب خان بدأ من اعتزال الحكم فتركه في ٧ محرم ١٣٨٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٦٩ م)، وسلمه إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش الباكستاني الجنرال يحيى خان، وقد جاء في الخطاب الذي أعلن فيه هذا القرار: «هذه هي المرة الأخيرة التي أحاطبكم فيها بصفتي رئيساً للجمهورية، إن الموقف في باكستان يتدهور بسرعة، وباستثناء الدور الذي يمكن أن تقوم به القوات المسلحة، فإنه ليست هناك طريقة دستورية أو عملية لمجابهة الموقف الراهن. إن الأمة كلها تطلب من الجنرال يحيى خان رئيس هيئة أركان حرب الجيش الباكستاني أن يُمارس صلاحياته الدستورية. إن أمن وسلامة بلديا يتعلبان ألا يكون هناك عائق في طريق القوات المسلحة التي يجب أن تُمكن بكل الطرق من ممارسة واجباتها الشرعية وبالنظر إلى ذلك فقد قررت اليوم اعتزال مناصبي كرئيس للجمهورية لاساعد إخوتكم في القوات المسلحة بكل ما أستطيع تمكيناً للنظام وحكم القانون». وهكذا اعتزل أيوب خان وتسلّم السلطة يحيى خان.

كان أبو الأعلى المودودي قد حدّر أيوب خان من الاستقالة واعتزال الأمر، وتسليم السلطة ليحيى خان رئيس هيئة أركان حرب الجيش، فإن مؤامرة تحاك ضدّ باكستان، ولكن أيوب خان لم يستمع إلى ذلك النصح، فحدث الذي كان مخططاً له.

٣ - محمد يحيى خان:

[٧ محرم ١٣٨٩ - ٣ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٢٥ آذار ١٩٦٩ - ٢٠ كانون الثاني ١٩٧١ م)]:

منذ أن تسلّم يحيى خان السلطة شكّل حكومة عسكرية، وفرض الأحكام العرفية على باكستان كلها، وحلّ الهيئات النيابية في إقليمي باكستان، ومنع الإضرابات، والمظاهرات، والاجتماعات، وأعطى العسكريين سلطات استثنائية، وهذا ما أعاد الهدوء غير أنه مشوب بحلّ

فافتتحت المدارس، ودارت آلات المعامل، وعادت الحياة في البلاد شبه طبيعية. أخذ يحيى خان يجزي حواراً ومناقشات مع السياسيين، فأبدوا آراءهم صراحة، وأظهروا الشقة في العمل على تنفيذها وأعلن هو أن باكستان الشرقية لم تحصل في الماضي على حقلها العادل من الرعاية الحكومية، فأخذ لذلك يزيد من استثمارات الحكومة فيها، ويُعطي تسهيلات في الضرائب للمستثمرين، وهذا العمل شجع أهل ذلك الإقليم على المطالبة بما يُحقّق العدالة، ويُصرّحون بأن ما كان يقوله بعض السياسيين صحيحاً، ولم يكن تضليلاً كما كانوا يظنون، حيث لم تكن أقوال السياسيين تُصدّق من قبل.

ومنع الاحتكارات فاستاء التجار الذين يستغلّون البضائع ويحتكرون.

أخذ سكان المقاطعات في باكستان الغربية يُطالبون بإعادة التقسيم على أساس أربع مناطق كما كان سائلاً من قبل، وهذه المقاطعات هي: السند، والبنجاب، وبلوشستان، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية. وفي الوقت نفسه أخذ سكان باكستان الشرقية يُطالبون بالانفصال، وخاصة بعد تصريحات الرئيس يحيى خان نفسه.

بدأ يحيى خان يتقرّب من السياسيين، وقرّر توزيع القادة العسكريين الذين اشتركوا في الحكومة العسكرية التي شكلها إثر تسلّمه السلطة على المناطق وتعيينهم حكاماً عليها، ومنهم (مارشال الجنو نورخان، وأميرال البحار سيد محمد حسن، والفریق عبدالحميد خان) ليحلّ محلهم في الحكومة عناصر جديدة من السياسيين المستقلين الذين يرضى عنهم، ويُبدون تجاوباً معه. ولكن هذا كله لم يرض الشعب في الإقليمين.

أخذت الاضطرابات الطلابية نعمّ الجناح الشرقي من باكستان، وتبع ذلك العمال وفي ٤ شعبان ١٣٨٩ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م) أصروا سبعين ألف عامل من عمال السيج، وانتقل الإضراب إلى الجناح الغربي من مدن: (كراتشي) و(لاهور) و(الملتان)، وأخذ شعب اللاجئيين في

مدينة (دكا) في ٢١ شعبان ١٣٨٩ هـ (أوائل تشرين الثاني ١٩٦٩ م)، وبدأت مقاومة المظاهرات بالاعتقالات، وإطلاق النار على المتظاهرين. أعلن يحيى خان في ٢٠ رمضان ١٣٨٩ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ م) عن إجراء انتخابات عامة في البلاد كلها في ٢ شعبان ١٣٩٠ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٧٠ م)، وأن باكستان الغربية تنقسم إلى عدة مناطق، وأن الانتخابات ستكون مباشرة، وهذا يعني إعطاء باكستان الشرقية الأغلبية في الجمعية الوطنية. وأن الجمعية الوطنية التي ستعطي أربعة أشهر لتضع دستوراً جديداً، وسيكون النظام نيابياً، وسيترك النظام الرئاسي الذي كان معمولاً به، وأن النشاطات السياسية يُسمح بها في ٢٣ شوال ١٣٨٩ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٧٠ م).

كان من المقرر أن تجري الانتخابات في ٢ شعبان ١٣٩٠ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٧٠ م)، ولكن أُجّلت إلى شوال من العام نفسه، أي لمدة شهرين بسبب الفيضانات والأعاصير التي اجتاحت باكستان الشرقية، والتي ذهب ضحيتها ما يقرب من مليون إنسان.

جرت الانتخابات العامة وتكشفت في أجوائها الحقائق الآتية:

١ - أوعزت الهند إلى أهوانها الهندوس في باكستان الشرقية واعددهم عشرة ملايين ليقفوا إلى جانب مجيب الرحمن، وقد دُعم بالمال، والأهوان.

إن مجيب الرحمن يدعو إلى فصل الجناح الشرقي من باكستان عن الجناح الغربي، ويصر على ذلك فإذا نجح تم الانفصال، وهذا أكبر ما تتمناه الهند، إذ تكون باكستان قد ضُغقت كثيراً وهي خصم الهند الأول، والتي انتصرت عليها قبل عدة سنوات في الحرب التي جرت بينهما عام ١٣٨٥ هـ. ولهذا دعمت الهند مجيب الرحمن وبذلت الكثير في سبيل ذلك، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن نسبة الهندوس مشرّفع في باكستان الشرقية عندما تفصل عن باكستان الغربية، وذلك لأن نسبة

الهندوس في الجناح الغربي ضعيفة. بينما تصل في باكستان الشرقية إلى ١٨.٤٪ من مجموع سكان ذلك الجناح.

٢ - آيد الشيعة ذو الفقار علي بوتو، وقد أوعز لهم رئيس الدولة يحيى خان بذلك، وهو منهم، وإن انفصال باكستان إنما هو لمصلحتهم حيث ترتفع نسبتهم إذ تصل إلى ٨٪ في الجناح الغربي حيث يتركزون فيه، على حين لا يوجد شعبة في الجناح الشرقي. لذا فسيتهم في باكستان كلها (الشرقية والغربية) هي ٣.٤٪، فإذا انفصلت باكستان الشرقية ارتفعت نسبتهم في الغربية إلى ٨٪.

٣ - آيد القاديانيون ذو الفقار علي بوتو، وقد أظهروا في البداية العمل ضدهم، ثم تحولوا إلى جانبه ويبدو أن هذا التحول كان بإيعاز من الإنكليز، والقاديانيون مُنظّمون في الجيش، وأجهزة الدولة المختلفة. كان همّ الإنكليز إضعاف باكستان كدولة مسلمة، ولن يكون إضعافها إلا بتقسامها وتجزئتها. وكذلك فإن القاديانيين إنما يتجمعون في باكستان الغربية، وتكاد تخلو منهم باكستان الشرقية، فإذا تم الانفصال كان مركزهم أقوى.

٤ - عمل أصحاب المصالح من الأثرياء في باكستان الغربية لصالح ذو الفقار علي بوتو.

٥ - قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية مائة مليون روية لكل من مجيب الرحمن، وذوالفقار علي بوتو، وقد نقل هذا الخبر وزير الإعلام الباكستاني السابق حيث ذكر بأن السفارة الأمريكية قد سحبت أربعة ولعائين مليون روية بمعدل أربعة عشر مليوناً شهرياً ولمدة ستة أشهر من البنك المركزي لصالح مجيب الرحمن، وعلي بوتو، كما تخفض سعر الدولار بمقدار الخمس نتيجة تدفقه بواسطة السفارة الأمريكية، وهذا ما صرح به رئيس الدولة يحيى خان نفسه، حيث أشار إلى الأموال التي تدفقت من الخارج، ولكن لم يفصح أكثر من ذلك. وقد طلبت من الجماعة الإسلامية أن يذكر الأحزاب التي تلقت المعونة، ولكنه صمت.

وتريد أمريكا من وراء هذا الموقف إضعاف باكستان أمام الهند، وإفلالها عن التفكير بالبحث النووي، والمفاعل الذري، والقنبلة النووية، وانصرافها إلى شؤونها الخاصة، ومشكلاتها التي تتج عن هذا الموقف من انقسام ونجزة وضعف، ثم الوقوف في وجه التيار الإسلامي الصاعد ومحاوله خنقه، وتقوية التيار العلماني المعادي للإسلام والملحد أيضاً.

٦ - وفقت جهات كثيرة ضد الجماعة الإسلامية وعملت على إغراقها، بل كانت تحرض على الإيقاع بها والبطش بقادتها، ومن هذه الجهات الهند، والصين، وروسيا، وإنكلترا وكلها كان لها دور في هذه الانتخابات، ودعم وتشجيع لأطراف دون أخرى، ومحاربة لفئات أشد وأعنف من فئات ثانية.

٧ - إن سكان باكستان الشرقية يسهل التأثير عليهم بسبب الفقر والمجاهدة المستمرة لطبيعة البلاد، فالمجاعات تحدث باستمرار بسبب تأخر الأمطار الموسمية، والفيضانات التي تعرض لها البلاد دائماً نتيجة غزارة الأمطار وعدم ميل الأرض، والأعاصير التي تقف في وجه التيار العائلي في الأنهار قبل انصبابها في البحر، كل هذا يجعل المأسي تتكرر، والتكبات تحل، والفقر يعم، والفقر عادة لا يهتم بأكثر من تأمين عيشه، وقوت يومه، وكفاحه من أجل رزقه، لذا فأكثر السكان ينساقون وراء كل من يُلَوِّح لهم بتحسين وسائل العيش، ويُقدِّم لهم بعض المنافع لذلك مهما كانت بسيطة أو نظرية. ويُضاف إلى ذلك أن أكثر سكان باكستان الشرقية من أصل هندي، اعتنقوا الإسلام، وقد عُرف أكثر الهنود بالخمول والكسل، وخاصة أن هؤلاء كانوا يتسمون بالأصل إلى مجموعات متواضعة حسب تقسيم المجتمع الهندي الطبقي، فهم يتعولون بالليل، ويقبلون البسط، وكان أثر الإسلام فيهم ضعيفاً بعدهم، وقلة العلماء، والفقر، والجهل، ووصول الإسلام إلى بلادهم في وقت التراجع وأيام الضعف. وكانت الهند تُدرك هذا، وتعرف إمكانية التأثير على سكان باكستان الشرقية، وهذا ما أعطاهما

الأمل الكبير في إنجاح مُهْمَتِهَا بالتأثير على السكان، وفوز محبب الرحمن، ونجزة باكستان كمرحلة أولى، ثم ضم ذلك الجناح الشرقي إليها كمرحلة ثانية، ثم التحكُّم بالمسلمين، والعمل على ارتدادهم عن الإسلام، وإعادتهم إلى الهندوسية في المستقبل وهذه هي أميتها، وما تهدف إليه، وتضع المحفظات في سبيله.

وهناك نقطة لا بدَّ من الانتباه إليها حتى نُدرِك أبعاد هذه المرحلة، والأسباب التي تجعل دول العالم الكبرى تتدخل في هذه الانتخابات، وترتكز جهودها عليها، وتُعَوِّل الكثير على نتائجها وهي أن باكستان كانت تقف دائماً الموقف المعارض والمعادي لدولة اليهود وأطماعها في المنطقة العربية، ومعنى هذا أنها تقف في الموقف الخصم للصليبية المنتهكة في الدول الكبرى، وهي التي أقامت لليهود دولتهم، وهي التي تحضنها، تدعمها وتؤيدها، وتبني قضاياها كلها، وتسعى وراءها نيابة عنها، ولذا لا بدَّ من إضعافها وتحطيمها، وكان واضحاً لليهودية أن دولة باكستان تُشكِّل خطراً جسيماً عليها، ولا بدَّ من تصفية حسابها معها، وخاصة أن الصناعات المحلية الباكستانية قد قويت فيها، ونمت إلى درجة جعلها تقترب من الاكتفاء الذاتي، وهذا يعني أنها ستستغني عن استيراد البضائع من الدول النصرانية، ولهذا قيمته الكبيرة في حسابات الاستعمار، كما أن اليهود يحلمون في التوسُّع في الصناعة، وجعل الشرق سوقاً لهم ولضائعهم بعد التمكن من عقد معاهدة سلام مع البلدان العربية بجهود الدول الكبرى وضغطها على حلفائها من الدول وعلى أعوانها، لذا فإن التقدم الصناعي الباكستاني سيكون عفة مباشرة أمام أحلام اليهود، ويجب ضربه من الآن، ومن وسائل تحطيمه إضعاف باكستان بنجرتها. هذا على الرغم من أن بعض الدول العربية كانت تُؤيد الهند في عدوانها على كشمير، وتقف في الصف المعادي لباكستان، وفي الخندق المقابل للمسلمين.

جرت الانتخابات العامة في الموعد الذي حُدد لها في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م)، واشترك فيها أكثر من خمسة وعشرين حزباً، وتنظيماً سياسياً، وقد عملت الحكومة علناً لصالح ذو الفقار علي بوتو، وضد الجماعة الإسلامية، حتى استبدلت بعض الصناديق الانتخابية، وقدمت الطعون في ذلك من غير فائدة، وانتهت الانتخابات وفاز حزب عصبة عوامي الذي يرأسه مجيب الرحمن بأكثرية مقاعد باكستان الشرقية، والتأم جناحه تقريباً، وكذلك فاز حزب الشعب الذي يرأسه ذو الفقار علي بوتو، وتفوق على بقية الأحزاب والجماعات في باكستان الغربية، ولكنه كان مُهدداً بالتصالح قريباً حيث كان يضم في صفوفه الشيوعيين والرأسماليين، وأصحاب المصالح، وقد اتفقت آراؤهم في الانتخابات، والتفت مصالحهم، ثم عادوا إلى أفكارهم المتباينة، واتجاهاتهم المتضاربة بعد الانتخابات، وكانوا قد تركوها أو نسوها أثناءها.

أما الصف الإسلامي فكان مُفرقاً قبل الانتخابات وظهر تصدعه أثناءها حيث بذلت الأحزاب والحكومة والدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية - روسيا - الصين - الهند - إنكلترا) المال ومبارست الضغط للوقوف في وجه مرشحي الجماعة الإسلامية، وتأييد أصحاب الاتجاه العلماني، وبرز أثناء الانتخابات رجال كثيرون أذعوا العلم، وأعطوا صفة أهل الفتوى، وانطلقوا وراء هذا الزعيم، وخلف ذلك الحزب العلماني، ومع ذلك الاتجاه، وحصلوا على بعض المنافع لقاء تعريضهم بالمرشحين الإسلاميين وخاصة أعضاء الجماعة الإسلامية.

برز مجيب الرحمن في باكستان الشرقية بل ظهر كزعيم لها، وبرز ذو الفقار علي بوتو في باكستان الغربية، ومعنى ذلك أن الجمعية الوطنية ستكون بيد هذين الرجلين، وأن الصراع سيكون إقليمياً، وتمسك مجيب الرحمن ببرنامجه ذي النقاط الست، وهارضه ذو الفقار علي بوتو. ثم طالب

زعيم باكستان الغربية باللقاء بمجيب الرحمن الذي تشدد في طرح برنامجه، وظهرت مشكلات على ساحة اللقاء، ومنها:

- ١ - مشكلة مدى السلطات التي سُمح لرئيس الدولة.
- ٢ - مشكلة تقسيم السلطات، وتوزيع الحكومة المركزية بين إقليم باكستان.
- ٣ - المدى الذي سيتم فيه إدخال مبادئ الشريعة الإسلامية.

كان مجيب الرحمن يريد الانفصال بالإقليم الشرقي. وذو الفقار علي بوتو يريد تفويض علاقات باكستان مع الدول الخارجية على أساس موقفها من قضية كشمير، فهو من هذا المنطلق أقرب إلى الصين منه إلى الولايات المتحدة، وهذا ما أعطاه تأييداً واسعاً في منطقة البنجاب، وكذلك أخذ يدعو إلى صنع القبلة النووية، ويدعو إلى إعلان الحرب مع الهند مدة ألف عام. ولكن كلا الزعيمين كان يدعو إلى تطبيق النظام الاشتراكي، هذا لوضع شعبه اليأس ليغريه ويجرّه وراءه، وذلك لإخفاء ارتباطاته والفلك الذي يدور فيه. والشعب المسلم لا يعرف الصدق من الكذب، ومدى إخلاص قاده.

والأمر الذي لا يدّ من التأكيد عليه هو أن علي باكستان أن تنف بعد خروجها من محتتها الحالية فتُحدد طريقها بوضوح لتجعل من الفكرة التي تولدت عنها واقعاً تعيشه، إن باكستان ما كانت لتوجد لولا هذه الفكرة.

وبينما كانت المهاترات تندور حول الوضع وإذا ببعض الشباب يخطفون طائرة هندية من كشمير إلى مدينة (لاهور) قاعدة منطقة البنجاب في باكستان الغربية، وبعد انتظار دام ثلاثة أيام أحرقت الطائرة، مما شجع الهند على قطع طريق الجو الذي يصل بين جزئي باكستان الغربي والشرقي، وكان ذلك حافزاً شجع مجيب الرحمن على التصميم بالمطالبة بالانفصال حيث لا توجد سوى فرقتين من الجيش الباكستاني في الجناح الشرقي، وكانت الظروف ملائمة لضرب باكستان وتحطيمها.

اضطرت السلطات المركزية الباكستانية إلى تحويل كافة المواصلات إلى شرقي باكستان حول الهند، والانتفاف حول شبه القارة كلها، ولكن ذلك كان يتطلب من الطائرات التوقف في مطار (كولومبو) عاصمة سيلان، وعندما رأت الهند استمرار المواصلات الجوية وتجهت ضغطاً سياسياً وتهديداً عن طريق الدول الغربية وروسيا لرئيسة وزراء سيرالانكا (باندرانايكا) لمنع الطائرات الباكستانية من التزود بالوقود في مطار (كولومبو)، ولكن سيرالانكا فضلت الحياد، وإذ بمحاولة انقلاب فيها تقوم، وتعمل على فرض السيطرة على العاصمة كيندراي أولي. فاضطرت الحكومة السيرلانكية إلى الخضوع ومنع الطائرات الباكستانية من الهبوط في مطار (كولومبو). وهذا الانتفاع في المواصلات بين جزئي باكستان كأنه انفصال حدث قبل قيامه.

حاول ذوالفقار علي بوتو أن يقسم السلطة بينه وبين مجيب الرحمن، ولكن لم يحصل التقام بينهما، إذ كان مجيب الرحمن يشتد في تقاطه الست، وفي نية التأكيد على الانفصال، ولذا كان يطالب بعقد جلسات المجلس النيابي بأقرب فرصة ليتمكن من إقرار دستور يرتضيه بناء على أغلبية المطلقة في المجلس، بينما يرى ذوالفقار علي بوتو تأجيل موعد انعقاد المجلس النيابي إلى أن يتم التقام مع مجيب الرحمن حول توزيع السلطة، وهكذا وقعت البلاد بين شقي الرضى.

وأثناء هذا الصراع حذد الرئيس يحيى خان اليوم السادس من محرم عام ١٣٩١ هـ (٣ آذار ١٩٧١ م) موعداً لعقد جلسة المجلس النيابي، بيد أن ذوالفقار علي بوتو ينادي إلى عقد اجتماع واسع في ٤ محرم ١٣٩١ هـ (٢٨ شباط ١٩٧٠ م) وأعلن فيه رفضه لحضور الجلسة رفضاً باتاً، وأعلن أن أي واحد من أعضاء المجلس الذين يتنون لحزبه إذا ذهب لحضور الجلسة سوف تكسر رجلاه وتُشج رأسه، وعدد الأعضاء من غير حزبه بأنهم لن يعودوا إذا ذهبوا لحضور الجلسة، وهذا ما أجبر يحيى خان على تأجيل موعد الجلسة، وصدر إعلان التأجيل يوم ٤ محرم

١٣٩١ هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م)، وصدر هذا التأجيل الفجر العصيان المسلح في باكستان الشرقية، وارتكبت أشنع الجرائم، وتفتت الأعراس، وشلت المحلات التجارية، ووقعت حوادث حرق والناس أحياء. وأمام هذه الأفعال الشيوعية سافر يحيى خان إلى (داكا) قاعدته باكستان الشرقية، والتقى بمجيب الرحمن وبقي هناك عشرة أيام من ١٨ محرم إلى ٢٨ منه (١٥ آذار لغاية ٢٥ منه)، بغية التقام معه، وبذل جهده في سبيل ذلك، ولكن دون جدوى. وحدثت في هذه الأثناء محاولات اعتداء على الجيش الباكستاني المرابط هناك، والعمل على منع وصول المواد التموينية إليه، وهذا ما أجبره على التدخل في اليوم الثاني لمغادرة يحيى خان المنطقة، واعتقل مجيب الرحمن.

وقبل أن تتعرض للأحداث أرى من الضروري إعطاء فكرة عن جناحي باكستان وعن موقف الدول الكبرى والهند من المطالب التي يحملها مجيب الرحمن بالنسبة إلى التقسيم.

باكستان الشرقية:

تبلغ مساحتها ١٤٣ ألف كيلومتر مربع، وهو ما يُعادل أقل من ١٦٪ من مساحة عموم باكستان، وتتألف من القسم الشرقي من مقاطعة البنغال التي جزئت إثر التقسيم، ومنطقة (سيلهت) التي أخذت من منطقة (أسام) وقسمت إلى البنغال الشرقية لتشكيل الجناح الشرقي لباكستان، وكان عدد سكانها يوم الاستقلال أربعين مليوناً، ثم هاجر إليها حوالي أحد عشر مليوناً من مسلمي البنغال الغربية، ثم تزايد السكان حتى بلغوا ثمانين مليوناً، وهو ما يعادل أكثر من ٥٣٪ من مجموع سكان باكستان كلها. وتكون الكثافة فيها أكثر من خمسمائة شخص في الكيلومتر المربع الواحد، وهي من أكبر الكثافات في العالم، فالأرض تطبق بالسكان الأمر الذي يجعل الفقر يتشره إضافة إلى أنه تصعب إقامة المصانع على أرضها لكثرة الفيضانات والأعاصير التي تتعرض لها البلاد، وتهدم المباني والمنشآت، وهذا ما

بجعل أصحاب رؤوس الأموال يخشون من توظيف أموالهم في المشروعات الصناعية حيث نجد أن الجوت مثلاً يزرع بشكل رئيسي فيها وينقل خلاً إلى باكستان الغربية ليُصنع هناك، وكان ينقل إلى الهند قبل التقسيم، وهذا ما يُسبب انتشار البطالة، هذا بالإضافة إلى تأخر الأمطار الموسمية في السنوات الجفاف التي تُسبب المجاعات، وطبيعة السكان الذين يعودون إلى أصل هندي، يغلب عليه الخمول.

باكستان الغربية:

وتبلغ مساحتها ثمانمائة ألف كيلومتر مربع، وهذا ما يعادل أكثر من 78% من مساحة البلاد، وتتألف من أربع مقاطعات هي: السند، والبنجاب الغربية، وبلوشستان، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية، ويبلغ عدد سكانها سبعين مليوناً، وهو يتقل عن 47% من مجموع سكان باكستان، فنظراً للكثافة من ستمين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، فالأرض واسعة، ويسلج الجهد لإقامة المشروعات الحيوية للحاجة إلى الماء، فتتقدم الزراعة، وتحسن الأوضاع المعاشية، وتتوفر الإمكانيات لقيام الصناعة، ولا تتعرض المنطقة للقياسات ولا للأعاصير، ويعود السكان إلى أصول مختلفة من عرب، وفرنسي، وتركي، ومغولي، وأفغان، وهنود، وتساعد المناخ على النشاط، لذا نجد التجار والصناع يلعبون دوراً رئيسياً في الحياة الاقتصادية، ويطمح الشباب للعلم، فيتقدمون إلى المعاهد العالية، والكليات العسكرية حيث نجد 90% من ضباط الجيش الباكستاني من منطقة البنجاب، وكذلك فقد حصرت الصناعة والتجارة في باكستان الغربية، وتضم الكليات العسكرية أكثر أفرادها. وتعم لغة (الأوردو) باكستان الغربية على حين تسود اللغة (السكوتية) باكستان الشرقية.

ولا يربط جناحي باكستان بعضهما إلى بعض سوى العريضة، وهي الأساس التي قام عليه تقسيم شبه القارة الهندية. ومن ذاق الضغط والظلم والاضطهاد الهندوسي لا يُفكر بانفصال الجزأين بعضهما عن بعض، غير

أن الفقر والتلاعب بالعواطف قد يُثير بعض السكان دون إدراك النتائج. وهذا ما كان يفعله الشيوعيون مُستغلين فقر السكان وجهلهم، وحاولوا القيام بانقلاب عام 1371 هـ (1951 م)، ثم ضمتهم حزب عوامي مع من سُم من الانتهازيين وأصحاب المصالح، وكانت للحزب صحفه ومجلاته، ثم انقسم مع انقسام الشيوعية فصار فريق مع الصين والتجاهها، وانطلق آخرون مع روسيا وسياستها.

تنقل باكستان الغربية إلى الشرقية المواد الغذائية، وتمتدع عن تصديرها إلى الخارج والحصول على العملة الصعبة، وتستهلك موادها الخام كلها. على حين تُصدّر باكستان الشرقية موادها الخام إلى الخارج. كان دخل الحكومة المركزية الباكستانية من 1380 إلى 1390 هـ يُقدر بـ 30.230.900.000 روبية باكستانية.

أعطت باكستان الغربية منها 73.6% يُقدر بـ 22.228.800.000 روبية باكستانية.

وقدمت باكستان الشرقية منها 26.4% يُقدر بـ 7.902.100.000 روبية باكستانية.

ولكن وزّع الدخل على الشكل الآتي:

أعطت باكستان الغربية 51.3% يُقدر بـ 3.900.300.000 روبية باكستانية.

وأعطت باكستان الشرقية 48.7% يُقدر بـ 3.970.800.000 روبية باكستانية.

واستوردت باكستان الشرقية من الغربية بمبلغ يُقدر بـ 10.684.700.000 روبية باكستانية.

بينما استوردت باكستان الغربية من الشرقية بمبلغ يُقدر بـ 6.157.900.000 روبية باكستانية.

إن الدول الكبرى والهند معهما كانت متباينة في وجهات النظر السياسية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا إلا أنها كلها متفقة ضد باكستان، وتلق في صف تجزئتها، وتؤيد السياسة الهندية، سواء اتفقت معها في بقية الجوانب السياسية والفكرية والاقتصادية أم اختلفت.

ولما مجيب الرحمن، وذو الفقار علي بوتو فهما رجلان انتهازيان يؤيدان السياسة الأمريكية وسيران في فكهما، وإن كانا يُناديان بالنهج الاشتراكي، فهذه طريقة استغلالية وغالباً ما يلجأ إليها السياسيون الانتهازيون إذ يدعون إلى حلّ المشكلات التي يُعاني منها الشعب، وأراء نظرية، وخداع، نتيجة الجهل السائد لدى الناس الذين يظنون هذا ممن يدعون إليه، وإن كان المناهضون لا يؤمنون بما يدعون إليه، وإنما يتخلونه شعارات يكسبون الأتباع من خلالها، وقد اتخدع الناس وغشوا في مرحلة من الزمن بالأراء الشيوعية فساروا وراها لغفلتهم فاستغل ذلك الانتهازيون وقادوا حملتها وإن لم يؤمنوا بها، ومن هؤلاء مجيب الرحمن، وذو الفقار علي بوتو.

وقد تبين للناس بعد مدّةٍ سوء ما ظنوا به خيراً، وعرفوا جهلهم فانطلقوا يلقون عن أنفسهم ما أثقل كواهلهم، وأمات إنسانيتهم، وزاد بؤسهم، وقاموا يتخفّفون من تلك الأعباء وطرحوا الشيوعية، وشيّعوا جنازتها.

وقد حاولت الدول أن تستفيد من إمكانية مجيب الرحمن وذو الفقار علي بوتو والقوة التي حصلوا عليها من سيرهما في طريق الانتهازية، فعملت على تأمين مصالحهما لاستفيد منهما في تنفيذ مخططاتها وسيبعان أوامرهما ما دامت تُحقق لهما المكاسب.

١ - الهشد:

وتحرص على تجزئة باكستان، وترى في مجيب الرحمن رجلاً يخدم

مصالحها، إذ يدعو إلى الانفصال، فهي تدعمه للعمل على التجزئة، التي تضعف باكستان حيث ظهرت قوياً في الحرب التي عارضتها معها عام ١٣٨٥ هـ، وفي إضعافها يمكن ضمّ كشمير، وإبقاء باكستان دولةً مجاورةً ليست بذات شأن.

وتريد الهند كذلك إظهار ضعف الرابطة الدينية لتغيير رأي المسلمين الذين يقطنون الهند، وقد يقول قائل: إن انفصال باكستان الشرقية والغربية قد يُعرض الهند ذاتها لحركات مماثلة، ولكن الهند في الواقع تعدّ انفصال باكستان الشرقية مرحلةً تعقبها مرحلة ثانية، وهي ابتلاعها وضُمها إليها.

ويضاف إلى ذلك أن الصين كانت قد هدّدت الهند بالحرب فيما إذا قامت بهجومٍ على باكستان الشرقية عام ١٣٨٥ هـ أثناء القتال الذي دار بين الهند وباكستان، لذلك لم تتجرأ الهند على الهجوم على باكستان الشرقية، والصين تؤيد وحدة باكستان بينما زعيم حزب عوامي عبدالحميد بهاشاني الذي ينلقى الدعم منها يدعو إلى تقسيم باكستان.

كما تريد الهند ضرب الحركة الإسلامية بتشجيع خصومها، ونقد فكرة الرابطة الدينية، والعمل على إظهارها بأنها رابطة ضعيفة الأثر، وأهية الفكر.

وترغب الهند أيضاً بزجّ الشيوعيين في مقاطعة البنغال الغربية بحربٍ في باكستان الشرقية لتشيت شملهم وخاصةً بعد نجاحهم في انتخابات الهند، وتشكيل حكومة في تلك المقاطعة مع العناصر الموالية لهم.

ولهذا كلّه فقد دعمت الهند وشجّعت مجيب الرحمن، وتعاطفت مع حزب عوامي، وسمحت بإقامة حكومةٍ بنغاليةٍ في المنفى ضمن أراضيها.

٢ - الصين:

ترى الصين ضرورة المحافظة على وحدة باكستان للوقوف في وجه الهند التي تسير في فلك المعسكر الغربي أو على الأقل للضرورة المحافظة

على توازن القوى لأن باكستان أيضاً تسير في المنحى الذي تسلكه الهند، ولهذا كانت تؤيد أيوب خان، ووقفت بجانب باكستان في حربها مع الهند عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، كما هدّدت الهند فيما لو هاجمت باكستان الشرقية. وقبل ذلك نشبت حرب عام ١٣٨٢ هـ بين الصين والهند. ومع هذا الموقف الذي تلقته فإن المحتاج الذي يترجمه عبدالحميد بها شاني من حزب عوامي يُنادي بتقسيم باكستان وانفصال الشطر الشرقي منها مرحلياً وانتهازياً. ولكن الصين لا تريد أن تتدفع أكثر من هذا لأنها غير مستعدة لدخول حرب مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما تريد الهند جرّها إليه.

وترى الصين أن مجيب الرحمن لا يريد التفاهم معها لذلك فهي تؤيد ذوالفقار علي بوتو، وتودّ أن يسلم رئاسة الدولة أو الحكومة على الأقل ليزداد التعاون بينهما، فهو يرغب في المحافظة على وحدة باكستان، وهذا ما يتفق مع سياستها الحالية، وهي تعرف الانتهازية التي يسلكها، فيسكنها نتيجة ذلك تأمين بعض مصالحها عن طريقه على الرغم من أنها تعلم أنه غير شيوعي.

وكذلك تفضّل الصين ذوالفقار علي بوتو على مجيب الرحمن لأنه أكثر جرأة وواقحة في محاربة العناصر الإسلامية عامة، والجماعة الإسلامية بشكل خاص، وهذا ما نسعى وراءه في تهديم كل العوامل والارتباطات الدينية، وكان مجيب الرحمن قد ذكر بأن الدستور الذي سيوافق عليه لن يخالف القرآن والسنة، ومن هنا سيكون تأييد الصين للذي الفقار علي بوتو أوضح.

وتريد الصين حسب خطها الذي تتجهه فشل الجماعة الإسلامية، وكل الهيئات الأخرى التي تأخذ الدين أساساً لسياستها، وهذه الجماعات في باكستان الغربية أقوى منها في باكستان الشرقية، وتأييد ذوالفقار علي بوتو في باكستان الغربية إضعاف لتلك الجماعات.

٣ - روسيا:

وترى ضرورة القضاء على باكستان لأن مبرر وجودها هو الدين،

وروسيا عدوة الدين الإسلامي، أو ترى على الأقل ضرورة المحافظة على توازن القوى، وضرب طرف بأخر من الهند وباكستان فيما إذا اتجه أحدهما نحو المعسكر الغربي بقوة حيث يعدّ الطرف الأخر هذا التسوية عنده، والحياز من قبل الغرب لخصمه فيتحرك. وترى تأييد ذوالفقار علي بوتو الذي يدعو إلى وحدة باكستان، ويقف في وجه الدعاة والتنظيمات الإسلامية. ولكن روسيا تختلف عن الصين في عداوتها للهند حيث لم تدخل معها في الحرب كالصين، كما أنها ليست على تماس مباشر معها.

٤ - الولايات المتحدة الأمريكية:

وترى العمل على تقسيم باكستان ودعم من يسعى لذلك أو يُنادي بهذا في سبيل إضعاف باكستان، كما تعمل على تقوية الهند لتكون مركز ثقل بالنسبة إلى سياستها في المنطقة، وعندما تقوم بدعم باكستان إنما هو من أجل تحريض الهند وإيقاظها على الخط، وتحذيرها من أن تسلك منهجاً آخر، فالعدو يترصد على الحدود، ولهذا نلاحظ أن الهند تُسأير السياسة الأمريكية. كما تخشى الولايات المتحدة نجاح حركة إسلامية قوية تُغيّر سياسة باكستان رأساً على عقب، وخاصة حصول الجماعة الإسلامية على تأييد واسع، ولهذا تؤيد ذوالفقار علي بوتو الذي يقف بعقب في وجه التيار الإسلامي، كما تخشى الولايات المتحدة تغلغل النفوذ الشيوعي في باكستان الشرقية بشكل واسع نظراً لما تُعاني من خطر الفيضانات والأعاصير، وما يُلاقى السكان من الفقر والجهل. وترغب في تجزئة باكستان حيث تبقى باكستان الشرقية ضعيفة، وتحتاج إلى المساعدة، ولا تستطيع روسيا تقديم تلك المساعدة لبعدها، ولتجنب الصدام مع الولايات المتحدة، كما لا تستطيع الصين ذلك حيث أن الهند تلقف في وجهها، وتريد جرّها إلى معركة مع الولايات المتحدة، وهنا تجد أمريكا المجال مفسوحاً أمامها فتقدم بالذم، وتنمي الأمل الرأسمالية وتقف في وجه المد الشيوعي بالسعي على إخفاقه عملياً، وتكون باكستان الشرقية بعدها ضمن النفوذ الأمريكي.

وتخش الولايات المتحدة نمو فكرة الرابطة الدينية التي تؤدي إلى فكرة ديار الإسلام. لذلك فهي تشن حملة تشهير ضد حكومة باكستان التي قد تضرب على هذا الوتر أحياناً لتبرير بعض قراراتها أو لتحصيل على تأييد وكسب الشعب نحوها. وقد فورزت الولايات المتحدة وقف شحنات القمح التي وعدت بها باكستان بعد كارثة الإعصار عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وكذلك فإن البنك الدولي الذي تسيطر عليه كان قد قرّر إعادة النظر في منح باكستان قرضاً قدره (١٧٥) مليون دولار، كل ذلك في سبيل زيادة الأزمة الاقتصادية، وخاصة في باكستان الشرقية لتزيد المطالبة بالانفصال. كما أن الولايات المتحدة قد أوقفت شحن الذخيرة والأسلحة إلى باكستان، وبعد هذا من أقوى الضغوط لأن الأسلحة الباكستانية أمريكية، وإذا فقدت الذخيرة أصبحت الأسلحة عديمة الفائدة. وإذا شعرت باكستان بالضعف فلن تتصدى للهند التي تسعى لتقسيم باكستان، وتخطط لذلك، ونهي الظروف.

٥ - إنكلترا:

تسعى إنكلترا لتجزئة باكستان لإضعاف الحركة الإسلامية، وإضعاف باكستان خوفاً من استلام الجماعة الإسلامية السلطة في البلاد، ولإظهار التفكك الإسلامي، وعدم إمكانية قيام دولة على أساس ديني. وقد قامت باكستان على هذا الأساس، وما هي نتجراً، ويفصل بعضها عن بعض. ثم تبذل جهودها لتقوية أعرانها من الإسماعيليين، وأتباعها من القاديانيين، وإعادة اعتبارهم، ومحاولة حملهم إلى مركز الصدارة، وخاصة أن أمرهم قد فُضح بعد أن عرّاهم أبو الأعلى المودودي في مقالاته التي كان يُسطرها ضدّها، فظهِروا على حقيقتهم، ولما كانت كلتا الطائفتين تتركزتان في باكستان الغربية فإن انفصال باكستان الشرقية ذات السكان الأكثر عدداً سيرفع من نسبتهما في الجناح الغربي، ويكون لهما المركز القوي، وخاصة إذ دعمتهما الرافضة التي تدعي الإسماعيلية أنها جزء منها، أو أنها تعود بالأصل إليه، وهو غير صحيح. لذلك كله كانت إنكلترا تشن حملات تشهير ضدّ باكستان.

ويمكن من كل ما تقدم التأكيد من أن الدول الكبرى والهند تنفق في عدائها للإسلام وأعدائها على أهله، وتعمل بكل إمكاناتها للحد من نشاطه سواء أكانت هذه الدول شرقية أم غربية، شيوعية أم رأسمالية، وتتآمر وتؤتد جهودها ضدّ التنظيمات الإسلامية، بل قد تنفق مع اختلافها في وضع مخطط واحد لهذا الغرض.

وأخيراً فإن باكستان عضو في حلف جنوب شرقي آسيا، وقد انضمت إليه في مطلع عام ١٣٧٤ هـ (٥ أيلول ١٩٥٤ م). وعضو في الحلف المركزي (بغداد سابقاً) منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، وهي إحدى الدول الخمس التي تؤلف كتلة (كولومبو) والتي تشكلت عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، وجميع هذه الأحلاف تلقى الدعم من المعسكر الغربي، ولكن السياسة اليوم هي اللف والدوران وعدم الاستقرار على خط واحد، وعدم معرفة الاتجاه الصحيح، واللب على عدة حبال.

وعلاقة باكستان قوية مع الدول الإسلامية، وهي إحدى الدول التي تنفق ضدّ دولة اليهود دون تحفظ، وتساند الدول العربية في مواجهتها لليهود، غير أن الدول الإسلامية لا مكان لها - مع الأسف - على ساحة السياسة الدولية حيث أنها تبع لغيرها وتدور في أفلاكها، أكثر مسؤوليتها على ارتباط بسواهم، وشعبها إما مُغرر بهم، وإما على جهل بما يجري، أو فقراء يسعون وراء قوتهم، أو احتوى بعض قادتهم الساسة أو سادتهم، على حين أن لليهود تأثير على السياسة الدولية عن طريق أصحاب النفوذ فيهم، وعن طريق الدول النصرانية الكبرى التي تتساهل والتي تُهيمن على مؤسسات الأمم المتحدة، ويدها السياسة الدولية، والمخططات واللعب السياسية.

الأحداث:

قلنا إن العاصيان قد انفجر في باكستان الشرقية يوم ٤ محرم ١٣٩١ هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م) نتيجة إعلان تأجيل اجتماع المجلس

النياي، واضطر الرئيس يحيى خان للسفر إلى الجناح الشرقي من باكستان، واحتفل مجيب الرحمن يوم ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م).

ومع وصول الموسميات الضيقية انهضت الأمطار بغزارة أدت إلى حدوث فيضانات في باكستان الشرقية نتج عنها مقتل ما يقرب من مائتي شخص، وأصيبت الممتلكات والمزروعات بأذى شديد فمُنر بحوالي ثلاثمائة مليون روبية، حيث تهدم ثلاثمائة وخمسون ألف منزل، وشرد ثلاثمائة ألف إنسان، وأصبحوا دون مأوى. وقد نشأت الكارثة عن فيضان خمسة أنهر رئيسية في باكستان الشرقية.

وقد زادت هذه الفيضانات من خطر حدوث مجاعة في المنطقة التي هزتها الأحداث الأخيرة عقب الانتخابات.

ونتيجة للأحداث المتلاحقة والمخططات المرسومة بدأت العناصر الانفصالية، وأغلبها من الهندوس بمغادرة مناطقها والتوجه نحو الهند، وقد وصل عدد هؤلاء المغادرين إلى أكثر من تسعة ملايين إنسان، وقد قرروا العمل من داخل الهند ضد باكستان. وكان يذم أكثرهم أن ضغط الجيش الباكستاني والأهالي المؤيدين له هو الذي ألزمهم على الخروج، وذلك من أجل إثارة التهمة، والعمل ضد الباكستانيين.

ابتداء العمل السياسي، فأرسل هؤلاء الهاربون وقوداً إلى كل الدول التي تُعادي باكستان لطلب المساعدة، فوصل إلى دولة اليهود في منتصف رجب من عام ١٣٩١ هـ (أوائل أيلول ١٩٧١ م) محمود قاسم باسم مندوب بنغالديش، لطلب العتاد الحربي. وقد لقي نجاحاً لدى المسؤولين اليهود بشرط موافقة الهند، وكان عليه يشمل مليوني قذيفة من مختلف العيارات، ومدافع ميدان، ومدافع مساعدة للطائرات، ومدافع رشاشة، وصواريخ أرض أرض لتدمير الطائرات الباكستانية على أراضي المطارات،

وقال هذا المندوب: إننا لا نريد طائرات لأننا لا نملك لها مطارات. وذكر وزير خارجية دولة اليهود بأن بلاده تؤيد كصاح بنغالديش ضد باكستان المؤيدة للعرب.

ولكن هذه الوفود إن وجدت الدعم والتأييد من دولة اليهود لكنها لم تجد مثل ذلك من بقية الدول التي دعت إليها. لأنها وإن كان بعضها ينف ضد باكستان غير أنه لا يريد أن يورط نفسه، فاللجنة يجب أن تكون محكمة ويخولها كلها بأيدي الدول الكبرى المشرفة على إخراج اللعبة وتنفيذها.

إن التحرك العسكري يجب أن يكون عن طريق الهند، وقد طلب اللاجئون إليها المساعدة منها، فلبت الطلب، واستجابت مباشرة، واتخذت من وجود اللاجئين في أرضها حجة للضغط على باكستان بقبول واقع أمر (بنغالديش)، وتبرير موقفها، ولكسب الرأي العام العالمي إلى جانبها. وقبل القيام بالعدوان على باكستان أعلنت أنها لا تستطيع احتواء هذه العناصر اللاجئة إليها.

الحرب:

أعلنت الهند أن نوار (بنغالديش) قد شنوا هجوماً على باكستان الشرقية، وقد أسسوا دولة لهم، ولكن الهند هي التي قامت بالهجوم فعلاً وقوتها كلها باسم اللاجئين إليها من سكان باكستان الشرقية. ولما تضاهت باكستان من هذا الاعتداء السافر، والذي يفوق حجمه ستة أضعاف حجم قواتها اضطرت إلى أن تتحرك في باكستان الغربية لتُخفف ضغط ووطأة الهجوم الهندي على باكستان الشرقية، ولأنها لا تستطيع أن تتحرك في جناحها الشرقي لقلّة قواتها هناك، ولأن الهند تحيط بها هناك من جهاتها الثلاث، أما الجهة الرابعة فهي بحرية، ولا تستطيع القطع البحرية الباكستانية إمداد الشرق منها للطريق الطويلة، وسيطرة الهند عليها حيث

توازي سواحلها، إضافة إلى أن الأسطول الهندي قد يكون أكثر استعداداً في هذه الظروف. وأما الطريق الجوية فطويلة وتزيد على ١٥٠٠ كيلومتر، وكلها ضمن الأجواء الهندية، وأما الالتفاف حول الهند فلا يمكن للطائرات أن تقطع هذه المسافات الطويلة دون تزويد بالوقود، وليس بها من مطارات يمكن أن تهبط فيها، وقد سبق أن ذكرنا ما حدث في (سيرالانكا) عندما أخذت الطائرات الباكستانية تهبط في مطار (كولومبو) للتزود بالوقود أثناء بداية الأزمة، وقد مُنعت، وعندما تساهلت رئيسة الوزراء (باندرانايكا) قامت محاولة للاتقلاب في البلاد كمؤشر للتهديد فيما إذا استمرت بالسماح للطائرات الباكستانية بالهبوط في المطارات السيرالانكية.

بدأت الحرب بين الباكستان والهند على طول الجبهات في الشرق والغرب على حدٍ سواء، وكان على الهند أن ترمي بثقلها كله على الجبهة الشرقية، وتنتهي من باكستان الشرقية، بينما تقوم بدور المدافع على طول الحدود الغربية.

وكانت الهند قد عقدت حلفاً عسكرياً مع روسيا في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (٩ آب ١٩٧١ م) لتضمن مواجهة الصين بقوى عظمى إذا هي تدخلت في صراعها مع جارها باكستان.

وفي ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (١٧ آب ١٩٧١ م) تقدمت باكستان بشكوى إلى الأمم المتحدة لإيقاف تدخل الهند في مشكلاتها الداخلية، وكررت هذه الشكوى في ١٥ شعبان ١٣٩١ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٧١ م).

وصرحت رئيسة وزراء الهند انديرا غاندي في المجلس النيابي الهندي في ١٥ رمضان ١٣٩١ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧١ م) إن على

جيش باكستان أن يرحل من باكستان الشرقية لأن وجوده فيها يشكل خطراً على أمن الهند وسلامتها.

وفي ٢ شوال ١٣٩١ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٧١ م) بمناسبة عيد الفطر عند المسلمين بعث الرئيس الباكستاني يحيى خان تحية للهند، وجاء فيها إنه يمد يد الصداقة للهند، وهو يرجو أن تشدّ عليها لبدء عهد جديد من العلاقات الطيبة وحسن الجوار... ولكن الهند في ٤ شوال أي بعد يومين فقط من تلك الرسالة دفعت الهند بأثني عشرة فرقة من المشاة، وعدة ألوية من المدرعات لتفتح حدود باكستان الشرقية^(١).

كان عدد الجنود الهنود الذين اقتحموا حدود باكستان الشرقية يربو على ٢٤٠ ألف مقاتل، مزودين بدبابات روسية، ذات مدافع ميدانية ثقيلة من عيار (١٣٠ ملم)، وبطائرات روسية من نوع (ميج ٢٣).

١ - الجبهة الشرقية:

تقدّمت الهند على محاور ثلاثة من ثلاث جهات لتطويق باكستان الشرقية، وسدّت منافذ البحر أيضاً. تقدّمت على محور (جيسور) في الغرب، ومحور (سيلهت) في الشمال، ومحور (كومبلا) في الشرق حيث تقترب الحدود الشرقية من العاصمة (دكا) ولا تبعد عنها أكثر من ستين كيلومتراً. وكان عدد أفراد الجيش الباكستاني المدافع في الشرق ما يقرب من ثمانين ألفاً تنقصه القوة الجوية التي تحميه من الجو، كما يفتقد إلى القوة البحرية الداعمة لتصدّ عنه الهجوم والقصف من جهة البحر هذا

(١) لا شك أن المساعدات الأمريكية لا تقدم أسبوعياً أو شهرياً، وعندما أعلنت أنها قد قطعها، فهو إعلان لمدة مؤقتة هي لا تقدم بالأساس في هذه المدة شيئاً، ولم يكن هذا التصريح سوى متوارف سياسي، فلا تأييداً لباكستان، ولا شجياً للمعدوان الهندي.

بالإضافة إلى انقطاعه عن العالم، أما الجيش الهندي فكان يُقدَّر بنصف مليون، مزوّد بالإمكانات كلها، وله السيطرة الجوية الكاملة، وخاصةً بعد تدمير الطائرات القليلة الباكستانية التي كانت قواعدها هناك، كما أن الأسطول الهندي كان يدك السواحل دون مقاومة تذكر، ويُضاف إلى هذا كله العناصر المؤيّدة للانفصال، والتي تدعمها الهند، والعناصر التي تستأيد عند نهاية كل وضع لتحتل مركزاً في العهد الجديد، وأصحاب المصالح الذين تشرب أعناقهم ليرزوا وليسعوا وراء مصالحهم.

ورغم المعنويات العالية التي قاتل بها الباكستانيون إلا أن التصوّق الهندي الكبير، ووضع باكستان الشرقية المحاط بالهند من كل جهة، وعدم إمكانية وصول الإمدادات، وعدم وجود الطيران، وسيطرة الهند على جُزء المعركة، واعتبار باكستان الشرقية محاصرة من كل جهة مما يؤدي إلى الخوف من المستقبل الغامض، وتواطؤ الروس والأمريكان، وتحاذل الصين وخوفها، كل هذا أتى إلى اندحار اليكستانيين في الشرق، وإن تأخر الاستسلام بسبب الروح المعنوية المرتفعة لدى المقاتلين الباكستانيين حسب اعتراف الهنود بالذات، ولعدم إمكانية عمل المدرعات الهندية بشكلٍ واسع بسبب طبيعة الأرض الترابية، وكثرة المجاري المائية. وقد تمكّنت أمريكا سياستها أن تجعل الصين خارج دائرة الصراع، حيث أعلنت أمريكا أنها قطعت المساعدات عن الهند أثناء الحرب^(١)، ثم أشاعت أن أسطولها السابع في المحيط الهادي بدأ يتحرّك نحو نقطة مجهولة، وفسر عملاؤها المتدسّسون في كل مكان أن هذا التحرك نحو خليج البنغال لمساعدة باكستان، وهذا لإشاعة أن باكستان عميلة لأمريكا فتغيّر الرأي العام العالمي عنها وتتجه نحو الهند. ثم ثبت أن الأسطول لم يتحرّك من مكانه، وأن القصد من هذه المناورة انتظار العالم لشيء جديد يحدث، ونتيجة لهذا

(١) قسمت العالم الإسلامي المعاصر - مصطفى مؤمن.

غلب على ظن بعضهم أن أمريكا تقف بجانب باكستان، وبهذه الدعاية عشيت الصين أن تظهر في موقف يسائر الموقف الأمريكي فتضج المجال للهجوم الإعلامي الروسي عليها، وهي التي تتهم الروس بالتواطؤ مع أمريكا، فتفقد أموالها داخل الأحزاب الشيوعية في العالم والذين أصمت أذانهم الدعاية الروسية، وهذا ما جعل الصين تقف موقفها المحايد والتي وصف بالمخادع، والحقيقة أنها لا تجرؤ على الصدام مع أمريكا.

استلمت باكستان الشرقية، وبدأت الإبادة والقتل الجماعي حيث قُتل مائتان من العلماء، وتبع ذلك مذابح رهبة رافق أثناءها القتل بالمقاصل والتمثيل بالجلث، وسيطرت شرعية الغاب، أما العالم فوقف موقف المستمع المتفرّج، وكان شيئاً لم يقع، فالإبادة لا تُصيب سوى المسلمين، وقتلهم أمر مرغوب فيه، لأنهم انتصروا على الروم بالمصافي، ولم يفسحوا للصليبين المجال للبقاء في بلادهم يفسدون، ووقفوا كذلك في وجه الاستعمار الصليبي، ويكفيهم هذا جرماً ليحلّ قتلهم، ويضاف إلى الجرائم السابقة أنهم لا يستمعون إلى الإرساليات التنصيرية، ولا يقبلون الارتداد عن الإسلام، ويدعون فوق كل هذا إلى الفضيلة إذ يأبون الزنا ويرفضون شرب الخمر، ويحرمون الربا، ويمنعون الاختلاط، ويحاربون السقور والتكشّف والتحلّل، وهذا ما يعيق ركب الحضارة ألا يكفهم هذا كي يبادوا.

أعلن عن قيام دولة بنغالدش فاستلم رئاسة الدولة نصر الإسلام، وتسلّم رئاسة الحكومة ناج الدين أحمد. واستولت الحكومة على مزارع الشاي الواسعة، والمؤسسات الصناعية، وعُدّت الجيش الباكستاني في الجناح الباكستاني الشرقي كله أسيراً، ووقع قائده الجنرال (نيانزي) وثيقة الاستسلام، وأعلن مندوب بنغالدش في بيروت (جلال الدين أحمد) أن دولته ستقوم على أساس علماني.

٢ - الجبهة الغربية:

كان على باكستان أن تحشد قوتها كاملة، وأن تتقدم على حدود كشمير، وتتهيأ وضعها بحرب خاطفة، وظهر تفوق الجيش الباكستاني في الأمام الأولى من الحرب على هذا المحور، وهو محور وادي شل (سيالكوت - جمو) ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تحلّق الوصول إلى أهدافها، فلم تتمكن من احتلال كشمير كما تحّد للجيش من أهداف. ولما رأت الهند التفوق الباكستاني على هذه الجبهة، عادت فتحرّكت قواتها على ثلاثة محاور على طول الجبهة الغربية، ودفعت بثقلها كله، وزجّت بكل إمكاناتها العسكرية في سبيل كسر شوكة التفوق الباكستاني في قطاع كشمير، وإضعاف الروح المعنوية المرتفعة التي يُقاتل بها الباكستانيون.

أ - تقدمت القوات الهندية في الجنوب من منطقة (كوتش)، وهي منطقة مختلف فيها على الحدود حتى الآن بين الدولتين، وهي في قطاع قريپ من ميناء (كراتشي) المرفأ الأول في باكستان، وهذا ما يُخيف السكان، ويجعل الجيش الباكستاني يُسرّع لصدّ هذه الثغرة، ويُوقّف تقدّمه في كشمير.

ب - وتقدّمت القوات الهندية في منطقة (راجستان)، وهي منطقة صحراوية غير مُعرّزة، وتقدّم فيها الحدود الهندية داخل باكستان، ويظهر من أيّ نصر يُحرّزه الهندو الخوف من فصل باكستان إلى قسمين: جنوبي وشمال، ويُقابل هذا التقدّم مدينة (سوكور) التي لا تبعد عن الحدود أكثر من ثمانين كيلومتراً، ويقوم على نهر السد هناك سدّ ذو أهمية كبيرة.

ج - وتقدّمت القوات الهندية على محور أمرينسر - لاهور، مستفيدة من كثرة السكان هنا حيث الرعب، وتذبذب الفوضى مجرد أيّ اتصالٍ تحرّزه الهند، كما تستفيد القوات الهندية هنا من وجود عناصر جماعة السيخ، وهم أشدّ حقدًا وفتكًا بالمسلمين من أية جماعةٍ أخرى هناك.

ولكن الهند لم تستطع أن تحرّز التقدم السريع على هذه الجبهات إذ



الجبهة الشرقية
الدفاع
الاجتوم

كانت القوات الباكستانية تصدّ الهجمات الهندية يسالفة، إلا أن الهجوم الباكستاني على كشمير قد خفّت حدّته، واستمرّت الجبهة الغربية على هذا الوضع حتى انتهاء الحرب، إذ لم تستطع قوة أن تُحرز نصراً يئناً.



وقف القتال:

اجتمع مجلس الأمن وفشلت كل الاقتراحات المقدمة إليه بسبب معارضة الروس الذين كانوا يستعملون حقّ النقض (الفيتو)، ثم أُحيل الموضوع إلى الجمعية العمومية فالتحلت قراراً بوقف إطلاق النار، واتساح جيوش كلا الدولتين من أراضي الدولة الأخرى، غير أن الهند

استمرّت في تحدّياتها رغم موافقة باكستان على هذا القرار. ثم وقف القتال في ٢٩ شوال ١٣٩١ هـ (١٧ كانون الأول ١٩٧١ م).

أما الدول التي ترتبط بأحلاف مع باكستان سواء دول حلف المعاهدة المركزية أم دول حلف جنوب شرقي آسيا، فلم تُحرّك ساكناً، لأنها لا تستطيع أن تتحرّك دون رأي إنكلترا أو أمريكا حسب فلك السياسة التي تدور فيها، وهاتان الدولتان راغبتان في الوصول إلى نتيجة كالتالي حدثت رغم ما تدعيانه وتشيّعانه.

ولكن الروس اشتركوا بالحرب مباشرة ونصروا أتباعهم، وساعدوا على انفصال شطلي من دولة، وكانوا يدعون أنهم يُحاربون كل انفصال، وقد سحّلوا حركة في المجر، وأخرى في تشيكوسلوفاكيا تحت شعار عدم الانفصال عن حلف (وارسو)، وكان اشتركهم في الحرب ضدّ باكستان بقيادة خيراتهم ومدريهم في الجيش الهندي للطائرات الروسية التي تملكها الهند، والتي زوّدت روسيا بها الهند وخاصة بعد المعاهدة الهندية-الروسية التي سبق توقيعها قبل المعركة بمدني قصيرة.

وكذلك اشتركت دولة اليهود في هذه الحرب ضدّ باكستان عن طريق صباط دخلوا ساحة المعركة، وتسلّموا قيادات فيها مثل: العقيد (جاكوب) الذي كان معاون قائد القوات الهندية التي اجتاحت باكستان الشرقية، وقد رفع التمثيل السياسي بين الهند ودولة اليهود بعد هذه الحرب مباشرة إلى درجة سفارة بعد أن كان على درجة قنصية.

وإذا كانت باكستان الشرقية قد استسلمت، ووقعت فيها مجازر رهيبة جداً وخاصة ما تمّ منها على أيدي ما عُرف باسم ثوار «موكتي بهيني». إلا أنه في باكستان الغربية قد ابتدأت المظاهرات بعد وقف إطلاق النار، وكانت تُطالب باستمرار القتال، والعمل على إحراز النصر، فإن الهزيمة في باكستان الشرقية ليس معناها نهاية الحرب وحسب، وهذا يدلّ على ارتفاع معنويات الباكستانيين، وخاصة بعد الانتصارات التي حقّقوها على الهند في

الصراع الداخلي

لم يكن أحد ليتوقع أن يحدث صراع داخلي في باكستان بهذه السرعة، فالصراع مع الهندوس لم تنته آثاره بعد، ولم تدمل جراحه فني كل بيت لا تزال أنه، وفي كل دار غصة، لم يغسل الناس آثار دعاء قلوبهم، ولم تحفّ دموعهم عليهم، والقبور شواهد، ناهيك عن العذارى الداميات، والحرائر المفجوعات، وأهلهم الحيارى الصابرين. والاستقلال بالعقيدة لم تمض فرحته، والخلاص من الاضطهاد والظلم لم يفض على الزفريات، ولم يه الأبين. ولكن أعداء الإسلام لم يتركوا هؤلاء ولا أولئك إذ صعب عليهم أن يروا دولة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية فجن جنونهم، وطاش صوابهم، وانطلقوا بحركون خفايا النفوس، وكوامن الأثلة، ولا يخلو مجتمع من أصحاب أهواء، وفوي مصالح، هذا مع العلم أن قادة هذه الدولة الجديدة باكستان لا يلتزمون بأحكام الإسلام، وإن كانوا يتمون إلى أهله، ويتسبون إليه، فلو كانوا من المتزيمين لارتجت أرض الصليين بتحرك أهلها لمقاومة المتطرفين - حسب اصطلاحهم الصليي - وهذا ما رأيناه عندما انشع نور أمل لوصول فتى إسلامية إلى حكم... إذ صحت المحافل الصليبية وتداعى له أتباعها من الذين يتمون إلى الإسلام، ويتسلطون على أهله، وربما في مقدمتهم الذين يدعون العمل بأحكامه، ويتاجرون بذلك، ويصدقهم المغفلون من وعاباهم ومن الظالمين إلى حكم الإسلام.

المعارك الطاحنة التي دارت وحاصرها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، كما تدل هذه المظاهرات على استعداد الباكستانيين للتضحية. كذلك كان المتظاهرون يطالبون بمحاكمة يحيى خان، واعتباره مسؤولاً عن الهزيمة التي لحقت بالبلاد، إذ لم يتم بالدور السياسي المطلوب، ولم يستغف من العواطف الإسلامية الكامنة، ولم يتحرك سياسياً فيصل بالدول التي ترتبط بمعاهدات مع بلاده، أو بروابط أخرى، إضافة إلى التخصير بالاستعداد الذي كان يلزم المعركة.

سقوط يحيى خان:

استدعى الرئيس يحيى خان من نيويورك ذوالفقار علي بوتو الذي كان قد سافر قبل مدة إلى الأمم المتحدة لعرض وضع بلاده عليها، وما أن وصل إلى باكستان حتى سلمه يحيى خان أمر البلاد، وطارها متوجهاً إلى طهران، بصفتها من فرقة الشيعة، ثم عاد بعد مدة لتعرض عليه الإقامة الإجبارية في المنزل، وكانت قد شكّلت لجنة من أجل النظر في إمكانية تقديم يحيى خان إلى المحاكمة غير أن ذلك لم يكن إلا في سبيل امتصاص ثقة الشعب عليه.

هب أعداء الإسلام بحركون التعصب الإقليمي، ويشيرون العوامين إلى المنصب، ويتصلون بأصحاب الأهواء، وبرز الذين يريسون الزعامة ورفعوا بعض الشعارات التي تُؤذي إلى وقوع الصراع، وكانت الخلافات.

الصراع الإقليمي:

بعد أن نزل الخوجا نظام الدين من منصب الحاكم العام إلى منصب رئاسة الوزراء تحركت في نفسه زعامة الزعامة والرغبة بالرئاسة الأولى، ودفعه الأعداء، وشحن بالعصية الإقليمية، فادعى بسيطرة الجناح الغربي على الشرقي رغبة في زعامة، وحمل نقاطاً معينة وأخذ يطرحها.

ادعى أن أكثرية الجيش من التجناب مع أنه ليس هناك مانع من إقبال أهل البنغال إلى الجيش، وامتثالهم العسكرية، ولكنهم هم لا يريسون ذلك، وأهل التجناب يلبون فهل تمنعهم.

وطالب أن تكون اللغة البنغالية لغة رسمية ثانية في الجناح الشرقي، ولكن وجود لغتين في دولة واحدة إشارة إلى بداية ظهور الفرقة، وبدءاً لعلامة الانقسام، وحملاً لبقية الأقاليم لتطالب بلغاتها المحلية لتكون رسمية، وبعدها تكون التجزئة حيث لا توجد دولة في الدنيا كلها لها خمس لغات رسمية.

وتنادى بنقل العاصمة من الجناح الغربي إلى الجناح الشرقي ما دام أكثر سكاناً، وهذا أمر غريب، فباكستان الشرقية تعض بالسكان، وقاعدتها لا تسع لأي جديد. فإذا أصبحت عاصمة مركزية صعب تأمين المرافق الرئيسية، والدول عادة تؤسس عاصمة جديدة بعيدة عن مناطق الأزدحام.

ومع هذه الطلبات الغربية إلا أنها لفتت أذاناً صاغية نتيجة التعصب الإقليمي ونتيجة الجهل بالدرجة الأولى، وأقبل الخوجا نظام الدين فزادت حماسه لمطالبه، وكانت بلرة الانشقاق، إذ حملها أصحاب المصالح،

والراغبون في الزعامات، والانفصاليون، ودعمهم أعداء الإسلام من مختلف الفئات لضرب باكستان، والفكرة التي قامت عليها حتى كان الانفصال كما رأينا.

ومما ساعد على ذلك النظام الاتحادي الذي قامت عليه الدولة، والقوانين التي كانت تصدر، وترشع فكرة الإقليمية في سبيل إرضاء أهل تلك الأقاليم ممن قويت عندهم النزعة الإقليمية نتيجة الجهل ونتيجة دعايات أصحاب الأطماع والزعامات.

وإذا كانت الأقاليم في الجناح الغربي أقل حدة في النزعة الإقليمية لصعقتها الاقتصادي إلا أنها قد وجدت. وإذا كان الدستور الذي أعلن في ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) قد وحدت الأقاليم الجناح الغربي. ولكنها عادت مرة أخرى إلى الظهور. وربما كان الصراع مع الهند قد خلف من حدة تلك النزعة. غير أن انفصال باكستان الشرقية عاد فأعيا الإقليمية في الجناح الغربي، وبرزت خاصة في إقليمي السند، والبلوشستان.

ولا شك أن أعداء الإسلام، وأعداء باكستان، والفكرة التي قامت عليها باكستان كانوا وراء تلك النزعة، ومن الذين يشيرونها، لحقدتهم على الإسلام، وليصح لهم مجالاً للتدخل نتيجة الضعف الذي تكون عليه تلك الأقاليم عندما تنفصل عن الأم، ونتيجة الجهل سار بعض الناس وراء هذه الشعارات بل الساق بعض المسلمين المتزمتين عصبية. مع الأسف. وعدوا ذلك خدمة للإسلام، إذ يحدون مجالاً لتطبيقه، وما ذلك إلا جهلاً، أو ظنوا أن ذلك يوصلهم إلى الزعامة فأعسى ذلك أبصارهم.

الصراع العقائدي:

إن المسلمين هم الأكثرية الساحقة في الدولة، بل إن باكستان لم تنشأ إلا على أساس جمع المسلمين في الهند بدولة واحدة. فليس هناك صراع عقائدي واضح، وإنما يقف ضد المسلمين كل الأقليات الأخرى.

فألهندوس قلوبهم مع الهند، ولهم دور في الجناح الشرقي، وكتاتوا
عادلاً أساسياً في الانقسام حيث تستفيد الهند من وراء ذلك، فتفكر في
ابتلاع باكستان الشرقية بعد انفصالها نتيجة ضعفها وكثرة الهندوس النسبية
فيها.

والبوذيون والسيخ يضعون العراقيل في وجه الحكومة، ويشيرون
القوضى حثاً على الإسلام، ويعملون على قتل من يستطيعون قتله خفية.

والإسماعيليون والقاديانيون يرتبطون بإنكلترا، ويحقدون على الإسلام،
ويعملون على إثارة الفرقة بين أتباعه، وعلى تشويه تعاليمه وأفكاره وقبسه،
وعلى بث الفساد بين أفرادها.

والشعبة لا يعجبهم شيء إلا إذا كان منسجماً مع مبادئهم ورغم
ادعائهم الإسلام، وهم دائماً ضد السلطة، ويعارضون أي قانون يتفق مع
المبدأ الإسلامي ما دام لا يحمل فقههم، ونتيجة أنظارهم باستمرار نحو
إيران.

والمسلمون منقسمون فالملتزمون فئة تدعو إلى تطبيق الإسلام،
والعمل بأحكامه، والدولة لم تقم إلا على هذا الأساس. ويحرصون على
بث الوعي بين السكان، والدعوة إلى الالتزام. أما غير الملتزمين فهم من
أصحاب المصالح، والأهواء، والمناصب، والمرتبطين، والجهلة. وهم
يرفضون الالتزام لأن ذلك يحول دون ما يرغبون فيه. ولذا فإنهم يقفون في
وجه الملتزمين ويرقدون الشائعات التي يبثها أعداء الإسلام، ويكونون يوقفاً
لها، وغير الملتزمين عادة من الملتحمين والعلمانيين والجهلة، وهم بالأصل
الذين يحملون أفكاراً رأسمالية واشتراكية، ويسودون في فلك الدول
الكبرى، وهم أيضاً أصحاب المصالح والأهواء وظلة المناصب.

الصراع الحزبي:

كان حزب الرابطة الإسلامية هو الحزب السياسي الوحيد، وهو الذي
قام بشور رئيسي في سبيل قيام باكستان. وهو الحزب الذي استظم السلطة.

ومع أن الدولة قامت على أساس الإسلام إلا أن قادة هذا الحزب لم يكونوا
ملتزمين بأحكام الإسلام وتعالميمه، فكان منهم المسلم، والقادياني،
والإسماعيلي، والمزوج بهندوسية، والمقترون بمجوسية، ومن هنا جاء
دعهم والسكوت عنهم من قبل الدول الكبرى خوفاً من أن يأتي مسلمون
ملتزمون يُطبقون الإسلام، ويحولون دون تدخل المستعمرين الصليبيين،
ويلقون في وجههم أمام استغلال المسلمين وبلاغهم، وأمام تنفيذ
المخططات الأجنبية. ومن هنا فلم تُطبق أحكام الإسلام، وبقيت هذه
الدولة التي قامت على الإسلام كأي دولة علمانية أخرى، بل برز فيها
القاديانيون، والإسماعيليون، وأكثر الفرق الضالة نتيجة تغليبهم ومخططاتهم
كأفليات.

ثم ضعف حزب الرابطة الإسلامية أمام ظهور النزعة الإقليمية.
وظهرت مجموعة من في الإقليم الشرقي برئاسة الخوجا نظام الدين،
وجماعة تعارضه في الجناح نفسه برئاسة محمد علي يوفرا، وظهر حزب
الرابطة في الإقليم الغربي معارضاً للأفكار التي يحملها أتباعه في الجناح
الشرقي، ومع ذلك فقد بقي الحزب قوياً لأن السلطة بيده، والانتهازيون،
وأصحاب المصالح، والذين يريدون العمل، والمترلقون للحاكم كثيرون في
كل مجتمع، وهم بجانب الحاكم، لذا بقي الحزب تبدو له شعبية
ومؤيدون، وإن كانت شعبيةً ظاهرية فالمتضوعون والمترلقون يفضون عن
مجرد تركه السلطة، ويلتفون حول الحاكم الجديد.

وفي هذه الحالة لا بد من أن تنشط الجماعة الإسلامية التي تأسست
منذ عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وتدعو إلى تطبيق الإسلام، وتذكر الناس
والحكام أن الدولة قامت على أساس ديني، فإن لم يُطبق كان العمل
السابق كذباً على الأمة، والمجتمع مسلم، ويُطالب بإقامة أحكام عقيدته،
وزاد نشاط الجماعة مع رؤية التأييد الذي وجدته في صفوف الشعب. غير
أن السلطة قد وقفت في وجهها، ومنعت نشاطها، وألقت أميرها (أبو الأعلى
المودودي) وكبار قادة الجماعة في السجن، وحلّت التنظيم وصارت أملاكه،

وصحفه. ومن باب التضليل على الشعب العادي أو الجاهل ادعت الفتن المتسلطة عليه أن الإسلام لا علاقة له بالسياسة، ولا علاقة للمسجد إلا بإداء الصلاة، ثم تغلق المساجد بعد العبادة، فلا دعوة ولا عمل، وأما ما كان يفعله رسول الله ﷺ، وما سار عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالح من أن الخليفة هو الإمام والخطيب في المسجد، وأنه القائد للجيش في الحروب، وأنه المتكلم باسم الدولة والمفاوض أثناء إبرام الصلح، وعقد العهود، وأن خطبه لم تكن قاصرة على التصح والتوجيه وإبانة الأحكام، وإنما كانت تتناول وتهتم بشؤون المسلمين في كل مكان، وبحث مشكلاتهم، وما يعانون، وإمكانية مساعدتهم، ويحفظ الأعداء ضدّهم إن كانوا أقليةً يعيشون بين ظهرائي غير المسلمين، ملزمين على ذلك ومجبرين. ويذمّي المتسلطون أن تلك عهود قد مضت - وكان الإسلام إنما جاء لمرحلة معينة - والأن نخشى من إثارة الدول الكبرى، وإساءة العلاقات معها، إن قلنا أو دعونا لتطبيق الإسلام.

ومع النشاط الإسلامي، ونتيجة الفكرة التي قامت عليها باكستان، وبسبب الكره للأعمال الوحشية والإجرامية التي قام بها الهندوس بقيت الأحزاب تحمل العنوان الإسلامي، وإن كانت فارغة المضمون. إذ بقي حزب الرابطة الإسلامية وكان برئاسة الخوجا نظام الدين، ونشأ حزب نظام الإسلام برئاسة شوذري محمد علي الذي كان رئيساً للوزراء. وظهر حزب باكستان الإسلامي في ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول عام ١٩٦٣ م).

ونتيجة الحظر الذي فرض على الجماعة الإسلامية نشط العلماء ليسدوا الفراغ، ولكن لم يبحثوا بالأمور السياسية إلا بالمقدار الذي تسمح به السلطة، وكانت جمعية علماء الإسلام برئاسة مفتي محمود، وجمعية علماء باكستان برئاسة شاه أحمد نوراني، وعبد الستار نيازي، وجمعية أهل الحديث. برئاسة الشيخ محمد عبدالله، وأمانة سر ساجد مير.

وبدأت الدول الكبرى تمدّ يدها، وتدفع بطلاب الزعامة، ونتيجة

الجهل، وتفشي العنصرية ظهر في باكستان الشرقية حزب عوامي الوطني برئاسة عبدالحميد خان بهاشاني، وحزب عصبة عوامي برئاسة نواب زاده نصر، وأمانة سر مجيب الرحمن، وكلاهما يحمل نهجاً اشتراكياً، تدعوه روسيا وتتخذ منهما مطيةً، وتدفع أحدهما لمنافسة الآخر. ليقتل لها شرف الهيمنة، وحتى إذا عثر أحدهما امتطت الآخر، أو جمح واحد، طارده بالثاني، وهي لعبة الجياد الدولية المعروفة. ولما انقسمت الشيوعية بين روسيا والصين سار أحدهما وهو عبدالحميد خان بهاشاني وحزبه عوامي الوطني مع الصين، ومضى نواب زاده ومجيب الرحمن وحزبهما عصبة عوامي مع روسيا.

ومع الخلاف الشديد بين هذه الأحزاب والتباين الفكري الواضح بينها، والشقة الواسعة في ارتباط بعضها فقد شكلت جهة معارضةً واحدةً ضدّ أيوب خان عندما استبد بالسلطة، وأطلق يده فيها.

ومع السياسة الأمريكية التي أخذت تتبنى أحزاباً سياسيةً نهجاً اشتراكياً في سبيل إجهاض الحركة الشيوعية، وإفراغ المعنى الاشتراكي من مضمونه تصاماً فقد نشأ حزب الشعب برئاسة ذوالفقار علي بوتو عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وهو حزب ديمقراطي اشتراكي، يشير نحو اليسار وينحى نحو اليمين.

وظهر حزب باكستان الوطني عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م).

وأسس الجنرال أصغر خان حزب العدالة في شهر ذي الحجة

١٣٨٨ هـ (أذار ١٩٦٩ م).

هذه أهم التجمعات السياسية في باكستان الكبرى، وهناك تنظيمات كثيرة، فكلما أراد طامع الزعامة شكل حزماً، ووجد له أعمالاً ومؤيدين نتيجة الجهل مهما كانت الأفكار التي يدعوه حتى أن المسلمين الذين خرجوا من الهند وانجهوا نحو باكستان عندما جرى التقسيم شكّلوا حركةً قويةً عرفت باسم «حركة مهاجر قوامي».

كان الصراع شديداً بين التجمعات الإسلامية والأحزاب العلمانية وإن حملت عنوانين إسلامية وبدور الصراع حول الأفكار، وصلاحية الإسلام، ومقارنة بين الإسلام والنظم الوضعية، وبين النظام الإسلامي الاقتصادي، والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، وحول النظم الاجتماعية، والقيم الإسلامية.

ويقع الصراع بين التجمعات الإسلامية نفسها حول كسب العناصر، والاجتهادات القرعية، والتصرفات الشخصية، وهذا ما يكون له أكبر الأثر - مع الأسف - في تفكك الصف الإسلامي.

ويتهم الحزبيون العلمانيون الجماعات والأفراد الإسلاميين بالجمود، والرجعية وعدم فتح العيون على معطيات العصر العلمية والتقنية، ويحاولون التفريق بين الجماعات الإسلامية فيعززون التطرف إلى أقواها، وأكثرها التزاماً، فيعلنون الحرب عليها، ويصفون غيرها بالاعتدال، فإذا زالت من طريقهم وجَّهوا سهامهم على سواها الأقوى فالأقوى حتى تختوى، أو تخضع أو تسقط، وهكذا حتى النهاية حسب مخططهم.

وينعت المسلمون المعتزموون العلمانيين بالإلحاد، والانحراف، والتفكك من القيم، والبعد عن الأخلاق الإسلامية، والسير وراء الشهوات البهيمية، والسعي وراء المصالح، وتقليد الأعداء، والجريان في فلك الدول الكبرى.

أما غير الإسلاميين فيقع الصراع بينهم حسب المذهب الاقتصادي الذي يتأدون به، وحسب الدولة الكبرى التي تتبنى ذلك المذهب، وبالتالي حسب الفلك الذي يجري فيه ذلك الحزب، ثم الصراع على المصالح، والمتافع، والإفادة من السلطة.

الباب الرابع

باكستان

تجزّأت باكستان إلى قسمين فحملت باكستان الشرقية اسماً جديداً هو «بنغالديش»، بينما بقي الجناح الغربي، وهو باكستان الغربية يحمل اسم «باكستان»، ووجدت دولةً وحدها، وقد توالى على حكمها منذ انفصال الجناح الشرقي منها عنها حتى الآن ثلاثة رؤساء.

١ - ذوالفقار علي بوتو:

تسّم السلطة في باكستان بتكليف من يحيى خان في ٣ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٢٠ كانون الأول ١٩٧١ م) ولكن استمرت المطالبة بالقتال، ومحاكمة يحيى خان، فوعد ذوالفقار علي بوتو بالبدء بتنفيذ مشروعاته كلها، ومن جعلتها ما يُطالبون به، بل وما يطلبونه وحتى مستقبلياً.

غيّر الرئيس الجديد القادة العسكريين، وعدّ بعضهم مسؤولين عن الهزيمة، كما بدّل المحافظين، ثم أسكت المطالبة بالحرب بمتاورية سياسية ماكرة، وأتم بعض المرافق الحيوية، كل هذا رغم أن البلاد لا تزال تتزرف جروحها فهي بحاجة إلى إسعاف قبل هذه المشروعات غير أنه أراد إشغال الناس بأمور داخلية لإبعادهم عن أهدافهم الأساسية.

قامت بعض المظاهرات أمام الإجراءات التي قام بها رئيس الجمهورية الجديد، وكان أعنفها ما حدث في منطقة «بلوشستان» حيث عاشت عاصمتها «كوئتا» بحالة حرب مدة هذه الاضطرابات.

وكان في هذه المدة قد زار وزير الخارجية الروسية (غروميكو) الهند في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (٩ آب ١٩٧١ م)، وعقد معاهدة معها لمدة عشرين عاماً.

اتفاقية سيملا:

في ١٧ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٧٢ م) بدأت محادثات القمة بين الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو ورئيسة وزراء الهند (انديرا غاندي) في مدينة سيملا الهندية التي تقع عند سفوح جبال هيمالايا على بعد ٢٢٠ كيلومتراً إلى الشمال من العاصمة الهندية (دلهي) في محاولة للتوصل إلى تسويات المشكلات المعلقة والناجمة عن حرب شوال ١٣٩١ هـ (كاتون الأول ١٩٧١ م)، وعن تقسيم باكستان، وقيام دولة بنغاديش. ومن الجدير بالذكر أن مدينة سيملا هذه هي التي تقرّر فيها تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، بعد جهودٍ مضنيةٍ دامت خمسة أيام، ثمّ بعدها على الاتفاق الذي أذيعت بنوده في ٤ شعبان ١٣٦٥ هـ (٣ تموز ١٩٤٦ م).

وأهم بنود هذا الاتفاق الذي تمّ التوصل إليها بين الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو ورئيسة وزراء الهند (انديرا غاندي)، والتي أذيعت في ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (٢ تموز ١٩٧٢ م) كانت كما يأتي:

أولاً: استعادة باكستان لكل الأقاليم التي فقدتها في حرب كاتون الأول مع الهند باستثناء المناطق الواقعة على طول خط وقف إطلاق النار بينهما في إقليم كشمير، وتقدّر مساحة هذه الأراضي التي كانت قد احتلتها الهند بـ /٨٦٢٠/ كيلومتراً مربعاً، معظمها في المناطق الصحراوية من إقليم السند، ومنطقة مراعي (كوتشي)، وقطاع البنجاب.

ثانياً: انسحاب القوات الهندية إلى مواقعها قبل الحرب في السند، وكوتشي، والبنجاب لتستعيد باكستان أراضي تبلغ مساحتها /٨٢٢٠/

أعلن ذوالفقار علي بوتو عن إعطاء المقاطعات الباكستانية استقلالاً ذاتياً ضمن جمهورية باكستان، وربما كان ذلك لكسب ودّ سكان باكستان الشرقية التي انفصلت وسارت في دربها الخاص، غير أن بوتو لم يقطع الأمل بإعادتها، بإعطائها بعض مطالبها ضمن الاتحاد الباكستاني الجديد، ولكن لهذا القرار أثره الخطير، إذ كان لكل ولاية لغتها الخاصة، ويمكن بذلك أن يؤدي هذا الاستقلال بعد مدّة إلى تناهد بين هذه المقاطعات، ثم قيام عددٍ من الدول مكان الدولة الواحدة في باكستان، وهذا ما تريده الدول التي ترغب في تعزيز باكستان وإضعافها من أجل إثارة الفكرة التي قامت عليها يوم نشأتها عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ألا وهي الفكرة الإسلامية. فالأصل صهر هذه المقاطعات في بوتلةٍ واحدةٍ، وليس فصل بعضها عن بعضٍ مهما كانت الأغراض والدوافع السياسية.

بدأ ذوالفقار علي بوتو مباحثاته مع (محب الرحمن) الذي أخرج من السجن، وقرّرت عليه الإقامة الجبرية، وحاول (بوتو) أن يشترك معه بالحكم في سبيل المحافظة على باكستان الشرقية ضمن دولة باكستان الموحدة، ولكن لم يحصل على الموافقة المرجوة، ثم أمر بنقل محب الرحمن إلى منزله، وأخيراً أطلق سراحه في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٢ م)^(١) فعاد محب الرحمن باكستان متوجّهاً إلى لندن حيث عقد هناك مؤتمراً صحفياً دعا فيه إلى الاعتراف بحكومة بنغاديش، كما أجرى مباحثاتٍ مع رئيس الوزارة البريطانية، ولم يمكث في لندن سوى يومٍ واحدٍ غادرها بعد ذلك متوجّهاً إلى (دلهي) حيث كانت الهند قد أرسلت له طائرة خاصةً أقلته إلى عاصمتها، حيث استقبل هناك استقبالاً رسمياً، وبعد ذلك توجه إلى (دكا) عاصمة بنغاديش الدولة الجديدة.

(١) اعتقل محب الرحمن في باكستان في ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م)، وابتدأت محاكمته في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (١١ آب ١٩٧١ م) بتهمة إثارة الحرب ضد باكستان، وذلك أمام محكمة عسكرية، وسمح له بالدفاع عن نفسه، وتكليف المحامين الذين يختارهم للدفاع عنه.

كيلومتراً مربعاً، وتستمر الهند في احتلال المساحة المتبقية، وهي تقع في كشمير وتبلغ مساحتها أربعمائة كيلومتر مربع.

ثالثاً: أن تُعيد باكستان إلى الهند الأراضي التي احتلتها في قطاع البنجاب، وصحراء راجستان، وتبلغ مساحتها حوالي ستمائة كيلومتر مربع.

رابعاً: اتخاذ الخطوات اللازمة لاستئناف الاتصالات السلكية واللاسلكية والبريدية البحرية والبرية - بما فيها مراكز الحدود - والجوية بما فيها تحليق طائرات، كل منها في أجواء الأخرى، وتسهيل سفر مواطني البلدين.

خامساً: استئناف التجارة والتعاون في المجالات الاقتصادية والتبادل في المجالات العلمية والثقافية.

سادساً: ترك مسألة إعادة العلاقات بين البلدين لأحوالها الطبيعية لزيادة من المحادثات بين ممثلي البلدين.

وكذلك أوضح الاتفاق أن يبدأ انسحاب قوات الطرفين إلى الحدود الدولية للدولتين بمجرد أن يصبح ساري المفعول بعد التصديق عليه من السلطة التشريعية في البلدين، وأن يتم هذا الانسحاب خلال ثلاثين يوماً من بدايته. كما اشتمل الاتفاق على المبادئ العامة لحسن الجوار بين الدول، ومنها نيل استخدام القوة لتسوية المنازعات بين البلدين، ومراعاة تطبيق مبادئ ميثاق الأمم المتحدة في العلاقات بينهما، واللجوء للوسائل السلمية في حل خلافاتهما، واحترام كل منها لسلامة ووحدة أراضي الآخر، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية^(١).

أصدر ذوالفقار علي بوتو قرارات ما عُرف بالإصلاحات الزراعية في الشهر الأول من عام ١٣٩٢ هـ (أذار عام ١٩٧٢ م)، وقد حَقَّقَتْ هذه

(١) اتفاقية سيملا والمصالحة الهندية - الباكستانية. نازلي موهن أحمد - السياسة الدولية عدد ٣٠ تشرين الأول ١٩٧٢ م.

القرارات الحد الأقصى لملكية الأراضي الزراعية من ٥٠٠ إلى ١٥٠ أكرراً من المروية، ومن ١٠٠٠ إلى ٣٠٠ أكر من الأراضي غير المروية، وتتولى الدولة توزيع الزائد من أراضي كبار الملاك على صغار الفلاحين.

وقام بتأميم شركات التأمين والمصارف المالية الباكستانية وهي خمسة عشر مصرفاً، برأسمال قدره خمسة وعشرين مليون جنيه استرليني، كما أتم أربعين صناعةً أساسيةً، وزاد في نصيب العمال من الأرباح.

ثم ألغى القانون العسكري في شهر صفر من عام ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) قبل أربعة أشهر من التاريخ المحدد للإفكاح، واتخذ دستوراً مؤقتاً.

وفي ٨ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٣ م) وافقت الجمعية الوطنية على دستور جديد للدولة، وهو أساس أقيم من البلاد نظام اتحادياً بعد الوحدة التي كانت قائمة، وجعل هذا الدستور رئيس الدولة رأساً دستورياً، فقط، أما رأس السلطة التنفيذية فهو رئيس الوزراء. وعين فاضل إلهي شودري رئيساً للجمهورية، وتسلم ذوالفقار علي بوتو رئاسة الوزارة، وكانت البلاد بيده، أما رئيس الجمهورية فيعيش في الظل.

وتتألف الجمعية الوطنية من مجلسي الشيوخ والنواب، حيث يشتمل مجلس الشيوخ ٦٣ عضواً ويضم مجلس النواب ٢١٠ أعضاء بينهم عشر نساء.

وفي عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) قات حركة تسميها في ولاية (بالوشستان) بزعامة حزب عوامي الوطني، وتهدف هذه الحركة إلى انفصال بالوشستان عن باكستان، وتأسيس دولة خاصة على أساس القومية البالوشية، وقسم المناطق الأفغانية التي يُقيم فيها البالوش إليها، وكان الشيوعيون هم وراء هذه الحركة، ويعملون بالخفاء لتجسُّر الأناصر الإسلامية في سبيل إضعافها وخاصةً تلك التي تجاور الإمبراطورية الروسية،

ثم تطبيق المنهج العلماني، وأخيراً يأتي دور ابتلاعها من قبل الروس بعدما يكون قد حلَّ فيها من الضعف ما حلَّ، وما ساد فيها من المفهوم الاشتراكي لانتشار الفقر، فعمت العناية للروس، وعملهم لمحاربة الأغنياء ودعم الفقراء.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) اعترفت باكستان بالدولة البنغالية وانفصالها عن باكستان.

اشتداد المعارضة:

أعلن ذوالفقار علي بوتو عن إجراء انتخابات في ١٧ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ (٧ آذار ١٩٧٧ م) وأعلنت الأحزاب أنها ستشارك فيها، وقدمت المرشحين. وقد رشحت الجماعة الإسلامية نائب أميرها، وهو (جان محمد العباسي) ضد ذوالفقار علي بوتو، ولكن لم يلبث أن صدر الأمر بإلقاء القبض عليه قبل تقديم أوراق ترشيحه بيوم واحد، وهكذا ظل ذوالفقار علي بوتو بالتركية.

وفي ٢٠ محرم ١٣٩٧ هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٧٧ م) شكلت المعارضة تحالفاً ضد حزب الشعب الذي يتزعمه ذوالفقار علي بوتو، وهو الحزب الحاكم، وكان هذا التحالف برئاسة مفتي محمود، أمير جماعة علماء الإسلام، وضمت تسعة أحزاب وجماعات سياسية، ومنها:

- ١- حزب طريق الاستقلال برئاسة الجنرال أصغر خان.
- ٢- حزب باكستان الديمقراطي.
- ٣- حزب عوامي الوطني.
- ٤- حزب رابطة باكستان الإسلامية.
- ٥- جماعة علماء الإسلام.
- ٦- الجماعة الإسلامية.
- ٧- جماعة علماء باكستان.

- ٨- الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالولي خان.
- ٩- الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة غوث بخش بزنجو.

غير أن الحكومة قد تدخلت بشؤون الانتخابات، فقد كانت النتائج تُعلن بالإذاعة قبل انتهاء عملية فرز الأصوات، ونتيجة ذلك حصل حزب الشعب على مائة وخمسة وخمسين مقعداً من أصل مائتي مقعد، ولكن التحالف الوطني لم يعترف بهذه النتائج، ووقعت أزمة بعد إعلان نتائج الانتخابات ذهب ضحيتها مقتل ثلاثمائة وخمسين إنساناً، وألقي في السجون عشرات الألوف من الشباب.

وقد جعل التحالف الوطني أهدافه:

- ١- إبعاد ذوالفقار علي بوتو عن الحكم.
- ٢- إعادة الانتخابات النيابية العامة.
- ٣- تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومع اشتداد المعارضة بدأ فعلاً حزب الشعب بالتصدع فقد استقال منه أمينه العام فياض حسن، كما استقال سفير باكستان في إسبانيا اللواء الجوي عبدالرحيم خان.

وأخذ ذوالفقار علي بوتو بجري المباحثات مع التحالف الوطني، وما أن أعلن عن فشل هذه المباحثات حتى وقع الانقلاب ضد نظام حكم حزب الشعب برئاسة ذوالفقار علي بوتو.

□ □ □

٢ - ضياء الحق:

(١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٧ - ٦ محرم ١٤٠٩ هـ (٥ حزيران ١٩٧٧ - ١٨ آب ١٩٨٨ م)).

(١) ضياء الحق - ولد في ٢٢ محرم ١٣٤٣ هـ (١٢ آب ١٩٢٤ م) في بلدة (جولاندان) في مقاطعة السجاب، وتعلّم في مدينة (لوهي) عاصمة الهند في كلية (سانت ستيفن) الإنكليزية، وعلم بالجنش الإنكليزي، وأصبح ضابطاً عام ١٣٦٤ هـ في سلاح الفرسان، فلما تم تقسيم الهند انتقل مع أسرته إلى مدينة (كراتشي) في

أعلن قائد الجيش عن القيام بحركة ضد ذوالفقار علي بوتو لوضع حدٍ لموجة العنف السياسي التي آتت إلى مصرع أكثر من ثلاثمائة وخمسين مواطناً، وإصابة الآلاف، وتدهور الوضع السياسي، والعجز عن الوصول إلى حلِّ الأزمة، وخوفاً من قيام أعمال عنف جديدة، وخشية من إقحام ذوالفقار علي بوتو للجيش بالسياسة واستخدامه في عمليات القمع كما سبق أن فعل.

باكستان، والتحق بالجيش الباكستاني، وكان منقطعاً، محاً لهجت، مرتعلاً، وعلى صلة وثيقة برماته الضباط، وسحباً من قبل مرؤوسيه. والتحق بكلية الأركان، وتخرج منها عام ١٣٧٥ هـ، وبعدها عمل مدرساً فيها. شارك في الحرب التي جرت بين الهند وباكستان عام ١٣٨٥ هـ، وسافر إلى الأردن من بلاد الشام عام ١٣٨٩ هـ، وكان مستشاراً عسكرياً هناك، وشهد عا دار من أحداث يومذاك في تلك المنطقة.

وسامع في الحرب التي جرت بين الهند وباكستان عام ١٣٩١ هـ، والتي انتهت بتحررة البلاد، وقيام دولة بنغالديش. ودعى إلى رتبة جنرال عام ١٣٩٦ هـ، وعين قائداً عاماً للجيش رغم وجود ضباط أقدم منه رتبة.

وفي عام ١٣٩٧ هـ زادت المعارضة ضد الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو، ووقفت في وجهه الجماعات الإسلامية، فحدثت لؤوس واضطرابات في البلاد، فقاد ضياء الحق انقلاباً أطاح بنظام الحكم القائم برئاسة ذوالفقار علي بوتو ١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ (٥ حزيران ١٩٧٧ م)، وقدم ذوالفقار علي بوتو إلى المحكمة بتهمة تدبير جريمة قتل لأحد رجال المعارضة، ونفذ حكم الإعدام به. وشكّل ضياء الحق وزارة شاركت فيها الجماعات الإسلامية، وعندما قامت الثورة الإسلامية في أفغانستان، ولق إلى جانبها، ودعم المجاهدين. وفتح باكستان أمام تحركاتهم، وأقام لهم المعسكرات، والمستشفيات داخل باكستان، وهذا ما شد من عزائمهم، وشجعهم على القتال وتنامية الجهاد.

وتحسن علاقته مع الولايات المتحدة بعد القطع بسبب المفاضل النووي الباكستاني. وسامع في لجنة المصالحة التي شكلها مؤتمر القمة الإسلامي لحل الخلاف بين العراق وإيران، ولم تنجح هذه اللجنة في مهمتها. وفي ٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٨ م) أُنقِل بحادثة طائرة في طريقها من مطار (بالابور) إلى مطار (راولپندي) وله ولدان وثلاث بنات.

فرض ضياء الحق الأحكام العرفية، وحلّ الجمعية الوطنية، والمجالس التشريعية الإقليمية، وأقال حكومات الأقاليم، وشكّل مجلساً عسكرياً من قادة الأسلحة الثلاثة: البرية، والبحرية، والجوية تحت رئاسته، وألّف وزارة من المدنيين تُعاونوه في إدارة البلاد، كما أصدر عدداً من القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، فأقام الحدود، وفرض عقوبات صارمة على شاربي الخمر، وألغى الربا من المصارف.

كما اعتقل زعماء التحالف الوطني كي لا تكون الحركة موجهة ضد جماعة معينة - على ما يبدو - ولكن هذه الاعتقالات لم تطل، إذ أُخرج الجميع من السجن.

وطالب ضياء الحق زعماء التحالف الوطني بالتعاون، وقد خاضتهم بأي قد تقدّت هدفكم الأول بإعادة ذوالفقار علي بوتو عن الحكم، وألغيت كذلك الانتخابات الماضية، وأزلت كل نتائجها وآثارها، وهذا من هدفكم الثاني الذي سأنتمّه بإجراء انتخابات جديدة، وقد وعد بأنها ستكون بعد ثلاثة أشهر، أما أنتم فعليكم مساعدتي بتطبيق الشريعة الإسلامية التي هي المطلوب الثالث لكم، وهذا تتحقق جميع أهدافكم التي كنتم تعملون جاهدين في سبيل تنفيذها.

وعد ضياء الحق بعودة الحكم المدني، وأبقى فاضل إلهي شودري رئيساً للدولة. وقد آيد الإسلاميون ضياء الحق في أول الأمر، وأستد إلى بعضهم المناصب الوزارية، فسلم وزارة الإعلام أحد أعضاء الجماعة الإسلامية. وكان طفيل محمد أمير الجماعة الإسلامية عمال ضياء الحق، وعلى صلة وثيقة به، ومع ذلك فقد وقعت الجماعة من موقف المعارض لاستمراره في الحكم العسكري.

وفي شوال ١٣٩٨ هـ (أيلول ١٩٧٨ م) ترك فاضل إلهي شودري رئاسة الدولة فقسم ضياء الحق رئاسة الحكومة إلى رئاسة الدولة وتسلمهما. قدّم ذوالفقار علي بوتو إلى المحكمة بتهمة الأمر بقتل أحد معارضيه،

وقد ثبت التهمة عليه، وتقدّم فيه حكم الإعدام بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٤ نيسان ١٩٧٩ م).

وفي ذي القعدة من عام ١٣٩٩ هـ (تشرين الأول ١٩٧٩ م) أُنتقل الانتخابات إلى أجل غير مُسمى التي كان قد سبق أن وعد بها. ولكنه في الوقت نفسه طالب بتطبيق الإسلام.

سياسة ضيائه الحق:

سار ضيائه الحق في سياسته في اتجاهين يكادان يكونان متضادين متناظرين إذ هما متباينين أشدّ التباين، وهذا ما وجّه إليه معارضة من خصمي كلا الاتجاهين، لقد سار في:

١- اتجاهاً أمريكي:

إذ تقرب من الولايات المتحدة الأمريكية وهو يهدف إلى:

١- الحصول على السلاح.

٢- إبعاد أمريكا عن الهند، ومحاولة عدم حصول الهند على السلاح من أمريكا لإضعاف الهند، قلّة في السلاح، وتنوعاً في مصادره ولهذا أثره في التخطيط، مكانة في السياسة الدولية.

٣- التأمين على استمرار حكمه.

وقد لقي تجاوباً من طرف الولايات المتحدة، وسكنت مرحلياً عن اتجاهه الثاني، فهي تريد من نظامه:

١- إذلال روسيا في بلاد الأفغان، كما سبق لروسيا أن أدلت الولايات المتحدة في حرب فيتنام. ولكن لهذا حدّاً يجب أن يلقى عنده، فلا يحقّ له أن يعمل على تمكين المجاهدين الأفغان من استلام السلطة، وإقامة حكومة إسلامية. وإنما إذلال روسيا فقط. ثم إقامة حكم علماني في بلاد الأفغان، وإسكات الإسلاميين والشيوعيين بعدها.

٢- إبقاء باكستان في فلك النظام الرأسمالي، وعدم توجيهها نحو الصين، إذ توطدت العلاقات بينهما بعد الحروب الباكستانية الهندية عام ١٣٨٥ هـ و ١٣٩٠ هـ.

ب- اتجاهاً إسلامي:

ضيائه الحق حسيماً يندو صاحب اتجاهاً إسلامي، ويريد تطبيق الشريعة، وإقامة علاقات وثيقة مع كافة الأمصار الإسلامية بل لا مانع عنده من الوحدة الإسلامية، غير أنه يخشى:

١- التفاهم مع الحركات الإسلامية في باكستان لأن الدول الكبرى لا ترعى عن ذلك وخاصةً الجماعة الإسلامية التي أسسها أبو الأعلى المودودي عام ١٣٦٠ هـ، وهي الآن برئاسة طه محمد خال ضيائه الحق. ولقد بدأ ضيائه الحق بهذه الحركات الإسلامية الباكستانية، وحصل على تأييدها، وشاركت معه في الوزارة الأولى التي شكّلها، وتحمّلت معه تبعات الحكم، ثم أحسّ بالخطر يقترب منه نتيجة هذه السياسة، فابتعد عن الحركات الإسلامية، غير أنه لم يستطع أن يتخلّى عن خطّه، فاتزوى قليلاً، فأخذت تلك الحركات تُعارض خطّه سيره العسكري الأمريكي.

٢- عملت الدول الكبرى ضدّه صليبيةً إذ هي ضدّ العمل الإسلامي، وخاصة صاحب الفكر الواعي منه مثل بعض التنظيمات الإسلامية التي قامت تدعو إلى الوحدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، والحقيقة ليست الدول الكبرى وحدها في هذه القضية، وإنما الدول كلها إذ لا تعدو أي دولة أن تكون صليبيةً أو يهوديةً، أو ملحدّة، أو علمانيةً، أو وثنيةً، وكلها ضدّ الإسلام مباشرةً وعلى طول الخط، بل ويُضاف إليها الطغاة من كل صنف وربما كان بعضهم من بين المسلمين وإن...

٣- الأعداء في داخل باكستان من الأصفاء كلها، فهم يتربصون الدوائر به، مخالفةً صريحةً بالمنهج، وطمعاً في استلام السلطة، فأصحاب

روسيا: تلقف صراحةً ضد ضياء الحق لأنه يقف في وجهها في أفغانستان، ويدعم المجاهدين ضدّها، وضدّ أتباعها الذين يحكمون كابل، ولما خالفت لها في العقيدة، فهي عدوة الإسلام، وهو مسلم، وإن نجاحه في منجحه، وانتصار الأفغان، وتشكيل دولة مسلمة قوية على حدودها لِيؤثر عليها أشدّ الأثر، فلربما وهو الأغلب أن يُثير ذلك المسلمين الذين يخضعون للسيطرة الروسية، وهذا معناه تفكك الإمبراطورية الروسية، وإضعافها، وتراجعها إلى دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة، بل ربما خضعت للمسلمين الذين يكون قد قوي شأنهم، وتخلصوا من ربقة الدن التي فرضتها عليهم روسيا، وهذا ما تضع نصب أعينها، ولا يغيب عنها أبداً نتيجة الظلم الذي تُمارسه، وهي تعلم أن شدة الضغط يولد الانفجار، فكيف إذا كان من بدعته، وخاصة إذا كان ينطلق من العقيدة الإسلامية، وينتهي فكرة الجهاد.

هذا إضافةً إلى أنها تُعادي باكستان لصلتها الوثيقة مع الصين المتنافسة الشيوعية لروسيا والتي تُوجّه إليها اللوم والانتهاج في كل قضية دولية، أو لعبة كان للروس فيها دور.

وأخيراً فإن روسيا مصلحتها مع الهند عدوة باكستان، فكلا الخصمين لباكستان يريد القضاء على باكستان وزوالها من الخريطة عقيدةً وحققاً.

الهند: تتنازع باكستان على كشمير، وتُفازها على الولايات المتحدة الأمريكية، وتحس من الإسلام، وعودة أهله لحكم الهند، وخاصة أن في الهند أكثر من ثمانين مليون مسلم، واشتكت معها في حربين، وتعدّان خصمين دائمين أو عدوين للدوين.

إنكلترا: تسير في السياسة نفسها التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية، وتحقد على باكستان إسلاميتها، وعلى ضياء الحق لتوجّه الإسلام، فتريد زواله.

النظام الشيوعي يحدون في ضياء عدوًّا في العقيدة بإسلامه، وفي السياسة لمحاربه الشيوعيين في أفغانستان، ولاتجاهه الأمريكي، وأصحاب النظام الأمريكي يرون فيه عدوًّا بإسلامه، ومن الناحية السياسية فقد انتهى دوره عندهم.

ولهذا بدأ ضياء الحق مُتأهباً في سياسته، مختلفاً في منهجه، لا يكاد يُعرف له خط، يسير مترنحاً متخوفاً.

غير أن الخط الذي استطاع أن يُوقن فيه بين الانحماريين دعم المجاهدين الأفغان، فهو في هذا الجانب يُحقّق خطه الأصيل في دعم المجاهدين، ويُرضي في الوقت نفسه أمريكا التي تريد إذلال روسيا فتسكت عن سياسته بحل، وتعدّ بشره. واستمرّ هذا حتى وقّعت الاتفاقية بين الحكومة الباكستانية والحكومة الأفغانية في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م).

شعرت أمريكا بعد توقيع تلك الاتفاقية أنها قد أذلت روسيا فخرجت من أفغانستان ذليلةً كليلّة، وبذا فإن دور ضياء الحق قد انتهى ويجب أن يتوقف دعم المجاهدين الأفغان، ولا يصحّ أن يستمرّ أكثر من ذلك، إذ يُؤدّي استمرار الدعم إلى تمكّن المجاهدين، وتمكينهم من استلام السلطة، وبذا أرادت أمريكا أن تتخلص منه، وأخذت تُحفظ لذلك. المعارضة الخارجية:

قلنا إن الدول كلها تلقف ضدّ حكم ضياء الحق للمنهج الذي يسير عليه، وكذلك الطغاة في مختلف الأرض للسبب نفسه، ولكن يهتما لفت الانتباه إلى بعض الدول الرئيسية وهي:

أمريكا: كانت تُؤيّد وتدعمه في المرحلة الأولى في سبيل الوقوف ضد روسيا في أفغانستان، فلما تمّ لها ما تريد، ووقّعت الاتفاقية بين الحكومتين الأفغانية والباكستانية في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م)، وانسحبت روسيا، وانتهت بذلك مهمة ضياء الحق.

الصين: ترعب في قوة باكستان لتتصر على الهند التي تختلف مع الصين، وتلد روسيا التي بينها وبين الصين بيوتة صغرى.

أفغانستان: حكومة أفغانستان شيعية تدعمها روسيا التي جوبها بجانبها، وضياء الحق يؤيد المجاهدين الذين يحاربون الحكومة الشيوعية العميلة، فالخلاف بين باكستان وحكومة أفغانستان مستحکم، وبقاء طرف مرهون بزوال الطرف الأخر.

المعارضة الداخلية:

تتمثل المعارضة الداخلية في عددٍ من الأحزاب والجماعات والمنظمات، وإن كانت هذه المعارضة تختلف في عنفها بين حزب وآخر، حسب منهجه الذي يسير عليه وسياسة التي يتبعها، ومن هذه التجمعات:

١ - حزب الشعب: ويتزعم هذا الحزب نصرت بوتو^(١) زوجة ذوالفقار علي بوتو الذي أعدم بالمحاكمة لإعطائه الأمر بقتل أحد معارضيه، وذلك بعد أن قام ضياء الحق بانقلاب ضد حكم بوتو. ومعارض هذا الحزب نظام الحكم شاراً، وحقداً، وطمعاً في استلام السلطة، هذا بالإضافة إلى النهج الاشتراكي الذي يعمل له، وسياسة نحو الشرق حسياً يزعم على حين يسير باتجاه الغرب، ويخطئ مواءمة للسياسة الغربية تماماً وفي تلك السياسة الأمريكية.

وإذا كان ضياء الحق قد استقطب بعض زعماء هذا الحزب، وهذا أمر طبيعي ما داموا من الانتهازيين فهم مع كل حاكم، ورغم أن عدداً من قادته قد تخلوا عن الحزب إلا أنه لا يزال قوياً.

٢ - الحزب الوطني الديمقراطي: ويتزعمه خان عبدالولي خان، ويدعو إلى إقامة وطنٍ خاصٍ بقبائل البانان، المقبحة في الشمال الغربي

(١) إعطاء لقب الزوجة على طريقة الكفار.

من البلاد، وتتكلم هذه القبائل لغة البشتوه التي تسود في بلاد الأفغان، وهذا الحزب، يسير تحت جناحه أعداد من الشيوعيين.

٣ - الحزب الوطني الاشتراكي: ويتزعمه غوث بخش بيزنجر، ويدعو إلى إقامة وطنٍ خاصٍ بقبائل البالوش وينحو منحى الاشتراكية.

٤ - حزب عوامي الوطني: ويتجه خطأ اشتراكياً.

هذه الأحزاب الأربعة لا ترى دعم المجاهدين الأفغان بدعوى مصلحة باكستان وحرصاً على اقتصادها، وتتشد في الوقت نفسه محاربة النظام الشيوعي القائم في كابول والذي تدعمه روسيا. وتهاجم أيضاً السير في ركاب أمريكا. ولكنها لا تعمل على الاصطدام مع الحكم إذ تعتقد أن النظام قوي، ومركز، ومؤيد من الجيش.

٥ - المنظمات النسائية: وغالباً ما تتزعم هذه المنظمات النسوة اللاتي تحلن من القيم، وتحررن من الدين، وتأثرن بالافكار المخالفة للشرع، وليس لديهن أي خلفية دينية لذلك يدعين أن الإسلام يجوز على المرأة ولا يعطيها حقها، على حين أن النظم الأخرى من شيوعية وأسمالية تُعطي المرأة كامل حقها، ولا يعرفن من هذه الحقوق سوى التحرر من كل القيم، والسير كما يحلو لهن، والتصرف كما ترعب الواحدة منهن.

هذا النوع يرى في الإسلام عدواً له لذا فهو يقف في وجه كل من يدعو له أو يتنادي به، ومن هنا قولهن ضد نظام ضياء الحق.

٦ - الشيعة: وهذه الطائفة أمرها غريب جداً، فعلى الرغم من ادعائها الإسلام والانساب له إلا أنها لا توافق على أي مشروع إسلامي إلا إذا كان على الملعب الشيعي، هكذا تدعي، والواقع أنها لا تعارض إسلامياً، وإنما تعارض سياسة فلا تقبل نظام الحكم القائم، وإنما تريد الشيعة لإيران التي أصبح لها مكانة في نفوس الشيعة في بقية جهات العالم، وكان عارف الحسيني رئيس حركة تنقيح الفقه الجعفرية، والرعي

ليكون المرجع لتطبيق الشريعة، ونتيجة عدم القيام بتلبية هذا المطلب، كانوا يحملون عليه.

٣ - العسكريون: الذين كانوا يريدون السيطرة، وقد مارسوها مدة من الزمن منذ أيام أيوب خان، ويحيى خان، وحتى بوتو، ورغم أن الحكم عسكري إلا أنه لم تكن للقادة تلك الصلاحيات الواسعة، والممارسات الغربية التي تعرفها الأنظمة العسكرية الأخرى.

فالمعارضة إذن ذات قواعد عريضة غير أنها خامدة، وربما كانت تبرز أحياناً أما الحكم فكان يركز على كبار الضباط الذين هم دعامة الرئيس ضياء الحق، وبعض الزعماء المدنيين من السياسيين، ثم العامة وهم غالبية الشعب، وهؤلاء يُؤثر فيهم الإعلام، وربما تستطيع المعارضة كسب أعدادٍ منهم بالتأثير والدعاية.

أجرى ضياء الحق استفتاء عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) وحصل على ثقة الشعب نتيجة هذا الاستفتاء، واستمرت الأحكام العرفية معمول بها منذ قيام الانقلاب عام ١٣٩٧ هـ حتى عام ١٤٠٥ هـ، وبعدها وعد بإجراء انتخابات، ووضع قوانين لها، ومنها:

أ - عدم الاختلاط: حيث ينتخب المسلمون وحدهم ولهم ممثلهم، ويتخب غير المسلمين وحدهم ولهم ممثلهم.

ب - التمثيل النسبي: فتكون الأصوات للأحزاب وليس للأشخاص، ويُعطى الحزب من المقاعد بنسبة ما نال من الأصوات. والأحزاب التي لا تحصل على نسبة ٥% من مجموع الأصوات لا تمثل في الجمعية الوطنية.

ج - تقديم حسابات الحزب: إن الحزب الذي يُريد أن يُشارك في الانتخابات عليه تقديم حساباته المالية، ونظامه الأساسي للدولة.

ولكن التحالف الوطني قد عارض هذه القوانين، وعدّها غير دستورية،

الشيخي جعفر حسين يُعارضان دائماً الحكم، ويدعون أن عددهم عشرون مليوناً، والواقع أنه لا يزيد على سبعة ملايين، وإذا ضممنا إليهم الإسماعيلية وصل العدد إلى ثمانية ملايين فتكون نسبتهم ١٠% من مجموع سكان باكستان. وجرت لقاءات بين ضياء الحق ووزير الشؤون الدينية من جهة وبين الشيعة من جهة أخرى، ووصلوا إلى بعض التفاهم بعد جهود مضنية ولم يكن لذلك أي أثر.

٧ - الإسماعيلية: وهم لا علاقة لهم بالشيعة، وهم أصحاب نفوذ وبراء، ويسيروا في فلك السياسة الإنكليزية، ويعملون ضد الإسلام، وإن ادّعوا أنهم أصل الإسلام وهذا ما يعلنون لكن ما يصرحون لا يعد عن العمل ضد الإسلام، والهدم فيه بمختلف المعاول.

٨ - القاديانيون: ومع أن هؤلاء قلّة، ونقصت أهميتهم بعد أن أصدرت المحاكم الشرعية أنهم فرقة ليست مسلمة إلا أن عناصرهم ذات مراكز حساسة، ويُخشون عقيدتهم في أغلب الأحيان. ومع ذلك فهم يتحركون تبعاً للسياسة الإنكليزية.

هذه الفئات الثمانية كانت عدوةً لنظام ضياء الحق، ومعارضةً له، ولكن كانت معارضةً مخفية لا تظهر إلا نادراً، وإن كانت معروفةً صراحةً في مخالفتها للنظام القائم. وكانت هناك معارضة صريحة وإن كانت أخفّ ضراوةً وأقلّ عنفاً، ومن هذه المجموعات:

١ - الجماعة الإسلامية: وكانت تحمل على ضياء الحق اتجاهه نحو أمريكا، وحكمه العسكري، وعدم تطبيق الشريعة بشكلٍ جدي، وتناوله مع الشيعة، وسكوته عن بعض الذين يسبون، وكان عموماً أحمد نائب أمير الجماعة يُصرح دائماً برفضه للحكم العسكري الذي يطغى تحت الاستبداد، وكذلك أمير الجماعة القاضي حسين أحمد.

٢ - أهل الحديث: الذين كانوا يُطالبون بتشكيل مجلسٍ للعلماء

والانتخابات يجب أن تكون حرة، وغير مشروطة، وغير خاضعة للقوانين خاصة بصوغها كل حاكم وفق هواه.

ولكن أجريت انتخابات البلدية على حين ألغيت الانتخابات النيابية.

انقلاب جديد:

بعد أن وقَّعت الاتفاقية بين باكستان وحكومة أفغانستان في سويسرا في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م)، والسحب روسيا من بلاد الأفغان عسكرياً أحسن ضياء الحق أن وضعه في بلاده قد اختلّ، فأسرع يبحث عن الأسباب، ويفتش عن مخرج، فوجد.

أن المجاهدين الأفغان قد شعروا أنهم قد خُدلوا من باكستان، ولم يكن هذا توقُّعهم، وهم قد رفضوا تلك الاتفاقية إذ لم يكونوا طرفاً فيها رغم أنها كانت بسببهم ومن أجلهم. وضياء الحق لا يريد خذلان المجاهدين، بل كان ينقذ إلى جانبهم حسب إمكاناته المادية، وطاقاته السياسية حيث هناك حدّ معين يمكن أن يقوم به، ولا يمكنه أن يتعداه.

وشعر أن خلافاً بينه وبين رئيس حكومته محمد خان جوينجو الذي كان يتسلّم حقيبة وزارة الدفاع إضافة إلى رئاسته للحكومة، وكان ضياء الحق هو القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، وبحكم منصب الرجلين يحدث احتكاك لكن لم يصل إلى درجة الصدام. وأحسن هنا ضياء الحق أن رئيس حكومته كان ضمن اللعبة حيث كان يرى أن المجاهدين يُشكّلون عبئاً على باكستان في الوقت الذي كانت تعاني فيه ضائقة اقتصادية، لذا يجب طردهم من أراضي باكستان، والتفاهم مع الروس. وهذا ما جعل ضياء الحق يلجأ إلى انقلاب جديد في بلاده بصورة سلمية.

ففي ١٤ شوال ١٤٠٨ هـ (٣٠ أيار ١٩٨٨ م) ألقى خطاباً بالتلفزيون أعلن فيه حلّ الجمعية الوطنية، وإقالة الحكومة برئاسة محمد خان جوينجو لأنها فشلت في وضع حدّ للفساد، ولكنه لم يُعلن الأحكام العرفية، ولم

يُعلّق الدستور، ولم يحظر نشاط الأحزاب، ووعده بإجراء انتخابات خلال ثلاثة أشهر، وألقى زيارته للصين التي كانت مفرّقة أن تكون في هذا اليوم. وغير المواقع في مسؤولي وسائل الإعلام، وهزل المفاوضات في جنيف من مناصبهم بعد توقيع الاتفاقية.

وعين وحيم الدين، وهو جنرال متقاعد، حاكماً لإقليم السند.

وفي ٢٤ شوال ١٤٠٨ هـ (٩ حزيران ١٩٨٨ م) شكّل وزارة يرأسه، ضمّت أعضاء متبايني المشارب، فكان منهم صاحب زاده يعقوب خان الذي تسلّم حقيبة وزارة الخارجية، وقد كان يشغلها من قبل، وهو ضابط من أصدقائه، وهو الذي تولّى شأن مفاوضات جنيف مع ممثلي حكومة الأفغان الشيوعية.

وحبيب الحق وتسلّم منصب وزير المالية.

ومير هزار خان بحراني من أعضاء حزب الشعب البارزين سابقاً، ومن أعضاء الوزارة المُقالّة.

ومير أفضل خان، وهو أيضاً من أعضاء الوزارة المُقالّة، ومن قادة حزب الشعب سابقاً.

وكان تشكيل هذه الوزارة بعد لقاء طويل تمّ بينه وبين الشيخ حرदान شاه الذي كان مستشاراً دينياً لرئيس الوزراء السابق محمد خان جوينجو.

وفي الأول من ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (١٥ حزيران ١٩٨٨ م) عاد فألقى كلمة دافع فيها عما سبق أن التحلّه من إجراءات سابقة، ووعده بأن تغيير قريباً الأوضاع الاقتصادية في باكستان كما ستغيّر القوانين - إن شاء الله -.

وفي ١١ ذي القعدة أي بعد عشرة أيام من إلقاء كلمته الأخيرة ألقى كلمة جديدة تساءل فيها عما سيكون جوابه فيما إذا مثل يوم القيامة لم لم يحكم بالشريعة الإسلامية!!!

ويبدو كأنه أحسن بما يُدبّر له، وشعر باللعبة الدولية ضدّه، وتوقع أن

أيامه قد اقتربت على الانتهاء، فرأى ضرورة التزامه بخطه الإسلامي دون التفكير بالخوف من أمريكا، ولا حاجة لطلب رضاها، والأمر يداها، والأجال، والأرزاق بيده سبحانه وتعالى، وأخذ يفكر بالانطلاق من هذا المبدأ، وقرّر إجراء استفتاء عام (١٩٩٠م) في الوقت الذي تنتهي فيه مدة رئاسته، إن بقي حياً، ليعرف ثقة الشعب وتجاوبه مع سياسته.

مقتل ضياء الحق:

أخذ ضياء الحق يقوم بأعماله السرية الثامنة من باب اتخاذ الأسباب، ويتوقع حدوث ضربة قاصمة في البلاد، وإن لم يُعَيّن مصدرها، غير أنه يتوقعها من أمريكا التي كان يعمل على مسايرتها، ويُظهر السير في فلنكها، وعلى منهجها.

وانتهت مهمة ضياء الحق عند أمريكا، فقد خرجت ووسياً من أفغانستان مكروهة، ولم يعد يصلح ضياء الحق عندها لحكم باكستان، إذ لم تعد تريد دعم المجاهدين الأفغان، ولم ترغب أن يصلوا إلى مرحلة أكثر من التي وصلوا إليها بل تريد أن يتراجعوا، وليس أمام الشيوعيين، وإنما أن ينجي الطرفان على الوضع الذي هما فيه، حتى يئس الشعب، وينفض يده من كلا الطرفين، ويأتي نظام علماني ترضى عنه، كان يعود الملك السابق محمد ظاهر شاه.

وكانت أمريكا تعلم أن ضياء الحق حاكم باكستان كان يُجاملها، ويُظهر ما لا يُخسر، فهو يُعلن مؤازرته على السير في خطها ليحصل على السلاح، وقد حصل، بل وبدأ العمل قبلة قرية باكستانية، وهذا ما أثار الهند، ودولة اليهود في فلسطين، وكان يسايرها يستمر حكمه، وقد تم ذلك، فقد حكم أكثر من أحد عشر عاماً.

ولكن أمريكا لا ترضى أن يستمر حكمه، لأنها لا ترغب في أن يستمر دعم المجاهدين الأفغان، وأن تستمر قوتهم. وكذلك فلا ترضى أن

تستغل، وتستغل نظام ما حاجتها إليه، ويتقوى، ويتسلح، ويعمل على إنتاج قبلة قرية، فمن الأساس لا تقبل أمريكا أن تملك باكستان مثل تلك القبلة، ولكن اقتضت الظروف أن تسكت عن هذا موقفاً ما دامت بحاجة مرحلية إلى هذا الوضع، أما وقد انتهت الحاجة، ووصلت أمريكا إلى هدفها، فلتنطج بالنظام وبفكرة القبلة أو بالأحرى نزول هذه الفكرة مع زوال النظام، ودفن صاحبه، وأخذت أمريكا تدبر لإنهاء الوضع.

عرضت أمريكا على ضياء الحق شراء بعض الدبابات الأمريكية، وقد أحضرت بعضها إلى باكستان لرؤيتها ومعرفة مزاياها التعبوية، وتحدد موعد لرؤية تلك المزايا على الطبيعة، وتخرج ضياء الحق، ومعه رئيس لركان الجيش الباكستاني أعظم عبدالرحمن، وتسعة من كبار الضباط الذين يعتمد عليهم، والسفير الأمريكي في باكستان (أرنولد رابيل) والجنرال (هيربرت واسوم) الملحق الأمريكي لشؤون الدفاع والخير سلاح الصواريخ والمدفعية التي يستخدمها المجاهدون الأفغان. ولم يخطر ببال ضياء الحق أي سوء ما دام معه بعض المسؤولين الأمريكان، وكأنه نسي أنهم يُصَحِّون بكل شيء في سبيل الوصول إلى أهدافهم المهمة. وكانت الرحلة في متهى السرية، وبعد رؤية المزايا التعبوية للدبابات المعروضة على الطبيعة انتقل الحضور إلى مطار (بهاوالبور) ليتقلوا منه إلى مطار (راولپندي)، وكانت الرحلة سرية أيضاً لا يعلم بها إلا أصحابها، واستقلوا طائرة في

(١) أرنولد رابيل: من ولاية نيويورك، ولد في مدينة (تروي) عام (١٩٤٣م) ١٩٦٢ هـ، وانخرط في السلك السياسي عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٦م). وقّين في إيران في مدينة أصفهان، ثم انتقل إلى مدينة طهران، وأصبح عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م) مساعداً خاصاً لوكيل وزارة الخارجية، وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥م) المسؤول السياسي في السفارة الأمريكية في إسلام آباد، ثم مساعداً خاصاً لوزير الخارجية، ثم النائب الأول لوزير الخارجية الأمريكية ويتشاند مورفي، وفي عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧م) سفيراً لأمريكا في إسلام آباد، وبعد حيزاً بشؤون العالم الإسلامي.

اتجاههم إلى مطار (راولپنڈی)، وما أن أقلعت الطائرة حتى سقطت محترقة بسبب انفجار قنبلة فيها، وتناثرت قطعها على الأرض، وقد قُتل جميع من فيها، ودُعيوا قُتل محترقين لا يُعرف أحدهم من الآخر وذلك في ٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٨ م).

الانتهام:

دُعب المحلّلون السياسيون مذاهب شتى في الدوافع التي وراء عملية القتل هذه، ومن هذه الأقوال:

١ - " أن الروس والهنود والأفغان الشيوعيين وراء هذه الحادثة لحشد الروس وشيوعي الأفغان على ضياء الحق شخصياً إذ قُوِي المهادنين الأفغان عليهم حتى أذلّهم. وأما الهند فلإضعاف باكستان وخوفها من أن تمتلك جارتها باكستان القنبلة الذرية، وأن تتحسن علاقتها مع أمريكا أكثر مما هي عليه. وأن يتسلّم المجاهدون الأفغان السلطة في بلادهم ويتظاهروا مع باكستان، وتقوم وحدة بين الطرفين تُهدّد الهند. هذا بالإضافة إلى بغض ضياء الحق شخصياً بسبب اتجاهه الإسلامي.

وذكر المعلقون أن المخابرات الباكستانية كانت مُحترقة من عدة جهات، فلم تُعن سرية الرحلة التي قام بها ضياء الحق. واختراق المخابرات الباكستانية يطبق على رأي أصحاب القول وعلى غيرهم.

٢ - إيران: كانت إيران على خلاف مع باكستان بسبب المفهوم الإسلامي (الإسلام أو الشيعة)، وكان الشيعة في باكستان يريدون أن يحملوا ضياء الحق على مسابرتهم، وتطبيق مفهومهم الخاص بالإسلام حسب المنهج الرافضي، والسير في ركاب السياسة الإيرانية، وجرت لقاءات وحوار...

وقُتل عارف حسين الحسيني (رئيس حركة تنفيذ الفقه الجعفري) في باكستان، وكان مقتله يوم ٢٢ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (٥ آب ١٩٨٨ م)،

واتهم أنصاره الحكومة بالعمل على قتله. فقامت إيران برّد الفعل وقتل من اتهمته بقتل أحد أعمالها الأساسيين في باكستان.

٣ - دولة اليهود: ويرى المحلّلون أن إقدام اليهود على هذا العمل رداً على مواقف باكستان الدائمة ضدّ دولتهم في فلسطين، واتخاذ مواقعها دائماً بجانب المسلمين، وخوفاً من القنبلة الذرية الباكستانية التي لن تكون لباكستان فقط، وإنما حسب اتجاه ضياء الحق للمسلمين جميعاً أي ضدّ دولة اليهود، فعملوا لإجهاض تلك القوة قبل تكاملها.

٤ - الباكستانيون: ومهم العسكريون الذين يريدون السلطة، أو المدنيون من أصحاب الثار كحزب الشعب، أو أصحاب المصالح أو أصحاب مناهج مُبينة لمنهج ضياء الحق وخاصة الشيوعيين الذين قضّ مضجعهم دعم المجاهدين الأفغان، ومحاربة الحكم الشيوعي في كابل، وإذلال روسيا وإجبارها على الانسحاب من بلاد الأفغان. وقد حالت سلطات الأمن الباكستانية من وصول لجان التحقيق إلى مكان الحادث.

٥ - أمريكا: وهو الظنّ الراجح لما قد سبق ويَسّاه. ولكن أبعد التهمة عنها قليلاً وجود أمريكيين معه وهم ذو مكانة، ولكن نسي هؤلاء أن أمريكا لا تُبالي ببعض الضحايا مقابل تنفيذ مخطّط، بل ربما تتخذ من رجالها طمعاً لذلك، دون أن تُعلم.

وحسب الدستور الباكستاني يتسلّم منصب الرئاسة إذا مات أو قُتل رئيس البلاد فجأةً رئيس الجمعية الوطنية، وهكذا أصبح رئيس باكستان غلام إسحاق خان.

□ □ □

[٦ محرم ١٤٠٩ هـ - ... (١٨ آب ١٩٨٨ م - ...)].

تسلم غلام إسحاق خان السلطة في اليوم الثاني لمقتل ضياء الحق، فتشكل مجلس طوارئ، ضمّ كلاً من وزراء الداخلية، والدفاع، والملاحة، والعدل، ووزراء أركان القوات البرية، والبحرية، والجوية، ومهمّة هذا المجلس حفظ النظام، والأمن، والإشراف على الانتخابات العامة التي ستجري في ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٨٨ م)، وهو المجلس الأعلى في البلاد.

وأعلن أن الانتخابات ستكون على أساس حزبي. وأما عن الشريعة الإسلامية فأبدى أن ما في الدستور من قوانين إنما هي موافقة للشريعة، وهذا يعني (لا حاجة للعمل على تطبيق الشريعة، فالأمر منتبه). وأما عن تأييد المجاهدين الأفغان، فقال: إنهم طلبوا الحماية، وقد وفّرت لهم، وأن اتفاقية جنيف قد تم توقيعها ونحن ملتزمون بتنفيذها، وسنحاول إقناع المجاهدين بقبولها.

(١) غلام إسحاق خان ولد عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م)، وهو من الإقليم الشمالي الغربي أي من قبائل الباتان، ولد عمل في بداية حياته جلياً للدخل، وبعد انتهائه من متابعة الدراسة تمّ محافظاً لمصرف باكستان المركزي.

كان موضع ثقة ذوالفقار علي بوتو، وتسلم في عهده وزارة المالية، ثم وزارة الدفاع، فلما آل الأمر إلى ضياء الحق مال إليه، وشغل منصب وزارة المالية مدة الاحتكام العرفية ١٣٩٧ - ١٤٠٥ هـ.

وفي عام ١٤٠٥ هـ انتخب نائباً عن الإقليم الشمالي الغربي، واختير رئيساً لمجلس الشيوخ، وكان مرشح ضياء الحق في هذا الاختيار.

التحق بحزب الرابطة الإسلامية عندما قوي أمرها أيام وزارة محمد خان جويونجو، ثم تركها ليلّة إقالتها عند حركة ضياء الحق البيضاء، كما تخلى من قبل عن حزب الشعب، وكان أحد أركان المحكم الثلاثة وهم: ضياء الحق القائد الأعلى للجيش، وغلاد جيلاني رئيس المخابرات العامة، وغلاد إسحاق خان رئيس جهاز الخدمة المدنية.

ومن هذه الأقوال تبين السياسة التي سبقتها، وأنها مخالفة كلياً للسياسة التي كان عليها ضياء الحق، كما نعت هذه الكلمات دلائل لسبب انتهاء نظام الحكم السابق، ومقتل ضياء الحق، والأبدي التي كانت وراءه. ولم يعلن عن نتائج التحقيق في مقتل ضياء الحق، ويبدو أن الأمر كان مُسوّى من قبل ومتفق عليه. وتمّ تعيين الجنرال مرزا إسلام بك^(٢) قائداً عاماً للجيش.

ما أن انتهت البلاد من آثار مصرع رئيسها ضياء الحق حتى أخذ النشاط الحزبي يظهر بشكل واضح، وخاصةً حزب الشعب الذي كان برئاسة نصرت بوتو زوجة ذوالفقار علي بوتو، وكانت ترى في السياسة الأمريكية الخداع والمكر والتخلف عن الأصدقاء وقت الضيق والشدة، أو أنها بالأحرى هي التي تتركهم لتجد آخرين تمتط بهم، وتغذ من ورائهم مخططاتها وأهدافها، فإذا زلت بهم قدم دفعتم إلى الخلف أو ألفت بهم في القمامات وتعهدت غيرهم، وقد ألفت بزوجها ذوالفقار علي بوتو، وتركته يدبح أمام ناظري ساستها، وهم يرفضون على ساحات ضياء الحق، لذا كانت ضد السياسة الأمريكية، وهذا ما جعلها تبعد، وتعيش خارج البلاد في منأى عن الساحة السياسية الباكستانية أما ابنتها بنازير بوتو^(٣) فقد

(١) مرزا إسلام بك، ولد في دكا، ونشأ في قرية (أعظم قرية) في البنجاب، كان رئيساً لمجموعة الطلبة المسلمين ١٣٦٤ هـ - ١٣٦٦ هـ، وانضم للكلية العسكرية في (كافول) ١٣٦٨ هـ، ثم التحق بفوج بالورش بالجيش الباكستاني ١٣٧٢ هـ، ثم بحريق القوات الخاصة ١٣٧٧ - ١٣٨١ هـ. وعين رائداً في كويتا ١٣٨٣ - ١٣٨٦ هـ، وأصبح برتبة مقدم ١٣٨٩ هـ. فعين رئيس كتيبة مشاة، وأصبح قائد فرقة في جبهة لاهور عام ١٣٩١ هـ، وقائد لواء ١٣٩٤ هـ. ورئيس فرقة مشاة ١٣٩٨ هـ، وقائد فيلق للجيش، ثم نائباً لرئيس الأركان عام ١٤٠٧ هـ.

(٢) بنازير بوتو: ولدت في كراتشي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م). وتلقّت دراستها باللغة الإنكليزية في مدرسة الفوائد في مدينة كراتشي، ثم التحقت بكلية (كليف) في الولايات المتحدة، وكانت رئيسة اتحاد الطلبة الباكستانيين في الجامعة، وبعدها انتقلت إلى جامعة (أكسفورد) في بريطانيا، وكانت الموفحة للطالبة غير المستظمة، =

تَبَت السياسة الأمريكية لذا أخذت تظهر، وتبرز، وتتحدث عنها وسائل الإعلام، وتُلَمَّع بشكل قوي. وخاصةً في الفترة التي وقعت في كراشي في شهر ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) والتي سفت الانتخابات بقليل، وملخصها أن سلطات مكافحة المخدرات في (سوهراب جوت) عثرت على ثلاثمائة كيلوغرام هيروين، وستة آلاف كيلوغرام من الماريغوانا، وكميات من الحشيش والأفيون، وثمنها أكثر من نصف مليار دولار، وحدث بين المهاجرين وهم المسلمون الهنود الذين لجأوا من الهند إلى باكستان، ويتكلمون لغة الأردو، وبين الذين يتكلمون لغة الشتو قتال ذهب ضحيته مائة وثمانون شخصاً، وجرح ما يزيد على ستمائة شخص، والفسد من هذه الفترة أن الذين يتكلمون البشتو، وبعضهم من الأفغان قد اتهموا المهاجرين بأنهم كانوا السبب في إلقاء القبض على رجال العصاة، ومصادرة تلك الكميات من المخدرات، وقد استمرت الفترة عدة أيام حتى تمكنت السلطة من إخمادها ودخلت ما يزيد على خمسة وعشرين ألفاً من اللاجئين الأفغان عن كراشي، واتهموا أنهم كانوا يُزودون المجاهدين الأفغان بالأسلحة، والمهم أن نشؤه صورة المجاهدين.

حاولت بنمازير بوتو استغلال هذه الفترة، فبدأت تُصدر التصريحات، وتهاجم قطاع الطرق، وتجار المخدرات، وتغمر من المجاهدين، ودعت إلى قيام المظاهرات لشجب أعمال اللصوصية وقطع الطرق وتقصيد المجاهدين، ولكن لم تجد تجاوباً معها من قبل الشعب.

وكانت مرافقةً لأبيها. سُجِّت بعد اعتقال أبيها، ونقلت إلى بريطانيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، ولما أُلغيت الأحكام العرفية عادت إلى باكستان عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م)، ورُحِبَ بها الكثير، واستقبلت الزوار، وتزوجت شاباً باكستانياً من منطقة السند. وكانت في الفصيلة الأمريكية في كراشي بعد ساعات من مقتل ضياء الحق. عارضها الجناح اليساري في حزب الشعب لأنها سارت في تلك السياسة الأمريكية، واستغلت النسب الشعبي تحفزت من أبناء هذه الطائفة.

أخذت بنمازير بوتو تنشط بالدعاية، وتقررت من الشيعة بصفتها أحد بنات الطائفة، وأظهرت إيمانها بمعتقداتهم، وهي لا تؤمن بشيء، ونشط حزب الشعب بالدعاية أيضاً، وجاء موعد الانتخابات، وحصل الحزب على الأكثرية وكُلف رئيس الدولة غلام إسحاق خان بتشكيل الوزارة بنمازير بوتو بصفتها زعيمة حزب الشعب الذي حصل على الأكثرية بالانتخابات.

وعزلت بنمازير بوتو عندما استلمت الحكومة رئيس المخابرات الجنرال حميد غول، وعينت مكانه الجنرال شمس الرحمن كالو.

وفي يوم الاثنين ١٥ محرم ١٤١١ هـ (٦ آب ١٩٩٠ م) أقال الرئيس إسحاق خان حكومة بنمازير بوتو، وعيّن غلام مصطفى جاتوي زعيم الائتلاف المعارض لحكم بنمازير بوتو، وكانت الوزارة الجديدة حكومة مؤقتة، كما حلّ الرئيس الباكستاني الجمعية الوطنية، والجمعيات الإقليمية الأربعة، وحكام الأقاليم الأربع، بما فيهم حاكم البنجاب نواز شريف الخصم الرئيسي السياسي لبنازير بوتو.

وأعلن الرئيس الباكستاني عن إجراء انتخابات عامة جديدة في ٥ ربيع الثاني ١٤١١ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٩٠ م) وأعلنت فوراً كسل من نصرت بوتو، وابتها بنمازير بوتو عن ترشيح نفسها للانتخابات، وكذلك (زردوي) زوج بنمازير بوتو.

وصرّح الرئيس الباكستاني أنه اضطر إلى هذا الإجراء اضطراراً، حيث أن الحكومة أصبحت في نظره غير قادرة على الاضطلاع بأعباء الأمور وفقاً للدستور، وكان لا بدّ من الرجوع إلى اللائحة الانتخابية، واتهم الرئيس حكومة بنمازير بوتو بالفساد، وانتهاك الدستور، ومحاباة أولي القربى.

وأنشئت محاكم خاصة، وتقرر أن تُحال أسرة بنمازير بوتو وطائفة من

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة باكستان ثمانمائة ألف كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكانها على مائة وعشرة ملايين حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) وبذا تزيد الكثافة على مائة وسبعة وثلاثين إنساناً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة عالية نسبياً، وإن كانت تختلف بين منطقة وأخرى، فهي مرتفعة في مقاطعة البنجاب، ومتوسطة في السند، وقليلة في منطقة الحدود الشمالية الغربية، وضعيفة في بلوشستان. يبلغ طول حدود باكستان ٦٧٧٤ كيلومتر، منها مع أفغانستان ٢٤٣٠ كم، ومع الصين ٥٢٣ كم، ومع إيران ٩٠٩ كم ومع الهند ٢٩١٢ كم.

الصراع الإقليمي:

كانت البلاد وحدة، فلما جاء ذوالفقار علي بوتو إلى السلطة، أعاد إلى البلاد النظام الاتحادي، ووضع دستوراً جديداً وافقت عليه الجمعية الوطنية في ٨ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٣ م)، ونص هذا الدستور على قيام النظام الاتحادي، فأعلنت البلاد تتعرض لهزات، وتسير في طريق التفكك، وخاصة أن الجناح الشرقي من باكستان كان قد انفصل قبل أكثر من عام قليلاً.

تحرك أصحاب المصالح، والذين يريدون الزعامة، وأخذوا يشادون بالانفصال، كي يتزعموا ويسودوا في أقاليمهم، وقد عدت لهم أحزاب،

المقرين إليها إلى تلك المحاكم. وأعلن القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال «اسلم باغ» أن الجيش لا دخل له في السياسة، ولم يتو في وقت من الأوقات، ولم يزعم الاشتراك فيها أبداً.

والتهمت بتأثير بوتو الجيش والمخابرات السرية بأنهما لعبا دوراً في إنقاذ حكومتها، ووصفت الإجراء الذي اتخذ بحلقها أنه غير قانوني.

اعتوانها، وتضعف بذلك الأقاليم الأخرى التي تصح داخلية فتمد نفوذها إليها، وتتحكّم بالمنطقة كلها. ويعمل لهذا أيضاً كل أعداء الإسلام إلى تؤديّ التجزئة الباكستانية إلى إضعاف فكرة الرابطة الدينية.

ويوجد أيضاً الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالولي خان، ويدعو إلى استقلال قبائل الباتان في إقليم الحدود الشمالية الغربية.

ويحتج الانفصاليون جميعاً بسيطرة التجانيين على باكستان وصياح بقية الأقاليم، ويدلّون على قولهم بالقوات العسكرية التي يسمي أكثر أفرادها إلى التجاب. وينسبون أن فكرة قيام باكستان إنما كانت الرابطة الإسلامية، ودعوتهم إلى التجزئة والانفصال إنما هي محاربة لتلك الفكرة، وإماتة لها، ولكن أكثر أصحاب هذه الدعوة إنما هم من أصحاب مناهج أخرى معادية للإسلام، وهذا أساس دعوتهم، وقد يوجد بينهم قلة من المسلمين الملتزمين غير أن العصية العنصرية قد أعمتهم، أو أن الادعاءات ولزيم الشعارات قد أصمّت أذانهم عن سماع الحق. ويجب ألا ينس هؤلاء أن التجزئة هي إضعاف لكل إقليم، وجعله يطلب المساعدة والحماية، ويضطر للسير في فلك الأعداء، وهذا ما يخططون له.

الصراع العقيدي:

قلنا: إن عدد سكان باكستان قد وصل إلى مائة وعشرة ملايين عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م)، ويتوزعون حسب العقائد على الشكل الآتي:

وَشَكْلُونَ ٩٥.٠٠٠٪	١٠٤.٥٠٠.٠٠٠	١٠٣.٠٠٠.٠٠٠	المسلمون:
		١.٥٠٠.٠٠٠	السنة الشيعية

وأصبحوا رؤساء لها، أما إن كانت البلاد واحدة فلا دور لهم ولا شأن. وساعدتهم على ذلك أن لكل إقليم لغته الخاصة التي تسود فيه، وإن كان معظمهم يعرف لغة الأوردو، وهي التي تجمع بينهم. وكان يُحركهم، ويدفعهم، ويدعمهم أولئك الذين يحضون على باكستان، ويريدون تجزئتها، إما حقدًا وكرهاً، وإما لإضعافها ومدّ نفوذهم، كالهندوس، والروس، وكل أعداء الإسلام، وفي التجزئة والضعف، يمكن كسب فته من القنات. ويدعي هؤلاء المحبون للزعامة أن إقليمياً يُسيطر على باقي الأقاليم لكثرة أبنك وتمددهم، فالقطعات العسكرية أكثر أفرادها من التجانيين، ويعطون دليلاً لدعواتهم بانفصال الحناج الشرقي من باكستان، وتشكيل دولة بنغالدش. وينس هؤلاء أن أقاليمهم لو انفصلت لما استطاعت البقاء لفرها وضعفها، فهي تتطلب الحماية، وتستضر عندنا للسير في فلك غيرها، وتتطلب المساعدة، وتستجر على أن تكون تابعة لغيرها.

قامت حركة تمرد في بالوشستان في عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) بزعامة حزب عوامي الوطني، وتهدف إلى فصل هذا الإقليم عن الأم، وكان الشيوعيون وزاء هذه الحركة تبعاً لمصالحهم، وقد حُظر هذا الحزب بعد انقلاب ضياء الحق، ثم رجع إلى نشاطه بعد مقتل الرئيس الباكستاني ضياء الحق، وقد حصل على ثلاثة مقاعد في الجمعية الوطنية التي تشكلت بعد ذلك. وكذلك ظهر الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة (غوث بخش بيزنجو)، ويعمل كالحزب السابق لفصل بالوشستان.

وقامت حركة في إقليم السند تدعو أيضاً إلى هذا الانفصال، وتعدّ أن بقية أقاليم باكستان تعيش على حساب السند، ولا شك أن وراء هذه الحركة كبار التجار، وطائفة الإسماعيلية ذات الإمكانيات التجارية، وأصحاب المصالح، والشيعية الذين يكترون في منطقة حيدرآباد السند، إذ يريدون الارتباط ببيزان، وكذلك المحوس الذين لهم الهدف نفسه، ومن وراء ذلك كله إنكلترا التي تريد أن تمكن نفوذها في السند عن طريق

الإسماعيليون: التزاريون المستعلون	١,٣٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠ ٣٠٠,٠٠٠	وَيُشَكَّلُونَ ١,٣٤٩٪
القادريون:	١,٠٦,٧٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ١,٠٠١٪
الهندوس:	١,٧٠٠,٠٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ١,٦٠٠٪
النصارى:	١,٧٣٠,٠٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ١,٧٠٠٪
السيخ:	٢٥٢,٣٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ٢٠٠٪
المجوس:	٦,٣٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ٠,٠٠٠
البوذيون:	٣٠١,٧٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ٣٠٠٪
	١٠٩,٨٠٠,٠٠٠		وَيُشَكَّلُونَ ١٠٥,٠٠٠٪

فالعناصر غير الإسلامية كلها تقف في وجه المسلمين وتعمل ضدّهم، وترتبط بجهاتٍ أجنبيةٍ نتيجة العقيدة أو سعيها وراء المصلحة. فالهندوس يسرون وفق السياسة الهندية، ويتجهون حسب ما اتجهت، يُحاربون المسلمين عقيدةً، وحقداً، ويُحاربون باكستان عقيدةً وسياسةً، فهم دائماً في الصف المعادي للحركة الإسلامية، وفي الجهة المقابلة للسياسة الباكستانية، وما داموا فئة قليلةً فهم يقومون بعمل التخريب، وبثّ الإشاعات، ونقل المعلومات للهند، ويُعيون العملاء ضدّ الدولة، وأصحاب المصالح على الحركة الإسلامية، ويتفقون مع الفرق الأخرى ضدّ المسلمين، ويساعدون على نشر الفساد.

ويقوم السيخ والبوذيون بعمل مشابه للهندوس غير أنهم لا يُقدِّمون السياسة الهندية، ولا يتغلون إليها المعلومات، وتعتمد الحدود البنجابية مع الهند أكثر أمكنة السيخ، بينما يتوزع البوذيون في المناطق القريبة من الهند في السند وبنجاب.

وأما القاديانيون والإسماعيليون فهم أموان السياسة الإنكليزية، وحيثما تجد لإنكلترا نفوذاً في أية جهةٍ من جهات العالم تجد دعماً لهاتين الفئتين إن وجدنا هناك. ويتجمع الإسماعيليون في كراشي، وللقاديانيين نفوذ منذ أيام الاستعمار الإنكليزي، وإن كانوا يتكاثرون في البنجاب أكثر من بقية المناطق.

وأما النصارى فهم مع الدول الأوربية الصليبية وخاصةً إنكلترا، عقيدةً، وفكراً، وارتباطاً، وسياسةً، وتوجهاً، حياتهم في باكستان، وقلوبهم وعقولهم في الدول الصليبية وكذلك وضعهم في كل بلدٍ يعيشون فيه أقليةً. والمجوس رغم أنهم أصحاب دينٍ بال، لا وجود له في أية بقعةٍ أخرى، ولا توجد دولة تدعي الإقرار به، إلا أنهم يتجهون نحو إيران بدافع العصبية العنصرية حتى إنهم يُسمّون البارسيين أي (الفرس).

والشيعية رغم أنهم يعتقدون إسلامهم لكنهم يفتنون أمام الحركات الإسلامية ويقومون بصراعٍ معها، ويكرهون علماء المسلمين والمليّمين بالإسلام، وإذا أرادت الحكومة أن تتوجه نحو الإسلام، أبدوا مخالفتهم، فهم لا يريدون الإسلام إلا حسب مفاهيمهم، وعقيدتهم التي يرونها في الأئمة والنبوة، وقناعاتهم في الصحابة، ومحاربتهم لكبار صحابة رسول الله ﷺ، هذا من حيث العقيدة، أما من حيث السياسة فلا يرون أي توجيه صحيح إلا إذا كان يُوافق هوى السياسة الإيرانية، وترويض عتة الحكومة الإيرانية، وهي لا تقبل إلا ما كان موافقاً للبدأ الشيعي، وترفض كل ما سواه. ومن هنا فالشيعية في صراعٍ مع المسلمين الذين يعتقدون أنفسهم منهم، وصراعٍ مع بقية الأقليات كالمسلمين.

وأما المسلمون لهم في صراعٍ فيما بينهم أيضاً، إذ منهم المؤمنون ومنهم غير ذلك، فالمؤمنون إما يعيشون ضمن حركاتٍ، وجماعاتٍ، وجماعاتٍ، وهم غالباً على شيءٍ من الوعي والالتزام. ويعملون لدينتهم، وإن كانوا يختلفون فيما بينهم، حسب الاجتهادات، وتفسير الأحداث،

وربما أحياناً تعصباً للتنظيمات، وفي محاولة النشاط وكسب الأنصار. وغير المؤمنين فقد يكونون أصحاب عواطف ولكن غير ملتزمين، ويغلب عليهم الجهل، فيلعب بهم أصحاب المصالح، والأطماع، والدعوة إلى العصبية، ومن هؤلاء تكسب الأحزاب العلمانية والملحدة كثيراً من عناصرها. ويكون من غير المؤمنين حملة الأفكار الملحفة، والمترقبون بالسياسات الخارجية، والمضربون الطين يرغبون بالتغلب من القيم، والتحلل من المبادئ. فيسرون حسب طريقة الكفار. ويقف هؤلاء في وجه التيار الإسلامي ويعملون على الحد من نشاطه بكل إمكاناتهم وطاقاتهم.

الصراع الحزبي:

رغم الخلاف الذي ذكرناه بين الأحزاب الباكستانية فقد انطقت فيما بينها، وشكلت جبهة معارضة ضد ذوالفقار علي بوتو، وحزبه وحزب الشعب الحاكم، وكانت هذه المعارضة يرئسها مفتي محمود رئيس جماعة علماء الإسلام. وكان أن تصدح حزب الشعب نتيجة قوة المعارضة.

وقام حزب عوامي الوطني بحركة تمرد في سبيل فصل إقليم بالوشستان عن باكستان، وقد فشلت هذه الحركة، وكانت بقية الأحزاب ضد هذه الحركة رغم أن هذا الحزب ضمن صفوف المعارضة.

ومع أن المعارضة كانت جبهة واحدة إلا أن الصراعات بين أحزابها لم تنته بل بقيت وإن كانت على نطاق أضيق نسبياً.

وحملت المعارضة اسم التحالف الوطني، وفشلت المفاوضات بينها وبين الحكم مثلاً في حزب الشعب، وقام الانقلاب، وجاء ضياء الحق.

حاول ضياء الحق مع التعاون مع التحالف الوطني، ولكن لم يسر خطوات طويلة، وحفظ حزب عوامي الوطني، والحزب الشيوعي الباكستاني، ولكن نشأ بينهما إذ تأسس الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالملوك خان، ورفع شعار استقلال قبائل «الباتان»، كما ظهر

الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة غوث بخش بزنجور، ورفع شعار استقلال إقليم بالوشستان.

وحظرت الأحزاب كلها في رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) ولكن عاد فصح ضياء الحق لها المجال للاشتراك بالانتخابات، وممارسة النشاط الحزبي.

ولكن المعارضة رغم أنها تمثل قواعد عريضة إلا أنها ضعفت نتيجة السياسة التي اتبعها ضياء الحق، وهي سياسة ازدواجية، وأن الذين اعتمد عليهم لا يمثلون اتجاهات فكرية مثل محمد خان جوينجو الذي يعد من بقايا حزب الرابطة الإسلامية.

وبعد مقتل ضياء الحق عاد النشاط الحزبي قوياً، وجرت الانتخابات العامة، وظهر الصراع، وكانت نتائج الانتخابات كالآتي:

حزب الشعب الباكستاني الذي تنزعه بنازير بوتو	٩٣ مقعداً
ابنة ذوالفقار علي بوتو	٥٤ مقعداً
التحالف الديمقراطي الإسلامي	٨ مقاعد
جمعية علماء الإسلام	١٣ مقعداً
حركة مهاجر قوامي	٣ مقاعد
اتحاد عوامي الباكستاني	٢ مقعد
الحركة الوطنية البالوشية	١ مقعد
حزب الشعب الوطني	١ مقعد
الحزب الديمقراطي الباكستاني	١ مقعد
المستقلون	٢٧ مقعداً
اتحاد عوامي الباكستاني	٣ مقاعد
	٢٠٥

وكان قد توفي مفتي محمود رئيس جمعية علماء الإسلام، فخلفه ابنه فضل الرحمن، ولكن نالته آخرون ومنهم دار خوشي.

وكذلك برز الحافظ محمد يحيى - مكان الشيخ محمد عبدالله في
جماعة أهل الحديث.

وكانت المعارضة لحكومة بنازير بوتو برئاسة غلام مصطفى جاتوي
الذي كان من حزب الشعب الذي أسسه ذوالفقار علي بوتو، واستلم منصب
حاكم السند، ثم ترك الحزب بعد إعدام بوتو، واختلف مع ابنته بنازير التي
تولت زعامة الحزب، فأسس حزباً جديداً هو حزب الشعب الوطني. ولما
أقال الرئيس إسحاق خان حكومة بنازير بوتو كلف غلام مصطفى جاتوي
رئيساً للوزارة.

وجرت الانتخابات وفاز حزب الرابطة الإسلامية برئاسة نواز شريف،
وشكل الحكومة.

الباب الخامس

بنغالديش

سبق أن قلنا أن العصيان قد انفجر في باكستان الشرقية نتيجة إعلان تأجيل اجتماع المجلس النيابي في ٤ محرم ١٣٩١هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م)، واضطر الرئيس يحيى خان أن يسافر إلى الجناح الشرقي من باكستان، واعتقل مجيب الرحمن^(١) لأنه أعلن قيام دولة بنغالدش في ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م).

واستسلم الجيش الباكستاني في الجناح الشرقي للمهاجرين الهنود، وأعلن عن قيام دولة بنغالدش، وتسلم رئاستها نصر الإسلام، أما الحكومة فقد تسلمها تاج الدين أحمد، وعقد الجيش الباكستاني كله أسيراً، ووقع قائده الجنرال (تيازي) وثيقة الاستسلام.

أخرج مجيب الرحمن من السجن في باكستان الغربية، وأخذ ذوالفقار علي بوتو يفاوره لاتقسام السلطة معه، فلم ينجح، وفرضت على

(١) مجيب الرحمن: ولد في بلدة (تونجبارا) في البنغال، في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٣٨ هـ (١٧ آذار ١٩٢٠ م)، ودرس وترى في مدارس الإرساليات التنصيرية، ثم التحق بجامعة كلكتا، ثم بجامعة دكا، وقد درس القانون، وقام بنشاط سياسي فأدخل السجن بعد طرده من الجامعة، وكان مؤيداً لقيام دولة باكستان، ولمحمد علي جناح، وتسلم أمانة سر حزب رابطته عوامي التي أخذ يدعو إلى استقلال باكستان الشرقية الذاتي، وانتخب عضواً في الهيئة النيابية الإقليمية عام ١٣٧٤ هـ، وتسلم عدة مناصب وزارية في باكستان الشرقية، وعارض حكم أيوب خان العسكري، وألقي القبض عليه عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) وأدخل السجن.

مجيب الرحمن الإقامة الجبرية، وقدم للمحاكمة بتهمة إثارة الحرب على باكستان.

اعترفت الهند بدولة بنغالديش في ١٨ شوال ١٣٩١ هـ (٦ كانون الأول ١٩٧١ م).

وأطلق سراح مجيب الرحمن في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٢ م) فسافر فوراً إلى لندن، وعقد هناك مؤتمراً صحفياً دعا فيه إلى الاعتراف بدولته، وأجرى محادثات مع رئيس وزراء بريطانيا، وأمضى يوماً واحداً في لندن، وانتقل إلى دلهي على متن طائرة هندية خصصت له، فاستقبل استقبال القاتحين وانتقل من دلهي إلى (دكا) قاعدة بنغالديش الدولة الجديدة في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ م)، وقرّر أن يتولّى رئاسة الوزارة بنفسه، وأن يترك رئاسة الجمهورية بيد أبي سعيد شودري الذي كان رئيس وفد بلاده إلى الأمم المتحدة.

قطع مجيب الرحمن كل علاقة ليلاده مع باكستان مجرد عودته إلى (دكا) في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ م)، وعرض عليه ذوالفقار علي بوتو التنازل له عن السلطة في سبيل المحافظة على وحدة باكستان، غير أنه أصرّ على الانفصال، ولم يقبل عنه بديلاً، فلم تعترف باكستان بدولته، ولا بنظام حكمه مدة ثلاث سنوات.

أصدر مجيب الرحمن دستوراً مؤقتاً ركّز سلطات الحكم فيه بيد رئيس الوزارة، وجعل من رئيس الجمهورية صورة، فكان منصب رئاسة الجمهورية مجرد منصب شرفي لا أكثر.

نصّ هذا الدستور المؤقت على إقامة جمعية تأسيسية مهمتها وضع دستور دائم، وتألّف هذه الجمعية من الأعضاء الذين تمّ انتخابهم في الانتخابات العامة التي جرت في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م).

تولّى مجيب الرحمن وزارات الدفاع، والدخالية، والإعلام، وشؤون مجلس الوزراء، وأصدرت الحكومة مباشرة قراراً بالاستيلاء على ٧٠٪ من

محالغ القطن الكبرى، والحبوت، وعلى مزارع الشاي، وعملت على إدارة كل شركات التصدير.

وفي ١١ صفر ١٣٩٢ هـ (٢٦ آذار ١٩٧٢ م) في الذكرى الأولى لإعلان استقلال بنغالديش أعلن مجيب الرحمن تأميم المصارف، ومصانع الحوت، والنسيج، والسكر، والجزء الأعظم من المصالح الوطنية. أما مزارع الشاي، وحقول النفط التي تستثمر برؤوس أموال أجنبية فلم تقرب منها الحكومة.

اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بدولة بنغالديش ونظام الحكم في ٢٠ صفر ١٣٩٢ هـ (٤ نيسان ١٩٧٢ م)، ولكن الصين لم تعترف.

تلقت بنغالديش مساعدة عاجلة من روسيا، وتلتها مساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية.

انضمت بنغالديش إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في صفر ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) بينما كانت باكستان قد انسحبت من تلك الرابطة في ذي القعدة ١٣٩١ هـ (كانون الثاني ١٩٧٢ م).

بعد وصول مجيب الرحمن إلى بنغالديش دعت زعامات حزب عوامي الوطني لجنة حزب رابطة عوامي إلى تشكيل حكومة وطنية ككل الجماعات التي ناضلت من أجل الانفصال، كما طالبت المعارضة قيام ائتلاف وطني، وإجراء انتخابات جديدة، غير أن رئيس حكومة بنغالديش الأولى شجاع الدين أحمد قد رفض ذلك، وأبى إلا أن تشكل الحكومة الجديدة من أعضاء حزب رابطة عوامي الذين تمّ انتخابهم في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م).

وفي صفر ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) قامت مظاهرات من المعارضة، وقدر عدد الذين اشتركوا فيها بخمسة وعشرين ألفاً، وخطب بالمظاهرين عبدالحميد بهاشاني رئيس حزب عوامي الوطني، ودعا في

خطبت إلى إعادة اللاجئين البنغاليين من الهند، والذين يُقدَّر عددهم بعشرة ملايين لاجئ.

حلَّ مجيب الرحمن المنظمات العسكرية غير الرسمية حيث أصدر لها قراراً بحلِّ نفسها، وتسليم أسلحتها للسلطات الحكومية، وتمَّ تنفيذ ذلك، ولكن بقيت في الشمال بعض المنظمات المسلحة، وتبع مجيب الرحمن حزب عوامي الوطني الموالي للصين.

جرت الانتخابات الأولى في صفر ١٣٩٣ هـ (أذار ١٩٧٣ م) وحصل حزب رابطة عوامي على ٧٣٪ من مجموع الأصوات، وكسب ٢٩٢ مقعداً من أصل ٣٠٥ مقاعد للجمعية التشريعية المنتخبة مباشرة، وتشكل المجلس النيابي الذي يعرف بـ (جانيفا سائغ ساد).

وبقيت مشكلات أساسية في بنغالدش، ومنها:

١ - لم تعترف باكستان ببنغالدش، وطالبت بإطلاق سراح الأسرى البانكشائين (الذين تمَّ احتجازهم، والجيش)، ولكن مجيب الرحمن، وأنديرا غاندي رفضا ذلك حتى يتمَّ اعتراف باكستان ببنغالدش.

٢ - مشكلة البيهاريين الذين كانوا في بنغالدش قبل الأزمة، حيث كانوا يعملون هناك، ويُقدَّر عددهم بمليونين إنسان، وقد ساعدوا البانكشائين، ودافعوا عنهم، ووقفوا في وجه المنظمات المسلحة البنغالية، وقد كان هناك من البنغاليين المشددين الذين يطالبون بإعدام البيهاريين جميعاً، بل وإعدام البانكشائين، وقادة الجيش، وكان للبيهاريين منظمة مسلحة تُدعى «الزرافة».

٣ - مشكلة البنغاليين الذين يعيشون في باكستان ويُقدَّر عددهم بنصف مليون.

وأخيراً اعترفت باكستان بدولة بنغالدش ونظام الحكم القائم في محرم ١٣٩٤ هـ (شباط ١٩٧٤ م).

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٩٣ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٤ م) انتخب مجيب الرحمن رئيساً للجمهورية، أو نصب نفسه.

١ - مجيب الرحمن:

بعد مجيب الرحمن الرئيس البنغالي الثالث بعد نصر الإسلام، وأبي سعد شودري اللذين كانا رئيسين صورة، أما الرئيس الفعلي الذي بيده السلطة فهو مجيب الرحمن.

أطلق مجيب الرحمن على نفسه لقب «البنجاباتدهو» أي أبو الأمة، واستند بالحكم، فحلَّ التنظيمات السياسية كلها سوى حزب رابطة عوامي، فكان الحزب الواحد، وهو الحاكم، وأوقف الحريات العامة، وكانت الأوضاع الاقتصادية سيئة في البلاد، ولم تكن الأحوال الاجتماعية بأفضل منها، إذ كان الجهل عاماً، والفقر منتشرًا، وتزايد السكان كثيرًا، هذا بالإضافة إلى الفساد الإداري، والأزمات الطبيعية التي تحلَّ بالبلاد، فتريد من سوء الأوضاع الداخلية، فالفيضانات التي تغمر الأراضي الزراعية، وتُهذِّم البيوت، وتُسبِّب الضحايا، وتعقبها سنوات عجاف، فتتأثر المزروعات، ويعيش الناس بضيق شديد، ويصرون، والأعاصير التي تحتاج البلاد، وتُسبِّب الدمار والموت. وإن الفيضان في صيف هذا العام ألقى إلى مجاعة عارمة، كما انتشر مرض الكوليرا، وضرب الاقتصاد الذي كان متأثراً مسبقاً بالحرب.

ولم يكن العسكريون ليرضون عن السياسة العامة التي جعلت بنغالدش تحت الوصاية الهندية، ولم يكن مجيب الرحمن في متابى عن أفكار العسكريين فإن له أعباءاً يتدسَّون في كل مكان، لذا فقد أخذ يحشاهم. كما كان يُهدِّد الاستقرار وجود مجموعات معارضة تلجأ إلى الإرهاب والذي شمل كلاً من تقيضي الأطراف السياسية. لذا فقد فرض حالة الطوارئ في ذي الحجة ١٣٩٤ هـ (كانون الأول ١٩٧٤ م)، وجنَّد الحقوق الدستورية، وفي مطلع عام ١٣٩٥ هـ (كانون الثاني ١٩٧٥ م)

استبدل الحكومة النيابية بصورة من الحكومة الرئاسية، وأصبح
 مجيب الرحمن رئيساً بيده السلطة كلها، وله الصلاحية المطلقة، وأنشأ ما
 يُسمى بحزب عوامي لمزارعي وعمال بنغالديش، وفي صفر ١٣٩٥ هـ
 (شباط ١٩٧٥ م) أصبحت بنغالديش تحكم بنظام الحزب الواحد. وغوفاً
 من المعسكرين فقد نظم لحمايت جيشاً سرياً هو (واي باهتي) وسُلح ذلك
 الجيش الخفي وذريه.

وفي ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ م) قام انقلاب بقيادة الرائد
 «داليم» ضد مجيب الرحمن فأطاح به، وبنايه، ورئيس وزرائه، والنظام
 القائم كله، وبأسرته أيضاً، ونصب وزير التجارة السابق حمدكار مشتاق
 أحمد رئيساً للدولة.

٢ - مشتاق أحمد:

٢٨ رجب ١٣٩٥ - ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ - ٣ تشرين
 الثاني ١٩٧٥ م).

كان مشتاق أحمد رجلاً متديناً، ضد الشيوعية، ويرى في النظام
 الغربي أخف الضررين، ولم يكن راضياً عن المساعدة الروسية التي قدّمت
 لبنغالديش عند انفصالها عن باكستان، ولا عن التدخل الهندي في شؤون
 بنغالديش، كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة التي
 شكّلت برئاسة تاج الدين أحمد، غير أن مجيب الرحمن قد فقد ثقته به، لذا
 أوكل إليه حقائب وزارة أقل أهمية حيث أسندت إليه وزارة العدل، ثم
 وزارة الري، وأخيراً وزارة التجارة.

فكان أول ما قام به تغيير الاسم الرسمي للدولة من «بنغالديش» إلى
 «جمهورية بنغالديش الإسلامية». وحاول الوصول إلى مفاوضات مع باكستان
 ليكون بينهما صلات وروابط متينة، وقبل الانفصال كان يسعى لمقاومة
 الانفصال والإبقاء على الصلة مع باكستان ضمن اتحاد غير أن

مجبب الرحمن كان صاحب الكلمة الأولى، ولا يستطيع أحد أن يهف
 أمامه.

وعمل على الابتعاد عن الهند بأسلوب مقبول. وقد آيدت الولايات
 المتحدة هذا الانقلاب رغم أنه لا يسير في فلكتها، ولكنه ابتعد عن روسيا
 التي لم تكن راضية عما حدث، وتشعر كأنه موجه ضد نفوذها وأعرانها، أما
 الصين فكانت ترى في هذا الانقلاب فشل لمحاولة روسيا في محاصرة
 الصين من جهة الجنوب عن طريق الهند، وبنغالديش، وفيتنام...

وعين ضياء الرحمن رئيساً للأركان، ولكن الجيش أصبح مُفككاً،
 فالقادة الكبار غير راضين عن الوضع لأن اللين دونهم من الضباط قد
 أصبحت السلطة بأيديهم، أما الشباب من أصحاب الرتب الصغيرة فهم وإن
 كثر عددهم إلا أنه لا خيرة لهم في السياسة، ولا علم لهم بالإدارة.

وفي ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) قام انقلاب
 مضاد قاده العميد خالد مشرف الذي أحضر من الهند، وكان قائداً سابقاً
 لحامية (دكا)، وبوالي الهند، وقد عُين رئيساً لهيئة الأركان.

٣ - خالد مشرف:

تولّى السلطة مدة أربعة أيام من ٢٩ شوال إلى ٤ ذي القعدة
 ١٣٩٥ هـ (٣ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) حيث قام انقلاب آخر، وأقصى
 خالد مشرف، واستولى على السلطة ثلاثة من رؤساء هيئة الأركان، وولوا
 عليهم رجلاً غير سياسي هو عبدالستار محمد صايم رئيس قضاة المحكمة
 العليا.

٤ - عبدالستار محمد صايم:

شكّلت حكومة حيادية لا تنتمي إلى أي حزب، وأعيد الفريق أول
 ضياء الرحمن رئيساً لهيئة أركان الجيش.

سُحح للأحزاب السياسية بالنشاط في شهر رجب ١٣٩٦ هـ (تموز

١٩٧٦ م)، وتمّ الوعد بعودة الحياة النيابية، ولكنه في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٦ م) أُجّلت الانتخابات إلى أجل غير مُستَمَر، وأُعيد الفريق أول ضياء الرحمن يستولي على سلطات الرئيس الإدارية من الرئيس عبدالستار محمد صابم تبعاً للأحكام العسكرية، وأخيراً استلم كامل السلطة، وأعلن نفسه رئيساً للبلاد في ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ (يوسان ١٩٧٧ م).

٥ - ضياء الرحمن:

منذ أن تسلّم السلطة عمل على إبعاد قادة انقلاب ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ م) عن البلاد، رغم أنهم هم الذين سلّموه رئاسة الأركان وأعطوه مكانةً. أما قادة انقلاب ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) فقد عاملهم بوحشية شديدة إذ أعدم العقيد طاهر شفاً، وحكم على الآخرين بالسجن مدى الحياة، واختلف مع رئيس القضاة عبدالستار محمد صابم.

عدّل الدستور، وجعل الإسلام نظام الدولة الأساسي بدلاً من العلمانية في سبيل إرضاء الشعب، حيث يعرف أن ماضيه لم يكن طيباً.

وقام بإجراء استفتاء في جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) فأعطى ٩٩% من الشعب نفقته لضياء الرحمن، وسياسته، ونظامه، وهذا أمر طبيعي إذ هذه نتيجة لكل استفتاء، الذي هو لعبة سياسية لكسب الصفة الشرعية للحكم.

كان ضياء الرحمن أثناء انفصال بنغالدش عن باكستان رائداً في الجيش، وقام بتصرفات سيئة، حيث كان وراء ذبح الكثيرين من الضباط الباكستانيين، والمئات من الجنود مع عائلاتهم في (شيتا غونغ) ولا يزال المئات من الناس في السجون، وجريمتهم أنهم اتهموا بالتعاون مع الباكستانيين.

تضايق العسكريون من الأحكام التي فُرضت بحق زملائهم، وهم الذين رفعوه، واستاءوا من تصرفاته إذ كان يدخل أعوانه في الجيش، ويرتب عسكرية دون أن يكون لهم حيازة أو أقل خبرة بالشؤون العسكرية.

أُعيد وضع الجيش بشدهور منذ مطلع عام ١٣٩٧ هـ (مطلع عام ١٩٧٧ م) إذ أُعيد ضياء الرحمن عهد تنظيم القوات المسلحة، ووضع أعوانه في المراكز الحساسة، بقيادة وحدة المدفعية في الفرقة التاسعة المتمركزة في (دكا) قد تغيّرت خلال عام واحد ست مرات مع أن قائد الفرقة التاسعة هذه الجنرال شوكت يُعدّ من أكثر العسكريين إخلاصاً لضياء الرحمن، وهو الذي وضع في يده كل شيء منذ شهر صفر من عام ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م).

التقى كبار الضباط على اختلاف أعوائهم بعضهم مع بعض، وطلبوا ضياء الرحمن بالتخلّي عن منصب رئاسة الأركان التي يشغلها، ويمارس مهامها بنفسه، فوافق، ووضع نور السلام أحمد في هذا المنصب بعد أن رَفاه إلى رتبة جنرال، وهو أحد أعوانه المخلصين.

ومما زاد في تلخّر العسكريين الذي بدأ واضحاً بعد ٢ شوال ١٣٩٧ هـ (١٥ أيلول ١٩٧٧ م) إثر توقيع اتفاقية سد (فراكا) مع الهند، ولم تكن هذه الاتفاقية في صالح بنغالدش، وهذا ما زاد من الشعور بالغضب، والثقمة على ضياء الرحمن من عسكريين ومدنيين، وتشكلت جبهة معارضة ضمت مختلف المشارب، وكانت أكبر مراكز قوتها في (دكا) و(سوغرا) و(جيسور).

رأى ضياء الرحمن تثبيت شعل المعارضة قبل كل شيء، ثم التفرّد بكل جبهة وحدها، وتصفية الحساب معها، فدسّ أعوانه بين المعارضة، وعمل على جرّهم إلى معركة قبل تركيز أمودهم، وتوحيد صفوفهم، وتعيين أهدافهم وعطفهم، فتجّح أعوانه، وقامت المعارضة بالاندفاع، ووجدت وصول طائرة يابانية مخطوطة إلى مطار (دكا) فرصة لها، وتحركت في

(جيسور) و(بوغرا) قبل الأوان فحسبت الحركة، وتمكنت منها القوات المساعدة لضياء الرحمن، فأعدم أحد عشر ضابطاً من كبار ضباط الطيران، كما أمر بقتل الكثيرين من غير الطيارين، هذا رغم وصول قوات الحركة الانقلابية إلى (دكا)، وسيطرتهم على الإذاعة مدة ساعة كاملة، وقد زاد عدد القتلى على خمسمائة قتيل، وفر من البلاد أكثر من ألفي عسكري.

وحظر النشاط على ثلاثة أحزاب، وهي: حزب الرابطة الديمقراطي الموالي للرئيس السابق مشتاق أحمد وحزب بنغالديش الشيوعي، وحزب (ج، س، د) الموالي للهند.

وفي شهر رجب ١٣٩٨ هـ (حزيران ١٩٧٨ م) جرت أول انتخابات رئاسية مباشرة في البلاد، وقد أعطت فوزاً ظاهراً لضياء الرحمن. فشكّل مجلس الوزراء ليحل مكان مجلس المستشارين الخاص به.

وفي ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (شباط ١٩٧٩ م) جرت الانتخابات النهائية العامة، وفي محاولة من الرئيس ضياء الرحمن لإقناع وحشّ أحزاب المعارضة للمشاركة بالانتخابات قام بنيلية بعض مطالبهم حيث أُلغى كل البنود غير (الديمقراطية) من دستور (١٩٧٤ م)، وأطلق سراح المعتقلين السياسيين، وسحب الحظر عن الصحافة، ونتيجة لذلك شارك تسعة وعشرون حزباً في تلك الانتخابات، وحصل حزب بنغالديش الوطني، وهو حزب ضياء الرحمن على ٤٩٪ من مجموع الأصوات، وفاز بمائتين وسبعة مقاعد في المجلس النيابي من أصل ثلاثمائة مقعد وذلك بالانتخاب المباشر. واجتمع المجلس في شهر جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (نيسان ١٩٧٩ م)، وتمّ تعيين رئيس مجلس وزراء جديد، وألغى قانون الأحكام العرفية، ورفعت حالة الطوارئ، في شهر ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٩ م). وهكذا عادت الحرية إلى الحياة في بنغالديش بعد غياب دام خمس سنوات.

الممثل الرئيس ضياء الرحمن في محاولة انقلاب عسكري يُعتقد أن

قائده الفريق محمد عبدالمنصور، وهو قائد وحدة عسكرية، وذلك في ٢٧ رجب ١٤٠١ هـ (٣٠ أيار ١٩٨١ م)، كما قُتل الفريق محمد عبدالمنصور لاحقاً في ظروف مضطربة، وتولّى الرئاسة القاضي عبدالستار محمد صاهم، نائب الرئيس ضياء الرحمن.

٦ - عبدالستار محمد صاهم:

عادت القوضى السياسية إلى البلاد، حيث أخذت المظاهرات تعمّ المدن الكبرى احتجاجاً على إعدام الضباط الذين ساءموا في محاولة الانقلاب، كما كانت المعارضة تطالب بتقديم موعد إجراء الانتخابات الرئاسية.

جرت انتخابات الرئاسة في مطلع عام ١٤٠٢ هـ (تشرين الثاني ١٩٨١ م)، وقد فاز فيها فوزاً ظاهراً للرئيس عبدالستار محمد صاهم مرشح حزب بنغالديش الوطني.

أعلن الرئيس عبدالستار أن سياسته تنمّ لسياسة الرئيس السابق ضياء الرحمن، ولكنه وجد صعوبة بالغة في إمكانية السيطرة على الوضع بالحكومة المدنية، لذلك شكل في ربيع الأول ١٤٠٢ هـ (كانون الثاني ١٩٨٢ م) مجلساً وطنياً للأمن ضمّ عدداً من العسكريين برئاسة الفريق حسين محمد إرشاد رئيس هيئة أركان الجيش. وفي ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (٢٤ آذار ١٩٨٢ م) استولى الفريق محمد إرشاد على السلطة بانقلاب أبيض، مدعياً أن الفساد السياسي، وسوء الإدارة الاقتصادية قد أصبح غير محتمل.

٧ - حسين محمد إرشاد:

أعلن الأحكام العرفية، ولقّب نفسه والرئيس الإداري لقانون الأحكام العرفية، ثم غيّر هذا اللقب إلى رئيس الوزراء في ذي الحجة ١٤٠٢ هـ (تشرين الأول ١٩٨٢ م)، وساعده بصفته رئيس مجلس عسكري. وعين القاضي المتقاعد عبدالجواد حوري رئيساً.

منع النشاط الحزبي، وقدم عدداً من الوزراء السابقين إلى المحكمة، وأودعوا السجن بتهمة الفساد. وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة الاقتصادية قد لقيت بعض النجاح وكسبت قديراً من التأييد، إلا أنه زادت المطالبة بالعودة إلى الحرية والحياة النيابية، وظهرت على الساحة السياسية مجموعتان رئيسيتان:

١- تحالف خمسة عشر حزباً برئاسة جناح من حزب وابطة عولمي بزعامة الشيخة حسينة واجد ابنة محب الرحمن.

٢- تحالف سبعة أحزاب برئاسة جناح من الحزب الوطني البنغالي بزعامة الرئيس السابق عبدالستار محمد صاهم، ومخالفة ضياء أرملة ضياء الرحمن. وتوفي الرئيس عبدالستار في شهر صفر من عام ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) فبقيت الزعامة لخالدة ضياء.

وفي أواخر عام ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) شكّلت المجموعتان ائتلافاً عُرف باسم «الحركة نحو استعادة الديمقراطية»، وقد أصدرت هذه الحركة مطالبها التي منها:

- ١- إلغاء الأحكام العرفية.
- ٢- إطلاق سراح السجناء السياسيين.
- ٣- إجراء الانتخابات النيابية.

وفي أوائل عام ١٤٠٤ هـ سُحِبَ بالنشاط الحزبي، ووعدت الحكومة بإجراء سلسلة من الانتخابات المحلية تستمر طيلة فصل الشتاء، وستكون هذه الانتخابات مقدمة لانتخابات الرئاسة، وانتخابات المجلس النيابي والتي ستتم في العام نفسه.

وفي مطلع العام تأسس حزب الشعب ليسانده حسين محمد إرشاد في الوصول إلى الرئاسة، حيث سيكون مرشحه لهذا المنصب. وقد بنى الحزب سياسته على خطة مؤلفة من ثمانية عشر بنداً سبق للرئيس حسين

محمد إرشاد أن كشفها في وقت سابق، وتشمل تشجيع الاكتفاء الذاتي للزراعة، وعمومية الوظائف، واللامركزية في الإدارة، والدور المتواصل للغوات المسلحة في الحكومة.

قامت المظاهرات تُطالب بالعودة إلى الحكم المدني، فمُنِعَ النشاط السياسي مرة أخرى في الأول من ربيع الأول من عام ١٤٠٤ هـ (٥ كانون الأول ١٩٨٣ م) بعد مضي أسبوعين فقط على السماح به، وتمّ إلقاء القبض على القيادات الحزبية، وشمل ذلك مؤقتاً الشبيخة حسينة واجد، ومخالفة ضياء.

وفي ٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (١١ كانون الأول ١٩٨٣ م) أعلن حسين محمد إرشاد تنصيب نفسه رئيساً.

بقيت الأوضاع في البلاد غير مستقرة عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) إذ كانت الاضطرابات مستمرة، والمظاهرات السياسية تقوم بين المدة والأخرى، وهذا ما جعل انتخابات المجالس المحلية تتأجل بعد أن كان مقرراً لها أن تتم في جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (أذار ١٩٨٤ م) بسبب اعتراض أحزاب المعارضة لأنها ستتم قبل انتخابات الرئاسة وانتخابات المجلس النيابي، وتدعي المعارضة أن الرئيس حسين محمد إرشاد يريد تثبيت قواعد سلطته.

وتأخّلت كذلك انتخابات الرئاسة والمجلس النيابي والتي كان مقرراً لها أن تقوم في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م) تأجلت إلى ١٥ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (٨ كانون الأول ١٩٨٤ م) بسبب مطالبة المعارضة الملحة على إلغاء الأحكام العرفية، وتشكيل حكومة انتقالية محايدة تُشرف على انتخابات حرة ونزيهة.

وفي مطلع عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) وافق الرئيس حسين محمد إرشاد على إجراء الانتخابات على ثلاث مراحل في شهري صفر وربيع الأول (تشرين الثاني وكانون الأول) فيما إذا كانت المعارضة توافق على الاشتراك في الانتخابات، فكان ردّ الفعل من قبل المعارضة القيام

بحملة تدعو إلى العصيان المدني، فما كان من الرئيس إلا أن أجل الانتخابات إلى وقت غير مُسمى.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) أعلن الرئيس أن الانتخابات ستجري في ١٦ رجب ١٤٠٥ هـ (٦ نيسان ١٩٨٥ م) على أن يسبق ذلك رفع الأحكام العرفية في بعض النواحي، وعلى أن يجري تطبيق الدستور بشكل كامل بعد الانتخابات. وتبع ذلك تشكيل حكومة جديدة ضمت كبار الضباط، فكانت عسكريةً بجميع أعضائها، ولم يدخلها أحد من أعضاء حزب الشعب الذي يُعدّ حزب الرئيس، وذلك استجابةً لمطالب المعارضة التي كانت تُطالب بقيام حكومةٍ محايدةٍ.

عادت المعارضة تُهدّد بمقاطعة الانتخابات لأنه يبدو على الرئيس أنه لا يريد أن يتخلّى عن السلطة لحكومةٍ محايدةٍ، لأن الحكومة العسكرية ليست حيادية وإنما هي تعمل بروح من الرئيس أكثر من حكومةٍ مدنيةٍ تُنظم زعماء حزب الشعب نفسه، ولهذا عاد حسين محمد إرشاد إلى حظر النشاط السياسي مرةً ثانيةً. وأُعتب ذلك بإجراء استفتاءٍ على الرئاسة فحصل على ٩٤٪ من مجموع الأصوات، وذلك في جنادةٍ الأخيرة من عام ١٤٠٥ هـ (أذار ١٩٨٥ م). وتبع ذلك في شهر شعبان (أيار) انتخابات للمجالس المحلية، في المناطق الريفية دون مشاركة أحزاب المعارضة فحصل على ٨٥٪ من مجموع رؤساء المجالس إذ كانوا من مؤيديه، وإن لم يكونوا من حزبه (حزب الشعب)، واجتمع مجلس الوزراء.

وفي مطلع عام ١٤٠٦ هـ (أيلول ١٩٨٥ م) نشأ اتحاد سياسي جديد، أطلق عليه «الجهة الوطنية» وقد ضمّ خمسة أحزاب هي: حزب الشعب، حزب الشعب المتحدة، ورابطة مسلمي بنغالديش، والجناب المنشق من حزب بنغالديش الوطني. وحزب «الفونوناتسوك». وتدعم هذه الجهة السياسة الحكومية.

لم يكن من السهل رفع الحظر السياسي قبل اجتماع منظمة جنوبي

آسيا للتعاون والمقرر أن يكون اجتماعها في مدينة (وكا) في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) حيث يخشى أن تقوم المعارضة بحظر حوادث الشعب.

وقبل منتصف عام ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) رفع الحظر عن النشاط السياسي، وبقي ذلك مدة عشرة أشهر، وبقيت خلالها الجهة الوطنية تُساند الحكومة. أما المعارضة فقد قامت بإضرابات، وتُظهِر مظاهرات طالبت فيها بإلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات الرئاسية والنيابية.

أعلن الرئيس حسين محمد إرشاد في أوائل شهر رجب ١٤٠٦ هـ (أذار ١٩٨٦ م) أن الانتخابات ستجري في النصف الثاني من شعبان ١٤٠٦ هـ (قبل نهاية نيسان ١٩٨٦ م) في ظلّ الأحكام العرفية، وإن كان بالواقع قد حُفّف كثيراً من تلك الأحكام إذ أُبعد قادة الجيش عن الوظائف المدنية، وألغى أكثر من مائة وخمسين محكمةً عسكريةً، وكتباً للأحكام العرفية. وبهذه الوسيلة شارك مرشحون من ثمانية أحزاب من اتحاد رابطة عوامي، وشملت المشاركة الشيخة حسينة واجد نفسها، وحزب جاميت الإسلامي، وأحزاب أخرى صغيرة. وجررت الانتخابات في ٢٨ شعبان ١٤٠٦ هـ (٧ أيار ١٩٨٦ م) بعد أن تأجلت من ١٧ شعبان ١٤٠٦ هـ (٢٦ نيسان ١٩٨٦ م). ولكن اتحاد حزب بنغالديش الوطني بزعامة خالدة ضياء قاطع الانتخابات، ووصف سيرها بالغيث، والتزوير، والعصف، والتهديد، وقد فاز حزب الشعب بـ ١٥٣ مقعداً من أصل ٣٠٠ مقعد بالانتخاب المباشر، إضافةً إلى ذلك فإن ٣٠ مقعداً مخصصة للنساء في الجمعية التشريعية قد أُخذت بالتعيين من حزب الشعب.

وفي شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) طالب تحالف رابطة عوامي مرةً ثانيةً بإلغاء قانون الأحكام العرفية، واستقالة الرئيس حسين محمد إرشاد، واستعادة النظام النيابي كاملاً، وتطبيق الدستور الذي ما زال معطلاً.

أخذ تحالف المعارضة ينتقد القانون العام، ويشن حملة على الحكومة في سبيل إسقاط النظام، ويطالب بحل المجلس النيابي، وفي سبيل إشغال خطة المعارضة، تشكلت وزارة جديدة شملت أربعة وزراء من حزب رابطة عوامي، وعين وزير العدل القاضي «نور الإسلام» نائباً للرئيس.

استمرت المعارضة في تنظيم الإضرابات والمظاهرات المعادية للحكومة، وتزايدت نقابات العمال ومجموعات من الطلاب، ويطلبون الحكومة بالاستقالة، ويطلبون الرئيس بتشكيل حكومة انتقالية محايدة للإشراف على انتخابات جديدة.

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) أقرّ المجلس النيابي تعديل قانون المجالس المحلية، حيث أصبح بإمكانية القوات المسلحة أن تشارك في أربعة وستين مجلساً شأنها في ذلك شأن الممثلين المنتخبين، وهذا ما أتى إلى زيادة حدة الإضرابات والمظاهرات، وأصبح بعضها يتسم بالعنف، وتدعي المعارضة أن مثل هذا القانون يجعل الجيش مشاركاً بالحكم بصورة مستمرة، مع أن قانون الأحكام العرفية منذ تسعة أشهر، ويهدف الرئيس من هذا المشروع تثبيت وضعه حيث يعتمد في حكمه على العسكريين. ولما زادت المعارضة اضطرت إلى سحب القانون بعد شهر من إقرار المجلس النيابي له، حيث أعاده إلى المجلس لإعادة النظر فيه. وتبع ذلك تعديل أساسي في الحكومة.

غير أن أضرار الفيضانات التي اجتاحت البلاد، ولم تعرف لها مثيلاً منذ أربعين سنة إذ نجم عنها خراب كبير للغاية فحجب ذلك الأحداث السياسية، وطمس عليها.

وفي ربيع الأول من عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) تجمعت قوى المعارضة، ونظمت احتجاجات، فقامت الحكومة بإلقاء القبض على الآلاف من الحزبيين النشيطين، وكان من بينهم الشيعة حسنة واجد، وخالدة ضياء، ولكن المظاهرات استمرت، ووقعت صدامات بين

وفي ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) أعلن الرئيس حسين محمد إرشاد أن قانون الأحكام العرفية سوف يُلغى ولكن بعد إجراء انتخابات الرئاسة. ومع أن أعضاء تحالف رابطة عوامي قد أقسموا اليمين القانونية كنواب في المجلس النيابي غير أنهم رفضوا حضور حفلة افتتاح المجلس. وفي أواخر شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ (أواخر تموز ١٩٨٦ م) عُقدت جلسات المجلس النيابي إلى أجل غير معلوم. وتشكلت وزارة جديدة مدنية برئاسة ميزاتور رحمن جواهرزي أمين السر العام السابق لحزب الشعب، وأدت الوزارة اليمين الدستورية.

وحي استطاع حسين محمد إرشاد ترشيح نفسه للرئاسة في الانتخابات التي ستجري في صفر من عام ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م) منح نفسه التقاعد من منصبه رئيس هيئة أركان الجيش في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٧ م) وعين الفريق أول م. عتيق الرحمن مكانه بينما احتفظ بمنصبه كرئيس إداري لقانون الأحكام العرفية وقائداً أعلى للقوات المسلحة.

وفي محرم ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) انضم إلى حزب الشعب، وانتخب رئيساً له، واختير مرشحاً للحزب لمنصب الرئاسة، وعند الانتخابات في ١١ صفر ١٤٠٧ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٨٦ م) فاز فوزاً ساحقاً على منافسه الأحد عشر حيث حصل على ٢٢ مليون صوت حسب النتائج الرسمية، ولكن قاطع هذه الانتخابات كل من حزب بنغالديش الوطني وحزب رابطة عوامي.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) دعا الرئيس حسين محمد إرشاد المجلس النيابي للانعقاد، الذي أقرّ تشريعات العفو العام، وأخذت تخفّ هيمته النظام العسكري الذي فرض على البلاد قبل أكثر من أربع سنوات، ثم ألغى قانون الأحكام العرفية، واستعاد دستور عام (١٩٧٢ م).

رجال الشرطة والمتظاهرين. وبعد ستة عشر يوماً من المظاهرات العنيفة فرض رئيس شرطة (دكا) حظراً على المظاهرات والمسيرات في العاصمة لمدة شهر كامل. وقد أدت هذه الأعمال إلى خلل اقتصادي.

وفي ٦ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٧ م) أعلن الرئيس البنغالي حسين محمد إرشاد حالة الطوارئ، وذلك خوفاً من إضراب عام كانت تنوي المعارضة القيام به، فتوقفت بذلك النشاطات السياسية كلها، وتحدت حالة الطوارئ مبدئياً بأربعة أشهر. ورغم ذلك فقد قامت بعض المظاهرات ووقعت بعض الإضرابات لإجبار الرئيس على الاستقالة.

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (الأول من كانون الأول ١٩٨٧ م) كان عدد الذين تم احتجاجهم نتيجة الإضرابات والمظاهرات ما يزيد على ستة آلاف مواطن، وقد أعلنت أحزاب المعارضة أن ممثلها في المجلس النيابي سوف يتخلون عن مقاعدهم النيابية. وقد استقال فعلاً اثنا عشر نائباً من المعارضة، وأبدى ثلاثة وسبعون من رابطة عوامي استعدادهم للاستقالة، فقام الرئيس البنغالي في ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٦ كانون الأول ١٩٨٧ م) بحل المجلس النيابي. وفي الوقت نفسه أطلق سراح الشيخة حسينة واجد، وخالدة ضياء ولكن فرض عليهما الإقامة الجبرية في المنزل لمدة أربعة أسابيع.

حاول الرئيس إجراء مفاوضات سلمية مع خالدة ضياء ومع الشيخة حسينة واجد لكنهما رفضتا ذلك، وأصرتا على المعارضة، والقيام بحملة مقاومة واسعة لإجباره على الاستقالة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م) أعلن الرئيس أن الانتخابات العامة للمجلس النيابي سوف تجري في ١١ رجب ١٤٠٨ هـ (٢٨ شباط ١٩٨٨ م)، ولكن زعماء الأحزاب الرئيسية للمعارضة أعلنوا مباشرة عزمهم على مقاطعة الانتخابات طالما بقي حسين محمد

إرشاد رئيساً للبلاد. ونتيجة لهذه المقاطعة فقد تأجل موعد إجراء الانتخابات العامة.

تشكل تحالف سياسي من ستة وسبعين حزباً سياسياً صغيراً، وتشكلوا مجموعة معارضة، في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م).

وتشكل تحالف معارض للحكومة، وكان هذا التحالف بزعماء أ. س. م. عبد الرب، وكان القصد من هذا التحالف المنافسة في الانتخابات العامة.

اتسمت انتخابات المجالس المحلية التي لم تشاطعها المعارضة بالعنف، واتصفت بالغش والتزوير الأمر الذي جعل المعارضة تنشئ حملة بالمقاطعة، وقد نجحت في مساعيها، وكان معدل المشاركة الفعلي للناخبين أقل بكثير من تقديرات الحكومة التي قدرتها بـ ٥٠٪، وقد فاز حزب الشعب بأغلبية كبيرة من المقاعد.

وفي أواخر شعبان ١٤٠٨ هـ (أواخر آذار ١٩٨٨ م) تشكلت حكومة جديدة برئاسة «مودود أحمد» الذي كان يشغل نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتجارة في الحكومة السابقة. كما اضطر الرئيس إرشاد إلى إلغاء حالة الطوارئ في الشهر التالي (رمضان) نتيجة حملة المعارضة القوية.

وأقر المجلس النيابي تعديلات أساسية في الدستور وبالغلبية المطلقة في شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م)، وأصبح الإسلام دين الدولة.

وأخذ موقف المعارضة يشراج بعد عطفه عبد الأحمس من عام ١٤٠٨ هـ (٢٩ تموز ١٩٨٨ م) وذلك بسبب خلافات وقعت في الصقوف حيث فصل أمين السر العام لحزب بنغالديش الوطني أ. ك. م. عبيد الرحمن مع عدد من أعضاء الحزب البارزين، ونشأ جناح مناس داخل الحزب لخالدة ضياء.

وجاء موسم القيضانات، وكانت كازنة كبيرة، إذ اتضح أنها كانت من أعنف ما سجل في تاريخ المنطقة، وأعقب ذلك إعصار عنيف فحدثت

فيضانات لاحقة، وسبب الإعصار وفاة ثلاثة آلاف إنسان، قطعت تلك المصائب على الأحداث السياسية.

وعين حسين محمد إرشاد نائباً له مودود أحمد على حين تسلّم رئاسة الوزراء ظفر أحمد.

سارت بنغالديش على سياسة (عدم الانحياز) حسب الاصطلاح الشائع، وإن كانت دول هذه السياسة لا يوجد بينها غير متحاز، وإنما هو اسم أطلق، وتحت عنوانه لعبة سياسية.

وتحسنّت العلاقات مع دولة باكستان منذ عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) أي بعد أن اضطرت باكستان إلى الاعتراف بدولة بنغالديش، ونظام الحكم القائم فيها، وخاصةً أنه كان قد أطيح بنظام مجيب الرحمن، وقتل وأسرته، وكان هو عامل الانفصال، والذي شحن البنغاليين بشحنات إضافية من الحقد والكراهية ضدّ الباكستانيين، وعمل على التوتر النفسي بين سكان الإقليمين. وتمّ تبادل السفراء بين البلدين، وأعيدت التجارة، والبريد، والمواصلات السلكية واللاسلكية.

ولكن باكستان ورغم كل ما تمّ من تحسين العلاقات إلا أنها رفضت قبول ثلاثمائة ألف من البيهاريين المسلمين الذين وقفوا بجانب الباكستانيين أثناء حرب الانفصال عام (١٩٧٢ م)، والذين كانوا لا يزالون محتجزين في بنغالديش في معسكرات اللاجئين.

ورسمت الحدود بين بنغالديش وبنورما عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ويبلغ طول هذه الحدود مائة وثلاثة وتسعين كيلومتراً، في أقصى الجنوب الشرقي من البلاد.

ولكن ما إن استقرت الأوضاع الخارجية في بنغالديش حتى أخذت تتوتر العلاقات مع الهند بسبب الإرهاب عبر الحدود، وخاصةً عبر مضائق (شيتا غونغ) والحدود بين الدولتين طويلة تزيد على ٤.٠٥٣ كيلومتراً، فالهند تحيط

بنغالديش من كل ناحية باستثناء الساحل الذي يبلغ طوله ٥٨٠ كيلومتراً والحدود مع بنورما وهي قصيرة، وقلنا أنها لا تتجاوز مائة وثلاثة وتسعين كيلومتراً. وكذلك كان التوتر بين الدولتين بسبب الثوار البوذيين (شانتى باهتي)، والذين يقومون بحرب عصابات ضدّ شرطة البنغال ويعملون على الهرب إلى الهند بعد قيامهم بعمليات الإرهاب، وكذلك بسبب السدّ الذي أقامته الهند على نهر الغانج، فحرمت البنغال من كثير من مياه الري، كما تأثرت بذلك حركة النقل المائي في النهر، وخاصةً في سنوات الجفاف، كما حدث في صيف عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م).

وبنغالديش عضو في منظمة جنوبي آسيا للتعاون الإقليمي، وتضم سبعة دول، هي دول الغارة الهندية وتشمل: باكستان، بنغالديش، المالديف، سيرلانكا، الهند، نيبال، بوتان.

ويضم المجلس النيابي البنغالي ثلاثمائة عضو يتخبون انتخاباً، ويضاف إليهم ثلاثون امرأة يُعيّنون تعييناً، ومدّة المجلس خمس سنوات. واللغة الرسمية هي البنغالية وإن كانت الإنكليزية هي الشائعة والتي يتحدث بها الناس، ويتفاهم بعضهم مع بعض إن وجد بعض الذين لا يجيدون البنغالية.

الصراع الداخلي

تبلغ مساحة بنغلاديش 144 ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1412 هـ (1991 م) 114,700,000 شخص، وبهذا تقارب الكثافة السكانية شخص في الكيلو المتر المربع الواحد (796 شخص) وهي من أكبر الكثافات في العالم. هذه الكثافة مع الفيضانات التي تتعرض لها البلاد في كل سنة تعطل فيها الأمطار الموسمية في وقت مبكر، وكثيراً ما تتكرر كل عدة سنوات، ومع المجاعات التي تتوالى على المنطقة في كل سنة تتأخر فيها الأمطار الموسمية عن موعدها، وغالباً ما تأتي كل عدة سنوات، أي إما فيضان، وإما مجاعة وقلما تكون سنوات عادية. ومع الأعاصير التي تفتاح البلاد، وتسبب الدمار والخراب، كما تكون عاملاً في الفيضان إذ تحول دون انصباب مياه الأنهار في البحر بشكل طبيعي، فيرتفع مستوى مياه الأنهار، والروافد، ويحدث الفيضان. ومع كثرة المساحات التي تغطيها مجاري الأنهار، ومياه الفيضان، والمستنقعات مما يقلل صيق المساحة الصالحة للزراعة، وفي الوقت نفسه يصعب إقامة المعامل، ولهذا كله ينتشر الفقر، ومع انتشار الفقر يعم الجهل، ومع سيادة الفقر والجهل، يكثر أصحاب المصالح، ويمكن اللعب بأفكار السكان، وتكثر الصراعات الداخلية. فكل موضوع يمكن أن يثير خلافاً، وكل رأي يمكن أن يجد له أرواناً، وتلقت حوله جماعة، وتحمله وتعارض غيرها، وكل من يطرح فكرة يصح زعيماً، ويشكل حزباً، ويبدأ يسعى وراء

زعامة، ويركض وراء مصالحه، ومنها الرئاسة، ولذا نجد في بنغلاديش أحزاباً كثيرة لا نرى لها مثيلاً في بقية دول العالم، وإن كان بعضها لا يصل مقوده إلى المائة.

الصراع الإقليمي:

منذ أن قامت باكستان في 27 رمضان 1366 هـ (14 آب 1947 م) بدأ الصراع بين شطريها، للاختلاف بطبيعة الأرض، وبكثافة السكان، وكثرة أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين، وبطبيعة نشاط السكان، واختلاف أصولهم، وتفاوت لغاتهم، وتباين رغباتهم بالتوجه إلى الالتحاق بحياة الجندية. وكان الأصل أن يبقى التماسك بين الشطرين ما دام هناك عدد مشترك، ويخصم يترصص على الحدود، ولم تنته بعد المشكلات مع الهند التي كانا وإياها ضمن دولة واحدة، ولم يزل فيها أكثر من اثنين وأربعين مليوناً من المسلمين، والدعماء لم تجف بعد، وقد أراقها الهندوس تعصباً وحقداً على المسلمين، والجراح لم تئسج بعد، والانفصال إنما تم على أساس عقيدتي، وجناحاً باكستان قاما على هذا الأساس، فالعقيدة تجمع بينهما وتوحد بل هي الرابط الصحيح بين الناس، والشيجة المثبتة بين الخلق.

طرحت فكرة اللغة في بداية الأمر، فاللغة السائدة في الجناح الشرقي من باكستان هي البنغالية، وهي فرع من السنسكريتية، ولكنها لغة محلية لا يكاد يعرفها إلا القليل خارج حدود منطقتها، وأما في الجناح الغربي فلكل إقليم لغته المحلية الخاصة به، فالبنجابية في البنجاب، والسندية في السند، والبالوشية في إقليم بالوشستان، والبشتو عند قبائل الباتان في إقليم الحدود الشمالية الغربية، غير أن لغة الأوردو تجمع بينهم، فمعظم السكان يعرفها في الجناح الغربي، وكذلك فإن أكثر أهالي الجناح الشرقي يجيد النطق بها، بل إنها معروفة في كثير من أرجاء دولة الهند. ولهذا رأى قادة باكستان أن تكون لغة الأوردو هي اللغة الرسمية، فهي لغة المسلمين في الغارة

الهندية، وقامت باكستان على أساس الإسلام فالأمر الطبيعي أن تكون لغة الأوردو هي اللغة الرسمية، ومن ناحية ثانية فإن وجود لغة واحدة في جناح البلاد يُعدّ عاملاً قوياً لترسيخ الوحدة بينهما، وعامل دعم لتوحيد الأفكار والمفاهيم، وتبادل الموظفين، وتكون لغة العسكريين الذين هم ضمن جيش واحد، غير أن العصية ذرت قرنها وأخذ سكان الجناح الشرقي يُطالبون أن تكون اللغة البنغالية اللغة الرسمية الثانية، واستغل هذا الموجع نظام الدين لمصلحته الخاصة ليعود حاكماً للبلاد بعد أن نزل إلى رئاسة الوزارة، ولقي تأييداً في البنغال، وأخيراً أُقيل أيضاً من رئاسة الوزارة. واستمرّ الصراع تحت شعار اللغة، حتى تمّ ما يريد البنغاليون.

وأثار البنغاليون فكرة سيطرة أهل البنجاب على الجيش فكان الجواب ليس هناك من مانع يحول دون انتساب البنغاليين إلى الكليات العسكرية، وكل من يتقدم يؤخذ، ولكن لا يوجد من يتقدم فهل نجبر الناس على الالتحاق بالجنديّة، وهذا شأن أقاليم أخرى فالبلوش، والبانان لا يرغبون بالجيش كثيراً، وأقل من ذلك قليلاً أهل السند، غير أن البنجابيين يفضلون العمل العسكري على غيره، فهل نحول بينهم وبين الجيش؟ ومن أين تأتي بالعسكريين إن حُلنا بين البنجابيين وما يريدون؟ وإنا نشجع سكان بقية الأقاليم للالتحاق بالكليات فلا نجد عندهم الرغبة، فما العمل؟. ولكن البنغاليين لا يريدون هذه المناقشة ولكن لا يريدون إثارة العصية، ويعملون على الصراع الإقليمي.

وأثار البنغاليون أيضاً موضوع المعامل، والموظفين، ونقل العاصمة و... وحتجتهم دائماً أنهم الأكثر عدداً. واستمرّ هذا الموضوع حتى انتهى الصراع بين الإقليمين، وحدث الانفصال، وأصبح كل جناح دولة حاضرة، ولم يعد البنغاليون يدعون أن باكستان الغربية تستعمر الشرقية، ولكن بقوا ينسبون بعض التخلف والتأخر إلى الاستعمار الباكستاني، ويشيرون حقداً ضدّ الباكستانيين، وتحمل لواءه الفئات العنصرية والأقليات الدينية.

الصراع العنصري:

يعود معظم سكان بنغالديش إلى أصل واحد تقريباً، لوهم جميعاً من أصول هندية على اختلاف أصولها التي لا تظهر والتي لا يبحث بها. ولكن نتيجة الخلاف العقيدني في الهند، وما جرى من أحداث أثناء التقسيم دخلت عناصر من إقليم إلى إقليم كما خرجت مجموعات أخرى من جزء إلى آخر، لقد انتقل من إقليم بيهار الذي يقع إلى الغرب من البنغال، وعلى نهر الغانج أعداد من المسلمين، بسبب الاضطهاد الهندوسي للمسلمين، والحقد الديني الموجود لدى أبناء هذه الطائفة البراهمية ضدّ المسلمين بادعاء أنهم دخلوا بلادهم، واحتلّوها، وحكموها، وقبلوا أعداداً من أبنائها فغدوا مسلمين فاتفصلوا بذلك عن أبناء جلدتهم. وجاء المستعمرون الإنكليز فشحنا هذا الحقد بعصب، وأثاروا، وقرّبوا الهندوس، وأبعدوا المسلمين، وأوقدوا أوار الحرب بين الطرفين.

انتقل نتيجة ذلك أعداد من المسلمين البيهاريين بصفتهم قلة في إقليمهم وهاجروا إلى البنغال لأن المسلمين كثرة، وذلك كي يتخلّصوا من ذلك الاضطهاد الهندوسي، وجاء التقسيم، وأصبحت البنغال جزءاً من باكستان التي ضمت المسلمين فزادت هجرة البيهاريين حتى بلغ عددهم مليوني إنسان في البنغال.

فلما بدأت الأحداث الدامية في البنغال، وأخذت العناصر صاحبة المصلحة تدعو إلى تجزئة باكستان، وفصل الجناحين بعضهما عن بعض، رأى البيهاريون - بواقع القنطرة - أن هذا العمل ليس في مصلحة المسلمين إذ فيه إضعاف لهم، ونشيت لشملهم، ولن يخدم هذا المخطط سوى الهندوس، ويرون بأنفسهم اندفاع الهندوس في البنغال وراهم، وإذا ضعف أمر المسلمين، وقوي الهندوس فمآذا يكون مصيرهم هم وأقصد البيهاريين؟ وإلى أين يذهبون وقد فارقوا بيهار مخالفين لأهلها من الهندوس؟ كما لا يمكننا أن ننكر أثر الإيمان الذي يجعلهم يفتنون ضدّ هذا المخطط ما داموا

قد اقتنعوا أنه في غير صالح المسلمين، وأنه يهدف إلى الكيد لهم وإبادتهم، ومن هنا وقفوا بجانب الباكستانيين ليحولوا دون تنفيذ المخطط.

ولما نجح المخطط وتم الانفصال بدأ البنغاليون بتصفية حسابهم مع البيهاريين، فقتلوا من قتلوا، وأخرجوا من أخرجوا مع ارتكاب أشنع الجرائم بحقهم، ووضعوا بعضهم في معسكرات للاجئين، ويزيد عدد هؤلاء على المائة ألف، وذلك ليبادلوا به بعض أسراهم. وبعد أن اعترفت باكستان بالوضع في بنغالدش، حُرِّص عليها تسلّم هؤلاء البيهاريين ما داموا قد كانوا بجانبهم، لكن باكستان رفضت ذلك.

شحن قادة البنغال الجدد سكان منطقتهم بالحقن والكراهية ضدّ البيهاريين بأن كانوا ضدّهم، وقد جاءوا إلى بلدهم يناقسون أهلها على موارد رزقهم، وأنهم عملاء لقادة باكستان الذين هم أعداء للبنغال وقيل الناس - مع الأسف - لجهلهم هذا الدعايات وكان الصراع بين البنغاليين والبيهاريين، بل كثيراً ما كان بعض البنغاليين يطالبون بقتل البيهاريين وحتى الذين بين أيديهم من المحتجزين في معسكرات اللاجئين. هذا رغم أن البنغاليين والبيهاريين مسلمون، وهم إخوة، وكان يناقزل بعضهم بجانب بعض لانفصال المسلمين عن الهندوس. والأن قد طغت الدعايات، وتمكّن الهندوس من بثّ الشائعات بين المسلمين، واختراق صفوفهم، وإغراء جانب وتحريضه ضدّ الآخرين حتى تمّ لهم ما يريدون من إضعاف وتجزئة.

ولما كانت بنغالدش جزءاً من باكستان فلا شك أن فيها عدداً من الموقفين، وآخر من المواطنين، إضافة إلى القطعات العسكرية. فلما تمّ الانفصال بقوا فيها، فكانت تشنّ عليهم حرباً لا هوادة فيها من الهندوس البنغاليين، ومن أصحاب المصالح، ومن شحّن حقداً من دعايات أولئك الذين يرغبون بالانفصال، بل إن بعضهم قد أخذ يطالب بقتل هؤلاء الباكستانيين جميعاً. وبقيت آثار تلك الدعايات إلى ما بعد صفاء الجو بين

الدولتين، واعتراف باكستان بنغالدش، ولا يزال بعضها قائماً بقلبه الهندوس.

الصراع العقدي:

تختلف نسبة المجموعات السكانية بعد مددٍ وأخرى، وذلك حسب اختلاف نسبة الولادات بين تلك المجموعات، والمسلمون أكثر هذه المجموعات تزايداً لكثرة الولادات عندهم، بينما نسبة المسلمين عند التقسيم ٨٠.٤ نجد أنها اليوم ٨٦.٦٪.

وأما المجموعة الثانية فهي الهندوس، ويشكّلون ١٢.١٪ بينما كانت نسبتهم عند التقسيم ١٨.٤٪، وبقي السكان فهم من البوذيين والتمساري، وتبلغ نسبتها معاً ١.٣٪. وبذا يتوزّع السكان على الشكل الآتي:

المسلمون	٩٩.٣٣٠.٢٠٠	ويشكلون	٨٦.٦٪
الهندوس	١٣.٨٧٨.٧٠٠	ويشكلون	١٢.١٪
البوذيين	٧٩١.١٠٠	ويشكلون	٠.٧٪
التمساري	٧٠٠.٠٠٠	ويشكلون	٠.٦٪
	١١٤.٧٠٠.٠٠٠		١٠٠.٠٪

أما المسلمون فلا يحسّون بأيّ عصبية، ولا يُفكّرون بالصراع مع أية مجموعةٍ أخرى ما داموا هم الأكثرية، وربما كان الأمر على العكس إذ يحاولون إظهار التقرب من بقية الفئات لتوحيد الجهود باسم العصبية الوطنية، وكما لا يتهموا بالعصبية، ويقودهم إلى هذا الزعماء من أصحاب المصالح، والعصبيات الوطنية، الذين يريدون أن يكسوا المجموعات من غير المسلمين إلى جانبهم، ولا شك ليعندهم عن الإسلام إما فاعاً، وإما

خوفاً على مصالحهم وشهواتهم التي يحول الإسلام بينهم وبين ممارستها. ولا شك أن هناك مجموعات إسلامية واحة لإسلامها، عارفة به، مدركة لواقعها، تنظر إلى هؤلاء بعين الشفقة، وتريد لهم الخير، وتسمى لهم السعادة. لذا فهي تعمل على دعوتهم إلى الإسلام، ومن ناحية تفت في وجههم لأنهم على ارتباط بدول أخرى تُعادي الإسلام، وتضمر لأهله السوء، وتعمل على الإضرار بالدولة في سبيل ابتلاعها. وهذه الجماعات الإسلامية تفت من هؤلاء كما تفت من الذين يتحولون إلى الإسلام انتماء، ويعملون على شاكلة أولئك، فموقفها إذن ليس موقف العصية، وإنما موقف الخير والدفاع عن البلاد.

أما الهندوس فقد كانوا يحقدون على المسلمين منذ أن كانت الهند دولةً واحدةً، وقد كانوا هم الأكثرية، وأصحاب السلطة، فلما تم التقسيم، وأصبحوا أقليةً وسط مجتمع إسلامي في بنغالديش زاد حقدهم على الإسلام، وقوا على ارتباط مع أبناء عقيدتهم في الهند. ولما كانوا أقليةً فقد زاد تماسكهم بعضهم مع بعض، وغدا قوة يُرهب جانبها. فهم من ناحية اجتماعية يُشكّلون مجموعةً خاصةً منعزلةً حاقدةً، ومن ناحية دولية فهم غونة، أعداء لبلادهم لأنهم على صلةً بدولةٍ أجنبية تعمل على هدم دولتهم، وتخطط لإزالتها، ولما كانوا أقليةً كبيرةً، وشبه منظمةً لذا كان الزعماء من أصحاب المصالح يسعون جاهدين لكسبهم إلى صفهم، والإفادة من قوتهم، وقد لعبوا دوراً كبيراً في حرب الانفصال التي أدت إلى تقسيم باكستان إلى شطرين، وخدموا مصالح الهند في ذلك خدمات جلّى. ولا يزالون على صلة بالهند، وإذا ما توترت العلاقات بين بنغالديش والهند برزوا، وإذا ما فترت أو توترت أخلوا رؤوسهم وعملوا في الظل. ويعتدون أنفسهم أعداء للحركات الإسلامية، ويعملون على الوشاية بأفرادها، والتحرّيش عليها، ومحاولة ضربها، كما أنهم ضدّ كل مسلم ملتزم، ويظهرون له العداوة، ويكيدون له، ويعتدون أنفسهم في صراع مع المسلمين، ولصراع عنيف مستقبلاً.

وأما البوذيون فشأنهم شأن الهندوس في حقدهم على الإسلام وكرههم للمسلمين، ولكنهم أقل عدداً، وأضعف هبةً، وصلتهم بالهند قليلة الأهمية لأنها تتعصب للهندوس، ولكن صلتهم قوية مع دولة «بونان» التي تقع إلى الشمال من بنغالديش، ولا يفصل بينهما سوى أراضي هندية ضيقة المسافة، حيث لا يزيد عرضها على خمسة وعشرين كيلومتراً، و«بونان» دولة بوذية، ومن هنا كانت الصلة قائمةً بين هذه الدولة وبين البوذيين في بنغالديش، غير أن هذه الدولة قليلة الأهمية، ضعيفة الإمكانيات، صغيرة المساحة، ضئيلة السكان، حيث تقع في سفوح جبال هيمالايا إذ لا تزيد مساحتها على ٤١,٢٨٠ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على المليون، يعيش بينهم ٥٪ من المسلمين. ومن هنا كانت إمكانية البوذيين في بنغالديش على دخول ساحة الصراع قليلة، ويعملون على معاداة المسلمين ومحاولة تفتيت دولة بحرب عصابات في الداخل ضد الشرطة البنغالية، كما يقومون بشنّ غارات سرية على الحدود الهندية كي تقع الحرب بين الدولتين، وتحتاج الهند منطقة البنغال، وعندما يكون البوذيون قد حققوا بعض أهدافهم إذ نالوا من المسلمين، وأصبحوا على مقربة من دولة بونان البوذية وعلى تماسٍ مباشرٍ معها، يمكنهم التسلل إليها، وتلقي بعض الدعم منها رغم فقرها.

وأما التنصاري فعددهم قليل يصعب عليهم دخول ساحة الصراع، ولكن كان لهم شأنهم أيام الحكم الإنكليزي بل إن وجودهم في الهند أصلاً مرتبط بالاستعمار إما أنهم قد جاءوا معه أو أخذوا عقيدته تحت تأثيره، فلما ارتحل قلّ وزنهم. ولكن بقيت الإرساليات التنصيرية تقوم بدورها، وكان المستعمرون الصليبيون قد فتحوا لها الأبواب، وفسحوا لها المجال، وأمدوها بالإمكانات كلها، فلما انسحب الصليبيون بقيت هي تؤتي دورها، وظهر فقر البنغاليين واضحا بعد انقسام الهند إذ الحُصروا في منطقتهم، وإن بقيت الحالة مقبولةً نسبياً، فلما تجرأت باكستان بدأ الفرّح جلياً، وهدت حاجة السكان ملحةً، وخاصةً بعد حرب الانفصال التي أفلت كاهل

الشعب، وجاءت إثرها الأعاصير والدمار، والفيضانات والخراب، وظهرت الحاجة إلى المساعدات فتداعت الإرساليات التصيرية إلى التوجه إلى بنغالديش إذ صار المجال عصبياً، فلو ربما يفسطر الناس لقبول التصيرية نتيجة الحاجة.

أخذ رجال الإرساليات التصيرية يتوافدون على البلاد بل وتساوها لأن لكل دوره، ويتخذ وسيلة، ومعهم الإمكانيات الضخمة التي تزيد على المطلوب، ولم يكن مجيئهم من جانب إنساني فهذا أمر لا يعرفونه رغم أنهم يحملون شعاره، فما حدث أن ساعدوا أحداً على مدى تاريخ عملهم من غير عقيدتهم إلا إذا قبل التصيرية أو أظهر ميلاً نحوها. وبدأ عملهم، وأخذوا يذلون الجهد، ويؤسسون المشافي، وينشئون المدارس، ويفتحون أبوابها لأبناء عقيدتهم، ويقبلون فيها من يأتي إليهم في سبيل نوجيهم، وتلقيهم المبادئ التصيرية، ويشيرون الشبهات حول الإسلام، ويظعنون فيه، وهذا كله أمام الصغار الذين لا يعرفون شيئاً بعد، وإنما يُتلقون ما يُعطى بالنسبة إلى المدارس، وأمام الفقراء الذين يدفعون عن أنفسهم الموت أمام العرض الهاجم - حسب تصورهم الساذج - وليس لديهم من مال يقدمونه للمستشفيات المشبعة بالنسبة إلى المشافي، وهؤلاء الصغار الفقراء، وأولئك المساكين الجهلة لا يعرفون شيئاً ومع ذلك إن لم يجد المشرفون على المدارس والمشافي تجاوباً وميلاً نحو التصيرية من الذين قبلوا فيها يطردون مباشرة. وكذا يكون تقديم المساعدات، ونتيجة الجهل والفسر، واليعد عن الإسلام، ومتاجرة أصحاب المصالح فليس هناك من يقف في وجه الإرساليات التصيرية سوى الحركات الإسلامية، وأهل العلم الذين يضطرون إلى تنبيه الشعب والعمل على نشر الوعي بين السكان، وهذا ما يُعرضهم للإشاعات التي يبتها رجال الإرساليات التصيرية، والاتهامات التي يُلقونها، والأراجيف التي يُروجونها، إضافة إلى الحرب التي يجنونها من الدول الكبرى، ومن أعوانها المتسلطين على البلاد. وهذا بين الحركات الإسلامية وبين نأدية دورها وبين الدعوة وأداء مهمتهم في

التوعية وإنقاذ الناس من برائن تلك الجماعات. فالصراع بين التصاري المتمثلين بالإرساليات التصيرية بإمكاناتها الضخمة رغم قلة التصاري وبين الحركات الإسلامية والدعاة من أهل العلم مع مكائهم، ومع إبلاية الشعب.

الصراع الحزبي:

برز حزب رابطة عوامي عندما ظهرت دولة بنغالديش، وألت إليه السلطة، فاستبد بالحكم، وأخذ يضرب خصومه، ولم بلغ النشاط الحزبي في البلاد، وإنما أبقاه ليعرف خصومه، وقادتهم، ولكن وجه غمزه الأولى على الجماعة الإسلامية بصفتها أنشط الحركات الإسلامية، ولخصومه وعداوته هو وحزبه للإسلام.

ظهرت المعارضة من رفاق الحزب السابقين الذين يتفقون معه بالنهج الشيوعي، وقاد هذه المعارضة عبدالحميد خان بها شافي الشيوعي العوامي للذين وزعيم حزب عوامي الوطني، فطالب الحكم بتشكيل ائتلاف وطني يضم أصحاب الفكر الماركسي، وقيام حكومة وطنية تشمل أحزاب الائتلاف، وإجراء انتخابات جديدة غير أن مجيب الرحمن رفض كلياً، وأصر على أن الحكومة يجب أن تلتصق بأعضاء حزب رابطة عوامي الذين تم انتخابهم في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م). فقامت المعارضة بمظاهرات قادها عبدالحميد خان بها شافي. وعندما أخذ مجيب الرحمن يصفي رفاقه.

قام الانقلاب على حزب رابطة عوامي، ولم تعلم أمريكا بالانقلاب، وعمل قادته على الابتعاد عن روسيا والهند. وتشكل حزب الرابطة الديمقراطية لبوالي الحكم القائم والرئيس مشتاق أحمد.

قام انقلاب ليدعم الموالاة للهند، ولكن لم يلبث سوى أربعة أيام، حيث قام انقلاب مضاد، وسمح للأحزاب بالنشاط، ولم يلبث أن استبد ضياء الرحمن بالسلطة. وشكل حزب بنغالديش الوطني ليدعمه بالحكم، وكان كلما اشتدت عليه المعارضة حطر النشاط الحزبي، فإذا شعر بضعف المعارضة سمح للأحزاب بمزاولة نشاطها. وكانت المعارضة تشمل في

حزب الرابطة الديمقراطية، وحزب بنغالديش الشيوعي، والحزب الموالي للهند.

اطيح بحكم ضياء الرحمن وقتل، فتولت زعامة حزب بنغالديش الوطني أرملة خالدة ضياء بعد وفاة الرئيس عبدالستار محمد صايم. واستبد حسين محمد إرشاد بالحكم، وأخذت المعارضة تقوى، وتمثلت في:

أ - تحالف ضم خمسة عشر حزباً برئاسة جناح من حزب رابطة عوامي بزعامة حسنة واجد ابنة مجيب الرحمن.

ب - تحالف ضم سبعة أحزاب برئاسة جناح من حزب بنغالديش الوطني بزعامة خالدة ضياء أرملة ضياء الرحمن.

ثم شكّل التحالفان جبهة مؤتلفة واحدة للمعارضة عُرفت باسم: «الحركة نحو استعادة الديمقراطية». أما الرئيس حسين محمد إرشاد فقد أسس حزب الشعب ليسانده بالحكم، وكان الصراع عتيفاً بين الطرفين. وازدادت المعارضة حتى شملت الأحزاب الصغيرة، والتنظيمات الاجتماعية، والثقافية وبلغ عدد التنظيمات المشاركة بالمعارضة ستة وسبعين تنظيمًا.

وبالمقابل فقد شكّل الرئيس حسين محمد إرشاد تحالفاً ضم خمسة أحزاب وهي: حزب الشعب، حزب الشعب المتحد، رابطة مسلمي بنغالديش، والجناح المنشق من حزب بنغالديش الوطني برئاسة عيد الرحمن، وحزب «الفونونانترك»، وعرف هذا التحالف باسم «الجبهة الوطنية»، وكانت هذه الجبهة تساند الحكم.

وكانت المعارضة تقوم بمظاهرات، وتتقدم بمطالب، وأما الحكومة فتتخذ وسائل حظر النشاط على الأحزاب، أو تراوغ بتفديد بعض المطالب، أو تعد الوعود، ولا تنجز الموعد.

وكانت هناك أحزاب أخرى تلعب دوراً في السياسة العامة مثل: الحزب الاشتراكي الوطني (ساماجتانتريك)، وحزب بنغالديش الشيوعي، وحزب (ج، س، د) الموالي للهند.

وأما التنظيمات الإسلامية فأهمها: الجماعة الإسلامية التي تزاول نشاطها تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية البنغالية، وتصدر الجماعة جريدة يومية تحمل اسم «الجهاد» ومجلة أسبوعية، وأخرى شهيرة تحمل الاسم نفسه، وتشرّف كذلك على المركز الإسلامي الذي تلقى فيه محاضرات، وتدار فيه المناقشات.

وهناك المؤسسة الإسلامية، وأهل الحديث، وجماعة التبليغ..

وبدأت الإرساليات التنصيرية تلعب دوراً كبيراً نتيجة الجهل، والفسر، ونتيجة الإمكانيات الضخمة التي تملكها الإرساليات، والدعم الكبير الذي تلقاه من الدول الكبرى، فتكون عوناً صليبيّاً استعمارياً لتلك الدول، وحرية لها لضرب الإسلام، ومحاولة تنصير أبنائه، أو إفسادهم على الأقل.

مجموعه من الدول المتكاتفه
للمقاومه المشتركه

الباب السادس

جُمْهُورِيَّة المَالْدِيْف

www.alkottob.com

لمحة عن تاريخ المالديف قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى جزر المالديف عن طريق التجارة وذلك حوالي عام ١٨٩ هـ، وانطلق الدعوة إليها حتى عمّ فيها، وفي عام ٥٤٨ هـ أسلم السلطان، واعتنق السكان كافة الديانة الإسلامية.

وجاء الاستعمار الصليبي فعرّف البرتغاليون جزر المالديف عام ٩١٣ هـ، وأغاروا عليها عام ٩٦١ هـ، وبعد أن احتلّوها اتخلّوا منها قاعدةً، وربطوها بمستعمرة «شوا» في غربي الهند.

زال الاستعمار الصليبي البرتغالي عن المالديف عام ٩٨١ هـ، كما زال عن كثيرٍ من المناطق التي سيطر عليها بسب قلة عدد البرتغاليين مع سعة القلاع التي استعمروها، وللسياسة التي اتبعتها دولتهم في امتصاص دماء الشعوب التي سيطروا عليها، ولأنهم كانوا يكتفون باحتلال مراكز لهم على السواحل لتأمين سيطرتهم وضمان أخذ خيرات البلاد، وأخيراً زالت دولتهم باحتلال إسبانيا لأرضهم مما قضى على امبراطوريتهم التي أسسوها. كما أن ظهور مستعمرين صليبيين آخرين منافسين لهم كان له دور كبير في زوال سلطانهم، واندحارهم أمام المنافسة. وفي هذه المدة من الحكم البرتغالي كانت الجزر تدفع قسريةً سنويةً إلى مستعمرة «شوا».

وسيطر الهولنديون في القرن الحادي عشر الهجري (١٠٦٩ هـ) على جزيرة سيلان، وحلّوا محل البرتغاليين، ففقدوا معاهدة مع سلطان

المالديف، وصارت الضريبة تدفع لحكام سيلان الهولنديين حيث كانت الجزر تحت حمايتهم.

ضعفت السلطة الاستعمارية الهولندية، وخرجت كثير من المناطق من قبضتهم، وأخذت تستقل عنهم، ومن هذه البلاد جزر المالديف. ولكن جاءتها غزوة قادمة من مليبار (ساحل الهند الغربي) فأخضعوها لحكمهم عام ١١٦٦ هـ، غير أن حكم المليباريين لها لم يزد على السبع سنوات حيث خرجوا منها، وعاد إليها استقلالها.

حلَّ الإنكليز محلَّ الهولنديين في سيلان، فكانوا على مقربة منها، فاستغلُّوا وجود بعض الفلالق فيها عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) فدخلوا بالأمر، وفرضوا على السلطان معاهدة اعترف فيها بسيادة بريطانيا، وتعهدت بعدم الدخول في مفاوضات أو معاهدات مع أي دولة أجنبية أخرى إلا عن طريق حاكم سيلان البريطاني، ووافقت الحكومة البريطانية على حماية هذه الجزر من أي اعتداء خارجي، ولكنها تعهدت في الوقت نفسه ألا تتدخل في شؤون المالديف الداخلية.

استمرت الكلترا صاحبة النفوذ في المالديف. وألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وإنكلترا تتحكم في شؤون تلك الجزر الضعيفة اقتصادياً لقلة مواردها، والضعيفة عسكرياً لقلة سكانها، ولبعدتها عن إخوانها في العالم الإسلامي، وهذا ما يلزمها على التبعية والخضوع لآية قوة تهددها، أو لأي استعمار يريد أن يعتدي عليها، ويجعل من أراضيها قواعد له يستخدمها لمصلحته، ومن خيراتها منقعة له، ومن سكانها سوقاً استهلاكية لمنتجاته.

المالديف بعد إلغاء الخلافة

بقيت المالديف بعد إلغاء الخلافة تدور في فلك السياسة البريطانية صاحبة النفوذ فيها، ولا يمكنها غير ذلك لتضعها، ولجهل المسلمين الذين لا يكادون يعرفون شيئاً عنها.

أقامت الحكومة البريطانية قاعدة جوية لها في جزيرة (جان) أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب حصلت المالديف على استقلالها الذاتي، وذلك أنها كانت ترتبط بجزيرة سيلان التي حصلت على استقلالها عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وعندما تم عقد اتفاق جديد بين الحكومة البريطانية وبين جزر المالديف، ظلت بموجب جزر المالديف تحت الحماية البريطانية، وتعهدت إنكلترا بتسيير شؤون المالديف الخارجية، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية، وأعطيت القوات الإنكليزية تسهيلات في الجزر من أجل الدفاع عنها أو عن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، ثم جُدد هذا الاتفاق عام ١٣٧٣ هـ.

أعلنت الجمهورية في المالديف في ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ (كانون الثاني ١٩٥٣ م) بعد أن ألغيت السلطة في العام نفسه، وانتخب محمد أمين مديري أول رئيس للجمهورية.

طرح موضوع رئاسة الجمهورية على الجمعية الوطنية التي صوتت إلى جانب إعادة السلطة، ولم يعمر العام بعد، ونُصّب محمد فريد مديري سلطاناً على المالديف في جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ (شباط ١٩٥٤ م).

وهو ابن عم رئيس الجمهورية محمد أمين ديني، وتسلم رئاسة الوزارة
إبراهيم ناصر.

حدثت معارضة شديدة بين جموع المسلمين على الاتفاق الذي وقّع
بين حكومة المالديف والحكومة البريطانية والذي يقضي بالسماح لبريطانيا
بإعادة بناء قاعدتها الجوية في جزيرة (جان) في أقصى مجموعة للجزر
الجنوبية التي هي مجموعة أدو، غير أن البريطانيين قد حرضوا سكان
الجنوب على إعلان استقلالهم عن حكومة المالديف المركزية وذلك عام
١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م).

قامت عام ١٣٨٠ هـ حركة تمرد في الجزر الجنوبية، غير أن قوات
الحكومة المركزية قد استطاعت القضاء على حركة التمرد بسهولة.
واضطرت الحكومة أن تحثي، وتساير السياسة البريطانية، وتجدد الاتفاقية
معها.

استقلت جزر المالديف في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ (٢٦ تموز
١٩٦٥ م)، وخرجت أيضاً من عضوية رابطة الشعوب البريطانية
(الكومنولث).

بقيت المالديف خاضعةً للحماية البريطانية لمدة ٧٨ عاماً، ولكن كانت
هذه الحماية من نوع خاص متميز عن أنواع الحماية المعروفة، حيث لم
يكن لبريطانيا في يوم من الأيام حاكم، ولا مندوب سام، ولا أي مسؤول
آخر من يمارس السلطة الفعلية، وإنما كان على رأس السلطة رسمياً سلطان
منتخب، وهو صاحب الأمر والنهي، فالحماية لم تكن إلا نوعاً من التبعية
القانونية التي حدثت من تعاملها مع الدول الأخرى.

وكانت جزر المالديف عضواً في حلف كولومبو منذ عام ١٣٨٣ هـ
(١٩٦٣ م).

الاستقلال

تقع جمهورية المالديف على بعد ٦٥٠ كيلومتراً من الشاطئ الغربي
لسيلان، وتشغل في المحيط الهندي مساحة طولها ثمانمائة كيلومتر،
وعرضها في أوسع الأماكن مائة وخمسة عشر كيلومتراً. وتتألف من ١٠٨٧
جزيرة منها مائتا جزيرة مأهولة بالسكان، وبقية الجزر خالية، يستغل بعضها
في إنتاج المحاصيل الزراعية والأخشاب، وبعضها في السياحة، وهذه
الجزر وعلية مرجانية لا توجد فيها جبال، ولا أنهار، إلا بحيرات عذبة في
بعض الجزر، والجزر صغيرة بصفة عامة فأكبرها لا يزيد طوله على اثني
عشر كيلومتراً، ولا يتجاوز عرضها خمسة كيلومترات.

وتنقسم جمهورية المالديف طبيعياً إلى ثلاث عشرة مجموعة تفصل
بينها بحار، وتنقسم الجمهورية إدارياً إلى تسع عشرة مجموعة، وعلى رأس
كل مجموعة حاكم أو محافظ، تُعين من قبل الحكومة، يُدير شؤونها.

وعاصمة جمهورية المالديف جزيرة أو مدينة «مالي»، ويقع أمامها
الميناء الرئيسي، ولكن المطار يقع على جزيرة «هولولي» التي تبعد ثلاثة
كيلومترات عن جزيرة «مالي».

والمناخ استوائي، رطب، معتدل.

ويبلغ عدد السكان ما يزيد على مائة وخمسين ألف إنسان، وجميعهم
من المسلمين، وعلى مذهب الإمام الشافعي. ويعودون في أصولهم إلى

١ - إبراهيم ناصر:

انتهى حكم الملك محمد فريد الأول بعد حكم دام أربعة عشر عاماً، ولكن مع الاحتفاظ بمكانته. وتسلم إبراهيم ناصر منصب رئاسة الجمهورية.

وتتركز السلطات في يد مجلس الوزراء الذي يضح السياسة العامة للدولة، ويأشر تنفيذها، ويرأس هذا المجلس رئيس الجمهورية، ومجلس الوزراء مسؤول أمام مجلس الشعب، الذي يتولى السلطة التشريعية، ويتألف هذا المجلس من خمسين عضواً يتم انتخابهم لمدة خمس سنوات.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) قررت الحكومة البريطانية إقالة قاعدة (جان) الجوية، وجلاء القوات من جمهورية المالديف، وهذا ما أتى إلى وجود مشكلة اقتصادية، وانشقاق في القوات العسكرية.

وفي شوال ١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م) عرفت روسيا استرجار جزيرة (جان) بمليون دولار سنوياً، ولكن الرئيس إبراهيم ناصر رفض ذلك، وقال: إنه لا يجوز الجزيرة لأغراض عسكرية أو لقوة كبيرة.

كان الرئيس المالديفي إبراهيم ناصر قد عزل رئيس الوزراء أحمد زكي، وألغى منصب رئاسة الوزراء عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، وأعلن أنه لن يترشح نفسه لإعادة انتخابه في نهاية مدته الثانية عام (١٩٧٨ م).

وفي ٢١ شعبان ١٣٩٨ هـ (٢٦ تموز ١٩٧٨ م) جرى الانتخاب ولم يترشح الرئيس إبراهيم ناصر نفسه فعلاً، واختار المجلس وزير المواصلات مأمون عبدالقيوم لمنصب رئاسة الجمهورية.

٢ - مأمون عبدالقيوم:

تسلم مهمة منصب الرئاسة بانتهاء مدة الرئيس السابق إبراهيم ناصر في ١١ ذي الحجة عام ١٣٩٨ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٧٨ م)، وأعلن

مزيج من الشعوب، وإن كان هناك تشابه بينهم وبين سكان سيلان، واحتلظ سكان جزر الشمال مع سكان جنوب غربي الهند، واحتلظ سكان الجزر الوسطى مع العرب القادمين من جزيرة العرب، ومن شرقي إفريقيا، وخاصة من جزيرة زنجبار، أما سكان الجزر الجنوبية فكان احتلاطهم قليلاً لذلك فهم أقرب ما يكون الشبه بينهم وبين سكان جزيرة سيلان.

واللغة هي المالديفية، وترجع في أصولها إلى السنسكريتية والبالية. غير أنها الآن خاصة، وقد تأثرت بلغة «الأوردو» و«الهندية» و«العربية» و«الفارسية».

استقلت جزر المالديف في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ (٢٦ تموز ١٩٦٥ م)، وانضمت إلى الأمم المتحدة بعد شهرين من استقلالها، وأصبحت العضو رقم ١١٧ فيها.

تبلغ مساحة جمهورية المالديف ١٩٨ كيلومتراً مربعاً فقط أي ما يزيد قليلاً على نصف مساحة دولة البحرين، فتكون الكثافة ٣٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة مرتفعة نسبياً يمكن مقارنتها مع الكثافة في منطقة آسيا الموسمية، بل تعد هذه الجزر جزءاً منها، ويزيد السكان في كل عام حوالي ألفين وثلاثمائة شخص.

وسمح لبريطانيا بتحديد قاعدتها الجوية في جزيرة (جان).

جرى استفتاء شعبي بعد ثلاث سنوات من الاستقلال فوافق الشعب على إقامة النظام الجمهوري في الحكم، كبديل لنظام السلطنة التي كان قائماً، وأعلن النظام الجمهوري في ٢٠ شعبان ١٣٨٨ هـ (١١ تشرين الثاني عام ١٩٦٨ م)، وتسلم إبراهيم ناصر رئاسة الجمهورية، وكان من قبل يشغل منصب رئاسة الوزراء منذ عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م).

كانت البلاد تعرف من قبل باسم جزر المالديف، واستمر ذلك حتى مطلع عام ١٣٨٩ هـ (نيسان ١٩٦٩ م) حيث أطلق عليها اسم «جمهورية المالديف».

أن مهمته الرئيسية سوف تكون تطوير المناطق الريفية الفقيرة، وسيستمر في سياسته الخارجية على السياسة القائمة بعدم الانحياز.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٠ هـ (مطلع عام ١٩٨٠ م) جرت محاولة انقلاب وتقوم على اغتيال رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته، واتهم فيها الرئيس السابق إبراهيم ناصر الذي كان قد غادر في اليوم الذي انتهت فيه مدة رئاسته، واتجه إلى ستغافورة حيث أقام هناك، واستدعي من قبل المسؤولين في جمهورية المالديف للحضور إلى بلاده للإجابة حول بعض التساؤلات التي تتعلق باختلاس موارد الدولة، فليس، وطلب من حكومة ستغافورة اعتباره لاحقاً سياسياً فوافقت على طلبه، وفي يعيش هناك، فلما جرت محاولة الانقلاب هذه، واتهم فيها أنكر ذلك، وامتنع عن القدوم أيضاً، وبعد سنتين من المحاكمات، وفي جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ (نيسان ١٩٨١ م) صدر الحكم على أحمد نسيم نسيب الرئيس السابق إبراهيم ناصر، ووزير الأسماك السابق بالسجن المؤبد بتهمة التآمر للإطاحة بنظام الحكم القائم، وأعلن إبراهيم ناصر أنه ليس له أي دخل في تلك المؤامرة، ومن طرف آخر جرت محاولة للاعتداء عليه لإخراجه من ستغافورة ولكنها فشلت.

وجرت محاولة ثانية للإطاحة بالرئيس منأمون عبدالقيوم عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ولكنها فشلت، وكانت أصابع الاتهام أيضاً تشير إلى الرئيس السابق.

وجرى استفتاء شعبي على الرئاسة في شهر ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) فنجح منأمون عبدالقيوم، وحصل على ٩٥.٦٪ من الأصوات، فاستمرت رئاسته.

وجرى استفتاء شعبي آخر على إعادة انتخابه للمرة الثالثة لمدة خمسة سنوات جديدة في مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) وحصل على ٩٦.٤٪ من الأصوات، وتجددت بذلك رئاسته الثالثة، ولكن لم يلبث أن

جرت محاولة انقلاب أيضاً وذلك في ٢٤ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٨٨ م) حيث نزلت قوة بحرية من المرتزقة مؤلفة من مائة وخمسين من عناصر الناصيل السيريلانكيين بإمرة أحمد رجال الأعمال المالديفي المدعو «عبدالله لطفى»، وقد نزلوا في جزيرة «مالي» العاصمة وحاولوا الاستيلاء على الدوائر الحكومية المهمة. لطلب الرئيس منأمون عبدالقيوم من الحكومة الهندية مساعدته فأرسلت ألف وستمائة رجل من فرقة الطوارئ، وقضت على محاولة الإطاحة بالحكومة، وذهب ضحية ذلك عشرون قتيلاً. وقد أشارت عدة مصادر على وجود صلة بين رأس المحاولة «عبدالله لطفى» وبين الرئيس المالديفي السابق إبراهيم ناصر الذي أنكر بشدة صلة بذلك المحاولة الفاشلة. وأعلنت الحكومة المالديفية أن القوة الهندية ستبقى في البلاد حتى يتم إلقاء القبض على جميع الذين اشتركوا بمحاولة الانقلاب.

وفي شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) أمر الرئيس المالديفي بالحكم المؤبد على اثني عشر رجلاً من سيرلانكا وأربعة من المالديف من ذلك اشتركوا بمحاولة الانقلاب.

وفي الثاني من شهر ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (الأول من تشرين الثاني ١٩٨٩ م) سحبت الحكومة الهندية مائة وستين من قوة الطوارئ الموجودة في المالديف.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) عقدت اللجنة الهندية - المالديفية اجتماعات في سبيل التعاون الاقتصادي والتفني، وأهم نقطة بحث كانت في تلك اللقاءات إمكانية إلغاء تأشيرة الدخول بين البلدين.

وأصبحت المالديف عضواً في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في رمضان من عام ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م).

وهي كذلك عضو مؤسس في منظمة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي (ساراك) في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م).

الفهرس

المراجع

الصفحة	الموضوع
٤	مقدمة
٩	لمحة عن الهند قبل إلغاء الخلافة
١٢	أيام الراشدين
١٣	أيام الدولة الأموية
١٦	أيام الدولة العباسية
١٨	في العهد المملوكي
٢٥	في العهد العثماني
٢٥	الدولة التيمورية
٢٦	الاستعمار
٢٧	السياسة الاستعمارية
٢٩	الثورة
٣٥	الباب الأول: الهند من إلغاء الخلافة حتى التقسيم
٤٣	الفصل الأول: الصراع في الهند
٥٤	الفصل الثاني: التقسيم
٨٧	الباب الثاني: ولاية كشمير
٨٩	تعريف
٩٢	لمحة تاريخية
٩٦	الفصل الأول: بعد إلغاء الخلافة
٩٨	الاحتلال الهندي

- تقويم البلدان الإسلامية: الأمانة العامة لمؤتمر العالم الإسلامي - باكستان - كراتشي ١٩٦٤ م.
- تقويم العالم الإسلامي: جمعية الدراسات الإسلامية - القاهرة ١٩٧٠ م.
- قساعات العالم الإسلامي: مصطفى مؤمن - دار الفتح - بيروت ١٩٧٤ م.
- القاموس السياسي: أحمد عطية الله - دار النهضة العربية - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م.
- كشمير المسلمة نتايتكم: أليف الدين الترابي - الجماعة الإسلامية في كشمير ١٩٩١ م.
- ماذا خسّر العالم بالاحتفاظ المسلمين: أبو الحسن علي الحسيني الندوي - إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر.
- محمد علي جناح: إحسان حقفي - دار الفكر - دمشق - ١٤٠٧ هـ.
- باكستان: شريف الدين بيرزاده - ترجمة عادل الصلاحي - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة ١٩٦٩ م.

الصفحة	الموضوع
180	وقف القتال
182	سقوط يحيى خان
183	الفصل الثالث: الصراع الداخلي
184	الصراع الإقليمي
185	الصراع العقائدي
186	الصراع الحزبي
191	الباب الرابع: باكستان
193	1 - ذو الفقار علي بوتو
195	اتفاقية سيلا
198	اشتداد المعارضة
199	2 - ضياء الحق
202	سياسة ضياء الحق
204	المعارضة الخارجية
206	المعارضة الداخلية
210	انقلاب جديد
212	مقتل ضياء الحق
215	3 - غلام إسحاق خان
221	الفصل الثاني: الصراعات الداخلية
221	الصراع الإقليمي
223	الصراع العقائدي
226	الصراع الحزبي
229	الباب الخامس: بنغالديش
235	1 - مجيب الرحمن
236	2 - مشتاق أحمد
237	3 - خالد مشرف
237	4 - عبدالستار محمد صابم

الصفحة	الموضوع
106	القصل الثاني: سياسة الاستعمار الهندوسي في كشمير
116	القصل الثالث: الصراع الداخلي
123	الباب الثالث: باكستان الكبرى
125	القصل الأول: باكستان إحدى دول الديمقراطيين
125	محمد علي جناح
130	الخوجا نظام الدين
132	غلام محمد
134	الفصل الثاني: الاستقلال
135	اسكندر مرزا
135	أبوب خان
142	مؤتمر طاشقند
147	المعارضة
154	يحيى خان
161	الانتخابات العامة
163	باكستان الشرقية
164	باكستان الغربية
166	موقف الدول
166	الهند
167	الصين
168	روسيا
169	الولايات المتحدة الأمريكية
170	إنكثرا
171	الأحداث
173	الحرب
175	الجهة الشرقية
179	الجهة الغربية

التبليغ الإسلامي

- ٢٠ -

التبليغ المعاصر

جنوب مشرق آسيا
ماليزيا واندونيسيا

محمود شاكر

الكتب الإسلامية

الصفحة

الموضوع

٢٣٨	٥ - قيام الرحمن
٢٤١	٦ - عبدالستار محمد صام
٢٤١	٧ - حسين محمد إرشاد
٢٥٢	الفصل الثاني:
٢٥٢	الصراع الداخلي
٢٥٣	الصراع الإقليمي
٢٥٥	الصراع العنصري
٢٥٧	الصراع العقائدي
٢٦١	الصراع الحزبي
٢٦٥	الباب السادس: جمهورية المالديف
٢٦٧	لمحة عن المالديف قبل إلغاء الخلافة
٢٦٩	المالديف بعد إلغاء الخلافة
٢٧١	الاستقلال
٢٧٢	إبراهيم ناصر
٢٧٣	مامون عبدالقيوم
٢٧٦	المراجع
٢٧٧	الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد بن عبدالله إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، ومن
سار على قدره إلى يوم الدين آمين:

فإن جنوب شرقي آسيا هو المنطقة الأنموذجية التي انتشر فيها الإسلام
حتى عم، ولم تطلق إليها سرية، ولم ترتفع نحوها راية للجهاد، ولم تسر
إليها كتيبة، ولم يتقدم إليها جيش فتح، وإنما انتشر الإسلام عن طريق
التجارة أو في الحقيقة عن طريق حسن المعاملة، ومكارم الأخلاق، واحترام
المبادئ، وتقدير القيم، وأدب التصرف. لقد أعجب السكان بهذه القيم
فتمثلوها، وبهرتهم الأفكار فقبلوها، فوجدوا أنفسهم مسلمين.

لقد فتح سكان جنوب شرقي آسيا صدورهم للإسلام قبل أن يفتحوا
أفئدتهم إليه، ورحبت به قلوبهم قبل أن تُرحب به ألسنتهم، واستقبلته
أنفسهم قبل أن تستقبله أجسامهم، لقد ترنموا بروية الحرية تُغنى، وطربوا
لمشاهدة المساواة تُطبق، وتعشقوا العدل لوجوده أمامهم، وتغنوا بالنظام
فراوه مُتمثلًا بهؤلاء القادمين من التجار، وحلموا بالمحبة بين الناس
فشاهدوها حيةً بين الوافدين إليهم حيث يحب بعضهم بعضاً، ويحبون
الأخرين لذلك يدعونهم لهذه المبادئ، ويتمنون لهم الخير، ويرغبون أن
يكونوا مثلهم، وهذا غاية الكمال أن ترشد للأخرين ما تريد لنفسك،
فتدعوهم ليكونوا مثلك، وهل يرغب المرء لنفسه إلا أن يكون في القمة،

رغب أعالي سكان جنوب شرقي آسيا هذا كله، وراوه، فأقبلوا عليه فوجدوا أنفسهم مسلمين.

لقد صار أهل تلك المناطق مسلمين أو أصبحوا أرقى وأرفع مما كانوا، كانوا يطلبون الحرية فلا يجدونها وإنما يجدون قوياً يستبدّ، وطاغية يتسلط، وعزيراً يتصرف، وليس من أحد يستطيع أن يقول كلمة يُدافع فيها عن ماله، أو عرضه، أو شخصه، وأحسوا الآن أنهم قد ولدوا من جديد، ليسوا بحاجة إلى دفاع بل إلى قول، فالملك مؤمن، والعرش مُصان، والشخص مُكْرَم، فلا مجال لسطح فاندفعوا نحو العمل فكان الإنتاج، وكانت الحضارة.

كانوا يرغبون بالمساواة ولكن أنى لهم بها، وقد كان هناك سادة فلا يساويهم أحد، وكان هناك كهنة فلا يصل لمستواهم فرد، وهؤلاء وأولئك يرمون مسلمين في أعراس الأسمين، ويتصرفون في الأمة مُبَدِّرين، ويعيشون في أجساد الآخرين لاعبين فمن يُعادلهم، وهم من غير طينة البشر إنهم الرؤوس وغيرهم الأقدام، وشعر السكان الآن أنهم في عالم آخر: الناس كلهم سواء كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لغني على فقير ولا لثري على مرؤوس إلا بالقوى، والقوى هي طاعة الله، والخوف منه، وتكون بتطبيق أوامره، واجتتاب نواهيه، ومن أوامره إعمار الأرض ومحبة الآخرين، وتقديم الخير للناس، فكان إعمار الأرض، وكان الإنتاج، وكانت محبة الآخرين، وكان التعاون، وكان الإخلاص فكانت الوفرة، وكان الخير، وكانت الحضارة.

كانوا يرغبون بالعدل ولا يحسبون به فالرأس من طبقه ولا يُحكم عليه، والسيد من أسره ولا يُؤخذ، والغني من فته ولا يُعامل كالآخرين، والمزارع من طبقه ومحكوم، وابن الصانع من أسره ومُؤاخذ مباشرة، والغني يستخدم غيره ويأمر، والفقير من فته ومستخدم ومأمور، أما الآن وقد أصبحوا مسلمين، واقتدوا بمن رأوا فقد أصبحوا في وضع آخر، ابن رأس

السلطة وابن الخادم عنده في مستوى واحد، يُحكم له وعليه، والسيد والعد في وضع واحد يُؤخذ له ومنه، والغني والفقير المعتمد على صعيد واحد، كل في عمله مأمور، ووزنه فيما يُحسن ومن استعذبتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. وكان الشعور بالمسؤولية، وكان الإحساس بالمكانة وكان الإقدام على العمل، وكان العطاء، وكانت الحضارة.

كانوا يحبون النظام، ولكن لا يمكنهم تطبيقه، فالكبير يتجاوزوه، والصغير يُطعن عليه، الرئيس يخترقه، والمرؤوس يُطعن عليه، الغني لا يهتم به، والفقير مُكَلَّف بالحفاظ عليه، فأصبح كل يتهزّب منه، ويعمل على تجاوزه حتى عمت الفوضى، واختل كل أمر، وجاء الإسلام، واختلف الأمر، وتبين الوضع، فالتاس كلهم ضمن النظام لا يخترقه إلا شاذ، ولا يتجاوزوه مُكَلَّف، تبدو معاملة في صفوف الصلاة، والافتداء بإمام واحد، والركوع والسجود معاً، لا يُسبق الإمام أحد، ولا يتأخر عنه فرد، وتبدو معاملة في الصيام في الإفطار بلحظة واحدة، والإسكاف كذلك، والامتناع عن كل شيء يدخل إلى الجوف، وتبدو معاملة في الزكاة، ومضي الحول على المال، والنسبة التي يؤذيها المسلم، وتبدو معاملة في الحج، في الإحرام، والطواف، والسعي، والرمي لا تجد مخالفة في اتجاه سير، ولا نقصاً في عدد الأشواط، أو الجمرات، بل وفي كل حركة. وهذا شأن كل مُكَلَّف بغض النظر عن الأنساب، والغنى، والمنصب، والمكانة، وطول الأجسام، واختلاف الألوان، وتبين الأجناس، وبالأساس لا توجد طبقات في المجتمع المسلم. هذا النظام الذي ساد قضي على الفوضى، وحث على الإنقاذ، والدقة، والتقيّد بالموعد، الذي هو أيضاً من صفات المسلم، وكان العمل المتقن، والإنتاج الدقيق، وكان الإبداع، وكانت الحضارة.

كان سكان جنوب شرقي آسيا يحبون أن تعمّ العودة والمحبة بينهم وأن يسود الوثام بين أفرادهم، ولكن لم يجدوا إلى ذلك سبلاً، فالقوي يأكل الضعيف فيكون الحقد من المأكول، وصاحب المكانة يدوس على

السيط، وتكون الضغائن عند المُداس، والغني يريد أن يستعيد الفطير، وتكون الحسرة عند من لا مال له، ورأس السلطة وحاشيته، والكهنة وأتباعهم فوق بقية الشعب يُسَخَّرُونَهُمْ، ويخذلونهم عطياً، ويريدون أن يتصرفوا بهم حسب أهوائهم ووفق شهواتهم، وهكذا يشعر المرء أنه يعيش بين ذئاب تنهشه وأنياب تريد أن تُمزقه، وتكون الإحزن، ويتولد الحقد، وتُشحن النفوس بالضغائن، فلما عمَّ الإسلام انتهى هذا كله، وأقبل الناس يُطغون هذه التعاليم الجديدة بكل سرور وبهجة، كالإنسان الذي حصل على أمنية كان يحلم بها دائماً ويتأناها، ويشعر أن فيها سعاده، وفيها راحت، فعمت المحبة، وساد الوئام والألفة، وعمَّت النظام، وشاع العدل، وعُرفت المساواة، وانتشرت الحرية، وكانت الحضارة.

أحسَّ سكان جنوب شرقي آسيا بعد انتشار الإسلام أنهم يعيشون في كنف الإنسانية، وبدأوا يشعرون بأدعيتهم، فقد انطلقوا من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الهمجية إلى الإنسانية، ومن البداية إلى الرقي والحضارة، وأن هذه النقلة العظيمة إنما كانت نتيجة العظيمة الجديدة التي أمروا بها، واتبعوا مبادئها.

هذا ما قدَّمه الإسلام لسكان هذه المنطقة، ولغيرها ممن اتبعه، وهذه هي الحضارة: حرية، ومساواة، وعدل، ونظام، ومحبة، إنها مبادئ عظيمة وأمر معنوية ترفي بالنفس البشرية فتدفعها للعمل والإنتاج، وتسمو بها فتحملها للتفكير والإبداع، وترتفع بها فتجعلها تحسُّ بواجب الأخوة والالتزام للأمة الإسلامية، والحب لكل فردٍ منها كما يحب المرء لنفسه ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذه هي الحضارة والأزدياق، وهذه هي بذرة السمو، وغرسة الاختراع.

فالحضارة اصطلاح معنوي تنمو وتشرعخ بمقومات العدل، والمساواة، والحرية، والمحبة، والنظام، وتُورق، وتنفُخ أعضائها، وتزهو، وتُشر أشياء مادية، وإذا تعهدتها بالفكر، ورعايتها بالعلم والتجربة أنتجت،

واعطت الابتكارات، ومختلف الاختراعات، ومع استمرار الرعاية والتعهد يستمر المعطاء، ويكون التطور العلمي، وتقدم التجربة والابتكار.

وقبل أن يشتدَّ عود حضارة الإسلام في جنوب شرقي آسيا، وبدأ غيرها المعطاء جاءها سيل جارف من البحر دفعته أوربا إليها، وإن لم يستطع اختلاص جذورها إلا أنه كثر أعضائها بالقهر، ومنع عنها السقاية بالظلم فجفت أوراقها وذبلت، ثم أخذت تتساقط، وحاول اجتثاثها بالقوة فلم يتحكَّن، فكُلِّف المزارعين والمشرفين على السنة باستمرار اتباع سياسة الظم حتى تموت الجذور، وفي يتابع أولئك المزارعين والمشرفين فإذا تساهل أحدهم يتابع تلك السياسة أو أخذته الشفقة على زرعه والرحمة على شجره طرد من حقله، أو دفن في أرضه.

وهكذا يبقى الزرع جافاً ذابلاً، والشجر أصفر تتساقط أوراقه وتموت أعضائه، ويطلب السقاية والرعاية، ويحتاج إلى الماء لتعود إليه الحياة من جديد فجذوره ضاربة في الأرض حية، وسوقه باسقة فيها آثار رطوبة، ودلائل نُضرة، ولكن يحول المزارعون دون الري، والحراس من أعلى يمسكون العصا يهشون بها، ويخيفون من يُفكر بالري.

ويشع الحراس أن هذا التبول من الإسلام، فهذا أردتم النضرة، ودعوة الخضرة فعليكم بترك ما كان سبب الجفاف وتراجع النمو، وإنا نحرص ونستعمل كافة الأسباب من أسمدةٍ ومُشَطَّباتٍ ولكن دون فائدة لوجود الإسلام. لقد استعملوا الروث الحيواني كسماذٍ دون السماح بالري فأناروا الشهوة الحيوانية لدى فريقي فادعوا النمو والتطور، وأعلنوا أن هذا حضارة ومن الحضارة.

وأعد الحراس ينجرون من الاقصال اليابسة أسلحةً يضعونها بأيدي المزارعين ليحموا سياتتهم من أهلها، وليضربوا بها أي مزارعٍ إن شُدَّ،

ولستعملها المزارعون بعضهم ضد بعض لتأديب من جمع، وإعادته إلى حظيره أو استداله باخر، وأثناء عملية التجارة ظهرت معهم طباقاً الأشتاب فاستعملت للتدفق والإزالة، وهكذا كان من التجارة وسائل بناء وإفادة ووسائل حرب وتدمير وهدم كليهما حضارة.

وشغل الحرّاس الأهالي بالفقر والرقص والنساء وسموه فتاً، وبالتفكّت والعري وعتوه تقذماً، وبالفساد والمهر ووصفوه حربة وحفاً، واليهوم باللعب وقذف الطابة وسموه نظوراً، وعلموهم الكذب في وسائل الإعلام، وتغيير الحقائق، والتجنس وقالوا عه ذكاة وبراعة، وأعطوا هذا كله اسم حضارة، واتخذوا هذا جميعاً ليعتدوا الناس عن التفكير بماضيهم المشرق والحضارة الحقيقية التي كانوا يعيشون في ظلها، وعرفوا آثارها ونتائجها.

ليست الحضارة قفراً ورفصاً، ولا قذفاً ولعياً، ولا وسائل إبادة الخلق وتدمير البشرية، ولا تجساً وكذباً، وشوهاً للحقائق وإنما الحضارة شعور النفس بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، ويتم هذا بالحرية، والمساواة، والعدل، والنظام، والصحة، وتأمين ضرورات الحياة براحية، وإذا ما شعرت النفس بهذا انطلقت نحو الإنتاج، والعلم، والإبداع، والابتكار، والاختراع، وأمر طبيعي ألا تستطيع نفس أن تعيش في ظل التفرقة، والفوضى، والكرهية، ويمارس عليها كل أنواع الضغط، وأشكال الظلم، وأصناف الجور، ثم يطلب منها الإنتاج، والاختراع.

لقد عمل الذين جاءوا بالسيل الصليبي الاستعماري والذين كانوا معه كل وسائل الظلم، والإفقار، وجميع أسباب المرض والجهل حتى ضاق الناس ذرعاً بالحياة، ونسوا الماضي، وجهلوا الحقيقة، ولم تعد معرفتهم تتعدى وسيلتهم لتأمين لقمة العيش، والهرب من الفسوة، وطريقة العزلة.

وترك الصليبيون المستعمرون المنطقة بعد أن اطمأنوا على ما فعلوه، وبعد أن وجدوا من الأعداء من يسد مسدّهم إن غابوا، وتعدّد مخططاتهم إن

رحلوا، وبقبل توجيهاتهم وإن بعدوا، ويأخذ بهرشادهم وهم في بلادهم فحذقوا بذلك عن أنفسهم مغبة نعمة الأهالي، والصدام معهم، إذ تركوا الناس يقاتل بعضهم بعضاً، ويتجهج ويتهم بعضهم بعضاً وهم في منأى يضحكون، مصالحهم تؤمن، ومخططاتهم تتعدّد، وأعداؤهم يقتلون، وقسم من هؤلاء الأعداء يدافع عنهم، ويكتفيهم مؤونة الصراع.

وطالت الأيام والحالة تسير على هذه الصورة، ولم يعد أهل العصر يعرفون إلا الواقع، ويسمعون شائعات الصليبين الاستعماريين أن هذا التخلف بسبب الإسلام، ويؤتد هذا المشرفون على البساتين من أعوان الحرّاس، ومن يتبعون نسياً إلى الإسلام، لا عقيدة وفكراً، وإنما يدعونه ادعاء، وأنهم من أهله، وقد يُصدرون الفتاوى، ويُقدّمون الفقه حسب تحليلاتهم الإعلامية، وتعليقاتهم السياسية، ويقوم التخبط السياسي، وتعمّ الفوضى الاجتماعية.

ونحن نريد أن نلقي ضوءاً على تاريخ هذه المنطقة نبيّن فيه، الواقع المعاصر، وأسباب هذا الواقع المرّ لتعرّف الناس على الحقيقة، وعندها يمكنهم معرفة العلاج اللازم والدواء الشافي.

وتضم هذه المنطقة ثلاث دول إسلامية هي: ماليزيا، وأندونيسيا، وبنوني.

ونرجو من الله أن نُوفّق في هذه المهمة، وأن نلهم الحق، وأن تسدّد الخطأ، فهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ شعبان ١٤١٢ هـ
٦ شباط ١٩٩٢ م

مجلس العلماء
بمكة المكرمة

الباب الأول

مَالِيَا

www.alkottob.com

لمحة عن ماليزيا قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى ماليزيا في القرن السابع الهجري، وإن كنا لا نستطيع أن نُحدِّد بالضبط السنة التي انتشر فيها لأن وصول المرادف لثاليل، وتشكيل جماعاتٍ صغيرة لا تأثير لها على المجتمع لا يُسجِّلها التاريخ، بل لا يعرفها، وخاصة أنه كان تاريخ ممالك لا شعوب، وسجِّل دول لا دعوات، إذ لا يمكن أن يكون بداية وصول الإسلام هو قيام دولته واستناد سلطانه.

من المعروف أن علاقة شبه جزيرة الملايو كانت قوية مع الهند وخاصةً مع سواحلها الغربية التي انتشر فيها الإسلام في وقتٍ مبكرٍ نتيجة التجارة، وانتقال المراكب المستمر بينها وبين أطراف شبه جزيرة العرب التي انطلق منها الإسلام.

وكانت روابط شبه جزيرة الملايو متينةً مع جزيرة سومطرة المواجهة من ناحية الغرب، والتي وصل إليها الإسلام أيضاً لأن أطرافها الشمالية أقرب إلى الغرب حيث كانت تمر السفن الإسلامية، وتتحكَّم تلك السفن في طرق المحيط الهندي البحرية، وفي سوانته، وقواعده، ومراكزه، وبحارته، ويتنقل المسلمون التجار والدعاة على سواحله يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية التي تتلامم والفتنة البشرية، وتُعطي معاملتهم وسلوكهم وأخلاقهم صفاتٍ تختلف عما يتصف به بقية التجار، بل كان كل

تصرف بنوع من تلك العقيدة. وكثيراً ما كان الدعاة يتخلون التجارة وسيلةً ليعتصموا مع السكان وليدعواهم إلى الإسلام.

لقد وصل الإسلام إلى جزيرة سومطرة في القرن السابع الهجري، وعندما زار الرحالة الإيطالي (ماركو بولو) المنطقة عام ٦٩٢ هـ وجد التجار المسلمين في ميناء (برلاك) على الساحل الشمالي للجزيرة ذات الصلة الوثيقة بالملايو، ومن سومطرة انتقل الإسلام إلى الملايو.

وتقول إحدى الروايات: إن ميناء (مالاكا) الواقع على الطرف الغربي من بلاد الملايو قد وصل إليه الإسلام قبل هذه المدة، فتروي أن سفينة عربية قادمة من (جندة) يقودها (سيدي عبدالعزيز) قد رست في ميناء (مالاكا) عام ٦٧٦ هـ، واستطاع زكائها أن يؤثروا على ملك (مالاكا)، فاعتنق الإسلام، وأطلقوا عليه اسم (محمد شاه)، وتبعه شعبه في اعتناق الإسلام، ونذا قامت أول دولة إسلامية تعمل على نشر الإسلام فيما حاورها من البلدان، وفي غضون نصف قرن أصبحت مدينة (مالاكا) مركزاً يشع الإسلام على المناطق المجاورة، فأسلمت (باهانغ)، وجنوبي الملايو.

ويقال: إن حاكم مدينة (مالاكا) قد اعتنق الإسلام ليحصل على تأييد التجار المسلمين الذين حلوا محل الهنالك في الزعامة التجارية، إذ كان الحكام يحاولون إرضاء التجار المسلمين لتوسعة الحركة التجارية في موانئهم بسبب غناهم، وقد كانت أموال المسلمين أكبر مورد لتلك الإمارات بسبب التجارة الواسعة التي تقوم فيها.

ويروى أن الإسلام قد انتقل من مدينة (باساي) في شمالي سومطرة إلى مدينة (مالاكا) بعد أن أسلم حاكمها ليتزوج أميرة مسلمة من (باساي) ذلك لأن المسلمة لا يسمح لها دينها بالزواج من غير مسلم، وكان ذلك حوالي عام ٨٠٣ هـ، ثم اعتنق الشعب في (مالاكا) الإسلام بعد أن أسلم حاكمه.

وتذكر بعض الروايات أنه في القرن السابع الهجري قامت مملكة (تيماسيك) في سنغافورة، وفي أوائل القرن الثامن الهجري قامت في جزيرة (جاوه) إمبراطورية (ماجاباهيت) الهندوسية القوية التي استطاعت القضاء على مملكة (تيماسيك) - وكان الإسلام قد وطد دعائمه في أجزاء من شبه جزيرة الملايو - واستطاع ملك (تيماسيك) أن يفتخر سنغافورة مركز حكمه السابق، وأن ينتقل إلى مدينة (مالاكا) مع ألف وخمسمائة من أفراد عائلته، وأن يؤسس هناك حكومة، وقد اعتنق الإسلام بتأثير من اعتنقه من قبل سكان (مالاكا)، وقد أطلق على نفسه اسم (اسكندر شاه)، وكان ذلك في بداية القرن التاسع الهجري عام ٨١٧ هـ.

والخلاصة أن التجارة قد لعبت الدور الرئيسي في انتشار الإسلام في الملايو، ولم تكن التجارة هي الهدف الأساسي بل كانت الدعوة تسير إلى جانب التجارة، وإن وجد تجار همهم الأول الربح، والدعوة ثانوية عندهم، أو يقتصر في عملهم على ما يحققون من أرباح، ولكن كان هناك أيضاً دعاة تفرغوا للعمل في سبيل الله، وهم إما من الذين كانت أحوالهم المادية تساعدهم، أو من الذين كانوا يكتفون بالقليل يحصلون عليه من بعض الأعمال التجارية على نطاق ضيق.

وقد كان ميناء (سري فيجابا) في شبه جزيرة الملايو أكبر مرفأً تصل إليه السفن الإسلامية في توجهها نحو الشرق، وخاصةً بعد القرن الرابع الهجري عندما أغلق ميناء (كاتون) الصيني بوجه التجار الأجانب نتيجة اضطرابات وقعت في مملكة (نانغ) الصينية، وفي ذلك الوقت أصبحت مدينة (سري فيجابا) أبعد نقطة تصل إليها السفن الإسلامية شرقاً آنذاك، ورغم ما حدث في العالم الإسلامي من أحداثٍ جسيمةٍ في غزو المغول، وتدمير بغداد على يد (هولاكو) عام ٦٥٦ هـ، وسقوط الخلافة العباسية، والذي أدى إلى تمزق سياسي كبير في عالم الإسلام إلا أن المسلمين قد بقوا سادة التجارة في المحيط الهندي.

ومن المحتمل أن يكون تجار جنوبي الهند هم الذين كان لهم الأثر الواضح في إسلام الشعب في شبه جزيرة الملايو، إذ أن المسلمين هناك يتبعون مذهب الإمام الشافعي، وهو المذهب المنتشر في جنوبي الهند. بينما كان أثر الكوجراتيين أقل حيث يتبعون مذهب الإمام أبي حنيفة الذي لم ينتشر في الملايو. كما أن الصوفية قد انتشرت هناك من جنوبي الهند، وليس من شبه جزيرة العرب، وقد يكون تجار عرب من الهند وجنوبها قد لعبوا دورهم معاً في الدعوة، وهذا لا ينفي أثر الدعاة العرب الذين ما انفكوا يفتدون إلى البلاد بعد أن توقفت الفتوحات الكبرى، وانصرف المسلمون إثر ذلك إلى نشر الدعوة عن طريق التجارة، والتنقل لهذه الغاية.

وعندما سقطت مدينة (مالاكا) بأيدي المستعمرين الصليبيين من البرتغاليين عام ٩١٧ هـ، اختير مركز (انشه) في شمالي سومطرة ليكون مقراً للدعاة، وهكذا عاد لجزيرة سومطرة مركزها التجاري والإسلامي بعد أن فقدته مدة قرنين من الزمن وهما: الثامن والتاسع الهجريين لمصلحة مدينة (مالاكا).

وعن طريق التجارة تحددت العلاقات الحسنة، والصداقة، والاحتكاك مع السكان، ويكون إقناع الشعب للدخول في الإسلام، إضافة إلى الزواج الذي يتم بين التجار المسلمين وبين بعض الأسر وغالباً ما تكون الفتيات من العائلات المرموقة فتدخل الفتاة بالدين الإسلامي، وعن طريقها يعتنق أهلها وقومها عقيدتها لما يرون من معاملة كريهة وخلق رقيق، كما أن هؤلاء التجار كثيراً ما كانوا يتخذون عبداً يساعدهم في شؤونهم التجارية وخدمتهم فيسلمون ويعتقونهم بعد إسلامهم، فيجذبون بالعمل ويخلصون، فتزيد مكانتهم في المجتمع، وإن اتصال التجار المسلمين غالباً ما يكون مع الأثرياء ومع الحكام، وهذا ما يعطيهم مركزاً رفيعاً، ويُقدّم التجار للحكام خدمات، ويقابلهم الحكام بأحسن منها رداً للجسيل، والحكام يريد أن يظهر بموقع الأعلى، ويعطي حسب مكانته، كما يهدفون إلى زيادة نشاط

التجارة إذ أن أكثر موارد الإمارات كان يأتي عن طريق التجارة. ويتكلم الحاكم لغة التجار ليتمّ التفاهم بينهم، وليكونوا أقرب إلى نفوسهم، حيث تُقرب اللغة بين الغريباء، كما يراعون تقاليدهم حتى يقدو بعض سلوكهم إسلامياً، وهذه المنزلة التي يصل إليها التجار تجعلهم يستطيعون معها التأثير على السكان، وجذبهم إلى الإسلام.

وقد كان انتشار الإسلام في الملايو وفي كل مناطق الشرق الأقصى سلمياً على عكس الطريقة التي سار عليها المستعمرون الصليبيون. وقد كانت الخلافة الإسلامية في هذه المرحلة في فترة غيابٍ عن الساحة، وكانت التجارة والخلافتان هي السائدة في أكثر أمصارها، وكان الدعاة المسلمون من أقاليم شتى، لذا لم يفكر المسلمون الذين حكموا تلك الأجزاء أن يربطوها بمركزٍ معين خارج المنطقة، وهذا عكس ما فعله الأوروبيون الذين ربطوا المناطق التي سيطروا عليها ببلادهم الأصلية مباشرة، وهذا ما أبعد عن المسلمين فكرة السيطرة وحسب التسلط فأقبل السكان نحوهم، على حين ابتعدوا عن الأوربيين، وقد يكون تصرف المسلمين هذا نتيجة للأوضاع السيئة التي سادت الدولة الإسلامية في مركزها لذلك كانت دعوتهم إلى إقامة إماراتٍ إسلاميةٍ مستقلة يُطبق فيها حكم الإسلام، بل ربما أصبحت فكرة دار الإسلام نظريةً في رأي الكثيرين منهم، ولم تعد فكرة إقامة دولةٍ مركزيةٍ قويةٍ وتتبعها كل الإمارات الإسلامية على شكل ولايات، وتُحدد حدود كل إمارةٍ حسب أصول السكان ولغاتهم، أو حسب الأرض وطبيعتها، لم تعد هذه الفكرة تخامر أذهان أمراء تلك الدول التي قامت آنذاك، واكتفى الحكام والأمراء من فكرة ودار الإسلام، معاملة المسلمين معاملة حسنة في إماراتهم بغض النظر عن مكان مولدهم، ومناطق تنقلهم حيث إن جنسية المسلم هي عقيدته، ويعتدونهم من رعاياهم أينما كانوا.

ومما ساعد على انتشار الإسلام في الملايو بشكلٍ كبيرٍ ردة الفعل

لتقديم المستعمرين الصليبيين، ومعاملتهم السكان معاملة سيئة، فالتحق الشعب إلى جانب المسلمين الذين وقفوا معهم موقفاً واحداً ضد أولئك المستعمرين الصليبيين الأوربيين، واشتكوا معهم في حرب طاحنة في معظم جهات العالم من الأندلس حتى الشرق الأقصى.

لم تكن تلك الإمارات الإسلامية التي قامت في تلك المنطقة مستقلة تماماً فهي لا تشمل إلا رقعة صغيرة المساحة نسبياً، قليلة السكان بالمقارنة مع الدول الكبيرة، ولا مكانة للدول الصغيرة فلا يقدرها من أن تحري في فلك غيرها أو تكون طمعاً للغزاة، ومن هنا كان المسلمون أمة واحدة كي لا يطمع فيهم طامع، ولا يكونوا تبعاً لغيرهم، وكان على المسلمين أن يجتمعوا بعضهم مع بعض، ولكن أهاليهم متاعداً وديارهم نائية، وكان عليهم أن يرتبطوا مع دولة الإسلام غير أنها في غياب عن الساحة، لذا فإن كل إمارة كانت متعزلة عن الأخرى، وتصبح مملكة واسعة، وهي مستقلة استقلالاً ذاتياً.

كانت إمارة (مالاكا) الإسلامية في أول عهدنا تخضع لمملكة تايلاند، وتؤدي لها أتاوة ذهباً مقابل استقلالها الذاتي، وتطبيق ما تشاء من قوانين وتظم على أفرادها، غير أنه في عام ٨٠٨ هـ زار هذه الإمارة الإسلامية الأمير الصيني المسلم المعروف باسم (نشنغ)، ووعد حاكمها بأن يوفر له حماية أميراطور الصين من تهديدات تايلاند، وفيما إذا حاولت التعرض لها بسوء، فأعلن الحاكم عندنا استقلال إمارته، وتميزت دولته بشخصيتها الفكرية والسياسية، وأصبح يُجهز السرايا، ويعدّ الجيوش للفتح ونشر الإسلام، واستطاعت إمارة (مالاكا) ضمّ المناطق المجاورة إليها، واحتواء منطقة (باهانغ)، واستمرت هذه الإمارة تؤدي دورها حتى انتهت بالاستعمار الصليبي.

تعاقب على حكم (مالاكا) سبعة حكام، كان أبرزهم (منصور باشا) الذي دام حكمه تسعة عشر عاماً (٨٦٣ - ٨٨٢ هـ) وقد انطلقت جيوشه في

شبه جزيرة الملايو كاملة، وحتى حدود بورما، وإلى أواسط سومطرة، وقد حرص العلماء، واعتنى في أيامه الإسلام معظم الشعب الملايوي، واستعملت الحروف العربية في الكتابة، وأصبح الإسلام قانون بلاده، ويمكن أن ندرك مدى التأثير النفسي والارتباط بالمسلمين خارج المنطقة من انجذاب لقب تركي (باشا) حيث كانت الدولة العثمانية قد أعلنت تبرز وكان السلطان محمد الفاتح - رحمه الله - قد فتح القسطنطينية قبل ست سنوات فقط من تسلّم (منصور باشا) الحكم وذلك في عام ٨٥٧ هـ، كما أنه لم يتخذ لقب سلطان تقديراً للعثمانيين، واعتزافاً بالتبعية العثمانية.

وقد قامت عدة إمارات في شبه جزيرة الملايو في هذه المرحلة ومنها: قنح، بيرق، باهانغ، جوهور.

ووصل تأثير الإسلام إلى جزيرة (بورنيو) حيث ساد دولة (بروني) القوة نتيجة العلاقة التجارية مع الصين من جهة ومع العالم الإسلامي في ناحية الغرب من جهة ثانية. وعندما وصل الإسبان إلى شمالي جزيرة (بورنيو) عام ٩٢٧ هـ وجدوا حاكم (بروني) مسلماً.

الاستعمار:

لم تكن ما أطلق عليها بـ (الاكتشافات الجغرافية)، كما لم يكن الاستعمار إلا حرباً صليبية قامت بها أوروبا ضد المسلمين، إذ قامت للاحقهم بعد أن طردتهم من الأندلس لتحيط بهم، وتحاول القضاء عليهم.

وإذا كانت الاكتشافات والاستعمار قد حملا بعض الجوانب الاقتصادية إلا أنهما بالواقع كانا يشتران به، وقد أعلن ذلك الأوربيون ودونوه، ولما كانوا قد أصبحوا أصحاب القوة والثروة والسيطرة والهيمنة فقد فرضوا ذلك على الناس، ووضعوه ضمن المتأهجين، ودرسوه، وفتح به الضعفاء والمستضعفون حتى غدا شبه حقيقة، فالغالب يفرض عادة ما يريد والمهزوم يقبل ما يُعطى له إن لم يكن موجه بُنْهه، أو محرّك يُوقظه، وكان

المستولون عن المسلمين - مع الأسف - هم الذين يتولون منافع الأوربيين أكثر من المستعمرين الصليبيين أنفسهم عوضاً من أن يُوجهوا شعوبهم. لذا ليس غريباً أن نصل إلى ما وصلنا إليه. والواقع أن رائحة الصليبية كانت تملأ جوتلك المراكب التي انطلقت عليها طلائع الصليبية والذين أسموهم بالمكتشفين. كما كانت نجيم على حملات المستعمرين وشركائهم الاستعمارية.

الاستعمار البرتغالي:

انطلق المستعمرون الصليبيون البرتغاليون من قاعدتهم وطواء على سواحل الهند الغربية، ووصلوا إلى مالاقا عام ٩١٥ هـ، وقاموا بهجوم عليها، ولكنه فشل، وبعد عامين أعاد الصليبيون البرتغاليون الكرة، وقاموا بهجومهم الثاني، وقبل الهجوم ألقى قائدهم «البورك» خطاباً جاء فيه (الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التي سقَدَمها للرب عندما نظرد المسلمين من هذه البلاد، ونُخمد نار هذه الطائفة المحمدية حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً، وأنا شديد الحماسة لمثل هذه النتيجة، فإذا استطعنا الوصول إليها فسترك المسلمون الهند كلها لنا، إن غالية المسلمين - وربما كلهم - يعيشون على تجارة هذه البلاد، ولقد اغتنوا، وأصبحوا أصحاب ثروات ضخمة، و«مالاقا» هي مركزهم الرئيسي، فمنها يفلتون كل عام التوابل والأدوية إلى بلادهم دون أن تستطيع منعهم، فإذا تمكنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد أو محطة واحدة مناسبة في كل هذه المنطقة ليستمروا في تجارتهم، وأؤكد لكم أنه إذا استطعنا تخليص مالاقا من أيديهم فستهار القاهرة، وبعدها تنهار مكة نهائياً، وعلى البندقية (فيبيسيا) بعد ذلك أن ترسل تجارها إلى البرتغال، إذا أرادت شراء التوابل).

وكانت أوروبا الصليبية تنتظر نتيجة الهجوم على (مالاقا)، وسقطت (مالاقا) عام ٩١٧ هـ بيد البرتغاليين، وكان لهذا السقوط أثر كبير في أوروبا

حتى استدعى الأمر إلى إقامة «قداس شكر» في روما عام ٩٢١ هـ، وذكر (كاميلو بورتون) في الخطبة التي ألقاها أمام (ليو العاشر) أن هذه المعركة سَهَّلَت استعادة القدس، وفسر كيف أن الصليب قد وصل إلى أماكن بعيدة، واتهم حاكم (مالاقا) بأنه مسلم متعصب يكره الصليبي، ونادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس.

وكتب «بيرس» لملك البرتغال «عمانويل» بهذه المناسبة يقول: (إن البورك يُقاتل ضد محمد، ومن الواضح أن قوة الرب تساعد، لأن الرب يرغب أن تتربح جنود الصليبية في سائر مملكته. ويقول: ويقتدر ما لا (مالاقا) من قاعدته دينوية فإن لها الفائدة الدينية نفسها فإن محمداً محاصر، ولا يستطيع أن يتوسع بعد الآن بل سهرب بأسرع ما يمكن).

عند الصليبيون البرتغاليون إلى استعمال الفسوة الوحشية ضد المسلمين، دون أن يكون لهم أي رادع، وصاحب سيطرتهم على (مالاقا) نشاط تنصيري مَرَكَز، وهذا ما دفع المسلمين للقيام برذ فعل والنشاط بالدعوة إلى الإسلام.

وكان أول عمل قام به البرتغاليون الصليبيون بعد استيلائهم على (مالاقا) بناء حصن بحجارة انتزعها من قبور المسلمين، ثم قاموا بإعدام دفعات متتالية من الأهالي. وقام زعيم البحرية مع بحارته بأعمال الفرسة في المحيط الهندي فانقلب الأمن فيه إلى خوف. كل هذا جعل الثورات تقوم ضد الاستعمار الصليبي البرتغالي الأمر الذي أضعفه، وخاصة أن سكان البرتغال قليلو العدد حيث لا يستطيعون مع هذه القوة وضع جيش كبير في كل منطقة من المناطق الواسعة التي سيطروا عليها في إفريقيا وآسيا. ومما زاد في ضعف البرتغاليين أن إسبانيا كانت قد احتلت أراضيهم عام ٩٨٩ هـ، للخلافات الناشئة بين الدولتين فأصبحت المستعمرات البرتغالية كلها تتبع إسبانيا، وإن كان الجنود الذين يحملونها برتغاليين.

الاستعمار الإسباني:

وتمكن الإسبان من اجتياز المحيطين الأطلسي والهادي والوصول إلى إمارة إرجا سليمان (الفلبين) بإمرة ماجلان الذي أعلن صليته، وأراد تصير السكان قنطلو، وتابع نائبه (دل كاتو) السير فوصل إلى جزيرة (بورنيو)، وجزر (المولوك) ورجع بعدها إلى إسبانيا عن الطريق التي عرفها البرتغاليون وسيطروا عليها، وأخذت الحملات الإسبانية تتوالى على الفلبين للانتقام والسيطرة.

وعند وصول الإسبان إلى المشرق كان التجار المسلمون من جزيرة (بورنيو) يقومون بتجارة نشطة والحية مع بقية الجزر، وربما كانوا المسيطرين الوحيدين على التجارة الخارجية لتلك الجزيرة، كما أن الدعوة إلى الإسلام كانوا يسلون جهوداً واسعة للدعوة، وللتوعية عن أهداف المستعمرين الصليبيين، وعملهم ضد الإسلام، وحقدهم الشديد، كما إن إمارة (بورنيو) قد أطلقت صيحة الدعوة لإسلام جاراتها.

وكان مسلمو (بورنيو) يمدون يد المساعدة للمسلمين في القسم الجنوبي من الفلبين بعد أن توقف التوسع الإسلامي في الجزر الشمالية نتيجة احتلال الإسبان لمدينة (ماتيلان)، وعندما وصلت هذه المعلومات لحاكم الفلبين الإسباني (فرنيسكو دي ستي) كتب إلى سلطان (بورنيو) (سيف الرجال) يطلب منه التوقف عن إرسال الدعوة إلى (الفلبين) وأواسط (بورنيو)، وأن يقبل منصرين كاثوليك في (بورنيو)، ولكن هذا الطلب قد رفض بحزم، وكان ذلك عام ٩٨٧ هـ. ولم تستطع إسبانيا أن تقوم ببرد فعل لعدم الإمكانيات لديها آنذاك.

واحتلت إسبانيا البرتغال، ولكنها لم تستطع أن تحتل في المستعمرات معنًها لأن الأسطول الإسباني قد تحطم في معركة شهيرة مع إنكلترا عام ٩٩٧ هـ، وهذا ما هيا الجو لدول أخرى أن تتقدم نحو الساحة، وقد علت

تقريباً، أو إن ما فيها من قوة لم تعد مخيفة، كما أن الطريق هناك لم تعد سراً، وخشيت أوروبا الصليبية أن تفقد ما حصلت عليه، وأن يقوم سكان المستعمرات البرتغالية والإسبانية بردة فعل بلقون فيها المستعمرين الصليبيين بالبحر، بل وتنتقل حركة جهاد ضد أوروبا تدعم ما يقوم به العثمانيون من تقدم في أوروبا الشرقية، لذا أسرعت دول أوروبا البحرية لتسد ذلك الفراغ، وإن كان قد حصل بينها نزاع على الاستغلال وعلى الاستئثار بسط النفوذ، وهذا ما جعل الناس يظنون - خطأ - أن أهداف الاستعمار لم تعد النواحي الاقتصادية، لما حدث بين أولئك المستعمرين من منافسات.

الاستعمار الهولندي:

كانت هولندا في أوروبا في حربٍ مع الإسبان ساداتها وحكامها السابقين، ولكن لم تعد تخشى أسطولهم الذي تحطم في حربهم مع الإنكليز، فأصبحت السفن الهولندية بعدها تنقل في تلك البحار دون خوفٍ من منازعٍ قوي.

اتجهت أربع سفن هولندية نحو الهند عام ١٠٠٤ هـ، وبعد عامٍ وصلت إلى سومطرة وجزاوة لأول مرة، وحدث بينهم وبين الأهالي معارك، كما حدث مع البرتغاليين من قبل، وحاول البرتغاليون مقاومة الأسطول الهولندي فأمرؤا بواجرهم بالتحرك من (مالاكا) و(جاوه) لهذا الغرض، وعدوا كل سفينة لا تتبعهم غنيمة لهم يأخذونها، ومنها السفن الأندونيسية، فأصطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين، وجزر الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عد الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تترجح عن مواقعها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز (مالاكا) مدة أربعين سنة أخرى إلا أنها بقيت ضعيفة لا يهتم بها أحد.

بدأت هولندا تشق قبضتها على المنطقة، وأسست شركة الهند

الشرقية الهولندية عام ١٠١١ هـ على غرار شركة الهند الشرقية الإنكليزية التي تأسست عام ١٠٠٨ هـ، ولكن الشركة الهولندية كانت أقوى، وأكثر غلواً لأنها ذات مال أوفر، وتنظيم أكبر، ووجدت الفرصة مناسبة لها للعمل لانشغال إنكلترا في حروبها مع الإسبان آنذاك، كما أن هولندا قد اتجهت إلى تلك المنطقة بكليتها بعد أن نهأت تجارتها مع الهند بسبب منافسة إنكلترا وفرنسا لها، وقد أحسّت بالثراء وضرورة الاستثمار بالاستعمار.

ظهرت المنافسة بين هولندا وإنكلترا في المنطقة، وكانت النتيجة أن اضطرت هولندا إلى إلغاء كل احتكاراتها في تلك الجهات، ولكنها كانت قد احتلت (مالاكا) عام ١٠٥٢ هـ، مع أن أمرها قد بدأ بالضعف بسبب التوسع الإسلامي، وأخيراً احتلت فرنسا الأرض الهولندية في أوروبا عام ١٢١٠ هـ، فضعف أمر هولندا نهائياً وزالت، واستلمت (مالاكا) للإنكليز.

انتهت الحرب بين هولندا وإنكلترا أيام حروب نابليون، وبعد هزيمة نابليون رجعت هولندا دولةً من جديد، فعادت حكومتها واستولت على ممتلكات الشركة الهولندية سابقاً، ولكن لم تعد إلى مركز (مالاكا) إلا في مناسبتين لمدةٍ محدودةٍ في كل مرة. ثم تنازلت عنها نهائياً عام ١٢٤٠ هـ مقابل إعطائها مركزاً في غربي جزيرة سومطرة.

الاستعمار البريطاني:

بدأت المصالح البريطانية في بلاد الملايو من الناحية التجارية كما بدأت المصالح البرتغالية والهولندية من قبل، ففي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت شركة الهند الشرقية البريطانية بحاجةٍ إلى مركزٍ لتجاريتها مع الصين، وكانت أول محاولةٍ لإقامة هذا المركز في شمالي جزيرة (بورنيو)، وكان هذا الجزء يتبع لسلطان (صولو)، ووصول مجموعة جزر في جنوبي الفلبين، وكان هذا السلطان قد وقع في أسر البريطانيين

عندما استولوا على مدينة (مانبلا)، وقد أطلقوا سراحه، وتنازل للشركة عن منطقة في شمالي جزيرة (بورنيو) تُقيم عليها مركزاً لتجاريتها، ولكن هذا المركز كان خامساً فلم يعرض تكاليف إقامته.

وعملت الشركة بعدئذٍ لإقامة قاعدةٍ لها في شبه جزيرة الملايو، وقد تمكنت من ذلك بسهولةٍ إذ تمكّنت (فرنسيس لايت) باسم الشركة جزيرة (بينانغ) التي تخصّص إماراً (قدح) وذلك عام ١٢٠١ هـ، وبعد خمسة أعوام حاولت إماراً (قدح) استعادة الجزيرة، فوافقت الشركة على أن تدفع لسلطان إماراً (قدح) وخلفائه من بعده مبلغ عشرة آلاف دولار ماليزي سنوياً مقابل اقتطاع جزيرة (بينانغ)، وكذلك فإن الشركة تمكّنت من شراء ميناء سنغافورة عام ١٢٣٤ هـ.

وهكذا صار لشركة الهند الشرقية البريطانية ثلاثة مراكز تجارية في جنوب شرقي آسيا وهي: مالاقا، وبينانغ، وسنغافورة فوحدتها بعضها مع بعض عام ١٢٤١ هـ، وألقت منها مستعمرةً للأفواج القادمة من بريطانيا إلى جنوب شرقي آسيا بقصد الإقامة لأهدافٍ صليبيةٍ واقتصاديةٍ، وأصبحت هذه المستعمرة تُدار من قبل حكومة الهند. وفي عام ١٢٨٤ هـ سلّمت المستعمرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية.

اتخذ البريطانيون طريق المكر في الإدارة فلم تتدخل أول الأمر في شؤون الحكومات الملايوية المحلية خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري لا شركة الهند الشرقية البريطانية التي كانت لها السيطرة في بداية الأمر ولا الحكومات المتعاقبة على السلطة في بريطانيا بعد أن سلّمت المستعمرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية، غير أن السياسة قد تغيرت بعد أن استقرّ الوضع للبريطانيين، وهدوا دون منافسين.

أخذ الاستعمار البريطاني منذ عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٣ م) يتوسّع في شبه جزيرة الملايو، وقد تكوّن على شكل معاهدات مع سلاطين الولايات

أو الدويلات في شبه الجزيرة كلها حيث غدوا حكاماً محليين يرسلون بالتفويض البريطاني ويخضعون له. وفي عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ م) جرت مفاوضات بين البريطانيين وبين حكام ولاية (بيرق) وعقدت معاهدة بين الطرفين كان الهدف منها أن يأخذ سلطان (بيرق) برأي المقيم العام البريطاني، ويعمل بموجبه في كل الأمور خلا ما يمس الإسلام والعادات الملايوية، على أن العادات غالباً ما تتبع من العقيدة. وفي العام نفسه دخل سلطان (سلانغور) في معاهدة مشابهة، وقبل بالمقيم البريطاني في ولايته، وكذلك اتخذت ترتيبات مشابهة فيما بعد مع سلاطين (نغري سمبلان) و(باهانغ).

ثم راحت بريطانيا تجمع هذه الإمارات وتقسّمها كما نشاء، وكما يحلو لها وتقتضيه مصلحتها الاستعمارية، ففي عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) شكّلت اتحاداً من كل من (بيرق) و(سلانغور) و(نغري سمبلان) و(باهانغ)، وأصبحت هناك الولايات الأربع ذات مقيم عام بريطاني واحد، وحكومة مركزية واحدة.

وقبلت ولاية (جوهور) الحماية البريطانية عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م). وبموجب معاهدة (بانكوك) عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) سلّمت (تايلاند) كل حقوق السيادة، والإدارة، والحماية، والسيطرة على الدول الشمالية الأربع وهي: (كيلانتون) و(ترينغانو) و(بيرليس) و(فنج) إلى البريطانيين. وعلى الرغم من أن شروط المعاهدة المعقودة مع سلاطين هذه الدول كانت مشابهة تماماً لشروط المعاهدات السابقة في ولايات شبه جزيرة الملايو الأخرى فإن هذه الدول قد بقيت خارج الاتحاد السابق، وإن شكّلت فيما بينها اتحاداً عرف باسم (اتحاد الملايو). وقبلت كل دولة منها في الوقت نفسه مستشاراً بريطانياً لديها. ولم تصح أبداً ولاية من هذه الولايات الملايوية مستعمرة بريطانية بل بقيت السيادة في كل منها إلى سلطانها رغم

وجود روابط إداري بين الولايات والجاليات البريطانية المقيمة فيها، حيث كان المفوض السامي لدول الملايو حاكماً لهؤلاء المقيمين.

وكانت هناك مجموعة ثالثة من دول الملايو سمّتها بريطانيا (مستوطنات المصيق)، وتشمل: (بينانغ) و(مالانغا) و(ويلسي).

وأما بقية الولايات الملايوية وهي (جوهور) فقد عدت بريطانيا عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) معها معاهدة جديدة قبل بموجبها السلطان مستشاراً عاماً بريطانياً.

وفي شمالي جزيرة (بورنيو) كانت سلطنة (بروني) قوية، ولكن لم يشده القرن الحادي عشر الهجري حتى تقلصت سلطتها إذ أقام الهولنديون مراكز تجارية لهم على أرضها، ثم انصرفت هذه المراكز على (ساراواك) وأجزاء من (بورنيو الشمالية)، ومع ذلك فقد بقيت السلطنة قوية حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري. وكان سلطانها يشمل: أرض دولة (بروني) الحالية، و(بورنيو الشمالية) وبعض أراضي (ساراواك).

تدخل المغامر البريطاني (جيمس بروك) عام ١٢٥٩ هـ في خلاف نشب بين نائب السلطان في (بروني) والوزراء الملايويين وملاك الأراضي فكافأه السلطان على جهوده وإمكاناته في تهدئة الوضع بأن عبّنه حاكماً على (ساراواك) عام ١٢٦٩ هـ، ثم عين البريطانيون قنصلاً لديه. ثم تنازل سلطان بروني للبريطانيين عن مراكز لهم في شمال شرقي (بورنيو) نتيجة للأعمال التي قاموا بها. كما تنازل سلطان (صولو) عن مراكز أخرى لهم عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ م). ثم تأسست شركة (شمالي بورنيو) البريطانية عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م)، وأخيراً توكلد سلطان البريطانيين على الجزيرة كافة عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) عندما أصبحت (بورنيو الشمالية) و(بروني) و(ساراواك) مشمولة بالحماية البريطانية، وقسمت إلى أجزاء حسبما تقتضيه مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبة.

وهكذا عصمت ماليزيا للاستعمار البريطاني بسبب ضعف السلاطين، وتفرق كلمة المسلمين، وعدم وعيهم لأساليب المستعمرين الصليبيين، وقوة الأعداء المادية، وأخذت الحياة الإسلامية تتسحب تدريجياً من المجتمع أمام طغيان الجاهلية التي ملكت رصيداً قوياً من التفوق العسكري، والعلمي، والمادي، والتي أذلت المسلمين، وعملت على إضعافهم، فلم يستطع المسلمون الذين أنفقت نفوق الجاهلية المادي أن يقفوا طويلاً أمام طوفانها فأخذت تتحكم في البلاد، وتشر الفساد، ويزداد أثرها يوماً بعد يوم مع انحصار الإسلام من المجتمع وتحتكم المادة، فانصرف أكثر الناس إلى تأمين المكاسب والأرباح، وقد يستمر هذا الوضع إن لم ينتشر الوعي، ويعرف الناس واقعهم الحقيقي وأساليب المستعمرين الصليبيين وأهدافهم التي يرمون إليها، ويحاول الأعداء أن تستمر هذه الحال لتبقى لهم السيطرة، ويبقى لهم النفوذ. ولكن سيؤول هذا - بإذن الله - بوعي المسلمين، وتمسكهم بعقيدتهم، وقد يعودون إلى ذلك بعد الحواري الفكري والتعب النفسي الذي بدأوا يحسون به بسبب بُعدهم عن الدين، فليست العادة كل شيء في الحياة، وقد بدأت تظهر بعض الحركات تُنقّس عن الكرب، ولكنها لا تلت أن تفشل بسبب ضعفها، وعدم الاستعداد الكافي مادياً ومعنوياً، وسبب تكالب الدنيا على المسلمين، من أصحاب الأنظمة الرضعية، وأصحاب الأهواء والشهوات، وأصحاب الأطماع، ومن المترلّفين والمتصفين، من أصحاب الأفكار والمبادئ الأخرى، ومعنى ينتمي إلى الإسلام، ولا يلتزم به، من الذين يجرون في فلك غيرهم من الدول الكبرى، ومن وضعت مكانها ليوثي دورها محلها، ويُغذّ مخلطها، ويُعذّق منهجها، وقد يُعلن مع ذلك عداوته لها، والحرب عليها، ويدعي صدق ادعائه، وصحة ادعائه، ودعوته لذلك.

الفصل الأول

ماليزيا من إلغاء
الخلافة حتى
الاستقلال

أُلغيت الخلافة بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) فزال الرابطة المعنوي الذي كان يجمع المسلمين، وانتهى آخر حيلة كان يسل بين الأوصار الإسلامية، فاتجه كل مصر نحو مشكلاته الخاصة يُحاول العمل على حلها. وكانت بريطانيا قد فرضت سيطرتها التامة على الولايات الماليزية كلها سواء أكان ذلك في شبه جزيرة الملايو أم في جزيرة بورنيو، وبسطت حمايتها عليها، وجزأتها بالشكل الذي يحلو لها وحسبما تقتضيه المصلحة الاستعمارية الصليبية. وقد كانت تلك الولايات مُقسمةً ومجتمعةً على النحو الآتي:

١ - اتحاد يضمّ الولايات الأربع الآتية: بيرق، سالانغور، نغري سمبلان، باهانغ، وقد قام هذا الاتحاد منذ عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م). ولهذا الاتحاد حكومة مركزية، ويُشرف عليها مفيم بريطاني واحد.

٢ - اتحاد الملايو: ويضمّ الولايات الأربع الشمالية وهي: بيرليس، قنح، كيلانتون، ترينغانو، وقد قام هذا الاتحاد حسب معاهدة بانكوك عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)، وهي كل ولاية مستشار بريطاني، وتعدّ الولاية ذات سيادة، وتخضع لسلطانها. أما الجالية البريطانية فتتبع للمفوض السامي.

٣ - مستوطنات المصيق وتشمل: بيتانغ، مالاقا، ويسلي.

٤ - محمية جوهور: وقد قبل سلطانها بجانيه مستشاراً بريطانياً بعد عقد معاهدةٍ معه عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

٥ - محمية ساراواك: وتخضع للحماية البريطانية منذ عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

٦ - محمية بورنيو الشمالية: وتخضع للحماية البريطانية منذ عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

وأخذت بريطانيا تُطِّق سياستها الاستعمارية الصليبية، فتضرب غير المسلمين من هندوس، وبوذيين، وهم ذو نسبةٍ كبيرةٍ سيّياً، وتقصي المسلمين عن أعمال الدولة، وتضع غيرهم مكابهم، وتستولي على أملاكهم، وتضغط عليهم، وتفسح المجال على نطاقٍ واسعٍ للإرساليات التبشيرية. وتقدّم لهذه الإرساليات كل ما تحتاج إليه، والمسلمون فقراء، ضعفاء، جهلة لا يستطيعون أن يقوموا بأي ردّ فعل، أو يقفوا في وجه أي قرابٍ أو مخطئٍ، فكانوا أقرب إلى الاستسلام، واستمر ذلك حتى الحرب العالمية الثانية.

الحرب العالمية الثانية:

دخلت اليابان الحرب إلى جانب دول المحور، واستطاعت القيام بحربٍ خاطفةٍ باحتلال جنوب شرقي آسيا، وكان من بين ما احتلته جزيرة بورنيو، وشبه جزيرة الملايو بعد حملةٍ دامت أكثر من شهرين من الزمن وذلك في ٢٠ ذي القعدة ١٣٦٠ هـ (٨ كانون الأول ١٩٤١ م)، كما استولت اليابان على سنغافورة معقل القوات البريطانية في المنطقة في ٢٩ محرم ١٣٦١ هـ (١٥ شباط ١٩٤٢ م). وقد قضى هذا الاحتلال الياباني على فكرة تفوق الرجل الأبيض التي حاول المستعمرون الصليبيون ترويحها بين سكان المناطق المستضعفة وقد قبلها أولئك الذين أصيبوا بالهزيمة النفسية.

كما حطّم هذا الاحتلال الضغط الذي كان الحكيم البريطاني الاستعماري الصليبي يُمارسه، وشعرت بريطانيا بالخزي أمام السكان إذ كانت تُهدّد المنطقة كلها بقوتها المزعومة، وادعائها الواسعة أمام الشعوب المغلوب على أمرها.

وضعت البلاد تحت الإدارة العسكرية اليابانية فعُتت هذه الإدارة رؤساء يابانيين لمختلف دوائر الدولة غير أن مهمتهم لم تكن أكثر من الإشراف، حيث كان الموظفون الملايويون يقومون بأعمال الإدارة المحلية الفعلية، وبهذا فقد تمرّس السكان على القيام بالإدارة، وبرهنوا على مقدرتهم في إشغال العراكر التي كان يشغلها البريطانيون من قبل، وشعروا بالثقة بالنفس، وأنهم لم يفتنوا عن الدخلاء الذي يجب طردهم، وأن ما كانوا يشعرون به لم يكن سوى ضعف، ونتيجة الدعاية والتصرف الاستعماري الذي قتل الروح المعنوية في نفوس السكان.

ولم يكن اليابانيون أرحم من غيرهم من المستعمرين، فالاستعمار هو الاستعمار، وعدوّه الأول هو الإسلام، ولا يختص بلوياً أو جنس، وإنما النفس البشرية قد جبلت على الغطرسة والبطرة إن وجدت في وضعٍ يُمكنها من ذلك، ولم يكن لديها رادع يردعها أو وازع يمتنعها، لذا كان الدين يُهدّب النفس البشرية، ويجعلها تشعر بشكلٍ مستمرٍ بمراقبة الله لها، حيث يطلع على ما تخفي وما تُعلن، وهذا ما يزرعه الإسلام في نفوس أبنائه، ولهذا حلت الفتوحات الإسلامية من أية صفةٍ انتزعت بها المستعمرون سواء أكانوا صليبيين كالأوربيين أم وثنيين كاليابانيين إذ أنهم جميعاً متسلطون مستبدون أعداء للإسلام، وإن كانت العداوة تختلف نسيباً بين استعماري واستعماري إذ أن بعضهم يحمل حقداً دفيناً، ويرمي إلى أهدافٍ يريد تحقيقها، ويضع المخططات لتحقيق ذلك، وآخر يُعادي دون حقدٍ ومن غير مخططاتٍ عدائيةٍ.

وانتهت الحرب العالمية الثانية وغرقت اليابان مع دول المحور، واضطرت للاستسلام من المناطق التي دخلتها، ومن بينها دول الملايو، ورجعت إنكلترا إلى قواعدهما السابقة، ولتحل محل اليابانيين الذين غادروا المنطقة.

عودة بريطانيا:

عادت بريطانيا إلى الملايو بعد هزيمة اليابان، ومع أنها تحمل الخزي حيث لم تستطع الدفاع عن مستعمراتها رغم أنها كانت تتحجج بالقوة أمام الشعوب المستضعفة، وعادت كذلك متكبرة فإنها قد انصرفت مع حلفائها على أعدائها، ومنهم اليابانيون الذي احتلوا بلاد الملايو، ولكني تخلف من ذلك ما لحقها من عار الخروج والهرب من المنطقة أمام اليابانيين جاءت تعرض قيام وحدة ملايو مركزية محل النظام الذي كان سائداً قبل الحرب والذي كان يتألف من دول اتحادية كاتحاد دول الشمال، واتحاد الملايو، ومن دول غير اتحادية كمحمية جوهور، وكان من المفروض وحسب هذا المشروع فإن مالاقا، وبينانغ، وويلسلي أي مستوطنات المضيق وبقية المحميات يجب أن تكون ضمن هذا الاتحاد، ولكن بريطانيا لم تفعل ذلك، إذ فصلت بالاتحاد فقط دول اتحاد الشمال (بيروق، سالانجور، نغري سميلان، باهانغ)، ودول اتحاد الملايو (بيرليس، قنح، كيلانتون، تريهانو)، ومحمية جوهور.

أما مستوطنات المضيق فقد عدتها أرضاً بريطانية، مع الوعد بإجراء انتخابات من سمحت الأوضاع، وكانت الظروف مواتية، وهذا اصطلاح مرن يحتاج إلى تدبير غير محدود.

وأما سنغافورة فقد أصبحت مستعمرة منفصلة بحجة وجود المخازن والمستودعات القائمة فيها، وسبب اقتصادها الخاص الذي يعد حراً.

وأما ساراواك فقد رجع حاكمها إليها، واستأنف حكمه فيها بعد زوال الاحتلال الياباني، وقد قبل أن تدخل محمية السابقة تحت سلطان التجار البريطانيين، وهكذا تحولت ساراواك إلى مستعمرة بعد أن كانت محمية، بعد أن وافق مجلس المحمية على ذلك.

وفي الوقت نفسه حوّلت بورنيو الشمالية إلى مستعمرة بعد انتهاء حكم الإدارة العسكرية البريطانية. وبذا اقتصر مشروع الاتحاد على دول شبه جزيرة الملايو دون الجزر المحيطة بها مثل بينانغ، وسنغافورة، ودون المواقع ذات الأهمية الخاصة مثل مالاقا.

في ٢٦ رمضان ١٣٦٤ هـ (٣ أيلول ١٩٤٥ م) أصطت الخسارة البريطانية موافقتها على سياسة اتحاد الملايو بعد عودتها إليها بعد الحرب، كما وافقت على إرسال بعثة (ماك ميشيل).

وفي ١٧ محرم ١٣٦٥ هـ (٢١ كانون الأول ١٩٤٥ م) أذعن كل السلاطين للشروط الجديدة التي فرضتها عليهم بريطانيا، وإن كان بعضهم قد أبدى بعض التحفظات غير أنهم كانوا راغبين بإظهار الإعلاء التام للبريطانيين. والغيت كل المعاهدات التي كانت عبر السنوات التي مضت، والتي كان فيها البريطانيون يعترفون بها بحقوق السلاطين، وأصبح الآن دور البريطانيين فقط مساعدة السلاطين لحكم بلادهم، وإن كان الواقع يشير إلى تلقي التوجيه، وطلب تنفيذ ما تراه الدولة التي كانت صاحبة السيادة، وتعد نفسها أنها هي التي منحت لهم، وسلمتهم المناصب التي يشغلونها الآن، وربما كانوا يقرّون بذلك ويعترفون.

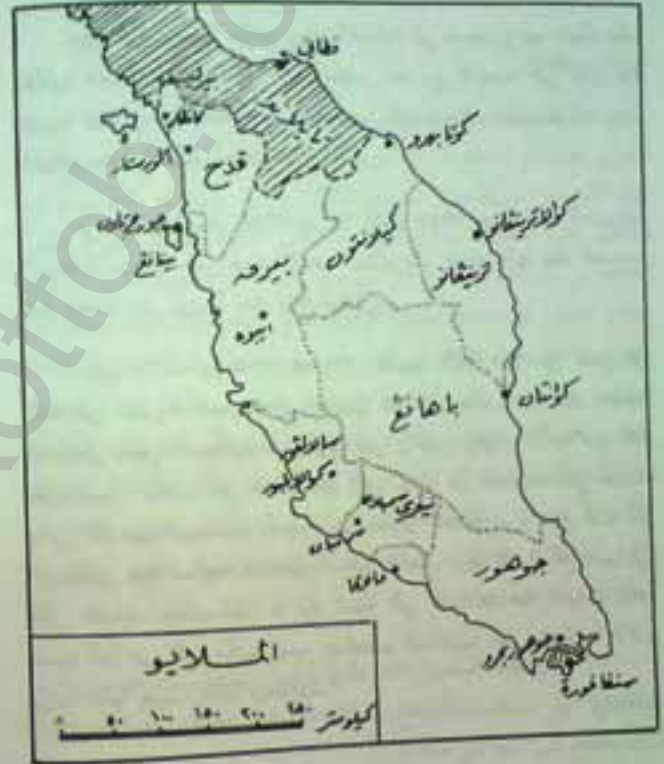
ولكن مشروع الاتحاد هذا لم يوضع موضع التنفيذ نتيجة المقاومة العنيفة التي أبدتها السكان ضدّه، حيث لم يُوافقوا على الاقتراح أبداً، وخاصةً ما نَعَضَ منهُ على نقل السلطة من الحكام الملايوين، كما عان أهل الملايو من موضوع الجنسية إذ عشاوا أن يُعطى الصينيون اللادون إلى البلاد جنسية البلاد، وتصح لهم السيطرة حيث كانت بريطانيا تنوي هذا لإضعاف شأن المسلمين ونسبتهم، ونتيجة تلك المقاومة فقد سحب مشروع الاتحاد المقترح واستبدل بأخر.

فُصّل المشروع البديل الذي طُرح عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) أن تتمتع الدول والمقاطعات الملايوية المشار إليها بالمشروع السابق بشخصيتها ضمن اتحاد يُديره حكومة قومية، وبقي الحكام يستمرون بسلطتهم ضمن الاتحاد المزمع قيامه، وأخذت وسائل التنفيذ طريقها.

وضع دستور جديد للملايو عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) حيث حُوّلت أكثر مسؤوليات الحكومة الاتحادية إلى المجلس التمثيلي للشعب، وجررت الانتخابات العامة ففاز حزب التحالف برئاسة تنكو عبدالرحمن حيث حصل على ٥١ مقعداً من أصل ٥٢ مقعداً.

وفي النصف الثاني من عام ١٣٧٥ هـ عقد اجتماع في لندن كان الهدف منهُ دراسة الطرق المؤدية لقيام حكومة محلية. ونتيجة الاجتماع تمّ التوقيع على اتفاق مُنح بموجبهُ اتحاد الملايو حقّ تأليف حكومة وطنية، وضرورة اتخاذ الترتيبات للوصول إلى الاستقلال قبل نهاية شهر محرم ١٣٧٧ هـ (أخر آب ١٩٥٧ م).

وافق المجلس التشريعي على مشروع الدستور الذي وُضع بعد التشاور بين الحكومة المحلية مُمَثَّلاً لأحزابها وبين الحكومة البريطانية. ووقّع الاتفاق لقيام اتحاد الملايو من قبل حكام الولايات، ونياً عن ملكة بريطانيا وذلك في محرم ١٣٧٧ هـ (أب ١٩٥٧ م). وفي نهاية الشهر أعلن



مصدر رقم [١]

استقلال البلاد ٥ صفر ١٣٧٧ هـ (٣١ آب ١٩٥٧ م) وكان دستور الدولة الجديد واحداً، إذ أصبح الاتحاد مملكةً دستوريةً، وملكها هو «بانك دي بارنوان»، وقد انتخب من قبل حكام الولايات لمدة خمس سنوات، وأصبح الإسلام ديناً للدولة، وقيل عضواً في الأمم المتحدة في صفر ١٣٧٧ هـ (أيلول ١٩٥٧ م).

وفي شكل الحكم اتحادياً مع تشريع ازفواجي، وأصبحت الملايو ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

أما شمالي جزيرة بورنيو فبعد مدة قصيرة من الحكم العسكري البريطاني الذي جاء عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعودة البريطانيين إلى المنطقة إثر هزيمة اليابان، واتساعها من المناطق التي سبق لها أن احتلتها أصبحت مقاطعة شمالي بورنيو وجزيرة لاسوان مستعمرة يحكمها بريطاني يُساعده مجلس استشاري، واستمر ذلك حتى عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) حيث وضع دستور، وانتهى المجلس الاستشاري، وأقيم مجلس تشريعي، وآخر تنفيذي. وكان الحاكم البريطاني يحكم المستعمرة بمساعدة المجلس التنفيذي الذي يُسمى (المجلس الأعلى)، والمجلس التشريعي الذي يُعرف باسم (مجلس الولاية).

وأما مقاطعة ساراواك فقد أصبحت مستعمرة عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) عندما تنازل الحاكم عن سلطته على الولاية إلى التاج البريطاني.

وكذلك فإن سنغافورة قد أصبحت مستعمرة عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) حتى عام ١٣٧٧ هـ حيث وضع دستور ينص على قيام حكومة محلية ذات استقلال ذاتي مع إبقاء مسؤوليات الدفاع والسياسة الخارجية من مهمات الحكومة البريطانية، وأجريت انتخابات على أساس هذا الدستور

عام ١٣٧٩ هـ، وهي أول انتخابات جرت في سنغافورة، وسلا تكون سنغافورة قد حصلت على الاستقلال الذاتي.

حكم الطواري:

بدأ الإرهاب الشيوعي بشن حملة من الغارات على المؤسسات الاقتصادية، وقتل الناس، في سبيل نشر الدرع، وشل حركة البناء الاقتصادي في البلاد، فأعلنت الحكومة حالة الطواري، وفرضت الأحكام العرفية، واستمر ذلك مدة اثني عشرة سنة، وقامت الحكومة للاحق الشيوعيين، وتكافح وسائلهم حتى تمكنت من القضاء على الإرهاب في ٧ صفر ١٣٨٠ هـ (٣١ تموز ١٩٦٠ م)، وعندئذ رفعت حالة الطواري.

شمالي بورنيو:

أخذت نسبة الأعضاء غير الموظفين الرسميين تزداد في المجلس التشريعي والتنفيذي لولاية شمالي بورنيو حتى غلبوا الأغلبية، وأجريت الانتخابات لأعضاء السلطة التشريعية للدولة في شهر ذي القعدة ١٣٨٢ هـ (نيسان ١٩٦٣ م).

وفي شهر ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (أب ١٩٦٣ م) وقبل أن تنضم إلى اتحاد ماليزيا تشكلت حكومة برئاسة رئيس للوزراء عوضاً عن الحاكم البريطاني. كما أن السلطة التشريعية كان غالبية أعضائها قد وصلوا إلى منصبهم بطريق الانتخاب، وهكذا وصلت إلى مرحلة الحكم الذاتي.

ساراواك:

وضع دستور جديد لولاية ساراواك في مطلع عام ١٣٧٦ هـ (أب ١٩٥٦ م)، وتم بموجبه انتخاب الأعضاء بالأغلبية، وبعد ثلاثة أعوام أصبح

أعضاء الأقسام والمجالس الاستشارية يقومون باختيار أعضاء مجلس الولاية فيما بينهم.

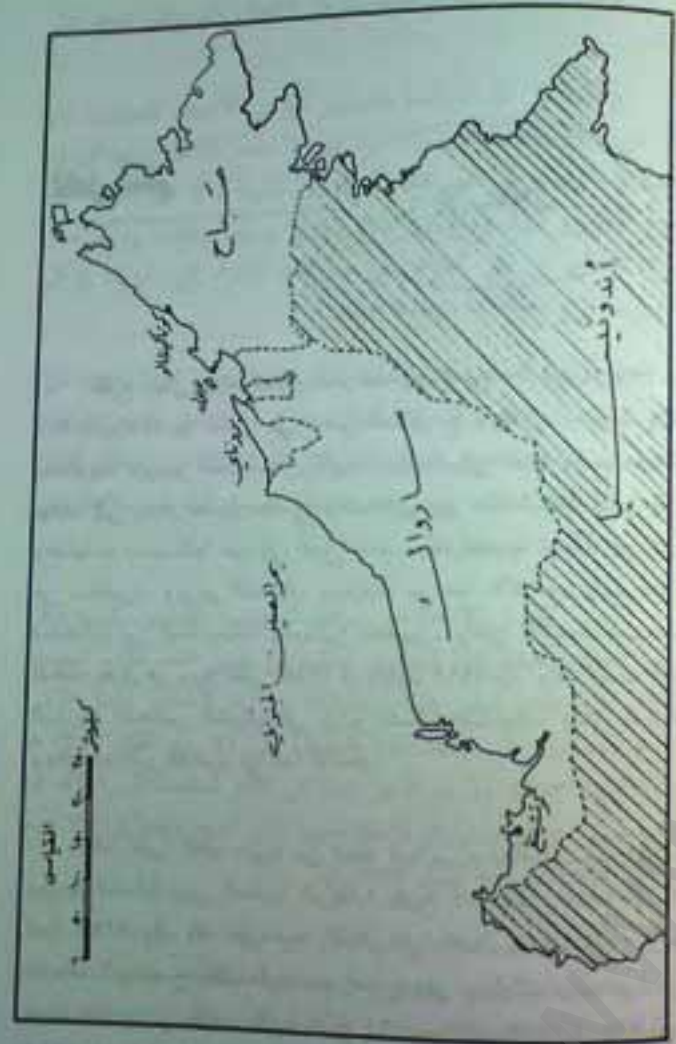
وفي شهر شوال ١٣٨٢ هـ (أذار ١٩٦٣ م) قام مجلس الولاية بتعديل الدستور من أجل تحقيق الحكم الذاتي الشامل.

وأجريت الانتخابات في ٢٥ ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (١٥ آب ١٩٦٣ م)، ونجح حزب التحالف المؤيد لإقامة دولة اتحاد ماليزيا، وكان نجاحه كبيراً.

وهكذا أصبح اتحاد الملايو مستقلاً، وتمتدح كل من سنغافورة، وشمال بورنيو، وسارواوك بالاستقلال الذاتي، وأصبح من الممكن طرح فكرة الاتحاد الماليزي العام.

وأظهرت بريطانيا أنها لا ترضى عن قيام أحزاب طائفية، وسمعت الإسلامية - حسب مصطلحها - ولا عن قيام أحزاب اشتراكية ما دامت تنظر إلى أمة ملايو واحدة.

مصدر رقم [١٧]



ولكن ستغافورة عادت فانسحبت من الاتحاد، ولم يفتض عامان على قيامه.

وكانت كل من أندونيسيا والفلبين تُعارض الاتحاد، فاندونيسيا ترى أن جزيرة بورنيو كلها أندونيسية، ولذا فهي لا تسمح بأن تسترح منها أجزاءها الشمالية، وتُمنع في حَسْم تلك الأجزاء إلى ماليزيا أو أية دولة أخرى، وأما دولة الفلبين فلها أطماع في شمالي جزيرة بورنيو، وخاصة بروناي حيث يتوفر النفط. لذا فهي تعارض في حَسْم تلك الأجزاء إلى ماليزيا، أو إلى أندونيسيا، أو استقلالها وإبعادها عنها.

وبعد اجتماعات متكررة أعلنت أندونيسيا والفلبين أنهما توافقتان على قيام اتحاد ماليزيا فيما إذا وافق شعبا صباح وساراواك على قيامه، حيث لا تعارضان رغبات الشعوب، ولكن نشترطان على الإبقاء على الحكم الذاتي فيهما، إذ تأمل كلتاها بقرض عقد الاتحاد بعد مدية أو ترغبان بالإبقاء على جزء من الأمل للمستقبل.

وحتى يحصل الاتحاد على موافقة أندونيسيا والفلبين بقيامه وافق على تحقيق رغبات كلتا الدولتين، وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة التأكد من رغبات شعبي صباح وساراواك في قيام الاتحاد، وحصل الأمين العام المسؤولية على عاتقه، وقام بالمهمة، وفي ٢٤ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٣ أيلول ١٩٦٣ م) رفع الأمين العام إلى الأمم المتحدة تقريراً يؤكد فيه دعم شعبي صباح وساراواك لاتحاد ماليزيا الذي أصبح واقعياً في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٣ م).

ولكن أندونيسيا بالواقع لم ترض عن قيام اتحاد ماليزيا، ولقد أعلن أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا آنذاك عن مجاهدة ماليزيا، وتدخلت الأمم المتحدة في ذلك، وشكّل سوكارنو فرقة شبه عسكرية لسطح ماليزيا، غير أن هذه الفرق قد استغلتها العناصر الشيوعية في تدميرها

الفصل الثاني

الاستقلال

اقترح رئيس وزراء الملايو تانكو عبدالرحمن في ١٠ شوال ١٣٨٠ هـ (٢٧ آذار ١٩٦١ م) العمل على توصل الملايو مع بريطانيا، وشعوب بلاد ستغافورة، وبورنيو الشمالية، وبروناي، وساراواك إلى اتفاقٍ لوضع مخططٍ يهدف إلى إيجاد تعاونٍ سياسي واقتصادي بين هذه البلدان يُؤدّي إلى وحدتها ما دامت كلها تعود إلى أصل واحد. ولقد تجالوب الزعماء في كل من ستغافورة، وبورنيو الشمالية، وساراواك مع هذا الاقتراح، وتبع ذلك محادثات بين الحكومات والممثلين الشعبيين، وأعلن الاتحاد بموجب استفتاء جرى في ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ (أيلول ١٩٦٢ م)، ولقد آيدت هذا المشروع المجالس التشريعية في بورنيو الشمالية وساراواك، ولكن حكومة بروناي لم تُقرّر الدخول في هذا الاتحاد.

عقد أخيراً اتفاق ماليزيا بين اتحاد الملايو، وستغافورة، وساراواك، وبورنيو الشمالية وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، ولقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في بورنيو الشمالية التي أصبح يُطلق عليها اسم (صباح) وفي ساراواك، وستغافورة من يد البريطانيين إلى حكومة ماليزيا بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م)، كما وضح الاتفاق العلاقات بين ستغافورة والاتحاد الجديد.

وتسليمها، وأسرت في إعلان ثورتها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، ولكن هذه الثورة قد فشلت، ونُهي سوكارنو إثرها عن الحكم حيث اتهم بدعم تلك الثورة، وبعد سقوط سوكارنو ألغيت فكرة المجابهة، وحدث الاتفاق بين ماليزيا وأندونيسيا، وعادت أندونيسيا للأمم المتحدة، وكانت قد تركتها بسبب انتخاب ماليزيا عضواً في مجلس الأمن.

لم تكن حكومة الملايو تخشى انضمام سنغافورة إليها خوفاً من طغيان العنصر الصيني الموجود في سنغافورة إضافة إلى ما هو موجود في الملايو، ولا من سيطرة الشيوعية إذ أن الأمن كان لا يزال من مهمة بريطانيا، ولكن تاركو عبدالرحمن رئيس الحكومة الملايوية كان يتوقع أن استقلال سنغافورة إذا تم فسيطر عليها الشيوعيون، واستخذ قاعدة للهجوم على الملايو، لذا فأنفضل حل هو دمجها مع الاتحاد الملايوي.

وكانت حكومة الملايو ترى من وجهة نظر ثانية أن انضمام شمالي جزيرة بورنيو (صباح، ساراواك، بروناي) سيُعيد توازن العنصر العرقي بسبب العنصر الملايوي هناك.

وفي رمضان ١٣٨١ هـ (أوائل عام ١٩٦٢ م) صوتت الفلبين ضد اتحاد ماليزيا، إذ كان رئيس الفلبين (ماكابغال) يعدّ شمالي جزيرة بورنيو جزءاً من الفلبين، ويذعي أن ذلك الجزء كان عام (١٨٧٨ م) يتبع جزر صولو التي هي جزء من الفلبين، وأن انفصال شمالي بورنيو عن صولو إنما كان على صورة استئجار لا على أساس بيع، وكانت الشركة البريطانية تدفع دفعاتٍ نظاميةً سنويةً.

وفي شهري صفر ورجب الأول ١٣٨٢ هـ (تموز وأب ١٩٦٢ م) جرت لقاءات بين رؤساء أندونيسيا والملايو والفلبين في مانिला من أجل الوصول إلى صيغة من التسوية، ولكن من غير فائدة.

وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٣ م) أعلن الاتحاد الماليزي، وقطعت كل من أندونيسيا والفلبين علاقتها مع دولة الاتحاد التي نشأت، وجرت اشتباكات وغارات على الحدود في بورنيو.

وفي أوائل عام ١٣٨٥ هـ (أواسط عام ١٩٦٥ م) انتخب (ماركوس) رئيساً للفلبين، وسقط (ماكابغال) وتبدلت السياسة العامة، وتحسنت العلاقات مع ماليزيا بعد جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ (أيلول ١٩٦٥ م) وفي شهر صفر ١٣٨٦ هـ (حزيران ١٩٦٦ م) اعترفت الفلبين باتحاد ماليزيا، وفي ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ (أب ١٩٦٦ م) وقعت اتفاقية سلام بين الطرفين.

سنغافورة:

كان حزب العمل الشعبي هو صاحب النفوذ في سنغافورة، وكان رئيسه المحامي (لي كوان يو)، وفي الانتخابات التي جرت هناك عام (١٩٦٣ م) حصل الحزب على سبعة وثلاثين مقعداً من أصل واحد وخمسين مقعداً في المجلس التشريعي السنغافوري.

وحصل خلاف بين هذا الحزب وبين حزب التحالف الملايوي في انتخابات شبه جزيرة الملايو، وقد نجح حزب التحالف، وحصل على تسعة وثمانين مقعداً من أصل مائة وتسعة وخمسين مقعداً في المجلس التشريعي في شبه جزيرة الملايو.

وجرت محاولة للتفاهم بين الحزبين في جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ (أيلول ١٩٦٤ م) ولكن من غير فائدة، فقرر بعدد حزب العمل الشعبي مخاصمة حزب التحالف أي الحكومة الماليزية. وشكّل حزب العمل الشعبي حلفاً ضمّ عدداً من أحزاب المعارضة، وكان أكثر هذه الترتيبات من العنصر الصيني، وهذا ما جعل الصراع عرقياً، ودرات ماليزيا أن انسحاب سنغافورة من الاتحاد إنما هو في مصلحتهم.

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ (٩ آب ١٩٦٥ م) استطاع ممثلو
البيت الماليزي (ديوان راجات) إقرار لائحة تعديل دستوري يمكن فيها
لستغفورة الأسحاب من الحزب.

شعالي جزيرة بورنيو:

منح حزب التحالف الملايوي مدة أطول لمقاطعات شعالي بورنيو
لتتمشى مع سياسة الملايو، ومنح قطعتين من الأرض لإمارة بروناي تشجيعاً
لدخولها في الاتحاد، ووعد قادتها بإعطائهم حكماً ذاتياً أكثر مرونة من
صلاحياتهم.

خشي رئيس وزراء الاتحاد تانكو عبدالرحمن من عمل رئيس وزراء
ولاية صباح على الانفصال وهو (دونالد ستيفنز) فأبعده عن منصبه وعيّن
مكانه داتو مصطفي.

وكان رئيس وزراء ولاية ساراواك (ستيفن كالونغ) يعدّ مجموعة
(الأبان) من أكبر المجموعات في الاتحاد، لذا عزّل، وعيّن مكانه (أبان)
تاوي سلمي) الذي يخضع لرأي كوالالمبور بصورة أفضل.

اتحاد دول جنوب شرقي آسيا:

تمّ تشكيل اتحاد دول جنوب شرقي آسيا في جمادى الأولى ١٣٨٧ هـ
(أب ١٩٦٧ م)، وقد ضمّ كلاً من: أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة،
الفلبين، تايلاند، ومن أهدافه المدونة تعضيد التعاون بين دول هذه
المنطقة من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي.

الدستور:

ماليزيا اتحاد يتألف من دول الملايو التسع: جوهور، قلمح،
كيلانتون، ترينغانو، بيرو، باهانغ، نيري سمبلان، سلاتشور، بيرليس،

ومن المحميات البريطانية السابقة: سالاوا، بينانغ، ومن المستعمرات
البريطانية السابقة: صباح، ساراواك.

وعلى الرغم من أن دستاير هذه الدول الأعضاء في الاتحاد تختلف
بعضها عن بعض في بعض التفاصيل، فإن أسسها واحدة، وهي
المحافظة على نظام الحكم الملكي الذي يعتمد على الحياة النيابية،
ويتخبّ الرئيس الأعلى لماليزيا، وهو الملك، من قبل مجلس الحكام لمدة
خمس سنوات.

ويتألف المجلس النيابي الاتحادي لماليزيا من مجلسين: مجلس
الشيخ، ومجلس الممثلين.

يتألف مجلس الشيخ من ٦٨ عضواً منهم ٢٦ عضواً منتخباً، عشرين
عن كل دولة عضو في الاتحاد، ومن ٤٢ عضواً معينين من قبل الملك.

أما المجلس التمثيلي فيتألف من ١١٤ عضواً من دول اتحاد الملايو
الإحدى عشرة، نصفها ينتخب من قبل الشعب، والآخر يُعيّن الملك، ومن
٢٤ عضواً من ساراواك، و١٦ عضواً من صباح، وبذا يكون مجموع أعضاء
المجلس التمثيلي ١٥٤ عضواً^(١).

ويُعيّن الملك رئيس مجلس الوزراء الذي يختار الوزراء الذين يجب
أن يكونوا أعضاء في المجلس التمثيلي، ويوافق عليهم الملك.
ويكون رئيس الوزراء هو الرئيس التنفيذي للحكومة الاتحادية. وقد

(١) ثم عدّل هذا، وأصبح يتألف من ١٣٢ عضواً من شبه جزيرة الملايو، و٢٤ عضواً
من ساراواك و٢١ عضواً من صباح، يكون العدد الكلي هو ١٧٧ عضواً، وفي
الانتخابات القادمة سترفع هذه أعضاء ممثلي ساراواك إلى ٢٧ عضواً ليكون العدد
الإجمالي هو ١٨٠ ممثلاً.

اختير أول رئيس للوزراء تانكو عبدالرحمن، أما الملك الأول فكان الياق
دي برتوان الفونغ، وهو ابن سيد حسن جمال الليل.

وتَمَّ الانتخابات كل خمس سنوات، وتجري من الاستقلال إلى الآن
بشكلٍ رتيب. والسلطة بيد تحالفٍ يشمل معظم الأحزاب في البلاد باستثناء
الحزب الإسلامي وحزب العمل الديمقراطي.

الاضطرابات:

بعد الانتخابات الثالثة التي جرت منذ الاستقلال أي عام ١٣٨٩ هـ
(١٩٦٩ م) حدثت اضطرابات عنصرية داخلية، واضطرت الحكومة إلى
إعلان حالة الطوارئ، وتشكيل مجلس وطني للعمليات لإدارة البلاد،
وللسيطرة على الأوضاع. وقد عُرفت تلك الاضطرابات بحوادث (١٣ أيار).
وتنازل إثرها تانكو عبدالرحمن عن رئاسة الوزارة، كما ضمَّ إليه حزب
التحالف بعض عناصر المعارضة، وعرف بعد ذلك باسم الجبهة الوطنية،
ولا تزال هي الحزب الحاكم إلى اليوم.

وبعد عامٍ عادت المشاغبات الداخلية العرقية التي نشأت عن رفض
ماليزيا لسيطرة العنصر الصيني على اقتصادها، ورفضها نتائج الانتخابات
التي تُؤيد ذلك العنصر، مما عَجَل باستقالة تانكو عبدالرحمن من رئاسة
وزراء الملايو، ثم من رئاسة وزراء الاتحاد.

تون عبدالرزاق:

خلف تانكو عبدالرحمن، وامتص نفقة المعارضة، وجذبها إلى حزب
التحالف، فشكّل الجبهة الوطنية من عشرة أحزاب، وتوفي في ١٣ محرم
١٣٩٦ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٦ م).

حسين بن عون بن جعفر:

خلف تون عبدالرزاق في رئاسة الوزارة. وكان الأمن في ماليزيا
مُهَيِّدًا دائمًا من قبل الحركة الشيوعية، واستناد المسؤولين أيضاً من هذا
التهديد، فكل خصم لهم اتهموه بالشيوعية، وقتلوه تحت هذا العنوان،
وأبعدوا عنه الأتباع تحت هذا شعار، وأشاع المستعمرون الصليون عن
المسلمين أنهم من الشيوعيين، ووضعوا حركاتهم تحت هذا الصنف.

كان المسلمون في فطاني، وهي المنطقة الملايوية التي تقع في قبضة
الاستعمار التايلندي البوذي، يشدرون على مستعمرهم، ويتلقون بعض
المساعدات من إخوانهم الماليزيين، وإذا ما اشتدَّ الضغط عليهم لجؤوا إلى
أراضي ماليزيا أيضاً، وخاصةً إلى ولاية كيلانتون التي تجاور أرضها ديارهم،
والحزب الإسلامي هو القوي فيها، وهو الحاكم في هذه الولاية، ومن
هنا كان الدعم، وكانت المساعدات، ومن هنا أيضاً كانت الاتهامات،
وكانت النفقة. ومن سوء حظ الشعب المسلم في فطاني أن شرقةً صغيرةً
من الحزب الشيوعي الملايوي الصيني قد لجأت إلى الغابات على الحدود
بين فطاني وماليزيا، ليستغلل بمظلة المجاهدين المسلمين في فطاني.
وكانت الحكومة الماليزية تطالب حكومة تايلند بإلقاء القبض على المتصدين
الشيوعيين، فتقوم السلطات التايلندية بمطاردة ورحق المجاهدين المسلمين
باسم ملاحقة الشيوعيين. وبدأت أعمال المجاهدين منذ عام ١٣٨٩ هـ
(١٩٦٩ م)، وكان المجاهدون الفطانيون يتهمون رئيس وزراء ماليزيا تانكو
عبدالرحمن بمحاولة التايلنديين لأن أمه منهم، وعندما انتهى سلطانه، وجاء
تون عبدالرزاق توَسَّموا به خيراً، إلا أنهم صدموا عندما أعلن أنه سيقمع كل
حركةٍ يقوم بها المجاهدون في تايلند بكل شدةٍ وعنفٍ.

ولما كانت حكومة ماليزيا غير قادرة على وقف عمليات الإرهاب
الشيوعي لذا لجأت إلى التعاون مع حكومة تايلند، وهذا ما خفَّف تدريجياً

من نشاط المجاهدين في تايلند، والمتمردين الشيوعيين في ماليزيا وخارجها
في مناطق الحدود المشتركة بينهما.

وفي عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) صدر عفو عام من قبل حكومة تايلند عن
كل متمردى الحزب الشيوعي الملايوي الذين استسلموا للسلطات، وفي
جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) وبعد عام من المفاوضات
مع حكومة تايلند وافق ١١٨٨ عضواً من أعضاء الحزب الشيوعي الملايوي
الباقين على إيقاف كل عمليات الإرهاب، وأدت معاهدة السلام التي وقعتها
زعيم الحزب الشيوعي المعارض وممثلون عن حكومتي ماليزيا وتايلند إلى
عودة المتمردين الشيوعيين إلى ماليزيا، واشتركهم في النشاطات السياسية
بصورة شرعية.

ولكن الأمر سهل بالنسبة إلى الشيوعيين حيث يمكن التفاهم، ويمكن
التعاون، ويمكن اللقاء على كل العوائد، أما الأمر الذي لا يمكن السكوت
عنه، ولا يمكن التساهل عنه فهم المسلمون حيث الأحقاد منعت عليهم،
والنقمة قائمة ولا يجلسون على مائدة، وقد عملت تايلند على سحقهم من
طرفها. وفي ماليزيا طرد الوزير الأول في ولاية كيلانتون من منصبه، وهو
من الحزب الإسلامي الملايوي (P.M.I.P.) وذلك في شهر ذي القعدة
١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م)، وأتى ذلك إلى قيام اضطرابات أعلنت في
إثرها حالة الطوارئ من قبل الحكومة المركزية، ثم طرد الحزب الإسلامي
من الجبهة الوطنية في مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الأول ١٩٧٧ م).

وأثناء الانتخابات الاتحادية عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) قام حسين
عون رئيس الوزراء بإصلاحات في وضع الجبهة الوطنية إلا أن الحزب
الإسلامي بقي يُعاني من إهمال حاد، وعدم اعتبار.

ورفضت الحكومة الاتحادية في هذا العام إقامة جامعة صينية قعادت
الخلاقات العنصرية نظهر من جديد.

سري محاذير محمد:

كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء الاتحادي منذ عام ١٣٩٦ هـ
(١٩٧٦ م)، وفي شهر رمضان من عام ١٤٠١ هـ (تموز ١٩٨١ م) أصبح
رئيساً للوزراء خلفاً لحسين عون.

جرت الانتخابات النيابية في جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ (نيسان
١٩٨٢ م) وفازت الجبهة الوطنية بأكثر الأصوات في الولايات كلها مما زاد
من قوتها السياسية، غير أن الحكومة قد أصبحت في وضع حرج في العام
التالي إذ تورط بعض الوزراء في فضائح مصرفية مخزية، وكان مصرف
بيموترا (Pumputra) وهو من أكبر مصارف ماليزيا ظهر أنه قد أعطى
قرضاً كبيراً بطريقة غير مشروعة لإحدى شركات (هونغ كونغ).

وأعيد انتخاب الدكتور سري محاذير محمد رئيساً للوزراء دون منافس
في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م).

وفي انتخابات ولاية صباح التي جرت في رجب ١٤٠٥ هـ (نيسان
١٩٨٥ م) حصل حزب صباح الاتحادي (P.B.S) على أكثر من نصف
الأصوات، وبهذا أصبحت ولاية صباح هي الولاية الوحيدة التي لا تحكمها
الجبهة الوطنية، واعتراض المسلمون على شرعية حكومة حزب صباح
الاتحادي مما أدى إلى الدعوة إلى انتخابات جديدة في جمادى الآخرة
١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) ففاز الحزب الحاكم بأغلبية الأصوات أيضاً.
وفي ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) وافقت الجبهة الوطنية
على ضمّ حزب صباح الاتحادي إلى وحدتها الحاكمة. كما ضمت أيضاً
المنظمة الوطنية لاتحاد صباح والتي كانت قد أخرجت من الجبهة قبل
عامين.

الخلاف في الحكومة:

اعتزت الحكومة الاتحادية برئاسة سري محاذير محمد وكذلك

المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو وذلك نتيجة استقالة نائب رئيس الوزارة موسى هيتام من منصبه بسبب خلافات جارية مع رئيس الوزراء. وعلى الرغم من أن موسى هيتام قد عاد إلى منصبه إلا أن مؤيديه قد زادوا من استقاداتهم لرئيس الوزراء مما وسع الفجوة بين الفريقين.

وفي الانتخابات العامة التي جرت في ذي الحجة عام ١٤٠٦ هـ (أب ١٩٨٦ م) قبل موعدها الرسمي بسبعة شهور حازت الجبهة الوطنية على ١٤٨ مقعداً من أصل ١٧٧ مقعداً. حصلت منها المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو على ٨٣ مقعداً، والمنظمة الصينية الملايوية على ١٧ مقعداً، وأما حزب الحركة الديمقراطية، وهو من الأحزاب المعارضة فقد حصل على ٢٤ مقعداً. وفي انتخابات الولايات التي جرت في الوقت نفسه بقيت سلطة الجبهة الوطنية على الولايات كلها، وبعد الانتخابات العامة أبعاد كل الوزراء الذين دعموا موسى هيتام.

وفي انتخابات المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو واجه رئيس الوزراء محاذير محمد تحدياً شديداً من تانكو رازالي حمزة وزير التجارة والصناعة، ورغم ذلك فقد تمّ انتخاب محاذير محمد رئيساً للمنظمة للمرة الثالثة، وبهذا بقي في منصبه رئيساً للجبهة الوطنية وبالتالي رئيساً للوزراء، وإن كانت شعبيته قد ضعفت، وكذلك انتخب عبدالغفار بابا نائباً لرئيس المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو، المنصب الذي كان يشغله موسى هيتام. وبعد مدة أعلن رئيس وزراء الحكومة الاتحادية الدكتور محاذير محمد استقالة رازالي حمزة ووزير الخارجية ريس ياتم، وعدد من الوزراء الذين دعموا رازالي حمزة.

استمرّ النقد ضدّ سلطة محاذير محمد موجّهاً من المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو نفسها، ومن مجموعاتٍ سياسيةٍ أخرى، وفي الوقت نفسه برزت من جديد العنصيات العنصرية، واشتدّ الخلاف حول تدريس اللغة الصينية، والدين. وحدثت انقسامات في الجبهة الوطنية (الحزب الحاكم)، وتشكل في ولاية ساراواك حزب سياسي مستقلّ في رجب ١٤٠٧ هـ (أذار

١٩٨٧ م)، إلا أن سلطة الجبهة الوطنية ما لبثت أن عادت ثانية إلى السلطة في الانتخابات التي جرت في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م)، ولكن بعدد أقلّ من الأصوات.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) حجرت الحكومة أكثر من مائة وستة أشخاص، ووضعوا تحت الرقابة لمنع عمليات الشعب والعنف بين الملايويين والصينيين بسبب بعض الخلافات الدينية. ويتمي المحتجزون إلى الأحزاب السياسية جميعها تقريباً، ومنهم زعيم المعارضة (ليم كيت سيانغ) هذا بالإضافة إلى عددٍ من المحامين والصحفيين، ومُعظمت ثلاث صحفٍ، ومُنعت التجمّعات السياسية.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) صدر قانون يقضي بإزالة أشدّ العقوبات على الناشرين والصحفيين الذين يتشرون أخباراً كاذبة، وصدر قانون آخر أعطى وزير الإعلام الصلاحية في مراقبة البثّ الإذاعي والتلفزيوني، وصلاحية سحب رخصة أي شركة بث لا تلتزم بالقيم الماليزية - حسب تسمية القرار - وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) أُطلق سراح جميع المحتجزين باستثناء (ليم كيت سيانغ) زعيم المعارضة، وابنه فقد بقياً حتى رمضان ١٤٠٩ هـ (نهاية نيسان ١٩٨٩ م).

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) توصلت المحكمة العليا إلى أن انتخابات المنظمة لاتحاد الملايو التي جرت عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) لم تكن شرعية، ولهذا أعلنت المحكمة أن هذه المنظمة غير قانونية لأن ما حدث لم يكن انتخاباً أهدأ، فأعلن رئيس المنظمة محاذير محمد، رئيس الوزارة الاتحادية، أن قرار المحكمة العليا لم يكن ليؤثّر على شرعية الحكومة، ولا على رئيسها، وأيدّه في ذلك تانكو محمود اسكندر. وأعلن محاذير محمد عن تشكيل منظمةٍ جديدةٍ لاتحاد الملايو، عُرفت باسم (u.m.n.o. Brau). وقال: إن على أعضاء المنظمة القديمة أن يُعيدوا

تصانهم فيما إذا أرادوا الانضمام إلى المنظمة الجديدة. ثم أعلن أن
رازالي حمزة ومؤيديه ليسوا أعضاء في المنظمة الجديدة، وبعد المقابلة
نقلت كل موجودات المنظمة القديمة وأثاثها إلى المنظمة الجديدة.

وفي رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) احتدم الخلاف بين السلطة
التنفيذية والسلطة القضائية بسبب موافقة المجلس النيابي على الحدّ من
صلاحيات السلطة القضائية والحيلولة دون إصدار قوانين من نفسها، ولهذا كتب
رئيس المحكمة العليا تون محمود صالح بن عباس لرئيس الدولة يشككي له من
محاولات الحكومة للحدّ من صلاحيات السلطة القضائية.

وفي رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) مُنع محمود صالح بن عباس
عن ممارسة صلاحياته ومنصبه انتظاراً لقرار المحكمة العليا التي عُيّن
لرئاستها تون سري عبد الحميد عمر.

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م) صدر قرار المحكمة،
وتحوّل محمود صالح بن عباس من منصبه. وهنا طالب أعضاء القضاة
الماليزية باستقالة عبد الحميد عمر، إلا أن رئاسته للمحكمة العليا قد لبثت
في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م).

وفي رمضان عام ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) رفضت المحكمة العليا
التوقيع على طلب من القضاة الماليزية نظراً لموقف القضاة من
عبد الحميد عمر. وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) عملت على
الحدّ من السلطة القضائية بشكلٍ أوسع فأصدرت قانوناً أمياً بحول دون
التجاه الأشخاص الذين سبق لهم أن احتجزوا إلى القضاء.

وفي محرم ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م) كانت نتيجة الانتخابات التي
جرت في عاصمة ولاية جوهور في غير صالح معاذير محمد وفي صالح
معارضيه، ولكن التي جرت في جهاتٍ أخرى انتهت بفوز المنظمة الوطنية
للإتحاد الملايو التي يرأسها معاذير محمد. وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ

(وأواخر أيلول ١٩٨٨ م) ترك ثلاثة عشر عضواً الجبهة الوطنية، وانضموا إلى
المعارضة التي يقودها موسى هيتام، ورازالي حمزة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) قام موسى هيتام
بمؤيدوه بوضع ستة شروط للموافقة على الانضمام إلى المنظمة الوطنية
الجديدة، وأهم هذه الشروط:

١ - الموافقة القوية على قبول أعضاء المنظمة القديمة أو الأصلية.
٢ - إضافة المناصب إلى الأسياد التي حازوا عليها في انتخابات
(١٩٨٧ م).

٣ - العمل على إعادة المنظمة الأصلية.

وقد وافقت المنظمة الجديدة على هذه الشروط في جمادى الآخرة
١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م)، والتزمت بها في ولاية جوهور.

كانت جمعية الصينيين الملايوية (M.C.A) قد فقدت الكثير من
مؤيديها منذ عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) بسبب المشكلات الداخلية، وسبب
عجز الحكومة عن الوفاء بوعداتها للجمعية إلا أن دعم المنظمة الوطنية
الجديدة لتلك الجمعية جعلتها تتمكن من الوقوف على أرجلها، وتغلب
على معارضتها.

ولما أُعلن أن موسى هيتام عضو في المنظمة الوطنية الجديدة شجع
هذا الإعلان ثمانية أعضاء من المشيقيين للانضمام إلى المنظمة في ولاية
جوهور.

وفي شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أقامت الحكومة التي أسسها
رازالي حمزة حلقة مع معارضها الأساسي والحزب الإسلامي الماليزي،
والذي كان عضواً في الجبهة الوطنية حتى أُخرج منها بجهود رازالي حمزة
عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

وفي شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) أسس وازالي حمزة حزياً أسماء
(روح الـ ١٤٦١) إشارة إلى عام (١٩٤٦ م) الذي تأسست فيه (المنظمة
الوطنية لاتحاد الملايو الأصلية).

وافقت الحركة الديمقراطية على التعاون مع روح الـ (٤٦) ومع الحزب
الإسلامي الماليزي، وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) انضمت
الجماعة الإسلامية الماليزية إلى روح الـ (٤٦)، وتركت الجبهة الوطنية، ثم
شكّلت هذه الجماعات كلها حركة الاتحاد الإسلامي (A.P.U). وهازت
هذه الحركة بالانتخابات، ولكن عادت للجبهة الوطنية قوتها، وهازت
بالانتخابات عدّة مرات.

ولاية صباح:

استقال نائب رئيس وزراء صباح (كودينغ) من منصبه في حزب اتحاد
صباح، وانضم إلى حزب (A.K.A.R) الذي حاول الانضمام إلى الجبهة
الوطنية على المستوى الاتحادي رغم أن ولاية صباح مستقلة.

المجتمع الهندي في ماليزيا:

في شهر ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) استطاع
سامي قائلو أن يبرز بين الهنود في ماليزيا، وأن يذاع بحماسة لرواسته لذلك
المجتمع. ويُعلن عن أهمية هذا المجتمع، إذ يُعدّ العضو الثالث في
الجبهة الوطنية، وكانت المناقشة قوية بين سامي قائلو وبين النائب
سوبرمايان، ويبدو أن تفوق سامي قائلو قد بدأ في أول الأمر بتأييد الأمين
العام لحزب المؤتمر الهندي فيجاندوران، غير أن الأمر لم يلبث أن تبدّل
عندما وقع قيجاندوران في عدة فضائح أخلاقية ألزمته إلى ترك مناصبه
السياسية الأمر الذي أضعف من شأن سامي قائلو.

وفي جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) عقد محاضر
محمد ورازالي حمزة عدة لقاءات في سيل و أب الصداق الذي حدث في
المجتمع الملايو، إلا أن ذلك لم يؤد إلى نتائج حميدة، وفي نهاية الشهر
نفسه أعلن محاضر محمد عن تعيين عبدالغفار بابا نائباً له.

مشكلة فيتنام:

منذ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) وماليزيا تستقبل اللاجئين الفيتناميين،
وتنتظر إعادتهم إلى الغرب حسب القوال وإعلانات الدول التي كانت تتبني
مساعدهم، ثم تبين بوضوح في شهر شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أن
هذه الدول لا تريد استخدامهم إليها، كما أنها لا تعمل بجديّة في سيل
إعادتهم، وهذا ما دعا منظمة دول جنوب شرقي آسيا إلى العمل على فرز
هؤلاء اللاجئين إليها لمعرفة اللاجئين حقيقة من الهارين في سيل البحث
عن وضع اقتصادي أفضل، وقد وافق مجلس الأمم المتحدة على هذا
القرار. وقد منعت ماليزيا في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني
١٩٨٩ م) دخول سفيتين تحملان أكثر من ألفي لاجئ، من الرسو في
موانئها أو دخول أي لاجئ إلى بلادها.

وفي رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م) جرت مباحثات في هاتوي
عاصمة فيتنام بين ماليزيين رسميين وفيتناميين لمناقشة اللاجئين الفيتنام،
وقضايا أخرى تجارية واقتصادية.

وهكذا يتبين أن أكثر أحداث اتحاد ماليزيا إنما هي داخلية، وأن
الأحداث الخارجية التي تعيشها تعدّ قليلةً.

ويبلغ عدد السكان ١٦.٧٠٠.٠٠٠ شخص حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م). ولكن سكان شبه جزيرة الملايو يشكلون ٨٢٪ من مجموع السكان، ولا يزيد سكان قطاع شمالي جزيرة بورنيو على ١٨٪ من المجموع العام، فيكون توزع السكان كالتالي:

شبه جزيرة الملايو	١٣.٦٩٤.٠٠٠	شخص
شمالي جزيرة بورنيو	٣.٠٠٦.٠٠٠	شخص
المجموع	١٦.٧٠٠.٠٠٠	شخص

١- الولايات فهي:

١- في شبه جزيرة الملايو:

عاصمتها	عدد سكانها	مساحتها كم ^٢	
كوالالمبور	١٨٩.٣٥٨	٧٩٥	١- بيرليس
الرومتر	١.٤١٠.٠٠٠	٩.٤٢٥	٢- قنج
جورج تاون	١.٢٦٦.٨٣٠	١.٠٠٣	٣- بينانغ
ايوه	٢.٢٥٦.٣٤٨	٢١.٠٠٥	٤- بيرق
كوتاباهرو	١.١٢٣.٢٩٦	٩.٤٢٥	٥- كيلانتون
كوالا ترينغانو	٦٩٤.١١٨	١٢.٩٥٥	٦- ترينغانو
كوتانان	٩٨٦.٤٢٤	٣٥.٩٦٥	٧- باهانغ
شاه علام	١.٨٧٨.٥٢٤	٨.٢٠٠	٨- سالانغور

الصراعات الداخلية

الفصل الثالث

تبلغ مساحة اتحاد ماليزيا ٣٣٠.٤٣٤ كيلومتر مربعاً، وهذه المساحة في منطقتين تفصل بينهما مسافة ٧٥٠ كيلومتر، المنطقة الأولى شبه جزيرة الملايو، وتبلغ مساحتها ١٣١.٥٨٧ كيلومتراً مربعاً، وتضم إحدى عشرة ولاية، وشمالي جزيرة بورنيو حيث يوجد ولايتان تبلغ مساحتهما معاً ١٩٨.٨٤٧ كيلومتراً مربعاً، إذ تبلغ مساحة ولاية صباح ٧٤.٣٩٨ كم^٢، بينما تبلغ مساحة ولاية ساراواك ١٢٤.٤٤٩ كم^٢.

شبه جزيرة الملايو	١٣١.٥٨٧	كيلومتراً مربعاً
شمالي جزيرة بورنيو	١٩٨.٨٤٧	كيلومتراً مربعاً
المجموع	٣٣٠.٤٣٤	كيلومتراً مربعاً

وهذا يعني أن الجزء الماليزي الذي يقع في شمالي جزيرة بورنيو هو أكبر مساحةً بمرتين ونصف من مساحة شبه جزيرة الملايو التي هي أصل الاتحاد الذي يحمل اسمها أيضاً.

وإن كانت هذه النسب تختلف قليلاً بين شطري البلاد.

ولما جاء الاستعمار الصيني قُرب الصينيين، وشُخَّع هجرة الكثيرين منهم من الصين إلى ماليزيا، وسَلَّمهم بعض الأعمال، وأوكل إليهم بعض المناصب فتحسنت أوضاعهم المعاشية فأخذت موجات منهم تفلد إلى البلاد حتى ارتفعت نسبتهم إلى ما هي عليه الآن. كما نشط المستعمرون الصينيون تجارة الهند، وساعدوهم على بناء المخازن والمستودعات، وذلك في سبيل زيادة أعدادهم حتى وصلت نسبتهم إلى هذا الرقم، وكل هذا في سبيل إضعاف نسبة المسلمين وإفقرهم، وعدم الحاجة إليهم. هذا بالإضافة إلى عمل الإرساليات التنصيرية.

وفي سبيل نجاح هذه المهمة فقد نُظِّم المستعمرون الصينيون والهنود ضمن تنظيمات وأحزاب كي يتمكنوا من مساعدة بعضهم بعضاً، وحتى ينهه المسلمون نحوهم، ويُشاركوهم في بعض الأعمال فيسهل إفسادهم، وإبعادهم عن دينهم بعد أن عجزت الإرساليات التنصيرية على أن تقوم بدورها مادام المسلمون متمسكين بعقيدتهم. وهكذا يبدو الصراع عنصرياً غير أنه في الواقع عقدياً.

أما اللغة فهي الملايوية رسمياً، مع وجود بعض الاختلاف بالنسبة إلى شطري الدولة. ففي شبه جزيرة الملايو تكون اللغة الملايوية هي الرسمية، ولكن تستعمل الإنكليزية على نطاق واسع. ولكن في شمالي جزيرة بورنيو تكون اللغة الرسمية هي الإنكليزية، واللغة الملايوية معروفة، ويتكلم بها عامة الشعب.

ويتكلم الصينيون اللغة الصينية غير أن اللهجات فيها كثيرة منها: الهوكايبية، الكنتونية، الهاكية، التوتشية، الهايتانية. ويتكلم الهنود لغات هندية كثيرة حسب المكان الذي قدموا منه، فهناك لغات: التاميلية، التلوجية، والأردو، والكوجراتية، والبجائية، والهندستانية.

٩ - نيلري سبلان	٦,٦٤٣	٧٢١,٨٦٢	سومبان
١٠ - مالاقا	١,٦٥٠	٥٨٠,٠٣٥	مالاقا
١١ - جوهور	١٨,٩٨٥	١,٣٥٨,٧٢٥	جوهور بحرو
العاصمة الاتحادية كوالالمبور	٢٤٤	١,٢٠٠,٤٨٠	كوالالمبور
المجموع	١٣١,٥٧٨	١٣,٦٩٤,٠٠٠	

٢ - في شمالي جزيرة بورنيو:

١٢ - صباح	٧٤,٣٩٨	١,٦٧٣,٠٠٠	كونا كينابالو
١٣ - ساراواك	١٢٤,٤٤٩	١,٣٣٣,٠٠٠	كوتشينغ

ويبلغ طول سواحل البلاد ٤٨٣٠ كيلومتراً.

الصراع العنصري:

يتألف الشعب الماليزي من مجموعات متعددة، وأهمها:

الملايو	وُشكّلون ٥٦%	من مجموع السكان
الصينيون	وُشكّلون ٣٢%	من مجموع السكان
الهنود	وُشكّلون ١٠%	من مجموع السكان
مجموعات محلية	وُشكّلون ٢%	من مجموع السكان

المسلمين قليلاً في شبه جزيرة الملايو على حين ترتفع نسبة النصارى قليلاً في ولايتي صباح، وساراواك، ويكون الاختلاف كالآتي:

نسبة المسلمين	نسبة البوذيين	نسبة الهندوس	نسبة النصارى	نسبة عبدة الأرواح
٥٥%	٣٠%	١٠%	٣%	٢%
٣٨%	٧%	٣%	١٧%	٣٥%
٢٢%	٢٤%	٥%	١٦%	٣٣%

إن مختلف أصحاب الديانات من غير المسلمين يعملون جهدهم ضد المسلمين، ويحفظون لذلك، ويتولى النصارى وإرسالياتهم هذا الأمر من تحطيط وتنفيذ، ويتخذون الآخرين مطية بالعمل لإفساد المسلمين، وتشكيكهم في عقيدتهم، وإبعادهم عن دينهم، ومزاحمتهم بالأعمال، وشحنهم بالأحقاد ضد الإسلام. وتمكنوا من الحصول على بعض النجاح، نتيجة العمل الدائب، ومناهج التعليم التي تركز الهجوم على المسلمين وعقيدتهم، واتخاذ المشافي، والحاجة إلى العمل، وإلى الدواء، وإلى التعليم، ونتيجة فقر المسلمين المدقع في كثير من الأحيان، واتخاذ الجنس والمخدرات... وهذه كلها وسائل لإفساد الشباب المسلم، إضافة إلى الدعايات ضد الفئات والتنظيمات الإسلامية، وإشاعة الشائعات واقتراء الكذب عليها، وعلى كل من يؤيدها ويناصرها.

هذا مع العلم أن الدستور يصر على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة. ولكن هذا لم يمنع من سيطرة الجامعة حيث ترى انتشار الربا والفساد، حتى الأعياد تنشر فيها جامليات إذ إضافة إلى الأعياد الإسلامية التي هي عبدة

وسعى المسلمون لتعلم اللغة العربية، ولكن تفت أممهم صعوبات منها: عدم وجود المعلمين، ومحاربة المستعمرين الصينيين، وبقية العناصر من هنود وصينيين إضافة إلى العلمانيين من الملايوين إذ يدعون أن اللغة العربية غير عالمية، ولا فائدة من تعلمها، وأن ارتباطها بالعقيدة أمر رجعي، كما أن الأمصار الإسلامية العربية لا تهتم بهذا، بل إن بعضها أخذ يتخلى عن لغة - مع الأسف -

الصراع العقائدي:

تعدد الديانات في ماليزيا، وإن كان المسلمون يشكلون الأكثرية إلا أنها أكثرية نسبية، ولكنها كبيرة بالنسبة إلى بقية الديانات، وغالباً ما ترتبط الديانات بعناصر السكان، فالملايويون غالباً مسلمون، والصينيون بوذيون، والهنود هنديون، وإن كان بعض الصينيين والهنود مسلمين غير أن نسبة المسلمين بينهم قليلة جداً، وكذلك فإن بعض الملايوين غير مسلمين سواء أكانوا بوذيون أم هنديون أم هنديون، وهم أهل الغابات.

٨,٦٨٤,٠٠٠	٥٢%	فيكون عددهم	تبلغ نسبة المسلمين في ماليزيا
٤,٣٢٢,٠٠٠	٢٧%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة البوذيين في ماليزيا
١,٢٣١,٠٠٠	٨%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة الهندوك في ماليزيا
١,٢٣٠,٠٠٠	٨%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة النصارى في ماليزيا
١,٣٣٣,٠٠٠	٢%	فيكون عددهم	وتبلغ نسبة عبدة الأرواح في ماليزيا

١٦,٧٠٠,٠٠٠

ولكن هذه النسبة تختلف بين شطري ماليزيا إذ نلاحظ ارتفاع نسبة

القطر والأصحى قد اتخذوا أعياداً كثيرةً منها عيد المولد النبوي تقليداً لعيد الميلاد عند النصارى. واتخذوا من يوم الاستقلال عيداً وطنياً، وهو (٣١ آب)، وكذلك عيد ميلاد الملك. وكذلك تحتفل البلاد مسابقةً للبوذييين برأس السنة القمرية حسب التقويم الصيني، وعيد كعكة القمر، وهو منتصف الشهر الثامن حسب التقويم الصيني، وعيد ويساك، ويكون في شهر أيار، وهو عيد بوذا إله البوذييين - حسب اعتقادهم -.

ويحتفلون مسابقةً للهندوس بعيد ديسا قالي، ويكون في الخريف، ويُستونها احتفالات التور، وهي بمناسبة انتصار الإله كريشنا إله الهندوس - حسب اعتقادهم - على ملك الجن. وعيد نايوسام، ويكون في آخر فصل الشتاء، وهو ذكرى للإله سوبرا مانيام حسب عقيدة الهندوس.

ويحتفلون مسابقةً للنصارى بعيد الميلاد، وعيد رأس السنة النصرانية (الأول من كانون الثاني).

ويحتفلون مسابقةً للوثنيين، جماعة (دياق) بعيد بداية موسم زراعة الأرز (جاواي باتو)، وعيد التخلص من تلذير السوء (جاواي بورونغ)، وعيد الحصاد (دواي برسيمان)، وعيد ذكرى الموتى (جاواي أنتو)، وعيد البطولة (جاواي كينالانغ)، وعيد الأول من تموز.

ويحتفلون مسابقةً للوثنيين، جماعة (الكانزان) بعيد الحصاد.

وهناك عيد (تاموسار) حيث تقوم المهرجانات، والاحتفالات، والألعاب.

وتعطل الدوائر بمناسبة أعياد ميلاد حكام الولايات.

الصراع الإقليمي:

لما كان هناك اختلاف في بناء السكان وعقيدتهم بين شطري ماليزيا، وخاصةً بالنسبة إلى زيادة أعداد الوثنيين في الجناح الشرقي الأمر الذي

يجعل مجال الإرساليات التصيرية واسعاً، لهذا فإن المستعمرين الصينيين يركزون على هذا الجناح، وهذا ما جعل نسبة النصارى ترتفع فيه، على حين أن مجالها محدود في الجناح الغربي لارتفاع نسبة المسلمين.

ولما كانت نسبة النصارى تزايد في شمالي جزيرة بورنيو لذلك يكون السعي كبيراً لتمتد يد العمران نحو تلك الجهات على نطاق أوسع بحجة أن المناطق هناك لا تزال مُتخلّفة، وبحاجةٍ إلى جهودٍ كبيرةٍ لإعمارها، وهذا بطبيعة الحال يقتضي تخصيص تَقَاتٍ من الميزانية لإعمار شمالي جزيرة بورنيو.

وإن الأحزاب القائمة في الجناح الشرقي والمؤسسات النصرانية تُطالب بهذا، وتُثير حماسة السكان للمطالبة بذلك، وتكون هذه المطالب ضمن قائمة الدعايات الانتخابية، وهذا ما أدى إلى وجود صراعٍ ضمنى بين الشطرين، حتى وصلت المطالبة إلى نقل العاصمة الاتحادية ودوائر الدولة إلى القسم الشرقي مادام الأكبر مساحةً.

وأما أهل الجناح الغربي فيرون أن تجمع السكان إنما هو في شبه جزيرة الملايو، والأصل أن تكون العاصمة في هذا الشطر، وإن انتقلها يكلف الكثير، والدولة بحاجةٍ إلى ضغط النفقات، وأنهم يرون العمل الحثيث لإعمار شمالي بورنيو، ولكن ليس على حساب الجزء الآخر، وإنما يجب الإسهام في إعمار الشطرين على حدٍ سواء، والدليل لرفع المستوى في أنحاء البلاد كافةً، وأن التمييز سيجعل نزعةً إقليميّةً بين السكان، وسينشأ عنه صراع في المستقبل، والبلاد في غنى عن ذلك.

ويرى المسلمون أن من أسباب التخلّف في الجناح الشرقي إنما يعود إلى العقائد الوثنية البدائية المنتشرة هناك، ومن الضروري العمل على رفع المستوى الفكري والعقدي بنشر الأفكار والعقائد السماوية وتهيئة الإمكانيات لاسمحاً لثبّت الدعوة، ونشر الحضارة، وإذا كان هذا مهياً للنصرانية فقط

بما تملك من إمكانات ضخمة وطاقات هائلة، ولكن المسلمين لم يهبوا لهم شيء إذ ليس لديهم الإمكانيات المادية ولا الوسائل الكفيلة بالحركة بل نوضح في وجههم المرائيل، ونحال بينهم وبين دخول هذا المجال، وبدا تبقى طاقاتهم مُعطلة، وإمكاناتهم مُبذرة، وجيوبهم مهدورة. ومن ناحية ثانية فإن رجال النصرانية والإرساليات التصيرية لم تستطع النجاح في مسعاها إلا بمستوى قليل لعدم انسجام ما يدعون إليه مع الفطرة البشرية، وإذا لم تنجح لأي سبب من الأسباب فليفسح المجال أمام رجال الإسلام والحركات الإسلامية، وليسلك كل طريقه، ويُبدلي كل بدلوه إن كان كلا الجانبين يعمل على رفع مستوى السكان الفكري والعقدي، أو ليتعاون الجميع للوصول إلى هذا الهدف. ولكن المسؤولين يجيئون على هذا أننا لا نريد قيام صراع عقدي في مجال العمل، ومعنى هذا العمل على فسح المجال أمام طرف واحد، وهو رجال النصرانية والإرساليات التصيرية، وإقتال الباب أمام رجال الإسلام والحركات الإسلامية، وهذا الواقع القائم، وهو ما يُسبب الصراع العقدي نتيجة التمييز الصارخ، والصراع الإقليمي نتيجة التفرقة الواضحة. وسيبقى الوضع ثابتاً لا يتزحزح فالسكان يرفضون النصرانية لارتباطها بالاستعمار الصليبي، وعلاقتها بالأجانب فالإرساليات التصيرية جميع رجالها من الغرباء، إضافة إلى عدم انسجام النصرانية المحرقة مع الفطرة البشرية، فما دامت تقوم على عبادة أحد المخلوقات فإنها تبقى على مستوى الوثنيات، وما فيها من فلسفة، وجمع ثلاثية في واحد فيصعب على المرء العالم حل ذلك اللغز فكيف برجل الغيبة البدائي، كما أن الرهبانية لا تنفق والنفس الإنسانية، ويلاحظ البدائيون ما يجري بالحقاء وراء تلك الطهارة المدعاة. وإذا كانت النصرانية قد عجزت عن دورها أفلا يسمح للمسلمين أن يؤثروا دورهم، دون أن يعلق الباب أمام النصرانية؟ الجواب: لا. لأنه لو فسح المجال أمام المسلمين لتقدم الإسلام وانتشر، وتوقف المد النصراني نهائياً وهذا ما لا يريده المستعمرون الصليبيون، ولا ممثلوهم من أصحاب السلطة، ولا الإرساليات التصيرية،

ولا اتحاد الكنائس العالمي، ولا الملحدون، ولا العلمانيون، ولا أصحاب الأهواء والشهوات. ومعنى ذلك فسح المجال لعمل النصرانية فقط، وسد الباب بإحكام أمام المسلمين، وإيجاد الصراع العقدي والإقليمي، والإبقاء على التخلف رغم الأذعاء بالعمل على إزائه وإعمار الأرض.

الصراع الحزبي:

ورغم ظهور التنظيم المبكر في ماليزيا إلا أنه لم يكن ذلك التنظيم العقدي الواضح، وإنما كان تجمعا يهدف ظاهراً إلى مقاومة الاستعمار، وفي الوقت نفسه يعمل للزعامة واستلام السلطة، أو لمد نفوذ وسيطرة جماعت العنصرية التي ينتمي إليها. وكان أهم هذه التنظيمات:

١- الحزب الوطني الملاوي الذي قام إثر إلغاء الخلافة، وضّم بعض الأمراء والمتعلمين، وأخذ يُطالب بالاستقلال، ولكن لم تكن له تلك القواعد القوية التي يستطيع أن يتحرك بها بشكل واضح بسبب فكرته الهشة التي لا تقوم على عقيدة، وبسبب عدم إدراك الشعب لأهمية التنظيم، ولتفقر السكان الذي يجعلهم مشغولين بتأمين أسباب حياتهم المعاشية.

٢- اللجنة الثورية الملاوية، وتأسست عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، ورغم أنها تحمل اسم الملاوية، إلا أن معظم أعضائها من الصينيين، ولكنها لم تلبث أن انقسمت على نفسها للاختلاف الذي وقع في الصين عام ١٣٤٦ هـ، لأن أوضاع الصين ظلت تنعكس على الصينيين الذين يعيشون خارجها، ومنهم الذين يعيشون في الملايو.

٣- تأسس الحزب الشيوعي في سنغافورة عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، وامتد نفوذه إلى الملايو، وكان أكثر أعضائه من الصينيين. وأخذ أمية العام (لاي نك) يدعو إلى تشكيل جبهة ضد الاستعمار، كي يستفيد من العناصر

٥ - حزب استقلال الملايو، وأسسه داتو «عون بن جعفر» عام ١٣٧١ هـ بعد أن انفصل عن المنظمة الوطنية الملاوية، وأراد أن يفتح على بقية المجموعات التي يتألف منها الشعب الملاوي.

٦ - جمعية الصينيين الملاوية، وتضم العناصر الصينية التي تخالف الشيوعية. وكانت مهمة الجمعية الصينية الملاوية الحفاظ على الانسجام العرقي أثناء التعايش مع المجموعات العرقية الأخرى، وشمرت أن وجودها داخل الحكومة سيؤمّن لها بعض متطلبات المجموعة الصينية، كما تظهر بمظهر المدافع عن حقوق الصينيين، وحرصت على كسب تأييد المؤسسات الصينية مثل اتحاد التجار وغيرها... نجح في انتخابات ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) كرتيس للجمعية (ليم تشونغ) ضد منافس (تان تشونغ لوك)، وأكد (ليم تشونغ) لتانكو عبدالرحمن أن استمرار التعاون سيقى مع حزب التحالف.

٧ - حزب المؤتمر الهندي - الملاوي؛ وأكثر أعضائه من أصل هندي، ويحمل الاسم نفسه الذي يحمله الحزب الحاكم في الهند.

٨ - حزب الشعب التقدمي، وجميع أعضائه من الهنود والصينيين غير المسلمين أي أن الحزب يحمل عبوة للإسلام وإن لم يُعلن ذلك.

وهكذا فإن الأحزاب تحمل أكثريتها الصفة العنصرية، وخاصة الصينية منها. وإن كانت العنصرية مرتبطة بالعقيدة لذا نلاحظ أنها تحمل الفكرة عقيدة وإن لم تُعلن ذلك، كما أن العقيدة تحمل الهندوسية وإن لم تُظهر، وهذا ما تُعده الصليبية، وأما الملاويين الذين يفترض أنهم يحملون العقيدة الإسلامية فإننا نلاحظ أنهم يتعدون عنها، وهذا ما أنشأهم عليه المستعمرون النصارى. فهم يُعلنون إبعاد الإسلام ومنهجه عن الحياة تحت شعار الوطنية الملاوية.

الأخرى غير الشيوعية، وربما يؤثر عليها، ويفتح على الجماعات الثانية غير الصينية ليعتد عن الفكرة العنصرية، ويتكّن من التغلغل في أوساطها، غير أنه لم ينجح وفي حزباً صينياً. وقد شكّل جبهةً معادية لليابان أثناء الاحتلال الياباني. كما أنشأ جيش الشعب المعادي للمستعمر الجديد. وقد تعاون مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ما دامت روسيا وبريطانيا حليقتين. وبعد الحرب حلّ جيش الشعب نفسه، وأخذ كل فردٍ من أعضائه مكانه.

ثم شكّل الأمين العام (لاي تك) جمعية الرفاق المقاتلين السابقين، وهي وإن كانت تحمل اسماً يدلّ على الخط الشيوعي إلا أن الاتجاه العام كان يسير في فلك الرأسمالية بل السياسة الإنكليزية بالذات. وبعد مدّة نَحْي (لاي تك) عن منصبه الحزبي، ثم زال من الوجود بظروف غامضة حسب الطريقة الشيوعية المعروفة. وتسلّم الأمانة العامة للحزب (تشن بينغ) فادعى أن الأمين العام السابق للحزب الشيوعي (لاي تك) عميل بريطاني، رُوع في الحزب الشيوعي، وهذه طريقة شيوعية، كل زعيم جديد يدّعي أن سلفه كان يمينياً، وهذا ما أتى إلى تنحيته.

شكل الحزب الشيوعي «جيش الشعب» من جديد، وأعلن أنه يُعادي الاستعمار، ويُحارب بريطانيا، ثم عاد فغيّر الاسم إلى «جيش التحرير للشعوب الملاوية» عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، وانتقل يُقاتل في الغابة، وبدأت الاغتيالات، وكانت تدعمه منظمة «حركة الشعب».

٤ - المنظمة الوطنية الملاوية، وتشكّلت برئاسة داتو «عون بن جعفر» عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)، وكان قد برز بعد الحرب العالمية الثانية كزعيم بين الملاويين، ونأست فروع لهذه المنظمة في كثيرٍ من المناطق، ومعظم عناصرها من شعب الملايو، وتسلّم زعامتها في ٢٤ ذي القعدة ١٣٧٠ هـ (٢٦ آب ١٩٥١ م) «تانكو عبدالرحمن» بعد داتو «عون بن جعفر» الذي ترك المنظمة، وانفصل عنها.

ولما أراد داتو عون بن جعفر الانتفاخ على الهنود والصينيين إشارة إلى البعد عن الجانب العنقدي، وأسس حزب استقلال الملايو عام ١٣٧٠ هـ، عندها أسرع منافسه تانكو عبدالرحمن، وأعلن عن قيام تحالف بين الأحزاب الملاوية، والصينية، والهندية.

٩- حزب التحالف: وتآلف من اندماج المنظمة الوطنية الملاوية المتحدة، وجمعية الصينيين الملاوية، وحزب المؤتمر الهندي الملاوي، أي ضم المجموعات العنصرية الثلاث التي يتكوّن منها الشعب الملايوي وهي: الملاوية، والصينية، والهندية، وهذا يدلّ على أن التحالف لم يتم على أي مبدأ أو فكرة سوى استلام السلطة واقتسامها فيما بينهم، ولو كان هناك أي معنى لعقيدة الشعب لما أُقبل على التحالف البوذيين والهندوس، وقد وجدناهم يُلبّون أول نداءٍ يُوجهه إليهم تانكو عبدالرحمن الذي كان أمير ولاية فتح فيما سبق، حيث يعرفون اتجاه المنظمة الوطنية الملاوية ورئيسها تانكو عبدالرحمن.

١٠- الحزب الإسلامي: وكان برئاسة برهان الدين الحلبي، وكان يلقي مقاومة عنيفة من حزب التحالف أو بالأحرى من الطوائف كلها، ومن العلمانيين الذين يتنمون إلى الإسلام.

كما أن المشروعات التي يتقدّم بها كانت تُجهض من قبل الحكومة المركزية، وكان قد نجح هذا الحزب في ولايتي «كيلانتون» و«تريغافو»، ونسّم حكومتهما، ولكن لم يستطع تطبيق برنامجه لموقف الحكومة الاتحادية م.

١١- الجبهة الوطنية: وتَشكّلت عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) حيث شملت حزب التحالف والأحزاب المعارضة في سبيل البقاء بالحكم وإعطاء المعارضة نصيبها. فالمعارضة لم تكن إذن سوى جماعات مصالح دون أن

يكون لهم مبدأ يعملون له أو فكر يتنادون به، فلما أعطوا شيئاً من السلطة إذا بهم يخضعون ويُؤيدون ما كانوا بالأمر يُخالفونه ويستقدونه.

وتقسم هذه الجبهة أربعة عشر حزباً سياسياً تهيمن عليه المنظمة الوطنية الملاوية المتحدة، وجمعية الصينيين الملاوية، وحزب المؤتمر الهندي - الملاوي، وجيروكان واكيات ماليزيا.

وأما المعارضة فتتمثّل بالحزب الإسلامي الماليزي، ويُعدّ ضعيفاً لأن جميع الأحزاب، والتنظيمات، والديانات غير الإسلام تقف في وجهه مع العلمانيين وأصحاب المصالح من المسلمين. إضافةً إلى الحكومة الاتحادية التي تجهض كل مشروعاته - كما ذكرنا - ليظهر ضعفه أمام الناخبين فيصوتون ضده.

وهناك حزب العمل الديمقراطي أيضاً، ويعمل أيضاً ضدّ الحزب الإسلامي لاختلافه معه في المنهج والوسائل.

والحكم منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) أي من قبل الاستقلال بيد حزب التحالف الذي يرأسه تانكو عبدالرحمن، وهو الذي يتولّى رئاسة الوزارة، ولكن حدثت بعض الاضطرابات الداخلية عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، وعرفت بأحداث (١٣ أيار) فأعلنت الحكومة حالة الطوارئ. وتنازل بعدها تانكو عبدالرحمن بورترا عن رئاسة الوزارة إلى تون عبدالرزاق الذي يعدّ ثاني رئيس للوزراء.

وتخلقت الجبهة الوطنية في الحكم حزب التحالف، وقد تشكّلت في ٦ شعبان ١٣٩٤ هـ (٢٤ آب ١٩٧٤ م)، وهي ليست سوى تنمّة له، ومن صيغته. واستمرت الجبهة بالحكم إلى الآن. ولكن كان قد توفي رئيس الوزراء تون عبدالرزاق في ١٣ محرم ١٣٩٦ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٦ م)، وخلفه داتوك حسين عون. وأحيل إلى المعاش، فنقلد منصب

وهذا يعني أنه لا توجد منافسات أو صراعات حزبية بالمعنى الصحيح الذي يوجد في البلدان التي تُسمّى نفسها بالديمقراطية، فالمعارضة غير موجودة، وإن وجدت فلمصلحة، فإذا ما أَحْبَت السلطة بشأن المعارضة أرضت قاداتها ببعض المنافع، ورضتهم إلى التحالف، وانتهى الأمر، ولهذا وجدنا أن التحالف يشمل أربعة عشر حزباً سياسياً يحكمون البلاد. أما المعارضة المتمثلة بالحزب الإسلامي فالجميع يُوجهون سهامهم إليه، وإذا حصل على نجاح في بعض الولايات أحبطت الحكومة المركزية مشروعاته فكأنه لم يكن. ومعارضة حزب العمل الديمقراطي ضعيفة لأنه ليس له قاعدة عريضة بين أفراد الشعب.

هذا في شبه جزيرة الملايو، ولا يختلف الوضع عنه في شمالي جزيرة بورنيو حيث يحكم تحالف جبهة ساراواك الوطني الذي يتألف من أربعة أحزاب وهي:

١ - حزب يساكا وبوميانرا بيرساتو ساراواك.

٢ - حزب ساراواك الاتحادي الشعبي.

٣ - حزب ساراواك الوطني.

٤ - بانسا ساراواك.

وليس للمعارضة وزن كبير لضعف نسبة المسلمين هناك، وتركهم شؤون السياسة والتنظيم نتيجة الفقر، والفسط. ويوجد في ولاية صباح حزب صباح الاتحادي (P.B.S) والمنظمة الوطنية لاتحاد صباح وحزب بوجايا.

مبادئ الصراع:

لما كانت أكثر الأحزاب تقوم على أسس عصرية، وكذلك ترتبط العقيدة بالعصرية لهذا فإن الصراعات تبدو في كل المبادئ عقديّة، عصرية، حزبية، ولعل أبرز هذه المبادئ:

١ - اللغة:

عند إعلان دستور (١٩٥٧ م) تقرّر أن تكون اللغة الملايوية هي الرسمية الوحيدة بعد عشر سنوات، ويجب على الولايات التي تنضم للاتحاد أن تتخذ هذا الشرط بعد عشر سنوات من دخولها الاتحاد.

وفعلاً، فإن ولاية صباح قد جعلت اللغة الملايوية اللغة الرسمية، وذلك في شعبان ١٣٩٣ هـ (أيلول ١٩٧٣ م)، وتدعى الآن اللغة الماليزية (باهاسا ماليزيا) أو اللغة الوطنية (باهاسا كيانجاسان).

وقررت ولاية ساراواك في صفر ١٣٩٤ هـ (آذار ١٩٧٤ م) استخدام اللغتين الماليزية والإنكليزية رسمياً حتى عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) حيث أصبحت بعدها اللغة الماليزية هي الرسمية فقط.

أما في شبه جزيرة الملايو فقد عدت اللغة الملايوية هي الرسمية في ٢٢ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٣ آذار ١٩٦٧ م)، وبعد مشاغل ٢٦ صفر ١٣٨٩ هـ (١٣ أيار ١٩٦٩ م) فقد أصبح استخدام اللغة الملايوية واسع الانتشار في شؤون الدولة، والمحاكم، والمجلس النيابي.

وفي الوقت نفسه كان يسمح بتعليم لغات أخرى، ولكن عدت العتاصر غير الملايوية هذا القرار بأنه لا يهدف سوى إذابة غير الملايوين في المجتمع.

٢ - التعليم:

سيطرت الحكومة عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) على المدارس كلها، وهذا

ما أثار الصينيين، وأحسوا أن القصد هو التخلص من أثرهم بإذابة أبنائهم في مجتمعهم الذي يحيون معه، فعمل بعض زعماء العناصر الصينية على إعادة تشكيل حزب العمل الديمقراطي (D.A.P) الذي كان في ستغافورة، وذلك عندما رأوا عدم ارتياح المجتمع الصيني من حزب الجمعية الصينية الملايوية (M.C.A) التي هي أحد أركان التحالف (U.M.N.O) الحزب الحاكم، وهي بالتالي أحد أركان الحكومة، وإعلان تشكيله رسمياً ليتمكن من دخول الانتخابات في سبيل إنهاء الميزات التي حصل عليها الملايويون، وإيجاد مساواة حقيقية في التعليم في المنهج حيث تصبح اللغات الملايوية، والصينية، والهندية، والإنكليزية رسمية، وفي مستوى واحد.

عبدالرزاق، واستطاع المجلس بعد أربعة أيام من الأعمال الدامية من السيطرة على الوضع الأمني في المدينة، وإن استمرت المشاغبات شهريين، وهددت الحكومة باتخاذ الإجراءات الصارمة بحق المجموعات الملايوية المسلحة التي أخذت تُطالب باستقالة تانكو عبدالرحمن. وأعلنت القيادات الملايوية في حزب التحالف أن أعمال الملايويين لم تكن سوى رد فعل لتصرفات المعارضة التي وصفتها بالبطش.

وفي جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ (تموز ١٩٦٩ م) أعلنت إدارة التحالف الوطني عن طرح صيغة جديدة للفكرة الوطنية لدمج مختلف المجموعات العرقية في بوتقة الوطنية الماليزية.

وفي ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ (٣١ آب ١٩٧٠ م)، وهو يوم الاستقلال الوطني أعلنت الفكرة الوطنية الجديدة تحت شعار نبوة الإيمان للولاء (روكان إيجارا)، وكان قد تشكل المجلس الاستشاري الوطني (N.C.C) منذ شهر ذي القعدة ١٣٨٩ هـ (كاتون الثاني ١٩٧٠ م) لإيجاد خطوط عريضة للتعاون العرقي، وقد ضم هذا المجلس ممثلين عن الحكومة الماليزية، وحكومة الولاية، والأحزاب، والعلماء، والمثربين، واتحاد التجار، والحرثيين، والصحافة، والمؤسسات، والأقليات.

٣ - الاقتصاد:

كان المستعمرون الصليبيون قد وجهوا الملايويين نحو إنتاج الغذاء بالعمل الزراعي، والصينيين نحو العمل باستخراج القصدير وصنائه، والهنود نحو العمل بإنتاج المطاط وصنائه، وتحسنت أوضاع الذين يعملون بالصناعة، ويسكنون المدن على حين لم تتحسن أوضاع الملايويين الذي يُشكلون أكثرية أهل الريف، فقررت الحكومة تحسين أوضاع الريف، ووضعت خطة لمدة عشرين عاماً، وتبدأ من عام ١٣٩١ - ١٤١٠ هـ (١٩٧١ - ١٩٩٠ م) فعدت العناصر غير الملايويين أن الموضوع عرقي بشكل غير مباشر. وضاعت أوضاع أهل الريف، فلقبوا نحو المدن، وأخذوا يحتلون البيوت والمقارنات

ووافق حزب الشعب التقدمي (P.P.P) القوي في عاصمة ولاية بيراق مدينة (ايوه) حزب العمل الديمقراطي وعملاً معاً حسب عهدٍ واحد. وكانت الانتخابات عام (١٩٦٩ م) عاملاً إظهار قوة للمجموعات العرقية، ولمصلحتها حيث تراجع حزب التحالف عما كان عليه سابقاً حيث حصل على ٦٦ مقعداً فقط، ونال ٤٨,٥ ٪ من مجموع الأصوات، على حين كان قد حصل في الانتخابات السابقة على ٨٩ مقعداً، ونال ٥٨,٤ ٪ من مجموع الأصوات، وحصل حزبا حركة الشعب الماليزية (جيراجان) وراكابت ماليزيا) والشعب التقدمي على ٢٥ مقعداً، وحصل الحزب الإسلامي (P.A.S) على ١٢ مقعداً وبدا حُرم حزب التحالف من الحصول على الأغلبية وهي ثلثا الأعضاء، ولم يعد بإمكانه إجراء تعديلات دستورية دون موافقة أعضاء آخرين في المجلس.

وفي ٢٦ صفر ١٣٨٩ هـ (١٣ أيار ١٩٦٩ م) نزل مؤيدو الأحزاب إلى الشوارع، وحصلت أعمال شغب، ووقعت صدامات، واشتباكات عنيفة، وأعلنت حالة الطوارئ. وبناء على المادة ١٥٠ من الدستور أعطيت جميع الصلاحيات لمجلس العمليات الذي يرأسه نائب رئيس مجلس الوزراء تون

٤ - رأس المال:
كانت نسبة رأس المال المساهم في القطاعين التجاري والصناعي موزعة بين المجموعات السكانية عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) كالآتي:

الملاييون	% ٣٠
الصينيون	% ٤٠
أجانب	% ٣٠

ولما كانت نسبة الملاييين ضعيفة مقارنةً بنسبتهم العديدة لذا عملت على إقامة مؤسسات عامة لمساعدة الملاييين، ولكن التنفيذ لم يكن جيداً إذ كثيراً ما كانت تُحجز الأسهم باسمهم من قبل الأجانب، وقام الصينيون بردة فعل، وأنشأوا مؤسسات أضخم من مؤسسات الحكومة، وانتقدوا الدولة وعدّوها متحيزة لصالح الملاييين، وكذلك قام الهنود بإنشاء مؤسسات فاقت الصينية أيضاً.

ويرى الصينيون أن اتجاه الحكومة لإنعاش الملاييين لن يكون إلا على حسابهم وخاصةً أن الحكومة لا ترغب في إنفاص مساعدة المؤسسات الأجنبية، ولكن الحكومة تُعلن أنها ترغب في أن يحصل الملاييون على ٣١%، ولن يكون ذلك إلا على حساب المؤسسات الأجنبية.

٥ - الأرض الحكومية:

يُطالب الصينيون بامتلاك بعض أراضي الدولة، ولكن الحكومة ترفض ذلك، وتُعلن أنها لا تريد أن تثير مشكلة امتلاك الأرض. فالذين يعملون بالأرض، ويشغلون بإنتاج الغذاء، وهم فقراء، ويعيشون في الريف لا تُعطى لهم

عونة، ووصل عدد هؤلاء القادمين عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) إلى مائة وثلاثين وخمسين ألفاً يحتلون أملاكاً وذلك في مدينة كوالالمبور وحدها، ونحو نحو أهل الريف الكثير من الصينيين والهنود، وكانت النسبة تتوزع في العاصمة بين المحتلّين كالآتي: ٤٥% من الصينيين، ٤١% من الملاييين، و ٤% من الهنود، ١٠% مختلطون، وعملت الحكومة على طرد المحتلّين، ثم اتجهت الية نحو توطينهم بدفع مبالغ رمزية غير أن هؤلاء القادمين من الريف يصعب عليهم دفع أي مبلغ مهما كان ضئيلاً، ورفضت الحكومة إعطاء رخص احتلال موقفة خوفاً من أن يشجع ذلك الآخرين على القيام بأعمال احتلال جديدة.

٤ - الوظائف:

كان من أهداف السياسة الاقتصادية الجديدة (N.E.P) توزيع الوظائف بين المجموعات السكانية حسب نسبهم المثوية العامة والتي كانت عام (١٩٧٠ م) ١٣٩٠ هـ كالآتي:

الملاييون	% ٥٣,٢
الصينيون	% ٣٥,٣
الهنود	% ١٠,٧
أخرون	% ٠,٨

غير أن المجموعة الصينية قد رفضت هذه النسبة، وعدّت الحكومة متحيزة للملاييين، وتعمل ضد المجموعات الصينية خاصةً.

الدولة الأرض المشاع، فكيف تقدمها لمن لا يعمل فيها، ويعمل في غير عمل
الغلاحة، ويجيش في المدينة، وحالك المادية أفضل حالاً إن لم نقل جيدة؟ ثم
تعطيهم الأرض بناءً على طلبهم، فهذا أمر غير مقبول، ولا هو بالعدل، ثم إن
الذي لا يجهد الغلاحة سيهمل الأرض إن امتلكتها وخاصة إن كان الامتلاك من
غير تعب.

٦ - الأمن:

إن أكثر الذي يعملون في قوى الأمن هم من الملايوين. وأخذ الصينيون
يُطالبون بتجنيدهم في قوى الأمن، ولكن الحكومة لا تستمع لهذا الطلب لأنها لا
تريد هيمنة غير الملايوين على قوات الأمن إذ تفقد قبضتها بذلك على العنصر
الملاوي القوي.

٧ - الجامعات والمعاهد الفنية:

يُطالب الصينيون بالحصول على نسبة في الجامعات والمعاهد الفنية
تناسب مع نسبتهم العددية في البلد، ولم يرضهم أبداً ما يحصلون عليه
ويعتونه قليلاً جداً، ولكن الحكومة ترى أن نجاح سياستها الاقتصادية إنما
يعتمد على دخول الملايوين في المعاهد العليا وخاصة الفنية منها.

ولم يُشارك الهنود في هذا الصراع الذي يدور تقريباً بين المجموعتين
الرئيسيتين: الملاوية والصينية وذلك نتيجة قلة أعداد الهنود، لذلك كانت
أصوات قادتهم في حزب المؤتمر الهندي مسموعةً بل دخلوا كوسطاء بين
المجموعتين الأخريين. ولكن في السياسة الاقتصادية الجديدة كانوا يريدون
لفت نظر الحكومة إلى ارتفاع نسبة البطالة بين الهنود والتي تفوق أية نسبة بين
المجموعات العرقية الأخرى. وكذلك فإن هجرة الغرويين إلى المدن يشكل
ضغطاً على الموارد، وسيهيئهم خسارة أكثر من غيرهم.

٨ - السلطة:

يُدعي الصينيون أن دستور ماليزيا قد احتفظ للمجموعة الملاوية بأحقية

المواطنة، واحتفظ كذلك بنسبة تمثيل أكبر للغرويين في الانتخابات، وأكثر
الغرويين من الملايوين.

بعد الانتخابات التي جرت في شهر صفر ١٣٨٩ هـ (أيار ١٩٦٩ م) ذكر
وزير الداخلية تون إسمايل أنه من الأفضل حلّ حزب التحالف إن بقيت
الجمعية الصينية الملاوية وحزب المؤتمر الهندي اللذان هما عضوان
رئيسيان في حزب التحالف. كما هما عليه الآن ليسوا هم من الأحياء فيستفاد
منهم، وليسوا من الأموات فينتهى منهم. ورغماً من المجموعة الصينية
على هذا التحلٍ تشكّلت حركة الوحدة الصينية بجهود (تون تان
سوسين) وبعض الضباط من العناصر الصينية.

وعدّت الحكومة والجمعية الصينية الملاوية أن هذه الحركة خطيرة
مادامت لم تُسجّل وقد ألقي القبض على عضوين من مؤسسيها بتهمة إثارة
الفتن، ولكن بعض زعماء هذه الحركة قرروا الانسحاب إلى الجمعية الصينية،
والعمل من داخلها فبزيد ذلك من نشاطها ومن مكانتها، ويكون عملهم بصفة
قانونية.

وجرت معركة بين الطرفين داخل الجمعية نفسها للسيطرة عليها بين
الأعضاء القدامى والأعضاء الجدد، وانتصرت القيادة القديمة، ولكن نجح (تون
تان سوسين) في تسلّم الزعامة. وقد أضعف القتال الجمعية.

وسّع تون عبدالرزاق حزب التحالف يضم بعض العناصر المعارضة
إليه وبعض الشباب وتأسست الجبهة الوطنية التي تضم أربعة عشر حزباً بما
فيها الحزب الإسلامي.

ولكن أخبر تون عبدالرزاق الجمعية الصينية الملاوية أنها لم تعد الجبهة
الوحيدة التي تمثل المجموعة الصينية وتكلم باسمها.

وأصبح حزب المؤتمر الهندي أكثر طواعيةً للجبهة الوطنية وخاصةً عندما
تدخل تون عبدالرزاق، وحلّ قيادته، وأعلن تقاعده زعيمه (سامبان تان)، وتسلّم

تلك (ماتيكافاساجام) الزعامة الجديدة في جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ (حزيران ١٩٧٣ م).

وفي الانتخابات التي جرت في شهر رجب ١٣٩٤ هـ (آب ١٩٧٤ م) أتت عشرة مقاعد لولايات شبه جزيرة الملايو فقُدمت ١١٤ مقعداً، حصلت الجهة الوطنية على ١٠٤ مقاعد منها نال حزب التحالف منها على ٦٢ مقعداً، وكان حزب العمل الديمقراطي هو المعارض. وبدأ العمل لإيجاد وحدة وطنية ماليزية.

وفي ٢١ ذي الحجة ١٣٩٣ هـ (١٤ كانون الثاني ١٩٧٦ م) مات تون عبدالرزاق رئيس الوزراء، وخلفه في منصبه داتوك حسين بن عون (ابن مؤسس حزب التحالف عون بن جعفر)، وبدأت المحاببات مع رؤساء وزراء الولايات ومنهم: داتوك هارون إدريس رئيس وزراء ولاية سالانغور الذي اتهم بالفساد، وطُرد من حزب التحالف، وسُجن، وخرج من السجن، وله فوته في الولاية، ودخل السلطة، حتى نجح عضواً في المجلس الأعلى لحزب التحالف.

ورئيس وزراء ولاية صباح تون مصطفى الذي نصبته حكومة كوالالمبور، وقد وجد أنه من الواجب عليه مساعدة الحركة الإسلامية في جنوبي الفيليبين، فأشاعت الحكومة المركزية أنه يريد الانفصال عن ماليزيا وتشكيل دولة تسمّى صباح، ومقاطعات جنوبي الفيليبين وهي: مينداناو، وصولو، وبالاوان، وادعاء الانفصال لإيجاد نقمة ضده، وأظهرت الحكومة المركزية أن إمكانات تون مصطفى ضحلة لما تملكه الولاية من ثروات خشبية ضخمة. ونتيجة عزمه على مساعدة الحركة الإسلامية أثار أحقاد الصليبية فقامت بعمل ضده، ونشع الشائعات، وتدعو لقتاله، وطرده، والتخلص منه.

عين رئيس وزراء الحكومة المركزية تون عبدالرزاق رئيساً لشرطة ولاية

صباح من قبله، كما عين رئيساً للقوات المسلحة في سبيل الاستعداد للإطاحة برئيس وزراء صباح تون مصطفى، وأيدت الحكومة المركزية الحزب المعارض في ولاية صباح، وهو حزب (بيرجابه)، وضمت إلى الجهة الوطنية وذلك عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م). واستقال تون مصطفى من منصبه كرئيس للوزراء، لكنه بقي مسيطراً على سياسة ولاية صباح كقائد لمنظمة صباح المتحدة الوطنية.

وفي انتخابات ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ (نيسان ١٩٧٦ م) فاز حزب (بيرجابه) المعارض لحزب تون مصطفى ففقد تون مصطفى سلطته.

تولى رئاسة وزراء ولاية صباح تون محمد فؤاد، وكان يُسنى قبل أن يُسلم (دونالد ستيفنز) لكنه قتل مع عددٍ من أعضاء حكومته في حادث طائرة. وعين رئيساً للوزراء مكانه داتوك حارث صالح.

كانت جماعة (كادازان) في صباح، وجماعة (أبان) في ساراواك تطران في بداية الأمر إلى البعد عن العاصمة المركزية كوالالمبور نظراً لإيجابية ذلك لأن تطور شبه جزيرة الملايو كان يفوق كثيراً تطور شمالي جزيرة بورنيو (صباح، ساراواك، بروناي)، ومع أن الوضع في التطور لم يتغير إلا أن النظرة قد تغيرت، وأصبح البعد يشكل حبر عثرة، وذلك نتيجة الدعاية والسياسة التي تدير عليها الشخصيات ذات النفوذ هناك، وهي التي كانت أهام الاستعمار الإنكليزي، ولم تتبدّل، وبقي لها نفوذها، ولها مكانتها، وتريد التفرقة، وإيجاد الخلاف.

وفي انتخابات جمادى الأولى ١٤٠١ هـ (آذار ١٩٨١ م) التي جرت في صباح قاد رئيس الوزراء حارث صالح حزبه (بيرجابه) في تلك الانتخابات وفاز فيها فوزاً ساحقاً حيث حصل على ٦٠٪ من مجموع الأصوات، وحصل على ٤٧ مقعداً من مجلس الولاية البالغ ٥١ مقعداً أي خسر أربعة مقاعد فقط، وإن هذا الحزب متعدد العرقيات.



مصدر رقم [٣]

وفي ولاية ساراواك بقي داتوك باتنجي ثان سري عبدالرحمن يعقوب
عشر سنوات في رئاسة وزراء الولاية، وكان من قبل وزيراً للتعليم، وقد
ضعف جسمه، فقتاعه بسبب ترقّي أوضاعه الصحية، وعقله ابن أخيه
داتوك عمار الطيب محمد الذي كان وزيراً انتخابياً في كوالالمبور.

وكان رئيس الوزراء السابق في ساراواك قد عين دبيرتوان حاكماً على
ولاية ساراواك دون أخذ موافقة الحكومة الاتحادية.

وفي الانتخابات التي جرت في شعبان ١٣٩٨ هـ (نومبر ١٩٧٨ م)
حصلت الجبهة الوطنية في ولايات شبه جزيرة الملايو على ١٣١ مقعداً من
أصل ١٥٤ مقعداً. وكان الحزب الإسلامي قد انسحب من الجبهة منذ عام
تقريباً. وفي ولاية كيلانتون مركز قوة الحزب الإسلامي نجح منافسه حزب
(بيرجاسا) الذي هو عضو في الجبهة الوطنية^(١).

A history of Malaysia Barbara Watson Andaya and Leonard Andaya. (١)
1961.

کتابت سے منقول
تاریخ
قرآن مجید

ابواب

اندونسیا



لمحة عن تاريخ
أندونيسيا
قبل إلغاء الخلافة

لما كانت الجزر الأندونيسية تنتشر على مناطق واسعة، ويفصل بعضها عن بعض بالبحر، بسبب وضعها الجزري، لذا فقد نشأت فيها عدة ممالك منذ قبيل الإسلام وحتى مجيء الاستعمار، ومن هذه الممالك ما كان سلطانها يمتد على رقعة صغيرة من الأرض قد لا تزيد على مساحة الجزيرة التي تقوم عليها، بل على جزء منها، ومنها ما يمتد ذلك حتى يشمل الجزر كلها، بل يمتد ليشمل جزءاً آخرى غير الجزر الأندونيسية، وقد يضم جزءاً من البير الأسيوي كأن تكون شبه جزيرة الملايو، أو غيرها، ومن هذه الممالك:

١ - امبراطورية سري فيجايا: وتأسست جنوبي سومطرة في أوائل القرن السابق للبعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وازدهرت هذه الامبراطورية، ونشرت سلطانها على أكثر الجزر الأندونيسية، وعلى شبه جزيرة الملايو، ووصل نفوذها إلى الفلبين شمالاً، وإلى جزيرة سيلان في الغرب، والتي عظمت وتبعث هذه الامبراطورية، وبقيت هذه الدولة حتى انتشر الإسلام بين أهلها في القرن السابع الهجري.

٢ - مملكة تارومانالهارا: وتأسست في غربي جزيرة جاوة في القرن الثاني قبل الهجرة النبوية، وبقيت حتى القرن الخامس الهجري.

٣ - مملكة سوندا: وقامت عام ٤٢١ هـ، وحلت محل سابقتها في غربي جاوة.

٤ - مملكة جاوه الوسطى: واستمرت حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

٥ - مملكة مانارام: وقامت في جاوه الوسطى، في أواخر القرن الثالث الهجري، فهي قد حلت محل سابقتها وبقيت حتى أخذ الإسلام ينتشر بين أبنائها. وقد نقلت مراكزها الإدارية عدة مرات.

٦ - مملكة جاوه الشرقية.

٧ - امبراطورية ماشافاهيت: وقامت في أواخر القرن السابع الهجري، واستمرت حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (٦٩٣ - ٨٨٣ هـ) وسطت سلطاتها على الجزر الأندونيسية كلها إضافة إلى الفلبين وشبه جزيرة الملايو، وجزء من الهند الصينية. وبدأ الضعف ينخر فيها بعد موت آخر أباطرتها الكبار (هايم ووروق)، حيث أخذت الأوضاع الإدارية تتردى مما أدى إلى قيام حركات انفصال عنها في بعض البلدان التي كانت تابعة لها، وحدثت اضطرابات، وحروب بين المقاطعات بعضها ضد بعضها، وتأخرت الزراعة، وانتشرت المجاعة، وأقبل الناس نحو الإسلام إيماناً منهم بأنه دين الحق، ولذلك فإنه سينقذهم مما يعانون. وقد انفصلت بعض الممالك عن هذه الامبراطورية ومنها:

أ - مملكة ميتكابو: في سومطرة الوسطى.

ب - مملكة آتشيه: في شمالي سومطرة، وانتشر فيها الإسلام، وكانت أقوى الممالك الأندونيسية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين. وبقيت حتى عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وكان لها دور كبير في قتال الهولنديين.

وليس هذه كل الممالك التي قامت في الجزر الأندونيسية. بل قامت ممالك ثانية ذات أهمية في الجزر الأخرى مثل: مملكة برونوي، وساراواك في شمالي جزيرة بورنيو، ومملكة بانغر في جنوبها، وممالك أخرى في جزيرة سيليبس، وجزر السوند الصغرى. ولكن امبراطورية ماشافاهيت قد وحدت هذه الجزر جميعها، وضمت هذه الممالك كلها.

وتعرضت أندونيسيا للغزو الصيني، واحتل الصينيون جزيرة جاوه عام ٦٨٢ هـ أيام قبلاي عمان حفيد جنكيزخان.

انتشار الإسلام:

من الصعب أن نُحدّد الزمن الذي وصل الإسلام فيه إلى تلك الجزر، وإن كان بعضهم يُؤكّد وصوله منذ المرحلة الأولى التي شخ فيها نور الإسلام في أرض العرب، حيث انتقل منها بواسطة التجار الذين ما انقطع سفنهم ثمخر عياب البحر قادمةً وذاهمةً تحمل البضائع بين أندونيسيا وبلاد العرب، وإذا كان التاريخ قد انتقل مع المجاهدين إلى ساحة المعارك ليدون الفتح، ويُسجل انتصار الحق وهزيمة الباطل، وينسب ما عدا ذلك فرحةً بزهور الباطل وغبطةً بارتفاع راية الحق، ولكن التجارة بالواقع لم تتوقف وانتقال الأخبار لم ينقطع غير أنها عاشت تحت غطاء حركة الفتح التي طلعت على كل ما سواها. ولكن يذهب بعض المؤرخين الآخرين إلى أن القرن السابع الهجري هو أول وقت وصل فيه الإسلام إلى تلك الجهات، ويستندون في ذلك إلى ما كتبه الرحالة الأديبي (ماركوبولو) عن زيارته إلى جزيرة سومطرة عام ٦٩٢ هـ حيث قضى خمسة أشهر فيها فيقول: وإن جميع سكان البلاد عبدة أوثانٍ اللهم إلا في مملكة (برلاك) الصغيرة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة حيث كان سكان المدن وحدهم مسلمين. أما سكان المرتفعات فكثيهم وثنيون، أو متوحشون يأكلون لحوم البشر. بينما تذكر كتب تاريخ الملايو: إن أول ملكٍ مسلمٍ حكم مملكة (آتشيه) هو (جيهان

شاه) وكان ذلك عام ٦٠٢ هـ وإته لم يكن من سكان البلاد، وإنما تزوج منهم فقبلوه ملكاً.

ويعتقد أن الإسلام قد بدأ يطرق أبواب تلك المنطقة منذ أن توقفت موجة الفتوحات، حيث انصرف الناس بعدها إلى مختلف نواحي الحياة يعملون في الزراعة، ويمارسون الصناعة، ويتقنون بالتجارة، وازداد إفلاح السفن من سواحل جزيرة العرب ومن فارس فتمتد وجهتها نحو المشرق تحمل معها البضائع، وإلى جانبها أخلاق التجار المسلمين التي تنبع من العقيدة، إلى جانب الدعوة الذين عملوا على نشر الدعوة والعمل في سبيل الله دون أي عملٍ آخر معتمداً في رزقه على ما كان قد جمعه، وكثيراً ما كان التجار يتخلون بضاعتهم وسيلةً للاتصال بالناس والعمل على هدايتهم.

وتروي كتب التاريخ أن بعض التجار الأندلسيين قد وصلوا إلى بغداد أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وعندما قفلوا راجعين كانوا يحملون بين جوانبهم عقيدة الإسلام، وعندما وصلوا إلى بلادهم قاموا بدعوة واسعة النطاق لها، وبدأ الإسلام ينتشر بين السكان ولكن على شكل أفراد وجماعات بسيطة، وأخيراً استطاعوا أن يؤسسوا لهم تلك المملكة الصغيرة (برلاك) التي يتحدث عنها الرحالة الأوربي (ماركوبولو). ولكن لم تكن لتخلو بقية المدن والجزر الأخرى من أفراد مسلمين وأسرة كاملة، ولكن لم يشعر بهم الغريب ما دام ليس لهم أثر واضح على حياة السكان لغلتهم، وإلا هل يمكن أن ينتشر الإسلام دفعةً واحدةً في تلك المدة البسيطة التي تلت زيارة (ماركو بولو) لجزيرة سومطرة، حيث قام بزيارتها بعد أقل من نصف قرن الرحالة المسلم (ابن بطوطة) لوجد الحكم الإسلامي، وأكثرية الشعب تعتقد العقيدة الإسلامية، فقد كانت زيارته للجهة نفسها عام ٧٤٦ هـ، ويقول عن هذه المشاهدات: وهو السلطان الملك الظاهر من قضاء الملوك، شافعي المذهب، محبٌ للفقه، يحضرون مجلسه للقراءة

والمذاكرة، وهو كثير الغزو والجهاد، ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه، وأهل بلاده شافعية، مُحبون للجهاد، يخرجون معه تلوّحاً، وهم غالبون على من يليهم من الكفار، والكفار يُعطون الجزية على الصلح». وربما كان (ماركو بولو) يهتوّن من شأن المسلمين من باب التحقير الصلحي.

وما إن بدأ التجار المسلمون يفتدون إلى تلك السواحل، ويرحل عنها أبناؤها ليعودوا بعقيدة جديدة حتى بدأت اليدور الأولى للدعوة تثبت جذورها في تلك الأرض، واتخذت الوسائل جميعها لهداية الناس، وأخذهم إلى طريق الإسلام، فالمسلم يحب الخبير للناس جميعاً، ويحب لهم ما يحب لنفسه، فيرغب لنفسه الأجر بهداية الآخرين، وكذلك يحب لهم الأجر بعد الهدى، وأكبر شيء يمكن أن يُقدّمه للناس هو دعوتهم للإسلام فيحصل على أكبر أجر، ويحصلون على أكبر خيرٍ إن تمكّن، ومن هذه الوسائل معاملة السكان كما يتعرفوا على الخلق الإسلامي لإقبال الناس على هذا الدين، ولهذا اتخط بعض الدعاة التجارة لتكون وسيلةً لهم للصلة مع السكان والتعامل معهم، ويشترون العبيد ويعتقونهم ليرفعوا من مكانتهم الاجتماعية، ويدعونهم إلى الإسلام، فيسلمون غالباً، ويتزوجون من سكان البلاد فتدخل المرأة في دين زوجها بعد أن تتعرف على حقيقة الإسلام عن قرب، وتتبنّى المعاملة الإسلامية بالممارسة، ثم لا يلبث أن يتبعها بذلك أهلها وأقرباؤها، ويحرص السكان على تعلّم اللغة العربية على أنها لغة المسلمين التجار الأرقى، ولغة المصلحة بالنسبة لهم، والإنسان أقرب ما يكون إلى من يتغامر معه مباشرةً دون وسيطٍ فيسمع القرد الكلمة من المسلم فيعرف معناها، ويتأثر، وصار كل من يتكلم العربية يُسمى مسلماً، وقبل بعضهم هذا الاسم، وأقبل على الإسلام.

وكان أهالي البلاد يحترمون التجار المسلمين والدعاة، ويكرمونهم لأجلهم الرفعة التي تنبع من عقيدتهم ولغزبتهم من ناحية ثانية، ولشعور

السكان أن هؤلاء الغريب المسلمين أعلى منهم مستوى، والغريب محب
مكرم، وإكرام الطيف معروف عند أكثر الشعوب، كما أن هذا الاحترام قد
يكون ناشئاً عن الثروة التي يملكها هؤلاء التجار، والتي تجعل لهم مكانة
مرموقة، ومركزاً ممتازاً في المجتمع، بل يترقب الناس منهم، وكذلك فإن
الحكام بحاجة إليهم لزيادة النشاط التجاري في بلادهم، ولزيادة دخل
البلاد من عائدات التجارة، ومضاهاة الإمارات الأخرى بذلك النشاط،
والثراء، والتطور الذي ينشأ نتيجة كثرة التجارة، وكذلك يجب ألا ننسى
الهدايا التي يحصل عليها المسؤولون من التجار، كل هذا يجعل للتجار
المسلمين مكانة عند حكام الإمارات الأندونيسية فيلتقون بهم، وغالباً ما
يؤثرون بهم لثقافتهم، وعلمهم، ولكنهم دعاءً يعرفون أسلوب الدعوة
وطريق الحوار، فإذا ما أسلم أحد الحكام توسع انتشار الإسلام لأن الشعب
غالباً ما يحرص على تقليد أمراءه. وكذلك تعتق القبائل الإسلام محروماً
اعتناق أحد كبارها له، وكانت تلك المناطق لا تزال تزخر بالحياة القبلية.

كما أن السكان قد تأثروا بوضوح العقيدة الإسلامية ونسرها، وبما
فيها من المساواة بين الناس، وهذا على خلاف ما يعرفونه من فروق قائمة
بين الناس في الديانات التي كانت تسود أندونيسيا، وكان الشعب يُعاني
الكثير من ذلك، ويريد الخلاص مما هو فيه، ووجد الإسلام مُقَدِّماً له.

وقد يكون التأثير بسبب تقوى المسلمين بالحضارة، ومن المعروف تأثر
الناس باللين يعتقدون أنهم أعلى مستوى منهم، كما أن إقبال المسلمين
على المؤاخاة بين أهل البلاد، وبعدهم عن الغايات والأطماع التي يعرفونها
من الغريب غيرهم، كل ذلك قد أوجد عند الأندونيسيين تقبلاً للانتساب إلى
الإسلام وفتحاً، وخاصة أنهم وجدوا في الدعوة مثلاً أعلى وأنموذجاً رائعاً
في الإنسان الكامل من حيث الأخلاق، والتواضع، والبعد عن الجشع رغم
علمهم المادي الذي يُمارسونه. وحتى وجدوا من الأمراء الأندونيسيين الذين
اعتنقوا الإسلام تغيُّراً واضحاً في السلوك والأخلاق، ولم يتخلطوا سبغاً، ولم

يرغموا سوطاً لتحويل أتباعهم إلى عقيدتهم كما يفعل الأمراء غير المسلمين،
أو كما فعل هؤلاء أنفسهم قبل أن يُسلموا، ولم يستعمل السيف إلا لإحراق
الحق، أو دفع باطل، أو ضرب من يلق في وجه الدعوة، ويحول دون
انتشارها.

وبعد مجيء الاستعمار وهدوم الإرساليات التنصيرية ازداد إقبال الناس
نحو الإسلام مخالفة للإرساليات التنصيرية وعدّها لما يرون من أعمال تلك
الإرساليات غير الإنسانية، فقد حدث أن تنصرت قرنتان، ثم تركتا النصرانية
واعتنق سكانهما جميعاً الإسلام لما شاهدوا وعرفوا من حقيقة تلك
الإرساليات النصرانية.

ولم يدع المسلمون القادمون أنهم من جنس أسمر، أو عرق
أفضل، أو شعب أرقي، أو أنهم أكثر مدنية، أو أعلى مكانة، كما يدعي
المستعمرون الصليبيون، فهذا أمر يعرفه الآخرون، ويُقرّون به، لا يدعيه
صاحب العلاقة نفسه.

كل هذا إضافة إلى حاجة الإنسان إلى التدين التي جعلت السكان
يُفكِّرون تماماً في قضية العقيدة، ولما كانت الديانات الموجودة آنذاك في
أندونيسيا لا تُحقِّق شيئاً من رغبات الإنسان القلبية، لذا فقد أقبل السكان
على الإسلام بشكلٍ واسع لا نظير له، إذ اعتنق الإسلام في أندونيسيا
عشرات الملايين في مدة لا تتجاوز القرن من الزمن، وكانت المناطق
الداخلية أكثر إسهاماً للدخول بالإسلام من المناطق الساحلية التي كانت
أشدّ اتصالاً بالمؤثرات الأجنبية. وكانت المناطق الساحلية أكثر تقبلاً
للإسلام لكثرة التجار المسلمين، وأخذها الدين الذي يتلاءم والقطرة
الشربة من بين المؤثرات الكثيرة التي ترد إليها من التجار الذين يمثلون
مختلف الأمم والعقائد. ولم يبق بعيداً عن الإسلام في أندونيسيا إلا تلك
القبائل المعزولة في الغابة التي لم تختلط بغيرها، وتزوي على نفسها،

ولم يكن بالإمكان الاتصال بها. ولا تخلو جزيرة إلى الآن من أمثال هذه القبائل المتكفئة على نفسها في الأعراس وقلل الجبال.

ولما دخل الكثير من السكان في الإسلام ومن مختلف الفئات وحدوا صفوفهم، وقاموا بحركة الانفصال عن إمبراطورية (مالاقاهيت) بقيادة الزعيم (أونس) الذي عُرف باسم بونس، واستطاع أن يتصر على ملوك تلك الإمبراطورية، فإن المسلم لا يصح أن يبقى تحت حكم الجاهلية إن كان بإمكانه إقامة حكم إسلامي. وإن لم يستطع فعله أن يرحل إلى دار الإسلام حيث يُقام حكم الله. وبذلك بدأت تناسس ممالك إسلامية في الدونيبا.

هذا في الجزيرتين الغربيةين اللتين تَمَّرتُ منهما الطرق التجارية، أما بقية الجزر فقد جاءها الإسلام من الجزيرتين السابقتين، ففي جزيرة (بورنيو) كان الإسلام أول ما دخل في صفوف شعب (بنقرماسين) الذي كانت له مملكة في جنوب غربي الجزيرة.

وفي شمالي الجزيرة كانت مملكة (بروني) التي انتشر فيها الإسلام أيضاً في وقت مبكر، ولما وصل الإسبان إلى الجزيرة عام ٩٢٨ هـ وجدوا ملك (بروني) مسلماً.

وفي غربي الجزيرة قامت مملكة (سوكندة)، وقد عمَّ الإسلام فيها عام ٩٥٧ هـ.

وهكذا عمَّ الإسلام أكثر الساحل بينما بقي الداخل على الوثنية. وفي القرن الثاني عشر الهجري بدأ الإسلام ينتشر في قبيلة (إيدان) التي تقع في الداخل.

وأما جزيرة (سيليس) فقد انتشر الإسلام على الساحل أيضاً، ومنه انتقل إلى الداخل، وتعدَّ قبيلتا (ماكاسار) و(البوجي) أهم قبائل سكان

الساحل، بل وأغلب سكانه يمتنون إلى إحدى هاتين القبيلتين. أما سكان الداخل فهم من (الألفور) الذين ينتشرون في القسم الشرقي أيضاً، وقد بدأ الإسلام يشق طريقه إليهم، وقد زار البرتغاليون الجزيرة عام ٩٤٧ هـ، ولم يجدوا فيها إلا قليلاً من المسلمين في قاعة (جوا) حاضرة مملكة (ماكاسار) - على زعم البرتغاليين - ولكن ما جاء القرن الحادي عشر الهجري إلا وكثر المسلمون، وطلبوا العلماء من مملكة (أنشي) في شمالي سومطرة، فلبَّى الطلب مباشرة، وجاء العلماء، وذلك عام ١٠١٢ هـ. ودخل شعب (بوني) في الإسلام على يد شعب (ماكاسار)، واتخذ الهولنديون المستعمرون الصليبيون كل الوسائل، وبذلوا جهودهم كافة لإثارة شعب (بوني) على قبيلة (ماكاسار). كما استطاع الدعاة في قبيلة (البوجي) أن يُحوّلوا قبيلة (السك) التي تسكن في جزيرة (لمبوك) إلى الإسلام، كما عملوا على نشر الإسلام في جزيرة (سومباوا).

ويرتبط وصول الإسلام إلى جزر (المولوك) بتجارة القرنفل في القرن الخامس الهجري أذعن ملك (يدور) الوثني للدخول في الإسلام على يد الشيخ منصور، ولقّب نفسه (جمال الدين)، وبعد ما اعتنق كثير من رعاياه الإسلام. وقد استقبل البعثة الإسبانية عام ٩٢٨ هـ، وأكرم رجالها، ويقول الإسبان: إن عمره كان خمسة وخمسين عاماً، وأنه لم يطمس على قدم الإسلام إلى هذه الجزيرة أكثر من خمسين سنة. كما استقر الإسلام في جزيرة (ترنات) قبل ذلك بوقت قصير.

وحاول الإسبان والبرتغاليون نشر النصرانية وبذلوا إمكانيات ضخمة في سبيل ذلك، ولكن السكان عندما أرادوا التخلص من المستعمرين الصليبيين قاموا بإسقاطهم النصراني على أنهم من غراس المستعمرين، وترططهم بهم صلة العقيدة، وسيقون على هذا الأساس تبعاً لهم، وفي الوقت نفسه عملوا على نشاط الدعاة المسلمين.

وأخرج الهولنديون البرتغاليين والإسبان من الجزر الأندونيسية على أنهم من الكاثوليك، ومن بقي من آثارهم انتقل إلى جزر القيليين.

وقد أسس المسلمون عدة ممالك في الجزر الأندونيسية ومنها:

- ١ - مملكة بولاك في سومطرة، وهي التي زارها الرحالة ابن بطوطة.
- ٢ - مملكة بنتام في غربي جاوه. وقد أسسها السلطان (حسن الدين) عام ٩٧٦ هـ.

وكان البرتغاليون قد احتلوا (مالاكا) عام ٩١٧ هـ، وسيطروا على شمالي جزيرة سومطرة عام ٩٢٨ هـ، وأصبح مضيق (مالاكا) تحت نفوذهم وسلطانهم، لذلك اتخذ المسلمون طريقاً جديدةً لتجاريتهم تبتعد عن مضيق (الصوند) بين جزيرتي (جاوه) و(سومطرة) عوضاً عن مضيق (مالاكا) بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة، وبهذا الانتقال توسع انتشار الإسلام في غربي جزيرة جاوه، وقويت شوكة أتباعه، فأسسوا مملكة (بسام) هذه، وتخلصوا من حكم مملكة (فاثاغاران) الوثنية التي كانت تحكم المنطقة، كما استطاع المسلمون من إحرار النصر على البرتغاليين الذين جاءوا إلى المنطقة لمساعدة الملك الوثني.

- ٣ - مملكة ديماك في وسط جاوه: أسسها رمضان قاسمي عام ٨٣٢ هـ.

- ٤ - مملكة متارام في شرقي جاوه: كانت مملكة قائمة، وكان ملوكها على الوثنية، وفي عام ٩٩١ هـ تولى أمرها رجل مسلم اسمه (متافاتي) وعمل على نشر الإسلام، ووحدة جزيرة (جاوه) كلها تحت حكمه، وكاد أن يتم له الأمر لولا أن اتخذ سياسة إبقاء الممالك الصغيرة ذات استقلال ذاتي، وتخضع لسلطانه، فكان حكامها يظهرين له الطاعة، ويשמرون العذر، فمما أن وافته منته حتى أعلنوا العصيان على المملكة،

واندلعت الحروب بين هذه الممالك، وانتهى أمر مملكة (متارام) الإسلامية.

- ٥ - مملكة أنشي في شمالي سومطرة: كانت هذه المملكة أولى الممالك الأندونيسية القديمة التي انتشر فيها الإسلام، وتوسد، وتشجع السكان لدينهم، ولكن قبل جهادهم في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين لسيطرة البرتغاليين التجارية، وانتقال الطريق التجارية من مضيق (مالاكا) إلى مضيق الصوند، إضافة إلى النزاع الذي حدث بين العلماء الذين يرفضون النفوذ الأجنبي وبين الحكام الذين لا يدعون إلى الجهاد، ولكن عادت لهذه المملكة قوتها في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وبدأت تقاوم المستعمرين الصليبيين حتى القرن الرابع عشر الهجري.

- ٦ - مملكة بالمبانغ في جنوبي سومطرة: وقد أسسها السلطان عبدالرحيم عام ١٠٥٨ هـ، وكانت أول مملكة في تلك الجهة رغم انتشار الإسلام منذ القرن السادس الهجري.

وبالقضاء على إمبراطورية (مالهافايت) انتهى حكم الهندوس في تاريخ أندونيسيا باستثناء جزيرة (بالي) حيث تجتمع فيها الهندوس، والذين يُقدَّر عددهم بأكثر من مليون.

الاستعمار:

في الوقت الذي بدأ المسلمون فيه يشتون أقدامهم في أندونيسيا كان المستعمرون الصليبيون من ناحية أخرى يفرزون مخالبيهم في الأرض لتجد لأصحابها مركزاً ثابتاً تستقر فيه لتحقيق الأهداف التي يسعون لها.

احتل البرتغاليون (مالاكا) عام ٩١٧ هـ، واتخذوا منها قاعدةً لشن الحملات على الجزر الأندونيسية وخاصة جزر (المولوك)، وهي الجزر

التي يعرفونها باسم جزر (الشوابيل)، وقد تمكنوا من السيطرة على شمالي سومطرة عام ٩٢٨ هـ، ووصلوا إلى جزيرة (سيليس) عام ٩٤٧ هـ.

كما أن الإسبان قد وصلوا إلى جزيرة (بورنيو) وإلى جزر (المولوك) عام ٩٢٨ هـ في طريق عودتهم، بعد مقتل قائدهم (ماسلان) في جزر (القبليين) بعد أن أظهر صليبية عناناً، وأراد فرضها على السكان. وإذا كانت البرتغال قد استطاعت أن تثبت أقدامها في الجزر الأندونيسية إلا أن إسبانيا قد عجزت عن ذلك إلا في جزر (المولوك).

قامت الثورات ضد البرتغاليين لتعصبهم الصليبي، ولظلمهم، وقامت معها حركات ضد التصارية التي عدّها السكان تنمّة للاستعمار الصليبي إذ هو الذي جاء بها، وهو الذي أغرى بها بعض الفقهاء المعقّلين، وأصحاب المصالح الطامعين. وازدادت هذه الحركات بعد أن قتل غدرًا سلطان جزيرة (تريبات) عام ٩٧٨ هـ، ويُدعى (هارون)، وكانت تمتدّ سلطته حتى جزر (القبليين).

وضعت البرتغال بعد أن احتلتّ إسبانيا أراضيها عام ٩٨٨ هـ، ثم إن إسبانيا لم تلبث أن ضعف أمرها بعد أن هُزمت أمام إنكلترا، وتحطّم أسطولها في معركة (الأمادا) عام ٩٩٧ هـ، وهذا ما هيّأ الجو لدولٍ طامعةٍ عندنا رغبة في الاستعمار، وعندنا رغبة في التراء، بعد أن كانت تسمع عن ثروات الشرق وغنى أهله، وعندنا رغبة في أن تُساهم في قتال المسلمين، ولديها حلم في المنافسة لدولٍ تحول في تلك الأصقاع البعيدة، وانطلقت هولندا التي كانت في حربٍ مع الإسبان، وتخلّصت من سيطرتهم حيث كانت تخضع لهم، فخرجت تنافسهم، وتقاتلهم، وتُحاول أن تحل محلهم في مستعمراتهم التي احتلّوها، والتي ورثوها عن البرتغاليين ألبسًا.

الاستعمار الهولندي:

وصل الأسطول الهولندي إلى سومطرة، وجاوه عام ١٠٠٥ هـ لأول مرة، وحدث بينهم وبين السكان معارك، وحاول البرتغاليون الوقوف في وجه الهولنديين فأمروا بواخراهم في (قوا) على ساحل الهند الغربي، وبواخراهم التي في (مالاكا) في شبه جزيرة الملايو بالتحرك نحو أندونيسيا لمقاومة الهولنديين، وهدّوا كل سفينة ليست لهم غنيمةً يأخذونها ومنها السفن الأندونيسية فاستطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عدّ الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تتزحزح عن مراكزها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز (مالاكا) مدة أربعين سنةً أخرى، كما احتفظت بجزرٍ من جزيرة (تيمور)، ومراكزٍ صغيرةٍ أخرى، ولكنها بقيت ضعيفةً لا يهتم بها.

لم تُراع هولندا التحالف الذي تمّ ضمناً بينها وبين الأندونيسيين، فما أن خرجت البرتغال من الساحة القتالية حتى انفضّ الهولنديون على الجزر الأندونيسية وعلى السكان يعملون سلباً، ونهباً، وقنابلاً، وتشتياً، فما كان الذهب الجائع ليرعى حرمة الحمل، والهولنديون جاءوا طامعين بالتراء، يريدون العزة بعد الذلّ، حاقدين على الإسلام وأهله، وقد انتهت الفرصة فانقضوا كالذئاب الكاسرة الجائعة التي أثارتها غريزة جوعها نحو شياؤ أمامها وعمال بينهما حائل ثم زال ذلك الحائل فانقضت تنهش غريزياً من غير رحمةٍ.

بدأت هولندا تُشدّد قبضتها على الجزر، وأُسست شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠١١ هـ، ووجدت الفرصة مناسبةً لها لانشغال إنكلترا وإسبانيا في حروبٍ فيما بينهما، وبدأت المعارك بين الهولنديين وبين المحالّك الإسلامية وخاصةً مملكة (نارام)، وشعر ملوك جزيرة (جاواه) بعد هذه المعارك بقوة هولندا، التي بدأت توسع سلطتها تدريجياً، وتقيم

الفلح والحصون التي أصبح من أشهرها (بنالبا)، وهو الاسم الذي أطلقوه على مدينة (جاكوتا)، إذ أعطوها اسم إحدى القبائل الهولندية (بنالبا)، وأخذت هولندا تتجه كلياً نحو أندونيسيا، وتزعم بثقلها هناك بعد أن انهضت تجارتها في الهند بسبب منافسة كلٍّ من فرنسا وإنكلترا لها.

أخذت المنافسة بين إنكلترا وهولندا تظهر في أندونيسيا منذ عام ١٠٢٧ هـ، وإن كانت هناك معارك جانبية من قبل، وإن بقيت المنافسة هناك وفي مناطق أخرى إلا أن الحرب قد انتهت بين الطرفين على إرغام هولندا على إلغاء احتكاراتها التجارية في الهند وفي أندونيسيا. وهذا ما سبب زيادة في خسائر شركة الهند الشرقية الهولندية والتي بلغت سنة وتسعين ألف روية عام ١٠٢٦ هـ.

احتلت فرنسا أراضي هولندا عام ١٢١٠ هـ، وكانت إنكلترا وفرنسا في حروب دائمة فيما بينهما، ومناسبة لا تقطع، واحتلال فرنسا لهولندا وضمتها إليها، وعدّها جزءاً منها أصبحت ممتلكات هولندا في الشرق فرنسية لذا أسرعت إنكلترا واحتلت مخازن الشركة الهولندية في الهند، وفي سومطرة دون مقاومة تذكر، وانتهى أمر الشركة عام ١٢١٤ هـ.

وبعد انتهاء الحرب بين إنكلترا وهولندا أيام حروب نابليون بونابرت عادت الحكومة الهولندية فاستولت على ممتلكات الشركة السابقة من جديد، وبدأت في استعمار أندونيسيا. وبعد هزيمة نابليون، واستقلال هولندا تم توقيع اتفاقية بين هولندا وإنكلترا، تركت هولندا بموجبها جزيرة سيلان، والكامب في أقصى جنوبي إفريقيا، وجزائر الهند الغربية في أمريكا إلى إنكلترا، وبالمقابل تخلت إنكلترا عن أندونيسيا لهولندا، وكانت إنكلترا قد احتلت جزءاً من أندونيسيا، وفي عام ١٢٢٢ هـ رفع الهولنديون رايتهم من جليلد نوب (بنالبا)، ولكن لم يدخل الهولنديون البلاد دون مقاومة، فقد قامت عدة حروب بين السكان وبين الدخلاء، كان من أشهرها:

١ - حروب (دييو نيغورو) الأمير المسلم: واستمرت خمسة أعوام، وانتهت عام ١٢٤٦ هـ.

٢ - حروب (بديري): وبديري جمعية دينية تأسست قبل وصول الهولنديين بقليل، وتعني البيضاء، رمزاً لظهارة القلوب، وصفة للملابس البيضاء التي لسهوا، وبدأوا بالدعوة للإسلام، وعندما نزل الهولنديون في أندونيسيا أعلنت جماعة (بديري) الجهاد، واستطاعت إحرار النصر، وأقامت حكماً برئاسة مجلس يضم ثمانية علماء، وبرز من أبطال الجهاد الشيخ مصطفى سحاب.

أشعلت هولندا الحرب الأهلية بين السكان بينما انصرفت هي لقتال جماعة (بديري)، واستمرت الحرب خمس عشرة سنة (١٢٣٧ - ١٢٥٣ هـ).

وكان الهولنديون يتصرفون على الملوك المحليين بالخدعة والمكر والغدر، لا بالقوة العسكرية، وإن كان النصر يثم أحياناً على بعض الملوك بالقوة وأفضلية السلاح.

وبعد أن سيطرت هولندا على جزيرة (جاوه) إثر حروب الأمير (دييو نيغورو) اتجهت إلى الممالك الأندونيسية الأخرى تخضعها مملكة مملكة حتى استطاعت أن تغلب على الممالك جميعها في بداية القرن الرابع عشر الهجري، ولعل أشهر هذه الحروب التي جرت خارج جزيرة (جاوه) هي:

٣ - حرب (أنتيه) في شمالي سومطرة: وقد استمرت هذه الحرب إحدى وثلاثين سنة (١٢٩٠ - ١٣٢٢ هـ) وقد أعلن سكان مملكة (أنتيه) الجهاد ضد الهولنديين الذين أرادوا أن يسيطروا نفوذهم على المسلمين، وكان السلطان آنذاك يدعى (إبراهيم منصور شاه)، وظهر من الأبطال في هذه الحرب (تكتو عمر)، ولكن إن انتهت الحرب عام ١٣٢٢ هـ فإن

الاضطرابات استمرت عشر سنوات أخرى أي حتى عام ١٣٣٢ هـ قبل الحرب العالمية الأولى.

قامت الحرب العالمية الأولى، وقد استفرت أقدام الهولنديين في أندونيسيا تقريباً، ولكن هذه الحرب لم تغير شيئاً من الأوضاع السياسية، وبعد انتهاء الحرب بدأت هولندا بتطبيق سياستها الاستعمارية الصليبية، ومنها العمل على إزادة المسلمين، وإفسادهم، وإبعادهم عن دينهم، ونهب ثروات البلاد بما يرضي نهمها، وبما يجعل السكان فقراء الأمر الذي يلزمهم الحاجة والتوجه نحو النصرانية - حسب التصور الصليبي -.

اتجه الأندونيسيون نحو توحيد الصقوف، وتأسيس الجمعيات، وتنظيم الأحزاب، ولعب المسلمون المتزعمون الدور الكبير فيها، ومن هذه التنظيمات:

١ - الجمعية الخيرية في جاكرتا، وتأسست عام ١٣١٩ هـ.

٢ - جمعية مكارم الأخلاق الخيرية في (سورابايا) في شرقي جاوه.

٣ - شركة إسلام في (سولو)، وأسّسها الحاج (سمنهوي)، وكان يُسانده في الحركة (عمر سعيد شكرو أمينوتو) الذي صار فيما بعد زعيم هذه الهيئة، والتي انقلت عام ١٣٣٠ هـ إلى حزب سياسي عُرف باسم حزب (شركة إسلام)، وعمل هذا الحزب على توحيد جهود الأندونيسيين، ورفع مستوى المعيشة للسكان، وإبتدأ في كفاحه ضد الهولنديين، وتطورت المجاهدة من سياسة اقتصادية إلى جهاد مستمر، وظلّ دعامةً من دعائم الاستقلال. وقد بدأ بمقاطعة الحكومة عام ١٣٤٢ هـ، إذ خرج أعضاؤه من المجلس النيابي.

٤ - الجمعية المحمدية: وأسّسها محمد دحلان عام ١٣٣١ هـ، وقد ركزت جهودها على التعليم، ونشر مبادئ الإسلام، فافتتحت المدارس،

وأقامت جامعة، كما أنشأت المساجد، والمستشفيات، وتعدّ أكبر جمعية تعليمية في العالم، إذ تُشرف على ألفي وخمسمائة مدرّسة ثانوية، وسبعمئة مستشفى، وثلاثمئة دارٍ للإيتام.

٥ - جمعية الإرشاد في (سورابايا)، وأسّسها أحمد السكوتي، وهو ذو أصل سوداني، وتُركز اهتمامها على التعليم، ولا تُدرّس إلا بالغة العربية، وأُنشئت عام ١٣٣١ هـ.

٦ - الجمعية العائشة التي تأسست عام ١٣٣٥ هـ، وهي خاصة بالسيدات، ومركزها مدينة (ميدان) في جزيرة سومطرة.

٧ - الحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي بأندونيسيا وهو فرع للحزب الاشتراكي الهولندي بهولندا. وذلك أن هولندا كانت تعدّ أندونيسيا جزءاً منها على حين أن مساحة أندونيسيا تفوق مساحة هولندا بـ (٦٨) مرة، ورضي هذا الحزب بهذا الاعتبار ورضي به، وعدّ نفسه فرعاً للحزب الذي مركزه هولندا، وعندما انكشف أمر هذا الحزب عدّ نفسه مستقلاً وذلك عام ١٣٣٨ هـ، وبعد عام واحد أُعلن عن تأسيس الحزب الشيوعي، والتحق بالمنظمة الشيوعية العالمية (كومترن)، وكان هذا الحزب يلقى كل تأييد من السلطات الهولندية.

وقامت ثورة واسعة في البلاد لم تستطع القوات الاستعمارية الصليبية من إطفاء نارها إلا عام ١٣٤٦ هـ، وهذه الثورة، وهذا الوعي الذي تمثل في تأسيس الجمعيات، وتنظيم الأحزاب لم يزد هولندا إلا حقدًا على السكان المسلمين، وتصميماً على سلب خيرات البلاد كلها، وضرب السكان ضرباً رادعاً، وأعدت الخطة اللازمة لذلك، واستمرت في تنفيذها حتى اندلاع نار الحرب العالمية الثانية.

أندونيسيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

الفصل الأول

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وهولندا تعمل على تطبيق سياسة استعمارية، صليبية حاقدة، والسكان في ضيق شديد يوقدون نار الثورة ببطء، ويتحركون بترنج مما يُعانون من الظلم، والفقر، والجهل، والمرض، والدلّ نتيجة تلك السياسة الغاشمة.

واستمرّ تأسيس الجمعيات وتنظيم الأحزاب، ومن أشهر هذه التنظيمات في هذه المرحلة:

- ١ - جمعية نهضة العلماء، وأسّسها هاشم أشعري عام ١٣٤٥ هـ، وصارت من أكبر الأحزاب السياسية، وللحزب قسم نسوي يُسمّى «مسلمات النهضة»، كما أقيم فيما بعد عام ١٣٨٦ هـ، جامعة المسلمات الأندونيسية، فهو حزب سياسي تعليمي.
- ٢ - حزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذي أسّسه (سوتومو) عام ١٣٤٩ هـ، وقد اتخذ أخيراً اسم (حزب أندونيسيا العظيم).
- ٣ - حزب الأمراء ويرى التعاون مع الحكومة الهولندية لإمكانية الحصول على الاستقلال.
- ٤ - حزب جاوه القتاة.
- ٥ - الجمعية الوصلية.



٦- جمعية الإصلاح الإسلامي في جزيرة (مادورا)، وغيرها من الجمعيات التي بلغ عددها سبعا وخمسين جمعية.

٧- الحزب الوطني وأسس أحمد سوكراتو عام ١٣٤٧ هـ.

٨- الحزب الإسلامي الأندونيسي انفصل عام ١٣٥٤ هـ، بقيادة (سوكمان) عن حزب شركة إسلام.

٩- جمعية الشبان المسلمين.

١٠- حزب التوير الإسلامي.

وعدت هولندا الحركة الإسلامية في الجزر الأندونيسية خطراً شديداً الأهمية فهي تتعدى حدودها الإقليمية الضيقة لتؤثر وتستقطب دعم العالم الإسلامي، لذلك امتدت السلطات الهولندية عن قمع الحركة الإسلامية بالقوة العسكرية في بادئ الأمر خوفاً من المضاعفات التي قد يسببها مثل هذا الإجراء، وأخذ المسؤولون يفكرون في سبل جديدة تمكنهم من القضاء على خطر المقاومة الإسلامية، وأخيراً رأوا أن أفضل السبل إنما هو تشجيع الحركات الإحلادية، ونشر الفساد بالفسور، والاختلاط، ونشر ما يسمى بالقرن، وتقديم المساعدات لأصحابه، وإيجاد تيارين رئيسيين في البلاد وهما: التيار الماركسي، والتيار القومي، وتلك آراء (سنوك هورو غونتي) المستشرق الهولندي المعروف والمكلف بالقيام بهذه الدراسة، ويرى أن القومية يمكن أن تكون عاملاً إضعافاً للحركة الإسلامية وضماناً أهم ضد قيام صلات بين الحركات التحررية في أندونيسيا وبين بقية أمصار العالم الإسلامي. وأما التيار الشيوعي الماركسي فهو كمثل بيت الإحلاد في صفوف الأهالي ونشر الفساد بينهم، وهو الأمر الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومة بضراوة، والاتجاه إلى محاربه، والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ومؤسساته المختلفة، إضافة إلى أن المسلمين إذ انتشر بينهم الإحلاد، وعم الفساد، فقدوا الروح المعنوية، وضاع مفهوم الجهاد، وانصرفوا إلى دنياهم لا يبالون بشيء آخر، وأضحت أكبر همتهم، ومبلغ

علمهم، وانطلقوا وراء شهواتهم يتخون منها ما شاء لهم هواهم، ووجدت القوات الاستعمارية الصليبية الجو أماتها هادئاً والطريق مهيأة للاستغلال ولبت التصارية. وإن هذا التيار يستلقي مساعدات واسعة من كل الشيوعيين في العالم، وسيكون قوياً يمكنه أن يثبت أمام ضربات المسلمين.

ثم وجدت هولندا أمراً خطيراً آخر تُشغل به المسلمين، وتفتت قواهم، فإك هو فتح الباب للقاديانية التي أوجدها الاستعمار الإنكليزي في شبه القارة الهندية، وتعدت من ألد أعداء الإسلام، وتعمل باسمه للمستعمرين، وهيات هولندا لها أفضل الظروف التي يمكن أن تؤمنها سلطة حاكمية، وافتتح مركز للقاديانية في البلاد، والدفع المسلمون بقادومون القاديانية، ويذودون عن دينهم ضد التحريف والتضليل، فمن ناحية تُشغل المسلمون في مجادلات فانصرفوا عن مقاومة الهولنديين، وهذا ما تتيحه السلطة الاستعمارية، ومن ناحية ثانية اتجه الشيوعيون ودعاة العصية القومية إلى بث آرائهم والدعاية لأنفسهم، وإظهار الاهتمام بقضايا الشعب البائس الذي يعيش في مستوى معاشي متخفض، فكانوا يمتونه بمستقبل أفضل، ويعدونه بالحصول عليه والوصول إلى حياة سعيدة إن سار وراءهم، فصنق الشعب الجاهل هذه الدعايات ومشى و. . . وحصلت هذه الفئات الفسالة والمتفعمة على مكاسب، وعلى تأييد شعبي على حين أدار الشعب ظهره للمسلمين بالنسبة إلى ما كان عليه سابقاً، ولم يعد زعماء الحركات الإسلامية قادرين على قيادة الأمة وهذا أمل الهولنديين الكبير حيث يمكنهم التفاهم مع أية حركة سوى الحركات الإسلامية لأن الحركات القومية والأشترابية لا تهتم بالقيم، ويهتمها الحصول على المتافع والوصول إلى السلطة.

بدأت حركة تقارب بين الجمعيات والأحزاب الإسلامية، وتشكل منها بين البحرين شبه اتحاد باسم (المجلس الإسلامي الأعلى)، وشغل يعقد مؤتمرات إسلامية عامية، كما شغل بمسألة الخلافة، وتشكل جمعية الخلافة في الهند الشرقية، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية، ووقفت اليابان إلى جانب دول المحور ضد الحلفاء، واشعلت حرباً عاتقة في الشرق، واتجهت نحو أندونيسيا فاستلمت هولندا مباشرة عام ١٩٤١ م، بعد مقاومة قصيرة، وسلمت أندونيسيا لليابان، وكانت اليابان قد أصمت بدعواتها أذان الشرق الأقصى بأن آسيا للأسويين، ويجب طرد الرجل الأبيض من الشرق، وإذا كانت هذه الدعاية قد استمع لها أولئك الذين ذاقوا مرارة الاستعمار من غير المسلمين الملتزمين، والذين يسرون وراء مصالحهم، ولم يبق لهم مكان لتمام الاستعمار الهولندي إلا أن هؤلاء وأولئك قد وجدوا أنفسهم بعد دخول اليابان البلاد أنهم قد خرجوا من برائن الاستعمار الهولندي الصليبي الأوربي ليقعوا بين مخالب الاستعمار الياباني الوثني الآسيوي.

اتبعت اليابان سياسة الاكتفاء الذاتي في كل البلدان التي وقعت تحت سيطرتها، ومعنى هذا أن كل منطقة تستغنى عن إنتاج ما تحتاج إليه من الحبوب، والمواد الغذائية، والأولية اللازمة، وتعطل بذلك كثير من الرجال عن العمل فاستطاعت السلطة إيجاد عمل لهم في القطاع الحربي، وبهذا أصبح توزيع ضرورات الحياة مختلاً جداً لأن المنتجات الفائضة في منطقة لا يمكن تصريفها، وفي الوقت نفسه لا يمكن جلب الضروري لها. وأكثر المناطق الأندونيسية تنتج الفائض عنها، فتتكسب المواد الفائضة ولا سبيل للحصول على الضروري ولا للحصول على المال.

ولم يمض شهر على الاحتلال الياباني حتى صدر مرسوم بحل الأحزاب السياسية جميعها بل والمنظمات الأخرى، ومنعها من الاستمرار في نشاطها، وقد دُرب اليابانيون الناس تدريباً عسكرياً. وألقوا منهم فرقاً للدفاع الوطني، وأرادوا أن تكون هذه الفرق ضد الحلفاء، ليتمكنوا من الإبقاء في أندونيسيا، وكان قائد هذه الفرق الجنرال (سوديرمان) وهو من العلماء، وأكثر ضباطه من جمعية المحمدية، وكان الهدف التدريب، ولم

يرض المسلمون عن هذه الفرق فأسسوا حزب الله برئاسة (زين العارفين) من جمعية نهضة العلماء، وقد تدربوا أيضاً على يد اليابانيين، ليحضوا تنظيمهم الذي كان على غاية من السرية.

قام الأندونيسيون بحركات داخل بلادهم ضد الاحتلال الياباني، وكانوا ينتظرون لغزو الحلفاء لبلادهم، ومساعدتهم على طرد اليابانيين، وكلهم أمل أنهم سيحصلون على الاستقلال بمجرد جلاء اليابانيين عن البلاد، وذلك حسب وعود الحلفاء المتكررة وتصريحاتهم المتوالية، ولقاء نضالهم ضد المستعمرين الجدد.

واستلمت اليابان بعد إلقاء القنبلة الذرية في ٧ رمضان ١٩٤٥ م (١٥ آب ١٩٤٥ م) وبعد يومين فقط أعلن عن قيام حكومة أندونيسية برئاسة أحمد سوكارنو^(١) ونائبه محمد حتا^(٢)، وعملت لتحويل دون عودة الهولنديين

(١) أحمد سوكارنو: ولد في ١٩ صفر ١٣١٩ م (٦ حزيران ١٩٠١ م) في بلدة (بليتان) في شرقي جزيرة جاوه، وكان أبوه معلماً، أما أمه فهندوسية من جزيرة (مالي)، وينتمي إلى جماعة (أينجان) الدينية، وهي في عقائدها أقرب إلى الهندوسية والبوذية الديانتين اللتين كانتا سائدتين قبل الإسلام، وتنتشر هذه العقيدة في شرقي جاوه، ولكن يذمها أتباعها الإسلام طاعراً.
درس أحمد سوكارنو المرحلة الابتدائية في بلنته (بليتان)، ثم انتقل إلى (سورابايا) لينتقل بالمرحلة الثانوية، وهناك انضم إلى جماعة (جلوه الفتاة)، وكان يكتب في جريدة (رسول أندونيسيا)، والتحق عام ١٣٨٨ م (١٩٢٠ م) بكلية الهندسة في جاكرتا وتخرج منها عام ١٣٤٣ م (١٩٢٥ م)، وعمل بإحدى الشركات الهولندية، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعات الهولندية.

بدأ أحمد سوكارنو عمله السياسي عام ١٣٤٨ م (١٩٢٩ م)، وبعد عام اعتقل، وأطلق سراحه بعد عامين، ثم لم يلبث أن اعتقل وأُنفى إلى جزيرة (فلوريس) إحدى جزر مجموعة الصعود الصغرى، وبعدما نقل إلى (بنكولن) في جزيرة سومطرة، وأطلق سراحه عندما أفرج اليابانيون عن المعتقلين السياسيين، وتسلم رئاسة الجمهورية، وكان يمثل إلى الشيوعية، وتوفي في مستشفى جاكرتا في ١٧ ربيع الثاني ١٣٩٠ م (٢١ حزيران ١٩٧٠ م).

(٢) محمد حتا: ولد في جزيرة سومطرة في ٨ جمادى الأولى ١٣٢٠ م (١٢ آب ١٩٠٢ م). درس الاقتصاد في جامعة (روتردام) في هولندا، واشترك في الجمعية

إلى البلاد بعد انسحاب اليابانيين، وتحرك الأندونيسيون لتزج السلاح من أيدي اليابانيين، وصارت فرق الدفاع نواة الجيش، بينما أسس حزب الله حكومة وسط جزيرة جاوا في بقعة جبلية عُرفت باسم (دار الإسلام)، وأطلقوا على عاصمتها اسم (المدينة المنورة)، وجعلوا لغتها الرسمية اللغة العربية، وعملوا على تطبيق الشريعة في الحكم، برئاسة زين العارفين.

ولكن القيادة العليا للحلفاء أصفرت أوامرها للقوات اليابانية المستسلمة بأن تحافظ على الأمن، وتحفظ بأسلحتها، وتنتظر وصول قوات الحلفاء لاستلام الأمر منها، ولم تُترك الحكومة الأندونيسية سرّاً وخطر هذا الأمر. وجاء الجنود البريطانيون، ولم يتألم السكان من مجيئهم في بداية الأمر، ولكن لم يلبث أن أخذ الجنود الهولنديون يدخلون أندونيسيا تحت مظلة وحماية البريطانيين، وطلب الهولنديون اعتقال الزعماء الأندونيسيين، وأخذوا يحاولون إقناع حلفائهم بأن حركة الاستقلال هذه إن هي إلا مؤامرة يابانية، وأدعى الحلفاء أنهم جاءوا لحفظ الأمن والنظام، وعندما انضح للسكان الهدف الحقيقي من وراء نزول الحلفاء نشب القتال بينهم وبين القوات الهولندية والبريطانية. وقد رفضت القوات الهندية المسلحة الموجودة في صفوف القوات البريطانية قتال إخوانهم المسلمين الأندونيسيين، إذ رفضوا الأوامر، وأعلنوا العصيان، وكانت الهند لا تزال دولة واحدة، لم تنصل بعد إلى هند وباكستان، وكانت لا تزال تحت السيطرة البريطانية.

لداعي المسلمون من مختلف أرجاء أندونيسيا لعقد اجتماع بعد أن وجدوا أن الحركات الاستعمارية الصليبية، والشيعية الإتحادية، والمحلية العلمانية ومن يسير وراء هؤلاء جميعاً لمصلحة له. كلهم يتفقون ضدّ

الأندونيسية هولندا، وفي المؤتمر الدولي لمناهضة الاستعمار العالمي في بروكسل في بلجيكا، ودار اليابان، وتولى رئاسة تحرير جريدة (نداء الشعب)، واعتقل عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) حتى أطلق اليابانيون سراحه عندما دخلوا أندونيسيا بعد سجن عام سبع سنوات، ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، ثم اعتقل في جزيرة (بانكا) وكان صاحب دين وخلق.

المسلمين، ويعملون لإبعادهم بعد أن رأوا مكانتهم وقبالتهم للأمة، وعقد هذا اللقاء في مدينة جاكرتا في الثاني من شهر ذي الحجة ١٣٦٤ هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٤٥ م)، وكان ذلك أكبر مؤتمر إسلامي، وتمّ الاتفاق على الانسواء في تنظيم إسلامي واحد، سمي (مجلس شورى مسلمي أندونيسيا) وعرف باسم «ماشومي»، ولم يُعارض أحد من الحضور ولم يتخلف أحد، بل كان إجماع على ذلك، وهذا ما أضاف المستعمرين الصليبيين فقصلوا التفاهم مع العلمانيين المحليين من شيعيين، وقوميين، ومن عُرفوا باسم الوطنيين، وأسرعوا إلى عقد لقاء بين ممثلي هولندا وممثلي الجمهورية الأندونيسية برئاسة الوسيط البريطاني اللورد (كيلين)، ونتج عن اللقاء توقيع اتفاق (لتيجار دجتي) الذي اعترفت هولندا بموجبه سلطة الحكومة القائمة الفعلية على جزر (جاوا، سومطرة، مانورا) فقط، ولم يتم هذا الاتفاق طويلاً إذ أخذ الهولنديون يقومون بأعمال عسكرية ضدّ الحكومة الأندونيسية والأراضي التي تسيطر عليها. وتدخلت الأمم المتحدة وألزمت هولندا على وقف إطلاق النار، وتبع ذلك عقد هدنة مؤقتة، وبعد جهود توصل الطرفان إلى اتفاق (رانغيل)، و(رانغيل) اسم الباعرة الأمريكية التي عقدت عليها المفاوضات في شهر صفر ١٣٦٧ هـ (كانون الثاني ١٩٤٨ م)، ولكن بعد أن انتقصت أراضي الجمهورية الأندونيسية، واقتصرت على قسم من جزيرة جاوا، وقطعة صغيرة من سومطرة، وكانت عاصمة الجمهورية مدينة جوكرتا، أما الهولنديون فقد بقوا في بقايا (جاكرتا) ولكن لم ينته العام حتى قامت هولندا مجدداً بأعمال عسكرية، واحتلت العاصمة جوكرتا، واعتقلت الزعماء الأندونيسيين ومنهم: أحمد سوكارنو، ومحمد حتا، وعمجوز سالم^(١)، وسوتان شاهرير^(٢)، إضافة إلى عددٍ من الوزراء

(١) عمجوز سالم: شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات، وكان مسلماً نقياً، توفي عام

١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م).

(٢) سوتان شاهرير: تسلّم رئاسة الوزراء عدة مرات، وكان في الوقت الذي لموافق هولندا للحصول على الاستقلال.

ومن ناحية ثانية عمل أعداء المسلمين على مختلف أسمائهم على تقوية الشيوعيين للوقوف في وجه التيار الإسلامي، فقد أوكل رئيس الجمهورية أحمد سوكرانو إلى عامر شرف الدين الشيوعي رئاسة الحكومة في ١٤ شعبان ١٣٦٦ هـ (٣ تموز ١٩٤٧ م) فاحتفظ لنفسه إضافة إلى رئاسة الوزراء بمنصب وزير الدفاع ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة، ويستطيع اللعب بتصفية العناصر الإسلامية من الجيش وخاصة الضباط أصحاب الرتب العليا، وإحلال ضباط شيوعيين مكانهم، غير أن هذا العمل لقي معارضة عنيفة من الشعب، والصحافة، والمجلس النيابي، وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر محمد حنا نائب رئيس الجمهورية أن يستخدم سلطته فأصدر مرسوماً جمهورياً بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ م) يقضي بإقالة حكومة عامر شرف الدين، وتولّي بفضه مهمة تشكيل وزارة جديدة فثارت لائحة الشيوعيين، وابتدأ هجومهم العنيف.

الثورة الشيوعية الأولى:

ألّف الحزب الشيوعي الأندونيسي مجلساً للثورة بقيادة عليا، وقدم أحدهم، وهو (عبيد) مذكرةً إلى الحكومة يُطالب فيها بالتبادل السياسي مع الدول الشيوعية، وبالتأميم، ومصادرة الأملاك، وإقالة الحكومة القائمة التي يرأسها محمد حنا. وفي ١٩ شوال ١٣٦٧ هـ (٣ أيلول ١٩٤٨ م) دعت صحيفة العمال الشيوعية الحكومة إلى الانضمام إلى المعسكر الشيوعي تحت لواء (الكوملن)، والسير مع الدول الماركسية.

وفي ١٥ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٨ أيلول ١٩٤٨ م) بدأت الحركة الشيوعية بالتحطاف ضباط من الجيش، وقامت بأعمال الإرهاب في كل مكان، وتدخلت الحكومة، فانزلت قوات الجيش إلى الشوارع، وأنتشرت المعتقلين بالإفراج عن المعتقلوهم، فلم يستحب أحد للأوامر، بل زادت الحوادث عنفاً، واعتقل الشيوعيون بعض القادة المسلمين، وكان منهم

وكبار الموظفين وذلك في ١٧ صفر ١٣٦٨ هـ (١٨ كانون الأول من عام ١٩٤٨ م) فاستلم (سيفالودين) أحد زعماء حزب ماشومي السلطة مع عدد من زعماء الحزب الوطني، ونقلوا مقرهم من العاصمة (جوكجاكورتا) إلى مكان داخل جزيرة سومطرة وتابعوا قتال الهولنديين، وقام الجيش الأندونيسي والشعب بحرب عصابات أنهكت قوات المستعمرين الصليبيين اللذين وجدوا أنهم لا طاقة لهم باستمرار المقاومة، كما أن التراخي العام صدّهم، ويخضعون لضغط خارجي، ولذا فقد اضطروا إلى الموافقة على عقد مؤتمر المائدة المستديرة في (لاهاي) في شوال ١٣٦٨ هـ (أب ١٩٤٩ م) للمفاوضة على نقل السلطات كاملة إلى الحكومة الأندونيسية وهو قيد أو شرط، وفي ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) تمّ نقل السلطات في احتفال في مدينة (لاهاي)، وكان يُمثّل أندونيسا محمد حنا.

ومن ناحية ثانية فقد عمل أعداء المسلمين جهدهم لتصديع حزب ماشومي الذي يُمثّل وحدة المسلمين، وكان أول انفصال حدث في هذا التنظيم عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) عندما انفقت جماعة من حزب (شركة إسلام) من التنظيم، وأعلنت عن إعادة قيام حزبهم، كحزب مستقل، ويعود ذلك إلى معارضة حزب ماشومي لحكومة عامر شرف الدين الشيوعية. ثم انشق عنه حزب التربة والاستقلال برئاسة سراج الدين عباس عام ١٣٦٨ هـ. وبعد خمسة أعوام حدث انفصال آخر عندما أعاد حزب نهضة العلماء قيام حزبه من جديد، واعتباره حزباً منفصلاً عن حزب ماشومي، بل أصبح يلقب في الصف المعارضة لحزب ماشومي على الحق وعلى الباطل، ومع ذلك بقي للحزب مكانته ويُمثّل الأغلبية الإسلامية^(١).

(١) انعقد بمدينة مؤتمر عام ضمّ الفئات الإسلامية كلها، وعُدّ حزب (ماشومي) أصلاً، وكل الأحزاب والمنظمات الإسلامية الأخرى فروعاً له.

الدكتور (ماوردي) وثلاثة من زملائه، وقتلوهم مباشرة، ومثلوا بجثثهم، وهاجموا مراكز الشرطة.

وفي ١٦ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٩ أيلول ١٩٤٨ م) أعلنت إذاعة (مادبون) عن قيام جمهورية أندونيسيا السوفيتية، وتولّى رئاسة الحكومة فيها عامر شرف الدين الذي ألقى بياناً من الإذاعة. وهكذا أصبح في أندونيسيا حكومتان، أولاهما وهي الشرعية برئاسة محمد حتا وعاصمتها (جوكجاكارتا)، ولتانيها سوفييتية برئاسة عامر شرف الدين، وعاصمتها (مادبون).

أعلن المسلمون الجهاد، ودوّت كلمة (الله أكبر) في كل مكان، وتحرك الجيش الأندونيسي بقيادة (عبدالهارث ناستيون)^(١) لاستطاع القضاء على الشيوعيين. وكان نتيجة الثورة قتل ألف وخمسمائة من العلماء وأساتذة المدارس الإسلامية، وإحراق جثثهم بعد إعدامهم، وكُويت أعين عدد كبير من الأطفال تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة عشرة بالحديد المحمّي.

وسبق زعماء الشيوعيين إلى السجون والمعتقلات، وقدموا للمحاكمة، لحكم على عدد منهم بالإعدام، وتقدّم بهم رمية بالرصاص في ١٨ صفر ١٣٦٨ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٤٨ م) في مدينة (كارانغ أنغار) في مقاطعة (سوراباكارتا) جزاء بما اقترفت أيديهم، وفي مقدمتهم رئيس الحكومة عامر

(١) عبدالهارث ناستيون ولد عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) في جزيرة سومطرة. كان أبوه من رجال العلم. تعلم بإحدى المدارس الهولندية، وعمل مدة بالتدريس. ثم التحق بالكلية العسكرية الهولندية في (بانديونغ) وتخرّج عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، والتحق بجيش جزر الهند الشرقية. اشترك في حرب العصابات أثناء الاحتلال الياباني، ووقع في الأسر.

تولّى رئاسة الأركان بعد الاستقلال حتى ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م). ثم تولّى منصب وزير الدفاع. أسس الانقلاب الشيوعي في ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م). ألقى من منصبه، وتولّى مكانه سوهارتو.

شرف الدين إضافةً إلى تسعة من رفاقه، وكان هذا بأوامر رئيس الحكومة، نائب رئيس الجمهورية محمد حتا على حين بقي أحمد سوكارنو صامتاً في هذه المدة كلها.

ولكن الحزب الشيوعي الهولندي الذي حرّك الثورة كان على نية أو على اتفاق لإعادة الكرة من قبل هولندا على أندونيسيا، لذلك ما أن قضى على الثورة الشيوعية حتى شعرت هولندا أن الوقت مناسب لها لتحرك من جديد فإن وضع البلاد لا يسمح لها بالدفاع عن أرضها. وفي الوقت نفسه يجب ألا تسمح للمسلمين باستلام السلطة، وهذا ما تؤيدها فيه الدول الاستعمارية كلها وبالتالي الأمم المتحدة التي تحركت أساساً حسب إشارة ورأي تلك الدول الكبرى الاستعمارية الصليبية، فأسرعت هولندا وأرسلت قواتها التي احتلت العاصمة (جوكجاكارتا)، واعتقلت الزعماء في ١٧ صفر ١٣٦٨ هـ (١٨ كانون الأول ١٩٤٨ م) كما سبق أن رأينا، وكان اعتقال أحمد سوكارنو للتنمية، وللحفاظ به على رأس القائمة التي يُطلقون عليها اسم «الوطنية».

حصلت أندونيسيا على استقلالها - كما سبق أن ذكرنا - في ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) وكانت مؤلفة من جمهورية أندونيسيا والدويلات التي أقامتها هولندا، فهي دولة اتحادية، واستمر ذلك النظام حتى ٤ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ (١٧ آب ١٩٥٠ م).

عندما سُلمت السلطات السياسية رسمياً إلى جمهورية أندونيسيا قامت اضطرابات خطيرة في مناطق الدويلات، وساد فيها العنف، وبدت بوادر حرب أهلية، فقدم محمد ناصر أحد زعماء حزب ماشومي في المجلس النيابي بالترحيل عُرف فيما بعد بـ (الترحيل محمد ناصر الوحدوي)، ويقضي بأن تقوم كل دولة من دول الاتحاد بما في ذلك جمهورية أندونيسيا (جمهورية جوكجاكرتا) بحل نفسها، ثم تقوم على أنقاض الجميع دولة جمهورية أندونيسيا، وقد حصلت الموافقة على هذا الاقتراح بالإجماع، وتم ذلك، وابتعد شبح الحرب الأهلية الذي كان مخيماً على البلاد، وبتنظره المستعمرون الصليبيون الهولنديون.

عهد إلى محمد ناصر بتشكيل أول حكومة في جمهورية أندونيسيا الموحدة في ٤ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ (١٧ آب ١٩٥٠ م). وبقيت هذه

الوزارة في الحكم حتى ربيع الأول ١٣٧١ هـ (كانون الأول ١٩٥١ م) حيث تعاون الشيوعيون مع رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو للولوف في وجهها.

كألف رئيس الجمهورية زعيماً آخر من قادة حزب ماشومي هو (سويكيمان) لتشكيل الوزارة، واستمرت ما يقرب من عام في السلطة، وتقرر إجراء انتخابات في مطلع عام ١٣٧٥ هـ (أيلول ١٩٥٥ م)، لتشكيل المجلس التأسيسي لوضع دستور دائم للبلاد، ثم اعتبره مجلساً نيابياً، وتقرر أن يضم المجلس مائتين وثلاثاً وسبعين عضواً، وعهد إلى برهان الدين هاراهاب أحد قادة حزب ماشومي لتشكيل الحكومة التي ستشرف على الانتخابات، وأجريت الانتخابات، واشترك فيها سبعة وعشرون حزباً، وأظهرت الانتخابات تقدم أربعة أحزاب، وكانت النتائج كالآتي:

حزب ماشومي	وحصل على ٥٧ مقعداً وظهرت شعبيته خارج جزيرة جاوه، ونال أقل الأصوات في شرقي جزيرة جاوه.
الحزب الوطني	وحصل على ٥٧ مقعداً، ونال أكثر الأصوات في جزيرة جاوه.
نهضة العلماء	وحصل على ٤٥ مقعداً.
الحزب الشيوعي الأندونيسي	وحصل على ٣٩ مقعداً.
الحزب النصراني البروتستانتي	وحصل على ٨ مقاعد.
الحزب النصراني الكاثوليكي	وحصل على ٦ مقاعد.
شركة إسلام	وحصل على ٥ مقاعد.
التربية الإسلامية	وحصل على ٤ مقاعد.

عهد رئيس الجمهورية أحمد سوكرانو إلى رئيس الحزب الوطني (علي ساسترو ميغوي) بتشكيل الوزارة، فألّف حكومةً ائتلافيةً، كانت أميل إلى الشيوعية، ووقف حزب ماشومي موقف المعارضة، وكان قد قرر ألا يتعاون مع الشيوعيين أو مع من يعطف على الشيوعيين أو مع من يعطف عليه الشيوعيون، وعرفت هذه السياسة بالمبدأ المصحّح، لهذا كانت معارضة غنيفة، وبالتالي كان الحقد عليه شديداً.

قام الرئيس أحمد سوكرانو عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) بزيارة للامبراطورية الروسية، تلتها زيارة إلى الصين، وعندمراجع إلى بلاده أعلن أن الطريق الوحيدة للتقدم هو السير في خط الديمقراطية الموجهة، ونقضي أن يُعيّن رئيس الجمهورية نصف أعضاء المجلس النيابي، فرفض المجلس النيابي هذه النظرية، فحلّ بموجب مرسوم جمهوري بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ (٥ تموز ١٩٥٩ م)، ثم ألغى كذلك المجلس النيابي الذي تلاه، ودعي المجلس النيابي الذي ألغى عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، ثم صدر مرسوم جديد بتاريخ ١٦ رمضان ١٣٧٩ هـ (١٣ آذار ١٩٦٠ م) ألغاه ليحلّ محله مجلس نيابي جديد يقبل نظرية الديمقراطية الموجهة، ولقد رفض حزب ماشومي، والحزب الاشتراكي هذه النظرية، وأهدأ كل من الحزب الوطني، وحزب نهضة العلماء، والحزب الشيوعي وأعطى المجلس النيابي الجديد رئيس الجمهورية أحمد سوكرانو لقب «القاتل العظيم للثورة»، مما جعله فوق الدستور، ثم انتخبه عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) رئيساً مدى الحياة.

ومن ناحية ثانية كان نائب رئيس الجمهورية محمد حنا قد قدّم استقالته من منصبه احتجاجاً على هذه السياسة، وعلى النفوذ الواسع الذي أصبح للشيوعيين الذين أصبحوا يستخدمون اسم الرئيس أحمد سوكرانو، ويتحركون من خلفه إضافةً إلى استخدام الحزب الوطني لهذا الاسم أيضاً، وأخذ محمد حنا يُؤيّد حزب ماشومي، وكل من يقف في وجهه هذه

السياسة. وكانت حكومة الحزب الوطني الائتلافية التي يرأسها (علي ساسترو ميغوي) ضعيفة، فأخذ الاستغلال الشيوعي يُسيطر على سياسة اندونيسيا الداخلية. وارتفعت الأصوات تطالب بتحسين الأوضاع والاعتناء بالمناطق التي خارج جزيرة جاوة إذ كانت مهملة، ونتيجةً لهذا الوضع حدث انقلاب في جزيرة سومطرة التي كانت تُعدّ مركزاً قوياً لحزب ماشومي، وقد حصل على ٩٠٪ من أصوات الناخبين فيها، وبسبب السياسة العامة استقال وزراء حزب ماشومي من حكومة سومطرة المحلية، وبدأ التوتّر، وظهر عدم ارتياح السكان عامةً، ويُفاجأ الشعب بانقلاب في الجزيرة عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) يقوده العميد أحمد حسين المعروف باسم «نمر سومطرة» لجهاده الطويل ضدّ الهولنديين في معركة الاستقلال، ومن زعماء الثورة أيضاً مدير الجامعة، ومحافظ بنك أندونيسيا كما اشتعلت الثورة في جزيرة سيليس (سلاويزي). ولكن فشلت هذه الثورة بعد أن استمرّت مدةً من الزمن، وبعد خسرتها استمرّ أفرادها يُقاتلون كحزب عصابات. واقترح رئيس الجمهورية تقسيم سومطرة إلى ثلاث مناطق بعد تورتها في سبيل التجزئة، وارتفعت الأصوات تطالب باستقالة الحكومة، وتوجه الأناظر إلى محمد حنا ليُسلم السلطة، ولكن الحكومة قرّرت البقاء في استلام السلطة، وأصرّ عليها الرئيس أحمد سوكرانو. وما كان من حزب ماشومي إلا أن سحب وزراء منها، وتبعه حزب نهضة العلماء، فاضطرت الوزارة عندها إلى الاستقالة، وأعلن الرئيس أحمد سوكرانو حالة الطوارئ، وتطبيق الأحكام العرفية في سائر البلاد، وذهبت محاولات الرئيس في تشكيل وزارة مع إبقاء حزب ماشومي بعيداً عنها سدى إذ أصرّ حزب نهضة العلماء على عدم الاشتراك في حكومة لا يُشارك فيها حزب ماشومي، فشكّل الرئيس بنفسه وزارةً نصف أعضائها من المجلس النيابي دون استشارة الأحزاب.

ونُقضي على الثورة تماماً عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، واعتقل بعد ذلك

محمد ناصر، وشرف الدين براويرا نيغارا، ويزهان الدين هاراهاب، وعدد آخر من قادة حزب ماشومي، وقادة حركة الشبان المسلمين الأندونيسيين، رغم أن الحكومة قد أصدرت عفواً عاماً عن كل من شارك في الثورة، وذلك في سبيل تهدئة الأوضاع.

محاولات اغتيال أحمد سوكارنو:

في هذه العدة جرت عدة محاولات لاغتيال الرئيس أحمد سوكارنو بسبب النعمة عليه نتيجة سياست التمسكية، وتوجهه نحو الشيوعية، ففي عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) هوجم بعد حفلة مدرسية بقتلة يدوية، ولكنه نجا، ونجح غيره، وتم إلقاء القبض على الجناة، فأعدموا رمياً بالرصاص.

وهاجمت طائرة مقاتلة القصر الجمهوري بجاكرتا، وضربت مكتب الرئيس بالصواريخ، ولكنه كان غائباً عنه. وهرب قائد الطائرة، ولكن ألقي القبض عليه وأعدم.

وجرت ثمان محاولات لاغتياله، ولكن كان ينجو في كل مرة ليزداد عناءً وفساداً، وتكون عاقبة وخيمة أكثر - والله أعلم.

مشكلة غينيا الجديدة:

جزيرة غينيا الجديدة أكبر جزر أندونيسيا، وثاني أكبر جزر العالم مساحةً بعد (غروتلندا)، تبلغ مساحتها ٧٨٥ ألف كيلو متر مربع، وتقع شمال استراليا، ويفصلها عنها مضيق (توريس)، وتنقسم إلى قسمين:

١ - القسم الغربي، وعرف باسم (إيربان الغربية)، وتبلغ مساحته ٤١٣ ألف كيلومتر مربع، ولم تستطع الدولتان أندونيسيا وهولندا الانسحاق عليه في معاهدة ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) بقي تحت السيطرة الهولندية.

واقفت هولندا تحت الضغط العسكري على إجراء استفتاء عام بين السكان عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، فتحوّل هذا الإقليم إلى إشراف الأمم المتحدة في جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ (تشرين الأول ١٩٦٢ م)، وأخيراً انتهى الأمر إلى أن حُسم إلى أندونيسيا في شهر ذي الحجة ١٣٨٢ هـ (أيار ١٩٦٣ م)، ثم جرى استفتاء في ربيع الأول ١٣٨٩ هـ (حزيران ١٩٦٩ م) فأعطت غالبية السكان أصواتهم إلى جانب البقاء تحت الحكم الأندونيسي. وعاصمة هذا القسم مدينة (كوتابارو) وتسمى الآن (سوكارنابورا).

٢ - القسم الشرقي: وكان يتبع ألمانيا، ولكنه وضع تحت الانتداب الأسترالي إثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وبقي تابعاً لها، وتبلغ مساحة هذا القسم ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع.

ولا يزيد عدد سكان الجزيرة كثيراً على المليون، فالكتافة قليلة لا تكاد تصل إلى ١,٥ شخص في الكيلومتر المربع الواحد. ويعيش السكان فيها حياة بدائية على شكل قبائل تتنقل بين الغابات.

وغينيا الجديدة غنية بالثروات المعدنية والطبيعية، ولا تزال بكرة، وتُغطّي المياه والمستنقعات الأجزاء المنخفضة منها.

الخلاف مع ماليزيا:

أعلن عن قيام اتحاد بين كل من اتحاد الملايو، وسنغافورة، وبورنيو الشمالية، وساراواك، بناء على استفتاء أجري في ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ (أيلول ١٩٦٢ م)، وألّفت هذا المشروع المجالس التشريعية في (ساراواك) و(بورنيو الشمالية)، ولكن حكومة (بروني) لم تُقرّر الدخول في هذا الاتحاد. ثم بناء على اتفاق ماليزيا الذي جرى بين (اتحاد الملايو) و(سنغافورة) و(ساراواك) و(بورنيو الشمالية) وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في (بورنيو الشمالية) التي أصبح يُطلق عليها اسم (صباح).

وإسارواوك) و(سفافورة) من يد الحكومة البريطانية إلى يد الحكومة الماليزية بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م).

ولكن أندونيسيا والفلبين كانتا تعارضان هذا الاتحاد. إذ ترى أندونيسيا أن جزيرة بورنيو كلها جزيرة أندونيسية، وقرّر الرئيس أحمد سوكارنو مجابهة ماليزيا، وتدخلت الأمم المتحدة، وشكّلت الحكومة الأندونيسية فرقة لسطح ماليزيا استغلها الشيوعيون لتدريبهم وتسليحهم، وقد تكون شكّلت خاصة لهذا الغرض، وربما كان الشيوعيون هم أصحاب التكرار، وهم الذين نبّوها، وهم الذين شكّلوها، واستمرت المجابهة حتى سقوط سوكارنو، ثم حدث الاتفاق بين الطرفين.

القضاء على دار الإسلام:

سبق أن قلنا أن (زين العابدين) كان من حزب نهضة العلماء، ثم انفصل عنهم، وأسس (حزب الله)، وقد أحقّ تنظيمه بالتدريب على أيدي اليابانيين عندما كانوا محتلين البلاد، فعندما قامت الحركات ضدّ اليابانيين، ثم انصرفوا لقتال الهولنديين، اتجهت جماعة زين العابدين إلى منطقة جبلية وسط جزيرة جاوه، وأُست حكومة خاصة، وطبقت المنهج الإسلامي على المناطق التي تسيطر عليها، لذا عُرفت باسم (دار الإسلام) وأُست عاصمتها (المدينة المنورة)، وجعلت العربية لغةً رسمية لها. فعندما أخذ أحمد سوكارنو يخطط لإقامة حكم استبدادي، يعتمد على نظرية والديمقراطية الموجهة، ويستند على الشيوعيين، ويُبعد الإسلاميين، ولما شعر أن الجو أصبح مناسباً له، أصدر أوامره للقيام بهجوم على دار الإسلام، فأزالها، وقتل قادتها، ونكّل بأهلها ليكونوا عبرة لغيرهم.

وأصدر أمراً بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٨٠ هـ (١٧ آب ١٩٦٠ م) بحلّ حزب ماشومي، والحزب الاشتراكي واعتقال قادتهما، فكان اعتقال محمد ناصر و(شرف الدين براويرا نيغلارا) و(برهان الدين هاراهاب) من قادة حزب

ماشومي. وتخلّص من المجلس النيابي، كما رأينا. وهكذا قضى على (دار الإسلام)، ومحمد حتا، والأحزاب الرئيسية، والقادة المرموقين، والمجلس النيابي، ولم يبق في الساحة سوى أفراد الحزب الوطني حزب أحمد سوكارنو، ويدهم السلطة، ويتكلمون باسم الرئيس، ويسوّون التصرف، والشيوعيين الذي يستغلّون الوضع، ليظهروا تأييد أحمد سوكارنو، ويستبدون بالناس، ويطمعون آخرين حتى أصبح الوضع بأيديهم.

الثورة الشيوعية الثانية ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م):

نظّم الحزب الشيوعي نفسه من جديد عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) بعد فشل ثورته التي قام بها عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، وابتدأ بتقوى بأسلوبه المعروف بالالتواء، والتقرب من الشعب، وبمساعدة شخصيّ من رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو، ووزير الخارجية (سوسندريو^(١))، وأصحاب

(١) سوباندريو: ولد عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) بلدة (كيانقان) في جاوه الشرقية من أسرة تيريو، ودرس الطب بجامعة جاكرتا، وتخرج طبيباً عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وعمل طبيباً جراحاً أيام الاحتلال الياباني، ثم اعتزل الطب عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وأخذ الادعاء بالعمل لتحرير البلاد، وبالواقع فإنه كان يعمل لنفسه، إذ انتسب إلى الحزب الاشتراكي، وكان من رجالات البارزين، ثم انتقل إلى الحزب الوطني عندما شعر بلونه، وعندما قوّى حزب نهضة العلماء تقدّم بطلب للانتساب إليه، غير أن طلبه قد رفض، فسارع للانضمام للحزب الشيوعي فقبل طلبه بشرط أن يبقى ضمن الحزب الوطني لخدمة الحزب الشيوعي. أُرسل إلى لندن عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ليعمل للحركة الوطنية، ثم حصلت البلاد على الاستقلال فتولّى منصب أول سفير للدولة الجديدة في لندن، ثم نقل سفيراً إلى موسكو عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، ثم استدعي بعد سنتين إلى جاكرتا ليتولّى منصب وزارة الخارجية، ثم تولّى منصب نائب أول لرئيس الوزراء عندما جمع سوكارنو بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة. اتصل نشاطه بحل مشكلة إيريان الغربية، وتعلّقه الدينون اليابانية. عمل في قسم الاستعلامات، ولعبت صلاته مع (شوان لاي) رئيس وزراء الصين دوراً هاماً في رسم السياسة الخارجية، وعمل رئيساً لفلم الاستخبارات، وكان يشغل منصب وزير الخارجية، ثم تولّى منصب نائب أول لرئيس الوزراء عندما جمع سوكارنو بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة. اتصل نشاطه بحل مشكلة إيريان الغربية، وتعلّقه الدينون اليابانية.

المصالح الآخرين، وما يتلقاه من أموال ضخمة من المعسكر الشيوعي، وما حصل عليه من تدريب، وسيطرة على فرق (سحق ماليزيا).

استمر الاستعداد، والتخطيط، والتدريب عدة سنوات، وأخذ يزيد العراقيين من طريقه، فقد أراح محمد حنا باستقالته، وأزال دار الإسلام بالقضاء عليها، وانتهى من الأحزاب المعارضة له محلها، وتخلص من المجلس الثنائي بإبداله بمجلس يكون حسب رأيه. واعتقد أن الجو أصبح مهيئاً له عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) بعد أن مهد لذلك، فأعلن بأنه سيكون الحزب الوحيد، وأنه سيحوّل البلاد إلى دولة تسير حسب المنهج الشيوعي، ولا يصح أن تبقى بهذه الفوضى، وأن أندونيسيا دولة لا تناسبها إلا الشيوعية.

ابتدأت أعمال الشيوعيين الإرهابية في سبيل إخافة الناس، والوجه نحو الشيوعية في سبيل حماية أنفسهم، أخذ الشيوعيون بالهجوم على المدارس الإسلامية، والشخصيات البارزة منذ عام ١٣٨٤ هـ، وتكررت هذه الأحداث في عدة مدن.

عقدت القيادة الشيوعية اجتماعاً في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ (١٥ أيلول ١٩٦٥ م)، وبحسب موعد إعلان الثورة، وقرروا أن يكون في ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م)، ويرزوا إعلان ثورتهم بـ:

١ - مرض الرئيس أحمد سوكرانو الذي قد يؤتني به إلى الموت، فإذا لم يُسرعوا باستلام السلطة فستعم الفوضى، وربما يستغل الوضع الانتهازيون، ويقفزون إلى الحكم.

٢ - عدم ميالة القوات المسلحة بهذا الأمر، وترك الوضع للظروف، وليكون مشاعاً للانتهازين.

٣ - عدم أهلية مجلس الجنرالات الذي شكلته القوات المسلحة.

٤ - رغبة مجلس الجنرالات بالاستيلاء على السلطة.

٥ - الاخطار التي تُهدّد البلاد من الرجعية والأمريالية والتي تتلقى الدعم، لذا يجب اتخاذ الخطوات السريعة لإنقاذ البلاد، ولن يكون هذا إلا باستلام السلطة.

وقد رفعت قرارات هذه الجلسة إلى الرئيس سوكرانو بصورة سرية، فوافق عليها، وأطلع عليها وزير الخارجية سوبانديرو، وبعض أعيان الشيوعيين المعروفين.

وعقد اجتماع آخر ليلة تنفيذ المؤامرة، تفرّز فيه المباشرة بالتنفيذ حسب الخطة المرسومة ما دامت الاستعدادات قد تكاملت، وتقدّمت المرحلة حسب المخطط المطلوب.

وفي صباح يوم الخامس من جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م) أمر رئيس الحرس الجمهوري اللواء (أنتونغ) احتطاف كبار الضباط الأتية أسماءهم:

عبدالحارث ناسوتيون: وزير الدفاع

أحمد ياتي: قائد الجيش البري

سوبرابنو

بارمان: المساعد الأول لقائد الجيش البري

هاريونو

باغاثيان

سوتوبو

وكُلف الضباط عبدالله عارف بتنفيذ المهمة، فقام بها، ولكن قُتل أكثر الضباط أثناء محاولة اعتقالهم، ومثّل بحشمتهم، ونجا منهم عبدالحارث ناسوتيون وزير الدفاع.

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم الثاني للحركة ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (الأول من تشرين الأول) أذاعت محطات الإذاعة بعد الاستيلاء عليها أول بيانات الشيوعيين.

أعطى وزير الدفاع عبدالرحمن ناسوتيون أوامره للواء سوهارتو^(١) نائب اللواء أحمد باهي بتنفيذ الأوامر اللازمة للقضاء على الثورة الشيوعية، وانتفض الشعب يلاحق الشيوعيين، وبدأت محطة إذاعة (باندونغ) تُذيع بأمر القوات المسلحة بيانات ضد الثوار الشيوعيين، ولم تضر ساعات حتى قتل الشيوعيون، وسيطرت القوات المسلحة على الوضع، وبدأ الصراع بين الرئيس أحمد سوهارتو من جهة وبين قادة الجيش من جهة ثانية.

وفي بداية شهر رمضان ١٣٨٥ هـ (أوائل عام ١٩٦٦ م) أراد سوهارتو إعادة وضع الشيوعية على ما كانت عليه، فحلّ الوزارة، وشكّل حكومة جديدة أدخل فيها العناصر الشيوعية، وأبعد العناصر المتأولة لهم، وفي

(١) سوهارتو: ولد عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) انتسب إلى الجيش أثناء الاستعمار الهولندي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) أُنِي (جيش جزر الهند الشرقية). ثم عمل في الجيش الوطني الذي نظمه اليابانيون أثناء احتلالهم أندونيسيا، واشترك في حرب التحرير عندما أعلن الاستقلال من جانب واحد، وبعدها عمل قائداً لمتطوعة جوهاكوتا في جزيرة جاوه الوسطى. وعمل في إحصاء جزيرة سيليبس (سلاويزي) عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وفي غزو ليربان الغربية ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، وتسلم عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) منصب نائب رئيس الأركان، ثم قائداً لقوات (الكومسترا) الاحتياطية لإحباط حركة الانقلاب الشيوعي ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م). ثم عُيّن قائداً عاماً للجيش البري بعد الخيال أحمد باهي.

وتسلم سوهارتو وزارة الدفاع بعد إعفاء عبدالرحمن ناسوتيون منها في شوال ١٣٨٥ هـ (شباط ١٩٦٦ م)، ثم تولّى رئاسة الوزارة في صفر ١٣٨٦ هـ (حزيران ١٩٦٦ م)، وأصبح الحاكم الفعلي لأندونيسيا بعد أن تنازل سوهارتو عن سلطانه التنفيذية في ١٣ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ (٢٢ شباط ١٩٦٧ م)، ثم انتخب رئيساً للجمهورية مع رئاسة الوزراء مع وزارة الدفاع في شهر ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (أذار ١٩٦٨ م). وأعيد انتخابه عدة مرات، ولا يزال إلى الآن.

مقدمتهم وزير الدفاع عبدالرحمن ناسوتيون، فأتى ذلك إلى قيام مظاهرة استمرت شهراً ونصف الشهر اضطر بعدها أن يحول كل صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد سوهارتو، وصانق المجلس الاستشاري الأعلى على ذلك، وإن يستمر مفعول هذا المرسوم حتى الانتخابات العامة. وبقي سوهارتو في منصبه، ولكن اشتدّت المظاهرات الطلابية والشعبية ضدّه وضدّ الشيوعيين، وكانت تُحاول افتتاح القصر فيمتعها الحرس.

أعلنت الأحزاب السياسية في جاوه الغربية مطالبتهَا المجلس الاستشاري الأعلى بالنظر في أمر ترقية سوهارتو، وأعلنت رابطة القضاة والمحامين وجوب تقديمه للمحاكمة بصفته المسؤول الأول عن الثورة الشيوعية الثانية.

اتخذ المجلس الاستشاري الأعلى قراراً بإلغاء رئاسة سوهارتو مدى الحياة، وحددتها بإجراء الانتخابات التي يجب أن تتمّ خلال عامين. وفي ١٣ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٢٢ شباط ١٩٦٧ م) وقّع سوهارتو على وثيقة يتنازل فيها عن السلطة، ويعطي الصلاحيات جميعها إلى سوهارتو، الذي سُمّي رئيساً متصرفاً بالأعمال، ثم أصبح رئيساً للوزراء في شهر رجب ١٣٨٧ هـ (تشرين الأول ١٩٦٧ م) وفي ٨ ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (٧ آذار ١٩٦٨ م) اجتمع المجلس الاستشاري الأعلى برئاسة عبد الرحمن ناسوتيون لينظر في أمر محاكمة سوهارتو، ثم اتخذ قراراً بتجنيته، وتعيين سوهارتو رئيساً للجمهورية بالوكالة، وفي ١٣ ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (١٢ آذار ١٩٦٨ م) أقسم سوهارتو اليمين الدستورية أمام المجلس.

سوهارتو:

لا يختلف سوهارتو عن سلفه أحمد سوهارتو بالنسبة إلى معاداة الإسلام، فكلاهما في منطقة شرقي جاوه حيث يكثر أعداء الإسلام، وكلاهما من جماعة وأنجانه الفاضلة التي تحاول أن تجمع بين الهندوسية

والإسلام. وإن كانا يختلفان من حيث المنهج، فأحمد سوكارتو يميل إلى الديمقراطية الموجهة، وسوهارتو يأخذ مبدأ الديمقراطية الحرة. وعداوة سوهارتو للإسلام هي التي أوصته إلى سدة الرئاسة. وإن كان في بداية أمره يظهر العبادة التي لا يكون في الصف المقابل للاتجاه الإسلامي صاحب الفؤاد الواسع، كما أن الدول الكبرى قد أعطته بعض الصفات الإسلامية ليكون مقبولا في منصب الرئاسة، ولا يجد معارضة قوية من الحركات الإسلامية صاحبة الكلمة الكبيرة، وهو ذاته أخذ يتخذ سلفه أحمد سوكارتو ليحصل على رضا الشعب الذي كان يعقت سوكارتو، وذلك بتوجيه من أصحاب الفؤاد الصليبي. ولكن عندما آلت إليه الرئاسة بدت عداوته الصريحة للإسلام، وكلما تمكن ظهرت أكثر ضمن السياسة العامة التي تسير عليها السياسة الاستعمارية الصليبية الهادئة بمحاورة الإسلام ببروء، حيث يبدو المنهج في الاتجاه والسير باتجاه آخر^(١).

حل سوهارتو الوزارة الأندونيسية القديمة، وشكل حكومة جديدة برئاسة، وفرز المجلس الاستشاري تعيينه رئيساً للجمهورية حتى موعد الانتخابات العامة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، واعتزفت الحكومة بالحزب الإسلامي الجديد (الحزب الإسلامي الأندونيسي)، وأصبح عدد الأحزاب في أندونيسيا عشرة وهي:

١ - حزب نهضة العلماء: ويرأس الهيئة التنفيذية أحمد شيجو.

(١) تأخذ السياسة الأندونيسية الاتحاد نفسه الذي تسير عليه الدول الإسلامية فلا تعارض أي موقف حتى لا تنه الأناظر نحوها، وتتخذ الخط الذي عليه، وفي الوقت نفسه لا تبتغي أي مشروع. ولا تبرز في أي موضوع. وإنما تظهر الرضا بصمت، والمسايرة بهدوء، والمواظبة ببروء، ولكنها لا تقوم بعمل إيجابي. ولا تبني حسنة رأي. ولا تظهر فتورا لاقتراح. وتخطو خطوات واسعة لضرب العمل الإسلامي. ينتج المجال الواسع للإرساليات التصيرية، وتضع القوانين للحد من النشاط الإسلامي، بل وتعمل للقاء على الإسلام بمساعدة المتصيرين لتعصير المسلمين.

٢ - حزب شركة إسلام: ويتسلم نيابة الرئيس محمد خليل إبراهيم.

٣ - الحزب الإسلامي الأندونيسي: برئاسة «ميتارناه».

٤ - الحزب الوطني الأندونيسي: «محمد اسنين».

٥ - الحزب الكاثوليكي: ويتسلم الأمانة العامة «هارتشيانه».

٦ - الحزب البروتستانتي: ويحتل منصب أمين سر الرئاسة «سوغيب».

٧ - حزب ايكي: والأمين العام «جيليس طاهر»، ويعني الحزب «مؤيدو حرية أندونيسيا».

٨ - حزب موربا الاشتراكي: ورئيسه «سوكرنى كرتوبوريو» الذي لم يلت أن توفي.

٩ - برتي الإسلامي: ورئيسه «رسلي خليل».

١٠ - الفئة العاملة: ويُمثلها «سوكواتي».

وتقرر أن تجري الانتخابات العامة في ١٠ جمادى الأولى ١٣٩١ هـ (٣ تموز ١٩٧١ م) وقد انتهت الحملة الانتخابية في منتصف ليلة الثاني من جمادى الأولى (٢٥ حزيران) بعد أن استمرت شهرين، وأعطيت الحرية التامة لكل حزب في تبيان برنامجه، كما أعطى كل حزب ساعة كاملة في الإذاعة والتلفزيون. وكانت حكومة سوهارتو قد ضمنت لنفسها حق ترشيح مائة عضو في المجلس النيابي، وحاولت فصل معظم زعماء الأحزاب أصحاب الراي المستقل، وروت بثقلها خلف حزب الفئة العاملة (جولكار) الذي هو عبارة عن أمانة سر مشتركة لمنظمات عاملية، وأصبحت بالواقع حزبا حكوميا يدير الجيش، ونتيجة تأييد الحكومة الواسع حصل هذا الحزب على نجاح كبير، وكانت نتائج الانتخابات كما يأتي:

والشيوعية حليفان ضدّ الإسلام ومتنافسان عند وجود مصالح لدولتهما. وجاء الآن التصير ليحلّ محلّ الشيوعية، وقد خابت، ولتسلّم منها دفعة تسيير الفاقة في طريق الإبعاد عن الإسلام، وهو بهذا يخدم مصالحه، ويكون مادةً خاماً لها، وقاعدةً أساسيةً ترتكز عليها فيما إذا آل الأمر إليها مرةً ثانية، أو كان على عاتقها العيب. وفتحت الدولة الباب أمام التصير فهو يخفّف من معارضة الاتجاه الإسلامي، ويضعف حركاته.

دعت الحكومة الأندونيسية إلى عقد مؤتمرٍ للأديان في جاكرتا عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، فلتى الدعوة من وُجّهت إليهم، وعقد المؤتمر في دار المجلس الاستشاري الأعلى، ووجه فيه الرئيس سوهارتو لئلاّ إلى أتباع الأديان كي يركز كل منهم اهتمامه التام على مهمة تصعيد مستوى الوعي الديني في أبناء طائفتهم، وأن يحرصوا على الحلولة دون أن تحسّ طائفة من الطوائف أنها معرضة لدعابات طائفةٍ أخرى، ومستهدفة لشاغلها.

لقد قدّم الجانب الإسلامي في المؤتمر أسلوباً للتراضي صيغ في مشروع ميثاق بين الأديان ملبياً لثناء الرئيس سوهارتو، ولكن الجانب النصراني سواء أكان الكاثوليكي أم البروتستاني قد قابل ذلك المشروع بالرفض التام على الرغم من أن النصراني أقلية، وقد سوّوا بالأكثرية المطلقة فالشكل الطبيعي أن تكون موافقتهم أكيدة.

وقد وصلت هيئة المعونات النصرانية العالمية مبلغ مائة وخمسين ألف دولار، ورسد مجلس الكنائس العالمي مبلغ ثلاثمائة ألف دولار لعام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م)، وهذا مبلغ كبير في أندونيسيا، وهو للعمل التصيري المحلي. أما المنظمات الإسلامية فقغيرة لا تستطيع العمل بينما كل الإمكانيات متاحة أمام النصراني في المدارس، والجامعات والمستشفيات مفتوحة، وتُستطيع فتح صدرها لأولئك الناس الفقراء.

وفي المناطق خارج جباوه مثل محافظات: تومانتغارا، وكليمتان يملك التصير أحدث وسائل المواصلات مثل الطائرات العامودية، وطائرات

الحزب	عدد الأصوات	المقاعد النيابية
الفة العامة	٣٤,٣٤٨,٦٧٣	٢٢٧
نهضة العلماء	١٠,٢١٣,٦٥٠	٥٨
الحزب الإسلامي	٢,٩٣٠,٧٤٦	٢٤
شركة إسلام	١,٣٠٨,٢٣٧	١٠
الوطني الأندونيسي	٢,٧٩٣,٢٦٦	٢٠
النصراني البروتستاني	٧٣٣,٣٥٩	٧
النصراني الكاثوليكي	٦٠٣,٧٤٠	٣
برني الإسلامي	٣٨١,٣٠٩	٢
موربا الاشتراكي	٤٨,١٢٦	-
حزب أيكي	٣٣٨,٤٠٣	-
ويضاف إليهم ممثلو إقليم إيريان الغربية.		٩
		٣٦٠ مقعداً.

وبعد الانتخابات خفّ الضغط على الشعب ثم لم تلبث الحكومة أن أذاعت أن الترف السياسي القائم لا يمكن تحمّله ثم اتخذت قراراً بحرمان الأحزاب والمنظمات التابعة لها من حق ممارسة نشاطها في القرى. ووردت على انتقادات الطلبة الداعية إلى الحدّ من التسلّط العسكري والفساد القائم بأن عملهم من الترف السياسي.

وبعد فشل الشيوعية الأكيد عاد التصير إلى أندونيسيا بقوة، والتصير

التبني، والأجهزة اللاسلكية وغيرها، وهذا قد لا تملكه الحكومة. ونحط المؤسسات التصيرية والإرساليات بالترخيصات اللازمة لإنشاء مطارات خاصة بها، ويال موظفو الحكومة المركزيون والمحلليون على خدمات مؤسسات الطيران التصيرية تسهيلات لتقلاتهم حيث لا توجد خدمات نقل حكومية، وكذلك إدارة البريد لنقل البريد كالذي يحدث على خطوط التصير الجوية بين (تيمور كويانغ) و(تايوان) حيث تتم رحلتان في الأسبوع.

وكذلك في أعماق إيريان الغربية حيث تمتع هيئات التصير والإرساليات فيها منذ أيام الاستعمار الهولندي بتسهيلات كثيرة وليس العمل التصيري بالأمر الذي يُستهان به، وهذا ما يجب أن يعرفه المسلمون حق المعرفة، فالمدراس والمشافى والمستوصفات والمساعدات المدنية، وهذا يعقبه حضور دروس أساتذة إخصائين في التصير، ولا بد من أن يكون لذلك أثره الواضح في مجتمع بسيط يغلب عليه الفقر، والجهل، وليس له من موجه يقوده إلى شاطئ الأمان، وفيه زوايا هؤلاء الغرباء من المتصرين.

وإذا سلم الأمر من المتصرين فإن هناك أمراً خطيراً هو ناحية استخدام الجنس، وهو ما يعجز عن استخدامه المسلمون بسبب تعاليم دينهم الحنيف. إذ تقوم الفتيات النصارى بإغراء الشبان المسلمين، وإيقاعهم في حائلهن لإدخالهم إلى النصرانية.

وقد بلغ تساهل الحكومة في أمر الإرساليات التصيرية، وإطعام رجالها، ومعاداة المسلمين لدرجة أنه قد يحتفل المسؤولون النصارى بعض معلمي الديانة الإسلامية بتحريرهم من الطلاب النصارى، وذلك بسبب تفسير بعض الآيات الكريمة بشكل لا يروق للنصارى، أو مجرد تلاوتها مثل: **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا عِبَادِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ شَرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**

الْحَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنِ مَا يُعْمَلُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

وربما يقوم الطلاب النصارى باعتقال هؤلاء الأساتذة، وتسليمهم إلى موظفي الحكومة. كما تتعرض بيوت المسلمين إلى زيارة هؤلاء المتصرين لإسعاد أهل البيت أو المتطفلة لأقوالهم بالإكراه.

كما أن مخططات فئة الحرطين (الجيولكار)، وهي الفئة الحاكمة اليوم، تحظر على المؤسسات الإسلامية، وعلى الدعاة العمل في المدن والقرى من عواصم (الكاوادانان) فما دون أي المراكز والقرى. وهذا ما يجعل المجال فسيحاً أمام نشاط مجلس الكنائس العالمي أو الأندونيسي للمشاركة في أعمال التنمية ليقول ويجول رجال تصيرها في القرى والأرياف بكل حرية باسم «التنمية والإيمان». ولا شك أن العمل في الأوساط الريفية سهل نتيجة الحاجة بسبب الفقر، ونتيجة انتشار الأمراض، وبسبب عدم المعرفة، وعدم وجود من يُنمِّه ويُرشده، بل لا يوجد من يُوجهه، ولا من ينصح، فالدعاة محظور عليهم الدخول، والمنطقة مُتخلفة، وهي مسرح لرجال الإرساليات التصيرية.

استمر سوهارتو رئيساً للجمهورية حتى اليوم، وفي كل خمس سنوات يُجَدِّد انتخابه دون منازع في شهر آذار، فقد جَدِّد انتخابه في الأعوام (١٩٧٣ م) و (١٩٧٨ م) و (١٩٨٣ م) و (١٩٨٨ م) ورغم ذلك فإن المؤشرات كلها تدلُّ على عدم رضا الشعب عنه، إذ جرت عدة محاولات لاغتياله ولكنها أُحبطت، كما جرت محاولة انفصالية في جزيرة إيريان

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٢ - ٧٣.

الغرية. ويُقدَّر عدد المعتقلين السياسيين عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) بخمسة وخمسين ألف رجل.

وانتزعت السلطات التشريعية من المجلس النيابي أيام سوهارتو، وسُلمت لزمرة من العسكريين، ولجهاز الأمن الأساسي «كوبيكامتيب»، وضغط على الحركات اليسارية، وثابت سياسة حرة في الاقتصاد.

النظام السياسي:

أندونيسيا جمهورية يرأسها اليوم سوهارتو. ويُمارس رئيس الجمهورية السلطات التنفيذية ويُعاونه في الحكم مجلس وزراء مسؤول أمام رئيس الجمهورية، وهو الذي يُعين أعضاءه.

أما السلطة العليا في البلاد فتُمارسها «جمعية الشعب الاستشارية»، وهي التي تنتخب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنوات، وتُقسم هذه الجمعية:

٤٦٠ عضواً من الهيئة التشريعية، التي تشمل ٣٦٠ عضواً منتخباً، و ١٠٠ عضو مُعيَّن.

٤٦٠ عضواً من الحكومة، والمُعتمدين، والجمعيات الإقليمية، وممثلي الأحزاب والفئات.

والأحزاب القائمة في أندونيسيا هي

- ١ - الحزب الديمقراطي الأندونيسي ويشمل: الأحزاب النصرانية، والعمالية.
- ٢ - اتحاد حزب التطور ويشمل الأحزاب الإسلامية.
- ٣ - أمانة سر المجموعات الفعالة (اتحاد مجموعات حكومية).

وتجري الانتخابات كل خمس سنوات، وقد جرت عام (١٩٧١ م) و

(١٩٧٧ م) و(١٩٨٣ م) و (١٩٨٧ م)، وفي كل مرة الفة العامة هي التي تفوز بأكثرية أعضاء الهيئة التشريعية، نتيجة تأييد الحكومة لها. كما كان فوزها غالباً ما يشمل المقاطعات كلها.

وكانت المعارضة تبرز بين الأونة والأخرى بشكل من الأشكال. فقد تقدّم عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) خمسون رجلاً من كبار الشخصيات في أندونيسيا بعريضة يتقدمون فيها السلطة ويُطالبون بالإصلاح.

وتقدّم سوهارتو بتشريع يُطالب فيه جميع المنظمات السياسية لتسّي ما عُرف بـ (بانكاسيلا) التي توضح فلسفة الدولة التي تدعو إلى اتفاق الرأي العام على نقاط محددة، والتسامح الديني، إذ أحست الحكومة بوجود أفكارٍ معارضة، وتهدف في الحقيقة من وراء ذلك إلى سكوت المسلمين عما يجري من سياسةٍ تنصيريةٍ وعن الهجمة الصليبية الواضحة من عنوان التسامح الديني.

وحدثت أعمال شغب ضدّ السلطة إذ وقعت تفجيرات، وأحداث تخريب في العاصمة وما حولها، واتهمت الدولة المعارضة للبانكاسيلا بهذه الأحداث، وفي طلبتهم المسلمين المتشيزمين، فألقت القبض على أعدادٍ منهم.

وفي شهر رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) بدأ تفصيل (البانكاسيلا)، وبعدها اضطرت الأحزاب على الموافقة عليها. ولكن اشتدت المعارضة في الستين التاليين لحكومة سوهارتو في داخل البلاد وخارجها. وقامت الحكومة برّد لعلل فألقت القبض في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) على تسعة من أعضاء حزب (ايكي) مؤيدي حرية أندونيسيا بتهمه تورطهم في محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) وأودعتهم السجن، ورفضت السماح للمحامين بالدفاع عنهم، بل وحتى المحامين الدوليين. كما صدر في جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

(شباط ١٩٨٨ م) تشريع يؤكد دور جهاز الأمن والمجموعات القتالية في الحكم.

أقال الرئيس سوهارتو الجنرال (مرداني) قائد جهاز الأمن، وعين مكان الجنرال (تراي سوتريونو) مكانه، وكان لهذا التغيير دور في توتر الوضع في البلاد.

ورشح الرئيس سوهارتو لمنصب الرئيس زعيم الفئة العاملة (جولكار) وهو (سودارمونو)، أما المسلمون فقد رشحوا أمير اتحاد حزب التطور (جيلاني نارو)، وأبدى الرئيس حيلته في هذا الموضوع فرجحت كفة مرشح المسلمين، فاضطر الرئيس عندها إلى وقوفه بجانب (سودارمونو) صراحة، وأجبر (جيلاني نارو) على سحب ترشيحه فنجح (سودارمونو) دون منازع. وأبدى عضو مجلس الشعب (إبراهيم سالم) رأيه، وأعلن أن الترشيح غير عادل، فتمنع في المجلس من متابعة إلقاء خطابه، كما فقد عضويته في المجلس.

أعلن اتحاد حزب التطور عدم رضاه عن تعيين نائب الرئيس (سودارمونو)، وكان قد ازداد نفوذ هذا الحزب في صفر من عام ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م)، لاستبدال جهاز الأمن (كويكا متيب) الخاضع للجنرال (مرداني)، وبدا هذا النفوذ، وخاصة عندما ظهرت حملة ضد الشيوعيين، إذ نفي ثلاثة من كبار أعضاء الفئة العاملة (جولكار)، وأعدم ضابطان من القوات المسلحة سبق لهم أن أدينوا في محاكمات عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) لتسورطهم في محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

وفي منتصف عام ١٤٠٩ هـ (أوائل عام ١٩٨٩ م) وقعت صدامات بين القوات المسلحة وبين السكان بسبب مصادرة الحكومة للأرض دون تعويض مناسب، وقد وقعت في عدة مناطق من جزيرة جاوا، وفي جزيرة

(سوماوا)، ولكن أعنفها ما وقع في جنوبي سومطرة إذ وقع ما يقرب من مائة قتيل بالصدامات التي حدثت هناك.

كانت مهمة جهاز الأمن (كويكاميب) إخماد حركات الجناح اليساري. أما مهمة هيئة التنسيق لتطوير الاستقرار الوطني (ساكوساتانس) مكافحة الفساد، وتضم ممثلين عن الدولة، ودوائر الحكومة غير العسكرية.

وعندما تخين (سودارمونو) نائباً للرئيس استقال من زعامة الفئة العاملة (جولكار)، وتولّى مكانه الجنرال (واهونو) الذي كان مقيولاً من الأحزاب الأخرى.

وأندونيسيا عضو في اتحاد دول جنوب شرقي آسيا، وفي الدول المصدرة للنفط (أوبك).

غينيا الجديدة:

سبق أن قلنا: إن جزيرة غينيا الجديدة هي أكبر جزر أندونيسيا، وثاني جزر العالم مساحةً بعد غرولندة، حيث تبلغ مساحتها ٧٨٥ ألف كيلومتر مربع، وتقع شمال أستراليا، ويفصلها عنها مضيق (توريس)، وتنقسم إلى قسمين:

١ - القسم الغربي: ويسمى إيربان الغربية، وتبلغ مساحته ٤١٣ ألف كيلومتر مربع، وكانت تتبع لهولندا كجزء من الجزر الأندونيسية، فلما استقلت أندونيسيا إثر معاهدة ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) لم تستطع الاتفاق مع هولندا على هذا الجزء، وبقي يتبع السيطرة الهولندية.

وافقت هولندا على إجراء استفتاء في إيربان الغربية عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، وبقيت حتى ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٦٢ م) تحت السيطرة الهولندية، ووسعت مدة وجيزة تحت إشراف الأمم

المتحدة وذلك حتى ذي الحجة ١٣٨٢ هـ (أيار ١٩٦٣ م)، وتحوّلت بعدها إلى أندونيسيا.

٢ - القسم الشرقي:

وكان تابعاً لألمانيا حتى الحرب العالمية الأولى، فلما هُزمت ألمانيا وضع هذا الجزء تحت انتداب استراليا، وبقي تابعاً لها، وتبلغ مساحته ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع، ويُعرف هذا الجزء باسم (بابوا).

يبلغ عدد سكان إيريان الغربية مليون وربع (١,٢٥٠,٠٠٠)، وعاصمتها جاجارابورا (سوكارتابورا). وفي جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) قام تمرد في إيريان الغربية، ويُقال إن منظمة (بابوا الحرة) كانت من وراءه، وتعمل للاتحاد مع (بابوا) الجزء الشرقي من غينيا الجديدة، وتُعرف هذه المنظمة باسم (أورغانيا بابوا ميرويك)، واستمرّ القتال حتى شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م) حيث وقعت اتفاقية بين أندونيسيا وبابوا لإدارة وتنظيم الحدود بينهما، ولكن بقيت حوادث تقع على الحدود بين الأونة والأخرى.

وفي ربيع الثاني من عام ١٤٠٤ هـ (أوائل عام ١٩٨٤ م) انفجر القتال في عاصمة إيريان الغربية، ونتيجة ذلك انتقل حوالي عشرة آلاف لاجئ إلى (بابوا)، وفي الشهر الأول من عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) وقعت اتفاقية بين أندونيسيا و(بابوا) لمدة خمس سنوات، وأنشئت لجنة أمن للحدود مشتركة من الدولتين. ولكن استمرّ انتقال الأفراد من إيريان الغربية إلى بابوا طيلة عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م)، وإن كان قد رجع في العام التالي عدد قليل منهم.

كان الفلق يسود سكان إيريان الغربية بسبب الشائعات التي يُطلقها المعارضون بأن الحكومة الأندونيسية تنوي إسكان خمسة وستين مليوناً من أهل جاوه في إيريان الغربية على مدى عشرين سنة، ويُصنّف سكان إيريان



مصدر رقم (٥)

الغريبة هذه الشائعات نتيجة انتقال أفراد من جاوه إلى منطقتهم، فكانت الاحتجاجات والتي تُعلن أن سيادة أندونيسيا تقوم على خفض نسبة السكان الميلانيزيين في سيل سيطرة الجاويين وأن هذا الأمر يتعدى أيضاً إلى التدخل في شؤون سكان جاوه وإلزامهم على الهجرة، وكذلك صدرت احتجاجات من لجنة حقوق الإنسان. ورغم هذا كله فإن ستاملة وخمسين ألف عائلة جاوية قد وُطئت في إيريان الغربية في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (أب ١٩٨٧ م).

تحسنت العلاقات بعد زيارة رئيس الوزراء (باباس ويتني) للرئيس سوهارتو في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م)، ولكن جرت غارات من قبل القوات المسلحة الأندونيسية خلال شهري ربيع الأول والثاني من عام ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول والثاني من عام ١٩٨٨ م) في محاولات لاختطاف الزعماء الانفصاليين من الميلانيزيين، وهذا ما أدى إلى إعادة التوتّر على الحدود.

وأخيراً جرت محادثات بين الطرفين من أجل الوضع على الحدود وذلك في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) وتقرّر إقامة قنصلية لـ (بابوا) في (سكارنابورا) عاصمة إيريان الغربية، وفي الوقت نفسه تقوم قنصلية في مدينة (فاميتي) الحدودية في (بابوا).

تيمور الشرقية:

عندما حلّ الهولنديون محلّ البرتغاليين في استعمار أندونيسيا بقيت للبرتغاليين بعض القواعد، وأهمها في جزيرة تيمور، إذ بقي لهم الجزء الشرقي منها، ومنطقة (أوكسي إيبينو) في الجزء الشمالي الغربي، وعاصمة هذه القاعدة البرتغالية مدينة (دبلي) التي تقع على الساحل الشمالي للجزيرة.

تبلغ مساحة الجزء البرتغالي في جزيرة (تيمور) ١٤,٨٧٤ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها اليوم ٦٨٥,٠٠٠ شخص. ومع طول مدة

الاستعمار البرتغالي نشأت جماعة من السكان تختلف في ثقافتها ومفاهيمها عن بقية سكان أندونيسيا، فكانت هذه الجماعة ترى يقاها مستقلة عن بقية الجزر، وقد نطقت نفسها.

استلحبت البرتغال من تيمور عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، غير أن العاصمة (دبلي) كانت تحت سيطرة الذين يرون استقلال تيمور الشرقية. فنشبت حرب أهلية في شعبان ١٣٩٥ هـ (أب ١٩٧٥ م)، وقامت الحكومة الأندونيسية بمساعدة بعض الفئات المؤيدة للانضمام إليها ودعمتها بالسلاح، ثم عادت الحكومة الأندونيسية مباشرة في ذي الحجة ١٣٩٥ هـ (كانون الأول ١٩٧٥ م)، وأنشأت حكومة إقليمية. وأعلن مجلس ممثلي الشعب في تيمور الذي شكّل آنذاك في جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ (أيار ١٩٧٦ م) الانضمام إلى أندونيسيا وأعلنت الحكومة الأندونيسية الموافقة على ذلك، وأصبحت تيمور الشرقية الولاية السابعة والعشرين.

استمرت المقاومة ضدّ أندونيسيا عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)، واستنكر مجلس الأمن الدولي تدخل أندونيسيا في تيمور، ولم يؤيد ذلك الانضمام، وأدعت منظمة حقوق الإنسان أن مائتي ألف من سكان تيمور البالغ عددهم آنذاك ٦٥٠ ألفاً قد قُتلوا أثناء قيام حكومة أندونيسيا بعملية ضمّ تيمور إليها.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م) زارت بعثة من الأمم المتحدة تمثل لجنة حقوق الإنسان، وتبنت قراراً مؤكداً حق تيمور الشرقية في الاستقلال، وفي تقرير المصير. وبحري وقف إطلاق النار وفي ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) جرت مفاوضات بين ممثلي الحكومة الأندونيسية وفريق من سكان تيمور الشرقية الذين يدعون إلى استقلال منطقتهم.

ولكن لم تلبث أن عادت المعارك في العام التالي بين القوات المسلحة الأندونيسية وبين المتمردين، قُتلّت الموارد، وانتشر الجوع، والأمراض بين المواطنين، وعمّ اليأس بالوصول إلى حلّ بين الطرفين.

وصوتت استراليا ضد ضمّ أندونيسيا لتيّموّر الشرقية في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (أب ١٩٨٥ م)، وكان لهذا أثره الكبير في المنطقة، حيث أتى إلى توتّر الوضع ثانيةً.

وقام الرئيس سوهارتو بزيارة إلى تيّموّر الشرقية في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) وأعلن أن قيود السفر من وإلى تيّموّر يجب أن تُلغى، وكانت هذه القيود قد فُرضت منذ أن عتّت أندونيسيا تيّموّر الشرقية إليها عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

وامتنعت الأمم المتحدة عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) عن التصويت لضمّ أندونيسيا لتيّموّر الشرقية.

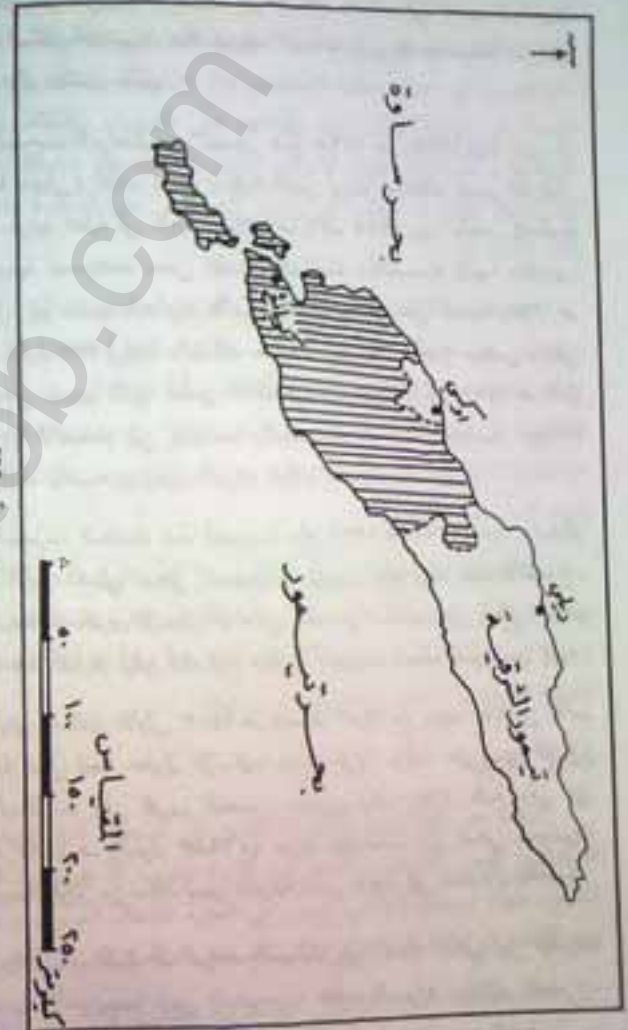
وقام البابا بزيارة تيّموّر الشرقية في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) خلال الزيارة التي قام بها لأندونيسيا.

السياسة الأندونيسية:

تتبع أندونيسيا سياسة عدم الانحياز على الرغم من علاقاتها الوثيقة مع المعسكر الغربي، ولا غرابة في ذلك فأكثر دول هذه المجموعة هذا شأنها، فليس المهم ما تُعكف الدولة وإنما المهم الخط الذي تنتهجه، وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) تحسّنت العلاقة بين أندونيسيا والامبراطورية الروسية، وقام وزير الخارجية الروسي بزيارة إلى أندونيسيا في جولة في جنوب شرقي آسيا لمناقشة مشكلة كامبوديا. وفي شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) زار الرئيس الأندونيسي سوهارتو الامبراطورية الروسية، وأجرى مباحثات مع الرئيس الروسي غورباتشوف.

وعارضت منظمة جنوب شرقي آسيا التي تعدّ أندونيسيا أحد أعضائها البارزين الوجود العسكري الفيتنامي في كامبوديا.

ووقعت أندونيسيا والصين الشعبية في شوال ١٤٠٥ هـ (تمسوز



الصراعات الداخلية

الفصل الثالث

تعدّ أندونيسيا أكبر مجموعة جزر في العالم، وتقع هذه الجزر في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، بينها وبين قارة أوقيانوسيا من جهة، وبين المحيطين الهندي والهادي من جهة أخرى، ويزيد عدد هذه الجزر على [١٣٦٧٧] جزيرة منها [٦٠٤٤] جزيرة مأهولة بالسكان، والباقي منها لا يُقيم عليه البشر، بعضها كبير معروف، وبعضها صغير مجهول لا يكاد يعرف أسماءها إلا أهل تلك الجهات، منها ما هو غاصّ بالسكان حتى ليعدّ أكثر أرجاء الأرض زحاماً، ومنها ما هو قليل العمران حتى ليعدّ من أقل بقاع الدنيا سكناً. وتنتشر هذه الجزر على مساحة واسعة تزيد على اثني عشر مليوناً من الكيلومترات المربعة بين برّ وبحر، وتمتدّ على طول يزيد على ستة آلاف كيلومتر بين الغرب والشرق، وعلى طول يزيد على ألفي ومائة كيلومتر بين الشمال والجنوب، وتبلغ مساحة اليابس منها ٢,٣٧١,٤١٩ كيلومتراً مربعاً، أي أكبر من الدولة الأوروبية التي كانت تستعمرها بشعان وستين مرة.

تشمل هذه الجزر أربع مجموعات يختلف بعضها عن بعض من حيث النبات، والحيوان، والأرض، والسكان، والمستوى الحضاري، وهذه المجموعات هي:

١٩٨٥ م) ميثاق الضامن فيما يخص استئناف العلاقات التجارية المباشرة والتي عُقدت منذ عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وأعلنت الحكومة الأندونيسية في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) عن استعدادها لإعادة العلاقات السياسية مع الصين الشعبية بشرط وتأكيد من الصين ألا تتدخل في شؤون أندونيسيا الداخلية. وكان الرئيس الأندونيسي سوهارتو قد أصرّ حتى تعود العلاقات السياسية بين الطرفين اعتراف الصين بالتورّط في محاولة الانقلاب الشيوعية الفاشلة في أندونيسيا عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م). والتقى الرئيس الأندونيسي سوهارتو في طوكيو مع وزير الخارجية الصيني، وأعلن فيما بعد بأن اتفاقية تطبيع العلاقات قد تمّت. وأن محادثات أخرى قد جرت بين وزراء خارجية البلدين في نطاق الأمم المتحدة في شهر صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م).

وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ (١٩٨٨ م) أغلقت أندونيسيا مضائق الصولدي ولومبوك لمدّة محدودة أمام الملاحة البحرية بسبب المناورات بالذخيرة الحية فأعربت كل من الولايات المتحدة، وألمانيا الاتحادية، وأستراليا قلقها أمام خرق القانون البحري للملاحة علماً بأن السفن الأجنبية المسالمة منها قد سُمح لها بالعبور من تلك المضائق، وبعد شهر قام وزير الخارجية والتجارة الأسترالي بزيارة جاكرتا رغم وجود التوتر بين البلدين بسبب إغلاق المضائق، وتدخل أندونيسيا في (بايو)، وأكد على التعاون بين البلدين في منطقة خليج تيمور، وزاد الأمر تحسناً عندما زار وزير الداخلية الأندونيسي أستراليا في ذي الحجة عام ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) ثم تكررت الزيارة بعد شهرين.

وعندما أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن قيام حكومة لها في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) اعترفت أندونيسيا بها، وافتتحت حكومة فلسطين سفارة لها في جاكرتا في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م).

١ - جزر الصوند الكبرى أو الغربية: وتضم: سومطرة، جاوه، بورنيو، وما حول هذه الجزر من جزر صغيرة. وتحيط بهذه الجزر بحار قليلة مما يدل على أنها كانت على صلة بالبر الآسيوي، وكثير من أراضيها تُغطىها المستنقعات.

٢ - جزر الصوند الصغرى: وهي سلسلة من الجزر الصغيرة تمتد من شرق جاوه نحو استراليا، وأشهرها: بالي، لوسوك، سومباوا، سومبا، فلوريس، تيمور. وتتألف هذه الجزر من قمم الجبال الوعرة جداً التي ترتفع من أغوار البحار الشديدة العمق، الحديثة العهد.

٣ - الجزر الشرقية: وتضم جزر: سيليس (سلاويزي)، مولوك التي تمتد حتى الفيليبين.

٤ - غينيا الجديدة: وتملك استراليا القسم الشرقي منها، على حين يتبع القسم الغربي منها أندونيسيا ويعرف باسم «ايربان الغربية».

وقد حملت هذه الجزر عدة أسماء على مدار التاريخ، فقد أطلق عليها قديماً اسم «نوستاراه» ويُقصد بهذا اللفظ الجزر الواقعة بين المحيطين، وهما: الهندي والهادي، أو بين القارتين، وهما: آسيا وأوقيانوسيا، إذ إن لفظ «نوساه» يعني (الجزائر) أو (وطن)، ويعني لفظ «انتاراه» (بين). كما أطلق عليها اسم: جزائر الهند، وجزائر الملايو. وسماها الهولنديون جزائر الهند الشرقية الهولندية. أما المسلمون فقد كانوا يعطون اسم (جاوه) لكل تلك الجزر حيث تضم أكثر السكان، فأطلقوا اسم الجزء على الكل. ومنذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري حملت اسم «أندونيسيا»، ولكن لم تعترف هولندا بهذا الاسم إلا بعد الاستقلال. وهذا الاسم نفسه يدل على معنى جزائر الهند، ويشمل بالأصل مجموعات من الجزر خارج حدود دولة أندونيسيا كتلك المجموعات من الجزر التي يُطلق عليها اسم «ميلانيزيا» و «ميكرونيزيا»، كما تشمل أيضاً بالأصل جزر الفيليبين.

وتعدّ جزر الصوند الغربية قوام أندونيسيا، فجزيرة جاوه وحدها تضم ٦٠٪ من مجموع سكان أندونيسيا، ويزيد عدد سكانها اليوم على مائة مليون، على حين أن مساحتها لا تزيد على ١٣٢ ألف كيلومتر مربع، وبذلك تزيد الكثافة على ثمانمائة شخص في الكيلومتر المربع الواحد، فتكون بذلك من أكثر بلاد العالم ازدحاماً بالسكان، وتُقيم فيها أكثر الجاليات الأجنبية، فيعيش فيها أربعة أضعاف الأوربيين، ومعظم الصينيين، وستون ألفاً من العرب الحضارة. وفيها كذلك ثلاثة أرباع شبكة السكك الحديدية التي في أندونيسيا. [انظر مصور [٧]].

وتعدّ جزيرة سومطرة ثاني جزر أندونيسيا أهمية، وتبلغ مساحتها ٤٢٠ ألف كيلومتر مربع، وهي ثالث جزيرة مساحةً في أندونيسيا، والسادسة في العالم بعد غرولندة، وغينيا الجديدة، وبورنيو، ويافن، ومدغشقر. وتعدّ مضيق (مالاكا) الذي يفصلها عن شبه جزيرة الملايو ذا أهمية كبيرة، وهو العمر الوحيد نحو الشرق الأقصى، ويزيد عدد سكانها على الثلاثين مليوناً، فهي ثاني جزيرة في أندونيسيا سكاناً بعد جاوه، ولكن الكثافة لا تزيد فيها كثيراً على سبعين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد. وسومطرة أكبر مصدر للنفط في أندونيسيا، كما أن الجزر القريبة منها، وهي: بانكا، وبيللتون، وسنك تصدر كميات كبيرة من القصدير، وفي جزيرة سومطرة ربع شبكة الخطوط في أندونيسيا. [انظر مصور [٨]].

وثاني جزر أندونيسيا مساحةً هي بورنيو، وتبلغ مساحتها ٧٣٤ ألف كيلومتر مربع، وتعدّ ثالث جزر العالم مساحةً بعد غرولندة، وغينيا الجديدة، ويسمىها الأندونيسيون «كيلستان»، وأندونيسيا لا تمتلك الجزيرة كلها، ففي القسم الشمالي منها: تقع دولة بروني، كما تمتلك ماليزيا مقاطعتي صباح، وساراواك. ويوجد في الجزيرة النفط والمطاط، ولا يزيد عدد سكانها على ستة ملايين، لذا فإن الكثافة قليلة لا تزيد على ثمانية أشخاص في الكيلومتر المربع الواحد. [انظر مصور [٩]].



مصور رقم (٨)



مصور رقم (٩)

وجزيرة سيليس التي يُسميها الأندونيسيون «سلاويزي»، وتمتد رابع جزر أندونيسيا مساحةً، وتبلغ مساحتها ١٧٩ ألف كيلومتر مربع، غير أن سكانها لا يزيدون على ثمانية ملايين، وبذا تكون الكثافة فيها ٤٢ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وتعدّ أهم مركز في أندونيسيا لإنتاج الحرير. [انظر مصور ١٠].

وجزر المولوك، وهي مجموعة جزر كانت تُعرف باسم جزر التوابل، وأهمها جزيرة هالماهيرا، ثم هناك جزيرة ترنات، وسيرام، وأمبون، ويورو، وقاعدة الجزر مدينة أمبون. [انظر مصور ١١].

وجزر الصوند الصغرى وتمتد شرق جاوه، ويُسميها الأندونيسيون ونوسانتغارا، وأول هذه الجزر جزيرة «بالي» التي لا يزال يُقيم فيها أتباع الديانة الهندوسية، والنساء فيها شبه عاريات، ويقضي السكان أوقات فراغهم بالرقص، ويحرفون موتاهم على مصصات زاهية الألوان، ولا تزال عبادة الإله (سيوه) هي السائدة، ويزيد عدد سكان الجزيرة على الثلاثة ملايين والنصف. [انظر مصور ١٢].

وتليها جزيرة لومبوك وسبابوا، وسومبا، وفلوريس، وتيمور، وجزر تانيمبار، وأخيراً جزيرة غينيا الجديدة.

تبلغ مساحة أندونيسيا ١,٩١٩,٤٤٣ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ - ١٨٨ مليوناً، وبذا تكون الكثافة ما يقرب من ٩٢ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، ولكن هذا لا يدلّ على تفرّج السكان بشكل صحيح حيث يختلف من منطقة إلى أخرى، وهذا



مصور رقم [٩]

العدد في نمو مستمر إذ يزيد ١,٩ ٪ سنوياً، وإذا قارنا هذا العدد مع سكان بقية المناطق الواقعة على خط الاستواء لوجدناه كبيراً جداً، وذلك بسبب اعتدال المناخ، وخصوبة التربة، وهذا ما لا يتوفر في بقية المناطق التي تقع على خطوط العرض نفسها حيث تغطي الغابات مساحات واسعة من الأرض، وتكون الأيدي العاملة قليلة لا تستطيع استثمار البلاد، إضافة إلى المستوى الحضاري المتأخر، وانتشار الزراعة البدائية، وهذا ما نجده نفسه أيضاً في بعض الجزر الأندونيسية الغليظة السكان، كجزيرة بورنيو، وسيليس، وغينيا الجديدة، وغيرها. وتعود كثرة السكان إلى جزيرة جاوه حيث تزيد الكثافة على ثمانمائة شخص في الكيلومتر المربع الواحد فتعد من المناطق المزدحمة بالسكان في العالم، وهذه الكثافة أدت إلى قطع الغابة، وتحويل الأرض إلى مساحات مزروعة، واستثمار المعادن، وعقد السكك الحديدية، وإقامة المياني، وأنه كلما ازداد السكان اضطروا إلى زيادة العمل والاستثمار ليؤمنوا أنفسهم، ويسدوا حاجتهم. ولكن السكان في أندونيسيا غير موزعين بصورة عادلة في الجزر كلها، فإن بعضها يعاني نقصاً كبيراً في اليد العاملة، ولا تزال الزراعة البدائية منتشرة في أكثر المناطق، والغابات تغطي مساحات واسعة من الجزر، وتنتشر المستنقعات على أراضي شاسعة، والسكك الحديدية معدومة في الجزر كلها عدا جزيرتي جاوه وسومطرة.



دينامسار	٣,٥٠٠,٠٠٠	٥,٥٦١	بالي
جانبورا	١,٢٥٠,٠٠٠	١٢١,٦٨١	إيربان الغربية
جامبي	١,٧٥٠,٠٠٠	١١,٩٢٤	جامبي (سومطرة)
باكابارو	٢,٧٠٠,٠٠٠	٩٤,٥٦٢	ريو (سومطرة)
سواسيو	٣,٣٠٠,٠٠٠	٧٤,٥٠٥	مولوك
بنقولو	١,٥٠٠,٠٠٠	٢١,١٦٨	بنقولو
	٥,٨٠٠,٠٠٠	٣٣,٣٠٧	لامبونج
كونار آتشه	٣,٦٥٠,٠٠٠	٥٥,٣٩٢	آتشه (سومطرة)
	٣,٥٥٠,٠٠٠	٣,١٦٩	يوتياكارتا
	١٨٨,٠٠٠,٠٠٠	١,٩١٩,٤٤٣	

الصراع العنصري:

ينتمي سكان أندونيسيا إلى جنس الملايو، وهم بالأصل من العنصر المنغولي، أي من العرق الأصفر، هاجروا قبل الميلاد بفترة طويلة من جنوب شرقي البر الآسيوي أي من المنطقة المعروفة اليوم باسم الهند الصينية. وحدثت تلك الهجرة عقب نزوح جماعية كبيرة من الصين ومنغوليا، إذ ضغطوا على السكان السابقين لهم، وأجبروهم على ترك مناطقهم والتوجه نحو الشواطئ، وحلّوا محلّهم، واضطروا ثانية إلى مغادرة المناطق الساحلية تدريجياً تحت ضغط وزيادة القادمين الجدد من الصين ومنغوليا، وأخذوا يرتحلون من الشواطئ جماعات وقبائل، يركبون البحر ويتجهون نحو الجزائر القريبة منهم، والمبعثرة في ذلك اليوم الواسع، ويستشرون فيها حتى عمروها كلها.

العاصمة	عدد السكان	المساحة	المنطقة
باندونغ	٣٥,٥٠٠,٠٠٠	٤٦,٣٠٠	جاوه الغربية
سامارانغ	٣٢,٥٠٠,٠٠٠	٣٤,٢٠٦	جاوه الوسطى
سورابايا	٣٥,٥٠٠,٠٠٠	٤٧,٩٢٢	جاوه الشرقية
ميدان	١٢,٥١٥,٠٠٠	٧٠,٧٠٧	سومطرة الشمالية
بوكيت تنغي	٦,٥٠٠,٠٠٠	٤٩,٧٧٨	سومطرة الغربية
بالمبانغ	٨,٥٠٠,٠٠٠	١٠٣,٦٨٨	سومطرة الجنوبية
بونتيانك	٣,٥٠٠,٠٠٠	١٤٦,٧٦٠	كيليمتان الغربية
بانغوراسين	٣,٦٠٠,٠٠٠	٣٧,٦٦٠	كيليمتان الجنوبية
توكونغ	١,٢٠٠,٠٠٠	١٥٢,٦٠٠	كيليمتان الوسطى
ساماريندا	١,٥٠٠,٠٠٠	٢٠٢,٤٤٠	كيليمتان الشرقية
ماكاسار	٦,٧٥٠,٠٠٠	٧٢,٧٨١	سلاويزي الجنوبية
	١,٥٠٠,٠٠٠	٦٩,٧٢٦	سلاويزي الوسطى
	١,٢٠٠,٠٠٠	٢٧,٦٨٦	سلاويزي تنغارا
مانادو	٢,٦٠٠,٠٠٠	١٩,٠٢٣	سلاويزي الشمالية
ماتارام بـ (لومبول)	٣,٢٢٥,٠٠٠	٢٠,١٧٧	نوسانتغارا الغربية
كويانغ بـ (تيمور)	٣,٢٢٥,٠٠٠	٤٧,٨٧٦	نوسانتغارا الشرقية
ديلي	٦٨٥,٠٠٠	١٤,٨٧٤	تيمور الشرقية

وكان يُقيم في الجزائر الأندلسية قبل قدوم عنصر الملايو المزوج الذين يُعدون أول من سكن البلاد، وشرفهم سوداء، وقامتهم قصيرة، فلما جاءهم عنصر الملايو، تفرقوا على أنفسهم، وتجمّعوا في الداخل، وأقاموا في الغابات منعزلين عن القادمين الجدد، يعيشون عيشة بدائية، ولا تزال هكذا حياتهم، ديانتهم وثنية، يمتنون صيد الحيوانات، ويلتقطون الثمار، ويسنون بيوتهم من الخصال الأشجار، ويسشرون عورتهم بأوراقها، وقد تختلف القبائل المجاورة بعضها مع بعض، وربما يصل الأمر إلى الصدام.

ثم جاءت مجموعات أخرى كتجار من الهند، ومن الصين، ومن العرب، ومع مجيء الاستعمار جاءت مجموعات من الأوربيين، واستقرّ بعض أفرادها في البلاد، وأثناء الحرب العالمية الثانية دخل اليابانيون مع احتلال دولهم لأندونيسيا، واستقرّ بعضهم حيث أقاموا، غير أن هذه المجموعات كلها ذات أعداد قليلة نسبياً فلا تساوي مجموعها ٦٪ من مجموع سكان البلاد، أي لا يصل عندها أبداً إلى عشرة ملايين. وإن كانت كل مجموعة قد عملت على نقل عقيدة أبنائها إلى أندونيسيا، وإذا كانت أعداد من الهند قد دانوا بالإسلام، وكذلك قلة من الصينيين إلا أن الهندوسية، والبوذية، والكونفوشية، لا تزال دليلاً على وصول تلك المجموعات، كما أن النصرانية لا تزال أشرأ على قدوم المستعمرين الأوربيين، والشنتوية إشارة على احتلال اليابانيين. ويصل عدد العرب إلى مائة وستين ألفاً، غير أنهم أكثر المجموعات الأخرى احتراماً عند السكان للروابط العقيدية بين الطرفين، ويعدّ الأندونيسيون العرب مثلهم الأعلى لحملهم رسالة الإسلام ونقلها إليهم، وللعرب جمعيات خاصة بهم، تعمل للحفاظ على لغة أبنائها، وصلة بعضهم مع بعض، وتحمي عندهم الصلة مع أصولهم.

ونتيجة غلبة عنصر الملايو على البلاد فليس هناك من صراع مع بقية العناصر التي تعدّ ضعيفة لقلتها، وتبقى لهذا العنصر الهيمنة والسيادة، هذا

بالإضافة إلى الأثر الإسلامي الراسخ في النفوس والذي لا يقر النقرة العنصرية ولا يعترف عليها أبداً، ويُعدّها عصية تنه لوجود الشعوب والقبائل للتعارف لا للتمايز، والتمايز إنما هو بالقوى ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّهُ أَعْلَمُ خَيْرٌ﴾ (١).

وإن تعدّد اللغات في أندونيسيا لا يعود إلى اختلاف العناصر، فاللغات كلها تنضوي تحت مجموعة اللغة الملايوية الأم، وإنما يعود إلى تباين الألسنة نتيجة ترامي أطراف البلاد، وتباعد أقسامها، وصعوبة الانتقال بين أجزائها. ويتكلم السكان أكثر من ثلاثين لغة، ومائتين وخمسين لهجة مختلفة. وأهم هذه اللغات:

- ١ - اللغة الجاوية: ويتكلم بها خمسة وسبعون مليوناً في جناوه الغربية والشرقية.
- ٢ - اللغة الصوندية: ويتكلم بها عشرون مليوناً في وسط جزيرة جاوه.
- ٣ - اللغة المانوروية: ويتكلم بها عشرة ملايين في جزيرة مادورا.

وإن انتشار التجارة، وتقلّ التجار بين الموانئ الأندونيسية المختلفة قد جعل اللغة الملايوية تعمّ مناطق واسعة على الرغم من بقاء اللغات الأخرى واللهجات المحلية، وتعرف اللغة الملايوية الأندونيسية بـ (لغة هاسا)، وكانت تكتب بالحرف العربي، وحاولت هولنده إلغاء هذا الحرف ولكن لم تجرؤ على ذلك لصلة هذا الحرف بالعقيدة الإسلامية، وكانت محاولة هولنده لإبعاد الصلة بين الأندونيسيين وبقية أمصار العالم الإسلامي، وخاصة البلدان العربية، ولكن عندما أُلغيت الخلافة، واستبدل مصطفى كمال الحرف العربي باللاتيني، تجرّأت هولنده على ذلك واستعملت الحرف اللاتيني لكتابة لغة (هاسا) الأندونيسية وذلك عام ١٣٤٦ هـ.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(١٩٢٧ م). وقد عمت هذه الكتابة في الصحف، والمجلات، والدواير الرسمية حتى شاعت. ونجد الكثير من الكلمات العربية في لغة (هاسا). وكانت اللغة الهولندية هي الرسمية أيام الاستعمار الصليبي الهولندي، وتُدْرَس في المعاهد والمدارس، ثم حلت اللغة الإنكليزية محلها بعد زوال الاستعمار الهولندي، لأنها معروفة عالمياً، على حين أن اللغة الأندونيسية لا تعرف خارج البلاد، وهذا ما يُسبب صعوبة اللغة للسكان، ولتضرب مثلاً من تلك الصعوبة، رجل من جزيرة مانورا، فهو يتحدث باللغة المادورية في بيته على أنها اللغة المحلية، ويتحدث باللغة الأندونيسية (هاسا) في وظيفته على أنها اللغة الرسمية، ويعرف الهولندية منذ أيام الاستعمار الهولندي، ويَلْم بشيء من اليابانية منذ عهد الاحتلال الياباني، ويتكلم بعض العربية من القرآن الكريم بصفته مسلماً. ويُفَضِّل السكان اللغة العربية، ويتمنّون تعلّمها لارتباطها بعقيدتهم، وتوجد عدة مدارس لا تُدرّس إلا اللغة العربية، ورأينا كيف كانت الجمعيات الإسلامية تحرص وتعمل على تدريس اللغة العربية.

الصراع الإقليمي:

رغم تعدد الأقاليم بتعدد الجزر، ورغم تنوع اللغات باختلاف الأجزاء إلا أننا لا نلاحظ صراعاً بين الأقاليم، وذلك لأن جزيرة جاوه تغطي على بقية الجزر بكثرة السكان إذ يُقيم فيها وحدها كما رأينا ٦٠٪ من مجموع سكان أندونيسيا كلها، وبقية الجزر تُعدّ بالنسبة لها قليلة الأهمية لقلّة عدد سكانها، فأكثرها سكاناً بعد جزيرة جاوه هي جزيرة سومطرة ولكن لا يصل عدد سكانها إلى ثلث عدد سكان جاوه، أما الجزر الأخرى فلا تقارن بالسكان مع جزيرة جاوه أبداً، ومع ذلك يمكن أن نجد بعض الملاحظات:

أولاً: نجد صراعاً في جزيرة جاوه نفسها بين أقسامها الغربية حيث السكان مسلمون وبين الأجزاء الشرقية حيث تنتشر الفرقة الشاذة «ابنجان»

التي تقوم مبادئها على محاولة التوفيق بين الإسلام والهندوسية، وتعمل هذه الطائفة لبث أفكارها بمختلف الوسائل ومحاولة إبعاد الناس عن عقيدتهم.

ونجد أن الدعم الاستعماري الصليبي كان للجزء الشرقي فوياً مادياً ومعنوياً، حتى انتشر الإحاد وعمّ الفساد، وقد قام الشيوعيون بحركتين معتمدين على هذه المنطقة. وإن الرئيسين اللذين تولّيا أمر البلاد منذ الاستقلال حتى الآن وهما: أحمد سوكارنو ومحمد سوهارتو إنما ينتميان إلى طائفة «ابنجان» هذه.

ثانياً: إن جزيرة سومطرة هي الجزيرة الثانية في أندونيسيا بعد جاوه، وقد يكون صراعاً بينهما، ويحمل جانباً عقدياً أساسياً، فكان سومطرة على ما يبدو تزيد بينهم نسبة المعتزمين بأحكام الإسلام، وتكثر عندهم العاطفة الدينية، وتلاحظ أن المسلمين فيها قد تحزّبوا مرتين، وهبوا على شكل ثورات ضدّ السُلط العثماني والإتحادي، كما أن المستعمرين الهولنديين عندما رجعوا إلى البلاد بعد الحرب العالمية الثانية، وقضوا على الجمهورية الناشئة، تشكلت حكومة مؤقتة في سومطرة لقتال المستعمرين الصليبيين، ومتابعة طريق الاستقلال.

وأن الغضاء على الثورتين الشيوعيتين كان على أيدي رجال من سومطرة على رأسهم عبدالقادر ناسوتون. كما كان محمد حتا، وهو من سومطرة أيضاً، حجر العثرة في وجه الشيوعيين والعلمانيين.

وأن جزيرة سومطرة كانت معقل حزب ماشومي، وقد حصل في الانتخابات على ٩٠٪ من الأصوات فيها، على حين كان الحزب الوطني، والشيوعي يعتمدان على أصوات السكان في جزيرة جاوه، وخاصة الجزء الشرقي منها.

ثالثاً: إن جزيرة بالي صغيرة لا تزيد مساحتها كثيراً على خمسة آلاف وخمسمائة كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين إنسان غير

أنها كانت موضع اهتمام كثير أيام المستعمرين الصليبيين، ثم أيام الذين خلفوهم في السلطة وذلك لأن أكثرية سكانها من أتباع الديانة الهندوسية القديمة التي لا تقيم للقيم كبير وزن، فتأوها يخرجون شبه عازيات، فينقلون وسيلة للإفساد، وتُخذ الجزيرة مركزاً للسياحة لتلك الغاية، وتوجه العناية إليها على أنها واجهة البلاد، ويُفق الكثير من الأموال في سبيل ذلك، ويعيش أهلها برفاهية على حساب سكان أندونيسيا، وترتفع مكانة طلاب الزعامة مروراً منها.

الصراع الحزبي:

منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الصليبيين أرض أندونيسيا بل أي أرض إسلامية أخذوا يعملون جاهدين لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم، وحاول السكان الوقوف في وجههم، ومقاومة ذلك غير أنهم لم يتمكنوا لأسباب كثيرة منها:

١ - الضعف المادي الذي كان عليه المسلمون أمام المستعمرين الصليبيين سواء أكان ذلك من ناحية السلاح أم من ناحية المال والتنظيم، حيث كان المسلمون لا يزالون يعتمدون في قتالهم على الأسلحة اليدوية المعروفة آنذاك على حين كانت الأسلحة الآلية قد بدأت تأخذ طريقها في تسليح الجيوش الأوربية الاستعمارية، وكان المسلمون فقراء على حين كانت هناك إمكانيات ضخمة وراء المستعمرين ووراء الإرساليات التصيرية.

٢ - الضعف الذي كانت عليه أمصار العالم الإسلامي حيث لم يجد الأندونيسيون من يدعمهم أو يستندون عليه، أو يوجههم ويثبتهم من خطر هؤلاء المستعمرين الصليبيين، إذ كان المسلمون عامة على مستوى متدنٍ من الوعي، ويعطون في نوم عميق.

٣ - لم ترسخ مبادئ الإسلام بعد في نفوس الأندونيسيين بشكل

جيد، فدخلوهم بالإسلام لا يزال حديثاً، ووصل إليهم في وقت ضعف المسلمين، ولو أن العاطفة كانت قوية.

٤ - الجهل الذي كان عليه الأندونيسيون.

٥ - كانت المقاومة تعتمد على العاطفة التي يتغصا أحياناً بالتنظيم والتخطيط.

لهذا كله تمكن المستعمرون الصليبيون من السيطرة على أندونيسيا، كما سيطروا في الوقت نفسه على كثير من الأمصار الإسلامية ولجأوا إلى المخططات نفسها، ولم نجد مقاومة أهل البلاد.

ومع مرور الزمن أخذ المسلمون يُدركون خطر هؤلاء الدخلاء على عقيدتهم، ويشعرون من تصرفاتهم، ومن ممارستهم السياسة الاستعمارية والصليبية، الخطر الذي سيحق بهم، ويستقبل أبنائهم من بعدهم، فأخذوا يحاولون تنظيم أنفسهم، وبدأت تظهر الجمعيات، ورغم أنها كانت خطوة متطورة إلا أنها:

أ - قد جاءت متأخرة، حيث ظهرت في مطلع القرن الرابع عشر الهجري أي أنه قد مضى على مجيء الصليبيين ما يقرب من أربعة قرون، فكان الصليبيون قد ثبوا أقدامهم، ورسخوا بعض أفكارهم، وكسبوا بعض عناصر لهم مستغلين فقر السكان، وحاجتهم، وجهلهم، وضعفهم. كما كان الصليبيون قد طبقوا سياستهم الاستعمارية في امتلاك الأرض، وعملوا بالتجارة، ونهبوا الأملاك الأمر الذي زاد من فقر الأندونيسيين، وحاجتهم وجهلهم.

ب - لم تكن هذه التنظيمات عامة بين المسلمين، حيث كان بعضهم منعزلاً على نفسه يسمى وراء عيشه، يخشى بطش المستعمرين، ومكرهم، ويرى بعضهم الآخر أن هذه التنظيمات كانت تفرقة للمسلمين

أكثر من أن تكون جامعة لهم، وموحدّة لهم، وباللغة من شأنهم، هذا رغم أن بعضها - كما رأينا - يعدّ أكبر الجمعيات التعليمية في العالم.

ج - لم تكن لتعمل على تثبيت العقيدة بالشكل المطلوب، وإنما كانت تعتمد على العاطفة، وجمع الأشخاص، وتنظيمهم من غير بناء سليم يقوم على ركائز ثابتة، وهذا ما كان يُبَيِّر الخلافات في الرأي، ويدعو إلى الانشقاق والتمزّق، وشنّ الهجوم الكلامي، والابتعاد عن الجماعة، وربما العودة بعد مدة.

د - تخضع لمكر الأعداء الذين كانوا يُحاولون الإيقاع بين العناصر، والفئات، والجمعيات، ونتيجة الجهل، والعقلة أحياناً، وضعف الدعايم التي تقوم عليها فكان يتمّ الاستماع إلى كلام الصليبيين الذين يبدعون السلطة، ويمتدّون أصحاب التطلّعات السوفية. هذا إضافة إلى استعمال المستعمرين للوسائل الأخرى كافة، من مناصب، وأموال، وتقديم شهادات... وما أكثر هؤلاء الضعفاء في المجتمعات الفقيرة، الجاهلة، والتي لا تستند على ثوابت إيمانية فيتحرفون.

واتبه المسلمون إلى بعض واقعهم الذي هم فيه، فالتفتوا واجتمعوا في شبه اتحاد باسم (المجلس الإسلامي الأعلى) لكنهم شُغلوا بعقد المؤتمرات ومساءلة الخلافة، وأسّسوا جمعية الخلافة في الهند الشرقية، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

وعندما احتلّت اليابان أندونيسيا أثناء الحرب العالمية الثانية، ودعت السكان إلى التدريب العسكري كي يقاوموا المستعمرين الأوربيين أسرع المسلمون، وانخرطوا في صفوف تلك الفرق، التي عرفت باسم فرق الدفاع الوطني، والتي شكّلت لتلك الغاية، إذ نظر المسلمون إلى المستعمرين الصليبيين الذين كانوا يعملون على تصفير السكان، ويفتحون الأبواب أمام الإرساليات التبشيرية، ويقفون في وجه المسلمين، ويعملون

على مُحاربتهم، وقد وجدوا الفرصة الآن للتبوية، وللوقوف في وجه المتصّرين من أبناء البلاد، ولمقاومة العلمانيين والمُلتحمين الذين يلقون الدعم أيضاً من المستعمرين الصليبيين، وقاد هذه الفرق أحد العلماء، وهو (سوديرمان)، وكان كثير من الضباط أعضاء في الجمعية المحمدية، وإن كانت اليابان قد حلّت كل الأحزاب والتنظيمات، ومنعتها من ممارسة نشاطها. وإذا كان المسلمون قد نظروا إلى اليابانيين نظرتهم إلى المستعمرين الصليبيين ما داموا مثلهم ضدّ الإسلام، ورأوا إقامة تنظيم لحماية المسلمين من الانجراف في التيارات الهدامة، ولكنهم لم يجدوا بدأ من الانخراط في فرق الدفاع الوطني التي يُشرف عليها اليابانيون، وذلك لإخفاء تنظيمهم السري للغاية، وحماية أفرادهم، وتدريب أنفسهم، وكان قائد هذا الحزب (زين العارفين) أحد أعضاء جمعية العلماء سابقاً. وعندما أخذت اليابان تتراجع كانت فرق الدفاع الوطني نواة الجيش الأندونيسي، وهذا ما جعل للمسلمين قوة في الجيش استطاعت أن تحبط ثورتين شيوعيتين.

أما بالنسبة إلى المسلمين غير الملتزمين فقد كان لهم أحزاب منها الحزب الوطني، وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي، والحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي، والحزب الشيوعي وغيرها من أحزاب صغيرة. وإذا كانت هذه الأحزاب المتباينة تنظيمياً، المختلفة منهجاً كانت تتلقى على محاربة الإسلام، والعمل على الإيقاع بين الجمعيات والحركات الإسلامية، وقد كانت الشيوعية أكبر دعم للحزب الوطني. وكان هدف الثورة الشيوعية الرئيسي وجالات المسلمين البارزين، وإذا كان ذلك كله إلا أن المسلمين لم يتجهوا إلى هذا لغفلتهم، وفقروهم، وضعفهم.

وعاد المسلمون إلى الفرقة بعد الاستقلال، فانشقت الأحزاب بعضها عن بعض، وتفرقت عن ماثوموي، حيث عاد حزب شركة إسلام إلى استقلاله، وتبعه حزب التربية والاستقلال. وكان حزب نهضة العلماء يفت

الصراع العقائدي:

يتوزع السكان في أندونيسيا حسب العقيدة إلى ما يلي:

السكان	عددهم	نسبتهم من مجموع السكان
المسلمون	١٧١,٠٨٠,٠٠٠	٪٩١
هندوس وبوذيون	٧,٥٢٠,٠٠٠	٪٤
نصارى	٥,٦٤٠,٠٠٠	٪٣
وثنيون	٣,٧٦٠,٠٠٠	٪٢
	١٨٨,٠٠٠,٠٠٠	٪١٠٠

يكثر المسلمون في كل مكان تقريباً في الجزر الأندونيسية، وإن كانت نسبتهم تنخفض في جزيرة بالي، وتكاد تنعدم في وسط الغابات، حيث يقطن السكان هناك، وتعيش قبائل بدائية وثنية، وبخاصة في غينيا الجديدة، وبورنيو، وبعض غابات سومطرة، وجاوه. والمسلمون جميعاً من أهل السنة، وعلى المذهب الشافعي، وأما طائفة الأبنجان، وهي فرقة صالحة، وتعدّ على المسلمين، وليست منهم، وتتركز في شرقي جاوه، وإن كانت قليلة الأعداد إلا أنها كثيرة العقود، وتلقى التأييد والدعم الأجنبي، ومنها كما ذكرنا رئيساً أندونيسيا اللذان تواليا على الحكم حتى الآن، وهما: سوكارنو، وسوهارتو.

أما الهندوس والبوذيون فيتركزون في جزيرة بالي، والمدن الكبرى، وقد جاؤوا إلى هذه البلاد قبل الإسلام على شكل تجاري، وبشروا دينهم، والتي تقلصت مع دخول الإسلام إذ اعتنق كثير من أتباعها الإسلام لما رأوا

موقف المعارض لحزب ماشومي دائماً. وإذا جرت محاولات لفهم الجماعات الإسلامية ثانية إلى حزب ماشومي الذي حُدَّ أصلاً وبقية التنظيمات فروعاً له إلا أن الأمر كان نظرياً، وذلك لعدم الواسع، وعدم معرفة الواقع الذي يعيشون فيه رغم مشاهدة ما تفعله الأحزاب العلمانية والإلحادية، ولا شك فإن لإسلام غالبية السكان دوراً في ذلك. إذ كل يذمهي الإسلام ولو لم يكن يعترف عليه.

وفي بداية أيام سوهارتو برز الحزب الإسلامي الأندونيسي كحزب جديد. وهكذا أصبحت أربعة أحزاب إسلامية هي: نهضة العلماء، وحزب مسلمي أندونيسيا، وشركة إسلام، وبرتو الإسلامي، وحزبان نصرانيان، هما: النصراني البروتستانتي، والنصراني الكاثوليكي، وحزب اشتراكي واحد، هو حزب موربا الاشتراكي، وحزبان علمانيان هما: الحزب الوطني الأندونيسي، وحزب مؤيدي حرية أندونيسيا (ايبكي) وحزب يضم الفئات العاملة وتدعمه الحكومة وهو حزب الفئة العاملة، وله الأكثرية في المجلس النيابي.

وفي رمضان ١٣٨٥ هـ (كانون الثاني ١٩٦٦ م) صدر مرسوم يُعزَل رئيس الجمهورية حل أي حزب سياسي إذا لم يبلغ عدد أعضائه حداً معيناً، أو إذا تعارضت سياسة الحزب مع أهداف الدولة. ثم عدلت الحكومة فطلبت من الأحزاب المتقاربة الأهداف التجمع بعضها مع بعض لتقليل العدد مع إلغاء الأسماء التي تدل على العقيدة في سبيل الوحدة الوطنية، وعدم إثارة التمرات الدينية - حسب زعم الدولة - والواقع من أجل إبعاد الشعب ذي العاطفة الإسلامية عن الأحزاب التي تنبئ الإسلام، وبدا بقيت ثلاث مجموعات حزبية هي: الفئة العاملة، وهو حزب الحكومة، والحزب الديمقراطي الأندونيسي، ويضم خمسة أحزاب غير إسلامية، وهي: الحزب الوطني الأندونيسي، والنصراني البروتستانتي، والكاثوليكي، وموربا، وايبكي، واتحاد حزب التطور (الأحزاب الإسلامية).

والوثنيون الآخرون من عبادة المخلوقات، وعم البداليون يعيشون داخل الغابات منعزلين، وإن أخذت لغزومهم الإرساليات النصرانية، ونكسب أهداؤاً منهم شيئاً لذلك فهم في ناقص مستمر.

وإن الوثنيات من هندوسية، وبوذية، وكوثوشية، وطوطمية ليست لها دعاء لبدانها لبدانيتها، وتبعدها عن الفطرة، وعدم موافقتها للنفس الإنسانية. لذا فهي لا تتزايد بالتوسع، وإنما بالولادات فقط، بل إنها تناقص باستمرار إذ يعتقد بعض أفرادها الإسلام، ويذهب بعضهم إلى النصرانية. وفي الماضي كان أكثر تناقصها يذهب لحساب الإسلام، أما الآن فإنه يذهب لحساب النصرانية إذ منع المسلمون من الدخول إلى مناطق الغابات حيث تعيش تلك الوثنيات، وفتح الباب للنصرانية فقط، وفسح لها المجال، وأعطيت لها حرية التنصير فدخلت بإمكاناتها الضخمة، وحصلت لذلك على بعض النجاح، ولكن وجد الوثنيون على بداليتهم أن النصرانية ليست سوى وثنية مادامت تقوم على عبادة مخلوق، غير أنه إنسان لكنه مخلوق، وهم يعبدون مخلوقات أخرى سواء أكانت حيوانية أو نباتية أم من الجمادات، فالغروق بسيطة، وإن ما فيها من مبادئ لا يتفق كذلك والفطرة البشرية، ولهذا كان الإقبال على النصرانية قليلاً، يتفق مع ما يقدم للوثنيين وغيرهم أحياناً من منافع مادية، وأصول ديانتهم أساساً في نفوسهم ضعيف لا يعرفون شيئاً عنها إن كانوا غير وثنيين، وإن كانوا من الوثنيين فالأمر أبسط بكثير. إذن لم يكن هناك صراع بين المسلمين والوثنيين. وإنما الصراع مستحکم بين المسلمين والنصارى، وهو قائم منذ أن وصل المستعمرون الصليبيون إلى تلك الجهات، ولم يكن النزاع على الوثنيين كل يريد جرحهم نحو ديانته أبدأ، فأهل البلاد اتجهوا نحو الإسلام أصلاً، اتجهوا رغبة، إذ لم يكن للمسلمين قوة، ولم يجردوا سيقاً، وإنما ذهبوا تجاراً غير أن أهل البلاد وجدوا في الإسلام ما يتفق مع الفطرة البشرية، ووجدوا فيه ما ينسجم مع تطلعاتهم الروحية ومع رغبتهم فأقبلوا نحوه ودانوا به، وخضعوا للحكام

ما يتفق مع فطرتهم، ووجدوا الفروق الكبيرة بين ما كانوا عليه وبين الإسلام. وتجنّعت بقاياهم في جزيرة بالي، وجاء الاستعمار الصليبي بدعمهم ليقتوا في وجه المذ الإسلامي.

وعيش النصارى في جزيرتي جاوا وسومطرة وخاصة حيث الحياة المتطورة نسيماً، كما توجد تجمعات أخرى في بعض المدن الكبرى. وهؤلاء النصارى من الأوروبيين الذين بقوا في أندونيسيا بعد جلاء المستعمرين الصليبيين، وكانوا قد حصلوا على امتيازات واسعة وأراضٍ خصبة فيقوا يستغلونها، كما يعملون في التجارة، ثم هناك الذين تنصروا من أبناء البلاد سواء قديماً على أيدي المستعمرين الصليبيين والإرساليات النصرانية أم حديثاً لم يقبلوا على النصرانية إلا نتيجة الحاجة كي يحصلوا على المساعدات المادية، أو ليتمكّنوا من التعليم أو الدوام ودخول المشافي، وربما كان بعضهم يعمل للحصول على المنصب، هذا بالإضافة إلى الجهل الذي يعيشون في ظله ويضغظ عليهم ضغطاً عيقاً، وإن كان أكثرهم ممن كان على الوثنية، وتحصل الإرساليات النصرانية الآن على بعض النجاح داخل الغابات حيث يعيش الوثنيون، وفي المناطق الفقيرة حيث يقطن أناس بأشد الحاجة إلى تقديم يد المعونة، وهذه المناطق وتلك مُحرمّة على المسلمين للعمل فيها، ويجب ألا تنسى أبدأ قلة الإمكانيات الإسلامية عامة على حين يملك المنصرون على اختلاف مُستباتهم إمكانيات ضخمة. والنصارى نوعان منهم الكاثوليك الذين اعتنقوا النصرانية على يد البرتغاليين والإسبان، والبروتستانت الذين أخذوا ديانتهم على يد الهولنديين والإنكليز، ولكلا الطرفين إرساليات نصرانية خاصة به عملت قديماً، وتعمل الآن، كما لكل فريق كتابه ومؤسسته، بل وحزبه الخاص به، ويُقدّر عدد البروتستانت بأكثر من ضعف عدد الكاثوليك.

أما الصينيون الذين يدنون بالكوثوشية فقد جاءوا تجاراً، ويعيشون في المدن الكبرى، ولا وزن لهم، وينصرفون غالباً إلى شؤونهم المعاشية، وأعدادهم محدودة.

المسلمين ليس رهبة وإنما محبة، حتى عم الإسلام.

وعندما جاء المستعمرون الصليبيون وقفت أهل البلاد ممن أسلم ومن لم يسلم ضد هؤلاء القادمين الغزاة، وحاولوا منعهم من الدخول ولكنهم عجزوا لقوة الأسلحة وفعاليتها وحسن التنظيم. ولو كان المسلمون قد دخلوا بالقوة وفرسوا دينهم بالسيف لانحاز سكان البلاد إلى المستعمرين الصليبيين لغرد المسلمين كما كانوا يفعلون مع المستعمرين الجدد ضد المستعمرين الذين سبقهم، إذ عدّ الأندلسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وراوا في الإنكليز أخواناً لهم على الهولنديين، ووجدوا في اليابانيين خطراً أقل عليهم من الهولنديين والإنكليز.

كل هذا مع أن المستعمرين الصليبيين كانوا يتقربون من الوثنيين ومن أصحاب الديانات الأخرى من هندوسية، وبوذية، وكونفوشية، ويقدمونهم، ويدعمونهم، ويعطونهم المساعدات لكسبهم إلى جانبهم، ضد المسلمين، بل يؤلّونهم المناصب ليستأدوا الفراغ الذي وجد بإبعاد المسلمين، ومع كل هذا لم يحصل الصليبيون إلا على نتائج ضعيفة جداً، لا تكاد توضع في الحساب. وكان هذا تصرف المستعمرين جميعاً من برتغاليين، وإسبان، وهولنديين، وبريطانيين، كلهم يحملون أحقاداً، وجاءوا بروح صليبية، وأخذوا يُغلّون ما أتوا به في جمعهم لا يختلف مستعمر عن آخر في سياست ضد المسلمين، وإن تباينوا في الملعب بين كاثوليك وبروتستانت، واختلفوا في نشاط إرسالياتهم التنصيرية، إذ يفسح كل مستعمر المجال لإرسالياته بشكل أوسع، ويقدم لها الإمكانيات الأكبر، وإن كان لا يقف في وجه إرساليات المستعمر الأخر.

ولم يكن الاتفاق بالمتبع يُشكّل حاجزاً بين المستعمرين، فلم تكن الرأسمالية تستغني عن الشيوعية في دعمها لمحاربة الإسلام، ولم يكن الإلحاد ليقتل في الصف المعادي للتنصير مادام كلاهما يعمل لهدم الإسلام، ولم يكن المعسكر الغربي ليناهض المعسكر الشرقي في هذه السبيل.

المعادية للإسلام مادام هدفهما واحداً وهو ضرب عقيدة سكان أندونيسيا، فقد دعمت هولندا المستعمرة الصليبية الرأسمالية التي تسير في ذلك المعسكر الغربي وإرسالياتها التنصيرية البروتستانتية الحزب الشيوعي بالإمكانات كافة ليؤتي دوره في نشر الإلحاد، وبث الفساد، وضرب الإسلام، والشيوعية معروفة بالأعداء، ونظامها المخالف للرأسمالية، وارتباطها بروسيا قائلة المعسكر الشرقي، وتصراحتها الأرثوذكسية، حتى إذا اشتدّ عود الحزب الشيوعي قام بثورته، وحركته لاستلام السلطة، وكان المستعمرون يشعرون بالراحة ما دام سيخلفهم عدو للإسلام ظاهر العداوة، ولما فشل الحزب في حركته رجعت هولندا إلى البلاد بهجمة وحشية لتسلم راية محاربة الإسلام.

وكان الاستعمار الصليبي منذ أن وطأ أرض أندونيسيا أو غيرها من أمصار الإسلام بعدّ العدة لتربية رجال مُعادين للإسلام فيما إذا اضطر الصليبيون إلى الخروج من البلاد، وقد أعطوا رجالهم المعتمدين لديهم المخطط الذي يهدف إلى التعاون مع كل شيطان في سبيل ضرب الإسلام، ونشأ هؤلاء الرجال، وتلقوا التربية اللازمة، وبرز أحمد سوكارنو، ولما آل الأمر إليه أخذ في تنفيذ ما رُسم له، وظهر عجزه وحده ومع حزبه، فأخذ بالتعاون مع الشيوعيين، فظهروا على الساحة ثابته، وأعادوا الكرة بالقيام بحركة عندما وجدوا أنها أقوى من الأولى فخسروا الجولة مرة أخرى، وأطاحت بهم وبرفقهم سوكارنو، غير أنه مع الأسف قد ظهر، رجل آخر من فرقة سوكارنو الضالّة نفسها وهي طائفة الأبنجان، وإن كان يختلف عنه بأنه يُعادي الشيوعية، ويسير في ركب الرأسمالية، وكلاهما واحد في موقفهما من الإسلام بل صديقان حميميان في هذا المجال، يتفقان في المخطط الواحد، ويتعاونان معاً، لما كان يُبني ارتباطه بالصلاة ليسهل وصوله إلى القمة وربما هكذا أشاعت وسائل الإعلام التي تُعادي الإسلام كي يلقوا على السطح، وقد كان ذلك، وتسلم الأمر، ذلك هو وسومارنو.

ولما تمكن سوهارنو ولدا صاحب الكلمة الأولى، وتسلم يده السلطة
أظهر ما كان يُحمله، وأبدى ما كان يشوه، فجمع الأفراد من الاشتراكيين،
والجماعات من العمال غير المرتزمين بعقيدتهم، وكل الفئات البعيدة عن
الإسلام، وشكّل منها حزباً عدّه حزب الدولة، وأطلق عليه اسم الفئات
العامة «جولكاره»، ونظم أمانات سيم مشتركة لمنظمات عاملة. ودُعيت هذه
الفئة بمائة عضو في المجلس النيابي، وهم الذين يحقّ للحكومة
ترشيحهم، وبالقرارات والتعليمات التي تصدر لمصلحتها، وبالمساعدات
التي تُقدّمها، وبالتبني لها رسمياً.

وقت الحكومة موقفاً معادياً بصراحة للإسلام، ومؤيداً بوضوح
للتنصيرية وللإرساليات التنصيرية، إذ أصدرت تعليمات تحول دون خروج
الدعاة المسلمين إلى القرى وما دون ذلك من مناطق الريف والغاية،
وقصرت عملهم على المدن والمراكز الحضارية الكبرى، على حين تركت
المجال للتنصاري كي يعملوا حيثما شاءوا وأمدتهم بوسائل الوصول إلى
الغاية والجهات البعيدة كلها، ومن المعلوم أن المدن تضمّ الذين عندهم
وحي بشكل عام أكثر من غيرهم، واختاروا عقيدتهم عن قناعة ولا مجال
للعمل معهم، على حين أن القبائل البدائية في الغاية ومناطق الريف ينقصهم
الوعي، وهم إما وثنيون أي لا عقيدة لهم أو أنهم أصحاب ديانة ولكنهم
على جهل بها، ولا تُشكّل شيئاً في حياتهم فيمكن التأثير عليهم وأخذهم
إلى ديانة أخرى، وإضافة إلى ذلك فإنهم فقراء يسعون وراء حاجتهم فيمكن
كسبهم إلى عقيدة من يقدم لهم المساعدة المادية أو الدواء، والإرساليات
التنصيرية، واتحاد الكتائب بملكون هذا كله... ولهذا فقد نجحوا نوعاً ما
في جهودهم، فضاغفوا من تلك الجهود، وزادوا من إمكاناتهم، وبدلوا من
طاقاتهم، وتكاثرت إرسالياتهم وكان الغزو التنصيري الواسع في أندونيسيا.

ومع كل هذا فإن نجاح التنصاري كان ضئيلاً في المدن والمراكز
الحضارية، لأن الناس أكثر وعياً، ووجد المنصرون، كما وجدت الحكومة

أن سكان أندونيسيا رغم فقرهم، وعدم معرفتهم، وقلة وعيهم، فإنهم
يتعاطفون مع كل شيء يحمل اسم الإسلام، ويتفرون من كل ما يحمل
اسم التنصيرية، ومن هنا كانت تحصل الأحزاب الإسلامية على تأييد العامة
على حين لا تزال الأحزاب التنصيرية أي عطف من الشعب، ولا تحصل
على أي تجاوب، لذا أصدرت الحكومة الأندونيسية تعليمات تقضي بعدم
حمل أي حزب أو تنظيم أي اسم أو شعار يدلّ على عقيدة معينة أو
ديانة، حتى لا تكون هناك آفة عصبيات، أو إثارات طائفية - حسب زعم
المسؤولين -.

والواقع أن الأمر خطير جداً في أندونيسيا ويجب تداركه، فالهجرة
الصليبية شرسة، وتأمّر المسؤولين معها واضح رغم ادّعائهم الإسلام، أو
إظهارهم الحياد، وأن حرية الأديان مصونة، والواقع أن المسلمين لا حرية
لهم ولا حقّ لهم بالنسبة لأصحاب الديانات الأخرى مع أنهم الغالبية
المطلقة.

ولاحظنا أن الصراعات الإقليمية، والتنصيرية، والحزبية تحمل جميعها
المعنى العقائدي، فالصراع بين الإسلام والتنصيرية شديد في أندونيسيا، غير
أنه صراع غير متكافئ، إذ تملك التنصيرية الإمكانيات الضخمة، والدعم
الدولي، ومساعدة الحكومة، وتأييد كبار المسؤولين ممن ينتمي إلى الإسلام
اسماً، ولا يملك الإسلام أي شيء بل إن أتباعه لا يملكون الوعي ولا
المعرفة، ولا المخططات المهيأة ضدّهم، وهم هدف الصليبية العالمية،
ويمكان رمي سهام الفرقة الضالة الحاكمة وأبنجان، والذين ارتبطت
مصالحهم مع الدول الكبرى التنصيرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

الباب الثالث

بِرُونَاي

www.alkottob.com

لمحة عن بروناي قبل إلغاء الخلافة

كانت بروناي في الماضي دولة ذات شأنٍ يمتدُّ سلطانها على مناطق واسعةٍ من جزيرة بورنيو بما في ذلك المناطق الساحلية لشمال الجزيرة وهي ولايتي (صباح) و(ساراواك) حالياً، واللذان أصبحتا فيما بعد ولايتين تتبعان ماليزيا.

أخذ الإسلام ينتشر في جنوب شرقي آسيا منذ نهاية القرن السابع الهجري، وأخذ يتوسَّع نفوذ المسلمين عن طريق التجارة، وغدا مع الزمن لهم عدة سلطنات في تلك المنطقة، وفي عام ٨٢٨ هـ زار سلطان بروناي (أوانغ الأك بتاتار) سلطان مالاقا المسلم محمد شاه (باراميسورا)، واعتنق الإسلام، ورجع إلى بلاده مسلماً فدعا شعبه، فاستمع إليه من استمع، وأخذ الإسلام ينتشر في بروناي بسرعةٍ متزايدةٍ.

وفي القرن العاشر الهجري كان نفوذ سلطنة بروناي قد وصل إلى الأوج حيث شمل أكثر أراضي جزيرة بورنيو كما شمل جزر سولو في جنوبي الفيليبين اليوم، وجزءاً من بقية الجزر الأخرى.

في هذا الوقت كان الاستعمار الصليبي الأوربي قد وصل إلى المنطقة، وأخذ يتدخل في شؤونها، ويحتلُّ أراضيها، وقد وصل المستعمرون الصليبيون الإسبان إلى بروناي عام ٩٢٧ هـ، وكان التجار المسلمون يحمون سواحل جزر المنطقة كلها، ويقومون بأعمالٍ نشطةٍ،

وكانت تجارتهم رائجة على نطاق واسع، ولم يكن الدعاة أقل نشاطاً من التجار، بل إن التجار أنفسهم كانوا دعاة.

واحتلّ الإسبان الجزر الشمالية مما يحرف اليوم باسم الفلبين، ودخلوا مدينة مايللا، فتوقّف نتيجة ذلك المد الإسلامي في تلك الجهات، وأخذ الصراع بين الإسبان النصارى في الشمال وبين المسلمين في الجزر الجنوبية يشتدّ في محاولة من الإسبان لمدّ نفوذهم على الجزر الجنوبية وإخضاعها لسيطرتهم الصليبية، فكان سلطان بروناي يمدّد المسلمين، ويدعمهم بكل إمكاناته، فما كان من الحاكم الإسباني للجزر الشمالية إلا أن كتب إلى السلطان يطلب منه التوقّف عن هذا الدعم، والامتناع عن إرسال دعاة من قبله إلى الجزر الجنوبية وإلى أواسط جزيرة بورنيو بل وإلى قبول مُنصرين كاثوليك في جزيرة بورنيو، غير أن السلطان قد رفض هذا الطلب بحزم، ونقل مقرّه من بروناي إلى جزر صولو ليكون أقرب إلى الإسبان للمواجهة من باب التحديّ والرغبة بالمنازلة، ولم تستطع إسبانيا أن تقوم برفّة فعلٍ لضعفها آنذاك وعدم توفرّ الإمكانيات لديها، وذلك عام ٩٨٧هـ.

ونتيجة ضعف إسبانيا والبرتغال لسيطرتهم على أجزاء واسعة لا إكتمالية لهم بالسيطرة عليها بشكلٍ قويٍّ، لذا فقد تقدّمت دول صليبية أوروبية أخرى لسدّ هذا الفراغ ودعم النصرانية بقوة، هذا إضافة إلى الصراع القائم بين هذه الدول في أوروبا، ورغبة من هذه الدول في منافسة إسبانيا والبرتغال للحصول على خيرات المستعمرات واستغلال موارد البلاد التي وصلت إليها هاتان الدولتان أو كسوخ من نقل الصراع إلى هذه المناطق وتنمّة له.

دخلت هذا الصراع أو هذه المنافسة هولندا، وفرنسا، وإنكلترا، وأسست كل منها شركة للاستغلال واستثمار ما تقع يدها عليه. وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت شركة الهند الشرقية البريطانية بحاجة إلى مركزٍ لتجارتها مع الصين. وكانت أول محاولة لإقامة

هذا المركز في شمالي جزيرة بورنيو، وكان هذا الجزء يتبع سلطان (صولو)، وكان هذا السلطان قد وقع في أسر البريطانيين عندما استولوا على مدينة مايللا، وقد أطلقوا سراحه، فتنزل لشركة الهند الشرقية البريطانية عن متطلة في شمالي جزيرة بورنيو لتقيم عليها مركزاً لتجارتها كغداة لفنكك أسره.

وكان الهولنديون كذلك قد أقاموا مراكز تجارية لهم في سلطنة بروناي منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري، ثم انحصرت هذه المراكز على (ساراواك) وأجزاء من بورنيو الشمالية.

وفي عام ١٢٥٩هـ تدخل المغامر البريطاني (جيمس بروك) في خلافٍ نشب بين نائب السلطان في بروني وبين الثوار الملاييين وسلاك الأراضي فكافاه السلطان على جهوده وإمكاناته على تهدئة الوضع بأن عبّه حاكماً على (ساراواك) عام ١٢٦٩هـ.

وفي عام ١٢٦٤هـ (١٨٤٧م) دخل سلطان بروناي في اتفاقية مع بريطانيا لمقاومة القرصنة وتطوير العلاقات التجارية.

عين البريطانيون قنصلاً لهم لدى سلطان بروناي، وتنازل لهم السلطان عن مراكز في شمال شرقي جزيرة بورنيو نتيجة للأعمال التي قاموا بها، كما تنازل سلطان (صولو) عن مراكز أخرى لهم عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م). ثم تأسست شركة (شمالي بورنيو) البريطانية عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، وأخذ نفوذ بريطانيا يتوسّع، وتقوم سلطان بروناي بتقلّص حتى وصل إلى ما هي عليه الآن من صيبي في المساحة، وضعف في النفوذ. وأخيراً توّطدت سيطرة البريطانيين على جزيرة بورنيو كلها، وقُسمت إلى أجزاء حسبما تقتضيه مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبية.

وفي عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) وضعت بروناي تحت الحماية البريطانية، وكذلك وضعت بورنيو الشمالية (صباح) و (ساراواك).

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وقع البريطانيون اتفاقية مع سلطان بروناي قضت بوضع مقيم بريطاني في حاشية السلطان كمستشارٍ للأمور الإدارية، وابتق نتيجة ذلك شكل حكومة شملت مجلس شورى استشاري. ومنذ أن اتسع النفوذ البريطاني وبروناي مسرحاً لنشاط الإرساليات التبصيرية المدعومة بقوة المستعمر ومدّه بالإمكانات الضخمة.

الفصل الأول

بروناي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

ألغيت الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م). وبروناي محمية بريطانية، السلطان صورة رمزية، وأصحاب النفوذ هم البريطانيون، يستغلون خيراتها، ويتصرفون بشؤونها باسم الدفاع عنها، ويجعلون أرضها مرتعاً لإرسالياتهم التبصيرية.

احتلّ اليابانيون بروناي في الحرب العالمية الثانية في شهر ذي القعدة ١٣٦٠ هـ (كانون الأول ١٩٤١ م) ولكن لم تلبث اليابان أن انسحبت من بروناي كما انسحبت من غيرها إذ هُزمت في تلك الحرب، ولم يمدف على بدء الاحتلال أربعة أعوام.

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) عين البريطانيون حاكم (سارواك) مندوباً سامياً لبريطانيا في بروناي، واستمر هذا المنصب حتى ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (أيلول ١٩٥٩ م) حيث قوّن الدستور لبروناي، وقد أعلنه السلطان في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٩ م)، ونصّ على قيام مجلس حاصر للسلطان، ومجلس تنفيذي، وآخر تشريعي، وألغى عنها منصب المندوب السامي. وقامت في البلاد إدارة منفصلة بناءً على اتفاقية وُقعت بين السلطنة والحكومة البريطانية.

وقام الاتحاد الماليزي ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن حكومة بروناي لم

تقرر الدخول فيه، ثم اندلع تمرد في بروناي، وبورنيو الشمالية (صباح)، وأجزاء من ساراواك في شهر رجب ١٣٨٢ هـ (كانون الأول ١٩٦٢ م) تبنه جيش التحرير في شمالي بورنيو، وقاده أحمد محمد الزهاري، والهدف من معارضة الانضمام إلى الاتحاد الماليزي، وأعلن المتمردون عن قيام دولة «كاليمتان الثورية» غير أن التمرد قد انحسر بعد عشرة أيام من اندلاعه بمساعدة قوات بريطانية حُملت من سنغافورة. وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد، وحظر نشاط حزب الشعب، ونفى أحمد محمد الزهاري إلى الملايو. وأخيراً عقد اتفاق ماليزيا بين كل من (اتحاد الملايو) و(سنغافورة) و(ساراواك) و(بورنيو الشمالية) وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نص هذا الاتفاق على انتقال السيادة في (بورنيو الشمالية) التي حملت اسم (صباح)، و(ساراواك)، و(سنغافورة) من يد البريطانيين إلى حكومة ماليزيا بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م). كما وضح هذا الاتفاق العلاقات بين سنغافورة والاتحاد الجديد. وقرر سلطان بروناي عدم الانضمام إلى هذا الاتحاد، كما عارضته الحكومتان الأندونيسية، والفلبينية. وهكذا بقيت سلطنة بروناي وحدها منفصلة عن اتحاد ماليزيا الذي يشمل الأراضي المحيطة بها، ويعتد عن أندونيسيا التي تملك باقي أجزاء جزيرة بورنيو، وهي القسم الأعظم منها، والتي تعدّ دولة بروناي جزءاً صغيراً على سواحلها الشمالية لا يكاد يُعادل ٧٧٪ أي أقل من ١٪، ويملك اتحاد ماليزيا ما يقرب من ثلث الجزيرة، والباقي من نصيب أندونيسيا.

وطبق الدستور الذي أصدره السلطان منذ عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن بقيت الأحكام العرفية معمولاً بها بدءاً من حوادث التمرد التي قامت في البلاد.

وعدّل الدستور في ٤ رمضان ١٣٨٤ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٦٥ م)

ليكون المجلس التشريعي عن طريق الانتخاب، فالمجلس التنفيذي (مجلس الوزراء) يرأسه السلطان.

أما المجلس التشريعي فيضمّ واحداً وعشرين عضواً يُؤخذ عشرة منهم بالانتخاب، وخمسة بالتعيين، وستة يدخلون المجلس بحكم وظائفهم الرسمية. ومندوب السلطان ويُسمى (مستري يسار) أي الوزير الأكبر فيمارس السلطة التنفيذية نيابةً عن السلطان، ويحضر جلسات المجلس التشريعي باسمه.

وفي ٢ رجب ١٣٨٧ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٦٧ م) تنازل السلطان سيف الدين عمر علي الذي كان يبدء الحكم منذ عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) عن السلطة إلى ابنه حسن البلقاح الذي لا يزيد عمره على الواحد والعشرين سنة، وتمّ تنويجه في ٧ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ (الأول من آب ١٩٦٨ م) باسم (معز الدين ودود الله)، وهو السلطان التاسع والعشرون.

وفي رمضان ١٣٩١ هـ (تشرين الثاني ١٩٧١ م) منحت بريطانيا الحكم الذاتي لسلطنة بروناي.

وفي ذي الحجة ١٣٩٥ هـ (كانون الأول ١٩٧٥ م) أصدر مجلس الأمم المتحدة قراراً دعا فيه بريطانيا بالانسحاب من بروناي، وعودة المنفيين السياسيين، وإجراء انتخابات عامة.

تمت مفاوضات بين سلطنة بروناي وبين بريطانيا عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م)، وأعطتها تأكيدات من أندونيسيا وماليزيا على احترام استقلال سلطنة بروناي، ووقعت اتفاقية بعد ذلك بين الطرفين في شهر صفر ١٣٩٩ هـ (كانون الثاني ١٨٧٩ م) قضت بأن تصبح بروناي دولة مستقلة خلال خمس سنوات، وفي ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٨٤ م) أي حسب الوقت الذي نصّت عليه الاتفاقية أعلن استقلال

دولة بروناي. وشغل السلطان حسن إضافة إلى منصب السلطان وثلاثة
الوزراء، ووزارة المالية، والداخلية، وضَمَّ مجلس الوزراء ستة آخرين بينهم
والده السلطان السابق، وأخوان للسلطان حسن.

الفصل الثاني

الاستقلال

حصلت بروناي على الاستقلال في ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (الأول
من كانون الثاني ١٩٨٤ م)، غير أنها دولة صغيرة لا تستطيع الدفاع عن
نفسها، وهي محط أنظار الكثير من الدول، وكل منها يريد السيطرة عليها
لغناها بالنفط، وفي الوقت نفسه فهي بحاجة إلى الكثير من البضائع من
مختلف الصناعات إذ ليس لديها أية صناعة، وإن إعطاء إنكلترا الاستقلال
لها يبقينا بحاجة إليها للدفاع عنها على الأقل ورَد الأطماع التي تسجّه
نحوها، فالاستقلال معناه اسمي أولاً، وهذه الغاية من تقسيمات الدول
الاستعمارية الصليبية للدول الإسلامية ففي الوقت الذي نجد الدول تقسم
مساحات واسعة، وفيها أعداد كبيرة من السكان، وتمتلك إمكانات ضخمة
للدفاع عن نفسها بل وعن غيرها، وإمكاناتها أيضاً اكتساح مناطق غيرها نجد
بعض القطع من الأراضي الإسلامية أشبه بدمى، وتسمى دولاً، إذ لا تشمل
الواحدة منها سوى رقعة صغيرة لا تزيد أحياناً على مساحة مدينة واحدة،
وربما لا تصل إلى مساحة بعض المدن، وسكان عددٍ منها قد لا يصل إلى
عدد سكان مدينة متوسطة أو دون ذلك، وهذه ما تزيد الدول الاستعمارية
الصليبية إذ تبقى هذه الدويلات بحاجة للدفاع عن نفسها، ولا تجد طلب
ذلك إلا من الدول التي كانت تستعمرها، وأوصلت المسؤولين إلى
السلطة. وإذا كانت هذه الدويلات غنية عاش أهلها في بحبوحة ورفاهٍ

رائد، وربما أبطرتهم النعمة فأبعدتهم عن التفطرة فأسرفوا وبدروا بشكل لا يقبله العقل فكانوا مثلاً سيئاً عن المسلمين وهذا ما تدعيه الدول الصليبية أن هؤلاء يُمتلئون المسلمين، ويصل بهم الأمر إلى أن يشمخوا بأنوفهم على إخوانهم في العقيدة، وتكون التفرقة. وقد يطر الغنى ولا يجد جاره الفقير ما يسد رمقه، ويكون الحق في أبناء البلد الواحد، وهذا ما تسعى إليه الدول الصليبية المستعمرة. وبريطانيا قد أعطت بروناي الاستقلال، ولكن بقيت مسؤولة عن الدفاع عنها. حتى أن بريطانيا قد أعطت الاستقلال وربما استعملت عبارة ومنحت، كأنها صاحبة حق في هذه السيطرة، ومنحت الدولة الضعيفة استقلالها.

وعادت العلاقات فتحسنت بين بروناي وبريطانيا بعد أن ساءت قليلاً عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) عندما أسست بروناي مؤسسة مالية لإصدار أوراق النقد الخاص بها بعد أن كانت مرتبطة بمؤسسة بريطانية. فأظهرت بريطانيا غضبها من ذلك لأن بروناي أقدمت على هذا العمل دون علمها، وحتى لا تقوم بعد ذلك بأي عمل دون استشارة بريطانيا. ورجعت العلاقات إلى حالتها الطبيعية عندما وافقت الحكومة البريطانية على إبقاء أفواج من قواتها (جورفا) التي كانت متمركزة في بروناي منذ عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، ويجب أن تبقى في بروناي بعد الاستقلال على حساب السلطة لحماية حقول النفط والغاز. وكان هذا مجرد تهديد من بريطانيا لبروناي حيث لم تؤكّد مصير هذه القوات بعد عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) عندما تعود (هونغ كونغ) إلى الصين، وهي موقع القاعدة الرئيسية لهذه القوات.

وتطورت علاقات بروناي إلى شكل جيد مع دول جنوب شرقي آسيا، وخاصة مع سنغافورة. وتمت زيارات ملكية إلى تايلاند وأندونيسيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، وفي الوقت نفسه أنشئت علاقات سياسية مع اليابان.

انضمت بروناي إلى الأمم المتحدة، وإلى السوق الأوربية المشتركة.

ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة دول جنوب شرقي آسيا، وشهد مؤتمر وزراء خارجيتها في عاصمة بروناي في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م).

وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) توفّي والد السلطان، وهو السلطان السابق سيف الدين محمد عمر علي. ووسّع السلطان المجلس التنفيذي، وأصبح يضم أحد عشر عضواً، وذلك عندما أعاد تنظيم الحكومة. وكذلك منح الأعيان أوراقاً تجارية كانت خاصة بأفراد الأسرة الحاكمة.

وأظهرت بروناي رغبة في إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وانكلترا، وأندونيسيا، وماليزيا، وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) دفع السلطان مساعدة لوار الكونتراه في نيكاراغوا على حين كان الكونغرس الأمريكي قد حظر أي مساعدة لهم، وقد اكتشف أمر ذلك لأن المساعدة قد أودعت بشكل خاطئ في حساب بنك رجل الأعمال السويسري في شهر رجب من عام ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م).

وفي هذا الوقت يالذات رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) أبدت بروناي اهتمامها للانضمام إلى اتفاقية الدفاع للدول الخمس المرتبطة ببريطانيا، وهي: ماليزيا، وسنغافورة، وأستراليا، وتبوزيلاند. وتحسنت العلاقات مع ماليزيا بشكل واضح عندما عرضت ماليزيا في رجب ١٤٠٧ هـ مساعدة بروناي على إنشاء جيش بقوات احتياطية، وعندما زار رئيس الوزراء الماليزي بروناي للقيام بمحادثات. وفي مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أعلن البلدان إمكانية إقامة تعاون مستقبلي بالبنج الأجهزة الدفاعية.

كما تحسنت العلاقات مع أندونيسيا، وقد منح السلطان في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أندونيسيا قرضاً بمبلغ مائة مليون دولار دون

فائدة لإقامة مشروعات صناعية ومواصلات، وتُدفع على مدى خمس وعشرين سنة.

وتوطدت العلاقات كذلك مع الفلبين، وقامت رتبة الفلبين كورالين أكتيو بيزنيس لبروناي في الأول من عام ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م)، وعرض السلطان مبدئياً المساعدة في المجموعة الدولية لتسويل خطط تطوير الاقتصاد الفلبيني. وهكذا تحسنت علاقات بروناي مع دول المنطقة المجاورة، والتي كانت تنفق في وجه استقلال بروناي، وكلها تطمع في ضمها إلى أراضيها لقضاياها، وما تحسنت العلاقات أيضاً إلا بتقديم المساعدات أيضاً، وعرض المال.

ولم تقتصر أموال هذه الدولة المسلمة على الأمصار والبلدان المجاورة، وإنما كانت تستفيد منها بريطانيا أيضاً، حيث كانت تسيطر عليها في الماضي، وتُدافع عنها في الوقت الحاضر، وترتبط معها بعلاقات وثيقة. ففي ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) وقّعت بروناي مع بريطانيا اتفاقية تفاهم لشراء طائرات مقاتلة، وسفن دوريات، ومعدات عسكرية أخرى بما تعادل قيمتها مائتين وخمسين مليون جنيه استرليني، والخبير المدقق في هذه الصفقة يجد أن هذه المعدات ليست من الأسلحة المتطورة، وإنما على العكس من الأسلحة التي تريد بريطانيا أن تستقها من قواتها إذ لم تعد مناسبة، هكذا جرت عادة الدول الاستعمارية الصليبية فيما عُرف باسم تسليح الدول النامية. والأصل المسلمة منها.

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أب ١٩٨٨ م) جرت مفاوضات مشتركة بين قوات من بروناي وأخرى بريطانية.

وألغيت حالة الطوارئ بعد مرور ست وعشرين سنة على تطبيقها، وعقد السلطان العزم على إجراء انتخابات عامة.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

بروناي دولة صغيرة تبلغ مساحتها ٥٧٦٥ كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بمائتين وثمانين ألفاً، وتكون الكثافة ما يقرب من ثمانين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد. ويبلغ طول سواحلها مائة وستين كيلومتراً.

يعتمد اقتصادها على النفط والغاز الطبيعي، وتوجد خمس آبار في الداخل، وبثران على الساحل، ويُقدّر إنتاجها من النفط بسبعة ملايين طن، وما يقرب من (٧١٨,٠٠٠) طن من مشتقات النفط، أما الغاز الطبيعي فيُقدّر إنتاجها منه بـ (٨٦٥٤) متراً مكعباً. ويعمل في هذا الميدان ٥,٧٪ من اليد العاملة. ويُشكّل النفط والغاز ٩٢٪ من الدخل الوطني.

ويعمل ٥٪ من اليد العاملة في الزراعة، والغابة، وصيد الأسماك، وأشهر زراعتها الرز، والموز، والأناناس. ويُقدّر صيد السمك بـ (٢٦٥٢) طناً سنوياً، ويُقدّم ٦٥٪ من الاستهلاك المحلي، ويأتي هذا الصيد من مياه المحيط، والمياه العذبة الداخلية. ومن نهر بروني الكبير، ولا شك أن معظمه من مياه المحيط الهادي. وتُقدّم الزراعة وما يتبعها ١,٣٪ فقط من إجمالي الدخل الوطني.

وتُعَدّ دخل الفرد في بروناي من المعدلات المرتفعة إذ يصل إلى

(١٥٣٩٠) دولاراً أمريكياً سنوياً. وأكثر العمال من خارج بروناي إنما هم من ماليزيا، ومن ولاية ساراواك بشكل خاص.

إن الدستور الذي أعلنه السلطان في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٩ م) قد أعطى السلطان السلطة التنفيذية المطلقة، ويُعاونته، ويعمل تحت استشارته أربعة مجالس، وهي: المجلس الديني، والشورى، ومجلس رئاسة الوزراء، ومجلس الوراثة. وعندما اندفع تمرد رجب ١٣٨٢ هـ (كانون الأول ١٩٦٢ م) حُلَّت بعض أحكام الدستور، وكان الحكم يصدر بمرسوم ملكي.

المجلس الديني:

ويضم أعضاء يتم تعيينهم من قبل السلطان، ويعرض المجلس جميع المسائل الإسلامية التي تُعرض عليه على السلطان بصفته رئيساً للدين الإسلامي في بروناي.

مجلس رئاسة الوزراء:

ويرأسه السلطان، ومن اختصاصه النظر في جميع المسائل التنفيذية.

مجلس الشورى:

ويرأسه السلطان، ومن اختصاصه الإشارة على السلطان في المسائل التي تتعلق بحق امتياز الولاية الملكية، وتعديل الدستور، والترقية، ومنح ألقاب الشرف.

مجلس الوراثة:

ويخضع للدستور، ويُقرّر من يتولّى العرش فيما إذا دعت الحاجة إلى ذلك غياب السلطان فجأةً.

والدولة مُقسّمة إلى أربع مناطق إدارية، وعلى كل منطقة ضابط ملايوي مسؤول أمام رئيس الوزراء وأمام وزير الشؤون الداخلية.

الصراع العنصري:

يشكل أهل الملايو ٧١٪ من مجموع السكان، وإضافة إليهم يعيش في بروناي أعداد من الصينيين يُشكّلون ١٩٪ من سكان البلاد، وهناك مجموعات أخرى من الفلبين، والأندونيسيين، والتايلانديين، والبهاتيين، والأوروبيين يُشكّلون جميعاً ١٠٪ من السكان، وبهذا يكون التوزيع على النحو الآتي:

المجموعة	العدد	النسبة
الملايو	١٩٨.٨٠٠	٧١٪
الصينيون	٥٣.٢٠٠	١٩٪
مجموعات أخرى	٢٨.٠٠٠	١٠٪
	٢٨٠.٠٠٠	١٠٠٪

ولما كانت أكثرية السكان يعودون إلى أصل الملايو لذلك لا تجد صراعاً عنصرياً قوياً، وبخاصةً أن المجموعات الأخرى إنما تعود إلى أصول متعدّدة وجنسيات كثيرة. ويمكن أن يقوم الصينيون فقط ببعض التمرد، والحديث عن المشاركة بالسلطة غير أنهم ضعفاء، وإن كانوا يتجمعون بعضهم مع بعض.

وفي أيام السيطرة الإنكليزية كانت بريطانيا تتعهد للأقليات غير المسلمة كلها في محاولة منها لإضعاف المسلمين والإقلال من شأنهم، وتقوية الآخرين عليهم، ومن ناحية ثانية في محاولة لكسب هذه الأقليات إلى صفها كمرحلة أولى ثم شدّهم إلى عقيدتها ما داموا على عقيدتها حتّى لا تقوم على فكر، ولا تسجم مع أقلّ متطلبات النظرة. وبهذه المعاملة فقد

إلى المستعمرين الصليبيين أنهم معتصمون بالقوة التي يملكونها، ويعلمونهم أعداء، ويستعملون عليهم ما داموا أبناء البلاد، وأنهم على الدين الحق، وعلى أن النصرانية تقوم على عبادة مخلوق، وإن كان عدواً من عبادة الصالحين، وأحد أنبياء الله ورسله، فهم لا يختلفون عن الديانات التي يرون أهلها بجوارهم (عبدة الأرواح، والسويديون، والكولونشويون، والشستويون، والهندوس) فكلهم يُلْمَسون مخلوقات، وإن تباينت هذه المخلوقات بتكريمها من خالفها. والمسلمون أكثرية.

فلما أخذ التفكير بموضوع الاتحاد المائزخي حشي بعض المسلمين من الانضمام إليه، وهم يرون أن ماليزيا مرتبطة ببريطانيا بشكل أو بآخر، وأن نسبة المسلمين فيها ضعيفة نسبياً لا تتجاوز 7.5% فلم يرغب بعضهم بهذا الانضمام، وكانوا أقرب إلى أندونيسيا حيث غالبية السكان من المسلمين (91%) من مجموع السكان، كما أن النشاط الإسلامي كان واسعاً، وحزب ماشومي نشطاً. فتجمّع بعض المسلمين وشكّلوا حزب الرايات البرونزي، وكذلك قام حزب الشعب الذي كان له دور فعال، وقد عملا على مقاومة هذا الانضمام، وحدثت حركة التمرد عام 1382 هـ (1962 م)، ولكن أهدمت خلال عشرة أيام، ونفى أعضاء حزب الرايات البرونزي كلهم، ومنع حزب الشعب من مزاولته للنشاط.

وفي عام 1405 هـ (1985 م) تشكل الحزب الوطني الديمقراطي البرونزي (B. N. D. P) وهيكله رجال الأعمال الذين لهم ولاء للسلفان، وركزوا سياستهم تحت شعار الإسلام، وشكّلوا مجموعة وطنية حرّة، غير أن السلطان قد حرّم على مواطني الدولة من الانضمام لهذا الحزب، وهم يشكلون 40% من اليد العاملة، وهذا ما قلل من القاعدة التي يعتمد عليها، ومن مجال نشاطه، كما استعد الحزب أيضاً من انضمام الصينيين إليه والجنسيات الأخرى غير الملايوية وبالتالي غير المسلمين، لذا بقي محدود العدد، ومع ذلك فقد ظهرت فيه تشعبات بالأراء، واختلاف على الزعامة،

سيطر الصينيون على قطاع التجارة الخاص في بروناي، ونشطوا نشاطاً واسعاً، فلما بدأت فكرة الاستقلال، وأعلن السلطان عام 1378 هـ (1958 م) أن بروناي ستصبح دولة إسلامية مستقلة بدأ الصينيون يتدنّون، وأعلنوا أنهم أصبحوا مهتدين، وأنهم سيصبحون من غير ولاية لهم، أي أن بريطانيا كانت ولية أمرهم، فإن أكثرية السكان ملايويين، ويعرفون باسم «سامبيوتراس» أي أولاد التربة، وأصبح الكلام يكثر من الغرباء من الصينيين، ومن تايلاند، ومن هونغ كونغ، ومن غيرهم أنهم سيعاملون معاملة غير عادلة مع الملايويين، وهذا يدفع وتحريض من الصليبيين في محاولة لإبعاد شعار الإسلام على حين أن الصليبيين وغيرهم من أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أنهما عاشوا في ظل الإسلام في أمم وسلام على مدة قروية، على حين لم يجد المسلمون راحة أبداً في بلادهم أنفسهم عندما سيطر عليها المستعمرون الصليبيون، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن رفع هذا الشعار الإسلامي ليس إلا اسماً، فلو كان حقيقة لما ترك في البلد وثيون أبداً على اختلاف ما يدينون من يوفيقية، أو كولونشوية، أو طوطمية أو عبادة للأرواح، فديار الإسلام هي التي يُطبق فيها المنهج الإسلامي، ولا يسكتها إلا المسلمون والذميون من أهل الكتاب النصراني واليهودي، وما يلحقهم من المجوس. ومن عدا ذلك فعليه الرحيل أو اعتناق الإسلام أو إحدى ديانات أهل الكتاب، أو المجوسية.

ويتكلم السكان اللغة الملايوية، وهي الرسمية والشعبية، وإن كانت المراسلات كافة لا تتم إلا باللغة الإنكليزية، والتي تعدّ شائعة، كما أن الصينيين يحافظون على لغتهم ليُعلمونها في مدارسهم، ويتكلمونها فيما بينهم وإن كانوا يعرفون الملايوية، ويغهم أكثرهم الإنكليزية، وكذا المجموعات الأخرى من بقية الجنسيات.

الصراع الحزبي:

تأخر التنظيم في بروناي، وإن كان المسلمون من السكان يشطرون

وتشكلت لجنة، وحدث الشقاق، وفي عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) نشأ حزب جديد، هو حزب بروناي الوطني المتحد.

لحق حزب بروناي الوطني المتحد موافقة السلطان، وركز جهده على التعاون مع الحكومة، وافتح على المسلمين وغير المسلمين، وبعد عامين من تأسيسه صدر أمر ملكي بحله وذلك في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) بعد أن أعطى السلطان صفة رئاسة الحكومة فقط دون ذكر رئاسة الدولة، غير أن الحكومة اتهمت بالانحياز بمؤسسات أجنبية، وألقت القبض على بعض قادته، ومنهم عبداللطيف حامد، وعبداللطيف شوشو، وألقتهم في السجن لغاية ١٤١٠ هـ (١٩٨٩ م).

وهناك جبهة استقلال الشعب، ولكن لم يعد لها دور أيضاً.

الصراع العقيدي:

يشكل المسلمون أكثرية السكان إذ تبلغ نسبتهم ٧٦٪ من مجموع أهل بروناي، وبقي ذلك أتباع الديانة البوذية، وتختلط البوذية بالكونفوشية عند كثير من الصينيين، وتبلغ أتباعها ١٦٪، وأصبحت نسبة النصارى ٤٪، ومثل ذلك نسبة عبدة الأرواح.

الجماعة	العدد	النسبة
المسلمون	٢١٢,٨٠٠	٧٦٪
البوذويون	٤٤,٨٠٠	١٦٪
الناصريون	١١,٢٠٠	٤٪
عبدة الأرواح	١١,٢٠٠	٤٪
	٢٨٠,٠٠٠	١٠٠٪

لا يوجد تكافؤ في الأعداد كي يقع صراع بين أصحاب الديانات، غير أن قوة الاستعمار الصليبي قد أوجدت مجموعة نصرانية أولاً وجعلتها تستطیع الصراع، والتغلب بما يملك أهلها من السيطرة، والإمكانات الضخمة، واتخاذ أساليب المكر، والتخطيط السياسي.

ما أن انتشر الإسلام في تلك الربوع وعمّ حتى جاء الاستعمار الصليبي. لقد أتى النصارى بقوة لم يكن المسلمون يملكونها، ووصل الصليبيون بمكرٍ وتخطيطٍ لم يكن المسلمون يعرفونهما. وجاء المستعمرون بدعمٍ من أوروبا والصليبية العالمية، ولم يكن هناك من يدعم المسلمين في جنوب شرقي آسيا لأن أوضاع المسلمين العالمية في وضع لا يساعدهم على تقديم أي مساعدة، وفي حالة لا يعرفون معها شيئاً عن إخوانهم. وقدم النصارى وقد تمكّنت المبادئ عندهم، وترسّخت الأفكار لديهم، وأبو أنها لا تتسجم مع الفطرة على حين كان المسلمون في بداية عهدهم بالإسلام لم يتعمّق في النفوس وخاصة أنهم أقبلوا عليه وليس هناك من مرشدٍ واعٍ، ولغتهم غير لغة الإسلام ولكن قبلوه لأنه يتفق مع نظعاتهم، ويتسجم مع الفطرة البشرية.

لقد جاء المستعمرون بحقبة صليبي عازم، ولم يلجؤوا إلى الإيادة خوفاً من تجتمع المسلمين فوراً، ونهوضهم نهضة رجل واحد، وإعلان الجهاد، وبالواقع أنهم جاءوا وفي نفوسهم خوف شديد من المسلمين حيث لهم وقائع معهم، ويعرفون حروبهم، وفي الوقت نفسه فقد طمعوهم بتتصير هؤلاء لمعرفةهم بحفالة عهدهم بالإسلام غير أنهم لم يستطيعوا إحراز أي نجاح يذكر في تصير المسلمين رغم ما حشدوا له، وما ذلك إلا لأن الديانة النصرانية محرّقة عما نزلت عليه، فأصبحت لا تتسجم مع الفطرة البشرية، فلم يجد فيها الناس أي دافعٍ دينيٍ لاحتقاقها، ولا أي مُشجّعٍ لإرواء الجانب الروحي عند الإنسان السوي، فهي أشبه بطقوس الوثنية، وتتفق معها في عبادة المخلوقات، وتكريم القديسين، وتلبس الصور

و... ولكن إن لم ينجح المتصرون في محاولاتهم الجادة والعنيفة لتحرير المسلمين لكنهم أحرزوا طرقةً من نجاح في كسب بعض العناصر الوثنية إلى عقيدتهم بالإغراءات.

ولما لم ينجح المتصرون في مهمتهم الأساسية، ولم يجدوا أملاً بالنجاح في المستقبل عندها عمدوا إلى محاولة إفساد المسلمين في سبيل إبعادهم عن عقيدتهم، كما أنهم اتخذوا المكر والوسائل الأخرى لإضعاف المسلمين وجعلهم بحاجة إلى المتصرين، وبحاجة إلى أن يسعوا وراءهم، وراء حاجياتهم الأساسية.

قرب المستعمرون الأقليات غير الإسلامية، ورفعوا فوق المسلمين، وأعطوا المناصب، وفسحوا لها المجال بالنشاط، وقد لاحظنا أن الصراع العنصري كان يحمل في جنباته الصراع العقائدي.

وعمل المستعمرون الصليبيون على إفقار المسلمين بالاستيلاء على أملاكهم، وأخذ أموالهم، وإبعادهم عن المناصب فشعر المسلمون بالضعف وأحسوا بالحاجة.

ولجأ الدخلاء إلى التحيلولة دون تعليم المسلمين بإغلاق المدارس الإسلامية، ومنع الكتاب من مزاولتها نشاطها، ومنع الدروس في المساجد بأذونات لا أساس لها من الصحة، فانتشر الجهل بين المسلمين، وشعروا بالنقص المادي والعلمي عند الآخرين، وانتشرت مدارس الإرساليات النصرانية وامتد المسلمون من الإقبال عليها في بداية الأمر، ثم أخذوا يتسللون إليها تدريجياً، فأذت دورها بإفساد العقيدة، واستهوت الطريقة الغربية من مذهب. ثم لجأ الدخلاء إلى طريقة الجنس وسخروا بنات الجماعات الأخرى رديفةً لبيئاتهم فأغرقت الشهوة الكثير، وأضلت من أضلت.

وكانت السلطة بعيدة عن هذا متصرفة إلى تحقيق رغباتها وشهواتها،

فكانت الهزيمة النفسية لدى الشعب عامّة، وأخذ يلهث الساقطون من وراء التقليد وتأمين الرغبات وأهواء النفس، وهكذا نجح المستعمرون الصليبيون في تأدية دورهم.

وعندما استقلت البلاد أحسن السلطان والمسؤولون بما حدث، ورأوا أن البلاد بحاجة إلى الإعمار، والإعمار بحاجة إلى سكان أصحاب إمكانيات، والبلاد يمكنها توفير ذلك بما لديها من إمكانيات وثروات نفطية، ودخل الفرد المرتفع يمكن أن يُغري الكثيرين من خارج البلاد بالإقبال نحوها، واتخاذها وطناً، ومجالاً للعمل والنشاط، ورأى السلطان تشجيع المسلمين للقدوم إلى بلاده، وبين المسلمين أصحاب الإمكانيات العلمية والعملية، وبينهم المشركون الكثيرون الذين ينتشون عن مكان يابرون إليه، فأتجهت أنظارهم نحو بروناي، وأسرعوا بفتحها للطلاب، غير أن التقديم كان إلى السفارات البريطانية، إذ لم تكن سفارات بروناي قد تكاملت حتى تستطيع تغطية هذه الخطوة. فأجهضت بريطانيا هذا المشروع بحقد صليبي. وانتهى الأمر. وسكنت بروناي. فالصراع العقائدي يمثل في كل جانب من جوانب الحياة. وتغلّبت الصليبية عالمياً، وضعف المسلمون دولياً، وأخذ التصاري يتحكمون بالمسلمين تحت أسماء متعددة منها النظام الدولي الجديد، والديمقراطية، والمصلحة الوطنية و... ويُقر كل اصطلاح حسب ما تزيده الصليبية فتتهدك الديمقراطية وتُداس للمحافظة على النظام الديمقراطي، ويُفتك بالمسلمين حرصاً على السلام... والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

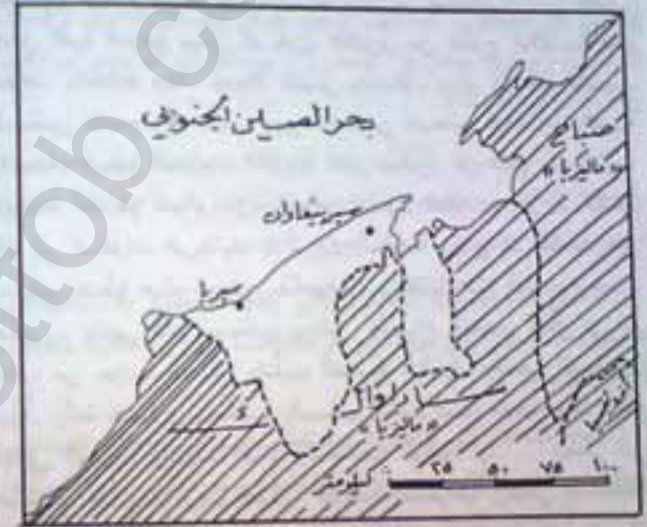
وهنا لا بد من أن نذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

الغاية

إن منطقة جنوب شرقي آسيا متلفة مُهمّة بالنسبة إلى المسلمين، وقد ركزت الصراية عليها اهتمامها الآن، ويبدو أن الاستعمار الصيني سيلجأ في عملية التصير الجديدة حسب المخطط الذي سار عليه في الاستعمار، إذ بدأ من هامش العالم الإسلامي، وأخذ يتقدّم تدريجياً حتى وصل إلى القلب على المدى الطوي، وخلال عدة قرون.

لقد وصل الاستعمار إلى قلب العالم الإسلامي إثر الحرب العالمية الأولى، وعمل عن طريق أعموانه على إلغاء الخلافة فانقرط عقد الجامعة الإسلامية، وإن كان ضعيفاً مهلهلاً من قبل، لكنه كان صورةً على الأقل، وله أثره النفسي والمعنوي، وقد زال الآن. وأخذ المستعمرون الصليبيون بعدها يطبقون سياستهم في إضعاف المسلمين، وإفراقهم، وتجهيلهم حتى أصيب بعضهم بعقدة النقص، واتخذ الدخلاء طريقة الغزو الفكري، وإبعاد اللغة العربية عن العلم والتعليم، ومحاولة إدخال كلمات فيها إمكانية تغييرها، ووضع اللغة الإنكليزية بجانبها في كل شيء وللغرض نفسه، وأخيراً شعرت الدول الكبرى بهيمنتها التامة.

ويبدو أن المخطط التصيري يسير على خطا المخطط الاستعماري وحسب مراحله، وقد بدأ بهامش العالم الإسلامي بشكل مكتفٍ، وهذا ما نراه في أندونيسيا خاصة ثم في بقية دول جنوب شرقي آسيا، وإن كان هذا لا يمنع من تمهيد في قلب العالم الإسلامي لتسهيل المهمة في المستقبل.



مصور رقم [١٣]

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢٨٣	مقدمة
٢٩١	الباب الأول: ماليزيا
٢٩٣	لمحة عن ماليزيا قبل إلغاء الخلافة
٣٠٩	الفصل الأول: ماليزيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال
٣٢٠	الفصل الثاني: الاستقلال
٣٣٦	الفصل الثالث: الصراعات الداخلية
٣٦٣	الباب الثاني: أندونيسيا
٣٦٥	لمحة عن أندونيسيا قبل إلغاء الخلافة
٣٨٣	الفصل الأول: أندونيسيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال
٣٩٤	الفصل الثاني: الاستقلال
٤٢٣	الفصل الثالث: الصراعات الداخلية
٤٤٣	الباب الثالث: بروناي
٤٤٥	لمحة عن بروناي قبل إلغاء الخلافة
٤٥٩	الفصل الأول: بروناي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال
٤٦٣	الفصل الثاني: الاستقلال
٤٦٧	الفصل الثالث: الصراعات الداخلية
٤٧٧	الخاتمة
٤٧٩	الفهرس

إذ تجد إبراز الصليان في المسلسلات التلفزيونية وغيرها، وحتى وُجّهت الشركات والمؤسسات لهذا الجانب وربما لم تُوجّه وإنما بدافع ذاتي. مما تحمل من الصليبة، فأصبح عدد من شركات إنتاج السيارات يضع الصليب بصورة واضحة من الخلف والامام، وبشكل بارز ليتعود الناس على رؤيته، ولم يكن هذا من قبل. والمسلمون نيام يتركون الأمر لأهوان أعدائهم.

يجب على المسلمين أن يتبهوا من رقتهم، ويتعرفوا على مجريات الأمور في واقعهم قبل أن يستغل الأمر، فالوضع جد خطير، وهجمة الصليبة شرسة وقليرة، وقد رُتت جهدها على جنوب شرقي آسيا دون إهمال بقية المناطق. ويجب نشر الوعي، والمعرفة، والتنبيه على ما يقع. والله ولي التوفيق. ولنضع نصب أعيننا قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ الْإِيمَانُ الْكَثِيرَ مِنْ أُولِيئِكَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُم مَّغْلًا وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْعَصِيبُ﴾ (آل عمران: ٢٨).

